

صِيَاءُ الْفِرْقَانِ  
فِي تَقْدِيرِ الْقُلُوبِ

المجلد الثاني

السيد محمد بن الحسين بن الحسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ







**ضياء الفرقان**  
**فی**  
**تفسير القرآن**  
**جلد ۱**

لِـمُؤَلَّفَہ سید محمد تقی النّقوی



سرشناسه	: نقوی قاضی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -
عنوان و نام پدیدآور	: ضیاء الفرقان فی تفسیر القرآن / لمؤلفه محمد تقی نقوی قاضی.
مشخصات نشر	: تهران: قائن، ۱۳۹۵.
مشخصات ظاهری	: ۱۸ ج.
شابک	: دوره 7-24-978-964-8981-25-4 ؛ ج. ۱: 978-964-8981-25-4
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا.
یادداشت	: عربی.
موضوع	: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴.
موضوع	: Qur'an - - Shiite hermeneutics - - 20th century
رده‌بندی کنگره	: ۱۳۹۵ ض ۹۸/۷۷ BP
رده‌بندی دیویی	: ۲۹۷/۱۷۹
شماره کتابشناسی ملی	: ۴۴۰۴۹۵۲

## ضیاء الفرقان فی تفسیر القرآن - مجلد الاول

المؤلف: محمد تقی نقوی قاضی  
الکیمية: ۱۰۰۰  
الطبعة: الاول  
تاریخ الطبع: ۱۳۹۵ ش. - ۱۴۳۶ ق.  
تنسيق الصفحات: محسن نقوی  
لیتوگرافی: لوح محفوظ  
المطبعة: گوهر اندیشه  
انتشارات: قائن

شابک: ۴ - ۲۵ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸  
شابک دوره: ۷ - ۲۴ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸

٧	المقدمة.....
١١	الجزء الأول.....
١٣	سورة الحمد.....
٧٣	سورة البقرة.....
٦٥٢	الفهرست.....





## المقدمة

الحمد لله الذي دلّ على ذاته بذاته و تنزّه عن مجانسة مخلوقاته كيف يستدلّ عليه بما هو في وجوده مفتقر اليه، بل متى غاب حتّى يحتاج الى دليل يدلّ عليه و متى بعد حتّى تكون الاثار هي التي توصل اليه، عميت عين لا تراه ولا يزال عليها رقيباً وخسرت صفقة عبدٍ لم يجعل له من حبه نصيباً، المتجلّى بنور جماله على الملك و الملوك و المحتجب في عزّ جلاله بشعشة اللاهوت عن سكّان الجيروت فضلاً عن قطّان الناسوت، انار بشروق وجهه كلّ شىء، فنقذّ نوره بحيث افنى المستنير و عند كشف سُبحاتِ جلاله لم يبق الاشارة و المُشير، نزل القرآن على عبده، هدى للنّاس و بينات من الهدى و الفرقان، نوراً يتوقّد مصباحه و ضياءً يتلألأ صباحه و دليلاً لا يخمد برهانه و حقّاً لا تخذل اعوانه و حبلأ وثيقاً عروته و جبلاً منيعاً ذروته و شفاءً للصدور ليس وراءه شفاء و دواء للقلوب ليس مثله دواء، و اماماً يقتدى بسمته المقتدون و علماً يهتدى بهداه المهتدون، حمداً يدوم و لا يبيد، فطر الخلاق بقدرته و نشر الرياح برحمته الذي ليس لصفته حدٌ محدودٌ و لا نعتٌ موجودٌ خصّص للصعود الى عالم السّماء من بين الكلمات و الاسماء كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت و فرعها في السماء لكونها غاية التكوين و اليجاد و ثمرة شجرة عالم الاضداد فكّرّم هذه الكلمة بكرامة الخلافة الرّبانيّة فقال للملائكة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» و شرفها بتعلّم الاسماء فقال: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» و جعلها مسجودةً للملائكة تشريفاً و تعظيماً فقال: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» و اطاع له الملك و الملوك انقياداً و تسليماً ثمّ انشأ من هذه الكلمة كلمات تامّات متعاقبات كلمة بعد كلمة و رسولاً بعد رسول



فقال: «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَآكُلُ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ» متفاضلة بعضها على بعض فقال: «تلك الرسول فضلنا بعضهم على بعض» وهكذا حتّى انتهت النوبة الى كلمة جامعة تشتمل على جوامع الكلم صورة اسم الله الاعظم و القيل الله الاقوم و الرسول الخاتم المستشرق بنور عقله الكلى عقول من تأخر و من تقدّم المتعلّم فى مدرّس علّمك ما لم تكن تعلم بل هو فى نفسه الكتاب الحكيم المُحكّم الذى فيه جوامع الكلم و لطائف الحكم، نقطة الرّاسمة لكلّ الحروف المُعجم المختوم به كتاب الرّسالة و المتّصل به دائرة الفضل و الإجابة، نقطة دائرة الوجود و نكتة سرّ الله فى كلّ موجودٍ المقصود بالايجاد أولاً و المبعوث بالتكميل آخراً، المذكور اسمه فى التوراة و الانجيل، خير الاولين و الآخرين، المؤكّد دعوته بالتأييد، المخصوص شريعته بالتأييد، الملقّب بحبيب الله على لسان جبرئيل بامرٍ من ربّ الجليل، ابى القاسم محمّد سيّد الخلائق اجمعين و شافع الامم عند الخالق يوم الدين و على آله و عترته المقدّسين المطهّرين المستودعين لحكمته، الحافظين لشريعته، مصادر بيوت الوحي و التنزيل و خزانة اسرار القرآن و التأويل، انوار سماء العصمة و الهداية و آيات كتاب الامامة و الولاية اعلام الاسلام و ائمة الانام «ما اعتقت الليالى و الايام» و «اختلف الضياء و الظلام» و لا سيّما بقية الله الاعظم صاحب الولاية الالهية الكبرى و الخلافة العالمية العليا الذى يكون النّصر قائده و الرّعب رائده به يعود الحقّ فى نصابه و يزول الباطل عن مقامه المدخّر لاصلاح هذا العالم المنغمس بفطرته الظلم و الفساد و المرتجى الازالة الطّاغوتية الغاشمة و العناد، سليل رسول الله و الحجّة على خلقه، سيف الله المنتقم سيّدى و مولاى حجّة بن الحسن العسكري عليه السلام الذى اذهب الله عنه و عنهم الرّجس و طهّرههم تطهيراً.

اما بعد: فيقول العبد الضعيف الراجى لطف ربّه اللطيف، خادم كلام الله محمّد تقى بن محمّد باقر النّقوى، القاينى الخراسانى (حشره الله مع مواليه و

جعل مستقبله خيراً من ماضيه» أنه لا يخفى على النافذ البصير والمطلع الخبير أنّ من البين اللائح الذّي لا يرتاب فيه ذورب أنّ الكتاب الكريم هو الاساس القويم الذّي تقوم عليه بُنيّة الدّين الحنيف وهو الروح السّماوية الّتي بها حياة العلّة البيضاء كيف لا وهو الكتاب الذّي يضمن اصلاح البشر ويتكفل بسعادتهم واسعادهم وعليه تؤسس علوم الدّين وعنه تؤخذ علوم الاجتماع والسياسة المدنية والقرآن مرجع اللغوى ودليل النحوى وحجة الفقيه ومثل الاديب وضالة الحكيم ومرشد الوعظ ومن ارشاداته تشكف اسرار الكون ونواميس التكوين وانّ لكل آية من آياته بل لكل فقرة من فقراته ظهراً وبطناً وتفسيراً وتأويلاً فلهذا أنّ النّبى الكريم هو الذّي خصّه الله ببيان ما انزل الى النّاس من ربّهم وتعليمه كما قال عزّ من قائل:

«لتبين للناس ما انزل اليهم من ربهم» وقال: «ويعلمهم الكتاب والحكمة» وانّ الطاهرين من اهل بيته هم الذّين قارنهم النّبى ﷺ بكتاب الله فسمّاهما الثقلين ووقفهم موقف البيان والتعليم وامر بالتمسك بهم واخذ الكتاب عنهم، فهم الهداة يهدى الله بهم لنوره من يشاء وهم المعلّمون القائلون بتعليم مافيه من حقائق المعارف وشرائع الدّين وقد بعث الله رجالاً من اولى النهى والبصيرة وذوى العلم والفضيلة على الاقتباس من مشكاة انوارهم والاخذ والظبط علومهم وآثارهم وايداع ذخائرهم فى كتبهم وتنظيم شنائها فى تأليفهم ليدوق بذالك العجائب من منهل الشاهد ويرد به اللاحق مورد السابق ولكن ليس من الانصاف ان نكلّف احداً وان بلغ ما بلغ من العلم والتبحّر - ان يحيط بمعانى كتاب الله الاعظم من جميع الجهات لانّ الله تبارك وتعالى القى على نفوسهم شعاعاً من نوره ووضحاً من هداه فلهذا ننظر بعضهم يفسره من ناحية الادب او الاعراب والآخر يفسره من ناحية الفلسفه وثالثاً من ناحية العلوم الحديثه او نحو ذالك، كانّ القرآن لم ينزل الا لهذه الناحية الّتي يختارها ذلك المفسّر وتلك الوجهة الّتي يتوجّه اليها ولاكنّ الحق ان يكون المفسّر يجرى



مع الآية حيث تجرى ويكشف معناها حيث تشير ويوضح دلالتها حيث تدلّ بمعنى ان يكون حكيماً حين تشتمل الآية على الحكمة وخليقاً حين ترشد الآية الى الاخلاق و فقيهاً حين تتعرض للفقه و اديباً حين ترمز على الادب و اجتماعياً حين تبحث فى الاجتماع و شيئاً آخر حين تنظر فى اشياء آخر و من اجل ذلك اننى كثيراً ما يخالج قلبى ان اشرح الكتاب الكريم شرحاً وافياً لجميع الجهات على ما تيسر لى من ظواهر الكتاب و محكماته و ما ثبت بالتواتر او بالطرق الصحيحة من الآثار الواردة عن اهل بيت العصمة من ذرية الرسول ﷺ و ما استقل به العقل الفطرى الصحيح الذى جعله الله حجة باطنة كما جعل نبيه ﷺ و اهل بيته المعصومين حجة ظاهرة و ايضاً اننى كثيراً ما استعين بالآية على فهم اختها و استرشد القرآن الى ادراك معانى القرآن مع ضيق باعى و قصر ذراعى و تشتت احوالى و تفاقم احزائى، خصوصاً فى ذلك الزمان، رفعها الله عني و عن جميع الاخوان بحق صاحب الزمان عليه صلوات الله الرحمن.

و سميت هذا التفسير به «ضياء الفرقان فى تفسير القرآن» و اننى لاجور من خلّص إخوانى المؤمنين الناظرين الى ما كتبت فى هذه الاوراق ان يذكرونى بطلب المغفرة و الدعاء و ان يعفونى اذا عثروا على الذلات، فانّ العصمة مختصة باهلها.

وفقنا الله و اخواننا المؤمنين للصراط المستقيم و عصمنا من الاهواء الباطلة و النفس الامارة بالسوء.

الحمد لله على نعمائه و آلائه و الصلوة و السلام على سيدنا محمد و آله الطيبين الطاهرين. و نقول «ايها العزيز مسنا اهلنا الضر و جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل و تصدّق علينا انّ الله يجزى المتصدّقين.»

**الجزء**

**الأول**

الحمد لله أَنزَلَ الْكِتَابَ إِلَى عَبْدِهِ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ.

ثمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ ثُمِّيَ فِي السَّمَوَاتِ بِأَحْمَدٍ وَفِي الْأَرْضِينَ بِهِ  
أَبَالِقَاسِمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى أَوْصِيَائِهِ وَخُلَفَائِهِ اثْمَةَ الْمَعْصُومِينَ أَوْلَهُمْ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وَأَخْرَهُمْ حِجَّةَ بْنِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِي (عج).

الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَقِّ: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ  
لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَاكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي اسْمُهُ أَسْمَى، يَمْلَأُ  
اللَّهُ الْأَرْضَ بِهِ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَ مَا مُلِئَتْ ظِلْمًا وَجورًا. صَلَوةُ اللَّهِ  
عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمَحْتَاجُ إِلَى رَبِّهِ الْغَنِيِّ مُحَمَّدُ تَقِي بْنِ مُحَمَّدٍ  
بَاقِرُ الْحُسَيْنِيِّ الْقَايِنِيِّ: أَنِّي لَمَّا فَرَعْتُ مِنْ تَأْلِيفِ شَرْحِي الْمَبْسُوطِ عَلَى  
نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسْمُومِ بِهِ مِفْتَاحِ السَّعَادَةِ فِي شَرْحِ  
نَهْجِ الْبَلَاغَةِ (١٨ مجلد) شَرَعْتُ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ اللَّهِ بِقَدْرِ اسْتَطَاعَتِي وَهُوَ هَذَا  
الْكِتَابُ سَمَّيْتُ بِالضِّيَاءِ الْفَرْقَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ. وَقَدْ وَفَّقَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ  
إِتْمَامِهِ وَارْجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى نَحْنُ يَنْفَعُنِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ فِيهَا مَالٌ  
وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ آتَاهُ اللَّهُ قَلْبًا سَلِيمًا.

فَنَقُولُ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَ  
الْمُرْسَلِينَ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.



## سورة الحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)  
 مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ  
 (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ  
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

إِعلم أنَّ الباء حَرْفٌ أَصله الأَلصاق والحُرُوفُ الجارَّةُ على ما قيل  
 موضوعة لمعنى المفعوليَّةِ وذلك لأنَّها توصل الأفعال الى الأسماء وتوقعها  
 عليها فاذا قلت مررت بزيد اوقعت الباء المَرُور على زيد و محلّه النَّصب لأنَّه  
 مَفْعول به للفعل المَحذوف اي ابدا بِسْمِ اللَّهِ او قولوا بِسْمِ اللَّهِ وَاَمَّا حُذْفُ  
 الفعل لأنَّ دَلالةَ الحال أغنت عن ذكره وقيل محلّه الرِّفْع بناءً على أَنَّهُ خَبَرُ  
 لِمبتدأ محذوف والتقدير ابتدائي بِسْمِ اللَّهِ فالباء على هذا متعلّق بالخبر  
 المحذوف وهو ثابت اي ابتدائي ثابت بِسْمِ اللَّهِ او ثَبَّتَ بِسْمِ اللَّهِ وعلى أي  
 تقدير لا يجوز أن يتعلّق الباء بابتدائي لأنَّه مصدر واذا تعلّق الباء به يصير من  
 صِلته وبقى المبتدأ بلا خبر، واما تحريك الباء مع أنَّ الأصل في الحروف  
 البناء وأصل البناء السكون كما قال ابن مالك في الألفية في النِّمُو (والأصل في  
 المَبْنَى أن تَسْكينا) فللزوم الأبتداء ولا يمكن بالسّاكن وأما حَرَكُ بالكسْرِ  
 لوجوده.

أحدها: أنَّ عمل الباء الجرَّ فحرَّكَ بالكسر ليناسب العمل اللَّفْظ.

**ثانيها:** أنَّ الباء لا يدخل الآ على الأسماء والجَر أيضاً لا يكون إلا في الأسماء ولذلك حرَّك بالكسر.

**ثالثها:** ليفرق بين الباء وبين ما يكون من الحروف اسماً نحو الكاف في قول الشاعر: «وَرُحْنَا بِكَابِنِ الْمَاءِ يُجَنَّبُ وَسُطْنَا» أي بمثل ابن الماء أو ما كان مثله. وقول الشاعر: «لِيُضْحَكُنَّ عَنْ كَالْبَرْدِ الْمُتَّهَمُ» ولأجل هذا قالوا أنَّ الكاف لا يلزم الحَرْفِيَّة بخلاف الباء فإنه يلزمها هذا قول أبي عمر الجرمي.

وأما الفارسي فقد ثَقُلَ عنه جواز الضَّم والفتح في الباء واستدَلَّ على المدعى بأنَّ الغرض التَّوَصُّل إلى الإبتداء فباي حركةٍ توصل إليه جاز وكيف كان لا يبعد أن يكون المراد به تضمين الإستعانة أي استعينوا بأن تسموا الله بأسمائه الحسنَى وتصفوه بصفاته العُلْيَا هذا كله في الباء.

أما الأسمُ فقد اختلفوا في اشتقاقه على وجهين، فقال البصريون هو مشتق من السَّمَوِّ وهو العُلُو والرَّفْعَة. إمَّا لأنَّ الأسمَ على بَقْوَتِهِ على قِسْمِي الكلام، الحرف والفعل فِلْعَلُوهُ عليهما مَسْمَى إسماً إمَّا لأنَّ صاحب الأسم بمنزلة المرتفع به أو لأنَّ الأسم يسموا بالمَسْمَى فيرفعه من غيره.

وقال الكوفيون أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ السَّمَةِ وهي العلامة لأنَّ الأسم علامة لمن وضع له وعليه فالأصل فيه وسم والمشهور عند المحققين هو قول البصريين وذلك لأنَّ تصغيره سَمِيَّ وجمعه على أسماء وقد ثَبَتَ أنَّ الجمع والتصغير يَرْدَانِ الأشياء إلى أصولها فلو كان مشتقاً من السَّمَةِ كان الأصل فيه وسم وتصغيره على وَسَمٍ وجمعه على أوسام ولم يقل به أحد وإنما حُذِفَت الهَمْزَة من الأسم في بِسْمِ اللَّهِ في اللفظ لأنها هَمْزَة الوصل وهي تسقط في الدَّرَج وفي الخَطِّ أيضاً لكثرة الإستعمال فيما لا يخاف فيه اللبس ولهذا لا يُحذف في نحو قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ<sup>(١)</sup> لقلة الإستعمال ثم أَنَّهُم اختلفوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المجلد الأول

في أَنَّ الأسم هو المُسمَّى بعينه ام غيره فذهب ابو عبيدة وسيبويه الى أَنَّ الأسم هو المُسمَّى وعليه فاذا قال قائل (الله عالم).

فقوله دالٌّ على الذَّات الموصوفة بكونه عالماً.

وكذلك اذا قال الله خالق فالخالق هو الرَّب بعينه وهو بعينه الأسم و ذهب الآخرون الى أنه غيره والحق في المقام أَنَّ هذا البحث ممَّا لا طائل تحته وذلك لأنَّ الأسم إن أُريد به اللَّفظ فلا شكَّ أنه غيره اذ اللفظ يتالف من اصوات مُقطعة غير قارّة يختلف باختلاف الامم والعصور ويتعدّد تارةً ويتحدّد اخرى والمُسمَّى لا يكون كذلك وان أُريد به ذات الشَّيْ فهو المُسمَّى لكنّه لم يشتهر هكذا قال بعض المحققين والذي يخطر بالبال هو أَنَّ الأسم غيره قولاً واحداً ولا يجوز ارادة الذَّات من اللَّفظ الأ على وجه الدلالة والحكاية وأما أنه هو على سبيل العينية فلا نفهم معناه وذلك لأنه قد يعرف الأسم من لا يعرف المُسمَّى والاسم قد يكون مُدرَكاً وان لم يدرك المُسمَّى ولو كان هو فاذا قال القائل نار احترق لسانه واذا قال عَسَل وجد الحلاوة في فمه والقول بأن هذا من التسمية دون الاسم، باطل لأنَّ القائل لو قال (أكلتُ إسم العسل) لكان جاهلاً وقد اطالوا الكلام في المقام بما لا فائدة فيه علماً وعملاً.

وأما قول الشاعر «الى الحول ثم إسم السلام عليكم». ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر» فلا يدل على أَنَّ الاسم هو المُسمَّى وانَّ التقدّير السلام عليكم فاسم هو السلام وذلك لأنَّ الشاعر اراد به إسم الله تعالى لأنَّ السلام من اسمائه في قوله تعالى: **الْسَّلَامُ أَلْفُ مِائَةِ مِائَةٍ**<sup>(١)</sup> وعليه فلا دلالة له على العينية الله هذا الإسم علّم على الاصح للذَّات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات الكمالية حتّى قيل أنه إسم الله الأعظم ولم يُسم به غيره، ولذلك لم يشن ولم يجمع، وقيل معناه الذي يستحق ان يعبد، وقيل معناه واجب الوجود الذي لم

يزل ولا يزال والمآل في الكل واحد ثم أنهم اختلفوا في كونه مُشتَقاً فمنهم من قال به ومنهم من لم يقل به فمن قال بعدم الاشتقاق قطع بكونه اسماً موصوفاً للذات الواجب الوجود اذ ليس يجب في كل لفظ أن يكون مشتقاً لأنه لو وجب ذلك لتسلسل والتسلسل باطل عقلاً فكذلك كل ما يوجب به هذا قول الخليل أما من قال باشتقاقه وهو غير واحد من المُحققين اختلفوا في اشتقاقه على وجوه:

**أحدها:** أنه مشتق من الألوهية التي هي العبادة والتأله التبعيد يُقال فلان متاله اي مُتَعَبَد فعلى هذا يكون معناه الذي يجب له العبادة ولذلك لا يُسمى به غيره تعالى ويوصف فيما لم يزل بأنه اله.

**ثانيها:** أنه مشتق من الوله وهو التَّحِير يقال ألّه يألّه اذا تحير نقل هذا القول عن أبي عمرو وعليه فمعناه أنه الذي تحيرت العقول في كنه ذاته.

**وثالثها:** أنه مشتق من ألّهت الى فلان أي فرعت اليه لان الخلق يألّهون اليه أي يفرعون اليه في حوائجهم.

**رابعها:** أنه مشتق من ألّهت اليه اي سكنت اليه نقل هذا عن المُبرّد ومعناه أن الخلق يسكنون الى ذكره كما قال تعالى: **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** <sup>(١)</sup>.

**وخامسها:** أنه مشتق من لاه اي احتجب وعليه فمعناه أنه تعالى إحتجب بالذات عن الاوهام وظهر بالدلائل والاعلام كما قيل (يا من هو اختفى لفرط نوره، الظاهر والباطن في ظهوره).

قال الخليل أن أصله الأله مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة.

قال سيبويه مثل الناس أصله إناس وقيل اصل الكلمة لاه وعليه دخلت الألف للتعظيم وهذا اختيار سيبويه وأنشد:

لأه ابن عَمِكَ لا أفُضِلت في حَسَبٍ عَنِّي ولا أنت دِيَانِي فَتَحْزُونِي.

قال الكسائي والفراء معنا بِسْمِ اللَّهِ، بِسْمِ الْإِلَهِ فَحَذَفُوا الْهَمْزَةَ وَأَدْعَمُوا اللَّامَ الْأُولَى فِي الثَّانِيَةِ فَصَارَتْ لَاماً مُشَدَّدةً كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي <sup>(١)</sup> وَمَعْنَاهُ لَكِن أَنَا وَلِكُلِّ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ وَجْهٌ وَجِيهٌ وَفِي الْمَقَامِ قَوْلُ آخِرِ ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو الْمَعَالِيِّ وَالْخَطَّابِيُّ وَالْعَزَّالِيُّ وَغَيْرُهُمْ وَهُوَ أَنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ لَا زِمَةَ لَهُ لَا يَجُوزُ حَذْفُهُمَا مِنْهُ وَتُقَلُّ هَذَا الْقَوْلُ عَنِ الْخَلِيلِ وَسَيُوبِيهِ أَيْضاً وَاسْتَدَلُّوا عَلَى الْمَدْعَى بِدُخُولِ حَرْفِ النَّدَاءِ عَلَيْهِ كَقَوْلِكَ يَا اللَّهُ وَحَرْفِ النَّدَاءِ لَا تَجْتَمِعُ مَعَ الْأَلْفِ وَاللَّامِ لِلتَّعْرِيفِ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَقُولُ يَا الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ) وَ عَلَيْهِ فَالْأَلْفُ وَاللَّامُ مِنْ لُبْنِيَّةِ هَذَا الْأَسْمِ وَهَذَا الْقَوْلُ يَنْسَبُ عَدَمَ اسْتِقْطَاقِهِ وَأَنَّهُ مُوَضَّوعٌ لِلذَّاتِ إِذْ عَلَى الْإِسْتِقْطَاقِ لَا مَحِيصٌ عَنْ زِيَادَةِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ وَأَمَّا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ بِاللَّهِ لِأَنَّ التَّبَرُّكَ وَالْإِسْتِعَانَةَ بِأَسْمِهِ وَلِلْفَرْقِ بَيْنَ الْيَمِينِ وَالتَّبَرُّكِ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ ابْتِدَاءُ بَتَسْمِيَةِ اللَّهِ فَوْضِعَ الْأَسْمِ مَوْضِعَ الْمُبْتَدَأِ كَمَا يَقَالُ أَكْرَمْتُهُ كِرَامَةً أَيْ إِكْرَاماً وَأَهْنَيْتُهُ هَوَاناً أَيْ إِهَانَةً وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي      وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرِّثَاعَا  
أَي بَعْدَ إِعْطَائِكَ وَقَالَ الْآخَرُ:

فَأَنَّ كَانَ هَذَا الْبُخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً      لَقَدْ كُنْتُ بِي طَوْلًا رَجَائِكَ أَشْعَبَا  
أَي فِي إِطْلَاقِي رَجَائِكَ فَعَلِي هَذَا يَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ ابْتِدَاءُ قَرَأْتِي بِتَسْمِيَةِ اللَّهِ وَهَذَا الْقَوْلُ أَوَّلِي بِالصَّوَابِ لِأَنَّا أَمَرْنَا بِأَنْ نَفْتَحَ أُمُورَنَا بِتَسْمِيَةِ اللَّهِ لَا بِالْخَبَرِ عَنْ كِبَرِيَّاتِهِ وَعَظَمَتِهِ كَمَا أَمَرْنَا بِالتَّسْمِيَةِ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالذَّبَائِحِ أَلَا تَرَى أَنَّ الذَّبَائِحَ لَوْ قَالَ بِاللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ لَكَانَ مُخَالَفًا لِمَا أَمَرَ بِهِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اخْتَلَفُوا فِي اسْتِقْطَاقِ الرَّحْمَنِ.

أَيْضاً فَقَال بَعْضُهُمْ لَا إِسْتِقْطَاقَ لَهُ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ سُبْحَانَهُ وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُشْتَقًّا مِنَ الرَّحْمَةِ لَأَتَّصَلَ بِذِكْرِ الْمَرْحُومِ فَجَازَ أَنْ يَقَال، اللَّهُ رَحْمَنٌ



بعباده كما يقال رحيم بعباده وأيضاً لو كان مُشتَقّاً منها لم تنكره العرب حين سمعوه وقد قال الله عز وجل: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟<sup>(١)</sup>

وقال تعالى: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ<sup>(٢)</sup> وذهب الجمهور من الناس الى أنَّ الرَّحْمَنَ مُشتَقٌّ من الرَّحْمَةِ مَبْنًى على المبالغة ومعناه ذوالرَّحْمَةِ الَّذِي لا نظير له فيها ولذلك لا يثنى ولا يجمع وقال بعض المفسرين الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غَضَبٍ والعليم من عَلِمَ.

الرَّحْمَةُ فِي أصل اللُّغَةِ رَقَّةُ الْقَلْبِ وانعطاف يقتضي التفضُّل والإحسان و منه الرَّحِمُ لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى أُنَمَا تُؤْخَذُ بِاعتبار الغايات الَّتِي هِيَ أفعال دون المبادئ الَّتِي تكون إنفعالات ثُمَّ أَنَّ الرَّحْمَنَ اِبْلَغَ مِنَ الرَّحِيمِ لِأَنَّ زِيَادَةَ الْبِنَاءِ تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَعْنَى وَ ذَلِكَ أُنَمَا تُؤْخَذُ تَارَةً بِاعتبار الكميَّةِ وَأُخْرَى بِاعتبار الكيفيَّةِ فعلى الأول قيل يا رحمن الدنيا لأنَّه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنَّه يختصُّ المؤمن.

وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لأنَّ النِّعَمَ الْآخِرِيَّةَ كَثِيرَةٌ دَائِمَةٌ جَلِيلَةٌ وَأَمَّا النِّعَمُ الدُّنْيَوِيَّةُ حَقِيرَةٌ قَلِيلَةٌ، وَهَلْ هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ أَوْ بِمَعْنَيْنِ فِيهِ قَوْلَانِ فَقِيلَ هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ كَسَدَمَانٍ وَنَدِيمٍ قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ.

وقيل ليس ببناء فعلاً كفعل فأنَّ فعلاً لا يقع إلا على مُبَالِغَةِ الْفِعْلِ نَحْوُ قَوْلِكَ غَضَبَانٍ لِلْمَمْتَلَى غَضَباً وَفَعِيلٌ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَأَمَّا إِذَا عَصَتْ بِكَ الْحَرْبُ عَصَّةً فَأَنْتَ مَعْطُوفٌ عَلَيْكَ رَحِيمٌ.  
فَالرَّحْمَنُ خَاصٌّ الْأَسْمِ عَامُ الْفِعْلِ وَالرَّحِيمُ عَامٌ الْأَسْمِ خَاصُّ الْفِعْلِ.

قال أبو علي الفارسي الرَّحْمَنُ إسم عام في جميع أنواع الرَّحْمَةِ يختص به الله و الرَّحِيمُ أنما هو في جهة المؤمنين كما قال تعالى: وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا<sup>(١)</sup>

قال العرزمي الرَّحْمَنُ بجميع خلقه من الأمطار ونعم الحواس والنعم العامة و الرَّحِيمُ بالمؤمنين في الهداية لهم واللفظ بهم.  
قال ابن المبارك الرَّحْمَنُ إذا سُئِلَ أعطى و الرَّحِيمُ إذا لم يُسأل غضب.  
قال الشاعر:

اللَّهُ يَغْضَبُ أَنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه      وَنُهِىَ آدَمَ حِينَ يُسَالُ يَغْضَبُ  
قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أكثر رَحْمَةً و  
أنما قدم الرَّحْمَنُ على الرَّحِيمِ لأنَّ الرَّحْمَنَ بمنزلة إسم العلم من حيث لا  
يوصف به إلا الله فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرَّحِيمِ لأنه يُطلق عليه و على  
غيره.

قد روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ: أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ  
قال الرَّحْمَنُ رحمن الدنيا و الرَّحِيمُ رحيم الآخرة

عن بعض آخر: أنه قال الرَّحْمَنُ بجميع الخلق و الرَّحِيمُ بالمؤمنين خاصة.  
قال بعض أهل التحقيق وجه عموم الرَّحْمَنُ بجميع الخلق هو انشائه و  
إيجاده إياهم و خلقهم أحياء قادرين و وجه خصوص الرَّحِيمِ بالمؤمنين هو ما  
فعله بهم في الدنيا من التوفيق في الآخرة من الجنة والاكرام و غفران الذنوب و  
الآثام و إلى هذا المعنى يرجع.

ما رَوَى عن الصادق عليه السلام: أَنَّهُ قال الرَّحْمَنُ إسم خاص بصفة عامة  
و الرَّحِيمُ إسم عام بصفة خاصة.

و عن عكرمة قال: الرَّحْمَنُ بِرَحْمَةٍ وَاحِدَةٍ وَالرَّحِيمُ بِمِائَةِ رَحْمَةٍ).  
 ذلك لما رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ رَحْمَةٍ وَأَنَّهُ  
 أَنْزَلَ مِنْهَا وَاحِدَةً إِلَى الْأَرْضِ فَقَسَمَهَا بَيْنَ خَلْقِهِ بِهَا يَتَعَاطَفُونَ  
 وَيَتَرَاحَمُونَ وَآخِرُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ لِنَفْسِهِ يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام: الرَّحْمَنُ الَّذِي يَبْسُطُهُ الرِّزْقَ عَلَيْنَا.  
 و في رواية العاطف على خلقه بالرِّزْقِ وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْهُمْ مَوَادَّ رِزْقِهِ  
 وَأَنْ انْقَطَعُوا عَنْ طَاعَتِهِ وَالرَّحِيمُ الْعَاطِفُ عَلَيْنَا فِي أَدْيَانِنَا وَدُنْيَانَا وَ  
 آخِرَتِنَا خَفَّفَ عَلَيْنَا الدِّينَ وَجَعَلَهُ سَهْلًا خَفِيفًا وَهُوَ يَرْحَمُنَا بِتَمْيِيزِنَا  
 مِنْ أَعْدَائِهِ انْتَهَى.

قال بعض الفلاسفة أنما كان الرَّحْمَنُ إِسْمًا خَاصًّا وَالرَّحِيمُ إِسْمًا عَامًّا لِأَنَّ  
 الْأَوَّلَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ لَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ بِخِلَافِ الرَّحِيمِ وَ أَمَّا عُمُومُ  
 الصِّفَةِ فِي الرَّحْمَنِ وَ خُصُوصُهَا فِي الرَّحِيمِ فَلِأَنَّ الرَّحْمَنَ إِسْمٌ لِلْحَقِّ تَعَالَى  
 بِإِعْتِبَارِ الْجَمْعِيَّةِ الْأَسْمَائِيَّةِ الَّتِي فِي الْحَضَرَةِ الْإِلَهِيَةِ الْفَائِضِ مِنْهُ الْوُجُودُ وَ مَا  
 يَتَّبِعُهُ مِنَ الْكَمَالَاتِ عَلَى جَمِيعِ الْمُمَكِّنَاتِ، وَالرَّحِيمُ إِسْمٌ لَهُ بِإِعْتِبَارِ فَيْضَانِ  
 الْكَمَالَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ كَالْمَعْرِفَةِ وَ التَّوْحِيدِ انْتَهَى.

ثُمَّ أَنَّ الرَّحْمَنَ صِفَةٌ لِلَّهِ وَ الرَّحِيمُ صِفَةٌ بَعْدَ صِفَةٍ قَالَ قُطْرُبٌ يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ  
 الرَّاغِبِينَ وَ وَعَدَ لَا يَخِيبُ أَمْلَهُ هَذَا تَمَامُ الْكَلَامِ فِي تَفْسِيرِ الْبِسْمَلَةِ بَقِيَ فِي  
 الْمَقَامِ أَمْرَانِ لَا بَدَّ مِنْ ذِكْرِهِمَا لِيَتِمَّ الْبَحْثُ فِيهِ.

أحدهما: أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ السُّورَةِ.

ثانيهما: مَا وَرَدَ فِي الْأَثَارِ مِنْ فَضْلِهَا.

أَمَّا الْبَحْثُ فِي الْأَوَّلِ: فنقول لا خلاف عندنا أَنَّهَا آيَةٌ مِنَ الْحَمْدِ وَ مِنْ كُلِّ  
 سُورَةٍ، الْأَسُورَةُ النَّمْلُ فَأَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ مِنْهَا وَلِذَلِكَ فَمَنْ تَرَكَهَا فِي الصَّلَاةِ فَرِيضَةٌ

كانت او نافلة بطلت صلاته والوجه فيه أنه لا صلاة الألفاتحة الكتاب و حيث أن البسملة منها فتركها يُوجب بطلان الصلّة و أيضاً عندنا أنه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة و يُستحب الجهر بها فيما لا يُجهر فيه.

و قد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: البسملة تيجان السور).

عن تفسير العياشي عن يونس ابن عبد الرحمن عمّن رفعه قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ أَلْمَثَانِي وَ أَلْقُرْآنَ الْعَظِيمِ<sup>(١)</sup> قال هي سورة الحمد و هي سبع آيات منها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَأَمَّا سُمِّيَتِ الْمَثَانِي لِأَنَّهَا تَتَنَّى فِي الرَّكَعَتَيْنِ. انتهى.

و عن صفوان الجمال قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ما أنزل الله من السماء كتاباً إلا وفاتحته، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَأَمَّا كَانَ يَعْرِفُ إِنْقِضَاءَ السُّورَةِ بِزُولِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِبْتِدَاءً لِلْآخِرَى،

عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سَرَقُوا أَكْرَمَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ انتهى.

والاحاديث في الباب كثيرة جداً و حيث لا خلاف عندنا في المقام فلا نحتاج الى ذكرها ازيد مما ذكرناه و أما العامة فقد اختلفوا على ثلاثة أقوال:

**الأول:** أنها ليست بآية من الفاتحة و لا غيرها و هو قول مالك.

**الثاني:** أنها آية من كل سورة و هو قول عبد الله ابن المبارك.

**الثالث:** قول الشافعي و هو أنها آية في الفاتحة و أما سائر السور فقد تَرَدَّدَ قوله فمرة قال هي آية من كل سورة و مرة قال ليست بآية، و لا خلاف عند العامة في أنها آية من القرآن في سورة النمل هكذا.

قال القرطبي في تفسيره ثم نقل في كتابه حُجَّة الشَّافعي وابن المبارك فقال، الصَّحيح من هذه الأقوال قول مالك لأنَّ القرآن لا يثبت بأخبار الأحاد و أنَّما طريقه التواتر القطعي الذي لا يختلف فيه ثم قال:

قال ابن العربي وكيفيك أنَّها ليست من القرآن إختلاف النَّاس فيها والقرآن لا يختلف فيه والأخبار الصَّحاح التي لا مطعن فيها دالة على أنَّ البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها الأ في التَّمَل وحدها انتهى. ما نقلناه عنه و الحقَّ أنَّها جزءٌ من كلِّ سورة.

قد روى السيوطي في تفسيره المُسمَّى بالدرِّ المنثور روايات كثيرة دالة على المدعى وهكذا غيره من المفسرين الآ أنه ليس هذا أول قارورة كسرت في الإسلام.

الثاني: ماورد في الآثار من فضلها.

قال الصادق عليه السلام: احتجبوا من النَّاس كلَّهم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وبقل هو الله أحد إقرأها عن يمينك وعن شمالك و من بين يديك و من خلفك و من فوقك و من تحتك وإذا دخلت على سلطانٍ جائرٍ فاقرأها حين تنظر اليه ثلاث مرات وأعد بيدك اليسرى ثم لا تفارقها حتَّى تخرج من عنده) انتهى.

عن كتاب التوحيد بأسناده إلى أبي عبد الله في حديث طويل وفيه قال رسول الله ﷺ من حزنه أمر يتعاطاه فقال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وهو يخلص لله و يقبل بقلبه اليه لم ينك من إحدى إثنين إمَّا بلوغ حاجته في الدنيا و إمَّا تعذله عند ربّه و تدخر لذيّه و ما عند الله خير و أبقي للمؤمنين انتهى.

وفيه عن الصادق عليه السلام و لربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فيمتحنه الله عزّ وجلّ بمكروه لينبهه على

شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.  
و عن تهذيب الأحكام بأسناده عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال:  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أقرب إلى إسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها.

و به رواية عن ابن عباس قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إسم من أسماء الله الأكبر ما بينه وبين إسم الله الأكبر ألا كما بين سواد العين و بياضها.

و عن علي ابن إبراهيم بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال فإذا جعلت رجلك في الركاب فقل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بسم الله والله أكبر انتهى.

الاحاديث كثيرة وفيما نقلناه كفاية. وقد روى العامة والخاصة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بِسْمِ اللَّهِ فهو أقطع أو أبرر انتهى.

### الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قال الراغب في المفردات الحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر انتهى.

أقول: الحمد بفتح الحاء وسكون الميم مصدر قولك حمدته حمداً وهو نقيض الذم واللام فيه أما للجنس أو للإستغراق فعلى الأول معناه جنس الحمد له تعالى وعلى الثاني كل الحمد له تعالى واللام في لله للإختصاص أي أن الحمد يختص به وعليه فالحمد مبتدأ ولله خبره.

رَبِّ أيضاً مصدر يقال على المالك والسيد المصلح جمعه أرباب وربوب وهو من أسمائه تعالى لأنه تعالى مالك الكل وسانتهم.

الْعَالَمِينَ جَمَعَ عَالَمٍ وَالْعَالَمِ جَمَعَ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ كَالنَّفَرِ وَالْجَيْشِ وَ  
 إِشْتِقَاقِهِ مِنَ الْعَلَامَةِ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى صَانِعِهِ وَقِيلَ مِنَ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ اسْمٌ يَقَعُ عَلَى مَا  
 يَعْلَمُ وَأَمَّا فِي عَرَفِ اللَّغَةِ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ  
 جَانَنِي عَالِمٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقُولُونَ جَانَنِي عَالِمٌ مِنَ الْبَقَرَةِ وَعَرَفَ النَّاسُ يَطْلُقُ  
 عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ أَنْشَاءُ اللَّهِ وَكَيْفَ كَانَ فَهُوَ مُضَافٌ إِلَيْهِ  
 لِلرَّبِّ وَالْجُمْلَةُ صِفَةُ لِلَّهِ وَالْمَجْمُوعُ خَبَرٌ لِلْمُبْتَدَأِ.  
 قِيلَ الْخَبَرُ مُحَذَوْفٌ وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ، الْحَمْدُ ثَابِتٌ أَوْ حَقٌّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
 وَالْأَمْرُ سَهْلٌ بَعْدَ وَضُوحِ الْمَقْصُودِ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَوَّلُهُ النَّصْبُ الَّذِي هُوَ قِرَاءَةُ بَعْضِهِمْ بِاضْمَارِ فَعْلِهِ عَلَى أَنَّهُ  
 مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَنْصِبُهَا الْعَرَبُ بِأَفْعَالٍ مَضْمُورَةٍ فِي مَعْنَى الْأَخْبَارِ كَقَوْلِهِمْ شَكَرْنَا  
 أَوْ كُفِّرْنَا إِلَى أَنْ قَالَ وَالْعُدُولُ بِهَا عَنِ النَّصْبِ إِلَى الرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ لِلدَّلَالَةِ  
 عَلَى ثَبَاتِ الْمَعْنَى وَإِسْتِقْرَارِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: قَالَ سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ رُفِعَ  
 السَّلَامُ الثَّانِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَيَاهُمْ بِتَحِيَّةٍ أَحْسَنَ مِنْ تَحِيَّتِهِمْ لِأَنَّ  
 الرَّفْعَ دَلٌّ عَلَى مَعْنَى ثَبَاتِ السَّلَامِ لَهُمْ دُونَ تَجَدُّدِهِ وَحُدُوثِهِ وَالْمَعْنَى: نَحْمَدُ  
 اللَّهَ حَمْدًا. انْتَهَى كَلَامُهُ.

أَقُولُ: يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ إِخْتَارَ الرَّفْعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ لِإثْبَاتِ التَّجَدُّدِ وَ  
 الْحُدُوثِ وَأَنَّى لَهُ بَاطِنَاتُ ذَلِكَ وَقَدْ قِيلَ أَنَّ فِي النَّصْبِ إِشْعَارًا بِالْفِعْلِ وَفِي  
 صِيغَةِ الْفِعْلِ إِشْعَارًا بِالتَّجَدُّدِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الرَّفْعُ فَإِنَّهُ يَسْتَدْعِي إِسْمًا ذَلِكَ الْأَسْمُ  
 صِفَةٌ ثَابِتَةٌ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمُقَدَّرَ مَعَ النَّصْبِ نَحْمَدُ اللَّهَ الْحَمْدُ وَمَعَ الرَّفْعِ الْحَمْدُ  
 ثَابِتٌ أَوْ مُسْتَقَرٌّ فَلَيْسَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّرْفَيْنِ إِلَّا مُعْزَدُ الدَّعْوَى مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَ  
 لَا مَشَاحَاةٍ فِيهِ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى الرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَيْثُ الْإِعْرَابُ  
 وَاللُّغَةُ وَالتَّفْسِيرُ.

وَالْحَمْدُ وَالْمَدْحُ اخوان وهما الثناء على الجميل نعمة كان او غيرها تقول  
 حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسنه وشجاعته وأما الشكر فعلى  
 النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح، والحمد باللسان وحده قال  
 الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا  
 ونقيض الحمد الذم كما أن نقيض الشكر الكفران انتهى ما قاله الزمخشري  
 في الكشاف.

والمشهور بين المحققين أن الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من  
 نعمة أو غيرها والمدح هو الثناء على الجميع مطلقاً سواء كان اختيارياً أم لا و  
 لهذا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل  
 تقول مدحته لأن حسنه ليس تحت اختياره بخلاف علمه وكرمه وأما الشكر  
 فهو مقابلة النعمة قولاً وعملاً وإعتقاداً فالشكر أعم منها من وجه وأخص من  
 آخر وكيف كان فلاشك أن جميع المحامد في الحقيقة ترجع اليه تعالى لأن  
 العبد وما في يده كان لمولاه مضافاً إلى أنه تعالى منشأ الخيرات ومفيضها و  
 موجد النعم وواهبها وقد ثبت أن ما للغير من صفات الكمال فهو له بالحقيقة  
 وإتصاف الغير بها باعتبار مظهرته له لا باعتبار ذاته ونفسه وعليه فلافق بين  
 كون اللام للجنس أو الإستغراق وهو ظاهر.

قد روي صاحب كشف الغمة عن الباقر عليه السلام قال الصادق عليه السلام فقد  
 لابي بغلة فقال عليه السلام لأن ردها الله على لاحمدته بمحامد يرضاهها  
 فما لبث أن أتى بها بسرجهها ولجامها فلما إستوى وضم اليه ثيابه  
 رفع رأسه إلى السماء وقال، الحمد لله ولم يزد ثم قال ما تركت ولا  
 بقيت شيئاً جعلت جميع أنواع المحامد لله عز وجل فما من حمد إلا  
 وهو داخل فيما قلت إنتهى.



يظهر من هذا الحديث أنَّ جميع أنواع المحامد داخلة تحت قولنا الحمد لله رب العالمين وهو كذلك.

إعلم أنَّ هذه السورة مكية كما عن ابن عباس وقتادة ومدينة كما عن مجاهد وقيل أنزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولها أسماء كثيرة والمشهور منها عشرة:

**الأول:** فاتحة الكتاب سُميت بذلك لإفتتاح المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصلاة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن وقيل سميت بها لأنها أول سورة أنزلت في القرآن فهي فاتحة النزول وابتدائه.

**الثاني:** أم الكتاب قيل سُميت بذلك لأنها متقدمة على سائر سور القرآن وقيل سُميت بذلك لأنها أصل القرآن والام الأصل وإنما صارت أصل القرآن لأن الله أودع فيها جميع ما في السور لأن إثبات الرُّبُوبية والعبودية وهذا هو المقصود بالقرآن.

**الثالث:** سبع المثاني، سُميت بذلك لأنها سبع آيات لاخلاف فيها وبالمثاني لأنها تنهى بقراءتها في كل صلاة فرض ونفل وقيل لأنها نزلت مرتين.

**الرابع:** الوافية فسميت بها لأنها لا ينتصف في الصلاة..

**الخامس:** الكافية لأنها تكفي عما سواها ولا يكفي ما سواها عنها.

**السادس:** الشافية، كما روي عن النبي ﷺ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء).

**السابع:** الأساس لما روي أنَّ لكل شيء أساساً وأساس القرآن الفاتحة وأساس الفاتحة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

**الثامن:** الصلاة لما روي عن النبي ﷺ قال الله تعالى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ نَصْفَهَا لِي وَنَصْفَهَا لِعَبْدِي فَاذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ اللَّهُ حَمْدُنِي عَبْدِي فَاذَا قَالَ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَقُولُ اللَّهُ أَتُنَى عَلَيَّ عَبْدِي فَذَا قَالَ الْعَبْدُ مُالِكِ  
يَوْمَ الدِّينِ يَقُولُ اللَّهُ مَجْدُنِي عَبْدِي فَذَا قَالَ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ يَقُولُ اللَّهُ هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَذَا قَالَ  
إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إِلَى آخِرِهِ، قَالَ هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا  
سَأَهُ.

التاسع: الحمد سميت بذلك لأن فيها ذكر الحمد.

العاشر: أم القرآن ومعناه قريب من أم الكتاب وقد مر باقي الكلام في ما  
ورد في فضلها فنقول الأخبار الواردة في فضلها كثيرة.

في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أربع من كن فيهم كان في نور الله الأعظم إلى قوله صلى الله عليه وسلم ومن إذا  
أصاب خيرا قال الحمد لله رب العالمين إنتهى.

بأسناده إلى علي بن الحسين قال عليه السلام: ومن قال الحمد لله فقد أدى  
شكر كل نعمة لله تعالى إنتهى.

في الكافي بأسناده عن أبي عبد الله قال: قال لي ما أنعم الله على عبد  
بنعمة صغرت أو كبرت فقال الحمد لله إلا أدنى شكرها إنتهى.

بأسناده إلى حماد بن عثمان قال: خرج أبو عبد الله من المسجد و  
قد ضاعت دابته فقال: لَإِنْ رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيَّ لَأَشْكُرَنَّ اللَّهَ حَقَّ شُكْرِهِ  
قال فما لبث أن أتى بها فقال الحمد لله فقال قائل جعلت فداك أليس  
قلت لإشْكُرَنَّ اللَّهَ حَقَّ شُكْرِهِ فقال عليه السلام ألم تسمعني قلت الحمد لله  
إنتهى.

في من لا يحضره الفقيه بأسناده عن الرضا قال عليه السلام: أَلْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّمَا  
هو أداء لما أوجب الله عز وجل على خلقه من الشكر وشكر لما وفق  
عبد من الخير رب العالمين) توحيد له و تحميد وإقرار بأنه هو  
الخالق المالك لا غيره.

في مجمع البيان قال رسول الله ﷺ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنْ عَلَى  
بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى قَوْلِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ دَعَا أَهْلَ الْجَنَّةِ  
حِينَ شَكَرُوا اللَّهَ حُسْنَ الثَّوَابِ..

و في الكافي بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَنْ قَالَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ  
إِذَا أَصْبَحَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ وَمَنْ قَالَهَا إِذَا  
أَمْسَى فَقَدْ أَدَّى لَيْلَتَهُ).

بأسناده عنه عليه السلام قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ. قَالَ:  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَثِيرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَ سِتِّينَ مَرَّةً وَإِذَا  
أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ.

في مجمع البيان قال رسول الله ﷺ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنْ عَلَى  
بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى قَوْلِهِ: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الْأَنْبِيَاءِ وَ  
هَمَّ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

الأخبار في فضلها كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لأولي الدراية، ولنختتم الكلام  
في تفسير الآية بذكر أمورٍ لا تخلو من فائدة.

**الأمر الأول:** لَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَعَالَى: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَمْ يَقُلِ أَحْمَدُوا اللَّهَ مِثْلًا بِصِيغَةِ  
الأمر، قال بعض المحققين الوجه فيه أَنَّ التَّكْلِيفَ بِمَا لَا يَطَاقُ مُحَالٌ وَقَدْ قَالَ  
اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا <sup>(١)</sup> وَحَيْثُ الْأَمْرُ بِالْحَمْدِ دَاخِلٌ فِيهِ  
لِذَلِكَ لَمْ يَأْمُرْنَا بِهِ وَتَوْضِيحُهُ أَنَّ الْحَمْدَ عِبَارَةٌ عَنْ مَدْحِ الْغَيْرِ بِسَبَبِ كَوْنِهِ مَنْعِمًا  
مُتَفَضِّلًا وَمَالِمَ يَحْصُلُ شُعُورُ الْإِنْسَانِ بِوُصُولِ النُّعْمَةِ إِلَيْهِ أَمْتَنَعَ تَكْلِيفَهُ بِالْحَمْدِ  
وَالشُّكْرِ فَوَجِبَ كَوْنُ الْإِنْسَانِ عَاجِزٌ عَنْ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ لَوْجُوه:

**أحدها:** أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ كَثِيرَةٌ لَا يَقْوَى عَقْلُ الْإِنْسَانِ عَلَيْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَإِنْ  
تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا <sup>(٢)</sup> وَإِذَا أَمْتَنَعَ وَقُوفُ الْإِنْسَانِ عَلَيْهَا أَمْتَنَعَ إِقْتِدَارُهُ

على الحمد والشكر والثناء اللائق بها.

**ثانيها:** أَنَّ الإنسان أَمَا يمكنه القيام بحمده و شكره اذا قَدَره اللَّهُ تعالى عليه و الأقدار لا يوجد إلا بإيجاد المقتضى أعني به الدَّاعي اليه و رفع المانع و لاشكَّ أَنهما خارجان عن قدرة العبد و عَلَيْهِ فالعبد ينبغي له الحمد على هذا التوفيق منه تعالى قبل الحَمد على النُّعمة وهكذا الى غير النِّهاية والموقوف على المحال محال فالحمد على النعم محال.

**ثالثها:** أَنَّ الإنسان محتاج الى إنعام الله في ذاته و صفاته و أحواله والله تعالى غَنِي بالذَّات كما قال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** <sup>(١)</sup> فبهذه الوجوه ظهر لك سِر العدول عن صيغة الأمر و يؤيده ما نقل عن داود النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال ياربَّ كيف أشكرك و شكري لك لا يتم إلا بإنعامك عليّ و هو أن توفّقني لذلك الشكر فقال تعالى لِمَا علمت عجزك عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك و طاقتك.

أما قوله تعالى: **الْحَمْدُ لِلَّهِ** فقد ذلَّ على أَنَّ الحَمد حقّه و ملكه سواء قدر الخلق على الإتيان به أم لا.

**الامر الثاني:** روي عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال اذا أنعم الله على عبده نعمة فيقول العبد **الْحَمْدُ لِلَّهِ** يقول الله تعالى **انظروا الى عَبْدِي** أعطيته مالا قدر له فأعطاني مالا قيمة له).

توضيحه أَنَّ النعم الدنيويّة التي توجب الحمد على العبد لا قدر لها عند الله تعالى و ذلك لأنَّ الدُّنيا و ما فيها أقلُّ قدرًا من جناح بعوضةٍ عنده تعالى كما ورد في الحديث فاذا حمد العبد على النُّعمة أي نعمة كانت حمد الله على مالا قدر له عنده و هو واضح و هذا معنى قوله ﷺ أعطيته مالا قدر له، و أَمَا قوله فأعطاني مالا قيمة له فمعناه أَنَّ الحَمد الذي أتى به فهو ممَّا لا قيمة له

كثرة وذلك لأنه لم يقل حمدي لله بل قال الْحَمْدُ لِلَّهِ ولما كانت اللام فيه للجنس أو الإستغراق فلا محالة يشمل كلَّ حمدي صدر من الموجودات فيما مضى وفي الحال المستقبل من الإنسان أو من غيره من الموجودات من أول الدنيا الى آخره.

بعبارة أخرى اذا قال العبد، الْحَمْدُ لِلَّهِ فكأنه قال جنس الحمد أو كل الحمد له تعالى لا غيره لدلالة لام الإختصاص عليه في كل عصر و زمان و من أي موجود صدر فيدخل فيه حمد جميع الأنبياء والملائكة والناس بل وجميع الموجودات الى آخر الدهر و من المعلوم أن الحمد بهذا المعنى لا قيمة له بل فوق القيمة وهذا معنى قوله ﷺ فأعطيني مالا قيمة له فثبت و تحقق أن قول العبد الْحَمْدُ لِلَّهِ لا يعلم قيمتها إلا الله تعالى.

**الامر الثالث:** قال الله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ولم يقل مثلاً الحمد لله على ما أنعم علينا أو على سائر الموجودات وفيه دققة لا بأس بالإشارة اليها وهي أن الله تعالى يستحق الحمد من حيث ذاته التي يصدر منه الفيض والايجاد في عالم الوجود فهو مستحق له من حيث صدور النعم منه لا من حيث وصولها اليها وان شئت قلت من حيث أنه منشأ الكمالات و مبدأ الخيرات و مفيضها على ما سواه و لذلك جعله مختصاً بإسم الجلالة الذي جمع فيه الكمال كله فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ ولم يقل الحمد للخالق أو الرزاق مثلاً ثم وصفه بقوله رب العالمين فكأن العبد يقول الحمد ثابت للذات الواجب الوجود الجامع لجميع الصفات الكمالية لأنه أوجد العالم و أعطى كل موجود ما يليق به و لا شك أن الحامد من الموجودات في العالم إلا أن حمده ليس لأجل النعمة التي وصلت اليه بل لأجل ما صدر منه تعالى.

**الامر الرابع:** نعم الله تعالى التي توجب على المنعم عليه الحمد والشكر ينقسم الى قسمين نعمة الدنيا و نعمة الدين، و من الواضح أن نعمة الدين

أفضل من نعمة الدنيا فالحمد على نعمة الدين أفضل منه على نعمة الدنيا ثم أن النعم الدينية على نوعين مادي كالمأكل والمشروب والملبوس وأمثاله ومعنوي روحي كالعلم والشجاعة والحلم وغيرها ومن المعلوم أن المعنوي العقلي أفضل من المادي الحسي فالحمد عليه أولى وهكذا نعم الدينية على قسمين قسم منها تتعلق بالقلب كالمعرفة والإيمان والإعتقاد الصحيح وقسم تتعلق بالجوارح كالصلاة والصوم والحج وأمثالها وما يتعلق بالقلب أفضل من غيره فالحمد عليه أفضل وأولى فينبغي للعبد مراعاة هذه الأمور في محامده.

**الامر الخامس:** ما معنى النعمة التي توجب الحمد فمن الناس من يقول أنها عبارة عن كل ما يصل من الله تعالى إلى العبد إذا كان موافقاً لطبعه و غريزته مثل المال والمقام والصحة والاولاد وأمثال ذلك و لذلك تراهم يحمدون الله على هذه الأمور ولا يحمدونه على غيرها بل قد يعبرون عن كل ما لا يوافق الطبع والغريزة بالنقمة والعذاب وليس كذلك فإن النعمة لا تختص بما يلائم الطبع بل تطلق على كل ما يصل من الرب إلى الخلق سواء كان مطابقاً لهواه و موافقاً لغريزته أم لم يكن وذلك لأن الخالق خير محض ولا يُفَاض منه إلا الخير فكل ما صدر أو يصدر منه خير فكل ما يصل منه إلى العبد خير له سواء علم به العبد أم لا والوجه فيه أن أفعال الله تابعة للمصالح الموجودة فيها فما لا مصلحة فيه لا يوجد إلا أن العبد قد يعلم المصلحة وقد لا يعلم وعلمه أو جهله بها لا يخرج الفعل عنها وعلى هذه القاعدة يرتفع الأشكال ويتضح المقال وهو أن الله تعالى إن شاء للعبد المال فهو نعمة منه إليه وإن شاء الفقر هو أيضاً نعمة له وهكذا إن شاء الصحة فهي نعمة وإن شاء المرض فكذلك بالجملة كل ما يقدر له ويصل إليه فهو نعمة من خالقه يجب له **الْحَمْدُ لِلَّهِ** فينبغي للعبد أن يقول **الْحَمْدُ لِلَّهِ** في كل حال وعلى كل حال ليكون عبداً شكوراً.

**الامر السادس:** ربّما يظن أنّ الحمد عبارة عن قول القائل **الْحَمْدُ لِلَّهِ** فإذا قال به فقد حمّد الله وأدّى وظيفته وليس كذلك لأنّ الحمد بالحقّيقة عبارة عن كلّ فعلٍ يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه مُنعمًا وذلك الفعل أمّا أن يكون فعل القلب أو فعل اللّسان أو فعل الجوارح فالحامد الحقيقي هو الذي يحمده قلباً ولساناً وعملاً فالحمد بالقلب عبارة عن الاعتقاد بكونه واحداً أحداً متّصفاً بصفات الكمال والجلال والحمد باللسان هو أن يذكر ألفاظاً دالة على توحيده ومعبوديته في الوجود وأنّه يستحقّ الحمد وبالجملّة كلّ لفظٍ يقرب العبد إلى الرّب والحمد بالجوارح هو أن يأتي بالطاعات والواجبات ويحتجب عن المنهيات والمحرمات فالحامد في الحقيقة لا يكون إلا عبداً خالصاً بقوله وفعله وقلبه.

### الرّحمن الرّحيم

قد مضى الكلام في معنى **الرّحمن الرّحيم** عند بحثنا في البسملة وقلنا هناك أنّهما وصفان لله تعالى وفي المقام أيضاً كذلك ونزيد في المقام مضافاً على ما ذكرناه سابقاً أنّه تعالى وصف نفسه بعد ربّ العالمين، بأنّه الرّحمن الرّحيم، لأنّه لما كان في إتصافه بالرّبوبيّة ترهيب قرنه بالرّحمن الرّحيم. لما تضمّن من التّريغيب ليجمع في صفاته بين الرّهبة منه والرغبة اليه فيكون زهون على طاعته وأمنع كما قال تعالى في موضع آخر **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** (١).

قد روي بطريق العامّة عن رسول الله ﷺ أنّه قال لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنّته أحد ولو يعلم الكافر عن ما عند الله من الرّحمة ما قنط من جنّته أحد.

بسم القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأوّل

هكذا قال القرطبي في تفسيره ولقائل أن يقول أيُّ ترهيب في قوله تعالى رَبِّ الْعَالَمِينَ، بل الربوبية بالتَّغْيِبِ أولى منه بالترهيب فإنَّ المُرَبِّي أكثر رَقَّةً على مُرَبَّاه من غيره وهو واضح ألا ترى أنَّ مُرَبِّي الطِّفْلِ كيف يواظب على تربيته إشفاقاً منه والحاصل أنَّ الله تعالى حيث وصف نفسه بالربوبية وأَنَّ ربَّ العالمين بمعنى أنَّ جميع ما سواه تحت تعليمه وتربيته فقد أعلمنا بذلك مقام رحمته ورافته بخلقه ثم اردف ذلك بقوله: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ لِيَذِلَّ الْكَلَامَ على أنَّ تربيته لما سواه مَبْنِيَّة على الرَّحْمَانِيَّةِ وَالرَّحِيمِيَّةِ وإن شئت قلت لا يكون ربّاً حقيقياً إلا لكونه رحماناً ورحيماً فلو لم يكن رحماناً ورحيماً لم يكن ربّاً واقعاً فالرَّحْمَنِيَّةِ وَالرَّحِيمِيَّةِ أصْلان لصدق الربوبية فما ذهب اليه القرطبي لا يرجع إلى محصل.

### مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

قرأ محمد ابن السميع بنصب مالك و الجمهور على كسره، فَمَنْ قرأه بِالنَّصْبِ لا يَدُلُّه من التَّعْدِيرِ وَتَقْدِيرِ الْكَلَامِ، أعني مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، فحذف العامل وبقى المعمول منصوباً على المفعولية و عليه فلا يكون وصفاً بعد وصف بل هي مقطوعة عن الوصفية، و من قرأه بالكسر فقد جعل، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ وصفاً بعد وصف لكلمة الجلالة أي أنَّ الله تعالى موصوف بالربوبية والرَّحْمَانِيَّةِ وَالرَّحِيمِيَّةِ والمالكية ليوم الجزاء.

في كلمة مَالِكِ أربع لغات، مَالِكٌ بكسر اللام، مَلِكٌ بفتح الميم وكسر اللام نجد الألف، مَلِكٌ بفتح الميم وسكون اللام والكاف، مَلِكٌ بفتح الميم وكسر اللام وسكون الياء والكاف.

وقال الشيخ ١٢٢٢ في التَّيْبَانِ قرأ عاصم والكلابي وخلف ويعقوب، مَالِكٌ بالألف، والباقون ملك بغير ألف ولم يمل أحد ألف مالك وكسر جميعهم الكاف وروي عن الاعمش أَنَّهُ فَتَحَهَا على النَّدَاءِ وَرَبِيعَةُ بن نزار يَخْفَفُونَ مَالِكٌ وَ



يسقطون الألف فيقولون ملك، بتسكين اللّام وفتح الميم ثم قال و الألف ساقط في الخطّ في القرائتين والمعول على الأوليتين دون النّصب واسكان اللّام و معنى، ملك يوم الدين بإسقاط الألف أنّه الملك يومئذ لا ملك غيره و أنّه لا يوتي في ذلك الوقت أحدا الملك كما أناه في الدنيا و قوّي ذلك بقوله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ<sup>(١)</sup> و أنّه يطابق ما تقدّم من قوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، و من قرأ مالك بألف معناه أنّه مالكِ يَوْمِ الدِّينِ والحساب لا يملكه غيره ولا يليه سواء انتهى.

ويظهر من كلامه أنّ الصّحيح المَعُول عليه قرائتان، مالك، و ملك والباقي شاذّ.

## ◀ اللغة

والمالك هو القادر على التّصرف في ماله وأن يتصرّف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه و يوصف العاجز بأنّه مالك من جهة الحكم، و الملك هو القادر الواسع القدرة الذي له السّياسة والتّدبير و اختلف العلماء فيهما من حيث البلاغة أيهما أبلغ بعد الإتيان على كون القرائتين مَزَوِيَتَانِ ف قيل ملك أعمّ و أبلغ من مالك إذ كلّ ملك مالك وليس كلّ مالك ملك، و لأنّ أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتّى لا يتصرّف إلاّ من تّدبير الملك، و قيل مالك أبلغ لأنّه يكون مالكا للنّاس و غيرهم فالملك أبلغ تصرّفاً و أعظم إذ اليه إجراء قوانين الشّرع ثمّ عنده زيادة التّملك، و قال بعض حق القراءة في الآية ملك، و إنّ كان مالك أبلغ تصرّفاً منه و ذلك لأنّ الله تبارك و تعالى قد وّصف نفسه بأنّه مالك كلّ شىء بقوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ فلا فائدة في قراءة مالك لأنّها تكرار و رُدّها القول بأنّ في التّنزيل له نظائر و هكذا في كلمات البلغاء و ذلك لأنّ ذكر

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

الخاص بعد العام شائع في الإستعمال قال الله تعالى: **الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**، فذكر **الرَّحِيم** بعد **الرَّحْمَن** من ذكر الخاص بعد العام وقال في أوائل البقرة: **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**، ثم قال: **وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ومعلوم أن الإيمان بالغيب يعم الأخيرة وغيرها ولكن ذكرها يعظمها والتنبية على وجوب إعتقادها والرّد على الكفرة الجاحدين لها وأمثال ذلك كثيرة.

### ◀ الإعراب

إن قلنا ملك يوم الدين بكسر اللام واسكانها فالإضافة فيه على هذا محضة وهو معرفة فيكون مجروراً على الصفة أو البدل من، الله ولا حذف فيه. وإن قلنا، مالك يوم الدين، بإثبات الألف فهو نكرة وجزه على البدل لا على الصفة. أمّا أنه نكرة لأنّ إسم الفاعل اذا أُريد به الحال أو الإستقبال لا يتعرف بالإضافة.

وأما أن جزه على البدل لا على الصفة فلا لأن المعرفة لا توصف بالنكرة وفي الكلام حذف مفعول هو الأمر تقديره ومالك أمر يوم الدين أو مالك يوم الدين الأمر وبالإضافة إلى يوم، خرج عن الظرفية لأنه لا يصح فيه تقديره في، لأنها تفصل بين المضاف والمضاف إليه وقد يقرأ مالك بالنصب على أن يكون باضمار، أعني، أو يكون حالاً وأجاز قوم أن يكون نداءً، ويقرأ بالرفع أيضاً على إضمار، هو، أو يكون خبراً، للرحمن الرحيم، على قراءة من رفع الرحمن ويقرأ ملك يوم الدين، رفعاً ونصباً وجزاً ومن قرأ ملك يوم الدين، على أنه فعل، ويوم مفعول أو ظرف.

### ◀ المعنى

قد وصف الله تعالى نفسه بأنه **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** أي مالكة وصاحبه يتصرف فيه كيف يشاء وليس لأحد منعه منه والمراد بيوم الدين يوم الجزاء

فَأَنَّ الدِّينَ بِمَعْنَى الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ وَالْحِسَابِ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَجَرِيحٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمْ وَيَذَلُّ عَلَيْهِ.

قال الله تعالى: يَوْمَئِذٍ يُؤْقِبِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ <sup>(١)</sup> أَيِ حِسَابِهِمْ.

قال الله تعالى: أَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: عَٰرِفَاتٌ لِّدِينِنَا أَيْ مَجْرِيَاتٍ مُحَاسِبُونَ.

قال لبيد:

حِصَادُكَ يَوْمًا مَارَزَعْتَ وَأَتَمَّا يُدَانُ الْفَتَى يَوْمًا كَمَا هُوَ دَائِنٌ

وقال:

إِذَا مَارَمُونَا رَمَيْنَاهُمْ وَدَنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرَضُونَ  
وَأَيْضًا:

وَإِعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ مَلَكًا زَائِلٌ وَإِعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تُدِينُ تُدَانُ  
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (كَمَا تُدِينُ تُدَانُ) وَقَدْ جَاءَ الدِّينَ بِمَعْنَى  
الطَّاعَةِ أَيْضًا وَعَلَيْهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَأَيَّامٌ لَنَا غُرٌّ طَوَالٍ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا  
وَيُطْلَقُ عَلَى الْعَادَةِ وَالشَّانِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

كَدِينِكَ مِنْ أُمَّ الْخُوَيْرِثِ قَبْلَهَا  
كَقَوْلِ الْمُثَقَبِ:

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضَيْنِي أَهَذَا دِينَهُ أَبَدًا وَدِينِي  
وَجَاءَ بِمَعْنَى سِيرَةِ الْمَلِكِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لِإِنْ صَلَّكَتْ بِجَوْ فِي بَنِي أَسَدٍ وَفِي دِينَ عَمْرِ وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكَ

و بمعنى الداء كما قيل:

يادين قلبك من مسلمي وقد دينا

والانصب بالمقام هو الذي ذكرناه و عولنا عليه وفاقاً لجمهور المفسرين.  
واليوم في الآية عبارة عن زمان الجزاء كله وليس المراد به ما بين المشرق  
والمغرب وطلوع الشمس الى غروبها اذ لا شمس هناك فلا طلوع ولا غروب  
ولا اليوم بالمعنى المتعارف في الدنيا فالكلام خرج مخرج الإستعارة فاستعير  
فيما بين مبتدأ القيامة الى وقت استقرار أهل الدارين فيها ولا يهمننا البحث فيه  
بعد وضوح المقصود في المقام.

### ◀ التفسير

إعلم أنه تعالى لما بين ملكه في الدنيا بقوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ بَيَّنَّ ملكه في  
الأخرة بقوله: مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ والمقصود من اليوم الوقت كما قال  
تعالى: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ<sup>(١)</sup>

وليعلم أن ملكيته تعالى للموجودات ليست كمالكية غيره لأملكه ولا  
كمالكية المملوك لملكه ولا كمالكية النفوس لأعضائها بل كمالكية لقواها و  
صورها العلمية الحاصلة الحاضرة عندها متى شاءت يفني ما شاء منها و يوجد  
ما شاء ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب وتخصيص مالكية تعالى بيوم الدين  
مع أنه تعالى مالك الدنيا أيضاً للإشارة الى أن المكلف اذا تصوّر ذلك لا بد أن  
يرجو ويخاف في الدنيا مع إستعدادة للموت وأنه لا بد له من الورود على  
الحساب فينبغي أن لا يغفل في الدنيا عن الآخرة ولازم ذلك مواظبته على  
أقواله وأفعاله ضرورة أن الإنسان اذا اعتقد بالحساب والجزاء غداً ان خيراً  
فخيراً وان شراً فشرّاً وإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل وأنه

بسم القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره لا محالة لا يتبع هواه ولا يسلك مسلك الشيطان وبالجملة يعمل في الدنيا عملاً ينتفع به في الآخرة.

فعن الزهري قال: قال علي ابن الحسين عليه السلام لو مّت بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي، وكان عليه السلام إذا قرأ مالك يوم الدين يكررها حتى يكاد أن يموت انتهى <sup>(١)</sup> وفي تفسير نور الثقلين بأسناده عن الرضا عليه السلام أنه قال: مالك يوم الدين إقرار له بالبعث والحساب والمجازاة وإيجاب ملك الآخرة له كإيجاب ملك الدنيا.

ومن طريق العامة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض، أين الجبارون، أين المتكبرون انتهى. ومن هنا يعلم أن تسمية غيره تعالى بالمالك أو الملك في الدنيا تكون على سبيل المجاز هذا.

إعلم: أن الآية الشريفة حاوية لأموال لا بأس في الإشارة إليها على سبيل الإجمال لأنها توجب زيادة بصيرة في كلام الله تعالى.

الأول: أنه لا بد من الفرق بين المحسن والمسي والمطيع والعاصي و الموافق والمخالف وذلك لا يظهر إلا في يوم الجزاء كما قال في كتابه:

قال الله تعالى: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ <sup>(٣)</sup>

بإاء القرآن في تفسير القرآن  
الجزء ١  
المجلد الأول

قال الله تعالى: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْغَى<sup>(١)</sup>

و أمثال ذلك من الآيات الدالة على المدعى أعني يوم الجزاء والعقل السليم أيضاً يحكم به لأن من سَلَطَ الظالم على المظلوم ثم لا ينتقم منه فذلك إما للعجز أو للجهل أو لكونه راضياً بذلك الظلم وهذه الوجوه محال على الله تعالى: لَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَ إِنَّهُ لَيْسَ بِظُلَمٍ لِلْعَبِيدِ، وَ إِنَّهُ قَالَ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.

ومن المعلوم أن من ليس بظالم لا يرضى به أيضاً وإذا كان كذلك فلا محالة ينتقم من الظالم بمقتضى عدله وهذا الإنتقام ليس للتشفي كما هو كذلك في حَقّاً بل لإجراء العدل وانجاز الوعد واحقاق الحق، ثم أن هذا الإنتقام أو ما شئت فسمه لا يخلو من الدنيا والآخرة وحيث أن الدنيا ليست بدار الجزاء بل هي مزرعة الآخرة فلا جرم يكون في عالم آخر وراء هذا العالم ولا نعني بالآخرة إلا هذا فقوله: مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ إشارة بهذه الدقيقة العقلية والشرعية وان شئت قلت الآية تدلنا وتهدينا إلى معاد وهو المطلوب.

**الثانية:** يمكن أن يقال أن كان الملك بمعنى القدرة كما فسرتم المالك بالقادر على التصرف فكونه تعالى مالِكاً أو مَلِكاً عبارة عن كونه قادراً والقدرة لا تخلو حالها من وجهين،.

أحدهما: تعلقها بالعدم و ثانيهما: تعلقها بالموجود ولا ثالث في المقام و بعبارة أخرى إما أنه تعالى قادر على الموجودات قبل وجودها وهو العدم. أو أنه قادر عليها بعد وجودها فإن كانت القدرة تعلقت بالأول يلزم أن يكون متعلق القدرة لإعدام وهو كما ترى وأن كانت بالثاني يلزم تحصيل الحاصل ولا فائدة فيه والجواب عن الإشكال إنه تعالى قادر على الإيجاد و

الإعدام وهما أي الایجاد والإعدام واسطتان بین الوجود والعدم فأُنْ إخراج الشَّيء من العدم إلى الوجود وبالعكس لا یقدر علیه أحد غیر الله تعالى هذا أولاً.

ثانياً: قد ثبت في العلوم العقلية أنَّ الممكن كما أنَّه محتاج إلى المؤثر في حدوثه محتاج إليه في بقائه والمقصود من الإحتیاج في البقاء الإفاضات من المبدء إلى المخلوق أنا فأنا اذ في صورة قطع الفيض لا یبقى الموجود أصلاً و عليه فالممكن محتاج الى مؤثره حدوثاً وبقاءً ولا نعني بالقدرة إلا هذا.

الثالث: أنَّ القدرة في المقام ناظرة إلى الحشر والنشر والحساب للثواب والعقاب وهذه الأمور مترتبة على إحياء الموتى بعد الموت ولا یقدر على الإحياء إلا هو، فهو تعالى قادر على الإحياء أولاً وثانياً وسيأتي لهذه الإصول زیادة تحقيق في الآيات الواردة في الباب إن شاء الله تعالى.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

### ◁ اللغة

كلمة إِيَّا إسم مضمَر عنده الخليل وسيبويه والكاف فيها حرف خطاب عند سيبويه ولا موضع لها ولا تكون إسماً لأنها لو كانت إسماً لكانت. إِيَّا مضافة إليها والمضمرات لا تضاف وأما عند الخليل فهي إسم مضمَر اضيف أيَّا إليه لأنَّ إِيَّا تشبه المظهر لتقدمها على الفعل والفاعل ولطولها بكثرة حروفها و حكي عن العرب اذا بلغ الرجل الستين.

فأَيَّاه: وإيَّاه الثَّواب، والكوفيون ذهبوا إلى أنَّ.

أَيَّاكَ: بكمالها إسم وهذا بعيد لأنَّ هذا الإسم یختلف آخره بحسب اختلاف المتكلم والمُخاطب والغائب فيقال، أَيَّاي، إِيَّاكَ، إِيَّاه وقال قوم الكاف إسم وأَيَّا عماد له وهو حرف وموضع إِيَّاكَ نَعْبُدُ

نَعْبُدُ: فعل مضارع من، عَبَدَ يَعْبُدُ، أَعْبُدُ نَعْبُدُ وهو مُتَكَلِّمٌ مع الغير مشتقٌّ من العبادة وهي الخضوع والتذلل  
نَسْتَعِينُ: ايضاً مُتَكَلِّمٌ مع الغير من أَسْتَعَانَ نَسْتَعِينُ، مأخوذ من الإستعانة و هي طلب النُصرة والعَوْن، وقيل أصله نَسْتَعُونُ، من العَوْن فاستثقلت الكسرة على الواو فقلبت الى العين ثُمَّ قُلِبَتْ ياء لسكونها وإنكسار ما قبلها.

### ◀ الإعراب

الجمهور على كسر الهمزة وتجديد الياء وقرء شاذاً بفتح الهمزة والأشبه ان يكون لغة مسموعة وقرء بكسر الهمزة وتخفيف الياء والوجه فيه أنه حذف إحدى اليائين لإستثقال التكرير في حرف العلة وقد جاء ذلك في قول الفرزدق حيث قال :

تَنْظَرْتُ نَصْرًا وَالسَّمَائِينَ أَيْهِمَا عَلَى مَعَ الْغَيْثِ أَسْتَهْلَتْ مَوَاطِرَهُ  
و موضع أَيْلَاكَ نصب على أنه مفعول قَدَمَ على فعله وهو نَعْبُدُ لإفادة الحصر وفاعل الفعل مُسْتَتَرٌ فيه وهو نحن وهكذا الكلام في قوله: إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ من حيث تقديم المفعول على الفعل لإفادة الحصر وسيأتى البحث فيه.

### ◀ المعنى

نَعْبُدُ ولا نَعْبُدُ غيرك ونستعينك ولا نستعين بغيرك وإنما قلنا ذلك لأن تقديم المفعول على الفعل يوجب حصر الفعل عليه فإذا قلنا، ضربتُ زيداً معناه وقوع الضرب على زيد ولا ينافيه وقوعه على عمرو وبكر أيضاً لأن المقصود هو الإعلام بكون زيد مضروباً وهو حاصل ولم يقصد المتكلم حصر الضرب عليه وهذا بخلاف قولنا زيدا ضربتُ بتقديم المفعول فإنه يشعر بكون الضرب واقعاً على زيد فحسب اذا علمت هذا فنقول في المقام قَدَمَ المفعول



في الموضعين على الفعل والغرض منه إفادة الحصر أي حصر العبادة في الله تعالى أي نعبدك ولا نعبد غيرك ونستعينك ولا نستعين بغيرك، ثم أن العبادة كما قيل ضرب من الشكر وغاية فيه لأنها الخضوع بأعلى مراتبه مع التعظيم بأعلى مراتبه ولا يستحق إلا بأصول النعم التي هي خلق الحياة، والقدرة والشهوة ومن المعلوم أنه لا يقدر عليه غير الله تعالى ولذلك أختص سبحانه بأن يعبد ويحسن الطاعة لغير الله ولا تحسن العبادة لغيره وبذلك قد ظهر لك فساد قول من قال أن العبادة هي الطاعة للمعبود وذلك لأن الطاعة موافقة الامر فقط وقد يكون موافقاً لأمره مطيعاً له ولا يكون عابداً له ألا ترى أن الإبن يوافق أمر الأب وكذلك العبد يوافق أمر مولاه ويطيعه ولا يكون عابداً له والكفار يعبدون الأصنام ولا يكونون مطيعين لها إذ لا يتصور من جهتها الأمر فالمعنى في قوله تعالى: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** نعبدك ولا نعبد غيرك.

وأما الاستعانة في قوله: **إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** فالمعنى نستوفى ونطلب المعونة على عبادتك وعلى أمورنا كلها ولا نطلب المعونة والتوفيق من غيرك وفيه دلالة على أن مجاري الأمور بيده والخلق محتاج اليه في جميع شئونه كما قيل:

أزمت الأمور طرّاً بيده والكل مستمدة من مدّه  
**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** وفائدة التكرير في **إِيَّاكَ** قيل أنها للتأكيد وليس بشئ لأن التأكيد لا يحصل إلا فيما إذا كان المحمول واحداً كما تقول أنا قلت، أنا قلت، أو تقول زيدا ضربت، زيدا ضربت.

وأما في المقام فليس المحمول واحد فإن **إِيَّاكَ** في الأول محمول على **نَعْبُدُ** وفي الثاني على **نَسْتَعِينُ** والاستعانة غير العبادة لأن التفكير في عظمة الله مثلاً عبادة وليس من الاستعانة بشئ وربما يكون العبد مستعيناً بالله في أمور لعلّه بأنّه قادر على كلّ شئ ولا يعبدّه فعلى هذا يكون المقصود بقولنا **إِيَّاكَ**

في الأول غير ما نقصده في الثاني فالقول بأن التكرير للتأكيد لا معنى له في المقام، واحتمل بعض المفسرين أن تكراره لدفع التوهم وهو أنه لا يمكن التقرب إلى الله إلا بالجمع بين العبادة والاستعانة وأن الفصل بينهما غير ممكن، فكانه قيل له ليس الأمر كما توهمت بل هما أعني العبادة والاستعانة شيان كل واحد منهما مؤثر ومقرب إلى الله تعالى وأن أحدهما لا يغني عن الآخر قاله الطبرسي في مجمع البيان بتوضيح منا.

والوجه الثالث أنه تعليم لنا في تجديد ذكره عند كل حاجة وهو كما ترى وقد ذكروا وجوهاً كثيرة كلها لا يرجع إلى محصل والذي حصل لنا في المقام هو أن البحث في مقامين:

تقديم الضمير على الفعل، وتكريره في الآية الشريفة أما الوجه في التقديم مضافاً إلى ما مرّ سابقاً من إفادة الحصر هو أن الله تبارك وتعالى أصل الوجود وحقيقته وما سواه فيئه وظله والأصل مقدم على الفرع فإذا قال العبد **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** بتقديم **إِيَّاكَ** على الفعل فكانه قدّم الخالق المعبود على نفسه في الذكر كما هو مقدم عليه في الواقع وبعبارة أخرى بدأ بمعبوده أولاً وينفسه ثانياً وهذا من أدب العبد في مقام العبودية والاستعانة هذا أولاً. أما ثانياً: ففي التقديم إشارة إلى أن العبد يكون نظره إلى المعبود أولاً وبالذات ومنه إلى العبادة ثانياً وبالعرض لا من حيث أنها عبادة بل من حيث أنها نسبة إليه وصلة بينه وبين الحق.

أما ثالثاً: فيه إشارة إلى أن العبادة ليست مطلوبة لذاتها بل هي مطلوبة لأجل التقرب بها إلى جنبه ولذلك قدمه عليها.

وأما المقام الثاني أعني تكرير اللفظ ففيه أيضاً فوائد:

**الأولى:** أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة فكان العبد يجعل عبادته وسيلة للاستعانة منه تعالى وهذا المعنى لا يستفاد إلا بالتكرير.

**الثانية:** أن العبد لما نسب العبادة الى نفسه في أول الكلام فقال: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** وهم ذلك غروراً فعقبه بقوله: **إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ليكسر غروره ويعلم بأن العبادة الحقيقية لا توجد إلا بالاستعانة والإستمداد منه تعالى وهذا أيضاً لا يحصل إلا بالتكرير والوجوه المحتملة في المقام كثيرة بقى في الآية سؤال للسائل وهو أن المصلي اذا قال: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** فلا محالة أراد العبادة والاستعانة كما هو مقتضى الصيغة مع أنه حين القراءة واحد.

فحق الآية إِيَّاكَ أَعْبُدْ، وإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ فما وجه العدول في الصيغة من الأفراد الى الجمع نقول في الجواب العدول الى الجمع لوجوه.

**احدها:** أنه لو قال إِيَّاكَ أَعْبُدْ لكان ذلك مؤهماً للتكبر وذلك لأن معناه أنا العابد والأنانية من العبد دليل على ضعف معرفته وإيمانه وأنه لم يذق طعم العبودية واقعا أين التراب ورب الأرباب وبعبارة أخرى هو إظهار الوجود في حضور الخالق المعبود وليس هذا من شأن العبد وهذا بخلاف قوله: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** فإن معناه أي واحد من عبيدك وهو عين التواضع الممدوح شرعاً و عقلاً.

**ثانيها:** أن التَّوَنُّ في نَعْبُدْ وَنَسْتَعِينُ نون الجمع فإذا قال العبد، **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** فكأنه قال جميع العابدين يعبدونك لا أنا وحده ومن جملة العابدين الملائكة والأنبياء والأوصياء والعلماء فصلوة المصلي وعبادته وإن كانت ناقصة في حد ذاتها ألا أنها حيث تشترك صلاة الصلحاء وهي مقبولة فصلوته أيضاً مقبولة لعدم جواز التبعض في الصفة عقلاً وشرعاً ولأجل هذه الدقيقة تكون الصلاة مع الجماعة أفضل من غيرها لأن الله تعالى مع الجماعة والمسلمون يد واحدة على من سواهم ألا ترى أن الرجل إذا باع من غيره عشرة من العبيد فالمشتري أما أن يقبل الكل أو لا يقبل واحداً منها وليس له أن يقبل البعض دون البعض في تلك الصفة وهذا معنى قولنا (لعدم جواز التبعض في

الصَّفَقَة، ففي المقام أيضاً لا يليق بكرمه تعالى أن يُمَيِّز البعض عن البعض و يقبل البعض دون البعض فأمّا أن يرَدَّ الكلّ و هو غير جائز و أمّا أن يقبل الكلّ فصلاّته مقبولة لكونها من الكلّ و هو المطلوب.

هذان الوجهان ذكرهما الرّازي في تفسيره مع توضيح منّا في عباراته ونحن نقول أمّا الوجه الأوّل فلا بأس به و أمّا الوجه الثّاني فلا و إن تلقاه بالقبول أكثر من تأخر عنه من العامّة والخاصّة بل ظنّ بعض المحقّقين إنّ ما ذكره الرّازي في المقام أحسن الوجوه وأدقّ الإستنباط في فهم الآية و وجه ضعفه هو أنّ قياسه في الصَّفَقَة قياس مع الفارق فعدم جواز التّبعض فيها لا ربط له بما نحن فيه أصلاً.

به عبارة أخرى نحن أيضاً نقول بعدم جواز التّبعض فيها و أمّا في المقام فنقول بجوازه بل لا بدّ منه و عدم التّبعض منافٍ للعدل و الشّرع وتوضيحه إجمالاً أنّ الصَّفَقَة الّذي صارت مبيعة لم يشترط البائع أو المشتري فيها أن تكون صحيحة كلّها بل البيع تعلّق بالصّفقة الموجودة مع مافيهما من الصحيح و الفاسد و المشتري أيضاً عالم به و لذلك لا يجوز له التّبعض فلو اشترط كونها صحيحة و وجد المشتري فيها جزءً فاسداً فله الأخذ بالصّحيح والرّد للفاسد و ليس للبائع أن يقول لم تبعضت فيها لأنّ المشتري يقول أنما اشتريت منك جنساً صحيحاً وحقّ لي أن أرّد الفاسد دون الصّحيح و هو واضح فعدم تبعض الصّفقة لأجل تعلق البيع من أول الأمر إلى كلّ الصّفقة من حيث هي مع علم البائع و المشتري بكيفية المعاملة في الصّفقات والأمر في المقام ليس كذلك لأنّ الله تبارك و تعالى قد أخبر العبيد بواسطة الكتاب والسّنة أنّه لا يقبل العبادة صلاة كانت أو غيرها من أيّ عبد و في أيّ حال إلا بالتّقوى فقال: **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**<sup>(١)</sup> ثم جعل لكلّ عبادة شروطاً تُوجب صحتها فاذا

فرضنا عبداً صَلَّى مثلاً من عند نفسه ولم يراع ما قرره الشرع فيها مثل الصلّة في المكان المغمصوب واللباس المغمصوب وغيرهما من المحذورات فصلاته باطلّة قطعاً وإن صَلَّى مع الجماعة.

بل وإن صَلَّى مقتدياً برسول الله ﷺ ضرورة اشتراط الصّحة في الصلّة حتّى تكون مقبولة ولم يقل أحد أنّ شرط الصّحة كونها مع الجماعة ومحصل الكلام هو أنّ العبادة لا تكون مقبولة عند الله إلا بعد تحقّق شرائطها على ما قرّره الشرع فهي عند انتفاء الشّروط لا تقبل قطعاً وعليه فلا إشكال عقلاً وشرعاً في قبول بعض العبادات دون البعض بل في فردٍ دون فرد.

ومجرد قول القائل إِيَّاكَ نَعْبُدُ مثلاً لا يوجب صحّته صلاته ولا يلزم أن تكون الصلّة من أيّ شخص كانت مقبولة لقوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وعدم جواز التّبعض في الصّفة مع أنّنا نعلم أنّ الأمر ليس كذلك وكيف يقول عاقل فضلاً عن مؤمنٍ مسلم أنّ صلاة سلمان وأبي ذر وأمثالهما مقبولة وصلاة أبي سفيان ومعاوية وأمثالهما من المنافقين الملحدين أيضاً مقبولة لعدم جواز التّبعض في الصّفة.

وهل هذا إلا من الخرافات والموهومات وكيف يقول المسلم، إنّ كرمه تعالى يقتضي قبول الكلّ دون ردّه، ألا يعلم أنّه ليس من الكرم بشيٍ بل هو تعالى منزّه عن نسبة هذه الأمور اليه وليس فيه إلا ترفيع المناق المّعاند لله ورسوله فإن لم نُقل بأنّه خروج عن طور العدالة نقول أنّه بعيد من الخالق العادل وتكذيب لأياته وأنبيائه نعوذ بالله منه ثم أتى لا اتعجّب من الرّازي والعجّب ممن تلقّاه بالقبول من علماء الشيعة ولم يعلم أنّ الأمر في العبادة لو كان كما ذكره الرّازي في قياسه إلى الصّفة فعلى الإسلام السلام.

والحاصل أنّ للمشتري ليس التبعيُّض ولله تعالى التّبعيُّض ثابت والقياس مع الفارق.

## ﴿التفسير﴾

عن تفسير الإمام قال الله تعالى: (قولوا يا أيها الخلق المُنعم عليهم إِيَّاكَ نَعْبُدُ إِيَّاهُ الْمُنْعِمَ عَلَيْنَا نُطِيعُكَ مُخْلِصِينَ مُوَحِّدِينَ مَعَ التَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ بِلَا رِيَاءٍ وَلَا سَمْعَةٍ).

وفي رواية العامة عن الصادق عليه السلام: يعني لا يزيد منك غيرك ولا نعبدك بالعوض والبذل كما يعبدك الجاهلون بك المنيبون عنك.

عن كتاب من لا يحضره الفقيه عن الرضا عليه السلام في حديث قال عليه السلام: إِيَّاكَ نَعْبُدُ رَغْبَةً وَتَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ وَإِخْلَاصَ لَهُ بِالْعَمَلِ دُونَ غَيْرِهِ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ إِسْتِزَادَةً مِنْ تَوْفِيقِهِ وَعِبَادَتَهُ وَإِسْتِمَادَةً لِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَنَصْرَهُ انْتَهَى.

وعن الإحتجاج للطبرسي رحمه الله في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله: أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ قُولُوا إِيَّاكَ نَعْبُدُ أَيُّ وَاحِدًا لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الذَّهْرِيَّةُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ لَا بَدَ وَلَهَا وَهِيَ دَائِمَةٌ وَلَا كَمَا قَالَ الثَّنَوِيَّةُ الَّذِينَ قَالُوا أَنَّ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ هُمَا الْمَدْبَرَانِ.

و لا كما قال مشركوا العرب أَنَّ أَوْثَانَنَا آلِهَةٌ، فَلَا نَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ أَنَّهَا كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ لَكَ وَلَدًا تَعَالَيْتَ عَنْ ذَلِكَ غُلُوبًا كَبِيرًا.

ومن طريق العامة على ما ذكره أبو جعفر الطبري في تفسيره بأسناده عن عبد الله ابن عباس قال: قال جبرئيل لمحمد صلى الله عليه وآله قل يَا مُحَمَّدُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ إِيَّاكَ نُؤَخِّدُ وَنَخَافُ وَنَرْجُو يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ انْتَهَى.

وقال في إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَإِيَّاكَ رَبَّنَا نَسْتَعِينُ عَلَى عِبَادَتِنَا إِيَّاكَ وَطَاعَتِنَا لَكَ وَفِي أُمُورِنَا كُلِّهَا لَا أَحَدَ سِوَاكَ إِذْ كَانَ مِنْ يَكْفُرُ بِكَ يَسْتَعِينُ فِي أُمُورِهِ مَعْبُودِهِ الَّذِي يَعْبُدُهُ مِنَ الْأَوْثَانِ دُونَكَ وَنَحْنُ بِكَ نَسْتَعِينُ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا مُخْلِصِينَ لَكَ الْعِبَادَةَ.

ثُمَّ رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ عَلَى طَاعَتِكَ وَ  
عَلَى أُمُورِنَا كُلِّهَا اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْعَابِدِينَ وَالْمُسْتَعِينِينَ وَلَا تَجْعَلْنَا  
مِنَ الْغَافِلِينَ الْمَعْرُضِينَ بِحَقِّ أَوْلِيَائِكَ الْمُقَرَّبِينَ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

### ◀ اللغة

إِهْدِنَا: بكسر الهمزة وفتح الدال من هَدَى يَهْدِي والفاعل مستتر فيه وكلمة نا  
مفعول للفعل.

الصِّرَاطُ: أصله السَّرَاط بالسَّين المهملة لأنه من سَرَط الشيء إذا بَلَعَهُ وَسُمِّيَ  
الطَّرِيقَ سَرَاطًا لِجَرِيَانِ النَّاسِ فِيهِ كَجَرِيَانِ الشَّيْءِ الْمَبْتَلَعِ فَمَنْ قَرَأَهُ بِالسَّيْنِ جَاءَ بِهِ  
عَلَى الْأَصْلِ وَمَنْ قَرَأَهُ بِالضَّادِ قَلَّبَ السَّيْنِ صَادًا لِتَجَانُسِ الطَّادِ فِي الْأَطْبَاقِ وَمَنْ  
قَرَأَ، بِالزَّيِّ قَلَّبَ السَّيْنِ زَايًا لِأَنَّ الزَّيَّ وَالسَّيْنَ مِنْ حُرُوفِ التَّصْغِيرِ وَالزَّيَّ أَشْبَهَ  
بِالطَّاءِ لِأَنَّهُمَا مَجْهُورَتَانِ.

الْمُسْتَقِيمَ: أصله المستقوم وهو اسم فاعل من استقام يستقيم وأصله  
إِسْتَقُومَ يَسْتَقُومُ ثُمَّ عَمِلَ فِيهِ مَا ذَكَرْنَا فِي نَسْتَعِينُ مِنْ كَوْنِ الْكَثْرَةِ ثَقِيلَةً عَلَى  
الْوَاوِ فَقُلْتُ إِلَى الْعَيْنِ ثُمَّ قُلْتُ يَاءً لِسُكُونِهَا وَإِنْكَسَارَ مَا قَبْلَهَا،  
وَالْمُسْتَفْعَلُ هُنَا بِمَعْنَى الْفَعِيلِ أَيْ السَّرَاطُ الْقَوِيمُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى  
الْقَائِمِ أَيْ الثَّابِتِ.

### ◀ الإعراب

إِهْدِنَا لفظه أمر والأمر مبني على السكون عند البصريين ومعرب عند  
الكوفيين فحذف الياء عند البصريين علامة السكون الذي هو بناء.  
وهو عند الكوفيين علامة الجزم وهدى يتعدى إلى مفعول بنفسه فأمّا

تعدّيه إلى مفعولٍ آخر فقد جاء متعدّياً إليه بنفسه و منه هذه الآية و قد جاء متعدّياً إلى الـ مفعول قوله تعالى: هَدَيْنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(١)</sup>.  
و باللام كقوله تعالى: أَلَّذِي هَدَيْنَا لِهَذَا و عليه فكلمة نا مفعوله الأول و الصِّراطُ مفعوله الثاني و موضع المفعول النصب.

### المعنى

ذكروا في معنى إِهْدِنَا وجوهاً:

**أحدها:** التثبيت أي ثبتنا على الدين الحق و ذلك لأنَّ الإنسان قد يزَل و يخطئ و ترد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن أن يسأل الله تعالى أن يشته على دينه و يديمه عليه و يعطيه زيادات الهدى التي هي أحد أسباب الثبات على الدين كما قال تعالى: **وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادْهُمْ هُدًى**<sup>(٢)</sup>.

**ثانيها:** الثواب لقوله تعالى: **يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِذْنِهِمْ**<sup>(٣)</sup> و صار معناه، إِهْدِنَا إلى طريق الجنة ثواباً و يؤيده قوله تعالى: **أَلْخُذْ لِلَّهِ الَّذِي هَدَيْنَا لِهَذَا**<sup>(٤)</sup>

**ثالثها:** الدين الحق أي إِهْدِنَا و إرشدنا إلى الدين الحق في مستقبل عُمرنا كما دللتنا عليه في الماضي و هذه الوجوه نقلتها من مجمع البيان.

ذكر بعض المحققين في المقام إنَّ العبد في جميع أموره مُحْتَاج إلى الهداية أَنَا فَنَأْ و لحظة فَلَحظة فإدامة الهداية هي هداية أخرى بعد الهداية الأولى فتفسير الهداية بأدامتها ليس خروجاً عن ظاهر اللفظ انتهى.

**أنا أقول:** ما ذكره **مَنْ** مشعر بأنه فسر الهداية في قولنا **إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** بأدامة الهداية أي أدم لنا الهداية فيما بقى من عُمرنا و هذا أمرٌ معقولٌ مشروع لا بأس به ولكن حقَّ المعنى في هذه الآية يستدعي التكلّم فيها بوجه أبسط و هو لا يَتَمَّ إلا في فصلين:



الفصل الأول: في معنى الهداية. والفصل الثاني: في معنى الصراط.  
**أما البحث في الفصل الأول:** فنقول الهداية في أصل اللغة الإرشاد إلى  
 الخير وهو على قسمين:

ارائة الطريق، والإيصال إلى المطلوب وقد جاءت الهداية في القرآن بكلا  
 المعنيين:

**فمن الأول:** قوله تعالى: **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرَ وَإِنَّمَا كَفُورًا<sup>(١)</sup>**  
**ومن الثاني:** قوله تعالى: **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ<sup>(٢)</sup>**  
 ذَهَبَ أَكْثَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ إِلَى أَنَّ الْهُدَايَةَ إِذَا تَعَدَّتْ بِإِلَىٰ فِيهِ بِمَعْنَى ارِائَةِ  
 الطَّرِيقِ.

كقوله تعالى: **وَإِنَّكَ لَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** وَإِنْ تَعَدَّتْ إِلَى الْمَفْعُولِ  
 الثَّانِي بِنَفْسِهَا فِيهِ بِمَعْنَى الْإِيصَالِ إِلَى الْمَطْلُوبِ كقوله تعالى: **وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ**  
**صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(٣)</sup>** والفرق بين ارائة الطَّرِيقِ وَالْإِيصَالِ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَاضِحٌ فَأَنَّ  
 الْأَوَّلَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجَرَّدِ الْإِرْشَادِ إِلَى الْخَيْرِ سَوَاءً وَصَلَ إِلَى مَقْصَدِهِ أَمْ لَا.

وَفِي الثَّانِي الْإِرْشَادُ الْمَوْصِلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ فَالْأَوَّلُ إِرْشَادٌ مُطْلَقٌ وَالثَّانِي  
 مُقَيَّدٌ بِالْإِيصَالِ وَقَدْ أُنْكَرَ هَذَا التَّفْصِيلُ صَاحِبُ تَفْسِيرِ الْمِيزَانِ وَحَاصِلُ كَلَامِهِ  
 أَنَّهُ لَا يَتَفَاوَتُ مَعْنَى الْهُدَايَةِ بِإِخْتِلَافِ التَّعْدِيَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ النِّفْيَ أَعْنَى نَفْيِ  
 الْإِيصَالِ إِلَى الْمَطْلُوبِ فِي صُورَةِ تَعْدِيَّتِهَا إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي بِنَفْسِهَا نَفْيٌ  
 لِحَقِيقَةِ الْهُدَايَةِ الَّتِي هِيَ قَائِمَةٌ بِاللَّهِ لَا نَفْيَ الْهُدَايَةِ مُطْلَقًا.

ثُمَّ قَالَ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى هُوَ نَفْيُ الْكَمَالِ دُونَ نَفْيِ الْحَقِيقَةِ مُضَافًا إِلَى أَنَّهُ  
 مَنْقُوصٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ: **يَا قَوْمِ أَتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ**  
**الرَّشَادِ<sup>(٤)</sup>** انْتَهَى.

يعني أنَّ الهداية في هذه الآية تعدت إلى المفعول الثاني بنفسها ومع ذلك ليس بمعنى الإيصال إلى المطلوب بل هي فيها بمعنى إراءة الطريق قطعاً. ثم قال وبالجمله فالهداية هي الدلالة وراءة الغاية براءة الطريق وهي نحو إيصال إلى المطلوب وأما تكون من الله سبحانه وسنته سنة الأسباب بإيجاد سبب ينكشف به المطلوب ويتحقق به وصول العبد إلى غايته في سيره وقد بيَّنه الله سبحانه بقوله: **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ** <sup>(١)</sup> انتهى. أقول: تطويل الكلام في هذا الباب لا فائدة فيه علماً وعملاً وذلك لأنَّ أصل الهداية ممَّا لا خلاف فيها وأما أنَّها بمعنى إراءة الطريق أو إيصال إلى المطلوب فهو أمر لا يهمننا البحث فيه بعد وضوح أصل اللغة ومن المعلوم أنَّ الهداية من الله ورَسُوله ولكن ينبغي أن يُعلم أنَّ الهداية من الرسول تشريعي محض وأما الهداية من الله فهي على قسمين: تشريعي وتكويني. أما أنَّها من الرسول تشريعي محض فلأنَّ الرسول مأمور بتبليغ الأحكام التشريعية إلى الخلق من صلوة وصوم وحج وغيرها من العبادات والمعاملات والاخلاق وهو واضح:

قال الله تعالى: **وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ** <sup>(٣)</sup>

وأما بالنسبة إليه تعالى فتارة تكون تكوينية وأخرى تشريعية.

والأولى تصم الموجودات كلها لأنَّ الهداية بهذا المعنى عبارة عن العريضة والجبلة والطبيعة وحيث نرى أنَّ كلَّ موجود من الموجودات لا يتخطى عن قانون الطبيعة بل لا يشتهه الأمر عليه أصلاً في طول حياته نستكشف منه أنَّ

الله تبارك وتعالى لما خلق الموجود أودع في طبعه وذاته ما يوجب إيصاله إلى كماله وأهدافه ولا يتحرف عن مسيره الطبيعي أبداً ونعبر عنه بالهداية التكوينية ولأجل أن الهداية مودعة في طبعه وذاته فهو فيها لا يحتاج إلى غيره.

وأما الهداية الثانية أعني التشريعي فهي مخصوصه بالمكلف البالغ العاقل وهو الإنسان فقط ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع الدين ليستفيد الإنسان بواسطة النبي منها ولولا الهداية بهذا المعنى لم تكن فائدة في بعث الرسول وجعل الأحكام:

قال الله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: أَلَمْ يَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَمِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ<sup>(٢)</sup>.

فالهداية التكوينية لا واسطة بين الخالق والمخلوق في إيصالها إليه بل جعلها الله في خلقه بدون واسطة النبي وهذا بخلاف التشريعي إذ لا بد لها من الواسطة إذا عرفت هذا فنقول فائدة الهداية بحسب التكوين ترجع إلى جسم الموجود وأن شئت قلت توجب إيصال الجسم بكماله الطبيعي وفائدة الهداية بحسب التشريع ترجع إلى الروح لأنها توجب إيصاله إلى الكمال المعنوي والإنسان يشترك غيره من الموجودات في التكويني ويختص من بينها بالتشريعي فهو جامع بينهما ويستفيد منهما ثم أن الله تعالى فوض أمر التشريعي إلى الأنبياء والأوصياء ومن يحذو حذوهم وجعل التكويني لذاته ولم يشرك فيه أحد وحيث أن الإنسان في الوصول إلى كماله الروحاني محتاج إلى الهداية آتاً فآتاً فلا محالة تطلبها من خالقه ويقول إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

أَمَّا الْبَحْثُ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي: أعني به المراد من الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فنقول قد مرَّ معنى الصِّرَاطِ بحسب اللغة وأن الأصل فيه السَّراط بالسَّين. قال الزَّاعِبُ فِي الْمُفْرَدَاتِ، الصِّرَاطُ الطَّرِيقُ الْمُسْتَهْلُ أصله من سَرَطَتِ الطَّعَامُ وَزَرَدَتْهُ، ابتلَعَتْهُ ثُمَّ قَالَ وَكَذَا سُمِّيَ الطَّرِيقُ اللَّقْمُ والمَلْتَقَمُ إعتباراً بأنَّ سالكه يلتقمه إنتهى.

فَالصِّرَاطُ عبارة عن الطَّرِيقِ والمراد من الطَّرِيقِ طريق الدِّين لا طريق الدُّنْيَا أو المراد به الطَّرِيقَانِ معاً ووصفه بالمستقيم لأنَّ الصِّرَاطَ قد لا يكون مستقيماً وإذا كان كذلك فهو غير مطلوب للسَّالِكِ إِلَى اللَّهِ وهذا بخلاف الْمُسْتَقِيمِ منه فَإِنَّهُ يُوَصِّلُ السَّالِكَ إِلَى الْمَطْلُوبِ قَطْعاً وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ أَقْصَرُ مِنْ غَيْرِهِ وَالسَّرْفِ فِيهِ هُوَ أَنَّ الْخَطَّ الْمُسْتَقِيمَ أَقْصَرَ خَطّاً بَيْنَ النِّقْطَتَيْنِ الْمَبْدِئِ وَالْمُنْتَهَى مِنْ حَيْثُ الْمَسَافَةُ وَطُولُ الْخَطِّ وَهُوَ وَاضِحٌ لَا خَفَاءَ فِيهِ وَهَكَذَا الْأَمْرُ فِي طَرِيقِ الدِّينِ وَ قَدْ قِيلَ أَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ لَا يَكُونُ إِلَّا مُسْتَقِيماً.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً<sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ<sup>(٢)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً<sup>(٣)</sup> وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْآيَاتِ.

بَلْ لَا تَرَى فِي الْقُرْآنِ صِرَاطاً يُوصَفُ بِكَوْنِهِ غَيْرَ مُسْتَقِيمٍ لِأَنَّ صِرَاطَ الْحَقِّ لَا يَكُونُ إِلَّا كَذَلِكَ وَإِلَيْهِ أَشَارَ الشُّبَّسْتَرِي فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ حَيْثُ قَالَ :

چَه كَرْد اَوْ بَرِ صِرَاطِ حَقِّ اِقَامَتِ بِأَمْرِنَا مُسْتَقِيمِ مِيدَاشْتِ قَامَتِ

و فِيهِ إِشَارَةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى مُخَاطَباً لِرَسُولِهِ (فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْبَتَنِي سُورَةُ هُودٍ لِمَكَانِ هَذِهِ الْآيَةِ وَيُظْهِرُ مِنْهُ أَنَّ

الْوَصُولُ إِلَى الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُشْكَلاً إِلَّا أَنَّ الثَّبَاتَ أَشْكَلَ وَهَذَا هُوَ السَّرْفُ فِي

طلب المكلف الهداية من الله تعالى لحظةً فلحظة وفي كل آن.  
فإن الإنسان كما أنه في بقائه من حيث الوجود محتاج الى المؤثر بمعنى أنه لا بد من الإفاضة من مبدأ الفياض على المستفيض في كل الآتات كذلك في بقائه على الهداية محتاج الى توجه الحق وقد ورد في الدعاء: اللهم لا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين أبداً.

فاذا قال الانسان إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ طلب من خالقه الهداية و الإرشاد الى الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه و تكرار الطلب في كل يوم و ليلة في الحقيقة لأجل التثبت على الحق بعونه تعالى و مدّده فالإنسان محتاج الى الرّب في حدوث الهداية وبقائها وهو المطلوب.

### ◀ التفسير

عن كتاب من لا يحضره الفقيه بأسناده عن الرضا عليه السلام قال: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إسترشاد لدينه وإعتصام بحبله، وإستزادة في المعرفة لربه عزّ وجلّ ولعظمته وكبريائه انتهى.

وفي مجمع البيان قال رسول الله ٦: إِنَّ اللَّهَ مَنْ عَلَيَّ بَفَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى قَوْلِهِ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صراط الأنبياء وهم الذين أنعم الله عليهم انتهى.

وفي تفسير عليّ ابن إبراهيم في الموثق عن أبي عبد الله عليه السلام إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ قال عليه السلام الطريق و معرفة الإمام و عنه عليه السلام قال والله نحن الصراط المستقيم.

وفي كتاب معاني الأخبار بأسناده الى أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله عزّ وجلّ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ قال: هو أمير المؤمنين و معرفته والدليل على أنه أمير المؤمنين قول الله عزّ وجلّ: وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيّ

حَكِيمٌ<sup>(١)</sup> وهو أمير المؤمنين في أم الكتاب في قوله: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وبأسناده إلى الْمُفَضَّل بن عمر قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصِّرَاط فقال هو الطريق إلى معرفة الله وهما صراطان، صراط في الدنيا وصراط في الآخرة.

فأما الصِّرَاط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصِّرَاط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زَلَّتْ قَدَمُهُ عن الصِّرَاط في الآخرة فَتَرَدَّى في نار جهنم انتهى.

في تفسير علي بن إبراهيم بأسناده إلى جعفر ابن غياث قال وَصَف أبو عبد الله عليه السلام الصِّرَاط فقال أَلْف سَنَةٍ ضَعُودٌ وَأَلْف سَنَةٍ هَبُوطٌ وَأَلْف سَنَةٍ حَذَاكَ انتهى.

و بالأسناد عن موسى ابن جعفر عليه السلام عن آبائه عن علي ابن أبي طالب عليه السلام في قوله: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ قال عليه السلام: أُمِّم لَنَا تَوْفِيقَكَ الَّذِي بِهِ أَطْعَمْنَا فِيمَا مَضَى مِنْ أَيَّامِنَا حَتَّى نَطِيعَكَ كَذَلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ أَعْمَارِنَا وَالصِّرَاط الْمُسْتَقِيمُ هُوَ صِرَاطَانِ: صِرَاطٌ فِي الدُّنْيَا وَ صِرَاطٌ فِي الْآخِرَةِ.

فأما الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وإرتفع عن التقصير وإستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل.

وأما الطريق الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنة.

قال: وقال جعفر ابن محمد الصادق في تفسير الآية: أَيَّ إِرْشَادِنَا إِلَى الصِّرَاط الْمُسْتَقِيمِ، إِرْشَادِنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الْمُوْدِي إِلَى مُحِبَّتِكَ وَ الْمُبْلَغِ

دينك والمانع من أن نتبع أهواءنا فنغضب أو نأخذ بأراءنا فنهلك انتهى.  
وبأسناده عن علي ابن الحسين عليه السلام قال: (نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم).

وبأسناده عن أبي جعفر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وانت و جبرائيل على الصراط فلم يَجْزَ أحد الآ من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك.

وفي أصول الكافي إلى أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله واستمسك بالذي أوحى إليك أنك على صراط مستقيم قال أنك على ولاية علي وعلى هو الصراط المستقيم.

وبأسناده عن محمد ابن الفضيل عن أبي الحسن الماضي قال: قلت له عليه السلام أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ <sup>(١)</sup> قال عليه السلام أَنْ اللَّهَ ضَرَبَ مِثْلَ مَنْ حَادَ عَنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ كَمِثْلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وجهه لا يهتدي لأمره وجعل من تبعه سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ والصراط المستقيم أمير المؤمنين انتهى.  
و الأحاديث كلها نقلناها عن تفسير نور الثقلين <sup>(٢)</sup>.

وفي كتاب غاية المرام بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قوله تعالى: وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ قال عليه السلام هو والله علي هو والله الميزان والصراط انتهى <sup>(٣)</sup>.

وفيه بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل لنبيه: وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ <sup>(٤)</sup> إنك لتأمر بولاية علي أمير المؤمنين وتدعو لها وعلي هو الصراط المستقيم، صراط الله يعني علياً، له ما في السموات

٢- نور الثقلين ج ١ ص ٢٠ إلى ص ٢٢

٤- الشورى = ٥٢

١- الملك = ٢٢

٣- نور الثقلين ص ٢٤٦

وما في الأرض يعني علياً أنه جفله خازناً على ما في السموات وما في الأرض وائتمنه عليه ألا إلى الله تصير الأمور انتهى<sup>(١)</sup>.

أقول: الأحاديث من طرفنا كثيرة جداً كلها تشير إلى أمر واحد وهو أن الصراط المستقيم، المراد به أمير المؤمنين وأولاده أئمة المعصومين.

وقد ذكر صاحب غاية المرام أربعة وعشرين حديثاً بين مفصل ومختصر إن شئت الإطلاع عليها فعليك بكتاب غاية المرام وأمثاله من المطولات وقد ذكر فيه أيضاً من طريق العامة ثلاثة أحاديث في إثبات المدعى لم أتعرض لنقلها مراعاة للاختصار

وأما ما ذهب إليه أهل السنة في تفسير الآية من أن المراد بالصراط المستقيم الإسلام أو الجنة أو الإيمان أو كتاب الله وأمثال ذلك مما ذكره في كتبهم وتفسيرهم فنحن لا ننكر بل نقول به الأ أن البحث في الطريق لا في المقصد والمطلوب.

وكيف يقول عاقل فضلاً عما يدعي الفضل أن الطريق المستقيم هو الإيمان، والجنة والكتاب وأمثالها ولا يعلم أن الطريق المستقيم هو الذي يؤصلنا إلى هذه المقاصد.

اذ كل طالب يعلم مطلوبه وأما يتفحص عن الطريق المستقيم الذي يوصله إليه فلو كان الطريق إلى المقصد نفس المقصد لدار وهو كما ترى و عليه فأهل الحق يقولون بأن الطريق المستقيم المؤدي إلى المطلوب هو التمسك بولاية علي والأئمة عليهم السلام إن قلت المقصود التقرب إلى الله تعالى والإيمان والإسلام والكتاب من الأسباب المؤدية إليه، قلت فهم الكتاب ودرك حقيقة الإيمان لا يمكن لأحد من الناس إلا عن طريق أهل البيت الذين طهرهم الله عن الأرجاس وجعلهم من الراسخين في العلم والشاك فيه معاند



وتفصيل الكلام في هذا الباب موكول الى محله ولنعم ما قيل في عليّ عليه السلام:  
ولا يُنجي من الرحمن شيءٌ ومن هول القيامة والحساب  
ومن نارٍ تلهب في جحيم ومن نارٍ تلهب في جحيم  
شفيع الخلق في يوم التلاق هو المنعوت في أي الكتاب  
وقال ابن حمّاد:

يا أية الله التي قدرها ليس له في الخلق من قادر  
ويا صراطاً لم يحزه سوى كلّ تقي مؤمن صابر  
ويا حجاباً ليس من غيره الى إله العرش من صائر  
لا يغفر الله لمن لم تكن لا يغفر الله لمن لم تكن  
وقال الحميري:

ولدى الصراط ترى علياً واقفاً ولدى الصراط ترى علياً واقفاً  
الله أعطى ذا علياً كله الله أعطى ذا علياً كله  
وقال ابن شهر آشوب:

أنّي وجبرئيل وأنك يا أخي يوم الحساب وذو الجلال يراني  
لعلّ الصراط فلا مجاز بجائز الآ لمن من ذي الجلال أتاني  
ببراءة فيها ولايتك التي ينجو بها من ناره الثقلان  
قال الله تعالى: أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَفَرَ بُعْدًا لَّهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِ (١)

وستقف ان شاء الله في تضاعيف الكتاب من فضائله ومناقبه المستفاد من  
الآيات ما يكفيك ويغنيك.

وأنّي لأرجو يا إلهي سلامة بعقوك من نارٍ تُلظّي همومها  
أبا حسنٍ لو كان حبك مُدخلي جهنّم كان الفوز عندي جحيمها  
وكيف يخاف النار من كان مؤمناً بأن أمير المؤمنين قسيمها  
والحمد لله رب العالمين.

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

### ◀ اللغة

صِرَاطٌ: بكسر الصاد قد مضى الكلام فيه في الآية الشريفة السابقة،  
الَّذِينَ: جمع والذي، وهو إسم موصول.  
أَنْعَمْتَ: بفتح الألف فعل ماضٍ من أَنْعَمَ يُنْعِمُ إنعاماً، والإنعام الإحسان  
بإعطاء النعمة.  
عَلَيْهِمْ: على من حروف الجارة وهم، ضمير جمع يرجع الى الذين وكلمة  
غير، للإستثناء.  
وَالْمَغْضُوبِ: إسم مفعول من غضب يغضب.  
وَالضَّالِّينَ: كلمة للالتفني والضالين جمع ضال وهو إسم فاعل من ضل  
يضل بمعنى العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية وقد يقال الضلال  
لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً قليلاً كان أو كثيراً فَأَنَّ الطريق  
المستقيم ولضح.

### ◀ الإعراب

صِرَاط مضاف الى الَّذِينَ و محل الصراط النصب لأنه بدل من الصراط  
الأول أعني قوله تعالى: صِرَاطَ الَّذِينَ ولذلك قرأ بفتح الطاء اذ البدل في  
حكم المبدل منه أَنْعَمْتَ صَلَّة، الَّذِينَ، والعائد عليه في عَلَيْهِمْ والألف والألام  
في الذي زائدتان وتعريفها بالصلة والأصل في الَّذِينَ الَّذِينَ، لأن واحدة  
الذي، إلا أن ياء الجمع حذفت ياء الأصل لثلاثا يجتمع ساكنان.  
وَالَّذِينَ بالياء في كل حال لأنه إسم مبني ومن العرب من يجعله في الرفع  
بالواو وفي الجر والنصب بالياء كما جعلوا تثنية بالألف في الرفع والياء في الجر  
والنصب وفي الذي خمس لغات:

أحدها: الَّذِي بلام مفتوحة من غير لام التعريف وقد قرأ به شاذاً.

الثانية: الَّذِي بسكون الياء.

الثالثة: بحذفها وإبقاء كسرة الدال.

الرابعة: حذف الياء وإسكان الدال.

الخامسة: به ياء مشددة غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ بالجر وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الَّذِينَ.

الثاني: أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الْهَاءِ وَالْمِيمِ فِي عَلَيْهِمْ.

الثالث: أَنَّهُ صِفَةٌ لِلَّذِينَ فَإِنَّ الَّذِينَ مَعْرِفَةٌ، وَغَيْرٌ، لَا يَتَعَرَفُ بِالْإِضَافَةِ

فهو نكرة فلا يصح أن يكون صفة له قلت أجابوا عنه بوجهين:

أحدهما: أَنَّ غَيْرٌ، إِذَا وَقَعَتْ بَيْنَ مُتَضَادَّتَيْنِ وَكَانَا مَعْرِفَتَيْنِ تَعَرَّفَتْ

بِالْإِضَافَةِ كَقَوْلِكَ حَجَبْتَ مِنَ الْحَرَكَةِ غَيْرَ السَّكُونِ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ هُنَا لِأَنَّ الْمَنْعَمَ عَلَيْهِ وَالْمَغْضُوبَ عَلَيْهِ مُتَضَادَّتَانِ مَعْرِفَتَانِ.

الثاني: أَنَّ الَّذِينَ قَرِيبٌ مِنَ النِّكَرَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ قَوْمًا بِأَعْيَانِهِمْ وَ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالتَّخْصِصِ الْحَاصِلِ مِنَ الْإِضَافَةِ فَكُلُّ

وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِيهِ إِهْـبَامٌ مِنْ وَجْهِهِ وَاسْتِخْصَاصٌ مِنْ وَجْهِهِ وَقَرَأَ (غَيْرٌ) بِالنَّصْبِ أَيْضاً

بِنَاءٍ عَلَى أَنَّهُ هَالٌ مِنْ هَمٍّ وَ الْعَامِلُ فِيهَا، ائْتَمَّتْ أَوْ أَنَّهُ هَالٌ مِنَ الَّذِينَ، لِأَنَّهُ

مُضَافٌ إِلَيْهِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوباً عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ الَّذِينَ، أَوْ مِنْ هَمٍّ.

الثالث: أَنَّهُ مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ أَعْنَى وَالْمَغْضُوبِ مَفْعُولٌ مِنْ غَضَبٍ عَلَيْهِ وَ

هُوَ لَازِمٌ وَ الْقَائِمُ مَقَامَ الْفَاعِلِ هُوَ عَلَيْهِمُ وَالتَّقْدِيرُ غَيْرُ الْفَرِيقِ الْمَغْضُوبِ وَلَا

ضَمِيرٌ فِي الْمَغْضُوبِ لِقِيَامِ الْجَارِ وَ الْمَجْرُورِ مَقَامَ الْفَاعِلِ وَ لِذَلِكَ لَمْ يَجْمَعْ

فَيَقَالُ غَيْرُ الْمَغْضُوبِينَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ إِسْمَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ إِذَا عَمِلَ فِيمَا بَعْدَ لَمْ

يُجْمَعُ جَمْعُ السَّلَامَةِ وَهُوَ مَجْرُورٌ بِإِضَافَةِ الْغَيْرِ إِلَيْهِ.

وَلَا الضَّالِّينَ كَلِمَةٌ لَزَائِدَةٌ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ لِلتَّوَكِيدِ وَ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ بِمَعْنَى

غير، والجمهور على ترك الهمز في الضَّالِّينَ وقرأ بهمزة مفتوحة وهي لغة فاشية في العرب في كل ألف وقع بعدها حرف مشدد نحو، ضالٌّ، ودابة، والعلة أنه قلب الألف همزة لتصح حركتها ولثلا يجمع بين ساكنين ومحلها الجز لأنه معطوف على المغضوب عليهم فكأنه قيل و غير الضَّالِّينَ.

### المعنى

إعلم أن الآية في الحقيقة بيان وتوضيح للآية السابقة وهي قوله تعالى: **إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** فكأنه سئل وما الصراط المستقيم، ف قيل صراط الذين أنعمت الآية أي إهدنا صراط من أنعمت عليهم بطاعتك كما قال الله تعالى: **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّبْيِ قِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**<sup>(١)</sup>.

**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** يعني غير اليهود عند جميع المفسرين واستدلوا عليه بقوله تعالى: **مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ**<sup>(٢)</sup> وهؤلاء هم اليهود ولا الضَّالِّينَ قالوا يعني النصارى بدليل قوله تعالى: **وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**<sup>(٣)</sup> وقيل المراد بغير المغضوب عليهم ولا الضَّالِّينَ جميع الكفار من اليهود والنصارى وغيرهما من أصناف الكفار وأنما ذكروا بالصفتين لإختلاف الفائدةين نقل هذين القولين صاحب مجمع البيان.

ثم نقل قولاً ثالثاً عن عبد القاهر الجرجاني وحاصل ما نقل عنه هو أنه قال **حقّ اللفظ أن يكون خرج مخرج الجنس كما تقول نعوذ بالله أن يكون حالنا حال المغضوب عليهم ولا تقصد به قوماً خاصاً بأعيانهم الى آخر ما قال.**

أقول كلام الجرجاني لا بأس به و عليه فذكر اليهود والنصارى لكوهما  
مصدقين كاملين للأية و هو لا ينافي دخول غيرهما من أصناف الكفار فيها.  
و أما الغضب منه تعالى فقد قال صاحب المجمع في المقام ما لفظه.  
و أما الغضب من الله فهو ارادته إنزال العقاب المستحق بهم ولعنهم و  
براءته منهم و أصل الغضب الشدة و منه الغضبة و هي الصخرة الصلبة  
الشديدة المركبة في الجبل والغضوب الحية الخشبية والناقة العبوس و أصل  
الضلال الهلاك و منه قوله تعالى: (أَعِزَّا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) أي أهلكنا و منه قوله:  
(وَأَضَلُّ أَعْمَالِهِمْ) أي أهلكها والضلال في الدين الذهاب عن الحق و أنما لم  
يقال الذين غضبت عليهم مراعاة للأدب في الخطاب واختيار الحسن اللفظ  
المستطاب انتهى.

و قال المحقق الفيض رحمته الله في الصافي بعد نقله ما نقلناه في معنى  
المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ نقلاً عن تفسير الإمام ما لفظه ثم قال  
أمير المؤمنين عليه السلام: (كَلَّ مِنْ كَفَرٍ بِاللَّهِ فَهُوَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ وَضَالٌّ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ).

وفي المعاني عن النبي صلوات الله وسلامه عليه: الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ شِيعَةٌ عَلَيَّ يَعْنِي  
أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ بَوْلَايَةِ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ لَمْ تَغْضَبْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ  
تَضَلُّوا.

و عن الصادق عليه السلام: يَعْنِي مُحَمَّدًا وَذُرِّيَّتَهُ إِلَى أَنْ قَالَ عليه السلام أَقُولُ وَ  
يَدْخُلُ فِي صِرَاطِ الْمَنْعَمِ عَلَيْهِمْ كُلُّ وَسْطٍ وَاسْتِقَامَةٍ فِي إِعْتِقَادٍ أَوْ  
عَمَلٍ فَهُمْ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، وَ فِي صِرَاطِ الْمَغْضُوبِ  
عَلَيْهِمْ كُلُّ تَفْرِيطٍ وَ تَقْصِيرٍ وَ لَا سَيِّمًا إِذَا كَانَ عَنْ عِلْمٍ كَمَا فَعَلَتْ  
الْيَهُودُ بِمُوسَى وَ عِيسَى وَ مُحَمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليه وَ فِي صِرَاطِ الضَّالِّينَ كُلِّ  
إِفْرَاطٍ وَ غَلْوٍ وَ لَا سَيِّمًا إِذَا كَانَ عَنْ جَهْلِ كَمَا فَعَلَتْ النَّصَارَى بِعِيسَى

و ذلك لأنَّ الغضب يلزمه البعد والطُّرد و المقصر هو المدبر  
المُعْرض فهو البعيد الضَّلال هو الغيبة عن المقصود والمُفْرط هو  
المقبل المجاوز فهو الَّذي غاب عنه المطلوب انتهى. مذكَّره ﷺ في  
معنى الآية وتفسيرها.

و يظهر منه أَنَّهُ لا وجه لإختصاص الآية باليهود والنصارى بل هي عامة  
لكلِّ من كَفَرَ وخَالَفَ الحقَّ وَأَنَّ المراد، بالمُنْعَم عليهم، كلِّ من كان مُعتدلاً في  
الإعتقاد والعمل.

ثمَّ أَنَّ الَّذي ذكرناه ونقلناه عن المجمع والصَّافي في معنى المَغْضُوب  
عليهم والضَّالِّين هُوَ الْمُعْتَمَد عند مُفَسِّرِي الشَّيْعة مِمَّنْ تقدم منهما أو تأخر  
فأنَّهُم قَدَّسَ اللَّهُ أسرارهم فسروا كتاب الله وأخذوا تفسيره عن أهل البيت وأما  
أهل السَّنة فقد اِتَّفَقُوا في تفاسيرهم على أَنَّ المراد بالمَغْضُوب عليهم اليهود،  
و بالضَّالِّين النصارى. نقل الألويسي في تفسيره عن ابن أبي حاتم أَنَّهُ قال لا  
أعلم فيه فلائلاً للمفسرين فمن زعم أَنَّ الحمل على ذلك ضعيف لأنَّ مُنْكَرِي  
الصَّانع أو المشركين أخصُّ ديناً من اليهود والنصارى فكان الإحتراز منهم أولى  
بل الأولى أن تحمل المَغْضُوب عليهم على كلِّ من أخطأ في الأعمال الطَّاهرة  
وهو الفساق ويحمل الضَّالُّون على كلِّ من أخطأ في الإعتقاد لأنَّ اللَّفْظ عام و  
التقييد خلاف الأصل فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً إن كان قد بلغه ما صَحَّ عن رسول  
الله ﷺ وألا فقد تجاسر على تفسير كتاب الله مع الجهل بأحاديث رسول  
الله ﷺ.

و ما قاله في منكري الصانع لا يعتدُّ به لأنَّ من لا دين له لا يعتدُّ  
بذكره والعجب من الإمام الزَّازي أَنَّهُ نقل هذا و لم يتَّعقبه بشيءٍ  
سوى أَنَّهُ زاد في الشُّطرنج بغلاً فقال و يحتمل أن يُقال المَغْضُوب  
عليهم هم الكفَّار والضَّالُّون هم المنافقون وَ غلله بما في أوَّل البقرة

من ذكر المؤمنين ثم الكفار ثم المنافقين فقايس ما هنا على ما هناك  
و هل بعد قول رسول الله الصادق الأمين قول لقائل أو قياس  
لقائس هيهات هيهات دون ذلك أهوال إنتهى.

ما ذكره الألوسي بلفظه و عبارته و أنما نقلنا ما نقلنا عنه بعين  
عباراته لتعلم أن العامة قد أجمعوا في تفاسيرهم على الحديث  
المروي بعقيدتهم عن رسول الله ﷺ أن المراد بغير المغضوب  
عليهم ولا الضالين، اليهود والنصارى ولأجل هذا قال القرطبي في  
تفسيره فالجمهور على أن المغضوب عليهم اليهود والضالين  
النصارى و جاء ذلك مفسراً عن النبي ﷺ في حديث عدي ابن  
حاتم و قصة إسلامه أخرجه أبو داود الطيانسي في مسنده  
و الترمذي في جامعه الخ.

و بالجملة ما رأيت بعد التفحص التام في تفاسيرهم الموجودة عندنا ما  
يُشعر بخلافه سوى ما ذكره الرأزي من أن المغضوب عليهم الكفار والضالين  
المنافقين على سبيل الإحتمال ونحن نقول أما أولاً.

أن الحديث الذي تمسكوا به في تفسير الآكسائر الأحاديث المروية  
عنه ﷺ في كتبهم إذ لم يدع مدع أنه سمعه من رسول الله ﷺ بإذنيه  
حتى يقال من مشى على خلافه فقد تجاسر على تفسير كتاب الله مضافاً إلى  
أن التجاسر يصدق إذا كان السامع قال بخلاف ما سمعه منه ﷺ وأما غيره  
فلا لجواز أن يكون مدعي السمع كاذباً في دعواه وثانياً على فرض صحة  
الحديث نقول ذكر اليهود والنصارى من باب تعيين المصدق ولا تخصيصه أو  
أن اليهود والنصارى من أكمل المصاديق في زمانه ﷺ حيث خالفوه وأذوه  
مع علمهم بصدق دعواه وأمثال ذلك من الإحتمالات كثيرة.

وكيف يمكن أن يقال أنَّ اليهود والنصارى كانوا كذلك وعبَدَت الأوثان و سائر المُشرَكين لم يكونوا من مصاديق الآية فَأَنَّ الإنسان لا يخلو من المغضوب عليهم و المنعم عليهم فعبدة الأوثان مثلاً إن كانوا من المغضوب عليهم أو الضَّالِّين فالْمُدَّعي ثابت و إلَّا يلزم عَدَّهم من المُنعم عليهم إذ لا واسطة بين الحالين و بعبارة أخرى لكلِّ إنسانٍ بالنَّظر إلى دينه أوصاف أربعة.

١- أحدها الهداية.

٢- و ضدها الضَّلالة، فإن كان في طريق الهدى لا يكون في طريق الضَّلال و بالعكس لإستحالة إجتماع الضدين

و ثانيها. أن يكون من المنعم عليهم، و ضدها المغضوب عليهم فإن كان من الأول لا يكون من الثاني و بالعكس لما ذكرناه من الإستحالة بل نقول بإرجاع الوصفين الأخيرين إلى الأولين لأنَّ الهادين المهديين هم الَّذِينَ قد أنعم الله عليهم و أي نعمة أعلى و أفضل من كون الإنسان على طريق الهدى ببركة الإيمان والمعرفة.

والمغضوب عليهم هم الضَّالُّون بلا كلام إذ لو لم يكن الإنسان ضالاً لم يكن مغضوباً و على هذا التَّقرير فلا مجال للقول بإختصاص الآية باليهود والنصارى و خروج سائر الكفار عنها لأنَّ الإجماع والعقل حاكمان بخروج هؤلاء من صِنف المؤمنين المُنعم عليهم و من خرج عنهم دخل في غيرهم و هم الضَّالُّون و هذا واضح لمن له أدنى تأمُّلٍ و تعمقٍ ثمَّ أَنِّي كنت مُتَحِيراً مُتَعَجِّباً من إتفاقهم على تخصيص الآية باليهود والنصارى بِمُجرد رواية رُووها عن رسول الله ﷺ و حكموا صحتها و انسابهم إليه هو التَّجاسُّر على تفسير كتاب الله لمن خالفهم و حكم بضعف الرواية أو بكلاهما أو أنَّها ناظرة إلى تعيين المِصداق لا إلى التخصيص و لم يحكموا بالتَّجاسُّر لمن أنكر أكثر من ألف حديث من الفريقين:



قال الله تعالى: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ** <sup>(٣)</sup>

وأمثالها مما ورد في عليٍّ عليه السلام وأهل البيت كما ستقف عليها إن شاء الله في موضعه.

ثم بعد ذلك ألهمت بعون الله وتوفيقه إنَّ السُّرْفِيَّ عدم عدولهم عن الحديث الوارد في تفسير الآية وهو تخصيص الأكثر بمعنى أنَّ المَغْضُوبَ عليهم والضَّالِّينَ إن كان المراد بهم مُطلق الكفار والمُنافقين وبالجملة كل من عدل عن طريق الحقِّ وأتبع هواه فلا يبقى في المقام إلا المؤمن المعتقد العامل بما أمره الله ورسوله وهو قليل فيلزم منه دخول أكثر المسلمين في المَغْضُوبَ عليهم والضَّالِّينَ وهم لا يقولون به.

وأما نحن فنقول به ونثبت بالدليل القاطع كما ستعرفه إن شاء الله تعالى هذا كله ما وصل إلينا من تفاسير العامة والخاصة في تفسير الآية. وملخصه أنَّ الشيعة تقول بإطلاق الآية وعمومها والغامة تقول بإختصاصها باليهود والنصارى.

والذي حصل لنا في المقام يظهر من قولنا في إهدنا الصراط المستقيم، لأنَّ الصراط الثاني بَدَلٌ عن الأول بدل الكلِّ من الكلِّ فإذا كان المراد بالصراط الأول هو الموالاة لأهل البيت والتمسك بولايتهم والعمل بما أمرنا به ونهونا عنه فلا محالة يكون المراد بالصراط الَّذِي أنعم الله به عليَّ عباده هو الولاية والمودة لهم وبالمَغْضُوبَ عليهم، والضَّالِّينَ، مخالفوهم ومعاندوهم سواء فيهم الكفار والمُنافقين والمعاندين وغيرهم من المُخالفين المُنكرين للحقِّ و

عليه نحيا ونموت ونبعث حيًّا.

### ◀ التفسير

عن كتاب معاني الأخبار بأسناده إلى جعفر ابن محمد عليه السلام قال: قول الله عزَّ وجلَّ في الحمد، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ يعني محمداً وذريته عليهم السلام إنتهى.

وروي في تفسير نور الثقلين عن الإمام الهادي عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ أي قولوا إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله عزَّ وجلَّ: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا<sup>(١)</sup>

وحكى هذا بعينه عن أمير المؤمنين ثم قال عليه السلام: ليس هؤلاء المُنعم عليهم بالمال و صحّة البدن وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة ألا ترون أنّ هؤلاء قد يكونون كفّاراً أو فسّاقاً فما ندبتهم إلى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم وأنما أمرتم بالدعاء بأن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم الله عليهم بالإيمان بالله و تصديق رسوله و بالولاية لمحمد و آله الطيبين و أصحابه الخيرين المنتجبين و بالتقّة الحسنة التي نسلم بها من شر أعداء الله و من الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم بأن تداريهم و لا تعزيهم بأذاك و أذى المؤمنين و بالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين إنتهى.

و بأسناده قال رسول الله ﷺ في قول الله عزَّ وجلَّ: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.

قال عليه السلام: شيعة عليّ الذي أنعمت عليهم بولاية عليّ ابن أبي طالب عليه السلام لم يغضب عليهم ولم يضلّوا إنتهى.  
وأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: في غير المَغضوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قال: عليه السلام المَغضوب عليهم، النصاب، والضالين الشكاكين الذين لا يعرفون الإمام إنتهى.

و عن كتاب من لا يحضره الفقيه بأسناده عن الرضا عليه السلام أنّه قال: صراطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ توكيد في السؤال والرغبة وذكر لما تقدم من نعمه على أوليائه ورغبته في مثل تلك النعم غير المَغضوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا إِسْتِعَاذَة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين به وبأمره ونهيه وَلَا الضَّالِّينَ إعتصام من أن يكون من الذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا إنتهى.

و في الإحتجاج للطبرسي عن العسكري عليه السلام أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام قال: من تجاوز بأمر المؤمنين العبودية فهو من المَغضوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ إنتهى.  
و في تفسير الصافي، قال أمير المؤمنين عليه السلام: كلّ من كفر بالله فهو مغضوبٌ عليه وضال عن سبيل الله.

و عن الصادق عليه السلام أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ؛ يعني محمداً وذريته إنتهى.  
أقول في هذه الأخبار كفاية لأولي الأيد والأبصار في الوقوف على تفسير الآية ومن أراد الإطلاع على أكثر مما ذكرناه فعليه بمطأته، بقي في المقام شيء وهو أنّه ما المراد بالغضب في حقّ الله تعالى وما الفرق بين الغضب في حقّه والغضب فينا فنقول:

الغضب فينا، ثوران دَم القلب لإرادة الإنتقام والتَّشفي وإذا وُصف الله تعالى به فالمراد به الإنتقام دون غيره وقيل أنه فيه تعالى بمعنى إنزال العقاب المُستحق بهم ولعنهم وبرأته منهم وأصل الغَضب الشَّدة وقد وُصف الله تعالى به نفسه في كثير من الآيات:

قال الله تعالى: **وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **وَمَنْ يَخْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** <sup>(٤)</sup>

قال بعض الفلاسفة، الغَضب في البدن ثوران الدَّم وفي النَّفس حالة نفسانية إنفعالية في العمل صِفَّة فعليَّة.

وفي الواجب القهاريَّة وهي روح الغَضب وما في عالم الصُّورة صورته انتهى.

فالفرق بين الموردين هو أنه فينا بمعنى المبدأ لحصول الغاية وفي الواجب بمعنى العامَّة والمنتهى لا غير وذلك لأنه ليس هناك جسم وبدن فلا دَم ولا ثوران ولا قلب.

وثانياً أن الإنتقام فيه تعالى ليس كالإنتقام فينا فإنه في حقنا لدفع ضررٍ أو جلب منفعة وفي حقَّه تعالى إحقاق الحق وإجراء العدل وإن شئت قلت هو فينا مسبب عن ثوران دَم القلب الذي هو مسبب أيضاً عن ضررٍ أو إيذاء وصل من الغير إلينا.

وأما فيه تعالى فهو سبب عن العصيان والظلم والتعدّي من شخصٍ أو أشخاص على غيره وذلك لأنه تعالى لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه

طاعة من أطاعه فالعاصي من حيث أنه مُتَعَدٍّ والتعَدِّي مُخل بالنَّظْم مُضر بالجامعة يصير مَغضُوبٌ عليه في الدُّنْيَا والأُخْرَى والحاصل أَنَّهُ فِينَا يَدُلُّ عَلَى التَّقْضِ وَفِي الْوَاجِبِ يَدُلُّ الْكَمَالُ وَالْقَهْرُ وَتَفْصِيلُ الْبَحْثِ فِيهِ فِي مُحَلِّهِ هَذَا تَمَامُ الْكَلَامِ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَمْدِ وَلِنَذْكُرَ فِي خَاتَمَةِ الْبَحْثِ أُمُورًا لَا تَخْلُو مِنْ الْفَوَائِدِ فِي الْمَقَامِ، وَغَيْرِهِ مِنْ سُورَةِ الْقُرْآنِ.

**الأمر الأول:** أَنَّ هَاءَ الضَّمِيرِ نَحْوُ، عَلَيْهِمْ، عَلَيْهِ، فِيهِ، فِيهِمْ، لَهُمْ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ قَدْ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ الْقَارِئُ أَنَّ الْأَصْلَ فِي هَذِهِ الْهَاءِ الضَّمُّ لِأَنَّهَا تَضُمُّ بَعْدَ الْفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ وَالسَّكُونِ، نَحْوُ، أَنَّهُ وَلَهُ وَغَلَامُهُ وَسَمْعُهُ وَمَنُهُ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ وَأَمَّا يَجُوزُ كَسْرُهَا بَعْدَ الْيَاءِ نَحْوُ، عَلَيْهِمْ وَأَيْدِيهِمْ، وَبَعْدَ الْكَسْرِ نَحْوُ بِهِ وَبِدَارِهِ وَضَمُّهَا فِي الْمَوْضِعِينَ جَائِزٌ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَأَمَّا كَسْرُهَا لِتَجَانُسِ مَا قَبْلَهَا مِنَ الْيَاءِ وَالْكَسْرَةِ وَبِكُلِّ قَدْ قَرَأَ وَأَمَّا عَلَيْهِمْ ففِيهَا عَشْرُ لُغَاتٍ وَكُلُّهَا قَدْ قَرَأَ بِهِ خَمْسٌ مَعَ ضَمِّ الْهَاءِ وَخَمْسٌ مَعَ كَسْرِهَا، فَالَّتِي مَعَ الضَّمِّ إِسْكَانُ الْمِيمِ وَضَمُّهَا مِنْ غَيْرِ إِشْبَاعٍ، وَضَمُّهَا مَعَ وَاوٍ وَكَسْرُ الْمِيمِ مِنْ غَيْرِ يَاءٍ وَكَسْرُهَا مَعَ الْيَاءِ.

وَأَمَّا الَّتِي مَعَ كَسْرِ الْهَاءِ فَإِسْكَانُ الْمِيمِ وَكَسْرُهَا مِنْ غَيْرِ يَاءٍ وَكَسْرُهَا مَعَ الْيَاءِ، وَضَمُّهَا مَعَ الْوَاوِ وَالْأَصْلُ فِي مِيمِ الْجَمْعِ أَنْ يَكُونَ بَعْدَهَا وَاوٍ فَالْمِيمُ لِمَجَاوِزَةِ الْوَاحِدِ وَالْأَلْفِ دَلِيلُ التَّنْيِثِ نَحْوَ عَلَيْهِمَا وَالْوَاوِ لِلْجَمْعِ نَظِيرُ الْأَلْفِ.

**الأمر الثاني:** قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ عَشْرَةَ أَشْيَاءَ:

خَمْسَةٌ مِنْهَا فِي صِفَاتِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَهِيَ، اللَّهُ وَالرَّبُّ وَالرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ وَالْمَالِكُ، وَخَمْسَةٌ مِنْهَا مِنْ صِفَاتِ الْعَبْدِ وَهِيَ الْعَبُودِيَّةُ وَالِاسْتِعَانَةُ وَطَلَبُ الْهِدَايَةِ وَطَلَبُ الْإِسْتِقَامَةِ وَطَلَبُ النُّعْمَةِ.

فَانْطَبَقَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ الْخَمْسَةُ عَلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْخَمْسَةِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ لِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لِأَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ**

الْمُسْتَقِيمَ لِأَنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ، وَإِرْزُقْنَا الْإِسْتِقَامَةَ لِأَنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ، وَأَفِضْ عَلَيْنَا سِجَالَ نِعَمِكَ وَكَرَمِكَ لِأَنَّكَ: مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ.

**الأمر الثالث:** قال أهل التحقيق لَمَّا كَانَتْ كَلِمَةُ الْحَمْدِ فَاتِحَةَ الشُّكْرِ جَعَلَهَا اللَّهُ فَاتِحَةَ كَلَامِهِ فِي الْكِتَابِ وَلَمَّا كَانَتْ خَاتِمَةَ الشُّكْرِ جَعَلَهَا اللَّهُ خَاتِمَةَ كَلَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: وَأَخِرَ دَعْوَاهُمْ أَنْ أَلْحَقُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَفَاتِحَةُ كَلَامِ الْعَبْدِ وَخَاتِمَتُهُ بِهِ.

رَوَى عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ مِنْ نُورٍ مَكْنُونٍ مَخْزُونٍ مِنْ سَابِقِ عِلْمِهِ فَجَعَلَ الْعِلْمَ نَفْسَهُ وَالْفَهْمَ رُوحَهُ وَالزَّهْدَ رَأْسَهُ وَالْحَيَاءَ عَيْنَهُ وَالْحِكْمَةَ لِسَانَهُ وَالْخَيْرَ سَمْعَهُ وَالرَّأْفَةَ قَلْبَهُ وَالرَّحْمَةَ هَمَّهُ وَالصَّبْرَ بَطْنَهُ ثُمَّ قِيلَ لَهُ تَكَلَّمَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ لِذِي ذَلِّ كُلِّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ فَقَالَ الرَّبُّ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ وَأَيْضًا فَقَالَ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَطَسَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَكَانَ أَوَّلَ كَلَامِهِ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ أَوَّلَ مَرَاتِبِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَقْلَ وَآخِرَ مَرَاتِبِهَا آدَمَ وَقَدْ نَقَلْنَا أَنَّ أَوَّلَ كَلَامِ الْعَقْلِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَهَكَذَا آدَمُ فَثَبِتَ أَنَّ أَوَّلَ كَلَامٍ لِفَاتِحَةِ الْمَحْدَثَاتِ هُوَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَأَوَّلُ كَلَامٍ لَخَاتِمَتِهَا أَيْضًا هُوَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فَهِيَ الْأَوَّلُ فِي الْكَلِمَاتِ وَالْآخِرُ فِيهَا فَلَا جَرَمَ جَعَلَهَا اللَّهُ فَاتِحَةَ كِتَابِهِ وَقَالَ: أَلْحَقُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَفِيهَا أَسْرَارٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

\* \* \*



## سورة البقرة

إِعلم أَنَّ هذه السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ كُلُّهَا إِلَّا آيَةَ واحدةٍ منها وهي قوله تعالى: **وَأَتَّقُوا** **يَوْمَ مَا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** <sup>(١)</sup>.

فَأنَّها نزلت في حجة الوداع بِمَعْنَى، وَعَدَدُ الآيَاتِ فيها مائتان وستَ وثمانون عند الكوفيِّين وسَبْعٌ عند البصريِّين وخمسٌ عند أهل الحِجَاز وأربعٌ عند الشَّافِي، و عدد الكلمات فيها ( ٦٢٢١ ) و عدد الحروف ( ٢٥٥٠٠ ) فضلها.

عن أبي إمامة عن أبي إِبْنِ كَعْبٍ عن النَّبِيِّ ﷺ قال ﷺ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سِنَامًا و سِنَامُ الْقُرْآنِ سورة البقرة.

و عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال من قرأها فصلوات الله تعالى عليه و رحمته و أعطى من الأجر كالمُرَابِطِ في سبيل الله شنة لا تسكن روعته، و عنه أيضاً قال النَّبِيُّ لي يا أباي مُرالمسلمين أَن يتعلَّموا سورة البقرة فَإِنَّ تعلُّمها بركة و تركها قسرة لا يستطيعها البطله قلت يا رسول الله ما البطله قال السَّحرة.

و عن سهل إِبْنِ سعد قال: قال رسول الله ﷺ: لِكُلِّ شَيْءٍ سِنَامًا و سِنَامُ الْقُرْآنِ سورة البقرة من قرأها في بيته نهاراً لم يدخل بيته شيطان ثلاثة أَيَّامٍ و من قرأها في بيته ليلاً لم يدخل بيته شيطان ثلاثة ليال.



و عن كتاب ثواب الاعمال باسناده الى أبي عبد الله قال عليه السلام: من قرأ سورة البقرة وآل عمران جاء الى يوم القيامة تظلاًنه على رأسه مثل الغيابتين، العياشي عن سعد الإسكاف قال سمعت أبا جعفر يقول قال رسول الله ﷺ أعطيت الطّوال مكان التّوراة وأعطيت المائين مكان الإنجيل أعطيت المئتان مكان الزّبور و فضّلت بالمفصل سبع و ستين سورة.

و عنه قال رسول الله ﷺ: من قرأ أربع آيات من أوّل البقرة و آية الكرسي و آيتين بعدها و ثلاث آيات من آخرها لم يَر في نفسه و ماله و أهله شيئاً يكرهه و لم يضرّ الشّيطان و لم ينس القرآن و الأخبار في فضلها كثيرة جداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

أَلَمْ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)  
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ  
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)  
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ (٥)

### ◀ اللغة

ذَلِكَ: إسم إشارة و الألف من جملة الإسم و قال الكوفيون الدّال وحدها هي الإسم و الألف زيدت لتكثير الكلمة، و أمّا اللّام فحرف زيد ليدل على بعد المُشار اليه و قيل هي بدل من هاء و تقول هذا و هذاك و لا يجوز، هذلك و كُسر اللّام على أصل إلتقاء الساكنين و قيل غير ذلك.

الْكِتَابُ: كتاب بكسر الكاف مصدر قولك، كَتَبَ كِتَابًا و هو ما صَوَّر فيه اللَّفْظ بحروف الهجاء و قال الرّاعب في المُفردات، الْكُتُبُ ضَمُّ أَدِيم الی أَدِيم بالخياطة يقال كتبت الشّئ و كتبت البغلة جمعتُ بين شفرِها بحلقَةٍ و في التّعارف ضَمُّ الحروف بعضها الی بعضٍ بالخطّ و قد يقال ذلك للمضموم بعضها الی بعضٍ باللفظ فالأصل في الكتابة النّظْم بالخطّ لكن يستعار كل واحدٍ لِلاُخر و لهذا سُمِّي كلام الله و إن لم يَكُتَب كتاباً كقوله: أَلَمْ، ذَلِكَ الْكِتَابُ، و الكتاب في الأصل مصدر ثم سُمِّي المكتوب فيه كتاباً و الكتاب في الأصل إسمٌ لِلصّحيفة مع المكتوب فيه انتهى.

واللّام الدّاخِل عليه لِلتّعريف.

لَا رَيْبَ فِيهِ: كلمة لا لِنفي الجنس و الرّيب الشك.  
هُدًى: بضم الهاء مصدر بمعنى إسم الفاعل والألف مُنقلبة عن ياء لقولك  
هَدَيْتُ، والهداية دلالة بلطفٍ ومنه الهدية وقيل الهداية إرشادٌ للخير و  
المال واحد

لِلْمُتَّقِينَ : الْمُتَّقِينَ جمع مُتَّقٍ و هو إسم فاعل من اتَّقَى يَتَّقَى و أصل  
الكلمة من وقى فقاؤها واو و لامها ياء، فإذا بنيت من ذلك، ففعل قُلَيْت الواو تاءً  
و أَدغمتها في التاء الأخرى فَقُلْتُ، اتَّقَى، و يَأُوهُ الَّتِي هي لام محذوفة في  
الجمع لسكونها و سكون حرف الجمع بعدها كقولك مُتَّقُونَ، و مُتَّقِينَ، و وزنه  
في الأصل مُفَعَّلُونَ لِأَنَّ أَصْلَهُ مُؤْتَقِيُونَ فَحُذِفَتِ اللَّامُ لِمَا ذَكَرْنَا فَوَزَنَهُ الْأَنْ  
مُفَعَّلُونَ وَ مُفَعَّلِينَ و إِنَّمَا حُذِفَتِ اللَّامُ دُونَ عِلَامَةِ الْجَمْعِ لِأَنَّ عِلَامَةَ الْجَمْعِ  
دَالَةٌ عَلَى مَعْنَى إِذَا حُذِفَتْ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ دَلِيلٌ فَكَانَ إِبْقَاؤُهَا أَوَّلَى.

### ◀ الإعراب

موضع ذلك رفع على أنه خبر ألم. وَالْكِتَابُ عطف بيان. لَا رَيْبَ فِي  
موضع النصب على الحال ويمكن أن يكون ذلك مبتداء والكتاب خبره و  
لَا رَيْبَ حال فموضع ذلك رفع على الابتداء و وَالْكِتَابُ على الخبر و لَا  
رَيْبَ فوضعة النصب على الحال وكلمة ريب فمعنى عنه الاكثر لانه ركب مع  
لا و صير بمنزلة (خمسة عشر) و علة بنائه تَضَمُّنُهُ مَعْنَى مَنْ إِذِ التَّقْدِيرِ لَا مَنْ  
رَيْبٍ وَ أَحْتِيجُ إِلَى تَقْدِيرٍ مِنْ لَتَدُلْ كَلِمَةُ لَا عَلَى نَفْيِ الْجِنْسِ. هُدًى منصوب  
على الحالية من الهاء. فِيهِ أَيَّ لَا رَيْبَ فِيهِ هَادِيًا فَالْمَصْدَرُ بِمَعْنَى إسم الفاعل. و  
يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُهُ الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُحذُوفٌ أَيَّ هُوَ هُدًى أَوْ أَنَّهُ  
مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ لِلْمُتَّقِينَ وَلِلْمُتَّقِينَ اللَّامُ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ كَائِنٌ أَوْ كَائِنَاتٌ  
وَالْمُتَّقِينَ مَجْرُورٌ بِهِ وَعِلَامَةُ جَرِّهِ الْبَاءُ كَمَا هُوَ الْقَاعِدَةُ فِي الْجَمْعِ فَأَنْ رَفَعَهُ بِالْوَاوِ  
وَنَصَبَهُ وَ جَرَّهُ بِالْيَاءِ الْمَكْسُورِ مَا قَبْلَهَا.

## ﴿التفسير﴾

اختلفوا في الحروف المفتحة بها السور في القرآن فقال بعضهم هي من المتشابهات التي استأثرها الله بعلمها ولا يعلم تأويلها إلا الله وهو المروي عن الأئمة المعصومين وقال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من العامة هي سر الله في القرآن والله في كل كتاب من كتبه سر فهمي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه ولا يجب أن يتكلم فيها ولكن تؤمن بها وتقرأ كما جاءت و ذكر أبو الليث السمرقندي عن عمرو و عثمان و ابن مسعود قالوا الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وقال أبو حاتم ما ندري معناها أقول فكأنه من المتفق عليه بين الفريقين أنه لا يعلم تأويلها ولا تفسيرها إلا الله تعالى و قال جمع من العلماء على ما نقله القرطبي في تفسيره.

بل يجب أن نتكلم فيها ونلمس الفوائد التي تحتها إلى أن قال قالوا في تفسير آلم الألف من الله واللام من جبرائيل والميم من محمد ﷺ وقبل الألف مفتاح اسمه الله والميم مفتاح اسمه مجيد واللام مفتاح اسمه لطيف. روي عن ابن عباس أن تفسيره أنا الله أعلم، والأقوال فيه كثيرة إلا أنه لا معول عليها لأنها إستنباطات شخصية لا ربط لها بتفسير القرآن:

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ.

لاشك أن المراد بالكتاب في الآية القرآن وهو المشار اليه بقوله ذلك و نفي الريب عنه بلاء التي لنفي الجنس المشعر لنفي الريب عنه بالكلية دليل على أن الكتاب منزل من عنده تعالى المنزه عن النقص ذاتاً و صفه اذ لوم كان من عند غيره كائناً من كان لم يكن خالياً من الريب وذلك لأن المخلوق ناقص في حد ذاته لأمكانه و فقره و من كان كذلك يكون ناقصاً في جميع صفاته و أفعاله فكيف يمكن أن يكون كتابه ممّا لا ريب فيه بالكلية إن قلت كيف نفي الريب عن الكتاب و أنه من عند الله مع أننا نرى كثيراً من الناس بل أكثرهم في

كُلَّ عَصْرٍِ وَزَمَانٍ حَتَّى زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا حَكَمُوا بِخِلَافِهِ وَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَضْلاً عَنْ رَبِّهِمْ وَ شَكَّاهُمْ ضَرُورَةً أَنَّهُمْ لَوْ قَطَعُوا بِكَوْنِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَمَنُوا بِهِ فَعَدِمَ إِيمَانُهُمْ بِهِ دَلِيلَ عَلَى قَطْعِهِمْ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى قُلْتُ الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهِ:

**أحدها:** أَن يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ نَفْيِ الرَّيْبِ عَنِ الْكِتَابِ فِي الْوَاقِعِ وَ نَفْسِ الْأَمْرِ لَا فِي الظَّاهِرِ أَيْ أَنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ وَاقِعاً عِنْدَ مَنْ تَعَمَّقَ وَ تَدَبَّرَ فِيهِ وَ حَيْثُ أَنَّ الْمُنْكَرِينَ لَمْ يَتَدَبَّرُوا فِيهِ حَقَّ التَّدَبُّرِ لَا مُحَالَةً وَقَعُوا فِي الشَّكِّ وَ الْإِرتِيَابِ وَ هَذَا كَمَا نَرَى فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَشْكُونَ فِي شَيْءٍ بَلْ يَنْكُرُونَهُ ثُمَّ بَعْدَ التَّأَمُّلِ وَ التَّدَبُّرِ فِيهِ يَنْكَشِفُ لَهُمُ الْخِلَافُ وَ بِالْعَكْسِ فَأَنَّ الْإِنْسَانَ مُحَلَّ الْخِطَأِ وَ النَّسْيَانِ وَ لِأَجْلِ هَذَا أَمَرْنَا بِالتَّفَكُّرِ وَ التَّدَبُّرِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ وَ عَلَيْهِ فُلُو تَعَمَّقَ وَ تَدَبَّرَ الْمُنْكَرَ وَ الشَّاكَّ حَقَّ التَّدَبُّرِ لَعَلَّه أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ هُوَ الْمَطْلُوبُ.

**ثانيها:** أَنَّ الْمُنْكَرِينَ الشَّاكِّينَ مِنَ النَّاسِ عَلَى صَنَفَيْنِ، صَنَفَ الْعُلَمَاءِ، وَ صَنَفَ الْجَهَالِ وَ الْعَوَامِ، أَمَّا الْعُلَمَاءُ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَنَشَأُ إِنْكَارِهِمْ حُبَّ الدُّنْيَا أَوْ التَّعَصُّبَ وَ الْعِنَادَ وَ أَمْثَالُ ذَلِكَ دُونَ قُلُوبِهِمْ فَاتَّهَمُوا كَثِيراً مَا يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ الْوَجْهَ فِيهِ ظَاهِرٌ فَأَنَّ الْعُلَمَاءَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَدْ عِلِمُوا مِنْ كُتُبِهِمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ حَقٌّ وَ الرَّسُولُ صَادِقٌ فِي دَعْوَاهِ وَ الْكِتَابُ مَنَزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْأَنَّهُمْ لَمْ يَتَفَوَّهُوا بِهِ حُبّاً لِلدُّنْيَا وَ الرَّئَاسَةِ أَوْ عِنَاداً وَ تَعَصُّباً وَ أَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَتَرَبِّتَةِ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا فَأَنَّهُ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَ الدَّلِيلُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ يَغْرِفُونَ كَمَا يَغْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَ**

**إِنَّ قَرِيباً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَخْلُمُونَ** <sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ** <sup>(٢)</sup>

فِيهِ التَّرْجُومَةُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جُزْءُ ١

الْجُلْدُ الْأَوَّلُ

قال الله تعالى: يَغْفِرُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ<sup>(١)</sup>

فالإنكار من المنكر لا يدل على جهله أو إنكاره بقلبه اذا كان عالماً وهو واضح.

وأما صنف الجهال فالإنكار منهم باللفظ وان كان حاكياً عن الإنكار القلبي أحياناً إلا أن منشأ الإنكار والعلة فيه هو جهلهم واقعاً وأنهم لم يصلوا الى الواقع بل لم يقدروا عليه لجهلهم وعدم إعلام العلماء حقيقة الأمر لهم لأنهم إن بقوا على جهلهم أولى وأنفع لعلمائهم من كشف الحقيقة لهم لأنهم في صورة العلم بالحقيقة يتفرقون بل يعرضون عن علمائهم ويتبعون الحق وهذا هو السر في إبقائهم العلماء على الجهل وكم له من نظير.

**ثالثها:** أن يكون المراد أن ذلك الكتاب لا ينبغي الإرتياب فيه إما لأنه من عند الله أو لأنه جامع الخيرات والسعادات لمن تدبر فيه وعمل بمقتضاه و عليه فنفي الإرتياب يرجع الى نفيه من جهته هدايته وكونه كافياً وافياً وبعبارة أخرى لا شك فيه من هذه الجهة وهو المطلوب.

**وابعها:** أن يقال الرّيب فيه عند المسلمين المؤمنين لا في غيرهم من الكفار وذلك لأن غير المسلم الذي أنكر خالقه الذي أوجده من العدم كيف يقرّبان القرآن منزل من عنده والإقرار به فرع على الإقرار بالتوحيد و غير ذلك من الوجوه المحتملة في المقام.

إن قلت لما كان الكتاب حاضراً فحقّ الكلام أن يقال هذا القرآن لا ريب فيه وذلك لأنّ هذا، موضع للإشارة الى القريب وذلك ليس للقريب، قلت نقل عن الأخفش أنّه قال، ذلك في المقام بمعنى، هذا، وأنشد قول الشاعر: أقول له والرمح باطر متنه تأمل خفافاً أنني أنا ذا بكاء

أي أنا هذا نقله الطبرسي رحمته الله في المجمع ثم قال يمكن إجراءه على ظاهره أي أنني ذلك الرجل الذي سمعتُ شجاعته وإذا جرى للشئ ذكر يجوز أن يقول السامع هذا كما قلت إنتهى.

وقيل إن الله وعد نبيه صلوات الله عليه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتكم و هذا القول منقول عن القراء وأبو علي الحبائي وقيل معناه هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتكم به في الكتب السالفة عن المبرّد وهذه الوجوه نقلها المفسرون في كتبهم.

قال الزمخشري في الكشف ما لفظه - فإن قلت لم صحّت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد، قلت وقعت الإشارة إلى اللم بعد ما سبق التكلم به ونقضي والمقتضى في حكم المتباعد وهذا في كلّ كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول و ذلك ممّا لا شكّ فيه الى أن قال ولأنّه لمّا وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع فيه حدّ البعد تقول لصاحبك وقد أعطيته شيئاً احتفظ بذلك وقيل معنى ذلك الكتاب الذي وعدوا به إنتهى ما ذكره بلفظه و عباراته.

**أقول** يظهر من كلامه في الوجه الأول أنّ المُشار اليه اللم الذي سبق ذكره في الكلام وعليه فالمعنى لا يستقيم إلّا على القول بأنّ اللم اسم الكتاب أو السورة و ذلك إشارة اليه وهذا القول مضافاً الى ضعفه في حدّ نفسه مردودٌ عقلاً و ذلك لأنّه أن أراد بالمشار اليه أعني اللم لفظه الذي وصل الى السامع ف ذلك ليس إشارة اليه بل الى ما دلّ به عليه وإن أراد جميع السورة أو المُنزّل فقبل أن يصل اليه هذا كان لفظ ذلك على حاله فما ذكره لا يرجع الى محصلٍ وهكذا قوله.

ولأنّه لمّا وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حدّ البعد، إذ القائل أن يقول هذا في غير الخالق والمخلوق له وجه وأما فيه فلا إذا الكل حاضر

عنده ماضى وهو أيضاً حاضر عند الكل بل هو أقرب اليهم من حبل الوريد فالبعد في المقام ليس بمعقول والذي نقول في المقام هو أن الكتاب هو المشار اليه وذلك، ليس للقريب كل ذلك صحيح.

إلا أن القريب قد ينزل منزلة البعيد بالنظر الى الواقع ونفس الأمر وان كان قريباً بالنظر الى الظاهر وبالعكس قد يكون الشيء بعيداً ظاهراً مع أنه قريب واقعاً ونعبر بالقرب والبعد التنزيلي وهو يقابل القرب والبعد الواقعي وهذا كما ترى في أبي لهب وسلمان.

فإن أبالهب قريب للرسول ظاهراً لأنه عمه بعيد عنه واقعاً لأنه عدوه وسلمان بالعكس بعيد عنه ظاهراً قريباً منه واقعاً ولذا قال ﷺ أنه من أهل البيت وهذه القاعدة جارية في جميع الموارد وعليها مدار التخاطب عند البلغاء إذا عرفت هذا فنقول، الكتاب أعني به القرآن وإن كان قريباً في الظاهر حاضراً لدى القارى إلا أنه بعيد عن فهمه وعقله بحسب الواقع وأن شئت قلت ألفاظه ظاهرة قريبة ومعناه بعيدة جداً فنزل في المقام القريب منزلة البعيد فقال تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ و عليه فالمعنى أن ذلك الكتاب الذي لا يحيطون به لأن عقولكم قاصرة من إدراك حقائقه وهو بعيد عن أفهامكم هو هذا الذي بين أيديكم وعليه فاللام في الكتاب للعهد الحاضر فافهم.

قوله تعالى: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ قد مر الكلام في معنى الهداية في سورة الحمد وأنها بمعنى إراءة الطريق أو الإيصال الى المطلوب فلا نعيد الكلام بذكر معناها ثانياً.

والذي نقول في المقام هو أن المصدر بمعنى إسم الفاعل أي أن القرآن هادٍ للمتقين والبحث يقع في مقامين:

**المقام الأول:** في معنى التقوى وأن المتقين من هم.

**المقام الثانى:** في بيان وجه اختصاص الهداية بالمتقين دون غيرهم من الناس.



**أَمَّا الْمَقَامُ الْأَوَّلُ:** فنقول قد مرَّ في شرح اللّغات أنّ المتّقين جمع متّقٍ و أصل الكلمة من (وقى والوقاية في اللّغة الحِفظ فالمُتّقون هم الحافظون لأنفسهم وأعمالهم وأقوالهم عن المحرّمات بل المَكروهات وقيل أنّ التّقوى عبارة عن المواظبة على فعل الواجب وترك الحرام وقيل غير ذلك وأحسن ما قيل في تعريف المتّقين ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المشهورة بخطبة المتّقين من كتاب نهج البلاغة فقال عليه السلام:

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ  
وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى  
الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ إِلَى آخِرِ الْخُطْبَةِ

بتفصيلها وإن شئت الوقوف على معنى الخطبة فعليك بكتاب النهج و شروحه اذ لم تجد أوصاف المتّقين في جميع الآثار مثل ما وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه ونحن بعون الله وتوفيقه قد شرحنا الكتاب من أوله الى آخره شرحاً جامعاً وأفياً مبسوطاً في نحو ثلاثين مجلّد و ذكرنا فيه ما لم يسبقنا اليه أحد من الشّراح ونرجو من الله أن يوفقنا لإتمام التّفسير الذي بين أيدينا إن شاء الله تعالى والآيات والآثار في مدح التّقوى و أوصاف المتّقين أكثر من أن تحصّى ولا شك لأحد أنّه أي التّقوى من أجل النّعم وأحسن الزّاد ليوم القيامة.

و أمّا في مقام البحث فالله تعالى بيّن للمتّقين أوصافاً ستّة هي بمنزلة الأصول:

وهي الإيمان بالغيب، وإقامة الصّلاة، والإنفاق ممّا رزقهم الله سبحانه، و الإيمان بما أنزل على الأنبياء السّابقين، والإيمان بما أنزل على رسول الإسلام، واليقين بالآخرة.

المقام الثاني: في بيان اختصاص الهداية بهم، فنقول لا شك أن القرآن هادٍ

لجميع الناس :

قال الله تعالى: **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ**

**بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** <sup>(١)</sup>

وقال تعالى في مقام آخر: **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَ**

**هُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** <sup>(٢)</sup>

وأمثال ذلك من الآيات وعليه فما وجه اختصاص هداية الكتاب بالمتقين

في المقام.

والجواب عنه هو أن الله تعالى بين أوصاف المتقين في أول البقرة ليعلم

القارئ أن الكتاب بعد الحمد والثناء عليه تعالى موضوع لإبصال المكلف إلى

درجة التقوى بل هي الغاية لإنزال الكتاب على عبده فأن العمل لا يقبل إلا بها

لقوله تعالى: **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** <sup>(٣)</sup> وحيث أنه أراد ذكر المتقين وبيان

أوصافهم ذكر أن الكتاب هادٍ لهم وهو كذلك هذا أولاً.

وثانياً أن الهداية بالكتاب مشروط بالقابلية والإستعداد ولا شك أن

الموصوفين بالتقوى أشد اهتماماً في الإستضاءة بنور القرآن من غيرهم فلا

جرم هدايتهم به أكثر.

إن قلت ظاهر قوله تعالى يدل على أن المتقين قبل هدايتهم بالكتاب كانوا

مُتَّصِفِينَ بها أيضاً فعليه يلزم وجود هدايتين، هداية قبل القرآن وهداية بعده

بسببه وذلك لأنهم لو لم يكونوا مهديين فكيف صاروا متقين وإذا كان كذلك

فبينوا لنا حقيقة الأمر قلت ظاهر الكلام يدل عليه ولذلك ذهب بعض

المُفَسِّرِينَ إلى وجودهما، هداية من الله، وهداية من القرآن ونحن ننقل عين

كلامه بألفاظه و عباراته قال ﷻ و قد وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ لَعَلَّهُ  
إِشَارَةٌ: قوله تعالى: أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ  
فَدَلْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ تَلَبَّسَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْكَرِيمَةِ بِسَبَبِ تَلَبَّسِهِمْ بِلِبَاسِ الْهُدَايَةِ  
مِنْ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَهُمْ أَنَّمَا صَارُوا مُتَّقِينَ أُولَى هَذِهِ الصِّفَاتِ بِهُدَايَةِ مَنْهُ تَعَالَى ثُمَّ  
وَصَفَ الْكِتَابَ بِأَنَّهُ هُدًى لِهَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ  
فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ فَلَعَلَّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الْهُدَايَةَ غَيْرَ الْهُدَايَةِ وَأَنَّ هَؤُلَاءِ وَهُمْ مُتَّقُونَ  
مُحْفَوُونَ بِهُدَايَتَيْنِ، هُدَايَةِ أُولَى بِهَا صَارُوا مُتَّقِينَ وَهُدَايَةِ ثَانِيَةِ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ  
سَبْحَانَهُ بِهَا بَعْدَ التَّقْوَى وَبِذَلِكَ صَحَّتِ الْمَقَابِلَةُ بَيْنَ الْمُتَّقِينَ وَبَيْنَ الْكَفَّارِ  
وَالْمُنَافِقِينَ فَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ يَجْعَلُهُمْ فِي وَصْفِهِمْ بَيْنَ ضَالِّينَ وَمَمَاتِينَ ضَالِلٍ أَوَّلُ  
هُوَ الْمَوْجِبُ لَا وَصَافُهُمُ الْخَبِيثَةُ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَضَالِلٌ ثَانٍ يَتَأَكَّدُ بِهِ ضَالَّتُهُمْ  
الْأَوَّلُ وَيَتَصَفَّوْنَ بِهِ بَعْدَ تَحَقُّقِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ كَمَا يَقُولُ تَعَالَى فِي حَقِّ الْكَفَّارِ:  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ  
غِشَاوَةً<sup>(١)</sup>.

فَنَسَبَ الْخَتَمَ إِلَى نَفْسِهِ تَعَالَى وَالْغِشَاوَةَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَمَا يَقُولُهُ فِي حَقِّ  
الْمُنَافِقِينَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا<sup>(٢)</sup>

فَنَسَبَ الْمَرَضَ الْأَوَّلَ إِلَيْهِمْ وَالْمَرَضَ الثَّانِي إِلَى نَفْسِهِ عَلَى حَدِّ مَا يَسْتَفَادُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا  
الْفَاسِقِينَ<sup>(٣)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ<sup>(٤)</sup>.

وَبِالْجُمْلَةِ الْمُتَّقُونَ وَاقِعُونَ بَيْنَ هُدَايَتَيْنِ كَمَا أَنَّ الْكَفَّارَ وَاقِعُونَ بَيْنَ ضَالَّتَيْنِ

ثُمَّ أُنْزِلَتْ الْهُدَايَةُ الثَّانِيَةُ لَمَّا كَانَتْ بِالْقُرْآنِ فَالْهُدَايَةُ الْأُولَى قَبْلَ الْقُرْآنِ وَيَسَبِّبُ الْفُطْرَةَ إِلَى آخِرِهَا قَالَ تَزَكُّيْ مَصْرَافاً عَلَى إِثْبَاتِ الْهُدَايَتَيْنِ وَالضَّلَالَيْنِ فِي الْمَقَامِ إِنْ شَتَّتَ الْإِطْلَاعَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ فَرَاغَهُ <sup>(١)</sup> وَأَنَّمَا نَقَلْنَا عِبَارَتَهُ بِطَوْلِهَا لِتَنْظُرَ إِلَيْهَا فَلَعَلَّكَ تَفْهَمُ مِنْهَا غَيْرَ مَا فَهَمْنَاهُ عَنْهُ وَكَيْفَ كَانَ لَا نَفْهَمُ مَعْنَى الْهُدَايَتَيْنِ فِي الْمَقَامِ كَمَا لَا نَفْهَمُ مَعْنَى الضَّلَالَيْنِ وَسَيَجِيئُ الْبَحْثُ فِي الضَّلَالَةِ فِي مَحَلِّهِ.

وَأَمَّا الْهُدَايَةُ فَهِيَ مَحَلُّ الْبَحْثِ فِي الْمَقَامِ فَنَقُولُ إِنْ كَانَ مُرَادُهُ تَزَكُّيْ مِنَ الْهُدَايَةِ الْأُولَى الْهُدَايَةُ التَّكْوِينِيَّةُ فَهِيَ خَارِجَةٌ عَنْ مُورِدِ الْبَحْثِ مُضَافاً إِلَى أَنَّهَا تَعْمُ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ وَجَمِيعَ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ وَلَا إِخْتِصَاصَ لَهَا بِالْمُتَّقِينَ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهَا غَيْرُهَا فَيَنْبَغِي أَنْ يُبَيَّنَّهَا وَمَجْرَدُ قَوْلِهِ تَزَكُّيْ فِي آخِرِ كَلَامِهِ أَنَّهَا بِسَبَبِ سَلَامَةِ الْفُطْرَةِ لَا يَكْفِي لِإِثْبَاتِهَا فَقَوْلُهُ أَنَّمَا صَارُوا مُتَّقِينَ أُولَى هَذِهِ الصِّفَاتِ بِهُدَايَةٍ مِنْهُ تَعَالَى ثُمَّ وَصَفَ الْكِتَابَ بِأَنَّهُ هُدًى لِهَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ إِلَى أَنْ قَالَ فَعَلَعْنَا بِذَلِكَ أَنَّ الْهُدَايَةَ غَيْرَ الْهُدَايَةِ كَلَامٌ لَا نَفْهَمُ مَعْنَاهُ وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ هُدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ هُدَايَةِ الْقُرْآنِ وَهُدَايَةِ الرَّسُولِ إِذِ الْكُلُّ يَرْشِدُ الْإِنْسَانَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ فَلَوْ كَانَ مَا ذَكَرَهُ تَزَكُّيْ فِي الْهُدَايَةِ وَالضَّلَالَةِ السَّابِقَةِ قَبْلَ الْهُدَايَةِ وَالضَّلَالَةِ الثَّانِيَةِ حَقّاً لَزِمَ الْجَبَرُ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هَدَى قَوْماً وَهُمْ الْمُتَّقُونَ وَ أَضَلَّ قَوْماً وَهُمْ الْكَافَرُونَ قَبْلَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ بِكِتَابِهِ وَدِينِهِ وَلَا نَعْنِي بِالْجَبَرِ إِلَّا هَذَا وَكَيْفَ يَكُونُ ضَلَالُهُمُ الْأَوَّلُ مُوجِباً لِأَوْصَافِهِمُ الْخَبِيثَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ اللَّهُمَّ الْآءُ أَنْ يُقَالَ أَنَّ الْهُدَايَةَ وَالضَّلَالَةَ فِي مَرْتَبَةِ الْأُولَى كَانَتَا بِإِخْتِيَارِهِمْ لَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُمْ كَذَلِكَ وَلَكِنْ كَلَامُهُ تَزَكُّيْ يَأْبَى عَنْ ذَلِكَ وَمَحْصَلُ الْكَلَامِ أَنَّ الْهُدَايَةَ فِي التَّشْرِيعِ وَاحِدَةٌ لَا ثَانِي لَهَا وَهِيَ الْهُدَايَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ بِمُتَابَعَةِ الرَّسُولِ وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ.

و أما الآيات كقوله تعالى: **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ** <sup>(١)</sup> الخ و أمثالها لا تدل على المدعى أصلاً على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

والذي أوقع بعض المفسرين في هذه الورطات هو جمودهم على ظواهر الألفاظ كما ذكرناه في صدر المبحث و قلنا أن ظاهر اللفظ يقتضي ذلك فأو هداية الكتاب.

للمتقين فرع وجودهم أولاً و من المعلوم أن المتقي لا يكون إلا مهدياً و حيث لا تكون هدايتهم بالقرآن على الفرض حين إتصافهم بالتقوى فلا جرم هدايتهم بالله تعالى أولاً و بالقرآن ثانياً و لم يعلموا أننا اذا قلنا مثلاً، السلاح عصمة للمعتصم، و المال غنى للغني، و العلم نور للعالم، ليس معناه أن السلاح و المال و العلم كل واحد منها سبب لوجود المسبب اذ ليس هناك سبب و مسبب واقعاً و أن كان ظاهر اللفظ يوهمه بل معناه أن المال والغنى واحد و العلم و العالم كذلك و بعبارة أخرى ليس كل واحد منها سبباً لأمر حادث غير ما هم فيه و المقام من هذا القبيل فإن المتقي مهتد بهذا الهدى أعني هداية الكتاب حقيقة لا أن الكتاب أحدث فيه هداية غير ما هو فيه و لذلك ذهب بعض المحققين الى أن، مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ، حقيقة لا مجاز و لا يقال أنه لا مفاد لإثبات القتل لمقتول به، لأن قصد البليغ بمعونة القرنية العقلية أن القتل المتصف به صادر عن هذا القاتل دون غيره فكأنه قيل لم يشاركه فيه غيره فسلبه له دونه غيره فقوله تعالى: **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** معناه أنه لا هدى لهم إلا بكتاب الله و العلم عند الله فهو بكلامه من غيره.

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)

## ◀ اللغة

الَّذِينَ: جمع الذي وأصله اللذين لأن باء الجمع حذفت باء الأصل و  
قد مرّ الكلام فيه عند قوله تعالى صراطُ الَّذِينَ.  
يُؤْمِنُونَ: أصله يَأْمَنُونَ لأنه من الأمان والماضي منه (أمن، فالألف بدل من  
الهمزة الساكنة قلبت ألفاً كراهية اجتماع همزتين.  
بِالْغَيْبِ: هنا مصدر بمعنى الفاعل أي يؤمنون بالغائب عنهم ويجوز أن  
يكون بمعنى المفعول أي الغيب كقوله هذا خلق الله أي مخلوقه.  
يُقِيمُونَ: أصله يُوقِومُونَ وماضيه أقام وأصله أقوم قلبت الواو ألفاً فصار  
أقام: والثلاثي منه قام وأصله قوم والتون فيه مفتوحة لأنها نون الجمع.  
الصَّلَاةُ: في أصل اللغة الدعاء وفي الشرع عبارة عن الأركان المخصوصة  
و ألفها منقلبة عن واو كقولك صَلَوَات و الصَّلَاة مصدر صَلَّى ويراد بها هاهنا  
الأفعال والأقوال المخصوصة فلذلك جرت مجرى الأسماء غير المصادر.  
وَمِمَّا: كلمة ما بمعنى الذي، ويعبر عنها بماء الموصولة.  
رَزَقْنَاهُمْ: متكلم وأصله من رَزَقَ وهم مفعوله الأول والثاني محذوف و  
ذلك لأن رزقنا يتعدى إلى مفعولين، وتقديره رزقناهموه أو رزقناهم أياء و  
يجوز أن تكون ما نكرة موصولة بمعنى شيء رزقناهم أو من مالٍ رزقناهم ولا  
يجوز أن تكون ما مصدرية لأن الفعل لا ينفق ومن للتبعية ويجوز أن تكون  
لإبتداء غاية الإنفاق. و أصل يُنْفِقُونَ يُؤْنَفِقُونَ، لأن ماضيه أَنْفَقَ وقد تقدّم  
نظيره.

## ◀ الإعراب

قوله: **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ** في موضع جرّ صفة للمتّقين والصفة تابعة للموصوف ويجوز أن يكون في موضع نصب على موضع للمتّقين أو بإضمار أعني ويجوز الرفع أيضاً على إضمارهم أعني هم الذين يؤمنون، فيكون خبراً لمبتدأ محذوف أو أنّه مبتدأ وخبره أولئك على هُدًى. بِالْغَيْبِ الغيب مصدر مجرور بالباء. يُقِيمُونَ في موضع الرفع لأنّه معطوف على (يؤمنون) كأنّه قيل **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**، والصّلوة مفعول الفعل موضعها النّصب. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ كلمة من متعلّقة بينفقون والتقدير وينفقون مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ و رزقناهم، لا موضع له من الإعراب لأنّ الصلّة لا موضع لها.

نعم أن قلنا أن ما نكرة موصولة بمعنى، شيء، أي ومن مالٍ رزقناهم فيكون رزقناهم في موضع جرّ صفةٍ لما وقد قلنا أنّ من للتّبعية أو لإبتداء غاية الإنفاق.

## ◀ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ الْقُرْآنَ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ فَكَانَ قِيلَ وَمَا الْمُرَادُ بِالْمُتَّقِينَ، وَمَنْ هُمْ فَقَالَ تَعَالَى: **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** إِلَى آخِرِ الْأَوْصَافِ الْخَمْسَةِ أَوِ السِّتَةِ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَوْصَافاً ثَلَاثَةً، الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ، وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ، وَالْإِنْفَاقَ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ.

نَحْنُ نَبْحَثُ فِي هَذِهِ الْأَوْصَافِ عَلَى تَرْتِيبِ الْآيَةِ وَعَلَيْهِ فَالْبَحْثُ يَقَعُ فِي فُصُولٍ ثَلَاثَةٍ:

### الفصل الأول:

في الإيمان بالغيب و البحث فيه يقع في مقامين:  
المقام الأول: في معنى الإيمان.

المقام الثَّانِي: في معنى الغَيْب والمراد به في المقام.

أَمَّا البحث في المقام الأوَّل فنقول: الإيمان بكسر الألف مصدر والفعل مِنْهُ أَمِنَ وهو مشتق من الأَمْن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف والأَمْن والأمانة والأمان في الأصل مصادر قاله الرَّاغِب في المفردات وقال في المنجد امنه ايماناً، صَدَقَهُ وَثِقَ بِهِ، لَهُ خَضَعُ وانقاد.

وقال في المجمع، الإيمان لغة هو التصديق المطلق إِتِّفَاقاً من الكلِّ ومنه قوله تعالى: وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَشَرَعاً عَلَى الظَّاهِرِ هو التصديق بِاللَّهِ بأن يَصَدِّقَ بوجوده وبصفاته ويرُسِّله لان يَصَدِّقَ بأنَّهم صادقون في ما أَخْبَرُوا به عن اللَّهِ وبكتبه بأن يَصَدِّقَ بأنَّها كلام اللَّهِ وَأَنْ مضمونها حَقٌّ وبالبعث من القبور والصراط والميزان وبالجنة والنار وبالملائكة بأنَّهم موجودون وأنَّهم عباد مكرمون لا يعصون اللَّهَ ما أمرهم ويفعلون ما يُؤْمَرُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللَّهَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ مَطْهَرُونَ من أنواع الشهوات من الأكل والشرب والجماع إلخ غير ذلك مَبْرَأُونَ عن التَّنَاسُلِ والتَّوَالِدِ ليسوا بذكورٍ ولا إناث بل خلقهم اللَّهَ تعالى من نوره وجعلهم رسلاً إلى من يشاء من عباده انتهى.

وقال الرَّاغِب في المفردات والإيمان يستعمل تارةً للشريعة التي جاء بها مُحَمَّدٌ ﷺ وعلى ذلك قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَ

الضَّالِّينَ<sup>(١)</sup>.

ويوصف به كلٌّ من دخل في شريعته مَقْرَأاً بِاللَّهِ وَبِنَبَوْتِهِ قِيلَ وَعَلَى هَذَا قال تعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ<sup>(٢)</sup>.

وتارةً يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحقِّ على سبيل التَّصَدِيقِ وذلك باجتماع ثلاثة أشياء:



تحقيق القلب، وإقرار باللسان، وعَمَلٌ بِحَسَبِ ذَلِكَ بِالْجَوَارِحِ وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ رُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** <sup>(١)</sup>.

وَيَقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِعْتِقَادِ وَالْقَوْلِ الصَّدَقِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ إِيْمَانٌ قَالَ تَعَالَى: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ** <sup>(٢)</sup> أَي صَلَاتِكُمْ.

وَجَعَلَ الْحَيَاءَ وَإِمَاطَةَ الْأَذَى مِنَ الْإِيْمَانِ قَالَ تَعَالَى: **وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا ضَايِقِينَ** <sup>(٣)</sup>.

قِيلَ مَعْنَاهُ بِمَصْدَقٍ لَنَا أَلَّا أَنَّ الْإِيْمَانِ هُوَ التَّصَدِّيقُ الَّذِي مَعَهُ أَمْنٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّاعُوتِ** <sup>(٤)</sup> فَذَلِكَ مَذْكُورٌ عَلَى سَبِيلِ الذَّمِّ لَهُمْ وَأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لَهُمُ الْأَمْنُ بِمَا لَا يَقَعُ بِهِ الْأَمْنُ إِذْ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْقَلْبِ مَا لَمْ يَكُنْ مَطْبُوعاً عَلَيْهِ أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلَى الْبَاطِلِ أَنْتَهَى.

وَقَدْ نَقَلْنَا كَلَامَ الرَّاغِبِ وَقَبْلَهُ كَلَامَ صَاحِبِ الْمَجْمَعِ لِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ إِذَا عُرِفَتْ هَذَا فَنَقُولُ الْإِيْمَانُ وَالْأَسْلَامُ يَخْتَلِفَانِ وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ.

أَمَّا مَوْرِدُ الْفَرْقِ هُوَ أَنَّ الْإِيْمَانِ يَشْتَرِطُ فِيهِ الْإِعْتِقَادُ وَالتَّصَدِّيقُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ

الْخ

بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِاللِّسَانِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الْإِيْمَانُ هُوَ التَّصَدِّيقُ الْمَطْلُوقُ فِي اللَّغَةِ بِالِاتِّفَاقِ وَالتَّصَدِّيقُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فِي الشَّرِيعَةِ فِي الْمَوْرَدِّينِ لِأَبَدٍ لَهُ مِنْ وَجُودِ التَّصَدِّيقِ وَمَجْرَدُ الْإِقْرَارِ لَا يَكْفِي فِي تَحْقِيقِهِ فَكَلَامُ الرَّاغِبِ أَنَّهُ يَسْتَعْمَلُ لِلشَّرِيعَةِ إِلَى قَوْلِهِ وَيُوصَفُ بِهِ كُلٌّ مِنْ دَخَلَ فِي شَرِيعَةٍ مُقَرَّراً بِاللَّهِ وَبِنَبَوَّتِهِ، لَا مَعْنَى لَهُ إِذْ لَيْسَ كُلٌّ مِنْ دَخَلَ فِي الشَّرِيعَةِ بِالِإِقْرَارِ اللَّسَانِيِّ مُؤْمِنٌ وَالذَّلِيلُ عَلَى بَطْلَانِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** <sup>(٥)</sup>.

فِيهِ التَّرْقَاةُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جُزْءُ ١

المجلد الأول

١- الحديد = ١٩

٢- البقرة = ١٤٣

٣- يوسف = ١٧

٤- النساء = ٥١

٥- الحجرات = ١٤

نعم ما ذكره في ثاني المعينين وعبر عنه باستعماله على سبيل المدح فهو صحيح وهذا هو المراد بالإيمان في الشريعة فأَن الإيمان الشرعي عبارة عن الإقرار باللسان أولاً والأعتقاد بالقلب ثانياً، والعمل بالجوارح ثالثاً وما ليس فليس.

وأما الإسلام فهو عبارة عن الإقرار باللسان بالشهادتين فقط ولا يشترط فيه الأعتقاد والعمل فعلى هذا كل مؤمن فهو مُسلم ولا عكس هذا كله في مورد الفرق بينهما.

وأما مورد الاجتماع فهو فيما إذا أُريد من الاسلام ما ذكرناه من الشروط في الإيمان، ولأجل هذه الدققة قال الله تعالى في المقام: **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ولم يقل يسلمون بالغيب ولو قال تعالى يُسلمون بالغيب، لكان جميع المسلمين أعني كل من أقر بالشهادتين، من المتقين وهو كما ترى.

روي صاحب كشف الغمة بأسناده عن الصادق عليه السلام أنه قال: الإيمان ثابت في القلب واليقين خطرات فمرة يقوى فيصير كأنه زُبُر الحديد، ومرة يصير كأنه خِرقة بالية إنتهى.

وفي حديث رفاعة قال عليه السلام: أتدري يا رفاعة لِمَ يُسَمَّى المؤمن مؤمناً قال لا أدري قال عليه السلام: لأنه يؤمن على الله فيُجَزَّ أمانه إنتهى. والمؤمن من أسماء الله تعالى سَمِيَ الله تعالى به لأنه يؤمن من عذابه من أطاعه والآيات والأخبار في فضل الإيمان وشرف المؤمن كثيرة لا بأس بالإشارة إلى بعضها.

قال الله تعالى: **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى** (١)

قال الله تعالى: **يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ** (٢)

قال الله تعالى: **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ** (٣)

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ<sup>(٣)</sup>

والآيات في الباب كثيرة جداً وستمر عليها إن شاء الله تعالى.

ومن الآثار: ما رواه في البحار بأسناده عن الباقر والصادق في قول

الله: العروة الوثقى قال هي الإيمان بالله وحده إنتهى<sup>(٤)</sup>.

وأسناده: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأل عن أهل السماء هل يرون

أهل الأرض قال عليه السلام لا يرون إلا المؤمنين لأن المؤمن من نور

كنور الكواكب قيل فهم يرون أهل الأرض قال لا يرون نوره حيث

ماتوجه ثم قال عليه السلام: لكل مؤمن خمس ساعات يوم القيامة يشفع

فيها إنتهى<sup>(٥)</sup>.

وعن زرارة قال سئل أبو عبد الله وأنا جالس عن قول الله عز وجل

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أيجري لهؤلاء ممن لا يعرف

منهم هذا الأمر قال عليه السلام إنما هي للمؤمنين خاصة إنتهى<sup>(٦)</sup>.

وعنه عليه السلام ليس لأحد على الله ثواب على عمل إلا المؤمنين وأيضاً

قال عليه السلام أن المؤمن ولئى الله يعينه ويصنع له ولا يقول على الله إلا

الحق ولا يخاف غيره.

وقال أن المؤمنين يلتقيان فيتصافحان فلا يزال الله عز وجل مُقبلاً

عليهما بوجهه والذنوب تتحات عن وجوههما حتى يفترقا

إنتهى<sup>(٧)</sup>.

٢- محمد= ٧

٤- ج ١٥ ط كمباني ص ١٧

٦- صفحة ١٨

١- النحل= ١٠٤

٣- لقمان= ٨

٥- ص ١٨

٧- ص ١٨

قال النبي ﷺ: ما من شيء أحب إلى الله من الإيمان والعمل الصالح وترك ما أمر أن يترك، وعنه ﷺ قال لا يعذب الله أهل قرية وفيها مائة من المؤمنين لا يعذب الله أهل قرية وفيها خمسون من المؤمنين لا يعذب الله أهل قرية وفيها عشرة من المؤمنين لا يعذب الله أهل قرية وفيها خمسة من المؤمنين لا يعذب الله أهل قرية وفيها رجل واحد من المؤمنين إنتهى<sup>(١)</sup>.  
وعنه ﷺ قال من آذى مؤمناً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

وعنه ﷺ قال مثل المؤمن كمثل ملك مقرب وأن المؤمن أعظم حرمة عند الله وأكرم عليه من ملك مقرب وليس شيء أحب إلى الله من مؤمن ثابت (ثائب) ومؤمنة ثابتة (تائبة) وأن المؤمن يعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله ولده إنتهى<sup>(٢)</sup>.  
وعنه عن الصادق عليه السلام قال: المؤمن أعظم حرمة من الكعبة إنتهى<sup>(٣)</sup>.

إذا عرفت معنى الإيمان وفضل المؤمن فلنرجع إلى المقام الثاني وهو معنى الغيب والمراد به في المقام.

**المقام الثاني:** في معنى الغيب، قال الراغب في المفردات الغيب مصدر غابت الشمس وغيرها إذا إستترت عن العين يقال غاب عني كذا واستعمل في كل غائب عن الحاسة وعمّا يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب إلى أن قال ويقال للشيء غيبٌ وغائب بإعتباره بالناس لا بالله تعالى فإنه لا يغيب عنه

شَيْءٍ إِلَى أَنْ قَالَ وَالْغَيْبُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ مَا لَا يَقَعُ تَحْتَ  
الْحَوَاسِ وَلَا تَقْتَضِيهِ بَدَايَةُ الْعُقُولِ وَأَمَّا يَعْلَمُ بِخَبَرِ الْأَنْبِيَاءِ وَبَدَفَعَهُ يَقَعُ عَلَى  
الْإِنْسَانِ إِسْمَ الْإِلْحَادِ وَمَنْ قَالَ الْغَيْبُ هُوَ الْقُرْآنُ وَمَنْ قَالَ هُوَ الْقَدَرُ فإِشَارَةٌ مِنْهُ  
إِلَى بَعْضِ مَا يَقْتَضِيهِ لَفْظُهُ وَقَالَ بَعْضُ مَعْنَاهُ يُؤْمِنُونَ إِذَا غَابُوا عَنْكُمْ وَلَيْسَ  
كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ: وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ  
مُسْتَهْزِئُونَ<sup>(١)</sup> انتهى ما أردنا نقله عنه.

فقد ظهر أنَّ الغيب عبارة عن كُلِّ غَائِبٍ عَنِ الْحَاسَّةِ وَعَمَّا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِ  
الْإِنْسَانِ وَعَلَيْهِ فَالْمَرَادُ بِالْغَيْبِ مَا لَا يَقَعُ تَحْتَ الْحَوَاسِ وَلَا تَقْتَضِيهِ بَدَايَةُ  
الْعُقُولِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَهُ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ.

فمعنى الآية أنَّ المؤمنين يعتقدون بقلوبهم بما وراء عالم الطبيعة من  
الحشر والنشر والصراط والحساب وبالجملة كُلِّ مَا غَابَ عَنْ حَوَاسِهِمْ وَلَا  
يُدْرِكُهُ الْعُقُولُ وَهَذَا مَعْنَى عَامٍ يَشْمَلُ جَمِيعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمُصَدَّقُ فِي  
مَا وَرَاءَ عَالَمِ الْمَادَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ اِخْتَلَفُوا فِي الْمَرَادُ بِالْغَيْبِ فِي الْآيَةِ بَعْدَ  
إِتْفَاقِهِمْ عَلَى مَعْنَاهُ اللَّغَوِي.

قال في تفسير الميزان، الغيب خلاف الشهادة وينطبق على ما لا يقع عليه  
الحس وهو الله سبحانه وأياته الكبرى الغائبة عن حواسنا ومنها الوحي وهو  
الذي أشير بقوله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ  
قَبْلِكَ

فالمراد بالإيمان بالغيب في مقابل الإيمان بالوحي والإيقان بالأخرة هو  
الإيمان بالله تعالى ليتم بذلك الإيمان بالأصول الثلاثة والقرآن يؤكد القول  
على عدم القصر على الحس ويحرص على إتباع سليم العقل وخالص اللب  
انتهى.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

وأنا أقول ما ذكره ﷺ لا بأس به إلا أن تقسيمه الإيمان بالأصول الثلاثة للدين أعني كون الإيمان بالغيب في مقابل الإيمان بالوحي والإيمان بالأخرة مما لا يساعده العقل ولا النقل فإن الإيمان على قسمين:

الإيمان بالغيب، والإيمان بالشهود فكل ما ليس بمشهود ولا محسوس فهو داخل في الغيب وعليه فالإيمان بالوحي والإيمان بالله تعالى والإيقان بالأخرة كل هذه الأقسام داخل في الإيمان بالغيب.

وثانياً: كيف يكون الإيمان بالغيب أعني به الإيمان بالله على تفسيره ﷺ في مقابل الإيمان بالوحي والإيقان بالأخرة والحق أن الأخيرين داخلين في الأول فإن المؤمن بالله واقعاً مؤمن بالوحي والأخرة أيضاً لأن الله تعالى قد أخبر بوجودهما بواسطة أنبيائه فكيف يكون مؤمناً به تعالى ولا يكون مؤمناً بقوله وقوله ﷺ والقرآن يؤكد القول على عدم القصر ويحرص على إتباع سليم العقل، كلام متين ونحن نقول به أيضاً ولم نقل أن الإيمان بالغيب مختص بما غاب عن الحواس فقط بل هو وما لا يقتضيه بداية العقول وما ذكره داخل في هذا القيد فتأمل.

إن قلت لم صار الإيمان بالغيب من أوصاف المتقين دون مطلق الإيمان أليس هذا يدل على أن الإيمان بالغيب أفضل من الإيمان بالشهود قلت نعم لاشك في أفضليته عليه ولأجل هذا خص بالذكر والوجه فيه ظاهر على المُنصف المتأمل.

ضرورة وجود الفرق بين الرؤية للشئ والإيمان به وبين عدم الرؤية والإيمان به والثاني أفضل من الأول بمراتب كثيرة والعجب من الألوسي حيث أنكر هذا الأصل في تفسيره عند البحث في هذه الآية وإستدل على إنكاره بخروج الصحابة عن هذا العموم:

وَأَمَّا قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ نَقْلِهِ عَنْ سَنَنِ الذَّارِمِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ الْحَرِثَ  
 بْنَ قَيْسٍ قَالَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ مَا سَبَقْتُمُونَا إِلَيْهِ مِنْ رُؤْيَا رَسُولِ  
 اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ إِيْمَانَكُمْ  
 بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلَمْ تَرَوْهُ أَنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ نَبِيًّا لِمَنْ رَأَاهُ  
 وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَفْضَلَ مِنْ إِيْمَانٍ بِغَيْبٍ ثُمَّ قَرَأَ آيَةَ الْآيَةِ إِلَى  
 قَوْلِهِ: هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

قال الألوسي يا ليت ابن مسعود سكن لوعة الحرث بما ورد عنه ﷺ  
 مرفوعاً (نعم قوم يكونون بعدكم يؤمنون بي ولم يروني)  
 وما كان أغناه ﷺ عما أجاب به إذ يخرج الصحابة عن هذا العموم  
 الذي في هذه الآية كما يشعر به قراءته لها مستشهداً بها وبه.  
 وقال بعض أهل العلم وأنا لا أميل إلى ذلك انتهى ما ذكره بألفاظه.  
 وأنا أقول أما أولاً فالحديث الذي رواه الألوسي نعم قوم يكونون الخ.  
 وقال ليث ابن مسعود سكن لوعة الحرث به، لم يعلم به ابن مسعود  
 والحديث من مجعولات بني أمية ولو كان من كلام رسول الله ﷺ لقال به  
 ليرضي الألوسي في آخر الزمان.

وثانياً أي إشكال عقلاً وشرعاً في خروج الصحابة عن عموم الآية وأي  
 دليل دل على أفضلية الصحابة على من بعدهم من المؤمنين بقول مطلق وهل  
 يحكم العقل السليم على أن من رأى النبي وصار من أصحابه بحسب اللغة  
 دون الواقع أفضل ممن لم يره وآمن به واقعاً وأي فضيلة للإنسان إذا رأى النبي  
 وصاحبه وعاشه لم يؤمن به واقعاً على غيره ولو كان الأمر كما زعمه  
 الألوسي من أن صدق الصحابي يكفي في فضيلة الإنسان كما هو ظاهر كلامه  
 فعلى الإسلام السلام وكيف يقول بهذه المقالة من يدعي العلم والإسلام بل  
 الإيمان وهو يفسر كلام الله بزعمه وهو يعلم أن من الصحابة أبو سفيان و

معاوية و خالد ابن الوليد و مسلم ابن عَقْبَة و الأشعث ابن قيس و أمثالهم مِمَّنْ يستحي القَلَم عن تحرير أسمائهم و يأبى اللِّسَان عن بيان حالاتهم، بل و أخبث منهم من غَضِبَ حقَّ بعث رَسولِ اللَّهِ ﷺ مع أعوانه و أنصاره من الصَّحابة و لم يقنع به فأحرقوا داره و فعلوا بها ما فعلوا حتَّى ماتت ساخطةً عليهم و هؤلاء أصحاب رَسولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ يَقُولُ الألوَسي مُدافِعاً عنهم و أَنَّا لَا أَمِيلُ إِلَى ذَلِكَ أَوْ إِذَا وَصَلَ أَمْرُ الصَّحابة إِلَى هَذَا المَقامِ فِي صدرِ الإِسْلامِ فَلِلَّهِ دَرَجَاتٌ مَسْعُودٌ حَيْثُ قَالَ عِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ إِيمَانَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٍ وَلَمْ يَرَوْهُ، وَالكَلَامُ طَوِيلٌ لِلَّهِمَّ ارْزُقْنَا الإِنصافَ وَجَنِّبْنَا العِتسافَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

### الفصل الثَّاني:

فِي تفسِيرِ قولِهِ تَعَالَى: وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَالبَحْثِ يَقَعُ فِي مَقَامَيْنِ:  
الأوَّلُ فِي الصَّلَاةِ. الثَّانِي فِي إِقامَتِهَا.

**المَقامُ الأوَّلُ فِي الصَّلَاةِ:** فنَقولُ قَدْ مرَّ الكَلَامُ مِنّا فِيها وَقلْنَا أَنها مَصْدَرٌ وَالفِعْلُ مِنّا صَلَّيْ، يَقَالُ صَلَّيْ صَلَاةً وَألفها مُنْقَلَبَةٌ عَن وَاوٍ لِقَوْلِكَ فِي جَمْعِها صَلَوَاتٌ وَهي فِي أَصْلِ اللُّغَةِ بِمعْنَى الدَّعَاءِ وَالتَّبَرُّكِ وَالتَّحْمِيدِ يَقَالُ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ أَي دَعَوْتُ لَهُ وَزَكَيْتُ وَمِنهُ قولُهُ ﷺ إِذَا دَعَى أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيَجِبْ وَإِنْ كانَ صائِماً فَلْيَصِلْ، أَي لِيَدْعُ لِأَهْلِهِ وَصَلَوَاتُ الرِّسُولِ وَصَلَاةُ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي التَّحْقِيقِ تَرْكِيةٌ إِيَّاهُمْ وَمِنَ المَلائِكَةِ هي الدَّعَاءُ وَالِإِسْتِغْفَارُ كما هي مِنَ النَّاسِ هَذَا بِحَسَبِ الأَصْلِ وَأَمَّا فِي الإِصْطِلَاحِ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي عَرَفِ المَتَشَرِّعَةِ هي العِبادةُ المَخْصُوصَةُ أَصْلُها الدَّعَاءُ وَسُمِّيَتْ هَذِهِ العِبادةُ بِها كَتَسْمِيَةِ شَيْءٍ بِاسْمِ ما يَتَضَمَّنُهُ مَجازاً.

قاله الرَّاغِبُ فِي المَفْرَداتِ وَقِيلَ أَصْلُ الصَّلَاةِ فِي الصَّلَاءِ وَمَعْنَى صَلَّي الرَّجُلُ أَنَّهُ أَزَالَ عَن نَفْسِهِ بِهَذِهِ العِبادةِ (الصَّلَاءِ) الَّذِي هُوَ نارُ اللَّهِ الموقَدَةُ وَقَدْ



سُمِّيَ موضع العبادة الصَّلَاةَ ولذلك سَمَّيْتَ الكنائسَ (صَلَوَاتٍ). قال الله تعالى: (لَهْدَمْتَ صَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدَ).

قال الراغب فيها وكيف كان الأمر فلا شك أنها عند المسلمين عبارة عن أفعالٍ مخصوصة من القيام الركوع والسجود وأمثالها مع إذكاري مخصوصة أمرنا الشرع بها وهي من الواجبات بل من أركان الدين فإنه قد ورد أن الإسلام بُني على خمس:

أحدها الصَّلَاةُ ومع ذلك هي أول الفرائض كما قيل ولذلك قد ورد في فضلها والحث عليها من الآيات والأخبار ما لا يُحصى كثيرة ولا بأس بالإشارة إلى بعضها تيمناً وتبركاً فنقول.

قال الله تعالى: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ<sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ<sup>(٥)</sup> والايات كثيرة.

جامع الأخبار - قال رسول الله ﷺ: الصلاة عماد الدين فمن ترك صلاته مُتَعَمِّدًا فقد هدم دينه ومن ترك أوقاتها يدخل الويل

٢- النساء = ١٠٣

٤- النور = ٣٧

١- البقرة = ٤٥

٣- الأنعام = ٧٢

٥- إبراهيم = ٣١

والويل وادٍ في جهنم كما قال تعالى: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: حافظوا على الصلاة فإن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يأتي بالعبد فأول شيء يسأل عنه الصلاة فإن جاء بها تامة وإلا زح في النار إنتهى.

وقال ﷺ: لا تضيعوا صلاتكم فإن من ضيع صلاته حشره الله مع قارون وفرعون وهامان لعنهم الله وأخزاهم وكان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين فالويل لمن لم يحافظ على صلاته. وقال ﷺ: من ترك صلاته حتى تفوته من غير عذر فقد حبط عمله ثم قال ﷺ: بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة إنتهى.

قال ﷺ: من ترك صلاة لا يرجو ثوابها ولا يخاف عقابها فلا أبالي أيموت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً إنتهى<sup>(٢)</sup>.

وعن ثواب الأعمال بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للمصلي ثلاث خصال إذا قام في صلاته يتناثر عليه البر من أعنان السماء إلى مفرق رأسه وتخف به الملائكة من تحت قدميه إلى أعنان السماء وملك ينادي أيها المصلي لو تعلم من تناجي ما أنفقلت إنتهى<sup>(٣)</sup>.

وبأسناده عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ ما بين المسلم وبين أن يكفر إلا أن يترك الصلاة الفريضة متعمداً وتهاون بها فلا يصلّيها إنتهى<sup>(٤)</sup>.

وأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء وإذا انكسر لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء إنتهى<sup>(١)</sup>.

وعن المحاسن بأسناده عن زرارة قال سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله قال عليه السلام: ترك الصلاة الذي أقر به قلت فما موضع ترك العمل حتى يدعه أجمع قال منه الذي يدع الصلاة متعمداً إلا من سكر ولا من علة إنتهى<sup>(٢)</sup>.

وعن تفسير الإمام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من صلى الخمس كفر الله عنه من الذنوب ما بين كل صلاتين و كان كمن على بابه نهر جار يغتسل فيه خمس مرّات لا تبقى عليه من الذنوب شيئاً إلا الموبقات التي هي مجد النبوة والإمامة أو ظلم أخوانه المؤمنين أو ترك التقية حتى يضرّ بنفسه وأخوانه المؤمنين إنتهى<sup>(٣)</sup>.

والأحاديث كثيرة وسيأتي بعضها في تضعيف الكتاب إن شاء الله تعالى.  
المقام الثاني: في إقامتها قال الطبرسي رحمته الله وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ يُؤَدُّونَهَا بِحُدُودِهَا وفرائضها يقال أقام القوم سوقهم إذا لم يعطلوها عن البيع والشراء.  
قال الشاعر:

أقامت غزالة سوق الظرب لأهل العراقيين حولاً قميماً  
وقال أبو مسلم يقيمون الصلاة أي يديمون أداء فرائضها يقال فلان يقيم أرزاق الحند إنتهى.

وقال الفيض رحمته الله في الصافي، يقيمون الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها وحفظ مواقيتها وحُدودها وصيانتها ممّا يُفسدها أو ينقصها إنتهى.

وقال صاحب الكشاف ومعنى إقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وأدابها ومن أقام القُود اذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وجل وعلا: **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**<sup>(١)</sup> من قامت السوق اذا أنفقت وأقامها الى أن قال لأنها اذا حُوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون و اذا عطلت وأضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر لأدائها وأن لا يكون في مؤذيتها فتور عنها ولا توانٍ من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها.

أو أدائها فعبر عن الأداء بالأقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام الى آخر ما قال وبه قال أكثر المفسرين من العامة الذين جاءوا بعده كالألوسي والسيوطي وغيرهما.

وبالجملة كلمات المفسرين حول الآية لا تفاوت فيها إلا من جهة اللفظ والعبارة والمأل في الكل واحد وأتى بعد التفحص في تفاسير العامة والخاصة بقدر الإستطاعة لم أجد في معنى إقامة الصلاة ما يطمئن به القلب وما ذكره في تفسير الآية لا يسمن ولا يغني اذ لو كان معنى الإقامة ما ذكره في تفسيرها في المقام يلزم أن يكون المواظب على الصلاة والمديم عليها في أوقاتها ممن يقيم الصلاة وليس كذلك فإن المواظبة على إتيانها والإدامة عليها أمر حسن لا بحث فيه إلا أن الإقامة شيء آخر والدليل على ما ذكرناه هو أن الخوارج كانوا من المواظبين عليها ليلاً ونهاراً والمحافظين عليها ركوعاً وسجوداً وقياماً وقراءةً والمديمين عليها في أوقاتها من غير تعطيل فهل يمكن أن يقال أنهم من المقيمين للصلاة اذ لو كانوا كذلك لكانوا من المتقين فإن إقامة الصلاة من أوصافهم والمتقي لا يحارب إمام المتقين لقوله ﷺ

يَا عَلِيُّ حَرْبِكَ حَرْبِي وَسِلْمُكَ سِلْمِي وَأَنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْهُمْ كَمَا هُوَ الْحَقُّ فَمَا تَقُولُ فِي صَلَاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ وَهَكَذَا الْأَمْرُ فِي أَكْثَرِ الْمُصَلِّينَ الْمُرَائِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُتَزَهِّدِينَ وَالَّذِينَ لَا تَجِدُ فِي صَلَاتِهِمْ عَيْبَ وَلَا نَقْصَ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ مِنْ حَيْثُ الْقِرَاءَةُ وَالْقِيَامُ وَالرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ وَالِإِذْكَارُ وَغَيْرَهَا مَعَ أَنَّ صَلَاتَهُمْ بَاطِلَةٌ بِالِإِتِّفَاقِ فَضْلاً عَنْ كَوْنِهِمْ مِنَ الْمَقِيمِينَ لَهَا وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُوْجِبُ الْإِضْطِرَابَ فِيمَا ذَكَرُوهُ فِي تَفْسِيرِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُقَالَ مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرَسِيُّ رحمته وَغَيْرُهُ مِنْ مَقْصَرِي الشَّيْعَةِ مِنْ أَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ تَأْدِيتِهَا بِحُدُودِهَا وَفَرَائِضِهَا يَشْمَلُ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ النَّيَّةِ وَالْقُرْبَةِ وَالْخُلُوصِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يَشْتَرِطُ فِي صَحَّتِهَا وَلَا سِيَّمَا الْوَلَايَةَ فَإِنَّهُ مَا تُؤَدِي بِشَيْءٍ كَمَا تُؤَدِي بِهَا عَلَى مَذْهَبِنَا بَلْ نَقُولُ هِيَ الْأَصْلُ فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ وَمَا سِوَاهَا فَرَعَ عَلَيْهَا.

وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْإِقَامَةِ لَهَا هُوَ الْإِقَامَةُ النَّاشِئَةُ مِنْهَا لَا الْإِقَامَةُ فِي الظَّاهِرِ فَمَنْ صَلَّى كَذَلِكَ فَقَدْ أَقَامَهَا وَمَنْ صَلَّى بِدُونِهَا فَقَدْ أَذَاهَا وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِقَامَةِ وَالنَّادِيَةِ فَتَأْمَلُ فِي الْمَقَامِ لَعَلَّكَ تَفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ غَيْرَ مَا فَهَمْنَا مِنْهُ فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ غَيْرُ إِدَائِهَا.

### الفصل الثالث:

فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَهَذَا هُوَ الْوَصْفُ الثَّلَاثُ لِلْمُتَّقِينَ، الْإِنْفَاقُ الْإِعْطَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَلَباً لِمَرْضَاتِهِ وَأَصْلُهُ مِنْ، نَفَقَ الشَّيْءُ مَضَى وَنَفَدَ وَقِيلَ أَصْلُ الْإِنْفَاقِ، الْفَقْرُ مِنْ قَوْلِهِمْ أَنْفَقَ الرَّجُلُ إِذَا إِفْتَقَرَ وَذَهَبَ مَالُهُ ثُمَّ أَنَّ الْإِنْفَاقَ قَدْ يَكُونُ فِي الْمَالِ وَقَدْ لَا يَكُونُ فِيهِ بَلْ فِي شَيْءٍ آخَرَ وَأَيْضاً قَدْ يَكُونُ وَاجِباً وَقَدْ يَكُونُ تَطَوُّعاً وَقَدْ وَرَدَتِ الْآيَاتُ وَالْأَثَارُ فِي مَدْحِهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَاعْلَانِيَةً<sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسُكُمْ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ** <sup>(٣)</sup>

قال بعض المفسرين في معنى الآية أي يتصدقون ويحتملون الكل و يؤدّون الحقوق لأهاليها و يقرضون و يسعفون الحاجات و يأخذون بأيدي الضّعفاء يقودون الضّرائر و ينجونهم من المهالك و يحملون عنهم المتاع و يحملون الرّاجلين على دوابهم و يؤثرون من هو أفضل منهم في الإيمان على أنفسهم بالمال والنفس و يساوون من كان في درجتهم فيه بهما و يعلمون العلم لأهله و يروون فضائل أهل البيت لمحبيهم و لمن يرجون هدايته.

و في المجمع والعياشي عن الصادق عليه السلام ومما علمناهم يبشّون انتهى.

وقال الطبرسي رحمته الله (ما) هذه حرف موصول ورزقناهم صلّته وهما جميعاً به معنى المصدر وتقديره، و من رزقنا إيّاهم ينفقون، قال والرزق هو العطاء الجاري وهو نقيض الحرمان.

و الإنفاق إخراج المال يقال أنفق ماله أي أخرجه عن ملكه انتهى.

و استدل بعض علماء التفسير بهذه الآية على أنّ الرزق لا يكون حراماً و ذلك لأنّ الرزق عبارة عن كلّ ما ينتفع به الحيّ و لا يمكن لأحد منعه منه فيشمل جميع ما ينتفع به كما يقال رزقه الله داراً و عقاراً و ولداً و علماً و غير ذلك و من المعلوم أنّ الله تعالى لا يعطي حراماً لأنّه ممنوع محظور والحاصل أنّ الرزق لا يختصّ بالمال و عليه فالآية تحمّل على العموم أي ينفقون من كلّ ما رزقناهم من المال والعلم والاولاد والنفس وغيرهما في سبيل الله.

وقد نقل عن ابن عباس أنه قال المراد بالإنفاق هنا الزكوة وعن ابن مسعود أن المراد نفقة الرجل على أهله و عياله وقال الضحاك أن المراد به الصدقة و الحق ما قلناه من أنها للعموم وسيأتي الكلام في الإنفاق والإيثار في الآيات الواردة بما لا مزيد عليه إنشاء الله في تضاعيف الكتاب.



وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ  
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ  
رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

### ◀ اللغة

قد مرّ الكلام في، الذين يؤمنون في الآية السابقة بما أُنْزِلَ: ما هاهنا بمعنى الذي أي إنها موصولة ولا يجوز أن تكون موصوفة، أي بشئ أُنْزِلَ اليك اذ لا يكمل إيمان العبد بشئ ممّا أُنْزِلَ على الرّسول بل بعمل الإيمان بكّله. أُنْزِلَ: بضم الالف مجهول، أُنْزِلَ.

إِلَيْكَ: الكاف هنا ضمير المخاطب وهو النّبي ﷺ ويجوز أن تكون ضمير الجنس وتكون في معنى الجمع كما صرح بهذا المعنى في قوله: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ<sup>(١)</sup>.

مِنْ قَبْلِكَ: كلمة، من حرف جرّ وقبل مضافاً إلى الكاف وهي للخطاب. بِالْآخِرَةِ: الباء متعلّقة به يُوقِنُونَ والآخرة، صفة والموصوف محذوف وتقديره بالسّاعة الآخرة أو بالدار الآخرة كما قال تعالى: وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَقَالَ تَعَالَى: وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

هُمْ يُوقِنُونَ: من الإيقان وأصله الإوقان قلبت الواو ياء فصارت إيقاناً واليقين ضدّ الشك.

أُولَئِكَ: صيغة جمع على غير لفظ واحدة و واحدة (ذا) ويكون أولئك للمذكر والمؤنث والكاف فيه، للمخاطب وليست إسماءً إذ لو كانت إسماءً لكانت إمّا مرفوعة أو منصوبة ولا يصحّ شئ منهما إذ لا رافع هنا ولا ناصب وإمّا أن



تكون مجرورة بالإضافة و هي أيضاً لا تصح لأنه مبهم والمُبهمات لا تضاف  
فبقي أن تكون حرفاً مجرداً للخطاب.

عَلَى هُدًى: قد مرَّ معنى الهداية.

مِنْ رَبِّهِمْ: قد مضى معنى الرَّبِّ أيضاً.

الْمُفْلِحُونَ: بضم الميم وكسر اللام صيغة الجمع ومفرده الْمُفْلِح مِنْ أَفْلَحٍ  
يَفْلِح وأصل الفلح الشَّق.

### ◀ الإعراب

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ موضع الَّذِينَ خفض على أنه نعمة للمتقين ويجوز الرِّفع  
على القطع أي هم الذين ويجوز النَّصب على المدح بِالْآخِرَةِ الباء متعلقة  
بِیُوقِنُونَ وَهُمْ يُوقِنُونَ هم مبتدأ يُوقِنُونَ خبره، فموضع، هم، الرِّفع على  
الإبتداء أولئك في موضع الرِّفع على الإبتداء عَلَى هُدًى خبره وحرف الجر  
متعلق بمحذوف أي أولئك ثابتون على هدى مِنْ رَبِّهِمْ في موضع جرٍّ صفة  
لهدى ويتعلق الجار بمحذوف تقديره، هدى كائن، أولئك هم  
الْمُفْلِحُونَ، أولئك مبتدأ، هم مُبتدئتان وَالْمُفْلِحُونَ خبر المبتدأ الثاني و  
خبره، خبر الأول.

### ◀ التفسير

ثم وصف الله المتقين بكونهم مؤمنين بما أنزل الله على محمد ﷺ و  
ما أنزل على من قبله من الأنبياء والرسل والإيقان بالآخرة فهذه أوصاف ثلاثة  
لهم بعد الأوصاف الثلاثة التي مر ذكرها وبعض المفسرين جعل الأوصاف  
كلها خمسة بناءً على عدّه قوله تعالى: يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ  
قَبْلِكَ.

وصفاً واحداً والحق أنهما وصفان لأن الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ لا يلازم الإيمان بما أنزل على الأنبياء قبله وبالعكس فمن قال بالملزمة قال بأن الوصف واحد ومن لم يقل بها جعل الوصف اثنين والأمر سهل بعد وضوح المعنى وكيف كان فالبحث في المقام يقع في فصول أربعة :

**الفصل الأول:** في تفسير قوله تعالى: **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ** قد مرّ المعنى منا في الإيمان، وقلنا أنه، إقرار باللسان وإعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح فالمعنى أن المتقين الذين يقرّون ويعتقدون ويعملون بما أنزل إليك من ربك في الإسلام بمعنى أن كل ما جاء به الرسول من الحلال والحرام وغيرهما مما يرتبط بأمر الأخرى من الحشر والمعاد والسؤال وأمثال ذلك حق لا مرية فيه وهذا الإعتقاد واجب لازم على كل مسلم ولا يكفيه الإعتقاد ببعض دون بعض كما يُستفاد من قوله: **بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ** وقد قلنا في شرح اللغات أن كلمة ما بمعنى الذي وليست بموصوفة.

وإذا كانت كذلك فهي عامّ يشمل الجميع فينتج أن الإيمان لا يكمل إلاّ بجميع ما أنزل على النبي ﷺ.

أن قلت لا نحتاج إلى هذا التوضيح إذ كل مسلم فهو معتقد بالكلّ وهل يمكن أن يكون المسلم معتقداً ببعض دون بعض قلت نعم بل نقول أكثر المسلمين من صدر الإسلام إلى زماننا هذا كانوا على هذا المنوال أيّ إعتقداوا ببعض ما جاء به النبي دون بعض وبعبارة أخرى أكثر المسلمين إختاروا بعد النبي من دينه ما شاؤوا وأرادوا لأنفسهم لا ما شاء وأراد الله ورسوله لهم ومع ذلك عدّوا أنفسهم من المتقين في الآية وزعموا أنهم من الذين يؤمنون بجميع ما أنزل الله عليه والآن أيضاً يظنون كذلك.

ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما أنكروه مما أنزل على الرسول فمنه مسألة الخلافة وهي من المنزل عليه بنص الكتاب قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ**

مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ<sup>(١)</sup> والآية صريحة في المدعى بدليل (ما أنزل إليك) وقد تبين الأمر في غدير خم واخذ منهم البيعة لعلي ثم بعد موته ﷺ أنكروه وبيعوا غيره.

وسياتي تفصيل الكلام في تفسير الآية فإن قال قائل أنه لم ينزل على رسول الله شيء في أمر الخلافة والرسول عمل بها من عند نفسه فقد كذب القرآن وأن قال نزلت الآية في علي والرسول ﷺ أخذ منهم البيعة بأمر من الله تعالى كما هو كذلك فالمدعى ثابت لإنكارهم بعد موته ﷺ.

٢- ومنه مسألة التوارث بين الرسول وإبنته فاطمة عليها السلام :

قال الله تعالى: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ خِطِّ الْأُنثَيَيْنِ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

فأن قالوا بعدم نزول الآية وأنها ليست من القرآن فقد كذبوا الله في كتابه وأن قالوا نزلت في كتاب الله فأنكروها بعد موته ﷺ حيث قالوا أن فاطمة عليها السلام لا ترث أباهما فمنعوها عن إرثها وهو أيضاً واضح وتفصيل الكلام موكول إلى محله.

٣- ومنه تحريم عمر المتعتين لقوله متعتان مُحَلَّلَتان في عهد النبي أنا أحرمهما وأعاقب عليهما، وكلامه صريح بكونهما محللتين في عهد النبي و هو حرّهما.

٤- ومنه إنكار عمر التيمم بعد رسول الله ﷺ قال الله تعالى: فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا<sup>(٤)</sup> وهذا أيضاً إنكار لبعض ما أنزل عليه ﷺ.

٥- ومنه مسألة الفراش، قال رسول الله ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر و معاوية أنكروه وجعل الولد للعاهر فالحق زياد ابن سمية بأبيه وهو مشهور.

٦ - ومنه، قال رسول الله ﷺ البيان بالخيار ما لم يفترها فإذا افترقا وجب البيع، وأبو حنيفة أنكر هذا الحكم وقال بلزوم البيع قبل الافتراق و نظائرها كثيرة جداً.

وقد ادّعى الغزالي وهو منهم أَنَّ أبا حنيفة ردَّ على رسول الله ﷺ أربع مائة حكم و قسَّ على هذا الشافعي ومالك وابن حنبل وأمثالهم ولو لا خوف الإطالة ثمَّ الملالة وخروج كتابنا عما هو موضوع له لنقلنا من المُنكرات التي صَدَّرت منهم ما يعجبك ويستوحشك ولكن فيما نقلناه كفاية في المقام. والحاصل أَنَّ الإيمان بما أنزل عليه ﷺ لا يتحقق إلا بعد الأخذ بجميع ما أنزل عليه والأخذ ببعض لا يكفي ولا يصدق الإيمان بهذا المعنى إلا على إِتِّباع أهل البيت وشيعتهم وذلك ممَّا لا يخفي على أحدٍ من أهل الإنصاف لأنَّهم يعتقدون بجميع ما أنزل على الرِّسول كائناً ما كان و يقرُّون بها و يعملون بها على قدر طاقتهم.

وَأَمَّا أَخْذُوا مَا أَخْذُوا وَاعْتَقَدُوا مَا إِعْتَقَدُوا مِنْ أُنْمَتِهِمُ الْمَعْصُومِينَ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً وَهُوَ وَاضِحٌ.

**الفصل الثَّاني:** في تفسير قوله تعالى: **مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِكَ،** أي أَنَّ الْمُتَّقِينَ كما يلزمهم الإعتقاد بأنَّ جميع ما أنزل على رسول الإسلام حق لا مرية فيه كذلك يلزمهم الإعتقاد بأنَّ الأنبياء من آدم إلى الخاتم كانوا مبعوثين من قبل الله تعالى لإرشاد الخلق و أنَّ جميع ما جئوا به حقَّ إلَّا أنَّ كلام فيه إلَّا أديانهم وشرائعهم منسوخة بالإسلام ولذلك لا يجوز العمل بها بعد مجيئ الإسلام:

قال الله تعالى: **إِنَّ الْأَدِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**

قال الله تعالى: **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي**

**الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (١)

وَأَنَّ دَائِرَةَ النُّبُوَّةِ وَالتَّشْرِيعِ قَدْ خَتَمَتْ بِوُجُودِ الرَّسُولِ الْخَاتَمِ فَلَا رَسُولَ بَعْدِهِ وَلَا دِينَ وَهَذَا هُوَ الْإِعْتِقَادُ الصَّحِيحُ الَّذِي يَجِبُ الْأَخْذُ بِهِ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَقًّا وَمَنْ لَيْسَ فَلَيْسَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ<sup>(١)</sup>  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا<sup>(٢)</sup>  
 وَأَمَّا الْمُنْكَرُونَ الْقَائِلُونَ بِالْفَرْقِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ:  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا<sup>(٣)</sup>

**الفصل الثالث: في تفسير قوله تعالى: وَإِلَى الْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، الآخرة**  
 بكسر الخاء دار البقاء كما أَنَّ الدُّنْيَا دارُ الْفَنَاءِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآخِرَ ضِدُّ الْأَوَّلِ وَمُقَابِلُهُ وَيُعْبَرُ بِالْأَوَّلِ الْآخِرَةَ عَنِ النَّشْأَةِ الثَّانِيَةِ كَمَا يَعْبَرُ بِالْأَوَّلِ الدُّنْيَا عَنِ النَّشْأَةِ الْأُولَى.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنْ أَلْدَارَ الْآخِرَةِ لَهَايَ الْخَيَوَانُ<sup>(٤)</sup>  
 وَرَبَّمَا تَرَكَ ذِكْرَ الدَّارِ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ<sup>(٥)</sup> وَقَدْ تَوَصَّفَ الدَّارَ بِالْآخِرَةِ تَارَةً كَمَا مَرَّ وَتَضَافُ إِلَيْهَا أُخْرَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ) إِلَّا أَنَّ الدَّارَ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى الْآخِرَةِ تَحْتَاجُ إِلَى التَّقْدِيرِ لِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يُضَافُ إِلَى نَفْسِهِ وَالدَّارَ عَيْنَ الْآخِرَةِ وَالتَّقْدِيرُ

٢- النساء = ١٥٢

٤- العنكبوت = ٦٤

١- آل عمران = ٨٤

٣- النساء = ١٥٠/١٥١

٥- هود = ١٦

في قوله تعالى وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ، وَلَدَارُ السَّاعَةِ الْآخِرَةُ، وكيف كان فالمراد بها في الآية وفي كُلِّ موضع هو النشأة الثانية واليَقِين بوجودها من علامة الإيمان: قال الله تعالى: **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** (١)

قال الله تعالى: **وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (٢)  
قال الله تعالى: **إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ** (٣)

واليقين، العلم وزوال الشكَّ وربَّما عبَّروا بالظن عن اليقين وبالعكس وفي الحديث لم يُقسم بين النَّاسِ شَيْءٌ أَقْلَ من اليقين.

وقال علماء الأخلاق اليقين ضد الجهل المركب والحيرة والشكَّ وأول مراتبه إعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غير زائل بشبهة فالإعتقاد الذي لا يطابق الواقع ليس يقيناً وإن جزم به صاحبه واعتقد مطابقتها للواقع بل هو كما أُشير إليه جهلٌ مركب ينشأ من إعوجاج القريحة أو خطأ في الإستدلال أو حصول مانع من افاضة الحقِّ كتقليد أو عصبية فاليقين من حيث إعتبار الجزم فيه يكون ضد الحيرة والشكَّ ومن حيث إعتبار المطابقة للواقع يكون ضدَّ للجهل المركب ثمَّ أنَّ العلم إن لم يُعتبر فيه المطابقة للواقع ففرقه عن اليقين ظاهر وإلا فيتساويان ويتشاركان في المراتب المُنبة في اليقين.

إذا عرفت اليقين ومعناه فاعلم أنَّ اليقين تارةً يتعلَّق بالإيمان ولوازمه من وجود الواجب وصفاته الكمالية وسائر المباحث الالهية من النبوة وأحوال النشأة الآخرة.

وأخرى بغيرها من حقائق الأشياء التي لا يتم الإيمان بدونها.

وقد ثبت في موضعه أن الإيمان متوقف على اليقين بل هو أصله وركنه.  
وأما غيره من المراتب فهو فرعُه وغصنه والنَّجاة في الآخرة لا تحصل إلا به.

والفاقد له خارج عن زمرة المؤمنين داخل في حزب الكافرين.  
وبالجملة اليقين أشرف الفضائل الخلقية وأهمها وأفضل الكمالات  
النفسية وأعظمها وهو الكبريت الأحمر الذي لا يُظفر به إلا أو حَدَي من  
أعظم العرفاء أو المعَي من أكابر الحكماء ومن وصل إليه فاز بالرتبة القصوى  
والسعادة العظمى.

قال رسول الله ﷺ: اليقين الإيمان كله.  
وقال ﷺ: أقل ما أُوْتِمَ اليقين وعزيمة الصبر ومن أوتي حظه  
منها لم يُبال ما فاتته من صيام النهار وقيام الليل.  
وقال ﷺ: ما أدمي إلا وله ذنوبٌ ولكن من كانت غريزته العقل  
وسجّيته اليقين لم تضربه الذنوب لأنه كلما أذنب ذنباً تاب و  
استغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة.  
وقال الصادق عليه السلام: أن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند  
الله من العمل الكثير على غير اليقين.

والأحاديث في فضله كثيرة نقلناها عن جامع السعادات<sup>(١)</sup>.  
إذا عرفت اليقين وفضله فقد علمت لم جعل الله تبارك وتعالى اليقين  
بالآخرة من أوصاف المتقين وذلك لأن اليقين بالآخرة من الإيمان بالغيب و  
حيث أن الإيمان بالغيب من أول الأوصاف له فمن لم يؤمن بالآخرة ليس من  
المتقين أصلاً ومن ليس منهم فهو خارج عن البحث في المقام.

إن قلت ما فائدة اليقين و أي أثر يترتب عليه في الدِّين والأخرة و على فرض ترتب الأثر عليه هل هو في الأخرة فقط مثل أن يُثاب عليه في عالم البقاء لكونه من الإعتقادات الصحيحة المطلوبة للشَّارع أو أن ترتب الأثر في الدارين.

وعلى الثَّاني فما هو، قلت لليقين بالأخرة أثار كثيرة في الدارين أما الأخرة فلا بحث فيه لأنَّ صاحب اليقين في أعلى مرتبة الإيمان فالعمل الصادر منه مطلوب للشَّارع وهو عليه مثاب يوم القيامة.

و ثانياً: أنه بركة اليقين صار أفضل من الملائكة فهو في الحقيقة في زمرة الصَّديقين ومعدود في الأولياء الصَّالحين ومحشور غداً مع الأنبياء المرسلين. و أمّا أثاره في الدنيا فأقلُّها المواظبة على الأعمال والأقوال و ذلك لأنَّ صاحب اليقين بالأخرة لا يعمل ولا يقول ما ينافي الأخرة فإنَّ المفروض يقينه بها والسؤال عنه فيها و من اعتقد إعتقاداً جازماً بأنَّه مسؤول في الأخرة عمّا يعمل و يقول فلا محالة يخالف هواه لأنَّه يعلم أنَّ النَّفس لأمرة بالسوء فلا يقول إلا حقاً و صدقاً ولا يعمل إلا عملاً صالحاً ولا يظلم ولا يغتاب وهكذا. ولولم يكن في اليقين بالأخرة أثر في الدنيا إلا هذا لكفي، إن قلت إن كان اليقين بالأخرة يوجب الصَّلاح والسَّداد في الدِّين والخروج من حضيض النَّاسوت الى أوج الملكوت والعمل بمقتضى الشَّرع فلم لا يحصل لنا هذا المقام في طول حياتنا مع إعتقادنا بالأخرة فإنَّ اليقين بالأخرة بعد نشأة الدِّنيا ممّا لا يشكّ فيه مُسلم وهو واضح قلت لليقين ثلاث مراتب:

علم اليقين، عين اليقين، حقّ اليقين، ولكلّ مرتبة منها أثر مخصوص به و لتوضيح المراتب نقول.

الاول: علم اليقين فهو عبارة عن الإعتقاد الثَّابت الجازم المطابق للواقع و هو يحصل من الإستدلال باللوازم على المَلزوم.



وإن شئت قلت من الأثر على المؤثر ومثاله اليقين بوجود النار من مشاهدة الدخان فأدّ الرائي إذا رأى الدخان من بعيد يحصل له اليقين بوجود النار لأنّ الأثر دالّ على المؤثر.

**ثانيها:** عين اليقين، وهو مشاهدة المطلوب ورؤيته بعين البصيرة والباطن وهو أقوى في الوضوح والجلال من المشاهدة بالبصر والى هذه المرتبة أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله لم أعبد ربّاً لم أره، بعد سؤال ذعلب اليماني منه، أريت ربك، ويقول عليه السلام (رأى قلبي ربّي) ومثاله في المحسوسات اليقين بوجود النار عند رؤيتها عياناً.

**ثالثها:** حقّ اليقين وهو أن تحصل وحدة معنوية وربط حقيقي بين العاقل والمعقول بحيث يرى العاقل ذاته رشحة من العقول ومربطاً به غير منفك عنه ويشاهد دائماً ببصيرته الباطنية فيضان الأنوار والأثار منه اليه.

ومثاله اليقين بوجود النار بالدخول فيها من غير إحتراق وهذا المقام لا يحصل إلا ليكمل الغارمين بالله المستغرقين في لجة حبه وأنسه وقد زاد أهل السلوك على هذه المراتب مرتبة أخرى وعبر عنها بحقيقة حقّ اليقين والفناء في الله وهو أن يرى العارف ذاته فانياً في أنوار الله محترقاً في سمات وجهه بحيث لا يرى استقلالاً ولا تحصيلاً أصلاً ومثاله اليقين بوجود النار بدخوله فيها واحتراقه منها، إذا عرفت مراتب اليقين فأعلم أنّ الآثار المترتبة على اليقين في الشأنتين مختلفة باختلاف مراتبها فصاحب اليقين أن كان في المرتبة الأولى منها لا يترتب على يقينه ما يترتب على المرتبة الثانية مثلاً وهكذا كما أنّ الإيمان أيضاً له مراتب فكلّ مرتبة من الإيمان يلزم يقيناً مناسباً لها فقوله تعالى: **وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** يحمل على العموم الشامل للمراتب كلّها وهو أولى.

**الفصل الرابع:** في تفسير قوله تعالى: **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** وهذه الآية بمنزلة النتيجة لما تقدّم منها في هذه السورة وأن شئت قلت كأن هذه الآية جزاء من ربهم وبشارة لهم حيث يقول الله تعالى **أُولَئِكَ** أعني المتقين المتصفين بالأوصاف المذكورة على هدى من ربهم أي على طريق الهداية والفلاح والسعادة في الدارين ففي الحقيقة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقيل في معناها أي على دين ربهم وقيل على دلالة وبيان عن ربهم وإنما قال تعالى من ربهم، لأن كل خير وهدى فمن الله تعالى أما لأنه فعله وأما أنه عوض له بالدلالة عليه والإنباء على فعله وعلى هذا يجوز أن يقال أن الإيمان هداية منه تعالى وأن كان من فعل العبد ثم كرّر تضخيماً فقال: **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** قاله الطبرسي رحمته في المجمع.

قال بعض العلماء أن الفلاح في العرف الظاهر بالمطلوب والنجاة من المرهوب إنتهى.

وعليه فمعنى قوله تعالى: **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** أولئك هم الظافرون بالمطلوب والناجون من المرهوب.

وقال الشيخ في التبيان المفلحون، هم المنجون الذين ادركوا ما طلبوا من عند الله بأعمالهم وإيمانهم، والفلاح النجاح قال الشاعر:

إعقلي إن كنت لما تعقلى      ولقد أفلح من كان عقل

تذنب في أولئك لغات فلغة أهل الحجاز، أوليك بالياء وأهل نجد وقيس وربيعة وأسد يقولون، أولئك به همز، وبعض بني سعيد من بني تميم يقولون الأك مشددة وبعضهم يقول ألاك كما قال الشاعر:

ألاك قوم لم يكونوا شابة      وهل يعظ الصليل إلا ألاك

وقالوا أن، أولاء للقريب وهؤلاء للبعيد وأولئك للمتوسط، والكاف

للخطاب، وأولئك إسمٌ مُبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الإشارة اليه كقولك في الواحد ذاك.

وأولاء جمع ذاك في المعنى وقد قرأ همزة من بين القراء، أولئك بالمد، و  
الباقون بالقصر إنتهى، ما أردنا ذكره في التذنيب وأنما أطنبنا الكلام فيه لتكرره  
في القرآن كثيراً.



إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ  
تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

### ◀ اللغة

إِنَّ الَّذِينَ: إِنَّ من حروف المُشَبَّهة بالفعل وهو يفيد للتأكيد والتحقيق.  
الَّذِينَ: قد مرّ الكلام فيه.

كَفَرُوا: فعل ماضي والواو للجمع وأصل الكفر السّتر.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ: سواء بفتح السين مصدر واقع إسم الفاعل، وهو مُستو، وهو  
أي المستوي يعمل عمل يستوي ومن أجل أنّه مصدر لا يثنى ولا يُجمع و  
الهمزة في سواء، مبدلة من ياء.

ءَأَنذَرْتَهُمْ: بهمزتين وقرأ ابن المحيص به همزة واحدة على لفظ الخبر و  
همزة الإستفهام فريدة ولكن حذفوها تخفيفاً، وأَنذَرْتَهُمْ فعل ماضي من أُنذِر  
و التاء للمخاطب، نحو أكرمت، وأعلّمت وهم مفعول الفعل.

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ: أَمْ، هذه معادلة لهمزة الإستفهام وتُنذِرْهُمْ،  
مضارع أُنذِر ويؤمنون قد مرّ معناه.

### ◀ الإعراب

الَّذِينَ في موضع النّصب لأنّه إسم أنّ وعلامته الياء، وكفروا صلة الذين و  
الموصول مع صيلة، في محلّ النّصب و أمّا خبرها فيمكن أن تكون الجملة  
أعني بها سواء عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ وعليه فيكون سواء مرفوع  
على الابتداء والجملة بعده خبره والمبتدأ والخبر في موضع رفع بأنها خبر و  
قوله لَا يُؤْمِنُونَ حال من الضمير المنصوب وقيل أنّ لَا يُؤْمِنُونَ خبر أنّ وقوله  
تعالى سواء الى قوله أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ، جملة معترضة بين المبتدأ والخبر وكلا  
الوجهين ممّا لا بأس به.

## ◀ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَوْصَافَ الْمُتَّقِينَ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ أَرَدَفَ كَلَامَهُ بِذِكْرِ الْكَفَّارِ فَقَالَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا الْخ. وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفْرَ يُقَابِلُ الْإِيمَانَ ثُمَّ أَتَاهُمْ بِإِخْتِلَافٍ فِي مَحَلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ عَلَى قَوْلَيْنِ فَمَنْ قَالَ بِالْعُمُومِ قَالَ بَأَنَّ الْمُرَادَ مَطْلُقَ الْكَفَّارِ وَمَنْ قَالَ بِالْخُصُوصِ قَالَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ وَفِي خَمْسَةٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ قَادَةِ الْأَعْرَابِ قَتَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ وَإِخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ الرَّبِيعُ ابْنُ أَنَسٍ وَابْلَخِي وَالمَغْرِبِيُّ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ نَزَلَتْ فِي أَعْيَانِهِمْ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَقَالَ قَوْمٌ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ ثُمَّ قَالَ صَاحِبُ التَّبْيَانِ بَعْدَ نَقْلِهِ الْأَقْوَالِ الْمَذْكُورَةَ وَالَّذِي نَقُولُهُ أَنَّهُ لَا يَبْدَأُ أَنْ تَكُونَ مَخْصُوصَةً لِأَنَّ حَمْلَهَا عَلَى الْعُمُومِ غَيْرُ مُمْكِنٍ لِأَنَّا أَنَا عَلِمْنَا أَنَّ فِي الْكَفَّارِ مَنْ يُؤْمِنُ فَلَا يُمْكِنُ الْعُمُومُ وَأَمَّا الْقَطْعُ عَلَى وَاحِدٍ مِمَّا قَالُوا فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ أَنْتَهَى.

**أَقُولُ** لَا يَبْدَأُ لَنَا أَوَّلًا بَيَانُ مَعْنَى الْكُفْرِ وَالْإِنْذَارُ فِي الْآيَةِ ثُمَّ التَّكَلُّمُ فِي عُمُومِهَا وَخُصُوصِهَا فَنَقُولُ الْكُفْرَ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ، السَّتْرُ.

قَالَ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ الْكُفْرَ فِي اللَّغَةِ سَتْرُ الشَّيْءِ وَوَصَفَ اللَّيْلَ بِالْكَافِرِ لِسْتَرِهِ الْأَشْخَاصَ، وَالزَّارِعَ لِسْتَرِهِ الْبَذْرَ فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ قَالَ وَكُفْرَانَ النِّعْمَةِ سَتَرَهَا بِتَرْكِ أَدَاءِ شُكْرِهَا أَنْتَهَى.

قَالَ الشَّيْخُ الطَّوْسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّبْيَانِ، وَفِي الشَّرْعِ عِبَارَةٌ عَمَّنْ جَحَدَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَعْرِفَتَهُ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَعَدْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ نَبِيِّهِ وَالْأَفْرَارَ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ أَرْكَانِ الشَّرْعِ فَمَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ كَانَ كَافِرًا أَنْتَهَى.

وَقَدْ رَوَى فِي تَفْسِيرِ الْبَرْهَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ الرَّبِيعِيُّ قُلْتُ لَهُ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبِرْنِي عَنْ وَجْهِ الْكُفْرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْكُفْرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ:

منها كفر الجحود، وكفر الجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله وكفر البراءة وكفر النعم، فأما كفر الجحود بالربوبية، وهو قول من يقول لا رب ولا جنة ولا نار وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم الدهرية وهم الذين يقولون ما يهلكنا إلا الدهر.

وهو دين وضعوه لأنفسهم بالإستحسان منهم على غير تثبيت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون قال الله عز وجل (إِنْ هُمْ إِلَّا لِيُظْلَمُوا) وقال: (أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يعني بتوحيد الله فهذا أحد وجوه الكفر وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفته وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد إستقرَّ عنده وقد قال الله عز وجل: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا<sup>(١)</sup> وقال الله عز وجل: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِجُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ<sup>(٢)</sup> فهذا تفسير وجهي الجحود والوجه الثالث من الكفر كفر النبي وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان: هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَظْعَرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَذِيبٌ كَرِيمٌ<sup>(٣)</sup> وقال: لَسِنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَسِنُ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ<sup>(٤)</sup> وقال: فَادْكُرُوا نِيَّيَ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ<sup>(٥)</sup> والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عز وجل به وهو قول الله عز وجل: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ. ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ

فيه القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

٢- البقرة = ٨٩

٤- إبراهيم = ٧

١- النمل = ١٤

٣- النمل = ٤٠

٥- البقرة = ٥٢

أَسَازِي تُفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ<sup>(١)</sup> فَكُفِّرْهُمْ بِتَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ وَ نَسِبْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُمْ وَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ عِنْدَهُ فَقَالَ: فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ<sup>(٢)</sup>

والوجه الخامس - من الكفر كفر البراءة و ذلك قول الله عَزَّ وَجَلَّ يحكي قول إبراهيم: كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَأَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَ الْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ<sup>(٣)</sup> يعني تبرأنا منكم وقال يذكر إبليس وَ تَبَرَّئْتُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ مِنَ الْإِنْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ<sup>(٤)</sup> وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا<sup>(٥)</sup> يعني تبرأ بعضكم من بعض انتهى.

أقول و يظهر من هذا الحديث أنَّ أصناف الكفر في الشَّرْعِ على أقسام الخمسة المذكورة الحديث: كفر الجحود بقسميه و كفر النُّعم و ترك ما أَمَرَ اللَّهُ به و كفر البراءة.

و أمَّا الكفر المبحوث عنه في الآية الشَّرِيفَةِ الَّتِي نحن بصدد تفسيرها هو الكُفْرُ الجحود بالربوبية و هو القسم الأول من قسمي الجحود كما صَرَّحَ بِهِ الإمام عَلِيُّ فِي الْحَدِيثِ وَ عَلَيْهِ فَلَخَفَاءُ فِي تَفْسِيرِهَا إِذِ الْمَعْنَى أَنَّ الْمُنْكَرِينَ لِرَبُوبِيَّتِهِ تَعَالَى يَسَاوِي فِي حَقِّهِمُ الْإِنْذَارُ وَ عَدَمُهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَى الْإِنْذَارِ الْإِنْذَارُ مِنْ عِقَابِهِ تَعَالَى وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْخَوْفَ مِنْ عِقَابِهِ فَرَعٌ عَلَى مَعْرِفَتِهِ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بَلْ أَنْكَرَ وَجُودَهُ كَيْفَ يَخَافُ مِنْ عِقَابِهِ وَ هُوَ وَاضِحٌ.

فبناء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

٢- البقرة = ٨٥

٤- إبراهيم = ٢٢

١- البقرة = ٥٨

٣- الممتحنة = ١٥

٥- العنكبوت = ٢٥

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى  
أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)

### ◀ اللغة

الخَتَمَ: في الأصل الطَّبع وهو تأثير الشَّيْ كنفش الخاتم والطَّابع وقيل، الأثر  
الحاصل عن النَّقش ويتجوز بذلك تارةً في الاشتياق من الشَّيْ والمَنع منه  
إعتباراً بما يحصل من المَنع بالخَتَم على الكُتُب والأبواب وتارةً في تحصيل  
أثرٍ عن شَيْءٍ إعتباراً بالنَّقش الحاصل وتارةً يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل  
خَتَمْتُ الْقُرْآنَ أي انتهيتُ إلى آخره. قاله الرَّاعِب في المفردات.  
قُلُوب: جمع قلب.

سَمِعِهِمْ: السَّمْع مصدر قولك سَمَعَ يَسْمَعُ سَمْعاً.  
أَبْصَارِهِمْ: جمع بَصَرٍ.  
غِشَاوَةً: الغِشَاوَة مصدر غَشِيَ غِشَاوَةً ما يغطِّي به الشَّيْ غِشِيه.  
عَذَابٌ: بفتح العين معناه واضح.

### ◀ الإعراب

خَتَمَ فعل ماضٍ الله فاعله عَلَى قُلُوبِهِمْ الجار والمجرور متعلق بقوله خَتَمَ  
وهكذا قوله: وَعَلَى سَمْعِهِمْ، متعلق به بحكم العطف وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ  
غِشَاوَةً بِالْغِشَاوَةِ إن قرأ بالزَّع كما هو المشهور بين القراء فهو مبتدأ مؤخر و  
على أبصارهم خبره مقدم عليه، وأن قرأ بالنَّصَب كما نقل عن بعض القراء  
فالعامل فيه فعل مقدَّر أي جَعَلَ على أبصارهم غِشَاوَةً ولا يجوز أن ينتصب  
بخَتَمَ، لأنَّه لا يتعدَّى بنفسه وفي الغِشَاوَةِ ثلاث لغات:



كسر القين وفتحها وضمها، والمشهور الكسر لَهْمُ عَذَابٌ مبتدأ وخبر و  
الخبر قُدِّمَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ.  
على المبتدأ وعلى قول الأحفش. عَذَابٌ عذاب مرفوع بالجار كارتفاع  
الفاعل بالفعل وهكذا وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ عظيم، صفة للعذاب وفيه  
ضمير يرجع اليه كما هو شأن الصفة.

### ◀ التفسير

بعد ما قال الله تعالى في الآية السابقة إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا، سواء عليهم  
الإنذار وعدمه قال تعالى في هذه الآية خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ أي شهد عليها  
بأنها لا تقبل الحق يقول القائل، أراك تَختَم على كل ما يقول فلان أي تشهد به  
وتصدقه وقد خَتَمْتُ عليك بأنك لا تعلم أي شهدت وذلك إستعارة وقيل  
أَنْ، خَتَمَ بمعنى طَبَعَ فيها أثراً للذنوب كالسمة والعلامة لتعرفها الملائكة  
فَيَتَبَرَّأُوا مِنْهُمْ ولا يوالوهم ولا يستغفروا لهم مع إستغفارهم للمؤمنين وقيل  
المعنى في ذلك أَنَّهُ ذَمَّهُمْ بِأَنَّهُمْ كَالْمَخْتُومِ عَلَيْهَا فِي أَنَّهَا لا يَدْخُلُهَا الْإِيمَانُ ولا  
يُخْرِجُ عَنْهَا الْكُفْرَ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لقد أَسَمَعْتُ لو ناديتُ حَيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

أي كَأَنَّهُ لا حياة فيه والختم آخر الشيء ومنه قوله تعالى وختامه مسك ومنه  
خاتم النبیین أي آخرهم ومنه ختم الكتاب لأنه آخر حال الفراغ منه وهذه  
الوجوه ذكرها الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّبْيَانِ ثُمَّ قَالَ وما يَخْتَمُ اللَّهُ عَلَى الْقُلُوبِ مِنْ  
السَّيِّئَةِ وَالْعِلْمَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا لَيْسَتْ بِمَانِعَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ كَمَا أَنَّ خَتَمَ الْكِتَابِ وَ  
الظَّرْفِ وَالْوَعَاءِ لَا يَمْنَعُ مَنْ أَخَذَ مَا فِيهِ، إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقِيلَ أَنَّ قَوْلَهُ  
تَعَالَى: خَتَمَ اللَّهُ، إِبْخَارٌ عَنْ تَكْبَرِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ لَمَّا دَعَا إِلَيْهِ مِنَ  
الْحَقِّ كَمَا يَقَالُ فُلَانٌ أَصَمَّ، عَنْ هَذَا الْكَلَامِ إِذَا امْتَنَعَ عَنْ سَمَاعِهِ وَرَفَعَ نَفْسَهُ عَنْ  
تَفْهَمِهِ انْتَهَى مَا نَقَلْنَاهُ عَنْهُ.

وقال الطبرسي رحمته في المجمع قيل في معنى الختم وجوه:  
أحدها أنَّ المراد بالختم العلامة وإذا انتهى الكافر من كفره إلى حالة يعلم  
الله أنه لا يؤمن فأنه يعلم على قلبه علامة وقيل هي نقطة سوداء تشاهدها  
الملائكة فيعلمون بها أنه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه إلى آخر ما  
قال.

ثم نقل أقوالاً في أمثالها من الآيات وأنَّ المراد بالختم ما هو أن شئت  
الإطلاع عليه فراجعه في تفسيره.

وقال البيضاوي من العامة المراد أنَّ الله تعالى يحدث في نفوسهم هيئة  
تؤمّنهم على إستحباب الكفر والمعاصي وإستباح الإيمان والطاعات  
بسبب غيهم وإنهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل  
قلوبهم بحيث لا ينفذ فيه الحقّ وأسماعهم تعاف إستماعه فتصير كأنّها  
مستوثق منها بالختم وأبصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الأنفس  
والأفاق كما تجتليها أعين المستبصرين فتصير كأنّها غُطّي عليها وحيل بينها و  
بين الأبصار وسمّاه على الإستعارة ختماً وتغشية انتهى ما ذكره بألفاظه.

وبه قال الزمخشري في الكشف والبيضاوي أخذ عنه وغيره من مفسرين  
العامة لم يأتوا بشيء يعتمد عليه بل أخذ هذا من هذا وذاك من ذاك والكشف  
من أحسن التفسير عندهم لأنَّ مؤلفه من أكابر علماء أهل السنة وقد إعترفوا  
بالفضل له.

وحيث أنَّ الآية الشريفة بظاهرها تدل على الجبر لأنَّ الله تعالى إذا ختم و  
طبع على قلب العبد الكفر وجعل على بصره غشاوة فماذا يصنع العبد ضرورة  
عدم قدرة العبد على خلاف ما ختم على قلبه وسمعه وبصره وحيث أنَّ  
المطبوع عليه الكفر فلا يقدر العبد على الإيمان وإذا لم يقدر عليه فما ذنبه ثمَّ  
كيف يعاقب ويحاسب على الكفر المطبوع على قلبه من الله غداً في القيامة و

المفروض أن الله تعالى قائم بالقسط وأنه ليس بظلام للعبيد وهذا هو أصل الإشكال في المقام الذي جعل الناس حيارى واختار كل واحد من المفسرين مسلكاً وحمل الآية عليه ولم يعلم أنه وقع فيما هرب عنه ومحصل الكلام أن المقام من مزال الأقدام وكم لها نظير في الآيات.

وقد ذكرنا في صدر البحث نقلاً عن صاحب التبيان والمجمع محاملهما في الآية.

وأقوال الناس فيها وكيف كان لما كانت المسألة اعتقادية قالوا فيها ما قالوا فلا بد لنا أيضاً أن نتكلم فيها بقدر الفهم والإستطاعة في هذا المقام ليسهل علينا البحث في نظائرها فيما يأتي.

فنقول إختلف الناس في هذا الختم والمراد به في المقام فقال بعضهم أن العبد لا يقدر معه على الإيمان وقال بعضهم يقدر عليه وذلك الخلاف أننا نشأ من إختلافهم في أفعال العباد هل هي من الله تعالى أو من العبد أو منهما معاً فالأقوال والمسالك ثلاثة:

**الأول:** أن يكون فعل العبد مخلوقاً له تعالى لا تأثير للعبد فيه أصلاً وإنما هو في فعله كالآلة مثل السيف في كونه آلة للقتل في يد القاتل والسهم في يد الرامي وأمثال ذلك من الآلات والأسباب ويعبر عن القائلين بهذه المقالة بالجبريين ومفاده سلب الإختيار من العبد في فعله.

**الثاني:** أن يكون فعل العبد مخلوقاً لنفسه لا تأثير لله ولا لغيره في فعل العبد فإن الله تعالى خلق العبد وفوض أمره إليه أن شاء فعل وأن لم يشاء لم يفعل.

وهذا القول مخالف للقول الأول وضده ويعبر عن القائلين به بالمقوضية لأن المفروض تفويض الأمر إلى العبد بالكلية.

**الثالث:** أن يكون أفعال العباد لهما أي للخالق والمخلوق معاً فلا يكون

واحداً منهما مستقلاً في الفعل بحيث لا دخل فيه في تأثير الغير بل التأثير لهما والفعل صدر بالحقيقة منهما ويستند اليهما وهذا القول يعبر عنه بالأمر بين الأمرين الذي ورد في الحديث لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين.

إذا عرفت المذهب في الأفعال الصادرة في الخارج من العبد ظاهراً فاعلم أن الآية المبحوث عنها في المقام على مسلك القائلين بالجبر لا خفاء فيها ولا كلام لأحد في تفسيرها إذ هو على هذا المذهب واضح لأن المفروض عدم قدرة العبد على الفعل بل القادر والموجد فيه هو الله تعالى مستقلاً ولا دخل ولا تأثير للعبد فيه فصح أن يقال أن الله ختم على قلوب الكفار الكفر بحيث لا يقدر على الإيمان أصلاً كما أنه تعالى ختم على قلوب بعض آخر بالإيمان فلا يقدر على الكفر إذ المفروض أن العبد لا قدرة له أصلاً وهو واضح.

فحق أن يقال ختم الله قلوبهم إلى آخر الآية إذ لا فرق في عدم قدرة العبد على الفعل بين الأفعال النفسانية أعني بها الخواطر والإرادات وبين الأفعال الخارجية الصادرة منه بواسطة الجوارح بل النفسانيات أولى لكونها الأصل بالنسبة إلى غيرها.

وأما القائلون بالتفويض، والأمر بين الأمرين فظاهر الآية لا يوافق مذهبهما فلا بد لهما من البحث فيها وحمل الآية على غير ظاهرها.

ثم أن القائلين بالجبر وهم أكثر الأشاعرة اختلفوا في معنى الختم في المقام والمراد به، فقال بعضهم الختم من الله تعالى هو خلق الكفر في قلوب الكفار. وقال بعض آخر الختم هو خلق الداعية التي إذا أنضمت إلى القدرة صار مجموع القدرة معها سبباً موجباً لوقوع الكفر وعلى التقديرين فالخاتم هو الله ولا يقدر العبد على دفعه ورفعته ومحصل استدلالهم على المدعى هو أن القادر على الكفر أن كان قادراً على تركه أيضاً فكانت نسبة تلك القدرة إلى فعل الكفر وإلى تركه على السواء بإختياره الترك أو الفعل محتاج إلى المرجح فأن

الترجيح بلا مُرَّجَح مُحال فلا بدَّ له في الخروج عن الإستواء من مرَّجَح و  
المُرَّجَح لا يخلو حاله من وجهين:

أما أنه من فعل الله أو من فعل نفسه فأن كان من الله فثبت المطلوب وأن  
كان من نفسه يلزم التسلسل وأن كان لا بفعل الله ولا بفعل العبد فيلزم حدوث  
شيء لا لمؤثر و هو محال فلا محالة يستند المُرَّجَح الى الله فهو فاعل في  
الحقيقة والعبد لا يؤثر في فعله فالمطلوب ثابت فينتج أن الله تعالى هو الذي  
خلق الكفر في قلوبهم أما بواسطة الدّاعية أعني بها المُرَّجَح.

وأما بلا واسطة و على التقديرين فالفاعل هو تعالى لا غيره هذا مخلص  
كلهم وإستدلالهم على المدّعي على ما نقله الرّازي في تفسيره مع تلخيص  
منافي العبارة و قال في آخر كلامه إذا ثبت هذا كان القول بالجبر لازماً لأنّ قبل  
حصول ذلك المُرَّجَح كان صدور الفعل مُمتنعاً و بعد وصوله يكون واجباً ثمّ  
قال إذا عرفت هذا كان خلق الدّاعية الموجبة لكفر في القلب ختماً على القلب  
و منعاً له عن قبول الإيمان فأنّه سبحانه لما حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون ذكر  
عقبه ما يجري مجرى السبب الموجب له لأنّ العلم بالعلّة يفيد العلم بالمعلول  
والعلم بالمعلول لا يكمل إلا إذا أُستفيد من العلم بالعلّة فهذا قول من أضاف  
جميع المحدثات الى الله تعالى إنتهى.

ما ذكره و حيث أنه أي الإمام الرّازي من الأشاعرة القائلين بهذه المقالة  
أعني الجبر، أطال الكلام في إثبات مدّعه في تفسيره و سائر كتبه و نحن  
نجيب عنه بحول الله و قوّته فنقول قولهم الختم من الله تعالى أما خلق الكُفر  
في قلوب الكفّار و أما خلق الدّاعية الموجبة له، كلام لا طائل تحته و ذلك لأنّ  
خلق الكُفر لا معنى له إذا الكُفر عدم الإيمان والأمر العدّمي لا يكون متعلّقاً  
للايجاد وعبارة أخرى الايجاد لا يتعلّق بما لا شَيْئَة له فيبقى في المقام تعلّق  
الايجاد من الموجد بالدّاعية فالتقسيم الى الوجهين لا معنى له و على فرض

التَّسْلِيمَ لِصَحَّةِ التَّقْسِيمِ نَخْتَارُ الشَّقَّ الثَّانِي وَهُوَ تَعَلُّقُ الْإِيجَادِ بِالذَّاعِيَةِ، قَوْلُكُمْ أَنَّهَا إِذَا انْضَمَّتْ إِلَى الْقُدْرَةِ صَارَ الْمَجْمُوعُ سَبَباً مُوجِباً لَوُقُوعِ الْكُفْرِ مَمْنُوعٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ حَاكِمَةٌ عَلَى الذَّاعِيَةِ فَلَا تَكُونُ الذَّاعِيَةُ مَعَ الْقُدْرَةِ مُوجِبَةً لِلْكَفْرِ إِذَا لَمْ يَرِدِ الْفَاعِلُ الْكُفْرَ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْإِرَادَةَ مَسْبُوقَةٌ بِالِاخْتِيَارِ وَ تَوْضِيحُ ذَلِكَ إجمالاً أَنَّ الذَّاعِيَّ عَلَى الْفِعْلِ فِي الْإِنْسَانِ لَيْسَ إِلَّا تَصْدِيقُهُ بِالْفَائِدَةِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً، فَلَا يَدَّ لَهُ مِنْ تَصَوُّرِهِ أَوَّلًا ثُمَّ التَّصْدِيقُ بِفَائِدَتِهِ ثَانِياً سِوَاهُ كَانَ التَّصْدِيقُ ظَنِّيًّا أَوْ تَخْيِيلِيًّا أَوْ عِلْمِيًّا وَالْمُرَادُ بِالتَّصْدِيقِ هُوَ أَنَّ فِيهِ صَلَاحاً وَ مَنْفَعَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَوْهَرِ ذَاتِنَا، ثُمَّ يَنْبَعُثُ مِنْ ذَلِكَ شَوْقٌ إِلَى إِيْجَادِ الْفِعْلِ ثُمَّ أَنَّ ذَلِكَ الشَّوْقَ يَحْرُكُ الْقُوَّةَ الْمُنْبَعِثَةَ فِي الْعِضَلَاتِ وَ هُنَاكَ يَتَحَرَّكُ الْأَعْصَابُ وَ الْأَعْضَاءُ فَذَلِكَ الشَّوْقُ الْمُنْبَعِثُ مِنَ الْقُوَّةِ الشَّوْقِيَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ أَوْ النُّطْقِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ هُوَ الْإِرَادَةُ وَ تِلْكَ الْقُوَّةُ الْمُنْبَعِثَةُ هِيَ الْقُدْرَةُ وَ عَلَيْهِ فَالذَّاعِي لَيْسَ إِلَّا التَّصْدِيقُ بِالْفَائِدَةِ إِذْ لَيْسَ فِي عِبَادِي الْفِعْلِ شَيْئاً فَيُسَمَّى بِالذَّاعِي إِذَا عَلِمْتَ هَذَا فنَقُولُ مَا مَعْنَى خَلَقَ الذَّاعِي أَوْ الذَّاعِيَةُ الَّتِي إِذَا انْضَمَّتْ إِلَى الْقُدْرَةِ تَوْجِبُ الْكُفْرَ أَوْ الْإِيمَانَ أَلَيْسَتْ الْإِرَادَةُ وَاسِطَةً بَيْنَ الذَّاعِيَةِ عَنِي بِهَا التَّصْدِيقُ وَ الْقُدْرَةُ أَلَيْسَتْ الْإِرَادَةُ شَيْئاً وَ الْقُدْرَةُ شَيْئاً آخَرَ مَعَ أَنَّا نَقُولُ عَلِمْنَا وَأَرَدْنَا وَقَدَرْنَا وَ فَعَلْنَا وَ لَتَفْصِيلُ الْبَحْثِ فِيهِ مَوْضِعٌ آخَرُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى الْمَدْعَى أَنَّ كَانَ الْمُرْجَحُ بِفِعْلِ اللَّهِ فَثَبَتَ الْمَطْلُوبُ وَأَنَّ كَانَ بِفِعْلِ الْعَبْدِ يَلْزَمُ التَّسْلُسُ فنَقُولُ فِي جَوَابِهِ أَنَّ الْمُرْجَحَ بِفِعْلِ الْعَبْدِ قَوْلُكُمْ يَلْزَمُ التَّسْلُسُ فَهُوَ مَمْنُوعٌ لِأَنَّ الْمُرْجَحَ هُنَا الْإِرَادَةُ لِتَوْسِطِهَا بَيْنَ الذَّاعِيِ وَ الْقُدْرَةِ كَمَا عَرَفْتَ وَ الْإِرَادَةُ مَسْبُوقَةٌ بِالِاخْتِيَارِ وَ عَلَى هَذَا لَا يَلْزَمُ التَّسْلُسُ وَ هُوَ مَعْلُومٌ لَا خَفَاءَ فِيهِ.

نَعَمْ لَوْ كَانَ الْمُرْجَحُ مِنَ اللَّهِ يَلْزَمُ الْجَبَرُ وَ لَا نَقُولُ بِهِ وَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ يَظْهَرُ لَكَ أَنَّ كَلَامَهُ لَا أَسَاسَ لَهُ وَ مَا لَا أَسَاسَ لَهُ لَا يَتَبَنَّى عَلَيْهِ شَيْءٌ هَذَا أَوَّلًا.

ثانياً: نقول أن معنى الإختيار في العبد هو إستواء الطرفين (الفعل والتَّرك) بالنسبة إلى القدرة وحدها وهذا لا ينافي وجوب أحد الطرفين بسبب الإرادة فمعنى فعل المَرَجح وهو الدَّاعي على قولكم، وتعلّق به الإرادة الجازمة وجب الفعل ومتى لم يحصل إمتنع وهذا غير منافي للقدرة فإنّ القادر هو الذي يصحّ منه الفعل والتَّرك قبل تحقّق الدَّاعي ومع قطع النّظر عن الإرادة ولهذا قالوا الوجوب بالإختيار لا ينافي الإختيار بل يحقّقه فالقول بالجبر لا معنى له.

وأما القائلون بالتفويض وهو أنّ العبد فاعل مستقل بالإيجاد بلا مدخلية لإرادة الله في فعل العبد فنقول في جوابهم هذا القول تفويض محض و تشريك في الخالقية وقد ورد في ذمّ هؤلاء القدرية، أنّ القدرية مجوس هذه الأمة ويأبى الله تعالى عزّ وجلّ من أن يجري في ملكه شيء بغير إرادته كما ورد عن النّبي ﷺ.

ماشاء الله كان وما لم يشاء لم يكن و سيأتي الكلام في بحث الجبر والتفويض في محله مفصلاً إن شاء الله تعالى.

فيبقى في المقام القول الثالث وهو أنّه لا جبر ولا تفويض بل أمرّ بين الأمرين، وهذا هو الحقّ الذي لا مرية فيه وهو المأثور عن أئمتنا الطّاهرين سلام الله عليهم أجمعين وحاصله أنّ الإرادة على الفعل من العبد والتّوفيق أعني به عدم إيجاد المانع أو رفعه من إجراء الإرادة فهو من الله تعالى ولأجل ذلك نقول وأياك نستعين ثمّ نقول.

أزّمة الأمور طرّاً بيده والكلّ مستمّدة من مدّده

فلو كان إيجاد الفعل على وجه الإستقلال من الله تعالى كما يقول به الجبري أو أنّه كذلك من العبد كما يقول به القدري لا معنى للإستعانة من الله تعالى لأنّ معنى الإستعانة طلب الإعانة من الله تعالى على الفعل وهو دليل عدم إستقلال العبد به أو إستقلال الله به بل الفعل يصدر من العبد بتوفيق الله

وارادته ولا شك أَنَّ الجبر إفراطٌ والتفويض تفريطٌ وما نحن فيه هو الوَسْطُ وخير الأمور أوسطها.

إذا عرفت هذه المقدمة التي أوضحنا فيها المسالك في المقام بحسب الأعمال فنقول:

قوله تعالى: **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ** معنى الختم على القلب والسَّمْع ليس ما ذكره الجبري من خلق الله تعالى الكفر في العبد بحيث لا يقدر على الخروج منه إذ لو كان كذلك يلزم الظلم عليه تعالى وأي ظلم أفحش من إيجاد الكفر في الإنسان وسلب القدرة عن دفعه ورفع العقاب ثم العقاب على كفره يوم القيامة أليس للعبد أن يقول غداً في موضع الحساب العقاب. إلهي ما ذنبي و تقصيري ولأي شيء صرت مستحقاً للعقاب وقد خلقتني كافراً في الدنيا ولم أقدر على الخروج من الكفر والدخول في الإيمان، فما يقول الله في جوابه وهذا واضح ولا أظن أَنَّ العقل السليم يقبل هذا القول والله تعالى ورسوله بريئان منه

أَنْ قُلْتُ فما معنى الآية قُلْتُ معنى الآية أَنَّ الكفار في قوله تعالى: **إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا** لما جحدوا الربوبية وأنكروا الخالق بالمرّة على ما سبق شرحه في السّابقة بحيث لم يفدهم الإنذار من النّبي وكان ذلك أي إختيارهم الكفر بارادتهم وسوء سريرتهم لا جرم سلب منهم التوفيق فوكلهم الله الى أنفسهم فبقوا في الكُفر ولم يخرجوا منه فعبر عن سلب التوفيق للإهتداء بالختم والطبع مجازاً فقال تعالى: **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ**، فإسناد الختم الى تعالى مجاز لا حقيقة فكأنه قال الله تعالى لَمَّا أَنْكَرُوا الرّبوبية وَأَصْرُوا عليه لم يوفقهم الله على الإيمان.

وحيث أَنَّ الختم على القلب مسبب عن عدم التوفيق فالكلام خرج مخرج الإستعارة من قبيل ذكر المسبب وإرادة السبب وهذا ممّا لا إشكال فيه و



نظائره كثيرة ولا يستفاد من الآية لزوم بقائهم على الكفر بل المستفاد منها أنهم ما داموا على هذا الحال فقلوبهم مختومة على الكفر ويمكن لهم الخروج عن هذه الحالة بسبب الإقرار بالربوبية و من قال أن معنى الختم على قلوبهم بقائهم على الكفر بطريق الحتم والقطع فعليه بالدليل واذ ليس فليس.

فأن قلت أن الله تعالى لما علم منهم البقاء على الكفر في الدنيا قال ختم على قلوبهم، فلو فرضنا قدرتهم على الخروج منه ثم خروجهم منه ودخولهم الى الإيمان يلزم خلاف العلم في حقه تعالى وهو كما ترى.

أما أولاً: فمن أين ثبت أن الله تعالى علم منهم الكفر الى آخر الحياة ثم حكم بما حكم وعلمه تعالى عنده.

ثانياً: على فرض وجود العلم فأنه يدل على أن الكافر لا يخرج عن كفره بإختياره وإرادته وهذا هو متعلق العلم لا أن علمه تعالى صار سبباً لعدم خروجه منه وعلة له اذ العلم الأزلي بشي لا يكون علة له تعلمه تعالى بشي لا يكون علة لإيجاده بل إختيار العبد في محلّه وبعبارة أخرى علمه تعالى تعلّق بقاء الكفر منه مثلاً بإختياره لا مطلقاً وأن شئت.

قلت أن الله تعالى علم من الأزل أن العبد الفلاني يختار الكفر على الإيمان أو الإيمان على الكفر وهذا أمرٌ معقول وذلك كما أن الطيب يعلم أن زيداً لو أكل السمّ فهو يموت ثم أنه أكله فمات فهل يقول عاقل بأن علم الطيب صار علة باموات زيد والمفروض أن الطيب لم يجبره على أكل السمّ ففي المثال علة موته أكله السمّ الذي صدر منه بإختياره لا علم الطيب وما نحن فيه من هذا القبيل فأن قال قائل بين المثالين فرق واضح وهو أن الطيب يعلم ولا يقدر على منعه وردعه عن الأكل وهذا بخلاف المورد فأن الله يعلم ويقدر على منع العبد عن إختيار الكفر وحيث لم يردعه منه وأبقاه على حاله إختار الكفر على الإيمان.

ولا نعني بالختم على قلوبهم إلا هذا نقول له رَدَعُ الله تعالى وَمَنَعَهُ عَلَى وَجْهَيْنِ.

أحدهما: الروح بالقهر والجبر على الكفر أو الإيمان بحيث لم يقدر العبد على مخالفته أما بخلقه إياه كذلك أو بإيجاد المانع عن إختيار العبد. ثانيهما: إعلامه المضار في الكفر والمنافع في الإيمان وإقدار العبد على إختياره أيهما شاء.

أما الأول: فهو عين الجبر سواء كان في الكفر أم في الإيمان وهو لا يليق بجنبه.

أما الثاني: فقد جعله في حق العبد بإيجاد العقل في باطنه وهو الحجة الباطنة وإرساله الرسل وإنزاله الكتب وهو الحجة الظاهرة: **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّا شَاكِرُوا وَإِنَّا كَفُورُوا<sup>(١)</sup>**.

وإن شئت قلت ختم الله على قلوبهم بالعقل وعلى سمعهم بارسال الرسل وإنزال الكتب أي أن الله تعالى قد ختم على الكفار بإعطاء الحجة أيهم قل لله الحجة البالغة على عباده.

و أما قوله تعالى: **وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** الراو للإستئناف بمعنى أنها جملة مستقلة والغشاوة مرفوع على الإبتداء، وما قبله خبرٌ والتقدير وغشاوة على أبصارهم والغشاء والغطاء قال الشاعر.

صَحَبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا أَنْجَلْتَ قَطَعْتَ نَفْسِي أَلُومَهَا

و المقصود أن أبصارهم كذلك فكأنهم لا يبصرون بها إذ لو أبصروا بها لم يكونوا كذلك وتوضيحه أن الأبصار جمع البصر والبصر يقال للجارحة الناطرة وحيث أن أبصارهم لا تجتلي آيات الله المعروفة ودلائله المنصوطة كما تجليتها أعين المعتبرين المتبصرين فكأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها و

بين الإدراك فلفظ الغشاوة أستعير من معناه الأصلي لحالة في أبصارهم مقتضية لعدم إجتماعها آيات الله و دلائله فهو إستعارة مَصْرَحُ بها أصلية من محسوس لمعقول و قال بعض المفسرين و ذلك أنهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلفوه و قَصَرُوا فيما أريد منهم جهلوا بالزامهم الإيمان به فصاروا كَمَن على عينه غطاء لا يبصر أمامه انتهى.

والذي يحصل من مجموع كلماتهم هو أنَّ النظر والرؤية بالبصر للإعتبار فإذا لم يعتبر الناظر فكأنَّ على عينه غطاء. أما قوله تعالى: **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** فالمقصود أنَّ الكفار الذين مَرَّتْ أوصافهم إن بقوا على كفرهم و ماتوا عليه فلهم عذاب عظيم يعني في الآخرة، قيل في معنى العذاب أنَّه مشتق من الحبس والمنع يقال في اللغة، أعذبه عن كذا، أي أحبسه وأمنعه ومنه سميَّ عذوبة الماء لأنها قد أعذبت و استعذب بالحبس في الوعاء ليصفوا ويفارقه ما خالطه ومنه قول الإمام علي عليه السلام أعذبوا نساءكم عن الخروج أي إحبسوهنَّ وعنه عليه السلام وقد شيع سرية فقال عليه السلام أعذبوا عن ذكر النساء أنفسكم فإنَّ ذلك يكسركم عن الغزو، ويقال، أعذب أي أمتنع و أعذب غيره، فهو لازم ومتعدَّ فسميَّ العذاب عذاباً لأنَّ صاحبه يحبس ويمنع عنه جميع ما يلائم الجسد من الخير ويهال عليه أضدادها.



وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْتِیَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)

## ◀ اللّٰغَة

الواو: للعطف من للتبغیض.

النَّاسِ: أصله عن سبویة، أناس حذفت همزته وهي فاء الكامة وجعلت الألف واللام كالعوض منهما فلا يكاد يستعمل النَّاسِ إلا بالألف واللام كما لا يكاد يستعمل، أناس، بألف واللام فالألف في النَّاسِ على هذا زائدة وإشتقاة من الإنس وقال غيره ليس في اللّٰغَة حذف الألف منقلبة عن واو وهي عين الكلمة وإشتقاقه من، ناسَ یُنُوسُ نوساً إذا تحرك وقالوا في تصغیره نُوسٍ.

مَنْ يَقُولُ مَنْ: نكره موصوفة ويقول، صفة لها وليست بموصولة بمعنى الذي لأن الذي يتناول قوماً بأعيانهم والمعنى ههنا على الإبهام والتقدير، و من، موحدة للفظ وتستعمل في التثنية والجمع والتأنيث بلفظ واحد وأما الضمير الرّاجع إليها فيجوز أن يفرد حملاً على لفظها وأن یثنی ویجمع ویؤنث عملاً على معناها، والأصل في، يقول، يقول، ليكون القاف وضم الواو فنقلت ضمة الواو الى القاف ليخف اللفظ بالواو.

آمَنَّا: أصل الألف همزة ساكنة فقلت ألفاً لثلاثاً تجتمع همزتان وكاف قلبها ألفاً من اجل الفتحه قبلها ووزن آمن افعل من الأمن.

الآخِر، فاعل فالألف فيه غير مبدلة من شيء.

وَمَا هُمْ: كلمة، مانافية وهم ضمير منفصل مرفوع بما، عند أهل الحجاز، و مبتدأ عند تميم.

بِمُؤْمِنِينَ: الباء زائدة ومؤمنين مجرور، بها والجار والمجرور خبر، وهم، مبتدأ وقيل بالعكس. وكلمة ما لنفي الحال وقد تُستعمل لنفي المستقبل.

## ◀ الإعراب

وَمِنَ النَّاسِ مَعْطُوفٌ عَلَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَأَمَّا فَتَحَتِ نون من،  
لئلا تتوالى الكسرتان، والناس مجرور بها من يَقُولُ، من موضعها الرفع على  
الابتداء وما قبله الخبر وهو مرفوع بالجاء قبله على ما تقدّم في قول الأخفش  
وَيَقُولُ صفة لها أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ يتعلّق بقوله تعالى ويقول: وَمَا هُمْ  
بِمُؤْمِنِينَ ما حرف نفى مُشبه بليس هُم إسمه بمؤمنين خبره وهو في موضع  
النصب بكونه، خبر ما.

## ◀ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تعالى أوصاف الْمُتَّقِينَ في أوائل السّورة الى قوله: هُم  
الْمُفْلِحُونَ ثَمَّ بَيَّنَّ أوصاف الْكُفَّارِ من قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا الى قوله: عَذَابٌ  
عَظِيمٌ شرح في بيان أوصاف المنافقين فقال ومن النَّاسِ من يقول الآية وذلك  
لأنّ هذه الآيات إستوعبت أقسام النَّاسِ ومن المعلوم أنّ الإنسان لا يخلو من  
هذه الأوصاف الثلاثة فأنّه أَمَّا أن يكون مؤمناً مخلصاً بقلبه ولسانه وعمله أو لا  
يكون والأوّل هو المؤمن والثّاني أَمَّا أن يكون مُنْكَرًا بالكلية أعني باللسان و  
القلب والجوارح أو لا يكون بل يؤمن باللسان ويكفر بالقلب والأوّل كافر  
والثّاني هو المُنافِق فالحصر عقليّ دائر بين النفي والإثبات.

قيل أنّ هذه الآيات نزلت في عبد الله ابن أبي سلول وجَد ابن قيس و  
مُعَبَّة ابن قشير وأصحابهم وأكثرهم من اليهود إلا أن خصوصيت المورّد لا  
تنافي عموميّة الحكم.

قال الطبرسي رحمه الله في معناها أنّه تعالى قد أخبر بأنّهم يقولون صدّقنا بالله  
وما أنزل على رسوله من ذكر البعث فيظهرون كلمة الإيمان وكان قصدهم  
الإطّلاع على أمور المسلمين فينقلوها الى الكفار الى أن قال فَتَحَتِ فَيَبِّينُ أَنَّ ما

قالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم وهذا يدل على فساد قول من يقول الإيمان مجرد القول إنتهى.

**أقول** أما سمي المنافق مُنَافِقاً لإظهاره غير ما يضمّر تشبيهاً باليربوع له حجر يقال له النافقاء وآخر يقال له القاصعاء وذلك أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض أرق التراب فإذا رأى به ربّ دفع ذلك التراب برأسه فخرج فظاهر حُجْره تُراب وباطنه حفر وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر. قاله القرطبي في تفسيره.

إعلم أنهم اختلفوا في أن المنافقين قسمٌ من الكفار أو قسمٌ لهم فعلى الأول أقسام الناس منحصرة في الأيمان والكفر وعلى الثاني فالأقسام ثلاثة، إيمان، وكُفر ونفاق.

والمشهور عندهم هو القول الثاني لأنّ المنافق مُذبذب بين المؤمن والكافر لا من هؤلاء ولا من هؤلاء وهو واضح.

وأختار الزمخشري وبعض من تأخر عنه القول الأول وأستدلوا عليه بأنّ الكُفر في الأصل السّتر والمنافق يستر كُفْره ويظهر الأيمان فهو كافر لَغَةً وإن كان غيره شرعاً من حيث عدم ترتّب أحكام الكُفر عليه قال ما لفظه الكُفر جمع الفريقين معاً وصيّرهم جنساً واحداً وكون المنافقين نوعاً من نوعي هذا الجنس مغايراً للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكُفر الجامع بينها من الخديعة والإستهزاء لا يخرجهم من أن يكون بعضاً من الجنس فأتى الأجناس إنما تنوّعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات إنما تأتي بالنوعيته ولا تأبى الدخول تحت الجنسية إنتهى ما ذكره.

**وأنا أقول** هذا البحث ممّا لا طائل تحته بل الحقّ إنّه لفظي وذلك لأنّه يرجع الى القول في الإيمان فأن قلنا أنّ الإيمان عبارة عن الإقرار باللسان فقط ولا دخل له في الإعتقاد القلبي فالمنافق مؤمن بهذا الإعتبار ولا يدخل في الكُفار

وأن قلنا بلزوم الاعتقاد القلبي في الإيمان شطراً أو شرطاً فالمُنافق خارج عنه لا مُحالة ويدخل في الكُفَّار.

فقول الزمخشري بدخول المُنافق في الكُفَّار بقول مطلق لا معنى له فعلى قول الشيعة من اشتراطهم الاعتقاد القلبي في تحقُّق الإيمان يصير المُنافق خارجاً عنه لكونه منكراً بالقلب وخارجاً من الكفر أيضاً لكونه مُقرأ بالتوحيد بلسانه وقد قال رسول الله ﷺ أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ.

فالمُنافق داخل في الإسلام خارج من الأيمان والكُفر وأما على مَسلك القوم من أن الإيمان عبارة عن الإقرار بالتوحيد والرَّسالة باللسان فقط فالمُنافق داخل في زمرة المؤمنين وأما على مَسلك الزمخشري حيث أنه يقول في معنى الإيمان ما نقول به فلا يَتِم ما ذكره من دخول المُنافق تحت الكُفر وذلك لأنَّ هذا الحُكم مُخالف لِمذهبهِ في الإيمان والكُفر فأثَّه قال في قوله تعالى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ فَأَنْ قُلْتُ مَا الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ قُلْتُ أَنْ يَعْتَقِدَ الْحَقَّ وَ يَعْرِفَ عَنْهُ بَلْسَانَهُ وَيُضَدِّقَهُ بِعَمَلِهِ فَمَنْ أَخْلَ بِالْإِعْتِقَادِ وَإِنْ شَهِدَ وَعَمَلَ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَمَنْ أَخْلَ بِالشَّهَادَةِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ أَخْلَ بِالْعَمَلِ فَهُوَ فَاسِقٌ انْتَهَى.

أقول، المُنافق لم يَخْلُ بالشَّهادة فهو ليس بكافر على قوله فكيف يقول في مقام البحث الكُفر جمع الفريقين وصيَّره جنساً واحداً، أليس هذا من التَّهافت، وكيف كان فقد وَرَدَتِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ فِي ذَمِّ الْمُنَافِقِينَ أَمَّا الْآيَاتُ فَكَثِيرَةٌ جَدًّا وَتَسْتَقِفُ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وكفاك ما ورد في ذمهم في المقام فإنَّ الله تعالى أنزل أربع آيات في هذه السُّورة في مَدَحِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِثْنَتَانِ فِي نَعْتِ الْكَافِرِينَ وَثَلَاثُ عَشْرَةٍ فِي الْمُنَافِقِينَ مُضَافاً إِلَى مَا ذَكَرَهُ فِي سَائِرِ السُّورِ وَلَا نَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِهَا فِي الْمَقَامِ.

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ:

ما رواه في البحار بأسناده قال: رسول الله ﷺ خَلَّتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ، فَقِهِ الْإِسْلَامُ وَحَسَنُ سَمَةِ الْوَجْهِ.

ما رواه أيضاً بأسناده عن الصادق عليه السلام قال: أربع علامات للتفّاق، قساوة القلب، وجمود العين، والإصرار على الذنب والحرص على الدنيا.

ما رواه عن عباد بن صُهيب قال: سمعت أبا عبد الله يقول لا يجمع الله لمنافقي ولا لفاسق حُسن السّمة، والفقر، وحُسن الخلق أبداً.  
ما رواه بأسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث إلى أن قال عليه السلام: أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم إلى قوله سبيلاً ليسوا من عترة رسول الله وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين يظهرون الإيمان ويسرون الكفر والتكذيب لعنهم الله انتهى<sup>(١)</sup>.

الأحاديث كثيرة أردنا ذكر شطرٍ منها تيمناً وتبركاً به، والحمد لله رب العالمين.

إعلم أنه في رأس المنافقين في الإسلام من بايع علياً عليه السلام في غدير خم ثم نقضوا بيعته ونكثوا عهده بعد موت الرسول لأنهم أظهروا الإيمان هناك و أبطنوا الخلاف في المدينة بعد موته ﷺ والله تعالى يقول: وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَجَعَلَ مَلَكَ التَّفَاقِ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ واليوم الآخر في ظاهر الآية وحكم بتفّاق من أظهر الإيمان بهما بلسانه وقوله ولم يعتد بقلبه ومن المعلوم أن ذكر الله واليوم الآخر أعني بهما الاعتقاد بالمبدء والمعاد لا يكفي في الإيمان اذ لم يعتد بالرسالة ولم يذكر الرسالة في الآية لأنه من الواضحات ولم تكن الآية بصدد بيان الحصر في تحقّق الإيمان وعليه جميع المفسرين.

اذ لو قلنا أن أمر الإيمان منحصر في الاعتقاد بالمبدء والمعاد وأن لم يعتد



الإنسان بالرسالة وما جاء به الرسول من عند الله من الصلاة والصوم والحجّ و أمثال ذلك من ضروريات الإسلام يلزم أن يكون الإنسان المعتقد بهما مؤمناً وأن لم يعتقد بالرسالة وما أنزل على الرسول ولا أظنّ أنّ مسلماً قال بهذه المقالة فضلاً عن المؤمن كيف وقد اتفقوا على كفر من أنكر ضرورياً من الدين كالصلاة والزكاة فضلاً عن الرسالة.

إذا عرفت هذا فنقول المؤمن من إعتقد بالله وبرسوله وبكلّ ما جاء به الرسول من البعث والحشر والسؤال والواجبات وغيرها إعتقاداً جازماً ثم الإقرار باللسان والعمل بالجوارح وعليه فالمنافق من يقول بها ولم يعتقد فعلى هذا يدخل في المنافقين كلّ من أقر لساناً بالرسالة وما أنزل على الرسول وأنكرها بقلبه ولا شكّ أنّ الإعتقاد بالرسالة هو المحور والمدار في المقام لأنّ المعتقد بالرسول معتقد بالله واليوم الآخر ولا عكس فإنّ اليهود والنصارى وأمثالهما من أتباع الأديان السابقة معتقدون بالله وباليوم الآخر قطعاً ولا يعتقدون بالرسالة في حقّ رسول الإسلام ولم يقل أحد بكونهم مؤمنين بل حكموا بكفرهم ومنه يعلم أنّ مدار الإيمان على الرسالة التي يلزم منها التوحيد والإعتقاد باليوم الآخر والمنافق من يقول بها ظاهراً لا باطناً ولا شكّ أنّ المعتقد بالرسالة معناه إعتقاده بأنّ الرسول رسول من الله فأمره أمر الله ونهيه نهي الله وإطاعته إطاعة الله ومعصيته معصية الله وهكذا.

فأنّ ما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحىٌ يوحى، فمن قال بالرسالة وشهد بها بلسانه ولم يقبل قول الرسول فهو منافق لأن عدم قبول أمره يرجع الى عدم الإعتقاد به والمفروض أنّه من علائم التّفاق فالمطلوب ثابت ولأجل هذا قلنا أنّ المنافقين لبيعته <sup>عليه السلام</sup> بعد رسول الله في رأس المنافقين في الإسلام فتدبر فيه.

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا  
أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

### ◀ اللغة

يُخَادِعُونَ: فعل مضارع والماضي فيه، خَادَعَ والمصدر المخادعة وهو من الخَدَع وأصل الخَدَع الإخفاء والإيهام بخلاف الحق قاله الطبرسي. وقال الراغب في المفردات والخِدَاع إنزال الغير عما هو بصدده بأمرٍ يبدية على خلاف ما يخفيه.

وَمَا يَخْدَعُونَ: ما نافية ويخدعون مضارع وماضيه خَدَعَ، ومصدره الخَدَع بسكون الدال والواو والتون علامة الجمع والفرق بين الفعلين من حيث المعنى أن الأول أعني به يخادعون يلزم الطرفين لأنه من باب المفاعلة بخلافه في الثاني.

إِلَّا أَنفُسَهُمْ، إِلَّا: حرف إستثناء وأنفسهم، جمع نفس بمعنى الذات. وَمَا يَشْعُرُونَ: ما نافية ويشعرون مضارع من شَعَرَ، يَشْعُرُ، والشعور الفهم والدرك.

### ◀ الإعراب

يُخَادِعُونَ فِيهِ وَجْهَان، أحدهما أنه لا موضع لها من الإعراب وكلمة ما في الموضعين، موضعها نصب على الحال وكلمة من في قوله من يقول صاحب الحال والعامل فيه وجهان:

أحدهما: هي من الضمير في يقول، فيكون العامل فيها، يقول في قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ وَالتَّقْدِير، أمنا مخادعين.

ثانيهما: هي حال من الضمير في قوله بمؤمنين، والعامل فيها إسم الفاعل والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم، وفي الكلام حذف وتقديره يخادعون نبي الله وقيل هو على ظاهره من غير حذفٍ وَمَا يَخْدَعُونَ أكثر

القرءاء قرؤها بالآلف و المشهور المكتوب في المصاحف، بدونها و قيل  
 المفاعلة هنا من واحد كقولك سافر الرجل، و عاقبت اللص، و قرأ بعضهم  
 بضم الياء من باب أَخْدَعَ يَخْدَع و عليه يكون الفاعل للخدع الشيطان فكأنه  
 قال و ما يخدعهم الشيطان إلا أنفسهم أي عن أنفسهم و كيف كان، يكون، الله،  
 مفعول الفعل في الأول وَالَّذِينَ آمَنُوا معطوف، على الله وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا  
 أنفسهم، كلمة ما نفى، و إلا، إيجاب أَنْفُسَهُمْ منصوب لكونه مفعول،  
 يَخْدَعُونَ، الثانية وَمَا يَشْعُرُونَ ما، نفى و يشعرون فعل و فاعل و هو واضح.

### ◀ التفسير

لَمَّا أشار الله تعالى في الآية السابقة الى المنافقين و أنهم يقولون بأفواههم  
 ما ليس في قلوبهم شرع في بيان أوصافهم و هي أمور تأتي الإشارة إليها  
 بترتيب الآيات:

منها أنهم يخادعون الله و المؤمنين بزعمهم الفاسد و لم يعلموا أنهم لا  
 يخدعون إلا أنفسهم و ما يشعرون هذا المعنى و هو أَنَّ الخدع يرجع اليهم  
 بالأخرة.

إِنْ قُلْتَ يخادعون، من باب المفاعلة و هي تلزم الطرفين كما يقال ضارب  
 زيد عمراً و لا يقال ضارب زيدٌ بدون عمرٍ و عليه فالمعنى أنهم يخدعون الله  
 والله يخدعهم.

قلت أجابوا عنه بوجهين أحدهما، أَنَّ الأمر كذلك كما قال في الأخرى،  
 يخادعون الله و هو خادعهم و لأجل هذا قرأه بعضهم، يخدعون الله.

ثانيها: هو أن ينزل ما يخطر بباله من الخدع بمنزلة أخر يجازيه ذلك و  
 يعارضه آياته فيكون الفعل كأنه من إثنين و في المقام قول ثالث ذكرناه في شرح  
 اللغات و الإعراب و هو أَنَّ المفاعلة قد تكون من واحد كقولك، سافر الرجل،  
 و عاقبت اللص، و ما نحن فيه من هذا القبيل.

وقال بعضهم تقدير الكلام يخادعون رسول الله، وعليه فالإشكال مرتفع بتمامه، وذلك لأنَّ خداعهم لرسوله خداعهم له تعالى في الحقيقة لأنَّه دعاهم برسالته وكذلك اذا خادعوا المؤمنين فقد خادعوا الله وخادعته ما أظهره من الإيمان وما أبطنوه من الكفر ليحصنوا بذلك دمانهم وأموالهم ويظنون أنهم قد نجوا وخدعوا هكذا قال بعض المتأولين وقال بعضهم أصل الخدع في كلام العرب الفساد حكاه ثعلب عن ابن الأنباري وأنشد:

أبيض اللون لذيذ طعمه طيب الزيق اذ الزيق خدع  
أي فسد انتهى.

وفي كلامه تعالى والمؤمنين إشارة الى أنَّ خدع المؤمنين هو خداع الله في الحقيقة ولذلك صار معطوفاً على الله في الآية والوجه فيه هو أنَّ المنافقين أمَّا خدعهم لإجل إيمانهم بالله ورسوله بحيث أنهم لو لم يكونوا مؤمنين لم تخدعهم فالمخدوع في الحقيقة هو الإيمان أو الإنسان من حيث كونه لا مؤمناً لا مطلقاً ولذلك صار خدعهم خدع الله، وفي قوله تعالى: وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ إشارة الى أنَّ عاقبة المكر والخدع ترجع الى أنفسهم وقوله تعالى: وَمَا يَشْعُرُونَ يدل على عدم شعورهم برجوع ضرر الخدع الى أنفسهم بل ظنوا بزعمهم الفاسد أنهم خدعوا الله والمؤمنين، ثمَّ أنَّ المراد من الخدع في المقام أنهم يعملون عمل المخادع لأنَّ الله تعالى لا يصح أن يخادعه من يعرفه ويعلم أنه لا يخفى عليه خافية، وقيل المعنى يخادعون رسول الله ﷺ لأنَّ طاعته طاعة الله ومعصيته كذلك فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهكذا كقوله وأن يريدوا أن يخدعوك.

وأما خداعهم بالنسبة الى المؤمنين فمعناه أنهم إذا رأوهم قالوا آمنا وهم غير مؤمنين وأرادوا من إظهارهم الإيمان مجالستهم ومخالطتهم إياهم حتى يفشوا اليهم أسرارهم فينقلوها الى أعداءهم ومعنى قولهم وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، أنَّ وبال الخداع راجع الى أنفسهم في الدنيا والآخرة أما

في الآخرة فمعلوم وأما في الدنيا فلقوله ﷺ من حفر بئراً لأخيه وَقَعَ فيه.  
 فعن كتاب ثواب الأعمال بأسناده أن رسول الله ﷺ: سُئِلَ فيما  
 النِّجاة غداً قال ﷺ: إِنَّمَا النِّجاةُ فِيهِ أَنْ لَا تَخَادَعُوا اللَّهَ فَيُخَدِعَكُمْ  
 فَأَنْتُمْ مَنْ يَخَادِعُ اللَّهَ وَيُخَدِعُهُ يَخْلَعُ مِنْهُ الْإِيمَانُ وَنَفْسُهُ يَخْدَعُ لَوْ  
 يَشْعُرُ قِيلَ لَهُ وَكَيْفَ يُخَادِعُ اللَّهَ قَالَ ﷺ يَعْمَلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَ  
 جَلَّ ثُمَّ يَرِيدُ بِهِ غَيْرَهُ فَيَتَّقُوا اللَّهَ وَالرَّيَاءَ فَأَنْتُمْ شَرِكُ بِاللَّهِ انْتَهَى.  
 وعن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: وإِعلم إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى  
 إِخْفَاءِ شَيْءٍ مِنْ بَاطِنِكَ عَلَيْهِ تَعَالَى وَتَصْيِيرِهِ مَخْدُوعاً بِنَفْسِكَ قَالَ  
 تَعَالَى: يُخَادِعُونَ اللَّهَ.

و من طريق العامة، ما رواه في الدر المنثور بأسناده أن قاتلاً من  
 المسلمين قال يا رسول الله ما النِّجاةُ غداً قال ﷺ: لَا تُخَادِعُ اللَّهَ  
 قَالَ وَكَيْفَ تُخَادِعُ اللَّهَ قَالَ إِنْ تَعْمَلُ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ تَرِيدُ بِهِ غَيْرَهُ  
 فَيَتَّقُوا الرَّيَاءَ فَأَنْتَ الشَّرِكُ بِاللَّهِ فَأَنْ الْمَرَّاثِي يُنَادِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءَ، يَافَاكِرُ، يَافَاكِرُ، يَافَاكِرُ، يَافَاكِرُ،  
 يَافَاكِرُ، ضَلَّ عَمَلُكَ وَبَطَلَ أَجْرُكَ فَلَا خَلَاقَ لَكَ الْيَوْمَ عِنْدَ اللَّهِ  
 فَاإِلْتَمَسْ أَجْرَكَ فَمَنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ يَا مُخَادِعُ وَقَرَأَ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ  
 (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) وَأَنَّ الْمَنَافِقِينَ  
 يَخَادِعُونَ اللَّهَ (الآية انتَهَى).

و أيضاً عن قيس ابن سعد قال لولا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ  
 الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ فِي النَّارِ لَكُنْتُ أَمَكْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ انْتَهَى.

والأحاديث من طرق العامة والخاصة في ذمِّ النِّفَاقِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدَعِ كَثِيرَةٌ  
 أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا.

فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)

### ◀ اللّٰغَة

في حرف جرٍ وقلوب جمع قلب، هُم ضمير يرجع الى المنافقين المخادعين.

مَرَضٌ: مصدر قولك مَرِضَ مَرَضًا وَمَرَضًا وهو في اللّٰغَة الخروج عن الاعتدال.

فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا: زاد فعل ماضٍ والباقي معلوم.  
عَذَابٌ: قد مرّ الكلام فيه.

### ◀ الإعراب

فِي قُلُوبِهِمْ خبر مقدم مَرَضٌ مبتدأ مؤخر فَزَادَهُمُ اللَّهُ زاد يستعمل لازماً كقولك زاد الماء و متعدياً الى مفعولين كقولك زدته درهماً وعلى هذا جاء في الآية فمفعوله الأول هُم، ومفعوله الثاني، مَرَضًا و فاعل الفعل الله وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، عذاب مبتدأ، مؤخر ولهم خبر مقدم والتقدير، وعذاب أليم لهم، فقوله: أليمٌ صفة للعذاب بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ هو في موضع رفع، لأنه صفة، أليم والباء تتعلق بمحذوف تقديره، أليم كائن بتكذيبهم أو مستحق، و ما، هنا مصدرية و صلتها يكذبون و يكذبون في موضع نصب، خبر كان و ما المصدرية حرفٌ عند سيبويه وإسم عند الأحفش.

### ◀ التفسير

المرض على قسمين جسمي وروحي فمن الأول قوله تعالى: وَلَا عَلَىٰ  
أَنفَرِيضٍ حَرَجٌ و من الثاني هذه الآية وأمثالها.

وذلك لأنَّ الإنسان مركَّب من الرُّوح و البَدَن وكلاهما قد يخرجان عن الاعتدال الطَّبيعي و مَرَض الجسم معلوم و مَرَض الرُّوح عبارة عن الرذائل الخلقية كالجهل و الجبن و البخل و النِّفاق و غيرها من الأمراض القلبية و لأجل ذلك قال الله تعالى: **فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ** ولم يقل في أبدانهم مَرَضُ لأنَّ النِّفاق والكفر و أمثالهما محلُّها القلب ثمَّ أنَّ التَّعبير بالمرَض من باب التَّشبيه أمَّا لكونها مانعةً عن إدراك الفضائل النفسانية كالمرَض المانع للبدن عن التصرُّف الكامل، و أمَّا لكونها مانعةً عن تحصيل الحياة الأخرى المذكورة في قوله تعالى: **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**<sup>(١)</sup>.

و أمَّا لميل النَّفس بها إلى الإعتقادات الرديئة مثل ميل البدن المريض إلى الأشياء المضرة و لكون هذه الأشياء متصورة بصورة المرض قيل دوي صدر فلان و نَقِل قلبه و قال **عَلَّيْلا** و أي داءٍ أدوء من البخل. محصل الكلام في المقام هو أنَّ كلَّ ما يخرج نفس الإنسان عما هي عليه بحسب التكوين أو التَّكليف فهو مَرَضها.

و قال بعض المحققين أنَّ المَرَض صفة توجب وقوع الضَّرر في الأفعال الصادرة عن موضع تلك الصَّفة و لما كان الأثر الخاص بالقلب أنما هو معرفة الله و طاعته و عبوديته فاذا وقع في القلب منها ما صار مانعاً من هذه الآثار كانت الصَّفات أمراضاً للقلب انتهى.

ثمَّ أنَّ قوله تعالى: **فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا** فيه وجوه:

**أحدها:** أنَّ معناه إزدادوا شكاً عند ما زاد الله من البيان بالآيات و الحجج إلاَّ أنَّه لما حصل ذلك عند فعله نسب الله كقوله في قصَّة نوح: **فَلَمَّ يَرِدْهُمْ دُعَاءِي الْإِفْرَارِ**<sup>(٢)</sup>.

لما إزدادوا فراراً عند دعاء نوح فنسب إليه وكذلك قوله تعالى: **فَرَادَتْهُمْ**

ضياء القرآن في تفسير القرآن



المجلد الأول

رَجَسْنَا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ<sup>(١)</sup> والأيات لم تزد لهم رجساً عندها وأما كانت اسباباً له و حيث أَنَّ الأيات والحجج من اسباب إزياد الشك والأيات من الله تعالى فنسب الفعل اليه مجازاً.

ثانيها: ما قاله أبو علي الجبائي أنه أراد في قلوبهم غمً بنزول النبي المدينة وبتمكنه فيها وظهور المسلمين وقوتهم فزادهم الله غمّاً بما زاده من التمكن والقوة وأمدّه به من التأييد والنصرة.

ثالثها: ما قاله السدي أن معناه زادهم الله عداوة الله مرضاً، وفي هذا حذف المضاف مثل قوله تعالى: فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> أي من ترك ذكر الله.

رابعها: أن المراد به في قلوبهم حزن بنزول القرآن بفضائحهم ومخازيهم فزادهم الله مرضاً بأن زاد في إظهار مقابحهم ومساوئهم والأخبار من حُبث سرائرهم وسوء ضمائرهم وسمي الغم مرضاً لأنه يضيق الصدر كما يضيقه المرض.

خامسها: ما ذكره أبو مسلم الأصفهاني وهو أن ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله: ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ<sup>(٣)</sup> فكانه دعا عليهم بأن يخليهم الله وما إختاروه وعدم إعطائهم من زيادة التوفيق والألطاف ما يُعطي المؤمنين، فهذه الوجوه الخمسة نقلها الطبرسي رحمته وغيره من العامة والخاصة وأما نحن فنقلناها عن تفسير المجمع له رحمته.

ونقل الرّازي في تفسيره في عداد الوجوه أن العرب تصف فتور الطرف بالمرض فيقولون جارية مريضة الطرف قال جرير:

أَنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرَفِهَا مَرُوضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ يَحْسِبُن قَتَلْنَا



ثُمَّ قَالَ فَكَذَلِكَ الْمَرَضُ هُنَا أَمَّا هُوَ الْفُتُورُ فِي النِّيَّةِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ قَوِيَّةً عَلَى الْمَحَارِبَةِ وَالْمِنَازَعَةِ وَإِظْهَارِ الْخُصُومَةِ ثُمَّ انْكَسَرَتْ شَوْكَتُهُمْ فَأَخَذُوا فِي التَّفَاقِ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْخَوْفِ وَالْإِنْكَسَارِ فَقَالَ تَعَالَى: **فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا** أَي زَادَهُمْ ذَلِكَ الْإِنْكَسَارَ وَالْجُبْنَ وَالضَّعْفَ وَلَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: **وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ** <sup>(١)</sup>.

ووجه آخر وهو أن يُحْمَلَ الْمَرَضُ عَلَى أَلَمِ الْقَلْبِ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا صَارَ مُبْتَلًى بِالْحَسَدِ وَالتَّفَاقِ وَمَشَاهِدَةً الْمَكْرُوهِ فَذَا دَامَ بِهِ ذَلِكَ فَرُبَّمَا صَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَغْيِيرِ مَزَاجِ الْقَلْبِ وَتَأَلَّمَهُ وَحَمَلَ اللَّفْظَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ حَمْلٌ لَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ فَكَانَ أَوْلَى مِنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ أَنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ.

**أَقُولُ** الْوُجُوهُ الْمَذْكُورَةُ لَا بَأْسَ بِهَا إِذَا لَا يَخْلُو كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنْ حَسَنِ وَالَّذِي يَقْوَى فِي النَّظَرِ وَهُوَ جَامِعٌ لِجَمِيعِ الْوُجُوهِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكَلِمَهُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَمَنْعَ عَنْهُمْ التَّوْفِيقَ وَاللَّطْفَ لِنَفَقَاهُمْ وَالْإِيكَالَ إِلَى النَّفْسِ يُوْجِبُ زِيَادَةَ الْمَرَضِ فِيهَا وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي الْأَدْعِيَةِ، اللَّهُمَّ لَا تَكُنْ لَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةً عَيْنٍ أَبَدًا. وَالْمُرَادُ بِاللَّطْفِ تَقْلِيلُ الْقَلْبِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ تَعَالَى مَقْلَبُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ وَالْمَنَافِقِ الْمَخَادِعِ لَمَّا قَطَعَ رَابِطَتَهُ مَعَ خَالِقِهِ فَلَا مُحَالَةَ حَرَمَ عَنْ الْطَافَةِ وَلا زَمَهُ زِيَادَةَ الْمَرَضِ فِي الْقَلْبِ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ فَقَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ يُقَالُ أَلَمٌ فَهُوَ أَلِيمٌ كَوَجَعٍ فَهُوَ وَجِيعٌ وَوَصَفَ الْعَذَابَ بِهِ فَهُوَ نَحْوُ قَوْلِهِ، (تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ) وَهَذَا عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِمْ جَدَّ جَدَّهُ وَالْأَلَمُ حَقِيقَةُ لِلْمُؤَلِّمِ كَمَا أَنَّ الْجَدَّ لِلْجَادِّ، فَالْأَلِيمُ مَبَالِغَةٌ فِي الْأَلَمِ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ إِشْعَارٌ بِإِعْلَامٍ أَنَّ الْعِلَّةَ لِلْعَذَابِ هُوَ الْكَذِبُ وَالْمُرَادُ مِنْهُ قَوْلُهُمْ أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا أَبَدًا.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ  
مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا  
يَشْعُرُونَ (١٢)

### ◀ اللغة

إذا: ظرف زمان.  
قِيلَ: بكسر القاف مجهول، قال.  
لَا تُفْسِدُوا: بضم التاء فعل نهي من أَفْسَدَ يفسد.  
فِي الْأَرْضِ: الهمزة في الأرض، أصل، وأصل الكلمة على الإتياع ومنه  
قولهم أرضت القرصة إذا إتسعت.  
مُصْلِحُونَ: إسم فاعل من أَصْلَحَ.  
وَالْمُفْسِدُونَ: فاعل من أَفْسَدَ، والواو والنون فيها علامة الجمع.

### ◀ الإعراب

إذا في موضع نصب على الظرف والعامل فيها جوابها وهو قوله قالوا و  
قيل العامل فيها قيل وهو خطأ لأنه في موضع جر بإضافة إذا، اليه والمضاف  
اليه لا يعمل في المضاف لَهُمْ قيل هو القائم مقام الفاعل وقال بعض تقدير  
الكلام إذا قيل لهم قول هو لا تفسدوا، وعليه فالقائم مقام الفاعل هو قول و  
ضمير في هم يرجع إلى المنافقين لَهُمْ في موضع نصب مفعول، قيل: لَا  
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ ظرف متعلق، بتفسدوا قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ  
مُصْلِحُونَ، أَنَّمَا، تفيد حصر الخبر كقوله تعالى: إِنَّمَا اللَّهُ وَاحِدٌ وَنَا هِيَهَا  
كَافَّةً وَنَحْنُ، إسم منفصل مبني على الضم وهو في موضع رفع بالابتداء و  
مصلحون، خبره ألا هي حرف يفتح به الكلام لتنبية المخاطب

هُمُ الْمُفْسِدُونَ مبتدأ وخبر والجملة خبر إنَّ ولكن لا يشعرون معطوف على المفسدين فموضعه الرفع بحكم العطف.

### ◀ التفسير

يقول الله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَيُّ الْمُنَافِقِينَ أَتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أي نريد الإصلاح لا الفساد ولا يعلمون أنهم مفسدون وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ بافسادهم لجهلهم به.

قال الزَّاعِبُ الفساد خروج الشَّيْءِ عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصَّلاح ويستعمل ذلك في النَّفْسِ وَالْبَدَنِ يقال فَسَدَ فساداً وفسوداً انتهى.

وإذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الأرض قيل المراد بالفساد المعاصي وقيل صدَّهم النَّاسُ من الإيمان وقيل ميلهم إلى الكفَّار وقيل تحريفهم الكتاب وقيل غير ذلك ولا شك أنَّ الفساد له معنى عامٌ يشتمل الكلَّ يقولون في الجواب إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أي نريد الإصلاح بين النَّاسِ أو أنَّ أعمالنا في الدُّنْيَا بصلاح النَّاسِ وفيه إشارة إلى أنَّ كلَّ حزبٍ بما لديهم فرحون ولا يبعد أن يكون قولهم هذا أي إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ منهم على سبيل التَّفَاقٍ لا على سبيل التَّشْخِصِ وَالْفَهْمِ وذلك لأنَّ المنافق كما يظهر الإيمان وَيُطِنُّ الكفر كذلك يقول الحقَّ ويريد الباطل فهو يعلم أنَّ فعله من مصاديق الفساد ولكن لا يقرُّ به لأنه بصدد إغفال النَّاسِ وإنحرافهم عن مسلك الحقِّ والحاصل أنَّ المنافق لا يقرُّ بنفاقه وفساده وأن كان من أعظم مصاديق المفسد ولذلك قال الله تعالى في جوابهم أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وهذا الكلام منه تعالى ردُّ لما إدَّعوه أبلغ ردُّ للإستئناف به وتصديره بحرفي التأكيد و أَلَا المُنْهَةِ على تحقيق ما بعدها فَأَنَّ همزة الإستفهام التي للإنكار إذا دخلت

على النَّفْيِ أَفَادَتْ تَحْقِيقاً ونظيره، أليس الله بكافٍ عبده، ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعد إلا مصدرة بما يتلقى به القسم قاله البيضاوي في تفسيره.  
وكيف كان فالمعنى لا خفاء فيه أعلم أن الفساد في الأرض لا يختص بالقتل والنهب وأمثالها بل هو على قسمين:

فساد في الأرض، وفساد في القلب وإن شئت قلت فساد في الدين وعليه فالمفسد أيضاً على قسمين، مفسد على الناس دنياهم، ومفسد عليهم دينهم والآية بإطلاقها تشمل القسمين وقد يوجد من يفسد على الناس دينهم و دنياهم معاً وهو من أخبث المفسدين وأمثالهم كثيرة في المسلمين بل هم في المسلمين أكثر بمراتب منهم في الكفار أعاذنا الله من شرورهم لعن الله من أسس أساس النفاق في الإسلام أمين.



وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا  
 آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا  
 يَعْلَمُونَ (١٣)

### ◀ اللغة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: قد مرَّ الكلام فيه.  
 آمِنُوا: فعل أمر من آمَنَ والواو علامة الجمع وقد مرَّ معنى الإيمان غير مرّة.  
 كَمَا آمَنَ النَّاسُ: فعل و فاعل.  
 أَنُؤْمِنُ: الهمزة للإنكار وأصلها الإستفهام ونؤمن فعل مضارع من آمَنَ وهو  
 يتكلم مع الغير.  
 السُّفَهَاءُ: بضم السين جمع سَفِيه والسَّفِيه الضَّعِيف الرَّأْيِ الجاهل القليل  
 المعرفة بالمنافع والمضار وباقي اللغات معلوم.

### ◀ الإعراب

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا القائم مقام المفعول هو القول ويفسره، آمِنُوا لأنَّ  
 الأمر والنهي قول كَمَا آمَنَ النَّاسُ الكاف في موضع نصب صفة لمصدر  
 محذوف أي إيماناً مثل إيمان النَّاس و مثله كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ، النَّاسُ فاعل  
 آمَنَ وكذلك السُّفَهَاءُ والباقي واضح.

### ◀ التفسير

وإذا قيل لهم أي للمنافقين، آمِنُوا، بالله ورسوله وما أنزل عليه كما آمن به  
 سائر النَّاس من المؤمنين قالوا في الجواب أَنُؤْمِنُ بِهِ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ و  
 الجهال ثم كذبهم الله و حكم عليهم بأنهم هم الجهال في الحقيقة ولكن لا  
 يَعْلَمُونَ.

نبأ الفرقان في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من قبائح أفعال المنافقين وذلك لأنه سبحانه لمّا نهاهم في الآية المتقدمة عن الفساد في الأرض أمرهم في هذه بالإيمان الذي يوجب سعادة الدارين وكمال النشاطين أن كمال الإنسان لا يحصل إلاّ بجموع الأمرين أحدهما: ترك ما لا ينبغي فعله.

ثانيهما: فعل ما لا ينبغي تركه وإن شئت قلت ترك المَنهيات وفعل الواجبات وفي المقام أبحاث:

**الأول:** أن قوله تعالى: **أَمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ** كما أمن الناس، المراد بالناس ليس العوام والجهال منهم كما زعمه بعض المفسرين بل المراد بهم الناس المعلوم حالهم فالألف واللام للعهد أمثال سلمان وأبوذر وعمار وغيرهم من المؤمنين الذين قالوا بألستهم ما كان ثابتاً في قلوبهم وظاهراً في أعمالهم فالإيمان المأمور به في الآية هو هذا الإيمان وبذلك إندفع ما قيل أن الآية تدل على أن الإيمان عبارة عن مجرد الإقرار باللسان وذلك لأن الله تعالى قال: **كَمَا آمَنَ النَّاسُ** وإيمان الناس ليس إلاّ الإقرار باللسان.

ووجه الدفع قد ظهر مما ذكرنا في تفسير الآية وهو أن المراد بالناس المعهود منهم لا مطلقاً.

**الثاني:** أن المنافقين قالوا **أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ** يعني أن العاقل لا يؤمن والذي يؤمن بالله وبرسوله سفيه لا عقل له وهذا الكلام منهم يدل على سفاهة كل مؤمن وإذا كان المؤمن سفيهاً لإيمانه فلا محالة يكون الكافر عاقلاً لكفره وهو كما ترى خارج عن طور العلم والعقل إذ العاقل لا يتفوه بمثل هذه المقالة التي يضحك بها الثكلى.

**الثالث:** أن الله تعالى قال في جوابهم **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ** نفى الله تعالى عنهم العلم يمكن أن يقرّر بوجهين:

الأول: أنهم لا يعلمون واقعاً لكونهم جاهلين بالجهل البسيط.  
 الثانى: أنهم جاهلون بالجهل المركب أي أنهم لا علم لهم بجهلهم ويمكن  
 أن يكون المراد أنهم لا يعلمون معنى السفه اذ لو كانوا عالمين بمعناه لعلموا  
 أنهم هم السفهاء وذلك لأن السفه من أعرض عن الدليل وإتبع هواه أو أن  
 السفه من باع آخرته بدنياء وهذا ظاهر.



وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى  
شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُنَ (١٤)  
اللَّهُ يَسْتَهْزِؤُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥)

### ◀ اللغة

لَقُوا: أصله لَقِيُوا، فأسكنت الياء لثقل الضمة عليها ثم حذفت لسكونها و  
سكون الواو بعدها و حرّكت القاف بالضم تبعاً للواو و قرأ ابن السميع، لاقُوا  
بألف و فتح القاف و ضم الواو.

وَإِذَا خَلَوْا: بتحقيق الهمزة و هو الأصل و أصل خلوا خلووا فقلبت الواو  
الأولى ألفاً لتحركها و إنفتاح ما قبلها ثم حذفت الألف لئلا يلتقي ساكنان و بقيت  
الفتحة تدل على الألف المحذوفة.

إِنَّا مَعَكُمْ: الأصل إِنَّا، فحذفت النون الوسطى على القول الصحيح كما  
حذفت في أن، اذ أخفقت كقوله تعالى: وَأَنْ كُلَّ لِمَا جَمِيع، و معكم، ظرف قائم  
مقام الخبر أي كائنون معكم.

مُسْتَهْزَؤُنَ: بتحقيق الهمزة و هو الأصل، إسم فاعل من، إستهزاء و الواو و  
النون علامة الجمع.

يَمُدُّهُمْ: من مدّ، يمدّد، فعل مضارع.

يَعْمَهُونَ: فعل مضارع و هو حال من الهاء و هم في، يمدّهم، وفي  
طغيانهم، متعلق به.

### ◀ الإعراب

يَعْمَهُونَ، جملة في موضع الحال.



## ◀ التفسير

ذكر الله تعالى وصفاً آخر للمنافقين وهو أنهم وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورسوله أمثال سلمان وأبي ذر وعمار والمقداد قالوا لهم آمناً بالله ورسوله كما آمنتم وإذا خلوا إلى شياطينهم أعني بهم المنافقين قالوا لهم إِنَّا مَعَكُمْ فِي الْكُفْرِ و عدم الإيمان إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ بالمؤمنين أي نستهزؤ بأصحاب محمدٍ ونسخر لهم في قولنا لهم آمناً ثم قال الله تعالى في جوابهم: اللَّهُ يَسْتَهْزِؤُ بِهِمْ كما إستهزؤ بأصحاب الرسول وَيَمُدُّهُمْ، أي يطيل لهم المدة و يمهلهم و يملي لهم في طُغْيَانِهِمْ و نفاقهم يَعْمَهُونَ أي يترددون فتحيرون في الكفر يقال عَمَهُ الرَّجُلُ يَعْمَهُ عَمَوَهاً و عَمَهاً فهو عَمَهُ و عامه إذا حَارَ و تَرَدَّدَ أعلم أن هذه الآية لغيرها من الآيات السابقة واللاحقة أنزلت في المنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فقلوبهم ثابتة على الكفر و ألسنتهم تجري على وفق مصالحهم في الدنيا فأن كانت المصلحة في إظهار الإيمان يظهرون الإيمان و أن كانت في الكفر يظهرون الكفر كما حكى الله تعالى عنهم في الآية و إنما عبّر عن جلسائهم المنافقين بالشياطين و قال وإذا خلوا إلى شياطينهم، لأن الشيطان في رأس المنافقين ألا ترى أنه قال لآدم و حواء على سبيل القسم إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ<sup>(١)</sup> مع أنه كان من أعداءهما بلا شك و لذلك صار سبباً لخروجهما من الجنة و الشيطان مشقّ من شطن، أي تباعد سُمِّيَ به لبعده عن رحمة الحقّ و هو اسم لكلّ عارمٍ من الجنّ و الإنس و الحيوانات قال الله تعالى: شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ وَ سُمِّيَ كلّ خلق ذميم للإسنان شيطاناً قال **عَلِيٌّ** الحَسَدُ شَيْطَانٌ، والغضب شيطان و سيأتي الكلام فيه مفصلاً في موضعه.

فيه التفسير القرآن

جزء ١

الجلد الأول

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **اللَّهُ يَسْتَهْزِؤُ بِهِمْ** ففیه وجوه :

**أحدها:** أنه ينتقم منهم ويُعاقبهم و يجزيهم و يجازيهم على إستهزائهم فسمى العقوبة باسم الذنب هذا قول الجمهور و العرب تستعمل ذلك كثيراً منه قول الشاعر.

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدُ عَلَيْنَا فَجَهْلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

سمى إنتصاره جهلاً و الجاهل لا يفتخر به ذو عقل:

قال الله تعالى: **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ** <sup>(٢)</sup>.

و من المعلوم أن الجزاء لا يكون سيئة و القصاص لا يكون إعتداء لأنه حق و جب، و مثله.

قال الله تعالى: **وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ**.

قال الله تعالى: **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا، وَأَكِيدُ كَيْدًا** <sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: **فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ** <sup>(٤)</sup>.

ولا شك أنه ليس من الله مكّر ولا كيد ولا هزء، و إنما هو جزاء لمكرهم و كيدهم و إستهزائهم.

**ثانيها:** أن يكون المعنى في إستهزاء الله بهم تخطئته أياهم و تجميله لهم في إقامتهم على الكفر و إصرارهم على الضلال و العرب يقيم الشيء مقام ما يقاربه في معناه.

**ثالثها:** أن يكون معنى الإستهزاء المضاف إليه أن يستدرجهم و يهلكهم من حيث لا يعلمون و عن ابن عباس أنه قال في معنى الإستدرج أنهم كلما

أحدثوا خطيئة جدّد الله لهم نعمة وإنّما سمّي هذا الفعل إستهزاء لأنّ ذلك في الظاهر نعمة والمراد إستدراجهم إلى الهلاك والعقاب الذي إستحقّوه بما تقدّم من كفّهم انتهى.

وابعها: أنّ معنى إستهزء بهم أنّه جعل لهم بما أظهره من موافقة أهل الإيمان ظاهر أحكامهم من الموارثة والمناكحة والمداهمة وغيرها من الأحكام وأن كان قد أعدّ لهم في الآخرة العقاب بما أبطنوه من النفاق فهو كالمستهزء بهم من حيث أنّه جعل لهم أحكام المؤمنين ظاهراً ثمّ ميّزهم منهم في الآخرة انتهى.

خامسها: ما روي عن ابن عباس أنّه قال يفتح لهم وهم في النار من باب الجنة فيقبلون إليه من النار مُسرّعين حتّى إذا إنتهوا إليه شدّ عليهم فيضحك المؤمنون منه في الآخرة كما قال: **فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ**. وهذه الوجوه الأربعة الأخيرة ذكرها الطبرسي رحمته الله في المجمع وقال في الكشف معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأنّ المُستهزء غرضه الذي يرميه هو طلب الخفّة والزراية بمن يهرء به وإدخال الهوان والحقارة عليه إلى أن قال والمراد به تحقير شأنهم وإزدياء أمرهم والدلالة على أنّ مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها السّاخرون ويضحك الضّاحكون.

والقول الأول أحسن الأقوال في المسألة ويؤيده ما روي عن عيون الأخبار عن ابن فضال عن أبيه قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام إلى أن قال **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَسْخَرُ وَلَا يَسْتَهْزَأُ وَلَا يُخَادِعُ** ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخريّة وجزاء الإستهزاء وجزاء المكر والخديعة تعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

أقول أنّما قال عليه السلام أنّ الله لا يسخر ولا يستهزء الخ.

لأنّ هذه الأوصاف لا تليق بجنابه والوجه أنّ الله مُنزّه عن النقائص في ذاته

كما ثبت في محله والنقص ذاتاً وصفةً من لوازم الممكن وعليه فإسناد هذه الأمور إليه تعالى على سبيل المُجاز دون الحقيقة والأمر واضح.

وأما قوله تعالى: وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ فمعناه تطيل لهم المدة بطول العمر حتى يزيّد في الطغيان فيزيد في عذابهم وقوله يَعْمَهُونَ أي يتردّدون متحيرين في الكفر فهو كقوله تعالى: إِنَّمَا نُفُلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا<sup>(١)</sup>.

ومحصل الكلام أنّه تعالى يمهّلهم في الدنيا ليزدادوا غيًّا.

رُوي في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه لو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه ولكن الله تبارك وتعالى ماض حكمه بإيجاب الحجة على خلقه كما قال فله الحجة البالغة، أغشى أبصارهم وجعل على قلوبهم أكنةً عن تأمل ذلك فتركوه بحاله وحجبوا عن تأكيد التلبس بإبطاله فالتسعداء يتنبّهون عليه والأشقياء يعمّهون عنه انتهى.

وأما العامة فقد روى السيوطي في تفسيره لهذه الآية أنها نزلت في عبد الله ابن أبي وأصحابه فقال.

أخرج الواحدي والثعلبي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله ابن أبي وأصحابه وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فقال عبد الله ابن أبي أنظروا كيف أُرِد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب وأخذ بيد أبي بكر فقال مرحباً بالصديق سيّد بني تميم وشيخ الإسلام و ثاني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في الغار البازل نفسه و ماله لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحباً بسيّد عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله البازل

نفسه و ماله لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ مَرْحَبًا بِإِبْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ وَخَتَمِهِ سَيِّدِ بَنِي هَاشِمٍ مَا خَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ، إِفْتَرَقُوا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ كَيْفَ رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُمْ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَفْعَلُوا كَمَا فَعَلْتُ فَأَثْنُوا عَلَيْهِ خَيْرًا فَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَأَنْزَلَتِ الْآيَةُ إِنَّتَهُى.

وَأَخْرَجَ ابْنَ جَرِيرٍ وَابْنَ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالْ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْيَهُودِ إِذَا لَقُوا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ بَعْضَهُمْ قَالُوا إِنَّا عَلَى دِينِكُمْ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ وَهُمْ إِخْوَانُهُمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ أَيْ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ إِنَّمَا نَخُنُّ مُسْتَهْزِؤْنَ قَالَ سَاخِرُونَ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَلَلَّهُ يَسْتَهْزِؤُ بِهِمْ قَالَ يَسْخَرُ بِهِمْ لِلنِّقْمَةِ مِنْهُمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ قَالَ فِي كُفْرِهِمْ يَغْمَهُونَ يَتَرَدَّدُونَ إِنَّتَهُى.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَهُمْ مُنَافِقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ فَذَكَرَهُمْ وَذَكَرَ إِسْتِهْزَاءَهُمْ وَأَنَّهُمْ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ إِنَّمَا نَخُنُّ مُسْتَهْزِؤْنَ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ: أَلَلَّهُ يَسْتَهْزِؤُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ يَفْتَحُ لَهُمْ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ تَعَالَى فَيَنْقَلِبُونَ يَسْبَحُونَ فِي النَّارِ، وَالمُؤْمِنُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ وَهِيَ السَّرَرُ فِي الْحِجْلِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَى الْبَابِ سَدَّ عَنْهُمْ فَضَحَكَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: أَلَلَّهُ يَسْتَهْزِؤُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ) وَ يَضْحَكُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ حِينَ غَلَقَتْ دُونَهُمُ الْأَبْوَابُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ إِنَّتَهُى.

و عن ابن عباس أنَّ نافع بن الأزرق قال له أخبرني عن قوله عزَّ وجلَّ  
يَعْمَهُونَ قال يَلْعَبُونَ يَتَرَدَّدُونَ قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت  
قول الشاعر:

أراني قد عمهتُ وشاب رأسي وهذا اللعب شينٌ بالكبير  
ما أردنا نقله منه وقد نقل الطبري أيضاً في تفسيره بهذه المضامين أخباراً  
كثيرة لا فائدة في نقلها فإنَّ حكم الأمثال واحد والذي تجده في تفاسير العامة  
من أولهم إلى آخرهم هو أنَّهم قد اتعبوا أنفسهم في إثبات أصل واحد وهو أنَّ  
شأن نزول الآية أنَّ عبد الله أبي وأصحابه فعلوا كذا وكذا فنزلت الآية فهي  
نزلت في حقهم وهذا ممَّا إتفقوا عليه ولم يخالف فيه أحد، ونحن نقول لا  
ننكر أنَّ عبد الله وأصحابه كانوا كذلك إلا أنَّ اختصاص الآية بهم وأنَّ المراد  
منها هم لا غيرهم من المسلمين محل تأمل بل منع.

أما أولاً فلأنَّ خصوص المَورد في الآية لا يوجب خصوص المراد والمعنى  
وعليه فالآية وإن كانت نزلت في حقهم كما إعترفوا به إلا أنَّ المراد بها العموم  
فتشمل كلَّ منافقٍ كان كذلك يهودياً كان أم لا اذ لا نشك في أنَّ أكثر المسلمين  
كانوا متصفيين بهذه الصفات في صدر الإسلام و الآن أيضاً كذلك فالحق أنَّ  
هذه الآية وغيرها من الآيات، يُستفاد منها العموم ولا يقول عاقل أنَّ عبد الله  
أبي الذي قال كذا وكذا كان نفاقه أكثر وأشدَّ ممَّن قال في غدير خم، بخ بخ  
لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة بلسانه وأبطن عداوته  
في قلبه ولذلك بعد موت رسول الله ﷺ أنكر البيعة بالكلمة كأن لم يكن  
شيئاً مذكوراً.

أليس هذا من التَّفَاق بشيِّ فإن كان كما هو كذلك فهو وأمثاله أليق بنزول  
الآية في حقهم من عبد الله ابن أبي ولا أقل من شمول الآية لهم.

وَأَمَّا قَلِيلًا أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ لَآ نَرِي إِلَّا الْبَائِعِينَ لِعَلِّيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَدِيرِ ثَمَّ تَخَلَّفُوا مِنْ بَيْعَتِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ وَهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا يَعْنِي الرَّسُولَ وَمَنْ تَابَعَهُ حَقَّافِي غَدِيرِ خَمَّ قَالُوا آمَنَّا مَعَكُمْ فِي بَيْعَتِنَا لِعَلِّيٍّ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ بِالنَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعَهُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: اللَّهُ يَسْتَهْزِؤُ بِهِمْ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ حَمَلَ الْآيَةِ عَلَى الْعُمُومِ أَوْلَىٰ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى الْقَاعِدَةِ إِنْ لَمْ نَقُلْ أَنَّ شَأْنَ نَزُولِهَا فِي الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَشْمَلُ غَيْرَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى وَسَائِرِ الْفِرَقِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ وَلِنَعْمَ مَا قِيلَ فِي الْفَارِسِيَّةِ:

من از بیگانگان هرگز ننالم که هر چه کرد با من آشنا کرد  
و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.



وَأُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ  
تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

### ◀ اللغة

اشْتَرَوْا: فعل ماضٍ من إشتري واشتري والواو علامة الجمع وأصله،  
إشتريوا، فقلبت الياء ألفاً ثم حذفت الألف لثلاثي ساكنان، الألف، والواو و  
حقيقة الإشتراء، الإشتبدال، وذلك لأنَّ الشَّراءَ والتَّجارة راجعان إلى  
الإشتبدال والعرب تستعمل ذلك في كلِّ من إشتبدل شيئاً بشيءٍ قال الشاعر:  
فإن تزعمني كنتُ أجهل منكم فأنِّي شريتُ الحِلْمَ بعدك بالجهل  
الضَّلَالَةُ: في الأصل الحيرة ويُسمَّى النسيان ضلالة لما فيه من الحيرة قال  
تعالى: (فعلتها إذاً وأنا من الضَّالِّين) أي النَّاسِينَ ويُسمَّى الهلاك ضلالة قال  
تعالى: (وقالوا إذاً أضلُّنا في الأرض).  
تِجَارَتُهُمْ: مصدر كالهداية والوقاية والتجارة التعرض للربح في البيع.  
مُهْتَدِينَ: إسم فاعل من إهتدى يهتدى.

### ◀ الإعراب

وَأُولَئِكَ: موضعه الرفع على الابتداء اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ خبره ما  
حرف نفى  
رَبِحَتْ: فعل تجارته فاعله وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ إسم كان مستتر فيه و  
مهتدين خبره و علامة نصبه الياء.

### ◀ التفسير

المشار إليهم، بأولئك المنافقون الذين مرَّت أوصافهم في الآيات السابقة  
والمعنى أنَّ المنافقين الذين مرَّ ذكرهم اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ، لأنهم تركوا



الهداية وأخذوا الضلالة فكأنهم باعوا الهداية بالضلالة فلا جرم ما ربحَتْ  
تَجَارَتُهُمْ بل خسرت وإسناد الرِّيح الى التجارة مجاز فأَنَّ الرِّيح والخسران  
في الحقيقة يُسندان الى البيع يقال ربحَتْ وخسرت في بيعك، فهو من قبيل  
قولهم، ليلٌ قائم، ونهارٌ صائم، حيث إسند القيام الى الليل والصَّيام الى النهار  
مجازاً والأصل قُمْتُ في ليلك وصمْتُ في نهارك، وما كانوا، أي المنافقون  
مُهتدين في هذه المعاملة لأنهم باعوا الهداية بثمنٍ بخسٍ وهو الضلالة أعنى  
بها النفاق النَّاشئ من الكُفْرِ.

إِعلم أَنَّ التَّجَارَةَ في الأصل التَّعَرُّض للرِّيح في البَيْع كما مرَّ بمعنى أَنَّ التَّاجِرَ  
يريد في تجارته أن يربح بها ولا بدَّ له في التجارة من أمور ثلاثة:  
أحدها: رأس المال فَمَنْ لا مال له لا يكون تاجراً.

ثانيها: المبيع.

ثالثها: الثَّمَن.

وإن شئت قلت البائع والمشتري فهذه الأمور الثلاثة ينبغي التَّحْفُظ عليها  
في التَّجَارَةِ والكسب في دار الدُّنْيَا والرِّيح الحاصل منها الدرهم والدينار هذا  
ظاهر لا خفاء فيه.

وأما التَّجَارَةُ بالنسبة الى سوق الأخرى فلها أيضاً أجزاء وشرائط لا بدَّ  
للمكلف العاقل مراعاتها ليحصل له الرِّيح، فرأس ماله هو عُمره والبائع و  
المُشتري هو نفسه بإعتبارين وقد يكون أحدهما ثَمَن صرف عمره في الدُّنْيَا و  
جمع عقائد باطلة، فكأنه باع عُمره وإشترى الباطل فهو بإعتبار الأول بائع و  
بالإعتبار الثاني يَصْدُق عليه المشتري و من باع دينه بدنياه غيره فهو بائع و  
المشتري غيره و من إشتري الضلالة بالهدى فالبائع تارة يكون غيره كما اذا تابع  
إماماً ضالاً فالبائع للضلالة هو الإمام الضال والمشتري هو وهكذا فأَنَّ العناوين  
تختلف بالإعتبارات.

وَأما في المقام فَأَنَّ المنافق كان على هدى من ربه لأنَّ المفروض أَنَّهُ آمَنَ

بالله وبرسوله بلسانه ظاهراً وكان قادراً على حفظه والإعتقاد به بقلبه إلا أنه باعه وإشترى الضلالة والنفاق ومن المعلوم أن الضلالة لا ربح لها بل كلّها خسران ووبال والهداية بالعكس فمن باع الهداية وإشترى الضلالة لم يربح بل يخسر ولذلك قال الله تعالى: **فَمَا رَیْحَتْ تِجَارَتُهُمْ**.

**وأما أقوال المفسرين في الآية:** فمنها ما رَووه عن ابن عباس أنه قال معنى أنهم إستبدلوا الكفر بالإيمان فإن قيل لم يكن هناك إيمان حتى يقال أنهم إستبدلوه لأن المفروض أنهم لم يؤمنوا واقعاً يقال في الجواب هذا الإشكال يتم لو قلنا أن الآية نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه وهي مختصة بهم وهو أحد الأقوال في المسئلة وأما على المختار من العموم نزولاً ودلالة فتشمل من آمن ونافق وهم أكثرهم كافر كما مرّ وعليه يقول كما إستبدلوا الكفر بالإيمان ومنها أن المراد بالإشتراء الاختيار أي إختاروا الضلالة بالهدى لأن كل مشتر مختار ما في يد صاحبه على ما في يده ومنها أنهم ولدوا على الفطرة كما جاء في كل مولود يولد على الفطرة فتركوا ذلك فكانهم إستبدلوه به ومنها أنهم قبل البعثة كانوا مؤمنين بنبوّة محمد ﷺ على ما في كتبهم فلما بعث كفروا به فكانهم إستبدلوا الكفر بالإيمان، نقلها الطبرسي في المجمع.

**ومنها:** أنهم باعوا دين الله وإعتاضوا منه الكفر بالله ومنها ماذهب اليه في الكشف وهو أنهم كما متمكنين من الإيمان ومع ذلك لم يقبلوه وأعرضوا عنه فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطّلوه واستبدلوها به واستبدالها به على سبيل الإستعارة لأن الإشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر قال الشاعر:

أخذت بالجملة رأساً أزعرأ وبالثنايا الواضحات الدردرا

و بالطويل العمر عُمرأ حيدرا كما إشتري المسلم اذ تنصرا

والاقوال فيها كثيرة كلها يرجع الى شيء واحد كما ترى.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا  
حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا  
يُبْصِرُونَ (١٧) صُمُّكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)

### ◀ اللغة

مَثَلُهُمْ، المَثَلُ عبارة في قول في شيء يُشبهه قولاً في شيءٍ آخر بينهما مشابهة  
يَبَيِّنُ أحدهما الآخر ويَصُور.

اسْتَوْقَدَ فعل ماضٍ مصدره الإستيقاد وهو من الوقود يقال وقدت النار  
وقوداً وقداً والوقود ويقال للحطب المجعول للوقود يقال إستوقدت النار  
إذا ترشحت لإيقادها.

حَوْلُهُ، الحَوْلُ بفتح الحاء المهملة الجانب وحول الشيء جانبه الذي يمكنه  
أن يحول إليه قال تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ.

ظُلُمَاتٍ جمع ظلمة وهي عدم النور قال تعالى: ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ<sup>(١)</sup>.  
صُمُّ الصُّمُّ بضم الصاد جمع أصم، كحمر جمع أحمر وهو من لا يسمع  
والمراد هنا من لا يهتدي ولا يقبل الحق وقد يسند الفعل إلى الشخص أيضاً  
فيقال صَمَّ يَصُمُّ صَمَّهَا قال الشاعر:

صَمَّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذَكَرْتُ بِهِ      وَإِنْ ذَكَرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أُذُنٌ  
بُكْمٌ، الْبُكْمُ، الخرس والأبكم الذي لا يفصح يقال صُمٌّ عن إستماع الحق  
بكُمٍّ عن النطق به، عَمَى عن العبارة، والبُكْم جمع أبكم وهو الذي لا ينطق له.  
عُمَى بضم العين جمع أعمى وهو الذي لا يبصر ولا يقع العمى إلا على  
العينين جميعاً ويستعار للقلب كناية عن الضلالة وعلامة المشابهة، عدم  
الإهتداء والعماية بفتح العين الضلالة والتعمية الإخفاء والتلبس.

## ﴿الإعراب﴾

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ وَالْكَافِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَرْفٌ جَرٌّ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِسْمًا بِمَعْنَى مِثْلِ فَلَا يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا الَّذِي فِي الْمَقَامِ فِي اللَّفْظِ مُفْرَدٌ وَفِي الْمَعْنَى جَمْعٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ.

وفي موقع المفرد موقع الجمع وجهان:

أحدهما: هو جنسٌ مثل، مَنْ وما، فيعود الضمير إليه تارةً بلفظ المفرد وتارةً بلفظ الجمع.

ثانيهما: أنه تعالى أراد الذين فحذفت النون لطول الكلام بالصلة ومثله قوله تعالى: وَ الَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ ثُمَّ قَالَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ. اسْتَوْقَدَ بِمَعْنَى، أَوْقَدَ، مِثْل، اسْتَقَرَّ، بِمَعْنَى، قَرَّ، وَقِيلَ اسْتَوْقَدَ اسْتَدْعَى عَنِ الْإِقَادِ نَارًا. عَلَى الْمَفْعُولِيَةِ فَلَمَّا أَضَاءَتْ، لَمَّا هُنَا إِسْمٌ وَهِيَ ظَرْفُ زَمَانٍ وَكَذَا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَقَعَ بَعْدَهَا الْمَاضِي وَكَانَ لَهَا جَوَابٌ وَالْعَامِلُ فِيهَا جَوَابُهَا مِثْل، إِذَا، وَأَضَاءَتْ، مُتَعَدٍّ فَيَكُونُ، مَا، مَفْعُولُهُ وَقِيلَ لَازِمٌ مِنْ ضَاءَتْ النَّارُ وَأَضَاءَتْ بِمَعْنَى فَعَلَى هَذَا يَكُونُ، مَا ظَرْفًا وَفِي مَا ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ.

أحدها: بِمَعْنَى، الَّذِي.

الثاني: أَنَّهَا نَكْرَةٌ مَوْصُوفَةٌ أَيْ مَكَانًا حَوْلَهُ.

الثالث: هِيَ زَائِدَةٌ.

مَا حَوْلَهُ، مَا إِسْمٌ مَوْصُولٌ مَنْصُوبٌ فِي الْمَحَلِّ لِكَوْنِهِ مَفْعُولًا لِقَوْلِهِ أَضَاءَتْ وَحَوْلَهُ، مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِ وَهُوَ ضَلَّةٌ، مَا ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ الْبَاءُ هُنَا مَعْدِيَةٌ لِلْفِعْلِ كَتَعْدِيَةِ الهمزة لَهُ وَالتَّقْدِيرُ أَذْهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ وَعَلَيْهِ، فَاللَّهُ فَاعِلُ الْفِعْلِ، وَبَنُورِهِمْ، فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِيَةِ، وَالْبَاءُ فِي بَنُورِهِمْ مُتَعَلِّقٌ، بِذَهَبَ، فِي ظُلُمَاتٍ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ تَرَكَهُمْ وَهُمْ فِي تَرَكَهُمْ، مَفْعُولٌ

الفعل لَا يُبْصِرُونَ منصوب على الحال والعامل فيه، تَرْكَهُمْ أي تركهم غير مبصرين وقيل قوله، تَرْكَهُمْ، يتعدى إلى مفعولين لأن المعنى صَيَّرَهُمْ وليس المراد به التَّرك الذي هو الإهمال فعلى هذا يكون في ظُلُمَاتٍ مفعوله الثاني فلا يتعلق الجَار بمحذوف ويجوز أن يكون، لَا يُبْصِرُونَ هو المفعول الثاني صُمُّ بَكُمْ عُمَى الجَمُور على الرفع على أَنَّهُ خبر لمبتدأ محذوف أي هُمْ صُمُّ وهُمْ بَكُمْ وهُمْ عُمَى وقرأ شاذاً بالنصب على أَنَّ الحال من الضمير، فِي، يُبْصِرُونَ، أَنَّهُ لَا يَرْجِعُونَ جملة متأنقة مبتدأة وخبر.

### ◀ التفسير

مَثَلُهُمْ أي مثل المنافقين كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً أي كمن طلب الضياء بايقاد النار في ليلة مسلمة ليستضي بها ويرى ما حوله فيينا هو كذلك في حال الاستضاءة والاستنارة طفئت ناره فبقى في الظلمة خائفاً متحيراً لا يبصر شيئاً، شَبَّ الْمُنَافِقُ بِالْمُسْتَوْقَدِ وَإِيمَانُهُمْ فِي الظَّاهِرِ بِالنَّارِ الَّتِي أَوْجَدَهَا الْمُسْتَوْقَدُ وَجِهَ الشَّبَّ هُوَ التَّوَرُّعُ الْمَوْجُودُ فِي الْمَقَامِينَ إِلَّا أَنَّهَا فِي أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ مَعْقُولٌ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَفِي الطَّرَفِ الْأُخْرَى مُحْسُوسٌ وَهُوَ النَّارُ وَالْجَامِعُ التَّوَرُّعُ وَلِذَلِكَ قِيلَ أَنَّ التَّوَرُّعَ وَالنَّارَ وَاحِدٌ فِي الْأَصْلِ بِدَلِيلِ تَصْغِيرِ النَّارِ عَلَى، نُورٍ ثُمَّ أَنَّ هَذَا مِنْ تَشْبِيهِ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ أَنَّ قُلْنَا بَأَنَّ الْمَشَبَّهِ فِي الْمَقَامِ الْإِيمَانُ وَالْمَشَبَّ بِهِ، النَّارُ، وَإِنْ قُلْنَا بَأَنَّ الْمَشَبَّهِ الْمُنَافِقَ وَالْمَشَبَّ بِهِ الْمُسْتَوْقَدُ فَهُوَ مِنْ تَشْبِيهِ الْمَحْسُوسِ بِالْمَحْسُوسِ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ وَالْمَثَلُ فِي أَصْلِ كَلَامِهِمْ بِمَعْنَى الْمَثَلِ وَهُوَ التَّظْهِيرُ يُقَالُ مَثَلٌ وَمِثْلٌ وَمَثِيلٌ كَشَبَّهَ وَشَبَّهَ وَشَبَّهَ ثُمَّ قِيلَ لِلْقَوْلِ السَّائِرِ الْمُمَثَّلُ مَضْرِبُهُ بِمُورَدِهِ مَثَلٌ إِلَى أَنْ قَالَ وَلَمْ يَضْرِبُوا مَثَلًا وَلَا رَأَوْهُ أَهْلًا لِلتَّيْسِيرِ إِلَّا قَوْلًا فِيهِ غَرَابَةٌ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ قَالَ.

فإن قلت ما معنى مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً وما مثل المنافقين و مثل الذى إستوقد ناراً حتّى شبّه أحد المثليين بصاحبه قلت قد إستعير المثل

إستعارة الأسد المقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي إستوقد ناراً الى أن قال فإن قلت كيف مثّلت الجماعة بالواحد، قلت وضع، الذي، موضع، الذين كقوله و خُضْتُم كَالَّذِي خَاضُوا، وأطال الكلام الى أن قال أو قصد جنس المستوقدين و أريد الجمع أو الفوج الذي إستوقد ناراً على أن المنافقين وذواتهم لم يُشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد أنما شَبِهَتْ قِصَتَهُمْ بقصة المستوقد ونحوه:

قال الله تعالى: **مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا النَّوْرِيَّةُ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَخْمَلُ أَشْفَارًا<sup>(١)</sup>**

قال الله تعالى: **يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ<sup>(٢)</sup>**.

ووقود النار سطوعها وإرتفاع لهبها والنار جوهر لطيف مضي حار مذكور والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة وإشتقاقها من نار ينور اذا العزلان فيها حركة وإضطراباً والنور مشتق منها والإضاءة فرق الإنارة انتهى ما أردنا نقله من كلامه فأقول كلامه في أمثال هذه الموارد حجة والذي يظهر من مجموع كلامه أمران:

**أحدهما:** أصل التشبيه والإستعارة.

**ثانيهما:** أن النار والنور في الحقيقة واحد.

فنقول أن معنى الآية أن مثل إستضاءة المنافقين بما أظهروا من الإقرار بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به قولاً، وهم به مكذبون إعتقاداً كمثل إستضاءة الموقد ثم أسقط ذكر الإستضاءة وأضاف المثل اليهم كقول النابغة:

وكيف تواصل من أصبحت خلائته كأبي مَرْحَبٍ

أي كخلائة أبي مَرْحَبٍ وأسقط لدلالة الكلام عليه وأما اذا أراد تشبيه

الجماعة من بني آدم وأعيان ذوي الصور والأجسام، بشئ فالصواب أن يشبه الجماعة بالجماعة والواحد بالواحد لأن عين كل واحد منهم غير أعيان الآخر:

قال الله تعالى: كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِدَّةٍ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: كَأَنَّهُمْ أَغْجَارٌ نَّحْلٌ خَاوِيَةٌ<sup>(٢)</sup>

وأراد جنس النخل، وقيل أن، الذي، بمعنى الذين وعليه قال الشاعر:  
وَأَنَّ النَّهْيَ مَانَتْ بِفَلَجِ دِمَائِهِمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا مَخَالِدٍ  
وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ<sup>(٣)</sup>

قال الشيخ رحمته في التبيان بعد ما نقلناه عنه، وضعف هذا الوجه من حيث أن في الآية الذي جاء بالصديق والبيت دلالة على أنه أريد به الجمع وليس ذلك في الآية التي نحن فيها ثم قال رحمته وقيل فيه وجه ثالث:  
وهو أن التقدير مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَاراً كَمَا قَالَ وَإِسْأَلِ الْقَرْيَةَ، وَأَمَّا أَرَادَ أَهْلُهَا وَفِي الْآيَةِ حَذَفَتْ، إِطْفَأَتْ عَلَيْهِمُ النَّارُ، انْتَهَى.

**أقول** هذا ما وقفنا عليه من أقوال المفسرين في الآية فأنهم قد أخذوا الأقوال بعضهم من بعض ومُحَصَّلُ كلامهم ما ذكرناه وأن كانت عباراتهم وألفاظهم مختلفة متفاوتة ترجع كلها إلى أن المراد في الآية تشبيه حال المنافقين في أخذهم بظاهر الإيمان اللفظي من دون اعتقاد قلبي بحال المستوفد للنار في إكتفائه بظاهر الضوء وغفلته عن عدم دوامه ومن المعلوم أن العاقل لا يقنع بشئ لا إعتبار به وعليه فالمراد من التمثيل في الآية هو أن الإيمان ينبغي أن يكون راسخاً في القلب ملازماً للعمل ليكون مَوْجِداً لِلْإِعْتِمَادِ مُسْتَقَرّاً ثَابِتاً فِي الْحَوَادِثِ وَالْأَفَاتِ وَمَا لَيْسَ كَذَلِكَ فَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يُوقِعُ صَاحِبَهُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالْحَيْرَةِ وَهَذَا الْمَعْنَى وَأَنْ كَانَ حَقّاً لَا كَلَامَ لَنَا فِيهِ إِلَّا أَنْ

الآية الشريفة لا تنحصر فيه بل فيها أسرار ودقائق ونحن نُشير إلى بعضها مما رزقنا الله فهمه فنقول:

**الدقيقة الأولى:** أن الله تبارك وتعالى شبه أحوال المنافقين بأحوال المستوقدين بناءً على إرادة الجمع من الذي، أو شبه أحوالهم بجنس المستوقد وعلى التقديرين لا كلام في أصل التشبيه ووجه الشبه هو أن المنافق له ظاهر وباطن فظاهره مؤمن وباطنه كافر وكذلك النار لها ظاهر وباطن فظاهرها الإضاءة التي هي خير وباطنها الإحراق الذي هو شر فكما أنه لا ينبغي للإنسان العاقل أن يقرب النار لظاهرها كذلك لا ينبغي أن يقرب المنافق لظاهره ويغفل عن باطنه وفيه إيماء إلى عدم جواز الإعتماد عقلاً وشرعاً على من لا يعلم باطنه قولاً وفِعْلاً.

**الثانية:** أن يكون المراد بالنار في الآية نار الفتنة لا النار الحقيقي المحسوس وذلك لأنه قد يراد منها هذا المعنى فيقال فلان أوقد نار الحرب قال الله تعالى: **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ** <sup>(١)</sup> وعليه فالمعنى أن مثل المنافقين كمثال الذي استوقد ناراً للحرب ووجه الشبه هو أن الموقد لنار الحرب يحرق فيها لا محالة في الدنيا والآخرة والمنافق أيضاً كذلك لأنه ينفقه يوجد الاختلاف بين الناس وأحياناً يوقعهم في الحرب والعداوة والبغضاء وغيرها وهو أيضاً معهم ألا ترى أن المنافقين في وقعة أحد لما أظهروا نفاقهم وخالفوا النبي ﷺ قتلوا مع غيرهم في المعركة هذا في الدنيا وأما في الآخرة فهم في الدرك الأسفل من النار والحاصل أنهم كالمستوقد لنار الحرب ويمكن أن يكون الشبه في هذه الصورة هو أن المستوقد لنار الحرب يتصور ويعتقد النصر والغلبة كذلك المنافق أو أنه يبقى بعد الحرب متحيراً متردداً كذلك المنافق فإن من حفر بئراً لأخيه وقع فيه.



**الثالثة:** أَنَّ المستوقد لِلنَّارِ يعتمد على ظَنِّه دون عقله لان الإعتماد على ضوء النَّار الَّذي يكون مؤقتاً لا محالة ممَّا لا يحكم العقل به كذلك المُنَافِقُ فَإِنَّه يعتمد على ظَنِّه في جميع الموارد فلو اعتمد على عقله خرج من النِّفاق إذ العقل يحكم بأنَّ الحوادث والمتغيّرات لا يصحَّ الإعتماد عليها لزوالها وعدم بقائها على حالها.

**الرابعة:** أَنَّ المستوقد لِلنَّارِ بعد إطفائها الله بِالرَّيحِ والمطر وأمثالهما يبقى في الحيرة والتّردّد في الظلمة الّتي وقع فيها إلّا أَنَّ هذا من فعله ولا يصح له أن يقول لِمَ إطفأها الله النَّارَ وأبقاني في الحيرة إذ يقال له لِمَ عَوَّلْتَ على ضوء النَّارِ مع علمك بعدم دوامه وقَصُر عُمُرِهِ وهكذا المُنَافِقُ لا يصحَّ له أن يقول لِمَ حَيَّرَنِي الله إذ يقال له أنت أوقعْتَ نفسك في الحيرة بيدك وما ربُّكَ بظَلَامٍ للعبيد فالنِّفاق بيده كما أَنَّ الإِتِّقاد بيد المُستوقد والوجوه المحتملة كثيرة في الآية بل وفي كلّ آيةٍ وعليك بالتدبّر فيها فَأَتَاهَا كَلَامُ الْخَالِقِ فكما لا يمكن للمخلوق الوصول إلى كنه ذاته لا يمكن له البلوغ إلى مراده في كلامه.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهَمَّ لَا يَرْجِعُونَ** فكأنّه قيل لِمَ كانوا كذلك فقال في الجواب **صُمُّ الْخ** أي أنّهم موصوفون بهذه الأوصاف الثلاثة، أو يقال أَنَّ كونهم كذلك علّة لعدم رجوعهم عن ضلالتهم فكأنّه قيل لِمَ لا يرجعون إلى الحقّ فقال هم كذلك.

أي كيف يرجع إلى الحقّ من لا يسمع الحقّ وهو صُمٌّ ولا ينطق به فهو بكم ولا يبصر به فهو عُمَى، فعلى التّوجيه الأوّل، قوله تعالى: **لَا يَرْجِعُونَ** جملة مستقلة مستأنفة.

وعلى الثّاني متعلّق بقوله: **صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ**.

توضيح الكلام هو أَنَّ الله تعالى أعطى السَّمْعَ للإستماع ثمّ ترتيب الآثار عليه وكذلك البصر للرؤية والإعتبار بها فمن سمع أو إستمع أو أبصر ولم

يَتَرْتَّبُ عَلَى السَّمْعِ وَالرُّؤْيَا مَا يُلْزِمُهُمَا فَهُوَ كَمَنْ لَا سَمْعَ وَلَا بَصَرَ وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ مَنْ سَمِعَ وَأَبْصَرَ وَلَمْ يَتَعَطَّ وَلَمْ يَتَعَبَّرْ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ أَصْلًا وَهَكَذَا الْأَمْرُ فِي اللِّسَانِ الَّذِي وَضَعَ لِلنَّطْقِ بِالْحَقِّ وَلَمَّا كَانَ الْمَنَافِقُونَ حَالَهُمْ فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالنَّطْقِ هَكَذَا عَبَّرَ عَنْهُمْ بِالضَّمِّ وَالْبُكْمِ وَالْعُمَى كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِيهِمْ: **لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ** <sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى في آخر كلامه فهم **لَا يَرْجِعُونَ** إشارة إلى عدم رجوعهم عن التَّفَاق إلى الإيمان الواقعي أو من الباطل إلى الحق وذلك لما ذكره من أنهم **صُمُّ بُكْمٌ عُمْى**.

ومحصل الكلام فيه هو أن قبول الحق والرجوع من الباطل إليه لا يمكن لأحدٍ إلا من طريق السَّمْعِ والبصر لأنه بالسَّمْعِ يسمع كلام الحق وبالبصر يرى آثار عظمة الله في عالم الملك ثم يعتبر بها ويعتقد بوجود المؤثر فيها وباللِّسَانِ يجري الحق في كلماته والمفروض أن وجود الأعضاء فيه كالندم فكيف يمكن له الرجوع عما هو عليه فلذلك قال فهم لا يرجعون ومن المعلوم أنهم لا يرجعون ما داموا على هذه الصفة فإذا تَغَيَّرَتِ الْأَوْصَافُ وَتَرْتَّبَتِ الْأَثَارُ عَلَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ أَمَكْنَ لَهُمُ الرُّجُوعُ مِنَ التَّفَاقِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْخُرُوجُ مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَى الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ بِاخْتِيَارِهِمْ وَلَيْسَ خَارِجًا عَنْ قُدْرَتِهِمْ كَمَا يَقُولُ بِهِ الْقَائِلُ بِالْجَبْرِ.

فمعنى قوله تعالى: **لَا يَرْجِعُونَ** ليس على إطلاقه بل معلق على الوصف الذي هو ثابت في حقهم حال التَّفَاق وقد ثبت أن الإمتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار، وهذا أصل يعول عليه في جميع الموارد في أفعال العباد وأقوالهم فتدبر فيه.

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ  
يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ  
الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ  
يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا  
أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ  
وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

### ◀ اللغة

أَوْ كَصَيْبٍ:، صيب بفتح الصاد وكسر الباء المشددة من صَابَ يَصُوبُ إذا  
نزل من السماء ويقال للسحاب أيضاً صَيْبٌ و سحاب صَيْبٌ، ذوي الصوب  
والصوب بالفتح نزول المطر ومنه غيث صوبه متبطر أي شديد والكاف  
الداخل عليه بمعنى المثل.

السَّمَاءِ: جهته العلو.

ظُلُمَاتٌ: جمع ظلمة وهي ضد النور.

رَعْدٌ وَبَرْقٌ: الرعد، صوت السحاب وروي أنه ملك يسوق السحاب و  
البرق: لمعان السحاب.

الصَّوَاعِقِ: جمع صاعقة وهي والصاعقة يتقاربان وهما الهدّة الكبيرة إلا  
أن الصّقع في الأجسام الأرضية والصّعق في الأجسام العلوية.

يَخْطِفُ: فعل مضارع وماضيه خطف والمصدر منه الخطف والخطف  
والإختطاف الإختلاس بالسرعة.

أَضَاءَ: ماضٍ مصدره الإضاءة بمعنى الإنارة وباقي اللغات واضح.

## الإعراب

أَوْ كَصَيْبٍ أَوْ لِلشَّكَ أَوْ التَّخْيِيرِ أَوْ الْإِبَاحَةِ أَوْ الْإِبْهَامِ عَلَى مَا يَأْتِي فِي التَّفْسِيرِ وَالْكَافِ فِي مَوْضِعِ رَفْعِ عَطْفًا عَلَى الْكَافِ فِي قَوْلِهِ كَمَثَلِ الَّذِي وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا لِمَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ وَتَقْدِيرُهُ، أَوْ مِثْلُهُمْ كَصَيْبٍ وَفِي الْكَلَامِ حَذْفُ وَتَقْدِيرُهُ أَوْ كَأَصْحَابِ صَيْبٍ وَكَيْفَ كَانَ يَكُونُ، صَيْبٍ مَجْرُورًا بِهَا مِنْ السَّمَاءِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ وَالتَّقْدِيرُ أَوْ كَصَيْبٍ كَانَتْ مِنَ السَّمَاءِ وَعَلَيْهِ تَكُونُ الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ عَلَى الصِّفَةِ، كَصَيْبٍ وَالهَمْزَةُ فِي السَّمَاءِ بَدَلٌ مِنَ الْوَائِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ الْهَاءُ تَعُودُ عَلَى صَيْبٍ وَظُلُمَاتٍ، مَبْتَدَأٌ وَفِيهِ، خَبَرٌ مُقَدَّمٌ وَ الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ صِفَةً يَصُبُّ وَالْجُمْهُورُ عَلَى ضَمِّ اللَّامِ فِيهَا وَقَدْ قُرَأَ بِإِسْكَانِهَا تَخْفِيفًا، وَقِيلَ بِالْفَتْحِ أَيْضًا وَرَعْدٌ وَبَرَقٌ الْوَائِ لِلْعَطْفِ وَالرَّعْدُ وَالْبَرَقُ مُصْدَرَانِ مَرْفُوعَانِ بِحَكْمِ الْعَطْفِ عَلَى قَوْلِهِ: ظُلُمَاتٌ يَجْعَلُونَ أَضْيَاعَهُمْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ صِفَةً، يَصُبُّ، وَيَجُوزُ فِيهِ الْإِسْتِثْنَاءُ وَقِيلَ فِيهِ أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الْهَاءِ فِي، فِيهِ وَعَلَيْهِ فَمَوْضِعُهُ النَّصْبِ فِي أَذْنِهِمُ الْجَارِ وَالْمَجْرُورُ يَتَعَلَّقُ بِالْأَصَابِعِ فَمَحَلُّهُ النَّصْبِ بِحَكْمِ الْعَطْفِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ مِنَ الصَّوَاعِقِ أَيْ مِنْ صَوْتِ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ مَفْعُولٌ لَهُ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ وَاللَّهُ مَبْتَدَأٌ وَمُحِيطٌ خَبَرُهُ، بِالْكَافِرِينَ، الْجَارِ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِهِ وَأَصْلُ الْمُحِيطِ، مُحِيطٌ لِأَنَّهُ مِنْ حَوَاطٍ يَحُوطُ فَتَقَلَّتْ كَسْرَةُ الْوَائِ إِلَى الْهَاءِ فِإِنْ قَلْبَتْ يَاءً.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

يَكَادُ فَعْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَقَارِبَةٍ وَقَوْعِ الْفِعْلِ بَعْدَهَا وَأَصْلُهُ، يَكُودُ مِثْلُ خَافَ يَخَافُ الْبَرَقُ فَاعِلُهُ يَخْطُفُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ لِأَنَّهُ خَبَرٌ، كَادًا، أَبْصَارُهُمْ، فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ كُلَّمَا، هِيَ هُنَا ظَرْفٌ وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ كَانَ لَهَا جَوَابٌ وَمَا، مُصْدَرِيَّةٌ وَالزَّمَانُ مَحذُوفٌ أَيْ كُلِّ وَقْتٍ أَضَاءَ لَهُمْ فِيهِ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ أَضَاءَ فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ بِالشَّرْطِ وَمَشَوْا فِيهِ فِي مَوْضِعِ الْجَزَاءِ

فموضع، كلما، نَصَب على الظرف و العامل فيه أضاء وإذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا قد قَدَم إعراب مثله لو وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ حُرِف شرط و شاء، مثل فعل، الله فاعله، والباقي واضح.

### ◁ التفسير

قد قلنا في تفسير اللغات أن كلمة، أو، على وجوه أربعة: الشك، التخيير، الإباحة، الإبهام وها هنا نوضحه فنقول أن قلنا أنها للشك فالمعنى لا يدري الناظر في حال المنافقين أشبههم بالمستوقد أو بأصحاب الصيب كقوله تعالى: إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ<sup>(١)</sup> أي يشك الرائي لهم في مقدار عددهم وذلك لأن الشك يرجع إلى الناظر في حال المنافقين و أن قلنا بالتخيير فالمعنى، شبههم بأي القبيلتين شتم.

و أن قلنا بالإباحة فالمعنى الجواز كما اذا قيل لك جالس الفقهاء أو المحدثين فالمعنى جواز الجلوس لكلا الفريقين فأن جالست أحدهما فأنت مطيع و أن جالستهما فأنت مطيع و أن قلنا بالإبهام فالمعنى أن بعض الناس يشبههم بالمستوقد و بعضهم بأصحاب الصيب كقوله تعالى: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى.

أي قالت اليهود كونوا هوداً و قالت النصارى كونوا نصارى و لا يجوز عند أكثر البصريين أن تحمل، أو، على الواو و لا على بَل، اذا عرفت الوجوه المحتملة في كلمة (أو) فنقول، شَبَّهَ اللَّهُ تعالى حال المنافقين في المتقدمة بالمستوقد، على ما مرّ تفسيره و في المقام بالمطر النازل من السماء فيه ظلمات ورعد و برق و قد تقرر في محله أن للتشبيه أجزاء أربعة:

المُشَبَّه، و المُشَبَّه به، وأداة التشبيه، و وجه الشبه، و الكل في المقام موجود.

أَمَّا الْمَثَبَةُ فُهو المنافقون، والمثَبَّةُ به أصحاب المَطَرِ النَّازل من السَّمَاءِ  
بالأوصاف المذكورة وحرف التَّشبيه، هي الكاف، وَوجه الشَّبه، فيه أقوال:  
أحدها: ما نقله الطَّبْرسي رحمته الله عن ابن عَبَّاسٍ وَهو أَنَّهُ شَبَّهَ المَطَرُ المُنْزَلَ من  
السَّمَاءِ بالقرآن وَ ما فيه من الظُّلُمات بما في القرآن من الإِبْتِلَاءِ وَ ما فيه من  
الرَّعْدِ بما في القرآن من الرَّجْسِ وَ ما فيه من البرق بما فيه من البَيان وَ ما فيه من  
الصَّوَاعِقِ بما في القرآن من الوعيد أَجْلاً وَ الدَّعَاءِ إِلَى الجهاد عاجلاً.  
ثانيها: أَنَّهُ الدُّنْيَا وَ شَبَّهَ ما فيها من الشَّدَّةِ وَ الرَّخَاءِ بالصَّيْبِ الَّذِي يَجْمَعُ ضَرًّا  
وَ نفعاً وَأَنَّ المنافق يدفع عاجل الضَّرَرِ وَ لا يطلب أَجَلَ النِّفْعِ.

ثالثها: أَنَّهُ مِثْلُ للإسلام لَأَنَّ فيه الحَيَاةَ كَمَا فِي الغَيْثِ الحَيَاةِ وَ شَبَّهَ ما فيه من  
الظُّلُمات بما فيه من إِسلامهم من أَلْطافِ الكُفْرِ وَ ما فيه من الرَّعْدِ بما في  
الإسلام من فِرْضِ الجهاد وَ خوفِ القتل وَ بما فيه من وعيد الأُخْرَةِ لَشُكْهِمْ فِي  
دِينِهِمْ وَ ما فيه من البرق وَ بما في إِظهارِ الإسلام من حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَ مَنَاحَتِهِمْ وَ  
مَوَارِثَتِهِمْ وَ ما فيه من الصَّوَاعِقِ بما في الإسلام من الزَّوَاجِرِ بالعقاب فِي الأَجَلِ  
وَ العاجِلِ وَ يَقْوِي ذَلِكَ ما رَوَى عن الحَسَنِ أَنَّهُ قال مِثْلُ إِسلامِ المنافق كَصَّيْبٍ  
هَذَا وَ صَفَهُ.

رابعها: ما رَوَى عن ابن مسعود وَ جَماعَةٍ من الصَّحابة أَنَّ رَجُلَيْنِ من  
المنافقين من أَهلِ المَدِينَةِ هَرَبَا من رَسُولِ اللَّهِ فَأَصَابَهُما المَطَرُ الَّذِي ذَكَرَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ رَعْدٌ شَدِيدٌ وَ صَواعِقٌ وَ بَرَقَ فَكَلَّمَا أَضَاءَ لهُما الصَّوَاعِقُ  
جَعَلَا أَصَابِعَهُما فِي أَذَانِهِما مَخافَةً أَنْ تَدْخُلَ الصَّوَاعِقُ فِي أَذَانِهِما  
فَتَقْتُلَهُما وَ إِذا لَمَعَ البرقُ مَشَّيَا فِي لَمْعِهِ وَ إِذا لَمْ يَلْمَعْ لَمْ يَبْصُرَا فَجَعَلَا  
يَقُولانِ يا لَيْتَنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فَنَأْتِي مُحَمَّدًا فَنَضْعُ أَيْدينا فِي يَدِهِ فَأَصْبَحَا  
فَأَتَياهُ وَ أَسْلَمَا وَ حَسَنَ إِسلامَهُما فَضَرَبَ اللَّهُ شَأْنَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ مِثْلاً  
لَمَنَافِقِي المَدِينَةِ فَأَتَهُما إِذا حَضَرُوا النَّبِيَّ ﷺ جَعَلُوا أَصَابِعَهُما فِي

أذَانَهُمْ فَرَقًا مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ مَنْ أَنْ يَنْزِلَ فِيهِمْ شَيْءٌ كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِرِجَالِهِمْ  
يَجْعَلَانِ أَصَابِعَهُمَا فِي أَذَانِهِمَا وَكَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ يَعْنِي إِذَا كَثُرَتْ  
أَمْوَالُهُمْ وَأَصَابُوا غَنِيمَةً أَوْ فَتْحًا مَشَوْا فِيهِ وَقَالُوا دِينَ مُحَمَّدٍ صَحِيحٌ وَإِذَا  
أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا يَعْنِي إِذَا هَلَكَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَصَابَهُمُ الْبَلَاءُ قَالُوا هَذَا مِنْ  
أَجْلِ دِينِ مُحَمَّدٍ فَارْتَدُّوا كَمَا قَامَ ذَلِكَ الرِّجَالَانِ إِذَا أَظْلَمَ الْبَرْقُ عَلَيْهِمَا انْتَهَى.  
مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرَسِيُّ فِي الْمَقَامِ وَقَالَ الْفَيْضُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّافِي، أَوْ كَصَيْبٍ، يَعْنِي  
مِثْلَ.

مَا خَطَبُوا بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَ الْهُدَى كَمِثْلِ مَطَرٍ إِذَا بِهِ مِيَاهُ الْقُلُوبِ كَمَا بِالْمَطَرِ  
حَيَاةُ الْأَرْضِ، مِنَ السَّمَاءِ، مِنَ الْعُلُوِّ، فِيهِ ظُلُمَاتٌ مِثْلُ اللَّشْبَهَاتِ وَالْمَصِيبَاتِ  
الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ مِثْلُ التَّخْوِيفِ وَالْوَعِيدِ وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ الْمَتَّضِمَّةِ  
لِلتَّبْصِيرِ وَالتَّسْخِيدِ، يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمُ الْآيَةَ لَنَلَّا يَخْلَعُ الرَّعْدُ أَفْئِدَتَهُمْ أَوْ يَنْزِلُ  
الْبَرْقُ بِالصَّاعِقَةِ عَلَيْهِمْ فَأَنْ هُوَ لَا الْمُنَافِقِينَ فِيمَا هُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ كَانُوا  
يَخَافُونَ أَنْ يَعْثُرَ النَّبِيُّ عَلَى كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ فَيَقْتُلَهُمْ أَوْ يَسْتَأْصِلَهُمُ الْخ.

وَقَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ، شَبَّهَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِالصَّيْبِ لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَحْيَى بِهِ  
حَيَاةُ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ شَبْهِ الْكُفَّارِ بِالظُّلُمَاتِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ  
وَالْوَعِيدِ بِالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ وَمَا يَصِيبُ الْكُفْرَةَ مِنَ الْإِفْرَاقِ وَالْبَلَايَا وَالْفِتَنِ مِنْ جِهَةِ  
أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالصَّوَاغِقِ وَالْمَعْنَى أَوْ لِمِثْلِ ذَوِي صَيْبٍ وَالْمُرَادُ كَمِثْلِ قَوْمٍ  
أَخَذَتْهُمْ السَّمَاءُ عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ فَلَقُوا مِنْهَا مَا لَقُوا انْتَهَى مَا أَرَدْنَا نَقْلَهُ عَنْهُ ثُمَّ  
أَنَّهُ أَطَالَ الْكَلَامَ فِي الْمَقَامِ إِنْ شِئْتَ فَرَاغَهُ وَقَدْ أَطَالَ الْمَفْسَّرُونَ الْكَلَامَ فِي  
الْآيَةِ وَسَلَكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَسْلَكًا فِي التَّشْبِيهِ وَتَعْيِينِ الْمَشَبَّهِ بِهِ وَإِلَّا  
فَالْمَشَبَّهِ مَعْلُومٌ وَهُوَ الْمُنَافِقُونَ.

وَنَحْنُ نَقُولُ هَذَا هُوَ الْمِثْلُ الثَّانِي لِلْمُنَافِقِينَ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَيْفِيَّةُ  
الْمِشَابَهَةِ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ لَا يُمْكِنُ إِحْصَاؤُهَا فَالْبَحْثُ عَنْهَا قَلِيلُ النِّفْعِ وَالَّذِي

ينبغي الالتفات اليه التوجه الى أصل المعنى و المقصود وهو معلوم فأن الله تعالى شبه المنافقين أولاً بالمستوقد للنار و ثانياً بالمطر النازل من السماء الموصوف بالصفات المذكورة في الآية فكما أن المطر إذا كان بهذه الصفات لا نفع فيه كذلك إيمان المنافق لا نفع فيه و كما أن المطر المذكور داخل في جنس المطر لفظاً لا معنى كذلك إيمان المنافق داخل في جنس الإيمان لفظاً لا حقيقة و كما أن هذا المطر لا أثر له في إحياء الأرض كذلك إيمان المنافق لا أثر له في إحياء القلب والحاصل أن النفاق يشبه المطر الذي فيه رعد و برق من جهة فقدان الخاصية فيه وعدم ترتب الأثر على وجوده و قد ثبت أن قيمة كل موجود إنما هي بآثاره المترتبة عليه و أي أثر يترتب على الصيب الذي فيه رعد و برق غير الإخافة وهكذا أي أثر يترتب على إيمان المنافق غير المكر و الخدعة في لباس الإيمان و هذا واضح لا خفاء فيه.

ولنرجع الى توضيح كلمات الآية فقوله تعالى: **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ** أي مثل المنافق مثل المطر النازل من السماء **فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ** فأن المنافق أيضاً فيه ظلمات و رعد و برق، لأنه لا يعتقد بالقلب و القلب الخالي عن الاعتقاد والصحيح الذي يوجب المعرفة مملوء من الظلمة أما رعه و برقه فإشارة الى إدعاء المنافق الإيمان أكثر من المؤمن الواقعي و قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أصحاب الجمل و هم طلحة و الزبير و عائشة و أتباعهم، قد أرعدوا وأبرقوا بينهما الفشل، أي ليس لهم من الدين إلا الإدعاء المحض و التظاهر بالإسلام و الإيمان و ليس لهم غير الإدعاء شيء إلا الفشل و هذا شأن المنافق في جميع أموره.

**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ** أي كما أن الناظرين الواقعيين في المطر الموصوف بالظلمة و الرعد و البرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من شدة الصوت حذراً من الموت كذلك المنافق في



ظلمته ورعده وبرقه، فَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ إِسْتِمَاعِهِمْ لِكَلِمَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَدَعَاوِهِمْ الْبَاطِلَةَ حَذَرُ الْمَوْتِ أَيْ الْمَوْتِ الْقَلْبِيِّ لَا الْمَوْتِ الطَّبِيعِيِّ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى أَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَلَامَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُمْ أَمْوَاتٌ بِالْحَقِيقَةِ لَنَلَّا يَقْعُوا فِيمَا وَقَعَ الْمُنَافِقُونَ فِيهِ مِنْ الْمَوْتِ الْقَلْبِيِّ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ فَلَا يُمْكِنُ الْفِرَارُ مِنْ حُكْمَتِهِ لِأَحَدٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَهُوَ تَعَالَى مُحِيطٌ بِكُلِّ مَا سِوَاهُ وَجُوداً وَعِلْماً وَقُدْرَةً يَكَادُ الْبَرَقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ أَيْ يَكَادُ الْبَرَقُ الَّذِي فِي كَلَامِ الْمُنَافِقِينَ وَأَعْمَالِهِمْ يَخْطِفُ أَيْ يَأْخُذُ أَبْصَارَ النَّاطِرِينَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ وَقُوعِ النَّاطِرِينَ إِلَيْهِمْ تَحْتَ تَأْثِيرِ أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ بَحِثٌ يَتَعَجَّبُونَ وَيَتَحَيَّرُونَ مِنْ تَمَسُّكِهِمْ بِظَوَاهِرِ الشَّرْعِ مَعَ غَفْلَتِهِمْ عَنْ قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ وَأَنَّهَا خَالِيَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ فَلَا جَرَمَ كُلَّمَا أَضَاءَ الْبَرَقُ أَعْنَى قَوْلِ الْمُنَافِقِ مَشَوْا فِيهِ وَأَخَذُوا بِهِ وَإِضَاتَتُهُ كُنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِ مُطَابِقاً لِلشَّرْعِ ظَاهِراً وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعَوَامَّ مِنَ النَّاسِ لَا يَرُونَ إِلَّا الظَّوَاهِرَ وَأَمَّا الْبُؤَاطِنُ فَلَا عِلْمَ لَهُمْ بِهَا.

وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا أَيْ إِذَا سَكَتَ الْمُنَافِقُ قَامَ النَّاسُ وَلَا يَمْشُونَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَيْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِ النَّاسِ وَأَبْصَارِهِمْ حَتَّى لَا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُمْ وَلَا يَرُونَ أَعْمَالَهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ هَذَا خِلَاصَةٌ مَا خَطَرَ بَالِنَا فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ خِلَافاً لِجَمِيعِ الْمُفَسِّرِينَ فَأَنَّا لَمْ نَجِدْ فِيمَا بَأْيَدِنَا مِنَ التَّفَاسِيرِ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مَنْ قَالَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فَأَنَّ كَانَ مَا قُلْنَاهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ حَقّاً فَلَنَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَلَيْنَا.

وَأَمَّا لَمْ نَسْلِكْ مَسْلِكَ الْقَوْمِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ لِأَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَبَّهَ الْمُنَافِقِينَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِالْمُسْتَوْقِدِ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ أَوْ كَصَيَّبٍ مِنَ السَّمَاءِ أَيْ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَصَيَّبٍ مِنَ السَّمَاءِ الْخ.

فما ذكروه في المقام من الوجوه التي نقلناها في مصدر البحث خارج عن محلّ البحث وهو ظاهراً على المتأمل المنصف فعلى ما ذكرناه في المقام.. في قولهم يجعلون، أصابعهم، أذانهم، لهم، عليهم، بسمعهم، وأبصارهم، كلّها يرجع إلى الناظرين الرّائين، وعلى مسلك القوم يرجع إلى المنافقين وبينهما بون بعيد وذلك لأنهم يقولون بالتقدير في الآية كما عرفت في شرح اللغات والإعراب والتقدير أو كأصحاب صيبٍ وعليه شبه المنافقون بقوم أصابهم المطر الذي فيه رعدٌ وبرقٌ وظلمات، وأمّا على ما إختارناه وذهبنا إليه لا نحتاج إلى التقدير مع أنّه خلاف الأصل بل نقول شبه المنافقين بالصيب نفسه لا بأصحابه وأنّ التقدير في قوله تعالى: **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ** والتقدير والناس يجعلون أصابعهم في أذانهم، حذف الناس لأنّ نحوي الكلام يدلّ عليه والعلم عند الله.

وأمّا قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** فسيأتي البحث فيه في موضع آخر بوجه أبسط وألا معموم قدرته تعالى إجمالاً ممّا لا كلام لأحد فيه عقلاً ونقلاً ولنختتم الكلام في تفسير الآية ونقول: **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**.



يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)

### ◀ اللغة

أَيَّ إسم مُبهم لوقوعه على كل شيء أتى به في النداء تَوْصِلاً إلى نداء ما فيه الألف واللام اذا كانت ياء لا تباشر الألف واللام وُبُنِيت لأنها إسم مفرد مقصود وهاء مقحمة للتشبيه لأن الأصل أن تباشر ياء النَّاس فلما حيل بينهما بأيَّ عَوَّض من ذلك، هاء، والنَّاس وصف لأيَّ لابد منه لأنه المنادي في المعنى و من هاهنا رفع ورفعته أن يجعل بدلاً من ضمة البناء وأجاز المازني نصبه كما يازيد الظَّريف من لإبتداء الغاية في الزَّمان لَعَلَّ معناه التَّرجي وهو ينصب الأسم ويرفع الخبر.

### ◀ الإعراب

النَّاسُ منادى في المعنى و محلّه النَّصب و أتما رفع في المقام لأن رفعه بدل من ضمة البناء بناءً على أنَّه وصِفَ لأيَّ. اعْبُدُوا رَبَّكُمُ فعل و فاعله مستتر فيه و رَبَّكُم، مفعول به. الَّذِي خَلَقَكُمُ صفة موصحة مميزة لقوله رَبَّكُم فمحلّه النَّصب و خلقكم، فاعله مستتر فيه. وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ في موضع نصب لأنه عطف على الكاف والميم في قوله خَلَقَكُمُ و من قبلكم صلة، الَّذِينَ، وكم، في لَعَلَّكُمْ، في موضع نصب بكونه إسم، لَعَلَّ، و تَتَّقُونَ جملة في موضع الرفع بأنّه خبره.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

### ◀ التفسير

الخطاب عام لجميع المكلفين من المؤمنين والكافرين قاله الطبرسي رحمته الله ويشكل لأن الخطاب في حق المؤمنين من قبيل يحصل الحاصل اذ المفروض

أنه آمن بالله وبرسوله ولازم الإيمان بالعبادة فكأنه قيل يا أيها المؤمن العابد، إعبد ربك وهو كما ترى ويمكن الجواب عنه أما أولاً فبأن الإيمان محمول على الاعتقاد فقط والعبودية إظهار التذلل فكأنه قيل أظهر عبوديتك وتذلل. ثانياً: أن المؤمن مخاطب بالعبادة التي هي العمل بالأركان بعد الإيمان.

ثالثاً: أن يكون المراد بالعبادة في المقام الإخلاص فيها من جهة أنها مخصوصة بالله تعالى إذ لا يستحقها كذلك إلا من له غاية الأفعال وهو الله تعالى، ثم أن العبودية على ما قيل عبارة عن إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لأنها غايته ولأجل ذلك قال تعالى إعبدوا، والعبادة تارة تكون بالتسخير وهي في السجود الذي أصله التطامن والتذلل والعبادة بهذا المعنى عام في الإنسان والحيوان والجماد قال الله: وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ<sup>(١)</sup>

وتارة بالإختيار وهي لذوي النطق وهي المأمور بها في المقام. أما قوله تعالى: رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ الخ. فكأنه بمنزلة العلة والسبب للعبادة فكأنه قيل ولم نعبد، قال لأنه خلقكم ورباكم الخ.

و العقل يحكم بأن المخلوق يتذلل لخالقه ويعظمه وذلك لأن شكر المنعم واجب عقلاً بالاتفاق وأي نعمة أعلى وأشرف من نعمة الوجود وما يتبعه وهو تعالى أوجد الخلق ورباه فالعقل يحكم بوجوب شكره والشكر العملي هو العبادة وهو المطلوب ففي الآية إشعار بل دلالة على أن العبادة منحصرة في حقه ولا يستحقها غيره تعالى وذلك لأنه تعالى علل الحكم على الخلق وإن شئت قلت علّقه عليها فمعناه أن العبادة لا تكون إلا للخالق و حيث أن الإيجاد منحصر فيه فالعبادة أيضاً له وهو المطلوب.

إعلم أن الخلق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قاله الراغب في المفردات.

فنقول فعله تعالى أي خلقه وإيجاده لما سواه ينقسم بحسب الإصطلاح الصناعي على أقسام أربعة وذلك لأن المخلوق أما أن يكون مسبوقاً بالمادة والمدة أو لا يكون والأول هو الكائن والثاني أما أن لا يكون مسبوقاً بهما وهو المبتدع.

وأما أن يكون مسبوقاً بالمادة دون المدة وهو المخترع وأما بالمدة دون المادة وهو لا يوجد في الخارج ونعني بالمدة الزمان وعليه فيكون الفعل على أقسام ثلاثة لا رابع لها، الكائن، المبتدع، المخترع، وبعبارة أخرى الفعل أما شيء من لا شيء وهو الأجسام فأنها خلقت من المادة الأولى وهي اللا شيء يعني لا مشيئة بالفعل لها فأنها قوة محضة وقوة الشيء بما هي قوة الشيء ليست بشيء.

وأما شيء من شيء كالنفس من العقول على رأي الفلاسفة.  
وأما شيء لا من شيء كالعقول على مذهب الفلاسفة أو المواليد من الأمهات وقد عبروا عن هذه الثلاثة بالجسم والنفس، والعقل.  
فإن الجسم شيء خلق من لا شيء أعني به المادة الأولى التي هي قوة محضة، والنفس.

خلقت من شيء أعني به العقل على مذهبهم، والعقل خلق من لا شيء محض اذا عرفت هذا فاعلم أن قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يشمل هذه المراتب لأن الإنسان الذي هو مخاطب في الآية وغيرها من الآيات بالعبادة له جسم، ونفس، وعقل، والله تعالى خالق الكل، فمن حيث أنه خالق لجسمه قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى. فقله منها خلقناكم إشارة إلى خلق جسمه حيث أنه مخلوق عن المادة الأولى وهي المادة الترابية كما سيأتي البحث عنها في محله، وإلى الثاني أشار بقوله: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ<sup>(١)</sup> والمراد بالروح

النَّفْسَ النَّاطِقَةَ الْقَدْسِيَّةَ الَّتِي خَلَقْتَ مِنَ الْعُقُولِ عَلَى قَوْلِهِمْ، وَالْيَ الْثَّالِثَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا، وَقَوْلِهِ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، وَقَوْلِهِ، ذَلِكَمَا عَلَّمَنِي رَبِّي وَالْفَرْقَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ بِالْإِعْتِبَارِ وَسَيَأْتِي الْبَحْثُ فِيهِ وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْجِسْمَ وَالنَّفْسَ وَالْعَقْلَ مَخْلُوقٌ لَهُ تَعَالَى فَالْوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِنَاءٌ عَلَى 'وَجُوبِ شُكْرِ الْمُنْعَمِ عَقْلًا الشُّكْرَ لَهُ تَعَالَى بِجِسْمِهِ وَنَفْسِهِ وَعَقْلِهِ وَقَدْ قُلْنَا أَنَّ أَعْلَى مَرَاتِبِ الشُّكْرِ الشُّكْرَ الْعَمَلِيَّ وَهُوَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا فِي قَالِبِ الْعِبَادَةِ فِي الشَّرِيعَةِ الْمَطْهُرَةِ وَلِذَلِكَ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ بِالْعِبَادَةِ.

قال الله تعالى: **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا، فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** <sup>(٤)</sup>

وأمثالها من الآيات.

إن قلت الخلق لا يختص به تعالى بل قد يُطلق على فعل الغير وبعبارة أخرى قد يكون غيره تعالى أيضاً خالقاً فإن كان العبادة مختصة بالخالق بمعنى أَنَّ كُلَّ خَالِقٍ مُسْتَحَقٌّ لِلْعِبَادَةِ كَمَا يَقُولُونَ لَا غَيْرَهُ حَتَّى أَنَّهَا جَعَلَتْ مَعْلُولَةً لِلْخَلْقِ فِي الْآيَةِ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرْنَا بِهَا لِأَجْلِ الْخَلْقَةِ وَالْمَفْرُوضِ أَنَّ غَيْرَهُ تَعَالَى أَيْضاً قَدْ يَكُونُ خَالِقاً فَيَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ وَلَا يَقُولُونَ بِهِ فَيُظْهِرُ مِنْ هَذَا أَنَّ السَّبَبَ وَالْعِلَّةَ لَهَا لَيْسَ الْإِبْجَادُ وَالْخَلْقُ وَهُوَ مُنَافٍ لِظَاهِرِ الْآيَةِ وَأَمْثَالِهَا مِنَ الْآيَاتِ أَمَّا إِطْلَاقُهُ عَلَى غَيْرِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ:

قال الله تعالى: **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ** <sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: **وَتَخْلُقُونَ أَفْئَكًا** <sup>(٦)</sup>

قال الله تعالى: **خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ** <sup>(١)</sup>  
 قال الله تعالى: **أَنْتَى أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ**  
**طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ**

وقوله تعالى حكاية عن عيسى: **أَنْتَى أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**  
**فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ** <sup>(٢)</sup> وغيرها.

قلت، الجواب من وجوه:

**أحدها:** أَنَّ الْخَلْقَ الَّذِي يوجب العبادة على قاعدة الشُّكْر هو الخلق في الجهات الثلاثة الَّتِي تكلَّمنا فيها أعني خلق الجسم والنَّفس والروح، والعقل وهو مختصٌّ به تعالى وأما الخلق بالنسبة إلى غيره كامثال الآيات المتقدمة فليس إلا من جهة الجسم فقط وأما إيجاد الروح في المخلوق مثلاً فهو من الله تعالى ولذلك قال تعالى بإذني في آخر الآية وبإذن الله في الأخرى.

**ثانيهما:** أَنَّ الْخَلْقَ إِذَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ فهو مجاز لا حقيقة وأن كان المخلوق جسماً فقط لأنَّ الإنسان لا يتَّصف بالخالق حقاً بل هو من الأسباب في عالم السَّبَب وكيف كان يكون خالقاً بالحقيقة وهو بنفسه مخلوق لغيره وهذا واضح.

**ثالثها:** أَنَّ الْخَلْقَ الَّذِي يكون مُوجِباً أو عِلَّةً للعبادة أتما هو الخلق على سبيل الإبداع الَّذِي لا يكون مسبوقاً بالمادَّة والمُدَّة والخلق بهذا المعنى من مختصَّاته تعالى بل نقول الخلق بمعناه الواقعي هو هذا وأما غيره من أقسام الخلق فهو في المرتبة المتأخرة عنه.

ثمَّ أَنَّ العبادة المأمور به في الآية وأمثالها على أقسام ثلاثة: عبادة العبيد، عبادة الأجراء، عبادة الأحرار، وذلك لأنَّ عبادة الْعَبْد لخالقه أن كانت لأجل الخوف منه تعالى فهي عبادة العبيد، وأن كانت لطلب الثَّواب فهي عبادة الأجير وأن كانت لِحَبِّه آياه فهي عبادة الأحرار من المعلوم أَنَّ الأخيرة أفضلها.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

حكى الأصمعي أنه رأى ببعض السّواحل جماعة من الفقراء، يبكون و فيهم شابٌ يضحك فسأله عن حاله و حالهم فأنشأ يقول:

أنهم عبدوك من خوف نارٍ      ويرون الثّواب فضلاً جزيلاً  
أو لأن يسكنوا الجنان فيسقوا      من عيون رياضها سلسبيلاً  
ليس لي في الجنان يا قوم رأيٌ      أنا لا أبتغي لحبي بديلاً  
وفي المقام أمور يجب التنبيه عليها:

**الأول:** أن الله تعالى جَبَر الكُلْفَةَ والمَشَقَّة في العبادة بلذّة المخاطبة وأتى في الخطاب بالياء التي وضعت لنداء البعيد للقريب تنزيلاً له منزلة البعيد أما لعظمته تعالى كقول الدّاعي ياربّ ويا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد، أو لغفلته و سوء فهمه أو للإعتناء بالمدعوى له وزيادة الحث عليه.

**الثاني:** أنه تعالى قدّم في كلامه الرّب على الخلق فقال: رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مه أن التّربية بعد الإيجاد و الخلق اذ لو لم يكن للشّي وجود في الخارج لا معنى لتربيته، لأنّ توجه العبد إلى الرّبوبية قبل الخالقية لأنّ الأول من المحسوسات التي يمكن لكلّ أحد التّوجه اليه بخلاف الثاني فأنّه من المعقولات التي لا تنكشف للعبد إلا من طريق المحسوس وهو واضح.

**الثالث:** أن الأمر بالعبادة إرشادي محض بمعنى أن الله تعالى قد أرشد العبد إلى كونه مربوباً ومخلوقاً له تعالى ولأجل هذا أمره بها ففيه إيماء إلى أنّه ينبغي للعبد التّعقل في الأمور ثمّ ترتيب الآثار على المعقول بإختياره وإرادته لا أنّه مجبورٌ على العبادة على كلّ حالٍ شاء أم لم يشاء عقل أم لا كما في العبادة التّسخيري التي ثبتت في الموجودات بحسب التكوين و الحاصل أن المطلوب في الآية وأمثالها العبادة التّشريعية التي مناطها التعقل والإختيار لا التّكوينية التي مناطها الجبر والإستئصال.

**الرابع:** قال تعالى في آخر الآية لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ وفيه إشارة إلى أنّ الغاية في



العبادة الوصول الى مقام المتقين فأن التقوى لا تحصل إلا من طريق العبادة و كلمة، لعل التي هي في الأصل بمعنى الترجي قد عدل عن معناه الأصلي الى معنى الوجوب و اللزوم في كلامه تعالى في جميع الموارد والمعنى أن العبادة موصلة الى التقوى قطعاً كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ<sup>(١)</sup> و أمثالها من الآيات.

والوجه فيه أن الله تعالى عالم بالأسرار والخفيات ولا يخفى عليه شيء فلو أريد من لعل في كلامه الترجي يلزم جهله بعواقب الأمور كما هو كذلك فينا. و أما معنى التقوى والبحث فيها فسيأتي الكلام فيه إن شاء الله تعالى. و قال بعض المحققين من المفسرين أن كلمة، لعل، إستعملت في معناها اللغوي في الآية ونظائرها والمعنى اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ راجين أن تَنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح انتهى و عليه فالترجي يرجع الى العبد وما ذكرناه أولى.

**الخامس:** أن الخطاب في الآية عام لجميع الناس وهو مشكل ظاهراً لأن العبادة فرع على المعرفة والكافر لا معرفة له بخالقه فلا تتمشى العبادة منه أليس هذا من التكليف بما لا يطاق والجواب أن الإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار والكافر قادر على تحصيل المعرفة وبعدها العبادة فلا إشكال فيها و من هذا القبيل الإشكال بأن الخطاب أن كان للموجودين فقط يلزم عدم تكليف المعدومين وأن كان للأعمّ منهما فلا معنى له لأن الخطاب الى المعدوم غير معقول.

و الجواب أن الخطاب يشمل المعدوم بعد وجوده لا قبله وهو واضح لعدم صدق الناس على المعدوم و أما بعده فلا دلة الإشتراك في التكليف كما مر في الأصول.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ  
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ  
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)

### ◀ اللغة

**فِرَاشًا:** الفراش مصدر قولك فرش فراشاً و فراشاً، يقال فَرَشَ الشَّيْءَ اذا بَسَطَهُ قال الرَّاعِبُ، الْفَرَشُ بَسَطَ الثِّيَابِ وَيُقَالُ لِلْمَفْرُوشِ، فَرَشٌ وَفِرَاشٌ.  
**وَالسَّمَاءَ:** سماء كل شيء أعلاه قال بعضهم كل سماء بالإضافة الى ما دونها فسماء وبالإضافة الى ما فوقها.  
**الثَّمَرَاتِ:** جمع ثمرة و الثَّمَرُ إِسْمٌ لِكُلِّ مَا يُتَطْعَمُ مِنْ أَعْمَالِ الشَّجَرِ وَ الواحدة، ثَمرة، و الجمع ثمار و ثمرات.  
**رِزْقًا:** الرِّزْقُ مصدر يُقَالُ لِلْعِطَاءِ الْجَارِي تَارَةً وَلِلنَّصِيبِ أُخْرَى وَأَيْضًا يُقَالُ لما يصل الى الجوف و يتغذى به.  
**أَنْدَادًا:** جمع نَدٍّ، وهو المثل و قيل نَدِيدُ الشَّيْءِ مُشَارَكَةٌ فِي جَوْهَرِهِ فَكُلُّ نَدٍّ مثل وليس كل مثلي نَدًّا.

### ◀ الإعراب

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا، الَّذِي جَعَلَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ يَتَّقُونَ أَوْ بَدَلٌ مِنْ رَبِّكُمْ أَوْ صِفَةٌ مَكْرُورَةٌ أَوْ بِإِضْمَارٍ أَعْنِي وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى إِضْمَارٍ، هُوَ، الَّذِي، وَجَعَلَ، فَعَلَ مَاضٍ مُتَعَدٍّ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْأَرْضُ وَفَاعِلُهُ مُسْتَتَرِفٌ فِيهِ وَفِرَاشًا حَالٌ وَمِثْلُهُ، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ، بِمَعْنَى صَيَّرَ فَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ وَهُمَا الْأَرْضُ وَفِرَاشًا، وَمِثْلُهُ وَ السَّمَاءَ بِنَاءً، وَلَكُمْ مُتَعَلِّقٌ بِجَعَلَ أَي لِأَجْلِكُمْ.

وَالسَّمَاءَ بِنَاءٍ الْوَاقِعَ لِلْعَظْفَرِ أَيْ وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمَاءَ بِنَاءً وَالْوُجُوهَ السَّابِقَةَ  
 مُحْتَمِلَةً فِيهِ أَيْضاً وَبِنَاءٍ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ أَيْ مَبْنِياً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ  
 مَاءً أَيْ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ، بِأَنْزَلَ، وَيَجُوزُ أَنْ  
 يَكُونَ حَالاً وَالتَّقْدِيرُ، مَاءٌ كَانَتْ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْأَصْلُ فِي، مَاءٌ، مَوْءٌ لِقَوْلِهِ لَكُمْ  
 أَمْوَاهُ، ثُمَّ قَلَبْتَ الْوَاقِعَ أَلْفَاظاً أَبَدَلُوا مِنَ الْهَاءِ هَمْزَةً عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ وَتَصْغِيرَهُ،  
 مُؤِيَهُ وَكَيْفَ كَانَ فَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ، فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً  
 لَكُمْ، مِنَ الثَّمَرَاتِ، مُتَعَلِّقٌ بِأَخْرَجَ فَيَكُونُ، مِنْ، الْإِبْتِدَاءِ الْغَايَةِ وَيَجُوزُ أَنْ  
 يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَتَقْدِيرُهُ، رِزْقاً كَانَتْ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَقَوْلُهُ: (لَكُمْ) أَيْ  
 لِأَجْلِكُمْ وَالرِّزْقُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَرْزُوقِ وَلَيْسَ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ  
 أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، فَلَا تَجْعَلُوا أَيْ فَلَا تَصِيرُوا فَيَكُونُ مُتَعَدِّياً إِلَى مَفْعُولَيْنِ،  
 وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، الْوَاقِعَ لِلْحَالِ وَأَنْتُمْ مُبْتَدَأُ وَلَا تَعْلَمُونَ خَبْرُهُ وَمَفْعُولُ الْفِعْلِ  
 مُحذُوفٌ أَيْ تَعْلَمُونَ بَطْلَانُ ذَلِكَ.

### ◀ التفسير

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِالْعِبَادَةِ وَعَلَّلَ الْحُكْمَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ فَهُوَ بِذَلِكَ مُسْتَحِقٌّ لَهَا أُرْدَفَ تَعْلِيلُهُ بِأَمْرٍ هِيَ مِنْ  
 لَوَازِمِ الْإِبْدَاعِ وَتَوَابِعِهِ بِحَيْثُ لَوْلَاهَا لَمْ يَكُنْ لِلْخَلْقِ إِدَامَةُ الْحَيَاةِ فَأَنَّ مُجَرَّدَ  
 الْإِبْدَاعِ لَا يَكْفِي فِي الْبَقَاءِ فَقَالَ تَعَالَى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشاً أَيْ أَنَّ  
 اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشاً، بِسَاطِطاً مَكْنُوكُمْ أَنْ تَسْتَقِرُّوا عَلَيْهَا  
 إِذْ لَوْ لَمْ تَكُنِ الْأَرْضُ مَبْسُوطَةً لَا يُمْكِنُ الْإِسْتِقْرَارُ عَلَيْهَا وَالْإِسْتِفَادَةُ مِنْهَا  
 بِالزَّرْعَةِ وَإِبْدَاعِ الْأَنْبِيَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْفَوَائِدِ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً أَيْ جَعَلَ السَّمَاءَ  
 سَقْفاً مَرْفُوعاً مَبْنِياً فَذَكَرَ بِذَلِكَ عِبَادَهُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ وَأَلَاءَهُ لَدَيْهِمْ لِيَذْكُرُوا أَيْادِيَهُ  
 عِنْدَهُمْ فَيُشْبِتُوا عَلَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشاً إِلَى قَوْلِهِ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.  
 طَاعَتُهُ تَعَطُّفاً مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَرَأْفَةً مِنْهُ بِهِمْ وَرَحْمَةً لَهُمْ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ

منه الى عبادتهم ليتِمَّ نعمته عليهم لعلَّهم يهتدون و سَمَّى السَّمَاءَ لعلوها على الأرض وعلو مكانها من خلقه وكلَّ شيءٍ كان فوق شيءٍ فهو لما تحته سماء و قيل لسقف البيت سماءً لأنه فوقه قال الفرزدق.

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِي وَأَهْلَهُ وَنَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تَدِثْ تَعَادِلُهُ  
وَقَالَ النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِي :

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ فَرَأَيْتُ مِنْهَا تَحِيتَ الْجَذْرَ وَاضِحَةَ الْقِرَامِ  
قَالَ الزَّجَّاحُ كُلَّ مَا عَلَى الْأَرْضِ فَهُوَ بِنَاءٌ لِإِمْسَاكِ بَعْضِهِ بَعْضًا فَيَأْمَنُوا بِذَلِكَ  
سَقُوطُهَا فَخَلَقَ السَّمَاءَ بِلَا عَمَدٍ وَخَلَقَ الْأَرْضَ بِلَا سَنَدٍ يَدُلُّ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَ  
قَدَمَهُ لِأَنَّ الْمَحْدَثَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ وَقَالَ الشَّاعِرُ:

بَنَى السَّمَاءَ فَسَوَّاهَا بِبَنِيَّتِهَا وَلَمْ تَمْدَدْ بِأَطْنَابٍ وَلَا عَمَدٍ  
قَالَ الرَّاعِبُ الْأَرْضُ الْجَرَمُ الْمُقَابِلُ لِلسَّمَاءِ وَجَمْعُهُ أَرْضُونَ وَيُعْبَرُ عَنْهُ  
أَسْفَلَ الشَّيْءِ كَمَا يُعْبَرُ بِالسَّمَاءِ عَنْ أَعْلَاهُ وَأَنْشَدَهُ:

وَأَحْمَرُ كَالِدِيَّاجِ أَمَّا سَمَاؤُهَا فَرِيًّا وَأَمَّا أَرْضُهَا فَمَحُولٌ  
وَحَيْثُ إِنَجَرَ الْكَلَامُ إِلَى الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَلَا بُاسَ بِالْإِشَارَةِ إِلَى بَعْضِ  
خَوَاصِّهِمَا وَآثَارِهِمَا وَعَجَائِبُ مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهِمَا مِنَ الْأَسْرَارِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ  
كُلَّهَا مُؤَدِّةٌ إِلَى الْمَطْلُوبِ فَنَقُولُ.

أَمَّا الْأَرْضُ بِفَتْحِ الْأَلْفِ مَصْدَرُ قَوْلِكَ أَرْضٌ أَرْضًا وَهِيَ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ كُلِّ  
مَكَانٍ كَثُرَ عَشْبُهُ وَازْدَهَى وَحَسَنَ فِي الْعَيْنِ وَلِذَلِكَ سَمِيَّتِ الْأَرْضُ بِهَا مِنْ بَيْنِ  
الْكَوَاكِبِ فَإِنَّهَا أَحْسَنُ الْكَوَاكِبِ صَفَاءً وَمَنْظَرَةً وَالْيَاقُوتُ هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ أَبُو نُؤَاسٍ  
حَيْثُ قَالَ.

تَأْمَلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ  
عَيُّونُ مِنَ الْجَنِّ شَاخِصَاتٍ وَأَزْهَارُ كَمَا الذَّهَبُ السَّبِيكُ  
عَلَى قَضْبِ الزَّبْرِجَدِ شَاهِدَاتٍ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

ثمَّ أَنَّ الأرضَ هي هذا الكوكب الَّذي أوجدنا اللهَ في وهي كرةٌ كبيرةٌ سابحة في الفضاء حول الشمس مثل سائر الكواكب و سُرْعانها في كُلِّ ثانيةٍ ثلاثون و نصف كيلو متر ( ٣٠٥٠٠ متر) و مُحيطها أربعون ألفاً كيلو متر ( ٤٠٠٠٠ كيلو متر) و قطرها (٣٠٠٠ فرسخ) أي ( ٨٠٠٠ كيلو متر) وهي أصغر من الشمس بنحو مليون و أربع مائة ألف مرّة و لها دورتان، دورة رَحْوِيّة حول محورها من الغرب إلى الشّرق و تتمّها في أربعة و عشرين ساعة و فائدتها تكوين اللّيل و النّهار و لها دورة محيطة حول الشمس تتمّها في ( ٣٦٥ يوماً) و سُرْعَة حركتها في اليوم الواحد أكثر من خمس مائة ألف ( ٥٠٠٠٠٠ فرسخ) سابحة في الفضاء قالوا كروية الأرض معروفة منذ القدم من أول تكون الجرثومة الأولى للعلم تقريباً و إستدلّوا عليها بوجوه:

**أحدها:** إختلاف شكل السّماء بالنسبة للسائر على ' وجه الأرض فأَنّه لو كانت الأرض مستوية لحفظت السّماء شكلها دائماً المِرائي مهما تستدلّ على ظهرها.

**ثانيها:** ما رأوه عند كسوف القمر من ظِل الأرض عليه فقد رأوا ذلك الظلّ مستديراً و هو يدلّ على أَنَّ الأرض كرة كالشمس والقمر.

**ثالثها:** ما ذهب اليه المتأخرون و هو أَنَّ الرّجل يخرج من مدينةٍ شرقاً فلا يزال يسير حتى يصلها من جهة الغرب، قالوا ثلاثة أرباع الكرة مغطّى بمياه البحر والرّيع موزع عليه أقسام الدّنيا الخمس كان اليونانيون الأقدمون يعتقدون أَنَّ الأرض قرص مستديرة مركزه بلادهم و هذا القرص كان في إعتقادهم محاطاً بنهرٍ يدعونه الإقيانوس تخرج منه الشّمس صباحاً و تغرب فيه مساءً فلما ظهرت الفلسفة في اليونان و نبغ فيه سقراط و إفلاطون و أرسطو و إرتقت معلوماتهم قرروا أَنَّ الأرض كروية الشّكل و أَنَّ بلادهم جزء صغير فيها.

و أول من قال بدوران الأرض فيثاغورس قبل ميلاد المسيح بنحو خمسة

قرون فقبل النَّاس نظريته زماناً طويلاً حتَّى ظهر بطليموس الَّذي كان عائشاً قبل الميلاد بنحو قرن ونصف (١٥٠) فقرَّر أنَّ الأرض وأن كانت كروية إلاَّ أنَّها ساكنة غير متحرِّكة وأنَّ الشَّمس هي الَّتِي تدور حولها وبقيت هذه النظريَّة شائعة سائدة بين النَّاس إلى أن ظهر الفلكي المشهور في القرن السادس عشر من الميلاد كوبرنيك فقرَّر رأي فيثاغورس وأيدَه بالأدلة القاطعة الرِّياضية وتلقَّاها علماء الهيئة بالقبول في كلِّ مكانٍ إلى زماننا هذا وقد ورد ذكر دوران الأرض في بعض الكتب الإسلامية قبل ظهور كوبرنيك، فتكلم فيها عضد الدِّين عبد الرَّحمان ابن أحمد المتوفي سنة (٧٥٦ هجري) في كتابه المواقف وتابعه فيه شارحه عليّ ابن محمد الجرجاني المتوفي سنة (٨١٦ هجري) وقررها بهاء الدِّين العاملي في كتابه تشريح الأفلاك أيضاً والكلام حول الأرض والسَّماء طويل وقد ألقوا فيها كتباً كثيرة وما ذكرناه في المقام نقلناه عن دائرة المعارف فريد وجدي<sup>(١)</sup>

وفي المقام إشكال لا بد لنا من الإشارة إليه والجواب عنه أمَّا الإشكال فهو أنَّ الآية قد صرَّحت بأنَّ الأرض جُعِلَتْ فراشاً والفراش لا يكون إلاَّ مُسَطَّحاً يمكن الاستقرار عليه وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في غيرها من الآيات أيضاً:

كقوله تعالى: **وَالسَّمَاءِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحْيَاهَا**<sup>(٢)</sup> **أَيَّ بَسَطَهَا** **مَنْ طَحَّى يَطْحَى أَيَّ بَسَطَ يَبْسُطُ.**

قوله تعالى: **وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ**<sup>(٣)</sup>.

والمَدُّ والبَسَطُ.

قوله تعالى: **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا**<sup>(٤)</sup> **أَيَّ بَسَطَ الْأَرْضَ.**

٢- الشمس = ٦

٤- الرعد = ٣

١- ج ١ مادة، أرض ص ١٨١

٣- الانشقاق = ٣/٤

قوله تعالى: **وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ** <sup>(١)</sup> **أَي بَسَطْنَاهَا.**  
قوله تعالى: **وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** <sup>(٢)</sup>.

وأمثال ذلك من الآيات الدالة على كونها مسطحة وإذا كانت كذلك فكيف تكون كروية والكرة تنافي التسطيح.

وقد أجيب عنه بما حاصله أن الكرة إذا عظمت جداً كانت القطعة منها كالسطح في إمكان الاستقرار عليه والذي يزيده تقريراً أن الجبال أوتاد الأرض ثم يمكن الاستقرار عليها.

ثانياً: أن المراد من البسط هو ما يراه الراؤن وكل ما يمكن الاستقرار عليه فهو مبسوط ولعل تفصيل الكلام في الأرض سيجي في موضع آخر إن شاء الله.

وأما السماء، فهي الفلك الشامل لسائر الأجرام وتطلق على كل سقف قال القدماء من علماء الهيئة أن السماء جرم محسوس وأن الكواكب مثبتة فيها و قال المتأخرون أن السماء هي الفضاء الذي فوقنا مما لا يحده التصور تسبح الكواكب فيها بلا ماسك لها إلا قدرة الله تعالى وهو الحق الحقيق بالاتباع و سأتي الكلام فيها بوجه أبسط عند قوله تعالى: **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** <sup>(٣)</sup> فتكلم هناك في معنى السبع وما يتعلق به إذا عرفت الأرض والسماء بحسب ماهيتهما فلنرجع إلى تفسير الآية ونبين كيف تكون الأرض فراشاً والسماء بناءً فنقول قد ذكروا في معنى كون الأرض فراشاً وجوهاً كثيرة نشير إلى بعضها:

منها أن الأرض لا تكون في غاية الصلابة لئلا يكون النوم والمشي عليها صعباً إذ لو كانت مثلاً كالحجر لم يمكن لأحد الزراعة فيها بل ولا إتخاذ الأبنية منها لتعذر

حفرها وتركيبها كما يراد ولا تكون في غاية اللين أيضاً كالماء الذي تغوص فيه الرجل بل جعلها الله تعالى متوسطاً بين الصلابة واللين وهو عجيب. ومنها أنها لا تكون في غاية اللطافة والشفافية فأَنَّ الشَّفَاف لا يستقر النور عليه وما كان كذلك لا يَتَسَخَن من الشَّمْس فكان يبرد جداً فجعل الله الأرض بقدرته الكاملة وحكمته البالغة أغبر ليستقر النور عليه فيتسخن فيصلح أن يكون فراشاً للحيوانات.

ومنها أنها تكون بارزة لنا من الماء لأن طبع الأرض أن تكون غائصاً فيه فكان يجب أن تكون البحار محيطة بالأرض ولو كانت كذلك لما كانت فراشاً لنا فقلب الله طبيعة الأرض وأخرج بعض جوانبها من الماء كالجزيرة البارزة حتى صلحت لأن تكون فراشاً لنا فهذه هي الشروط التي ذكروها لكونها فراشاً وأما المنافع المترتبة عليها فكثيرة أيضاً.

ومنها الأشياء المتولدة من الأرض من المعدن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية التي لا يعلم تفصيلها إلا الله تعالى.

ومنها ضُمِر الرطب بها فيحصل التماسك به في أبدان المركبات.

ومنها اختلاف بقاع الأرض في الرخوة والصلبة والرملة والسبخة والحرّة: قال الله تعالى: **وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَ أَلْبَدُ الطَّيْبُ يُخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ أَلَّذِي خَبْتُ لَا يُخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا** <sup>(٢)</sup>.

ومنها اختلاف ألوانها فمنها أحمر ومنها أبيض ومنها أسود ومنها رمادي اللون وأغبر والى هذه الأمور أشار الله تعالى بقوله:

قال الله تعالى: **وَ مِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبُ سُودٌ** <sup>(٣)</sup>.



ومنها إنعدامها بالنبات:

قال الله تعالى: **وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ** <sup>(١)</sup>.

ومنها كونها مخزناً للمطر النازل من السماء:

قال الله تعالى: **وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ** <sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ** <sup>(٤)</sup>.

ومنها جريان العيون والأنهار فيها:

قال الله تعالى: **وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا** <sup>(٥)</sup>

ومنها، مافيه من المعادن والفلزات واليه الإشارة:

قال الله تعالى: **وَ الْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** <sup>(٦)</sup>.

ومنها خروج الحب والنوى:

**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا إِلَى قَوْلِهِ: وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.**

ما جعل الله فيها من الدواب والألوان والصور المختلفة:

قال الله تعالى: **وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ.**

ومنها ما جعل الله فيها من أنواع النباتات:

قال الله تعالى: **وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**

وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهَا قُوتَ الْبَشَرِ وَالْبَهَائِمِ:

قال الله تعالى: **وَأَرْعَوْا أَنْعَامَكُمْ**

١- الطارق = ١١

٢- المؤمنون = ١٨

٣- الرعد = ١٦

٤- الملك = ٣٠

٥- الرعد = ٣

٦- ق = ٧

أَمَّا مَطْعُومُ الْبَشَرِ فَمِنْهَا الطَّعَامُ وَمِنْهَا الْأَدَامُ وَمِنْهَا الدَّوَاءُ وَمِنْهَا الْفَوَاكِهَ وَمِنْهَا الْأَنْوَاعُ الْمَخْتَلِفَةُ فِي الْحَلَاوَةِ وَالْحَمُوضَةِ وَمِنْهَا كَسُوءُ الْبَشَرِ مِنَ الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَالْأَبْرِيسَمِ وَالْجُلُودِ وَالْمَلْبُوسِ أَيْضاً:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ.**

و فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَنَافِعَ كَثِيرَةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ الْأَرْضَ سَاتِرَةً لِقَبَائِحِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ حِفْثًا، أَخْيَاءَ وَأَمْوَاتًا<sup>(١)</sup>.**

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى<sup>(٢)</sup>**

و مِنْهَا مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْأَحْجَارِ الْمَخْتَلِفَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْيَاقُوتِ وَالْعَقِيقِ وَأَمْثَالِهِمَا وَلَا سِيَّمَا الْحَجَرِ الْكَبِيرِ الَّذِي تَسْتَخْرِجُ النَّارَ مِنْهُ. وَمِنْهَا مَا جَعَلَ اللَّهُ عَلَى الْجِبَالِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ إِحْصَائُهَا وَمَنَافِعُهَا فَمَنْ تَأَمَّلَ فِي هَذِهِ اللَّطَائِفِ وَالْعَجَائِبِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي الْأَرْضِ لَا يَبْقَى لَهُ شَكٌّ فِي وَجُودِهِ صَانِعِ حَكِيمِ الَّذِي أَوْجَدَنَا وَخَلَقَ لَنَا الْأَرْضَ وَجَعَلَهَا فِرَاشًا ثُمَّ أَوْدَعَ فِيهَا مَا أَوْدَعَ وَسَخَّرَهَا لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

وَأَمَّا السَّمَاءُ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَنَافِعِ بَحِثْ لَوْلَاهَا لَمَا أُمْكِنَ الْمَوْجُودُ أَنْ يَعِيشَ فِي الْأَرْضِ فَمَوْكُولٌ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ** فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْبَقَاءَ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاةَ فِيهَا لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِوُجُودِ السَّمَاءِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي بَقَائِهِ يَحْتَاجُ إِلَى الرِّزْقِ وَأَصُولِهِ ثَلَاثَةٌ، الْمَأْكُولَاتُ، وَالْمَشْرُوبَاتُ،

و الملبوسات والكل يخرج من الأرض ببركة السماء و ذلك لأن الأرض بما هي ميتة وحياتها بالمطر الذي ينزل عليها من السماء فلولا المطر ليس لها حياة و ما لا حياة له لا أثر له:

قال الله تعالى: **وَمَا أَنزَلْنَا إِلَهًا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ** <sup>(٤)</sup> و أمثالها كثيرة.

ثبت أن حياة الأرض بالماء النازل من السماء إذا عرفت هذا فنقول:  
المأكول على قسمين: الأول الأغذية، والثاني الفواكه.

**أما قسم الأول:** أعني به الأغذية كالحنطة والشعير، والأرز، والذرة وغيرها مما يستفاد منه لأجل الطعام فلا شك أنها تنبت من الأرض بسبب الماء وقد أثبت أن الماء كله من السماء فإن الأرض تراب خالص والتراب في ذاته يغير الماء لأن الماء سيال والتراب لا سيال له ولذلك يقال أن الأرض في حد ذاتها موات وحياتها بالماء وهو من بركات السماء فلولا نزول الماء منه لا نبات في الأرض أصلاً وإذا لم يكن نبات فيها فكيف تدفع إليها حبة واحدة وهي تردها عليك سبع مائة كمثال حبة أنبتت سبع سنابل وهذا مملاً لا خفاء فيه وإذا ثبت أن المأكولات من الأرض بواسطة أو بغيرها فقد ثبت أن الله تعالى جعل هذا القسم من الرزق فيها.

وأما القسم الثاني: أعني به الفواكه فهي من الأشجار والنبات وقد مرَّ أنَّ النِّبات ينبت من الأرض ببركة الماء ولذلك لا ترى في الأرض التي لا يوجد الماء فيها نبات وأشجار والفواكه من ثمرات النباتات وهو المطلوب هذا كله في المأكولات.

وأما المشروبات، على أقسامها فهي من الماء بل هي هو مع تغيير ما في كيفية الماء ولا شك أنَّ الموجود إذا كان حياً محتاج إليه كما هو محتاج إلى الطعام قال الله تعالى: مِنَ الْمَاءِ كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ واما الملبوسات، فأن كانت من جنس القطن وما يشبهه فلا شك في أنَّه من النِّبات وأن كان الملبوس من الصوف أو الجلود وأمثالها فهو أيضاً من ثمرات الأرض بواسطة الحيوان اذ لو لم تكن أرض في العالم لم يكن حيوان فيه وقلنا أن حياتها بالماء فثبت أنَّ الحيوان من ثمرات الماء والصَّوف والجلد من ثمرات الحيوان وهذا معنى قولنا أنَّ الملبوس من ثمرات الماء بواسطة الموجود فثبت أنَّ ما يحتاج إليه الإنسان في أكله وشربه ولباسه من الأرض التي جعلها الله فراشاً لنا ثم أحياها بالماء النازل عليها من السماء وهذا هو المراد بقوله تعالى: وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ في المقام فالمراد بالثمرات في الآية الشريفة ليس الفواكه فقط كما يظن في بادئ الرأي والنظر بل المراد بها كل ما يخرج من الأرض ويستفاد منه وأن شئت قلت ثمرات الأرض فقط. فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. فالفاء للتفريع والأنداد جمع نداء كما مرَّ في شرح اللغات والند المثل والفرق بينهما أنَّ المثل يقال لكل مشارك في جوهر الشئ والند يقال لشئ يشارك غيره في جوهره بضرب من المماثلة وبينهما عموم وخصوص مطلق:

قال الله تعالى: وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَجَعَلَ لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ<sup>(٣)</sup> وغيرها من الآيات.

أي إذا علمتم أن الله تعالى: هو رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ هو الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ هذه الأمور التي لا يمكن إيجادها من غير الله تعالى، أو أنتم تعلمون عجز ماسواه كائنًا من كان أو أنتم تعلمون أن ما تتخذونه مثلاً له تعالى في العبودية والخلقية ليس بمثل لما ذكرناه وكيف يكون مثلاً له وهو لا يقدر على شيء بل هو لا يقدر على نفسه فضلاً عن غيره ثم أنه مع ذلك مخلوق لغيره موجود به حدوداً وبقاءً وأما قال تعالى: وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ولم يقل وأنتم لا تعلمون مثلاً، لأن هذه الأمور التي ذكرها الله تعالى في الآيتين في الحقيقة من المحسوسات التي يعلمها ويفهمها ويدركها كل إنسان بحواسه الظاهرة والباطنة وليست من المعقولات التي لا يدركها إلا أوحى من العلماء مثل أن الصفات فيه عين ذاته أو أنه تعالى منزّه عن الجسمية والنقائص ذاتاً وصفةً أو أنه تعالى قديم ذاتاً وصفةً وأمثالها من العويصات العقلية التي لا يمكن الوصول إليها إلا بصعوبة واما المذكور في الآيتين فهو مُدْرِكٌ لكل فردٍ من الناس إذا كان سليم العقل والحواس ولنعم ما قيل بالفارسية:

برگ درختان سبز در نظر هوشیار

هر ورقش دفتری است معرفت کردگار

ولذلك قلنا، الواو في أنتم تعلمون للحال، أي فلا تجعلوا له تعالى نداً  
والحال أنتم تعلمون أنه بعيدٌ عن الصواب ليس كمثله شيء ولا يقاس به غيره و  
لا يشبهه غيره تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.



وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا  
بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا  
النَّارَ الَّتِي وُقِدَتْهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ  
لِلْكَافِرِينَ (٢٤)

### ◀ اللغة

رَيْبٍ: الرَّيْب مصدر من رابَه يَريبه رَيْباً، والرَّيْب أن تتوهم بالشئ أمراً ما  
فينكشف عما تتوهمه.

بِسُورَةٍ: السُّورَة بضم السين، في الأصل المنزلة الرفيعة كما قال الشاعر:  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً      ترى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ  
والمراد بها في المقام طائفة من القرآن أقلها ثلاث آيات ثم أنها إما من سور  
المدينة لأنها طائفة من القرآن محدودة فكانها سُورَةٌ بِسُورٍ، واما من السورة  
التي هي الرتبة والمنزلة كما مرّ واما من السور الذي هو البقية من الشئ فقلبت  
همزتها، واولاً لأنها قطعة من القرآن وجمعها على سُورٍ كغرفةٍ وعُرف.  
وَقُودُهَا، الوقود: بفتح الواو الحطب و بالضم مصدر والوقْد بفتحتيْن النار  
نفسها.

وَالْحِجَارَةُ: بكسر الجيم جمع حَجَر وهو معروف وباقي اللغات واضح و  
بعضها شرحناها سابقاً.

### ◀ الإعراب

إن حرف شرط يجزم الفعل المضارع ويدخل على الماضي فيصرفه الى  
الاستقبال ولا بد للشرط من جزاء فقوله كنتم في موضع الجزم، بأن وقوله

فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ جَوَابَ الشَّرْطِ وَقوله فِي رَبِّ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا وقع بين الشرط والجزاء من مثله كلمة من للتبويض وقيل للتبيين وقيل زائدة و مثله، مجروبه وادعوا شهداءكم الفعل والفاعل الواو مستتر فيه وشهداءكم في موضع التَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ مِّنْ دُونِ اللَّهِ الجار والمجرور في موضع الحال من الشَّهَدَاءِ والعامل فيه محذوف وتقديره شهداءكم منفردين عن الله أو عن أنصار الله فَإِنَّ لَمْ تَفْعَلُوا الجزم بَلَمْ، لا، بَأَنَّ، لأنَّ لَمْ، عاملٌ شديد الإلتصاف بمعموله وَلَنْ تَفْعَلُوا كلمة كُنْ حرف نفى للأبد، وتَفْعَلُوا منسوب به فَاتَّقُوا النَّارَ الفعل والفاعل الواو مستتر فيه والنَّارُ مفعوله الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ الجملة صفة للنَّارِ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ جملة في موضع الحال من النَّارِ والعامل فيها فاتقوا.

### التفسير

وَأَنَّ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا إِلَى قوله أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ. أعلم أَنَّ الأيتين نزلتا في إثبات كون القرآن من الله تعالى وأنه كلامٌ مُنَزَّلٌ من عنده على عبده وذلك لأنهم كانوا منكرين بهذه الحقيقة وادَّعوا أَنَّ القرآن من عند نفسه لا من عند الله فقال الله تعالى: وَأَنَّ كُنْتُمْ فِي رَبِّ وَشُبْهَةٌ مِمَّا نَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى عَبْدِنَا، وهو النَّبِيُّ ﷺ فَاتُوا بِسُورَةٍ وَأَقْلَهَا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِّن مِّثْلِهِ أَي من مثل النَّبِيِّ لأنَّ حكم الأمثال واحد فاذا أتى النَّبِيُّ بزعمكم كلَّ القرآن فكيف لا يقدر مثله من النَّاسِ أَنْ يَأْتِيَ بِسُورَةٍ، وَأَنَّ الضَّمِير يرجع إلى القرآن أي فاتوا بسورة مثل القرآن وادَّعُوا شُهَدَاءَكُمْ يعني أعوانكم وأنصاركم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَي من غيره كما يقال ما دون الله مخلوق إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في دعواكم وهو أَنَّ القرآن ليس من عند الله، أو يقال ادَّعُوا أَلْهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنَّ لَمْ تَفْعَلُوا ذلك وَلَنْ تَفْعَلُوا أبداً فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي



وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَيِ إِحْذَرُوا أَنْ تَدْخُلُوا النَّارَ الْمَوْصُوفَ بِكَذَا الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ، وَفِي الْمَقَامِ أَبْحَاثٌ شَرِيفَةٌ نَافِعَةٌ تُشِيرُ إِلَيْهَا لِيَنْتَفِعَ الطَّالِبُ بِهَا فَأَنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنْ أَهَمِّ الْمَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ فَنَقُولُ:

**البحث الأول:** إَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَقَامَ الدَّلَائِلَ الْوَاضِحَةَ عَلَى إِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمُلْكِ عَقَّبَ الْكَلَامَ بِذِكْرِ النَّبُوَّةِ وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا لَيْتِمُ أَصْلَ الْإِعْتِقَادِ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَسَاسَ الدِّينِ التَّوْحِيدَ وَالنَّبُوَّةَ وَامَّا الْمَعَادِ وَالْعَدْلَ وَالْإِمَامَةَ وَجَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَهِيَ مِنْ فُرُوعِ النَّبُوَّةِ كَمَا هِيَ فِرْعٌ عَلَى التَّوْحِيدِ فَالْإِسْلَامُ فِي الْحَقِيقَةِ لَهُ أَصْلَانِ التَّوْحِيدُ، وَالنَّبُوَّةُ، وَلَأَجْلَ هَذَا اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُقَرَّبَ بِهِمَا مُسْلِمٌ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا هَذَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَانَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَقَالَ ﷺ فِي أَوَّلِ دَعْوَتِهِ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا، فَالْأَصْلُ التَّوْحِيدُ ثُمَّ النَّبُوَّةُ وَالْبَاقِي مِنْ فُرُوعِهَا إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَقَدْ ظَهَرَ لَكَ سِرُّ ذِكْرِ الْآيَةِ بَعْدَ قَوْلِهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ إِلَى قَوْلِهِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَهُوَ أَنَّ الْعَبْدَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ لَا يَبْذُلُهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ حَتَّى يَكُونَ مُسْلِمًا وَلَمَّا كَانَتِ النَّبُوَّةُ قَرِينَتَهُ عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ مُعْجَزًا أَقَامَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ فِي الْآيَةِ.

أَنْ قُلْتَ الدَّلِيلُ عَلَى إِثْبَاتِ النَّبُوَّةِ لَا يَنْحَصِرُ بِكَوْنِ الْقُرْآنِ مُعْجَزًا قُلْتَ نَعَمْ مِجْزَاتُهُ ﷺ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنَّهَا عَلَى ضَرْبَيْنِ، فَأَنِيَّةٌ وَبَاقِيَةٌ وَالْقُرْآنُ مِنَ الثَّانِي وَهُوَ الَّذِي يَنْفَعُ النَّاسَ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ غَيْرَهُ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْهُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ مَخْصُوصٌ بِمَنْ أَدْرَكَهُ فِي حَيَاتِهِ وَرَأَى الْمَعْجَزَاتِ عَلَى يَدِهِ.

وَأَمَّا مَنْ كَانَ بَعْدَهُ إِلَى آخِرِ الْأَيَّامِ فَلَا طَرِيقَ لَهُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْمَعْجَزَةِ الْبَاقِيَةِ وَهُوَ الْقُرْآنُ بَلِ الْحَقُّ فِي الْمَقَامِ هُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ مُصَدِّقًا لِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ فَقَطْ بَلِ

هو مصدّق لسائر الأنبياء والأوصياء قبله وبعده وبه قال الراوندي رحمته ثم قال و ليس جملة الكتاب معجزة واحدة بل معجزات لا تُحصى لأن أقصر سورة فيه أنما هو الكوثر وفيه الإعجاز من وجهين: أحدهما: أنه قد تضمّن خبراً عن الغيب قطعاً قبل وقوعه فوقع كما أخبر عنه وهو قوله أن شانتك هو الأبتّر.

**الثاني:** من طريق نظمه لأنه على قلة عدد حروفه وقصر آياته يجمع نظاماً بديعاً وأمرأ عجيباً وبشارة للرّسول وتعبّد العبادات بأقرب لفظٍ وأجز بيان انتهى.

**البحث الثاني:** ثم قال رحمته أن كون القرآن معجزاً لا يتم إلا بعد بيان خمسة أشياء:

**أحدها:** ظهور محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بمكة وإدعائه أنه مبعوث إلى الخلق ورسول اليهم.

**ثانيها:** تحدّيه العرب بهذا القرآن الذي ظهر على يديه وإدعائه أن الله أنزله عليه وخصّه به.

**ثالثها:** أن العرب مع طول المدّة لم يعارضوه.

**رابعها:** أنهم لم يعارضوه للتّعذر والعجز.

**خامسها:** أن هذا التّعذر خارق للعادة.

وقال الرّازي - في تفسيره القرآن لا يخلو أمّا أن يقال أنه كان بالغاً في الفصاحة إلى حدّ الإعجاز أو لم يكن كذلك فإن كان الأوّل ثبت أنه معجز وأن كان الثاني كانت المعارضة على هذا التّقدير ممكنة فعدم إتيانهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة ومع توفّر دواعيهم على الإتيان بها أمرٌ خارق للعادة فكان ذلك معجزاً فثبت أن القرآن معجزٌ على جميع الوجوه وهذا الطّريق عندنا أقرب إلى الصّواب انتهى.

**البحث الثالث:** ذكروا أن للمعجزة شروط لابد من وجودها في تحقيقها: منها أن يعجز المبعوث إليه عن مثله أو عمّا يقاربه. ومنها أن يكون من فعل الله أو بأمره وتمكينه لأن المصدق للنبي بالمعجز هو الله فلا بد أن يكون من جهته تعالى ما يصدق به النبي أو الوصي. ومنها أن يحدث بعد دعوى المدعي أو جاريًا مجرى ذلك. ومنها أن يظهر ذلك في زمان التكليف لأن اشتراط الساعة ينتقض بها عادته تعالى ولا يدل على صدق مدّع والشروط في المقام موجودة فالقرآن معجز.

**البحث الرابع:** في بيان وجوه إعجاز القرآن وعمدتها سبعة أو ثمانية. **الأول:** ما إختاره المرتضى رحمته وهو أن وجه الإعجاز فيه أن الله صرّف العرب عن معارضته و سلبهم العلم بكيفية نظمه وفصاحته وقد كانوا قادرين على المعارضة وتمكّنين منها لولا هذا الصّرف. **الثاني:** أنه معجز من حيث أنه كان قديماً أو أنه حكاية للكلام القديم و عبارة عنه.

**الثالث:** ما ذهب إليه المفيد رحمته وهو أنه كان معجزاً من حيث إختصّ بمرتبة في الفصاحة خارقة للعادة لأن مراتب الفصاحة تتفاوت بحسب العلوم التي يفعلها الله في العباد فلا يمتنع أن يجري الله العادة بقدر من المعلوم فيقع التمكين بها من مراتب الفصاحة محصورة متناهية ويكون ما زاد على ذلك زيادة غير معتادة معجزاً خارقاً للعادة.

**الرابع:** أن أعجازه من حيث كانت معانيه صحيحة مستمرة على النظر موافقة للعقل.

**الخامس:** أن جماعة جعلوه معجزاً من حيث زال عنه الإختلال والتناقض على وجه لم يجر العادة بمثله.

**السادس:** أن جهة أعجازه في أخباره عن الغيوب.

**السابع:** أن القرآن إنما كان معجزاً لإختصاصه بنظم مخصوص مخالف للمعهود.

**الثامن:** ما ذهب إليه أكثر المعتزلة وهو أن تأليف القرآن ونظمه معجز لا لأن الله أعجز عنها بمنع خلقه في العباد وقد كان يجوز أن يرتفع فيقدر عليه لكن محال وقوعه منهم كاستحالة إحداث الأجسام والألوان وإبراء الأكفم والأبرص من غير دواء إنتهى وقد نقل المجلسي رحمته هذه الوجوه عن الراوندي رحمته في البحار ثم نقل كيفية استدلال كل فريق على مدعاه بما لا مزيد عليه ونحن أعرضنا عن نقلها حذراً عن الأطناب أن شئت الإطلاع عليها فراجع البحار.

والحق أن القرآن معجز من جميع الوجوه ولذلك إتفقوا على كونه معجزاً واختلفوا في وجوه الإعجاز وهذا الإختلاف ناشئ عن إختلاف العقول والإستنباطات في الناس والفرق بين المقامين واضح والمدعي هو أصل ثبوت الإعجاز وهو ثابت بالإجماع عقلاً ونقلًا وهو المطه.

**البحث الخامس:** لم قال الله تعالى، نزلنا ولم يقل أنزلنا على عبده، وأجيب عنه بأن المراد النزول على سبيل التدرج فذكر هذا اللفظ هو اللائق بهذا المقام لأنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله ومخالفًا لما يكون عند الناس لم ينزل هكذا نجومًا سورة بعد سورة على حسب التنازل ووقوع الحوادث إلى آخر ما ذكره الرأزي في تفسيره فكأنه إستفاد من قوله تعالى نزلنا، النزول التدرجي وهو مساق للحدوث فالقرآن حادث.

وأنا أقول ما ذكره في المقام لا يرجع إلى محصل ولا إستفاد منه التدرج ثم الحدوث وذلك لأن الله تعالى ذكر في كثير من الآيات أنزل:

قال الله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ** <sup>(٣)</sup>

والآيات كثيرة.

ثم لقائل أن يقول أي دليل قام من العقل أو النقل على أن نزل يدل على التدرج دون، أنزل، بل الحق في المقام أن يقال أن تغيير الألفاظ في المحاورات والتخاطب مع حفظ المعنى من محسنات البلاغة لئلا يلزم التكرار في اللفظ فإنه بعيد عن الحلاوة قريب إلى النغمة في الطبع والقرآن ملجأ البلغاء وماخذ الفصحاء.

إذا عرفت هذا وأحطت بما تلوناه عليك من الوجوه الخمسة فلنرجع إلى تفسير الألفاظ في الآية الشريفة فنقول قوله تعالى: **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ** الخ. إنما أتى بالرب دون الشك أي قال في ريب ولم يقل في شك مع أنهم كثيراً ما يفسرون الرب بالشك وبالعكس لأن منشأ الرب قلق النفس و اضطرابها والشك ليس كذلك ولذلك قالوا الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما وقالوا في تفسير الرب، أن توهم بشئ أمراً ما فينكشف عما توهمه و حيث أن المنكرين في كون القرآن كلام الله تعالى لم يعتدل النقيضين أعني الوجود والعدم عندهم متساويان بل توهموا أنه من كلام المخلوق رأساً قال تعالى: **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ** ففيه إيماء إلى أنه لا ريب فيه واقعاً و سينكشف لكم خلاف توهمكم وقوله **مِمَّا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا**، حيث أتى بكلمة العبد دون الرسول، والنبي فيه وجهان.

**أحدهما:** أن مقام العبودية فوق مقام الرسالة والنبوة ومقدم عليهما إذ لو لم يصير الإنسان عبداً لم يصلح للرسالة والنبوة.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

قال الله تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: أَلْحَقْنَا بِهِ الَّذِي أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: فَأَوْخَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْخَى وغيرها من الآيات.

**والوجه الثاني:** أنهم أي المشركين المنكرين كانوا غير مُصدِّقين برسالته ونبوته وأما كونه عبداً له تعالى مما لم ينكره أحد فخطابهم الله على طريق اعتقادهم لتكون الحجة أبلغ ويحتمل أن يكون التعبير بالعبد للإيماء إلى أن الرسول من جنس البشر وأنه عبدٌ من عباد الله فلا تتعجبوا في نزول القرآن عليه.

وفي قوله: فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ، إشارة إلى أن العاقل لا ينبغي له الإنكار من غير حجة ولا دليل وتوضيحه أن القرآن لا يخلو حاله من وجهين لا ثالث لهما.

أما أن يكون من الله تعالى بمعنى أنه كلامه أو ليس كذلك فإن كان الأول فلا مجال لإنكاره للعاقل وأن كان الثاني فلا محالة يكون كلاماً للمخلوق إذ ما سواه تعالى مخلوق له كائناً من كان وإذا كان كذلك فلا يخلو أما أن يكون كلاماً للنبي أو أنه كلام غيره من الناس وعلى كلا التقديرين لا يمتنع الإتيان به من غيره فإن حكم الأمثال واحد، فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ فضلاً عن كله، وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ أي ادعوهم إلى نصرتكم إن كنتم صادقين فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وفي هذا الكلام إشارة إلى أن الله تعالى لا يعذب أحداً يوم القيامة إلا بعد إكمال الحجة وإتمامها عليه وذلك لأنه تعالى قال: فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ولا شك أن الحجة

قد تَمَّت عليهم فليس لهم إلا الإقرار بكون القرآن من عند الله، أو العذاب المسبب من الإنكار تعصّباً و عناداً، وفي قوله تعالى: **وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** إشارة إلى أن نار جهنم حطبها الكفار والمنافقين والمعاندين كأنهم بسب أعمالهم وإعتقاداتهم في دار الدنيا صاروا بمنزلة الحطب للنار وأن شئت قلت أنهم مواد إحتراقها وأما ذكر الحجارة بعد الناس فليل فيه وجوه. أحدهما: أنهم معاً وقودها.

ثانيهما: أن ذكر الحجارة دليل على عظيم تلك النار.

ثالثها: أن أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار ويؤيد ذلك قوله تعالى: **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ** <sup>(١)</sup>

رابعها: أنهم يعدّون بالحجارة المحمية بالنار، وفي المقام وجه آخر ذكره بعض المفسرين من العامة و حاصله أن الحجارة جعلت معهم وقوداً لأنهم قرّبوا أنفسهم بها في الدنيا حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله أنداداً و عبدوها من دونه قال تعالى: **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ** <sup>(٢)</sup> وهذه مفسرة لها فقوله: **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** في معنى الناس والحجارة و حطب جهنم في معنى وقودها إلى آخر ما قال ولقائل أن يقول هذا لو تم فهو بالنسبة إلى الكفار الذين نحتوا الحجارة أصناماً وأما غير هؤلاء الكفار من المنكرين الذين أنكروا الله والرسل وكانوا من سائر الفرق فلا تشملهم الآية. أو أنهم وقود الناس وليست معهم حجارة لأنهم لم ينحتوها أصناماً فليس إلا من التفسير بالرأي أعاذنا الله عنه.

وأما قوله تعالى: **أَعَدَّتْ النَّارُ لَهُمْ** أن قلت فما وجه تخصيص النار بالكافرين مع أن المنافقين والفاسقين أيضاً يدخلون فيها بلا كلام.

قُلْتُ قَالُوا أَلَّا نَارُ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ نَارٌ مَخْصُوصَةٌ بِهِمْ لَا يَدْخُلُ فِيهَا  
 غَيْرُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّوْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ<sup>(١)</sup>  
 نقل هذا القول الطبرسي رحمه الله والأحسن أن يقال إثبات شيءٍ لشيءٍ لا ينفي  
 إثباته لما عدها فقوله تعالى: أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ لا ينافي كونها أُعِدَّتْ لغيرهم  
 أيضاً، مع إمكان حمل الكافرين على معناه اللغوي الذي يشمل المنافق و  
 الفاسق أيضاً لأنَّ الكُفْرَ في الأصل السُّتْرُ أَلَّا أَنْ مَرَاتِبَ الْكُفْرِ مُتَفَاوِتَةٌ كَمَا أَنَّ  
 الْعَذَابَ أَيْضاً كَذَلِكَ.





وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا  
مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالَُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا  
بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ (٢٥)

### ◀ اللغة

بَشِّرَ: أمر من البشارة وهي في الأصل يقال للخبر السار على سبيل الحقيقة  
ولغيره على سبيل التوسع والمجاز كما قال تعالى: فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>(١)</sup>.  
جَنَّاتٍ: جمع جنة وهي البستان وأصلها من الجن وهو السر ومنه الجن  
لتسترها عن عيون الناس والجنون لأنه يستر العقل والجنة لأنها تستر البدن،  
والجنين لتستره بالرحم.

أَزْوَاجٌ: جمع زوج وهو يقال على الرجل والمرأة ويقال للمرأة زوجة.  
خَالِدُونَ: من الخلود وهو الدوام والبقاء وباقي اللغات واضح.

### ◀ الإعراب

وَبَشِّرِ الَّذِينَ، بشر فعل أمر وفاعله مستتر فيه والذين موصول وهو مع  
صلته في موضع النصب على المفعولية وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ معطوف على،  
الذين آمنوا وتقدير الكلام وبشر المؤمنين أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تقديره بأن لهم  
جَنَّاتٍ فحذفت الياء وافضئ الفعل الى، أَنْ فنصب وأجاز الخليل أن يكون  
في موضع جر بالياء المحذوفة فعلى القول الأول موضع، أَنْ، مع إسمه وخبره  
نصب.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

و عَلَى الثَّانِي فِي مَوْضِعٍ جَرٍّ، وَلَهُمْ، خَبَرٌ أَنَّ وَجَنَاتٍ، إِسْمُهُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ صِفَةً لِلْجَنَاتِ الْأَنْهَارُ مَرْفُوعَةٌ.  
بتجري، كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا إِلَى قَوْلِهِ مِنْ قَبْلُ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ  
مَنْ، الَّذِينَ آمَنُوا، تَقْدِيرُهُ مَرْزُوقِينَ عَلَى الدَّوَامِ وَأَتَوْا بِهِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا وَ،  
قَدْ، مَعَهُ مَرَادٌ تَقْدِيرُهُ قَالُوا ذَلِكَ وَقَدْ أَتَوْا بِهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفًا مُتَشَابِهًا  
حَالٍ مِنَ الْهَاءِ فِي، بِهِ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ أَزْوَاجٌ مُبْتَدَأٌ، وَلَهُمْ، الْخَبَرُ،  
وَفِيهَا ظَرْفٌ لِلِإِسْتِقْرَارِ وَ، فِيهَا، الثَّانِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ خَالِدُونَ وَهَاتَانِ الْجُمْلَتَانِ  
مُسْتَأْنَفَتَانِ وَقِيلَ، الثَّانِيَةُ حَالٌ مِنَ الْهَاءِ وَالْمِيمِ فِي لَهُمْ.

### ◀ التفسير

إِلَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ النَّاسَ أَوَّلًا بِالتَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ.

ثَانِيًا: بِالْإِعْتِقَادِ بِالنَّبَوَّةِ وَالرِّسَالَةِ مِنْ طَرِيقِ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْمُرْتَلِ عَلَى عَبْدِهِ فَقَالَ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالنَّبَوَّةِ الَّذِي حَصَلَ مِنَ الْقُرْآنِ يُلْزِمُ الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ وَعَلَيْهِ فَقَدْ كَمَلَ الْإِيمَانُ بِحَسَبِ الْإِعْتِقَادِ لِمَنْ إِعْتَقَدَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَكَانَتْهُ قِيلَ وَمَا جُزَاءً مِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطَبًا لِنَبِيِّهِ وَبَشَرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَيِ وَبَشَرِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَجْرَدَ الْإِيمَانِ بِالْقَلْبِ لَا يَكْفِي بَلْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي بِهِ يَتِمُّ الْإِيمَانُ الْمَطْلُوبُ مِنَ الشَّارِحِ فَمَنْ آمَنَ بِقَلْبِهِ وَ لِسَانِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا لَا يَكُونُ مِنْ مُصَادِقِ آيَةِ الْبَشَارَةِ لَا تَشْمَلُهُ وَ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ جُزْءُ الْإِيمَانِ أَوْ شَرْطُهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْقَيْدَ وَإِنْ كَانَ خَارِجًا عَنِ الْمَقْيَدِ إِلَّا أَنَّ التَّقْيِيدَ دَاخِلَ فِيهِ كَمَا قِيلَ.

وَالْخُصَّةَ الْكَلِي مُقَيِّدًا تَقَيِّدُ جِزْءٌ وَقَيِّدُ خَارِجِي  
وقد ذكرنا سابقاً السَّرَفِيةَ وهو أَنَّ الأَثَارَ تَتَرْتَّبُ عَلَى الوجودِ الخَارِجِي  
والوجودِ الذَّهْنِي لا أثرَ له وحيث أَنَّ الإيمانَ لا يوجدُ في الخارجِ الأَفِي قَالِبِ  
العملِ فلا محالة يكونُ الأثرُ مُتَرَتِّبًا عَلَيْهِ مُقَيِّدًا بِهِ وهذا هو السَّرَفِيةَ كَوْنِ  
الإيمانِ مُقَيِّدًا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ.

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ<sup>(١)</sup>

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءٌ الْخُسْنَى<sup>(٢)</sup>

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ<sup>(٣)</sup>

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى<sup>(٤)</sup>  
أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ بِمَنْزِلَتِ الْمُبَشِّرِ بِهِ أَيِ بَشَرِ  
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا صَالِحًا بَأَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،  
أَيِ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَمَسَاكِنِهَا تَجْرِي الْأَنْهَارُ وَالنَّهْرُ لَا يَجْرِي وَأَمَّا يَجْرِي  
الْمَاءُ فِيهِ فَنَسَبَةُ الْجَرِيِّ إِلَى النَّهْرِ مِنْ بَابِ التَّوَسُّعِ مَجَازًا مِثْلَ جَرِي الْمِيزَابِ وَ  
جَنَّاتٍ جَمْعُ جَنَّةٍ وَهِيَ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْجَنِّ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ سِتْرُ الشَّيْءِ عَنْ  
الْحَاسَةِ يَقَالُ جَنَّةَ اللَّيْلِ وَأَجْنَهُ وَجَنَّةٌ عَلَيْهِ فِجْنَتُهُ، سِتْرُهُ وَالْجَنَّةُ كُلُّ بَسْتَانٍ ذِي  
شَجَرٍ يَسْتَرُ بِأَشْجَارِهِ الْأَرْضَ وَقَدْ تَسَمَّى الْأَشْجَارُ السَّاتِرَةُ جَنَّةً وَسَمِيَتِ الْجَنَّةُ  
أَبْنَى تَشْبِيهًا بِالْجَنَّةِ فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ كَانَ بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ وَأَمَّا لِسِتْرِهِ نَعْمًا عَنَّا  
الْمُشَارَ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ<sup>(٥)</sup> قَالَ أَبْنُ  
عَبَّاسٍ أَمَّا قَالَ تَعَالَى جَنَّاتٍ بِلَفْظِ الْجَمْعِ لَكُونِ الْجَنَّاتِ سَبْعًا.

٢- الكهف = ٨٨

٤- طه = ٨٢

١- البقرة = ٦٢

٣- مريم = ٦٠

٥- السجدة = ١٧

جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، وَجَنَّةِ عَدْنٍ، وَجَنَّةِ النَّعِيمِ وَ دَارِ الْخُلْدِ، وَجَنَّةِ الْمَأْوَى وَ دَارِ السَّلَامِ وَ عَلَيْنِ، كُلُّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا أَي كَلِمَا رَزَقُوا مِنَ الْجَنَّاتِ أَي مِنْ أَشْجَارِهَا وَالتَّقْدِيرُ كُلُّمَا رَزَقُوا مِنْ أَشْجَارِ الْبَسَاتِينِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا الرِّزْقَ عبارة عَمَّا يَصْحُ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ الْمَنْعُ مِنْهُ وَالْمَعْنَى كُلُّمَا أَطْعَمُوا مِنْهَا طَعَامًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ قِيلَ أَنَّ ثَمَارَ الْجَنَّةِ إِذَا جُنِيتَ مِنْ أَشْجَارِهَا عَادَ مَكَانُهَا مِثْلُهَا فَيُشْتَبِهَ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُونَ هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا بِسَبَبِ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ الثَّمَرَةُ هِيَ الَّتِي وَعَدَنَا اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ، هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ فِي الْجَنَّةِ أَي كَالَّذِي رَزَقْنَاهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ غَيْرُهُ وَلَكِنْهُمْ شَبْهُهُ بِهِ فِي طَعْمِهِ وَلَوْنِهِ وَرِيحِهِ وَطَبِيعِهِ وَجُودَتِهِ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا أَي جِئُوا بِهِ مُتَشَابِهًا، حَالٍ مِنَ الظَّمْرِ فِي، بِهِ، أَي يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْمَنْظَرِ وَيُخْتَلَفُ فِي الطَّعْمِ.

وَقَالَ عِكْرَمَةُ يُشَبِّهُ ثَمَرَ الدُّنْيَا وَيَبَايِنُهُ فِي جَلِّ الصِّفَاتِ وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ سِوَى الْأَسْمَاءِ فَكَأَنَّهُمْ تَعَجَّبُوا لِمَا رَأَوْهُ مِنْ حَسَنِ الثَّمَرَةِ وَ عَظَمِ خَلْقِهَا.

وَقَالَ قَتَادَةُ خِيَارًا لَا رَدْلَ فِيهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **كِتَابًا مُتَشَابِهًا** وَلَيْسَ كَثِمَارَ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تُشَابِهُ لِأَنَّ فِيهَا خِيَارًا وَغَيْرَ خِيَارٍ، فَأَنَّ قِيلَ التَّشَابُهِ هُوَ التَّمَاثُلُ فِي الصِّفَةِ وَهُوَ مُفْقُودٌ بَيْنَ ثَمَرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا نَقَلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَطْعَمَةِ الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ، قُلْتُ التَّشَابُهِ بَيْنَهُمَا حَاصِلٌ فِي الصُّورَةِ هُوَ يَكْفِي فِي الصِّدْقِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْعَامَّةِ فِي الْمَقَامِ أَنَّ مُسْتَلَذَّاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي

مقابلة ما رزقوا في الدّنيا من المعارف والطّاعات متفاوتة في اللّذة بحسب تفاوتها فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا من قبل أنّه ثوابه و من تشابهها تماثلها في الشّرف والمزّة وعلوّ الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى: **ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** <sup>(١)</sup> انتهى.

وقد روت العامة عن رسول الله ﷺ أنّه قال والذي نفس محمد بيده أنّ الرجل من أهل الجنّة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلّة الى فيه حتّى يبذل الله مكانه مثلها فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك إنتهى.

هذا ما قيل في تفسير الآية الى هنا واما قوله: **وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** فقيل هي الحور العين و قيل هنّ من نساء الدّنيا إلا أنّي طهرنّ من قذراتها، مطهّرة، قيل في الأبدان والأخلاق والأعمال ولا يحضن و لا يلدن و لا يتغوطن و لا يبطن قد طهرن من الأقدار والآثام و هو قول جماعة من المفسرين نقله الطبرسي رحمه الله في المجمع، وهم فيها خالدون، أي في الجنّة خالدون دائمون يبقون ببقاء الله لأنقطع لبقائهم و لا نفاذ لأنّ النّعمة لا تتم إلا بالخلود والبقاء وما ليس كذلك فهو ناقص والخلود هو الدّوام من وقت مبتدأ و لهذا لا يقال الله خالد لأنّه لا ابتداء لوجوده، فأن قلت فهلّا جاءت الصّفة مجموعة كما في الموصوف.

قلت هما لغتان فصيحتان يقال النّساء وهنّ فاعلات و فواعل والنّساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة.

وإذا العذارى بالذّخان تفتّعت وأستعجلت نصب القدور فملّت والمعنى وجماعة أزواج مطهّرة، و قرأ زيد بن عليّ، مطهّرات قاله الزّمخشري في الكشف إنتهى.

ولنختم الكلام في تفسير الآية بذكر رواية رواها المجلسي رحمته في المجلد الثالث من البحار<sup>(١)</sup> في تفسير الآية الشريفة، قال: وَبَشِيرِ الَّذِينَ أَمْوَأُنَجَّرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَي من تحت شجرها ومساكنها كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَارِهَا طَعَاماً يُؤْتُونَ بِهِ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا فَأَسْمَاءُ كَأَسْمَاءِ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ تَفَاحٍ وَسَفَرَجِلٍ وَرَمَانٍ وَكَذَا وَكَذَا وَأَنْ كَانَ مَا هُنَاكَ مَخَالَفاً لِمَا فِي الدُّنْيَا فَأَنَّهُ فِي غَايَةِ الطَّيِّبِ وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِيلُ إِلَى مَا يَسْتَحِيلُ إِلَيْهِ ثَمَارُ الدُّنْيَا مِنْ عَذْرَةٍ وَسَائِرِ الْمَكْرُوهَاتِ مِنْ صَفَرَاءِ وَسُودَاءِ وَدَمٍّ بَل لَا يَتَوَلَّدُ مِنْ مَأْكُولِهِمْ إِلَّا الْعَرَقُ الَّذِي يَجْرِي مِنْ أَعْرَاضِهِمْ أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمَسْكِ وَأَتَوْا بِهِ بِذَلِكَ الرِّزْقِ مِنَ الثَّمَارِ مِنْ تِلْكَ الْبَسَاتِينِ مُتَشَابِهاً يَشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً بِأَنَّهَا كُلُّهَا خِيَارٌ لَا رَذُلَ فِيهَا وَبِأَنَّ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهَا فِي غَايَةِ الطَّيِّبِ وَاللَّذَّةِ لَيْسَ كَثْمَارُ الدُّنْيَا بَعْضُهَا مُتَجَاوِزٌ حَدَّ النَّضْجِ وَالْإِدْرَاكِ إِلَى حَدِّ الْفَسَادِ مِنْ حُمُوضَةٍ وَمَرَارَةٍ وَسَائِرِ ضُرُوبِ الْمَكَارِهِ مُتَشَابِهاً أَيْضاً مُتَّفَقَاتِ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ الطُّعُومِ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَقْدَارِ وَالْمَكَارِهِ مُطَهَّرَاتٍ مِنَ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ لَا وَلَاجَاتٍ وَلَا خَوَاجَاتٍ وَلَا خِتَالَاتٍ وَلَا مُتَغَايِرَاتٍ وَلَا لِأَزْوَاجِهِنَّ فِرَكَاتٍ وَلَا ضَحَايَاتٍ وَلَا عِيَابَاتٍ وَلَا فَحَاشَاتٍ وَمِنْ كُلِّ الْمَكَارِهِ وَالْعِيُوبِ بَرِّيَّاتٍ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أَي مُقِيمُونَ فِي تِلْكَ الْبَسَاتِينِ وَالْجَنَّاتِ انْتَهَى.

وَأَنَا أَقُولُ اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مِنْ ثَمَارِهَا وَمَسَاكِنِهَا وَأَزْوَاجِهَا وَاجْعَلْنَا فِيهَا خَالِدِينَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ أَمِينَ.



إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا  
فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ  
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا  
يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا  
الْفَاسِقِينَ (٢٦)

### ◀ اللغة

يَسْتَحْيِي: فعل مضارع من إستحيى وهو مأخوذ من الحياء وهو إنحصار  
النفس وإنفعالها من إارتكاب المحرمات الشرعية والعقلية والعادية حذراً من  
الذم واللوم.

بَعُوضَةً: بفتح الباء واحدة البعوض الذي هو صغار البق وإشتاقها من  
البعوض لأنها كبعض البقة وهي على خلقه الفيل إلا أنها أكثر أعضاء كما  
سيأتى.

الحق: ضدّ الباطل والباقي واضح.

### ◀ الإعراب

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ تقديره من أن يضرب فموضع أَنْ يَضْرِبَ  
نصب عند سبويه وجرّ عند الخليل ما حرف زائد للتوكيد بَعُوضَةً بدل من،  
مثلاً فنصبه على البدلية للمفعول، ما، نكرة موصوفة بَعُوضَةً بدل من ما ويقراً  
شاذاً، بعوضة، بالرفع على أن تجعل، ما، بمعنى الذي، ويحذف المبتدأ أي  
الذي هو بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا الفاء للعطف وما، نكرة موصوفة أو بمعنى، الذي،  
والعامل في فوق، على الوجهين الإستقرار والمعطوف عليه البعوضة، فَمَّا  
الَّذِينَ آمَنُوا أما حرف شرط وقيل ناب عن حرف الشرط وفعل الشرط، ويقع

الإسم بعده مبتدأ و تلزم الفاء خبره والأصل مهما يكن من شيء فالذين آمنوا يعلمون من ربهم في موضع نصب على الحال والتقدير أنه ثابت أو استقر من ربهم والعامل معنى الحق وصاحب الحال الضمير المستتر فيه ماذا أراد الله في، ماذا قولان.

**أحدهما:** ما إسم للإستفهام موضعها رفع بالإبتداء وذا، بمعنى الذي وأراد، صلة له والعامل محذوف وصلته خبر المبتدأ.

**ثانيها:** أن ما، وذا، إسم واحد للإستفهام وموضعه نصب، بأراد، ولا ضمير في الفعل والتقدير أي شيء أراد الله، مثلاً، تمييز أي من مثل ويجوز أن يكون حالاً من هذا، أي متمثلاً به فيكون حالاً من إسم الله، يفضّل في موضع نصب صفة للمثل ويجوز أن يكون حالاً من إسم الله، ويجوز أن يكون مستأنفاً إلاّ الفاسقين مفعول، يضلّ، وليس بمنصوب على الإستثناء كما قيل لأنّه لم يستون مفعوله قبل إلاّ.

### ◀ التفسير

**إِعلم** أنّ المقصود من ضرب الأمثال أنّها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشئ نفسه و ذلك لأنّ الغرض منه تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته وبصير الحسّ مطابقاً للعقل و ذلك هو النّهاية في الإيضاح ألا ترى أنّ التّرعيب اذا وقع في الإيمان مجرّداً عن ضرب المثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه اذا مثل بالنور وهكذا في الكفر لم يتأكد قبحه في العقل والنفس كما يتأكد اذا مثل بالظلمة واذا أخبر بضعف أمر من الأمور و ضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الأخبار بضعفه مجرّداً عن المثل ولهذا أكثر الله تعالى في كتاب المبين أمثاله:

قال الله تعالى: **وَلَيْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** (١)



قال الله تعالى: وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ<sup>(٢)</sup>

وغيرها من الآيات إذا عرفت هذا فنقول.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا قِيلَ فِي شَأْنِ نزول الآية أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ضَرَبَ الْمَثَلِينَ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ لِلْمُنَافِقِينَ يَعْنِي قَوْلَهُ: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا<sup>(٣)</sup> وَقَوْلُهُ: أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ، قَالَ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَضْرِبَ هَذِهِ الْأَمْثَالَ فَأَنْزَلَ هَذِهِ نَقْلَ هَذَا الْقَوْلِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَرَوَى عَنْ قَتَادَةَ وَالْحَسَنِ، لَمَّا ضَرَبَ اللَّهُ الْمَثَلَ بِالذَّبَابِ وَالْعَنْكَبُوتِ تَكَلَّمَ فِيهِ قَوْمٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَابُوا ذَكَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ نَقْلَهُ الطَّبْرَسِيُّ فِي الْمَجْمَعِ وَقَالَ بَعْضُ الْعَامَّةِ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَّ بِالذَّلِيلِ كَوْنَ الْقُرْآنِ مُعْجَزًا أورد هَاهُنَا شَبَهَةً أوردَهَا الْكُفَّارُ قَدْ حَافِيَ فِي ذَلِكَ وَ أَجَابَ عَنْهَا وَتَقَرَّرَ بِهَا أَنَّهُ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُ النَّحْلِ وَالذَّبَابِ وَالْعَنْكَبُوتِ وَالتَّمَلُّ وَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَا يَلِيقُ ذِكْرُهَا بِكَلَامِ الْفَصَحَاءِ فِاشْتِمَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا يَقْدَحُ فِي فَصَاحَتِهِ فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ مُعْجَزًا فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِأَنْ صَغُرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَا يَقْدَحُ فِي الْفَصَاحَةِ إِذَا كَانَ ذِكْرُهَا مُشْتَمَلًا عَلَى حُكْمٍ بِالْغَةِ فَهَذَا هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى كَيْفِيَّةِ تَعَلُّقِ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا قَبْلَهَا أَنْتَهَى، وَكَيْفَ كَانَ فَلنَرْجِعَ إِلَى تَفْسِيرِ الْكَلِمَاتِ فِي الْآيَةِ فَقَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي قَدْ مَرَّ مَعْنَى الْحَيَاءِ فِي شَرْحِ اللَّغَاتِ وَهُوَ إِنْ حَصَرَ النَّفْسَ وَانْفَعَالَهَا، وَقِيلَ فِي مَعْنَى الْحَيَاءِ هُوَ إِنْكَسَارُ يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنْ خَوْفٍ مَا يُعَابُ بِهِ وَيَذَمُّ وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ إِسْتِحَالِ الْحَيَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ تَغْيِيرٌ يَلْحَقُ الْبَدَنَ وَذَلِكَ لَا يَعْقِلُ إِلَّا فِي الْجِسْمِ وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ فَكَيْفَ تُسَبِّحُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَ قَدْ أَجِيبَ عَنْهُ بِوَجْهِهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ١

الجلد الأول

**أحدها:** ما ذكره الطبرسي رحمته في تفسيره لهذا الكلام فإنه قال أي لا يدع و قيل لا يمتنع إلا أن قال ومعناه أن الله لا يدع ضرب المثل بالأشياء الحقيرة لحقارتها إذا رأى. الصلاح في ضرب المثل بها.

**ثانيها:** ما ذكره أيضاً وهو أن الذي يستحي منه ما يكون قبيحاً في نفسه و يكون لفاعليته عيب في فعله فأخبر الله أن ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى. يستحي منه.

**الثالثها:** ما ذكره أيضاً وهو أن الحياء بمعنى الخشية فيه تعالى والمعنى أن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً كما قال: **وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ** (١) أي تستحي الناس والله أحق أن تستحيه فالإستحياء بمعنى الخشية هنا كما أن الخشية بمعنى الإستحياء هناك انتهى.

**رابعها:** ما روي عن علي بن عيسى أن معنى الآية لا يحل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحي عنه.

**خامسها:** ما ذكره بعض العامة في تفسيره وهو أن هذه العبارة وقع في كلام الكفار في الأصل والله تعالى نقلها منهم و ذلك لأنهم قالوا أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت فجاء هذا الكلام على سبيل إطباق الجواب على السؤال وهذا فن بدیع من الكلام و طراز عجيب و منه قول أبي تمام.

مِن مَبْلَغِ أَفْنَاءِ يَعْرَبُ كُلِّهَا      أَنِّي بَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزَلِ  
و من المعلوم أن بناء الدار قبل الجار فلولا بناءها لم يصح بناؤه والأقوال كثيرة إلا أنها قريبة المأخذ لا فائدة في إستقصائها وإطالة الكلام بذكرها والذي يختلج بالبال في حل الإشكار مضافاً إلى ما ذكره هو أن كل صفة من صفات العبد لها مبدأ و منتهى و نعني بالمنتهى الغاية و المقصد و بعبارة أخرى لها

غايات ونهايات فَأَنَّ الغضب مثلاً مبدأه غليان دم القلب و غايته الإنتقام من  
المغضوب عليه بإجراء العذاب عليه فاذا أنسب هذه الصفة مثلاً الى الله تعالى  
كما قال ﷺ أَنَّ اللَّهَ لَيَغْضِبَ لَغَضَبِ فَاطِمَةَ وَيَرْضَى لِرِضَاهَا فَاَلْمَقْصُودُ  
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْتَقِمُ وَيَجْرِي الْعَذَابُ عَلَى مَنْ كَانَ مَبْغُوضاً لَهَا وَأَمَّا مَبْدَأُ  
الغضب فلا يطلق عليه اذ غليان الدَّم لا يكون إِلَّا لَمَنْ كَانَ جِسْمٌ وَدَمٌ وَأَمَّا مَا لَا  
جِسْمَ لَهُ فَلَا دَمَ لَهُ فَلَا غليانَ لَهُ وَهَكَذَا فِيمَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنَّ مَبْدَأَ الْحَيَاءِ تَغْيِيرُ  
إِنْكَسَارٍ وَهُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْجِسْمِ وَغَايَتُهُ وَنَهَايَتُهُ تَرْكُ الْفِعْلِ لِثَلَاثِينَ نَسْبِ إِلَى الْقَبِيحِ  
فَإِذَا قِيلَ أَنَّ اللَّهَ حَتَّى كَرِيمٍ مَعْنَاهُ أَنَّ يَتْرَكَ الْفِعْلَ وَهَذَا مِمَّا لَا إِشْكَالَ فِيهِ إِذَا  
عُرِفَ هَذَا فَنَقُولُ قَوْلَهُ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَعْنَاهُ لَا  
يَتْرَكَ الْمَثَلَ إِذَا كَانَ فِيهِ صَلاَحٌ لِلنَّاسِ وَأَنْ كَانَ الْمَثَلُ بِهِ حَقِيرًا ضَعِيفًا إِذَا  
الْغَرَضُ مِنَ الْمَثَلِ تَفْهِيمُ الْمَخَاطَبِ وَهُوَ حَاصِلٌ وَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَطْبَقَ الْعَرَبُ  
وَالْعَجَمُ عَلَى ذِكْرِ الْأَمْثَالِ فِي كَلِمَاتِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ بَلْ دَوَّنُوا فِي الْأَمْثَالِ كُتُبًا  
مُسْتَقْلَةً نَحْوَ الْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ، وَمَجْمَعُ الْأَمْثَالِ وَغَيْرُهُمَا بَلْ الْحَقُّ أَنَّ بَعْضَ  
الْمَسَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ مِمَّا لَهُ غَمُوضٌ لَا يُمْكِنُ تَفْهِيمُهَا إِلَّا بِالْمَثَلِ لِيَكُونَ أَوْقَعُ فِي  
نَفْسِ الْمَخَاطَبِ وَبِالْجُمْلَةِ أَسَاسُ التَّفْهِيمِ وَالتَّشْفُّهُمِ فِي الْمَحَاوِرَاتِ  
وَالْتَخَاطَبِ عَلَى ذِكْرِ الْأَمْثَالِ فِي أَكْثَرِ الْمَوَارِدِ وَالْقُرْآنِ لَيْسَ بِمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَلِذَلِكَ  
تَرَى فِيهِ الْأَمْثَالَ كَثِيرًا فَقَدْ مَثَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمَقَامِ بِالْبَعُوضَةِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا  
يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا وَأَمَّا حَصْنُ اللَّهِ الْبَعُوضَةُ  
بِالذِّكْرِ فِي الْمَقَامِ لِأَنَّهَا صَغِيرَةٌ جَدًّا بِالنَّظَرِ إِلَى جِسْمِهِ وَكَبِيرَةٌ جَدًّا بِالنَّظَرِ إِلَى  
أَسْرَارِ الْخَلْقَةِ الْمُودَعَةِ فِيهَا فَهِيَ صَغِيرَةٌ ضَعِيفَةٌ ظَاهِرًا كَبِيرَةٌ عَجِيبَةٌ وَاقِعًا وَ  
ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ فِيهَا عَلَى صَغَرِ حَجْمِهَا جَمِيعَ مَا خَلَقَ فِي الْفِيلِ مَعَ  
كِبَرِهِ وَعَظَمِ جِثَّتِهِ إِلَّا أَنَّهَا أَكْثَرُ أَعْضَاءٍ مِنْهُ فَأَنَّ لِلْفِيلِ أَرْبَعَةَ أَرْجُلٍ وَخَرْطُومًا وَ  
ذَنْبًا وَلَهَا مَعَ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ رَجُلَانِ زَائِدَتَانِ فَلَهَا سِتَّةُ أَرْجُلٍ وَلِلْفِيلِ أَرْبَعَةٌ ثُمَّ لَهَا

أربعة أجنحة وليس للفيل جناح، وخرطوم الفيل مصمت وخرطوم البعوضة أعني بها، البق، مجوف فاذا طعن به جسد الإنسان إستسقى الدّم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم بل قيل أنّ خرطومه مع صغر جثته يغوص في جلد الفيل والجاموس على ثخنته كما يعرف الرّجل إصبعه في الخبيص و ذلك لما ركّب الله في رأس خرطوم من السّم واما قوله تعالى فَمَا فَوْقَهَا، أي ما فوق البعوضة يُحتمل فيه أمران:

أحدهما: أن يكون المراد ما فوق البعوضة في القلّة والحقارة.

ثانيهما: أن يكون المراد ما فوقها في الحجم وعظم الجثّة فعلى الأول معنى الآية إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَي لا يترك أن يَضْرَبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا في صغر الحجم والحقارة و على الثاني يكون المراد أن الله لا يستحي الى قوله فما فوق أي ما فوق البعوضة كالعنكبوت والنمل مثلاً ولنعم ما قيل:.

يامن يرى قَدْ البعوض جناحها	في ظلمة اللّيل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في بخرها	والْمُخّ في تلك العظام النّحل
إغفر لعبدٍ تاب من فرطاته	ما كان منه في الزّمان الأوّل

أيضاً:

لا تحقرن صغيراً في عداوته أن البعوضة تدمي مقلة الأسد  
قال الدّميري في حياة الحيوان ما لفظه، البعوض دونية قال الجوهري أنّه ألبق، الواحدة بعوضة وهو وهم والحق أنّه صنفان وهو يشبه القراد لكن أرجله خفيفة ورطوبته ظاهرة وسُمّي بالعراق والشّام الجرجس قال الجوهري وهو لغة في القرقس انتهى.

حيث إنجرّ الكلام الى البعوضة وقد ضرب الله تعالى بها المثل فلا بأس بالإشارة الى بعض خصوصياتها وما أودع الله تعالى في هذه الدّويبة الصّغيرة فأف فيها تنبيه للعاقل وتذكير للمتدبر وتوحيد للمتّوحد قال الدّميري ومّا

ألهمه الله تعالى أنه إذا جلس على عضو من أعضاء الإنسان لا يزال يتوَحَّى  
 بخرطومه المسام التي يخرج منها العرق لأنها أَرْقُ بشرَةً من جلد الإنسان فاذا  
 وجدها وضع خرطومه فيها وفيه من الشره أن يَمصَّ الدَّم إلى أن ينشَقَّ  
 ويموت أو إلى أن يعجز عن الطَّيران فيكون ذلك سبب هلاكه ومن عجيب  
 أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيبقى طريحاً في  
 الصَّحراء فتجتمع السَّباع حوله والطَّير التي تأكل الجيف فمن أكل منها شيئاً مات  
 لوقته وكان بعض الجبابرة من الملوك بالعراق يعذَّب بالبعوض فيأخذ من يريد  
 قتله فيخرجه مجرّداً إلى بعض الأجسام التي بالبطائح ويتركه فيها مكتوفاً  
 فيقتل في أسرع وقت وأقرب زمان وما أحسن قول أبي الفتح البستي في هذا  
 المعنى حيث قال:

لا يستخفُّ الفتى بعداوةً      أبداً وأن كان العدو ضيئلاً  
 أن الفذّي يؤذي العيون قليله      ولربما جرح البعوض الفيلاً  
 وقال بعضهم:

ولا تحقّرن عدوّاً رماك      وأن كان في ساعديه قَصير  
 فإنّ الحسام يخرّ الرقاب      ويعجز عمّا تنال الإبر  
 وقال:

يامن لبست عليه أثواب الضنا      صفراً مُوشَّحة بحمر الأدمع  
 أدرك بقية مهجة لو لم تذب      أسفاً عليك رميتها عن أضلعي

ولآخر:

لما وقفنا للوداع وصارماً      كنّا نظنّ من النوى تحقيقاً  
 نشروا على ورق الشقائق لؤلؤاً      ونثرت من ورق البحار عقيقاً  
 وقد روي عن النبي ﷺ بطرق الخاصة والعامة أنه قال لو كانت  
 الدُّنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقٍ منها كافراً شربة ماء.

في هذا المعنى قال الشاعر:

إذا كان شيء لا يساوي جميعه

جناح بعوضٍ عند من كنت عبده

وإسفل جزءٍ منه كلك بالذي يكون

على ذا الحال قدرك عنده

وقد أطال الدّميري في حياة الحيوان الكلام فيها وتكلم الغزالي أيضاً في كتاب الأحياء فمن أراد الإطلاع عليها والوقوف على خصوصياتها فعليه بالكتابين المذكورين وغيرهما من الكتب المَدونة في هذا الفن والحمد لله على كل حال.

و أما قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فحاصل الكلام فيه هو أَنَّ اللَّهَ تعالى قسم الناس إلى قسمين مؤمن، وكافر.

ثم قال تعالى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا الْمَثَلُ حَقٌّ لَا مَرِيَةَ فِيهِ فَقَالَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى قَوْلِهِ الْحَقُّ، وَأَمَّا الْكَافِرِينَ فَقَدْ قَالُوا مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الْمَثَلِ الَّذِي يَضِلُّ بِهِ كَثِيرٌ فَقَالَ تَعَالَى فِي جَوَابِ الْكَفَّارِ وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ هَذَا لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَضِلُّونَ بِسَبَبِهِ وَمَعْنَى الْإِضْلَالِ تَشْدِيدُ الْإِمْتِحَانِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ الضَّلَالُ وَذَلِكَ بِأَنْ ضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ لِأَنَّ الْمِحْنَةَ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَى الْمُمْتَحِنِ فَضَّلَ عِنْدَهَا سَمِيَتْ إِضْلَالًا وَ إِذَا سَهَلَتْ فَاهْتَدَى عِنْدَهَا سَمِيَتْ هِدَايَةً فَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُ بِهِذِهِ الْأَمْثَالَ عِبَادَهُ فَيَضِلُّ بِهَا قَوْمٌ كَثِيرٌ وَيَهْدِي بِهَا قَوْمٌ كَثِيرٌ.



الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ  
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ  
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾

## ◀ اللغة

النَّقْضُ: في الأصل إنتشار العقد من البناء والحبل والعقد وهو ضد الإبرام يقال نقضت البناء والعقد والحبل ومن نقض العقد والحبل إستعير نقض العهد.

عَهْدَ اللَّهِ: العهد مصدر معناه حفظ الشئ ومراعاته حالاً بعد حال.  
مِيثَاقِهِ: الميثاق بكسر الميم أصله ميثاق لأنه مفعال من وثق والميثاق في الأصل حبل أو قيد يشد به الأسير والدابة صارت الواو ياء لإنكسار ما قبلها والجمع المَوَائِق.

يُفْسِدُونَ: فَسَدَ الشئ فَسُوداً من باب، قعد فهو فاسد والإسم منه الفساد هو خروج الشئ عن الإعتدال.

الْخَاسِرُونَ: الْخُسْر والخسران إنتقاص رأس المال وينسب ذلك الى الإنسان فيقال خبر فلان، و الى الفعل فيقال خسرت تجارتك ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر في المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

## ◀ الإعراب

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ صِفَةً لِلْفَاسِقِينَ وَيَجُوزُ أَنْ  
يَكُونَ نَصَباً بِإِضْمَارٍ، أَعْنِي وَأَنْ يَكُونَ رَفْعاً عَلَى الْخَبَرِ وَالْمَبْتَدَأِ مُحذُوفٍ أَي هُمْ

الَّذِينَ وَفَاعِلُ الْفِعْلِ مُسْتَتِرٌ فِيهِ، عَهْدَ اللَّهِ مضاف ومضاف إليه في موضع المفعول مِنْ بَعْدُ من إبتداء غاية الزَّمان على رأي من أجاز ذلك وزائدة على رأي من لم يجزه ميثاقه مجرور بإضافة، بعد إليه، والضَّمير يرجع إلى الله، أو إلى العهد وَيَقْطَعُونَ عطف على ينقضون.

مَا أَمَرَ اللَّهُ، ما بمعنى، الَّذِي ويجوز أن يكون نكرة موصوفة ومحله النَّصْب على المفعولية و، أَمَرَ، فعل والله فاعله والهاء تعود إلى ما. أَنْ يُوصَلَ في موضع جرٍ بدلاً من الهاء أي يوصله ويجوز أن يكون بدلاً من ما، بدل الإشتغال تقديره ويقطعون وَصَلَ ما أَمَرَ اللَّهُ به ويجوز أن يكون في موضع رفع أي هو أن يُوصَلَ أولئك مبتدأ و، هم، مبتدأ ثانٍ أو فصل و، الخاسرون، خبره.

### ◀ التفسير

وصف الله تعالى الفاسقين في قوله في الآية المتقدمة وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ، بنقض العهد بعد الميثاق فقال: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، ويقطع مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وبالفساد في الأرض ثالثاً ثم حَكَمَ عليهم بأنهم هُمُ الْخَاسِرُونَ فالكلام في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: في نقض العهد.

الثانية: في قَطَعَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ

الثالثة: في الفساد في الأرض وخاتمة البحث في الخُسران ويظهر من الشَّرِيفَةِ أَنَّ الْفَاسِقَ موصوف بها جميعاً وأنها من علامات الفسق وأن المؤمن لا يوصف بها وهو كذلك ونحن نتكلم فيها فنقول:

المسألة الأولى: في نقض العهد ولاشك أنه مَذْمُومٌ عقلاً وشرعاً،

أَمَّا الْعَقْلُ: فَلأنَّ الْعَقْلَ قد أطبقوا قديماً وحديثاً مسلماً أو كافراً شيخاً أو شاباً ذكوراً أو إناثاً على حسن الوفاء بالعهد وقبح نقضه ونكثه ولم يرتابوا فيه أبداً وكيفيك في إثبات المدعى أَنَّ النَّاسَ يَذْمُونَ وينكرون على كُلِّ ناقض



العهد كائناً من كان وهو واضح.

أما شرعاً: فالآيات الواردة والأخبار المأثورة في ذمّه:

قال الله تعالى: **وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً** <sup>(٤)</sup>

و أمثالها من الآيات الواردة في الباب ومن الأخبار:

ما رواه المجلسي رحمته الله في البحار بأسناده عن أبي مالك قال: قلت

لعليّ ابن الحسين أخبرني بجميع شرائع الدين قال عليه السلام: أقول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد.

و بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: ثلاثة لا عُذر فيها لأحدٍ أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر والوفاء للعهد للبرّ والفاجر وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين.

و بأسناده عن الرضا عليه السلام عن أبيه قال رسول الله من عامل النَّاسَ فلم يظلمهم و حَدَّثهم فلم يكذبهم و وعدهم فلم يخلفهم فهو مَمَّنْ كملت مروّته و ظهرت عدالته و حرمت غيبته انتهى.

و بأسناده عن الصادق عليه السلام عن أبيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أقربكم منّي عداءً في الموقف أصدقكم للحديث و أداء الأمانة و أوفاكم بالعهد الحديث.

و بأسناده عن موسى ابن جعفر عليه السلام عن أبيه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا دين لمن لا عهد له انتهى <sup>(٥)</sup>

١- الأنفال = ٥٦

٢- المائدة = ١٣

٣- النحل = ٩٢

٤- النساء = ١٥٥

٥- ج ١٦ ط كمباني ص ١٤٦

ثُمَّ أَنَّهُمْ إِخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْعَهْدِ وَالْمَرَادُ بِهِ فِي آيَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى وَجْهِهِ:  
أَحَدُهَا: أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ مَارَكَبٌ فِي عَقُولِهِمْ مِنْ أَدَلَّةِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ وَتَصْدِيقِ  
الرَّسْلِ وَمَا إِيْتَجَّحَ بِهِ لِرَسُولِهِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ وَنَقَضِهِمْ لِذَلِكَ تَرْكُهُمُ الْإِقْرَارَ بِمَا قَدْ  
بَيَّنْتَ لَهُمْ صَحَّتَهُ بِالْأَدْلَةِ.

ثَانِيهَا: أَنَّهُ وَصِيَّةُ اللَّهِ الَّتِي خَلَقَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَ  
نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَةٍ وَنَقَضَهُمْ لِذَلِكَ تَرْكُهُمُ الْعَمَلَ بِهِ.

ثَالِثُهَا: أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْكَفَّارِ وَالْمَرَادُ بِعَهْدِ اللَّهِ الَّذِي نَقَضُوهُ  
مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ هُوَ مَا أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ إِتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ  
والتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَنَقَضَهُمْ لِذَلِكَ هُوَ جَحْدُهُمْ بِهِ بَعْدَ  
مَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَتِهِ وَكُتْمَانِهِمْ ذَلِكَ عَنِ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُمْ لِبَيِّنَتِهِ  
لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ وَأَنَّهُمْ أَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ أَمِنُوا بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُمُ النَّذِيرُ إِزْدَادُوا  
نُفُورًا وَبَذَلُوا الْعَهْدَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَإِشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.

رَابِعُهَا: أَنَّهُ الْعَهْدُ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ صُلْبِ آدَمَ كَمَا  
وَرَدَتْ بِهِ الْقِصَّةُ وَهَذِهِ الْوُجُوهُ الْأَرْبَعَةُ نَقَلَهَا الطَّبْرَسِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ.  
وَقَالَ الْبِيضَاوِيُّ وَقِيلَ عَهْدُ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ:

عَهْدٌ أَخَذَهُ عَلَى جَمِيعِ ذُرِّيَةِ آدَمَ بِأَنْ يَقْرَأُوا بِرَبُّوبِيَّتِهِ وَعَهْدٌ أَخَذَهُ بِأَنْ يَقِيمُوا  
الَّذِينَ وَلَا يَتَفَرَّقُوا فِيهِ.

وعَهْدٌ أَخَذَهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ بِأَنْ يَبَيِّنُوا الْحَقَّ وَلَا يَكْتُمُوهُ أَنْتَهَى.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ فَإِنْ قُلْتَ فَمَا الْمَرَادُ بِعَهْدِ اللَّهِ قُلْتَ مَا رَكَزَ  
فِي عَقُولِهِمْ مِنَ الْحُجَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ كَأَنَّهُ أَمَرَ وَصَاهَمَ بِهِ وَوَثَّقَهُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ  
مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ أَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى <sup>(١)</sup> أَوْ أَخَذَ  
الْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا بُعِثَ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ يُصَدِّقْهُ اللَّهُ بِمَعْجَزَاتِهِ صَدَّقُوهُ

وَاتَّبَعُوهُ وَلَمْ يَكْتُمُوا ذِكْرَهُ فِيمَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**.

إلى أن قال وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم انتهى.

**أقول** هذه الوجوه كلها مما لا بأس به والذي يختلج بالبال بقرينة المقام هو أن المراد بالعهد، العهد المأخوذ بالعقل الذي جعله الله حجة باطنة قائمة على عباده الدالة على وجوده و وحدته و صدق رسله و لازم ذلك أن يكون العبد مطيعاً لله ولرسوله في أوامره ونواهيه و حيث أن الفسق يوجب الخروج عن هذا العهد فلا محالة يكون الفاسق ممن ينقض عهد الله ولأجل هذه الدقيقة صارت الآية بمنزلة الصفة للفاسقين وفي هذا إشعار بأن الفاسق ناقض للعهد لا محالة وأن شئت قلت كل فاسق ناقض للعهد وكل ناقض فهو فاسق إذ المؤمن لا ينقضه أبداً و قوله تعالى من بعد ميثاقه، مشعر بأن الميثاق في بمعنى المصدر و من، للإبتداء و عليه فإبتداء النقص بعد الميثاق لا قبله و أما على قول من جعل الميثاق اسماً لما يقع به الوثيقة وهى الأحكام فالمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب الخ.

وما ذكرناه أوفق بسياق الآية والله أعلم بكلامه.

**المسألة الثانية:** في قطع ما أمر الله به أن يوصل كما قال: **وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ** إختلفوا في المراد بقوله أمر الله به أن يوصل، فقيل أمروا بصلة النبي والمؤمنين وقيل أمروا بصلة الرحم والقرباة وقيل أمروا بالإيمان بجميع الأنبياء والكتب فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وقيل معناه الأمر بوصل كل ما أمر الله بصلته من أوليائه والقطع والبراءة من أعداءه و إختاره الطبرسي وقال هذا أقوى لأنه أعم ويدخل فيه الجميع.

وقال بعض المفسرين من العامة المراد به كل قطيعة لا يرضاه الله تعالى

كقطع الرّحم والإعراض عن مولاة المؤمنين والتّفرة بين الأنبياء والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه، رفض خير أو تعاطي شرّ فأنه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذّات من كلّ وصل وفصل انتهى.

والأمر هو القول الطّالب للفعل وقيل مع العلّو وقيل مع الاستعلاء وبه سُمّي الأمر الذي واحد الأمور تسمية للمفعول به بالمصدر فأنه ممّا يؤمر به قاله في الكشف.

وقال الرّازي في تفسيره أنّ المراد به قطيعة الرّحم وحقوق القرابات التي أمر الله بوصلها وهو كقوله تعالى: **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ**<sup>(١)</sup> وفيه إشارة الى أنّهم قطعوا ما بينهم وبين النّبي من القرابة وعلى هذا التّأويل تكون الآية خاصّة.

**ثانيها:** أنّ الله تعالى أمرهم أن يصلوا حبلهم بحبل المؤمنين فهم إنقطعوا عن المؤمنين وإتصلوا بالكفّار فذاك هو المراد من قوله: **يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**.

**ثالثها:** أنّهم نهوا عن التّنازع وإثارة الفتن وهم كانوا مشغولين بذلك انتهى. فهذه وجوه الأقوال من العامّة والخاصّة في تفسير الآية والحقّ ما اختاره الطّبرسي رحمته من أنّ المراد وصل كلّ ما أمر الله بصلته والقطع والبراءة من أعداءه ونزید عليه أنّ محبة أهل البيت ولائهم من أكمل مصاديق قوله تعالى: **مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ** وقطع المحبة والولاية لهم من أكمل مصاديق **يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ** فمن أخذ بولايتهم وصل ما أمر الله به أن يوصل ومن تركها قطع ما أمر الله به أن يوصل كما أنّه نقض عهد الله بعد ميثاقه وفسد في الأرض فأولئك هم الخاسرون حقاً.

**المسألة الثالثة:** في الفساد في الأرض واليه الإشارة بقوله (ويفسدون في الأرض).

قد قلنا في شرح اللغات أنَّ الفساد هو الخروج عن حدِّ الاعتدال قليلاً كان أو كثيراً فنقول الفساد ضدَّ الصَّلاح ويستعمل ذلك في النَّفس والبدن و الأشياء الخارجة عن الإستقامة:

قال الله تعالى: **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ.**

قال الله تعالى: **لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ** <sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: **وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ** <sup>(٥)</sup>

وغيرها من الآيات الدالة على ذمِّ الفساد وقد حكم العقل يقبحه وذمه قبل الشرع بل العقل إستقل يقبحه وأنه من المستقلات العقلية كيف وهو الخروج عن حدِّ الاعتدال وما كان كذلك فهو داخل في أقسام الظلم الذي أطبقوا على أنه من المستقلات العقلية ثم أنهم اختلفوا في المراد في الآية فقال قوم استدعاهم الى الكفر هو الفساد، وقيل إخافتهم السبيل وقطعهم الطريق، وقيل نقضهم العهد، وقيل كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها، وقيل منعهم النَّاس من الإيمان، وقيل استهزاءهم بالحق وقطع الوصل الذي به نظام العالم وصلاحه وأمثال ذلك من الأقوال.

لا شك أنها داخله في الفساد فإنَّ مصاديق الفساد كثيرة جداً وقد تكلّمنا

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

٢- البقرة= ٢٠٥

٤- يونس= ٨١

١- الروم= ٤١

٣- النمل= ٣٤

٥- البقرة= ٢٢٠

في معناه والمراد به في لسان الشرع عند قوله تعالى: **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** فلا نطيل الكلام بذكره في المقام إن شئت فراجع، وأما قوله تعالى: **أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** فالمشار إليهم بقوله: **فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** المتصفون بنقض العهد أولاً، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ثانياً، والفساد في الأرض ثالثاً ومن المعلوم أنهم من أكمل مصاديق الخاسرين في الدنيا والآخرة وذلك بسبب إهمالهم العقل عن النظر وإقتباس ما يفيدهم الحياة الأبدية أولاً وإستبدالهم الإنكار والطعن في الآيات بالإيمان بها ثانياً وإستهزائهم النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب ثالثاً.

فلو لم يكن هؤلاء القوم من الخاسرين فلا يوجد لهذا الكلام مصداق أبداً لقوله تعالى: **وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا<sup>(١)</sup>** وأما جعلهم الله من الخاسرين لأنهم خسروا أنفسهم ومن كان كذلك لا يؤمن بالله أبداً:

قال الله تعالى: **الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>(٢)</sup>**

قال الله تعالى: **قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ<sup>(٣)</sup>**

قال الله تعالى: **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ<sup>(٤)</sup>**

قال الله تعالى: **وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا<sup>(٥)</sup>**



كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ  
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)

### ◀ اللغة

أَمْوَاتًا: المَوْت بفتح الميم ضد الحياة كما أن الحياة ضد الموت.

### ◀ الإعراب

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ كيف في موضع نصب على الحال والعامل فيه،  
تكفرون وصاحب الحال الضمير في تكفرون وهو أنتم وتكفرون يتعدى  
بحرف الجرّ وقد عدى بنفسه في قوله تعالى: إِنَّ غَاثًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ<sup>(١)</sup> وذلك  
حمل على المعنى إذ المعنى جحدوا كنتم قد، معه مُضْمِرَةٌ والجملة حال و  
تقديره وقد كنتم أَمْوَاتًا، حال وصاحب الحال الضمير في كنتم، فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ  
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ معطوف على أَمْوَاتًا، وكذلك ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَالْهَاءُ  
ضمير يرجع الى الله.

### ◀ التفسير

كَيْفَ لفظٌ يسأل به عما يصح أن يقال فيه شبهة وغير شبيه كالأبيض  
والأسود والصحيح والسقيم ولهذا لا يصح أن يقال في الله عز وجل كيف وقد  
يعبر بكيف، عن المسؤول عنه كالأسود والأبيض فأنا نسميه كَيْفَ إذا عرفت  
هذا فاعلم أن كل ما أخبر الله تعالى بلفظه، كيف، عن نفسه فهو إستخبارٌ على  
طريق التنبيه للمخاطب أو توبيخاً نحو قوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ كيف  
يهدي الله، كيف يكون للمشركين عهد، أنظر كيف ضربوا لك الأمثال، فأنظر

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

كيف بدأ الخلق، أو لم يرد كيف يُبدئ الله الخلق ثم يعيده، قال الزاغب في المفردات.

**أقول** ولاجل ذلك يقال كيف، في الأصل سؤال عن حال وقال الزجاج هو إستفهام في معنى التعجب وهذا التعجب إنما هو للخلق أو للمؤمنين أي أعجبوا من هؤلاء كيف تكفرون والمعنى **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ** أي وبحكم كيف تكفرون بالله أو عجباً منكم، **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ** فيه إحتجاج من الله تعالى على الكفار في إنكارهم البعث و جحودهم لرسولهم وكتبه بما أنعم به عليهم ثم أشار بقوله: **وَكُنتُمْ أََمْواتًا فَأَحْيَاكُمْ** أي والحال أنكم كنتم أمواتاً لا حياة لكم فأحياكم أي أوجدكم من العدم إلى الوجود قدّم الله تعالى الوجود على غيره لأن الموجود هو الأصل ثم **يُمِيتُكُمْ** بالموت الطبيعي ثم **يُمِيتُكُمْ** في القبر للمسائلة ثم **إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** أي يبعثكم يوم الحشر للحساب والمجازات على الأعمال والمقصود كيف تكفرون ربوبيته أو معرفته والحال أنه تعالى فعل بكم كذا ويفعل كذا والبحث في المقام في بيان أمور.

**أحدها:** أن المراد بالكفر في الآية ما هو من أقسام الكفر وقد مر سابقاً أن أقسام الكفر خمسة على ما روي عن الصادق عليه السلام

والحديث نقلناه في قوله تعالى: **إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا سِوَاءَ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** فراجعه وحاصله أن للكفر في كتاب الله على خمسة أوجه منها كفر الجحود وهو على قسمين، الجحود بالربوبية، والجحود بمعرفته، وثالثها كفر النعم، ورابعها الكفر بترك ما أمر الله عز وجل به وخامسها كفر البراءة، ويظهر من كلمات المفسرين في المقام أن المراد بالكفر في الآية هو كفر الجحود بالمعنى الأول أعني إنكار ربوبيته تعالى ولذلك قال تعالى في رد إنكارهم **كَيْفَ تَكْفُرُونَ** أي كيف تنكرون ربوبيته تعالى والحال أنه أوجدكم من العدم إلى آخر الآية الدالة على عموم قدرته وتقرير الإحجاج أنكم لا تشكون في



وجودكم وأنكم من الموجودين في الدّنيا فلا يخلو هذا الوجود من أمرين أحدهما: أن يكون منكم أي أنكم بأنفسكم خالقكم وموجدكم.

ثانيهما: أن غيركم اوجدكم والحصر عقلي لا ثالث له وأما قلنا لا ثالث له لأن المخلوق معلول لا بد له من علّة ولا يمكن وجود المعلول بدون العلّة فهذه العلّة أمّا نفس المعلول وأما غيره.

**الأول:** محال لأن الممكن نسبته الى الوجود والعدم سواء بمعنى أنّه في حدّ ذاته لا إقتضاء فيه وجوداً وعدمًا ولذلك قيل في تعريفه الممكن من ذاته أن يكون ليساً ومن شأنه أن يكون آيساً فإن قلنا أن الموجد والعلّة في خروجه عن حدّ الإستواء بين الوجود والعدم هو نفسه من غي ر مرجّح وهو محال و أن كانت العلّة غيره فهذا الغير لا يخلو حاله من وجهين لأنّه أمّا أن يكون موجداً ممكناً أو واجباً فإن كان الأول عاد المحذور لأن الكلام فيه كالكلام فيه.

**وأن كان الثّاني:** أعني به الواجب فهو المطلوب فإذا ثبت أن المخرج عن حدّ الإستواء هو الواجب الوجود و عليه فصحة الإحتجاج بأن يقال كيف تكفرون أي تنكرون الخالق والحال أنكم كنتم أمواتاً فأحياكم أي أخرجكم من العدم الى الوجود هذا تقرير البحث على مذاق القوم وهو أن المراد بالكفر في الآية إنكار الخالقية والرّبوبية.

**وأنا أقول** لا دليل على حمل الكفر في الآية على ماذكروه لا عقلاً ولا نقلاً بل الكفر في الآية يشمل جميع أقسامه الخمسة المذكورة في الحديث بلا تفاوت فيها.

ونحن نشير الى سائر الأقسام أيضاً فنقول أن أريد بالكفر معناه الثّاني وهو الجحود على معرفته بمعنى أن يجحد الجّاحد وهو يعلم أنّه حقّ قد إستقر عنده فالمعنى كيف تجحدون وتنكرون معرفة الخالق بألستكم وأنتم تعلمون أن الله تعالى هو الذي أخرجكم من العدم وذلك لأن الإنسان العاقل مؤمناً

كان أو فاسقاً بل مسلماً كان أو كافراً يعلم بأن له خالق لا محالة أوجده من العدم إلى الوجود بل هو أمرٌ ضروريٌّ فطريٌّ فصَحَّ أن يقال له كيف تكفرون الآية بل التعجب منه أشد من غيره.

**وأما القسم الثالث:** وهو كفر النعم فالوجه فيه أن الوجود نعمة بل أفضل النعم وأشرفها لأن كل نعمة من نعم الله تعرف ببركة الوجود والمعدوم لا يعرف نعمة ولا غيرها كما أن كل نعمة أيضاً فضلها وشرفها بوجودها فالوجود رأس جميع النعم وإذا كان كذلك فيصدق على الكافر بهذا المعنى ما يصدق على غيره فيقال لهم كيف تكفرون بنعم الله تعالى وقد أخرجكم من العدم إلى الوجود الذي هو أفضل النعم وأحسنها.

وأما الكفر بالمعنى الرابع وهو ترك ما أمر الله عز وجل به، فيقال لهم كيف تكفرون بما أمر الله به من التوحيد والإقرار بالرسالة وجميع ما جاء به النبي وكنتم أمواتاً فأحياكم أي كنتم أمواتاً بالقلب والإعتقاد فأحياكم الله بالدين أو كنتم معدومين فأخرجكم من العدم إلى الوجود وإذا عرفتم الخالق وعلمتم بأنه واحد أحد لا شريك له فيجب عليكم عقلاً شكر المُنعم وشكراً العملي هو الإتيان بما أمر به لا تركه.

وعلى الخامس وهو أن يكون المراد به كفر البراءة فالمعنى فيه كيف تتبرؤون من الله ورسوله والمؤمنين وهو تعالى أوجدكم وخلقكم فقد ظهر مما ذكرناه وقررناه أن الكفر في الآية على عمومها أولى وهو المطلوب.

**الأمر الثاني:** ما المراد بالموت والحياة في قوله تعالى: **أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ** لا خلاف بين المفسرين من أن المراد بقوله تعالى **كُنْتُمْ أَمْوَاتاً** أي كنتم غير موجودين وبقوله تعالى **فَأَحْيَاكُمْ** أي أوجدكم فأن الموت ضد الحياة والحياة ضد الموت.

ونقل عن قتادة أنه قال المراد بقوله تعالى **أَمْوَاتاً**، أي أمواتاً في أصلاب آباءهم يعني نطفاً ثم أحياهم الله.

وعن ابن عباس أنه قال أي لم تكونوا شيئاً فخلقكم، عن بعض آخر، أي كنتم خاملين الذكر فأحياكم بالظهور وأمثال ذلك من الأقوال التي كلها إستنباط وإستحسان والذي نقول به كنتم غير موجودين في الخارج والله تعالى أوجدكم فهذا القدر مسلّم في معنى الأموات وأما تعيين موضع الإنسان قبل الوجود فلا نفهم معناه.

نعم يظهر من بعض الآيات:

قال الله تعالى: **أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ.**

قال الله تعالى: **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ<sup>(١)</sup>**

ويظهر من بعض آخر أنه خلق من ماء.

قال الله تعالى: **هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا<sup>(٢)</sup>**

قال الله تعالى: **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ<sup>(٣)</sup>**

قال الله تعالى: **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ<sup>(٤)</sup>**

قال الله تعالى: **وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا<sup>(٥)</sup>**

قال الله تعالى: **وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ<sup>(٦)</sup>**

وأمثالها من الآيات مضافاً إلى أن البحث ليس في مادة الخلقة بل البحث في الإيجاد والأحياء وهو معلوم لا كلام فيه.

**الأمر الثالث:** في تفسير قوله: **ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** الخ، ولا شك أن المراد بقوله: **يُمِيتُكُمْ** أي بعد الحياة ويحييكم عند البعث للمسائلة أما الموت بعد الحياة فهو معلوم بل محسوس وهو ممّا لا بدّ منه لكل مخلوق ومنه الإنسان.

قال الله تعالى: **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ<sup>(٧)</sup>**

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

١- النحل = ٤

٢- الفرقان = ٥٤

٣- الرحمن = ١٤

٤- العلق = ٢

٥- مريم = ٩

٦- الأعراف = ١٢

٧- الرحمن = ٢٦/٢٧

مخاطباً لنبيه.

قال الله تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: قُلْ إِنْ أَلْمُوتُ أَلَّذِي تَفُوتُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ أَلْمُوتُ<sup>(٣)</sup>

و أما قوله تعالى: ثُمَّ يُخَيِّصُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فهو معركة الأراء بين الطوائف والملل في طول حياة البشر فأنكره قوم.

و أثبتة قوم كذلك وذهب الى التفصيل فرقة أخرى وحيث أن البحث من أهم المسائل بالنظر الى 'الإعتقاد بالمعاد وعدمه وهو من أركان الدين بحيث يُعدُّ منكروه من المرتدين وقد ألفوا في إثباته كتباً مستقلة وردت آيات كثيرة في وجوده وإثباته كما ستقف عليها إن شاء الله ونحن أيضاً نتكلم فيه مفصلاً في موضعه: والذي نقول في المقام بطريق الإجمال هو أن الأحياء في المرتبة الثانية كالأحياء في المرتبة الأولى أما الأولى فقد ثبت لنا بالحس والعيان وكذلك في الثانية وأي فرق بين المرتبتين حتى يقال بإمكان الأولى بل وقوعها دون الثانية مع أن تفرق الأجزاء وتلاشيها في القبر لا يمنع من الإيجاد إذا كانت مادته الأصلية باقية مضافاً الى أن عموم القدرة يقتضي الوجود إذا لم يدل دليل على الإمتناع وعلى القائل بالإمتناع الإثبات وأتى له بإثباته بعد تحقق مثله في المرتبة الأولى وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

و أما قوله تعالى: إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فهو على طبق القاعدة لأن كل شيء يرجع الى أصله.

قال الله تعالى: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ<sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(١)</sup>  
 قال الله تعالى: إِلَيَّ الْمَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا<sup>(٢)</sup>  
 قال الله تعالى: إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَذَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ  
 يُعِيدُهُ<sup>(٣)</sup>

وغيرها من الآيات.

أن قلت: لم يرجعون إلى الله وكيف يرجعون تعالى يرجعون والجسد بعد  
 الموت يصير رفاتاً.

قلت الجواب عن الأول: أنهم يرجعون إليه تعالى للحساب والجزاء أن خيراً  
 فخيئراً وإن شراً فشرأ كما قال تعالى: إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ  
 تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(٤)</sup>.

وعن الثاني: أن الإنسان له روح وجسد والذي يصير رفاتاً هو الجسد ومع  
 ذلك يبقى فيه المادة الأصلية التي خلق منها كما يأتي في إثبات المعاد وأما  
 الروح أعني به النفس الناطقة فيرجع إلى محله الأصلي.

والى الأول: أشار الله تعالى بقوله: مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا  
 نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى<sup>(٥)</sup>.

والى الثاني: بقوله: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً  
 مَرْضِيَّةً<sup>(٦)</sup> وقد ثبت أن الإنسان عبارة عن النفس الناطقة أعني بها الروح  
 المنفوخ في الجسد وأما الجسد العنصري فلا دخل له في حقيقة الإنسانية  
 أصلاً وسيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى.

٢- المائدة = ٢٨

٤- الجمعة = ٨

٦- الفجر = ٢٨/٢٧

١- لقمان = ١٥

٣- سورة يونس آية ٤

٥- طه = ٥٥

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ  
إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمٌ (٢٩)

### ◀ اللغة

ثُمَّ اسْتَوَىٰ: استوى يستوي إستواء وهو من باب الإفتعال والثلاثي منه، سَوَى: والثاء فيه للقبول يقال سَوَّيْتُ المعوجَ فما اسْتَوَى، أي لم يقبل التسوية. قال الزاغب في المفردات الإستواء يقال على وجهين: أحدهما: يسند اليه فاعلان فصاعداً نحو استوى زيد وعمر في كذا أي تساويا قال الله تعالى: لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن يقال الاعتدال الشئ في ذاته نحو، ذو مرة فاستوى، الى أن قال و متى عدي لعلى إقتضى معنى الإستيلاء كقوله تعالى: أَلْرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى<sup>(٢)</sup>.

وقيل معناه استوى له ما في السموات وما في الأرض أي إستقام الكل على مراده بتسوية الله تعالى إياه كقوله: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ انتهى. فَسَوَّيْنَهُنَّ: أي سَوَّى السَّمَاءِ.

سَمَوَاتٍ: جمع سماء، و سماء كل شئ أعلاه. عَلِيمٌ: مبالغة في العلم والموصوف به في الحقيقة هو الله تعالى.

### ◀ الإعراب

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مُبْتَدَأُ و مَّا فِي الْأَرْضِ خبره ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فاعل الفعل مستتر فيه و الجار و المجرور متعلق به فَسَوَّيْنَهُنَّ أنما جمع

الضَّمِير لِأَنَّ السَّمَاءَ جَمَعَ سَمَاوَةَ أَبْدَلَتْ الْوَاوَ فِيهَا هَمْزَةً لَوْقُوعِهَا طَرَفًا بَعْدَ أَلْفِ زَائِدَةٍ سَبْعَ سَمَوَاتٍ سَبْعَ مَنْصُوبٍ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْهَاءِ وَالتَّوْنُ أَيْ فَسَوَى سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَخَبِرَ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي مَعْنَى الْأَرْضِ وَ مَأْخُذَ إِشْتِقَاقِهَا وَهَكَذَا فِي مَعْنَى الْخَلْقِ وَأَنَّ أَصْلَهُ التَّقْدِيرُ.

## ◀ التفسير

قيل لما استعظم المشركون أمر الإعادة عزّهم الله خلق السموات والأرض ليذلهم على قدرته فقال: هُوَ الَّذِي خَلَقَ أَي أَوْجَدَ وَقَدَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لَتَنْتَفِعُوا بِهِ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ أَي تَحَوَّلَ وَفَعَلَهُ وَتَدَبَّرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ أَي فَسَوَّى سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ أَي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ والبحث هنا في فصول:

**الفصل الأول:** في تفسير قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أَصْلَ الْخَلْقِ، التَّقْدِيرُ وَالْجَمْعُ الضَّمُّ وَنَقِيضُهُ الْفَرْقُ وَسَمَّيْتُ الْجُمُعَةَ جُمُعَةً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهِ وَالمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ وَقَدَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ النِّعَمِ لَتَنْتَفِعُوا بِهَا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

أَمَّا فِي الدِّينِ فَلِلْإِسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَى التَّوْحِيدِ ثُمَّ الْإِعْتِبَارِ بِهَا بِأَنَّهَا لَا بَقَاءَ لَهَا وَ مَا لَا بَقَاءَ لَهَا لَا يَنْبَغِي الْإِعْتِمَادَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلِتَصْلُحُوا بِهَا أَبْدَانَكُمْ وَتَتَّقُوا بِهَا عَلَى طَاعَاتِكُمْ وَبِهَذَا التَّقْرِيرِ ظَهَرَ أَنَّ اللَّامَ فِي قَوْلِهِ: لَكُمْ، لِلْغَايَةِ يَمَعْنِي أَنَّ الْغَايَةَ فِي خَلْقِ الْأَرْضِ وَ مَا فِيهَا إِنْتِفَاعُ النَّاسِ بِهَا وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَكِيمَ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا عَبَثًا وَأَمَّا الْأَشَاعِرَةُ فَقَدْ أَنْكَرُوا هَذَا الْأَصْلَ وَقَالُوا أَنَّ فِعْلَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَعْلَلُ بِغَرَضٍ لِأَنَّ التَّعْلِيلَ بِهِ يُوْجِبُ النِّقْضَ فِي ذَاتِهِ.

قال الرّازي في تفسيره لهذه الآية ما لفظه قال أصحابنا أنّه سبحانه لا يفعل

فعلاً لغرضٍ لأنّه لو كان كذلك كان مستكملاً بذلك الغرض والمستكمل بذاته لا يكون مستكملاً بغيره لأنّ المستكمل بغيره ناقص في حدّ ذاته وهو على الله محال.

ثمّ قال فإن قيل فعله معلّل بغرضٍ غير عائد اليه بل الى غيره، قلنا عود ذلك الغرض الى ذلك الغير هل هو أولى لله تعالى من عود ذلك الغرض اليه أو ليس أولى فإن كان أولى فهو تعالى قد إنتفع بذلك الفعل فيعود المحذور المذكور وأن كان الثّاني لم يكن تحصيل ذلك الغرض المذكور لذلك الغير غرضاً لله تعالى فلا يكون مؤثراً فيه.

**ثانيها:** أنّ من فعل فعلاً لغرضٍ كان عاجزاً عن تحصيل ذلك الغرض إلاّ بواسطة ذلك الفعل والعجز على الله تعالى محال.

**ثالثها:** أنّه تعالى لو فعل فعلاً لغرضٍ لكان ذلك الغرض أن كان قديماً لزم بقدّم الفعل وأن كان محدثاً كان فعله لذلك الغرض لغرض آخر ويلزم التّسلسل وهو محال.

**رابعها:** أنّه تعالى لو كان يفعل لغرض لكان ذلك الغرض هو رعاية مصلحة المكلّفين ولو توقّضت فاعليّة على ذلك لما فعل ما كان مفسدة في حقّهم لكنّه قد فعل ذلك حيث كلّف من علم أنّه لا يؤمن ثمّ أنّهم تكلموا في اللّام في قوله تعالى: **خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً** وفي قوله **إِلَّا لِيَعْبُدُون** فقالوا أنّه تعالى لمّا فعل ما لو فعله غيره لكان فعله لذلك الشّيء لأجل الغرض لا جرم أطلق الله عليه لفظ الغرض بسبب هذه المشابهة انتهت ما ذكره بألفاظه و عباراته.

**أقول** ما ذكره الرّازي لا يرجع الى محصّل وذلك لأنّه أن أراد بنفي الغرض نفيه مطلقاً بمعنى أنّ فعله لا يترتّب عليه غرض أصلاً فهو ممنوع مردود و ذلك لأنّ الفعل الصّادر من الفاعل لا يخلو عقلاً من وجهين عبث و غير عبث و



لا ثالث في المقام ثم أنهم فرقوا بين العَبَث وغيره بأن العَبَث ما لا نفع فيه، و غير العَبَث ما فيه نفع.

وبعضهم قال العَبَث ما لا غرض للفاعل فيه و غير العَبَث بخلافه وكيف كان فلو قلنا بأن فعل الله بلا غرض فما الفرق بينه وبين العَبَث، اذا عرفت هذا فنقول، قوله لو كان كذلك كان مستكملاً بذلك الغرض الخ.

يصح لو كان الغرض زائداً على ذاته و اما اذا كان الغرض نفس ذاته لا زائداً عليه فكيف يكون مستكملاً بغيره فكأنه لم يفرق بين الغرض الزائد على الذات و الغرض الذي هو عين الذات ونفسه والذي يوجب الإستكمال هو الأول.

و اما الثاني: فلا إستكمال فيه أصلاً وبذلك يظهر فساد قوله أيضاً حيث قال فأن قيل فعله مُعَلَّل بغرض غير عائد اليه بل الى غيره قلنا ذلك الغرض الخ. والوجه في فساده أن الغرض لا يعود الى غيره ولا يعود الى ذاته كما مرّ بل الغرض نفس ذاته لا شيء عائد اليه وأعجب من هذا قوله أن الغرض أن كان قديماً لزم قدم الفعل و أن كان محدثاً الخ ما قال و ذلك لأن الغرض أن كان نفس ذاته لا شيء عائد اليه فكيف يلزم قدم الفعل مع أن الفاعل مختار على الغرض هذا أولاً.

ثانياً: أن الغرض ليس علّة تامّة للفعل حتّى يلزم بقدمه أليس فرق بين العلّة الفاعل والعلّة الغائي على مسلكه وبذلك يظهر الجواب عن الكلّ اذ أساس الإشكال على عود الغرض الى الذات أو الى الغير والوجهان ممنوعان أن قلت ما معنى قولك أن الغاية هي الذات قلت المراد بأن الغاية لإيجاد الموجودات هي الذات نفى وساطة الغير في الغائية بمعنى أن ترتب العوائد والفوائد ذاتي لا يعمل كقولنا الله تعالى موجود بذاته ولذاته وكم فرق بين كون الغرض الحقيقي نفس ذاته كما نقول به وبين من قال بنفس الغرض والداعي مطلقاً كما قالت الأشاعرة.

قال بعض المحققين في كون الغاية لإيجاد الموجودات هي الذات كما أنَّ الفاعل هو الذات وأيضاً لا إنتفاع للعالِي الى السَّافل حتَّى يجعل فعله ذريعة اليه ولا جميل فوقه حتَّى يقصده فما في الكتاب الإلهي وما خلقت الجنَّ و الإنس إلَّا ليعبدون أي ليعرفون يرجع الى هذا المقام لأنَّ معرُوفيته تعالى عين ذاته كصفاته الأخرى فلا معنى في ذاته سوى صريح ذاته انتهى.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً حيث أنَّ اللّام في، لكم لام الغاية ليس معناه أنَّ الغاية في الإيجاد إيصال النّفع الى الغير بل المعنى أنَّ الغاية في الإيجاد هو ذاته كما أنَّ الفاعل أيضاً ذاته وعلّيه فالأنسب بالمقام هو أن يقال أنَّ اللّام في لكم لام الإنتفاع في الحقيقة وأن كان في الظاهر يعبرون عنه به لام الغاية ولا منافات بين كون الغاية في إيجاد الأرض وما فيها هي الذات وإنتفاع الغير بها وهو واضح.

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فالبحت فيه يقع في مقامين:

المقام الأول: قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ.

المقام الثاني: فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ.

أمّا المقام الأول: فنقول قد مرَّ معنى السَّماء مراراً وقد ذكرنا في تفسير ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وجوهاً:

أحدها: أنَّ معناه قَصَدَ السَّمَاءَ لتسويتها أي تحوّل فعله و تدبيره اليها.

ثانيها: أنَّ معناه اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ بالقهر فعلى هذا يكون معناه ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ في تَقَرُّده بملكها ولم يجعلها كالأرض ملكاً لخلقه ومنه قول الشّاعر حيث.

قال قد استوى بشر على العراق

من غير سيفٍ ودّمٍ مهراقٍ

وقال الآخر:

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَاسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمْ

تَرْكَنَاهُمْ صَرَغَى لِنَسْرِ وَكَاسِرٍ

ثالثها: أَنَّ معناه ثُمَّ اسْتَوَى أمره و صعد إلى السَّمَاءِ لِأَنَّ أوامره وقضاياه تنزل من السَّمَاءِ إلى الأرض.

رابعها: أَنَّ معناه أَقْبَلَ إلى السَّمَاءِ و عليه فالإستواء بمعنى الإقبال ذكر هذه الوجوه الطَّبْرَسِيّ رَحِمَهُ اللهُ.

ونقل عن البيهقي أَنَّهُ قال، إِسْتَوَى بمعنى ارتفع و عليه فالمعنى ارتفع أمره إلى السَّمَاءِ و قال الرّازي إِسْتَوَى إليه اذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلتفت إلى شيء آخر و منه إستعير قوله ثُمَّ إِسْتَوَى إلى السَّمَاءِ أَي خَلَقَ بعد الأرض السَّمَاءَ، و لم يجعل بينهما زماناً و لم يقصد شيئاً آخر بعد خلقه الأرض أخذه من الرّمخسري في الكشف، و أنت ترى أَنَّ هذه الأقوال كلّها يرجع إلى معنى الإستواء و أَنَّهُ ما معناه.

و أمّا السَّمَاءَ الَّتِي تَعْلَقُ بها الإستواء فلم نَرَفِي تفاسيرهم شيئاً فيها و لم يبينوا المراد منها و أَنّهما ما هي وقد ذكروا في تفسيرها بِأَنَّهَا جهة العلوّ، أو سماء كلّ شيء أعلاه و أمثال ذلك من العبارات الرّاجعة إلى شرح اللفظ.

و أمّا حقيقتها و ماهيتها ما هي فقد سَكَتُوا عنها و هو عجيب و لم يعلموا أَنَّ القَصْدَ أو الإِسْتِيْلَاءَ أو ما شئت فَسَمَّه إلى جهة العلوّ و جعلها سبع سموات لا معنى له اذا لم يعلم حقيقة السَّمَاءِ والحقّ أَنَّهُمْ قَدَّسَ اللهُ أسرارهم لم يصلوا إلى هذه الحقيقة فَأَنَّ حقيقة السَّمَاءِ كانت مختفية عن عقولهم و أفكارهم و لذلك جعلوا السَّمَوَاتِ السَّبْعَ عبارة عن القمر والعتارد و الزّهرة و الشّمس و المريخ و المشتري و زحل.

و عليه فلا يبعد أن تكون السَّمَاءِ عندهم هي كلّ واحدٍ منها والله أعلم

بحقيقة الأمر فنقول السماء الفلك الشامل لِسائر الأجرام و يطلق على كلِّ سقف على قول فريد وجدي في دائرة المعارف.

ثم قال ذهب الفلكيون الأقدمون أنَّ السماء جرم محسوس وأنَّ الكواكب مُثَبَّتة فيه و ذهب الفلكيون المحدثون إلى أنَّ السماء هي الفضاء الَّذي فوقنا ممَّا لا يجده التَّصوُّر تسبح الكواكب فيهما سباحاً بلا ماسِكٍ لهما إلاَّ قدرة الله تعالى والحقَّ ما ذهب اليه المعاصرون و ليس في كتاب الله ما يَرَجِّح فذهب الأولين فأن كلَّ ما ورد عن السماء وطبقاتها وإنفراجها وإنفطارها يمكن توجيهه إلى أجرامها وسياراتها وهكذا انتهى ما ذكره بلفظه.

وقال الطَّنطاوي في تفسيره لهذه الآية أنَّ أقدم ما وصل إلينا من العلم بذلك ما ذكره اليونانيون وقضى على أثارهم علماء الإسكندرية أيام البطالسة واستقرَّت أراء هؤلاء على أنَّ الأرض في مركز العالم وأنَّ القمر وعطارد و الزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزُحل سيارات حولها وكلِّ واحدٍ منها في فلكٍ دائر حول الأرض من الشرق إلى الغرب.

فأمَّا السيارات فأنَّ لها مسيراً خاصاً بها تسير إلى جهة الشرق في عكس الحركة اليومية للأفلاك السبعة وتكون تلك الكواكب على أفلاكها أشبه بنملة دائرة على عجلة ليس في طريقٍ يخالف سيرها وبهذه الحركة الكوكبية يكون شهر القمر وسنة الشمس وسنون لسائر الكواكب ويقولون أنَّ هناك فلكين آخرين يحيطان بالأفلاك السبعة وهما فلك الثوابت والأطلس وقالوا نحن علينا أن نفرض فلكاً ثانياً لتكون فيه الكواكب الثابتة وفلكاً تاسعاً يكون مبدأ الحركة اليومية إلى أن قال المسيح (في إنجيل برنابا) الحقُّ أقول أنَّ لاسموات تسع موضوعة بينها السيارات التي تبعد إحداها عن الأخرى مسيرة رجل خمس مائة سنة وكذلك الأرض على مسيرة خمس مائة سنة من السماء الأولى وهكذا تزيد السماء الثانية عن الأولى والثالثة عن الثانية وهلم جرّاً.

ثمَّ أطال النَّقل إلى أن قال هذا ما في كلام القدماء وما في الإنجيل ثمَّ أنَّ  
 فلسفة اليونان نقلت إلى العربية على يَدَي الفارابي وابن سينا، وقرَّرت أنَّ  
 الأفلاك تسع فوثق بذلك علماء الإسلام الذين درَّسوها وقالوا هي سبع  
 سموات والكُرسي والعرش فالسَّموات السَّبع تقدَّم ذكرها والكُرسي فلَّك  
 الثَّواب والعرش هو الفلك المُحيط الَّذي به الحركة اليوميَّة لسائر الأفلاك وبها  
 الشُّروق والغروب مضت قرون فاستيقظ أجلة العلماء وكبار الحكماء من الأمة  
 الإسلاميَّة ورأوا أنَّ هذا المذهب باطل لمخالفته الشَّرع والعقل وقالوا أنَّ  
 القول بأنَّ السَّموات سبع في القرآن ليس حاضراً فالعدد ليس له مفهوم فاذا قال  
 رجل عندي فرسان لا ينافي أن يكون عنده ألف وهذه الأفلاك القديمة لا  
 يمكن فناؤها عندهم وكذلك الكواكب وهذا مخالف للعقل والدين معاً و  
 قالوا أنَّ الأرض تدور حول نفسها وليس هناك فلك أطلس ولا غيره وأما هذه  
 الكواكب دائرة في الفضاء إلى أن قال أنَّ هذه العوالم كلُّها من شمسٍ وأقمار و  
 أرضين كانت في قديم الزَّمان كالدَّخان المنتشر سريعة الحركات فبسرعة  
 الحركة آلاف آلاف من السَّنين تكونت الشُّمس ودارت ملايين من السَّنين ثمَّ  
 انفصلت عنها السَّيارات وشمسنا إحدى تلك الشُّمس فولدت عطارد، و  
 الزَّهرة، والأرض، والمريخ والمشتري وزحل وأورانوس ونبتون فهذه ثمان  
 سَيارات ثمَّ أنَّهم وجدوا بين المريخ والمشتري نحو ست مائة (٦٠٠) نجمة  
 صغيرة جدًّا ولو اجتمعت كلُّها لم تصل لمقدار جرم القمر وأكبرها المَسَّمة  
 (سرس) لا يزيد قطرها عن خمس مائة ميل وبعضها لا يزيد قطره عن عشرة  
 أميال وربما كان هناك نجومات أصغر منها لا يمكن رؤيتها ثمَّ أنَّ هذه السَّيارات  
 تدور حول الشَّمس فعطارد يَتِم دورته في (٢٨) يوماً من أيامنا والزَّهرة في  
 (٣٢١) والأرض في سنة والمشتري في (١١ سنة و ٣١٣) يوماً وزُحَل في  
 (٢٩ سنة و ١٦٧) يوماً وأورانوس في (٤٨ سنة و ٧ يوم) ونبتون في (١٦٨ سنة و

(٢٤٨) يوماً ويطرأ أن هناك سيارات آخر حول الشمس لم تظهر الى أن قال هذا ما أردت ذكره في المجموعة الشمسية أما الكواكب الثابتة فأنها لا يحصى عددها إلا الله ولقد بحثها العلماء فوصلوا منها الى معرفة مئات الملايين بالمناظر المعظم وبالألة الراسمة المسماة فتوغرافيا انتهى.

ما نقلناه عنه بعبارة إذا عرفت هذا فنقول ما ذكره الطنطاوي في المقام لا يرجع الى محصل بل هو بالأوهام والخيالات أشبه منه بالتحقيق وذلك لأن حفظ الحدود في طبقات السماء مما لا يمكن إنكاره فقد ورد في كثير من الآيات أن السماوات سبع:

قال الله تعالى: **فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ** <sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** <sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: **وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا** <sup>(٦)</sup>

قال الله تعالى: **وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ**

**غَافِلِينَ** <sup>(٧)</sup>

و غير ذلك من الآيات الدالة على أن السموات منحصرة في هذا العدد فكيف يمكن أن يقال أن العدد ليس له مفهوم كما قال الطنطاوي به وإستدل عليه بأنه إذا قال الرجل عندي فرسان لا ينافي أن يكون عنده ألف فرس فإن القياس مع الفارق والمدار في التفهيم والتفهيم والمحاورات والمخاطبات

والمعاملات و غيرها على ضبط العدد فإذا أقرَّ المقرّ وقال في إقراره له على عشرة دراهم يؤخذ باقراره ولا يقال إقراره بعشرة دراهم لا ينافي أن يكون له عليه مائة درهم إذ لو كان الأمر على هذا المنوال يلزم أن لا يؤخذ المقرّ بإقراره وهو كما ترى لا يساعده العقل و الشرع و العرف اللهم إلا أن يُراد بالعُرف المجانين و الطنطاوي لا يقول به.

محصل الكلام في المقام هو أنّ القرآن ناطق بالصراحة بأنّ السّماوات محصورة في عدد السّبع لأقلّ ولا أكثر ولا يمكن العدول عنه بهذه الخرافات والملقّات مضافاً الى أنّ الرّوايات من الخاصّة والعامة أيضاً تشهد بأنّ الأمر كذلك فإنّك لا تجد رواية في الإسلام ولا آية في الكتاب إلاّ وهي مصرّحة بذكر العدد وهو السّبع فلو لو نفهم حقيقة السّماء وكيفية طباقها كما هو كذلك لا يجوز لنا عقلاً و شرعاً حمل الآيات والاحبار على آرائنا وعقائدنا الفاسدة المنبعثة عن الأوهام والخيالات قال الله تعالى: **وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** <sup>(١)</sup> و الإنصاف أنّ حقيقة السّماء و السّماوات وكيفية طباقها و سائر خصوصياتها علينا غير منكشفة ونحن عاجزون عن فهمها والوصول الى حقيقتها فلا بدّ لنا في فهم كلام الله من التمسك بالرّوايات المأثورة عن أهل البيت الذي جعلهم الله من الرّاسخين في العلم وأمرنا باتباعهم والأخذ عنهم ولا سيمّا في الآيات المتشابهات فقد قال الله تعالى: **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** <sup>(٢)</sup>.

ضياء القرآن في تفسير القرآن



المجلد الأول

وقال الصادق عليه السلام: نحن الرّاسخون في العلم، و عليه فما تبيّنوه في تفسير الآيات من المتشابهات والمعضلات فأخذ به و ما سكتوا عنه نسكت عنه فإنّ القرآن ليس مثل سائر الكتب المؤلفة بين أيدينا حتّى نقول فيه ما شئنا وفهمنا.

وما نحن فيه من هذا القبيل إذا عرفت هذا فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته التي يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم وهي الخطبة الأولى من نهج البلاغة قال عليه السلام:

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَ الْأَجْوَاءُ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءُ، وَسَكَّاتُكَ الْهُوَيَّ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءٌ مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِمًا رَخَّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مَثَنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالرُّعْزَعِ الْفَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَبِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شِدَّةِ، وَقَرَّنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهُوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتَقَى، وَالمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقُ ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اِغْتَقَمَ مَهْمُهَا، وَأَدَامَ مُرَبُّهَا، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهُهَا، وَأَبْعَدَ مَنَشَائِهَا، فَأَمَرَهَا بِتَضْفِيقِ الْمَاءِ الرَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ، فَمَخَّضَتْهُ مَخْضُ السَّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفًا بِالْفَضَاءِ، تَرَدُّ أَوَّلُهُ إِلَى آخِرِهِ، -وَسَاجِيَهُ إِلَى مَاثِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَزَمَى بِالزَّبْدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُتَفَتِّقٍ، وَجَوٍّ مُتَفَهِّقٍ فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سَفْلَاهُنَّ مَوْجًا مُكْفُوفًا، وَ عَلِيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوفًا وَسَمَكًا مَرْفُوعًا، يَغْيِرُ عَمِدَ يَدْعَمُهَا، وَلَادِسَارٍ يُنْظِمُهَا، ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا، وَقَمَرًا مُبِيرًا، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَ سَقْفٍ سَائِرٍ، وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ، انْتَهَى مَوْضِعُ الْحَاجَةِ مِنْهَا وَيَسْتَفَادُ مِنْ كَلَامِهِ عليه السلام أُمُورًا نَشِيرُ إِلَيْهَا إِجْمَالًا.

أحدها: أَنَّ الْفَضَاءَ مَخْلُوقٌ لَهُ تَعَالَى كَسَائِرِ مَخْلُوقَاتِهِ لِقَوْلِهِ عليه السلام فَتَقَ الْأَجْوَاءُ، جَمَعَ جَوْ وَهُوَ هَذَا الْفَضَاءُ الْعَالِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ فَتَقَ الْجَوْ مُؤَخَّرٌ عَنْ وَجُودِهِ إِذِ الْفَتْقُ لَا يَصْدُقُ إِلَّا عَلَى الشَّيْءِ الْمَوْجُودِ وَأَمَّا الْمَعْدُومُ فَلَا فَتَقَ لَهُ وَيَدُلُّ عَلَى الْمَدْعَى قَوْلُهُ عليه السلام وَشَقَّ الْأَرْجَاءُ، وَسَكَّاتُكَ الْهُوَيَّ فَإِنَّ الْأَرْجَاءَ، الْجَوَانِبَ، وَالسَّكَّاتُكَ جَمَعَ شُكَا كَةِ بَضْمِ السِّينِ وَهِيَ الْهُوَاءُ الْمَلَاقِي عَنَانَ السَّمَاءِ، وَمَا لَا وَجُودَ لَهُ خَارِجًا لَا جَوَانِبَ لَهُ.

ثَانِيهَا: أَنَّ مَادَّةَ خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ هِيَ الْمَاءُ لِقَوْلِهِ عليه السلام: فَأَجْرَى فِيهَا مَاءٌ مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِمًا رَخَّارُهُ.



**ثالثها:** وجود الرِّيح العاصفة ثم بعده أنشأ ريحاً إعتقم مهبها.  
**رابعها:** أنه تعالى أمر الرِّيح بتصفيق الماء الزَّخار فمخضته مخض السَّقاء الى آخر الكلام.

**خامسها:** أن السَّمَاوَات خلقت من زبد الماء فسوّى منه سبع سموات الخ.  
 وتفصيل الكلام في شَرَح هذه الكلمات يطلب من شرحنا المبسوط على نهج البلاغة أن شئت فراجعه.

وأما حمل كلامه عَلَيْهِ السَّلَام على أن المراد من السَّمَاوَات السَّبع الكرات السَّبعة وأنَّ العرش والكرسي، الأورانوس، ونبتون فهو مخالف لِصَّ كلامه عَلَيْهِ السَّلَام حيث يقول بعد هذا الكلام ما لفظه ثم زَيْنَهَا بزينة الكواكب وضياء الثَّوَاب الخ.

وهو دليل بل صريح في أن الكواكب خلقت بعد السَّمَاوَات وإلّا فما معنى كلامه ثم زَيْنَهَا، وإذا كان كذلك فهذه الكرات السَّبعة أو التسعة أوجدهنَّ الله تعالى بعد خلق السَّماء والسَّمَاوَات فكيف يقال أن المراد بالسَّمَاوَات السَّبع هو هذه الكرات السَّبعة أو مطلق الكُرَات والكواكب وأهل البيت أدرى بما في البيت فكلامه عَلَيْهِ السَّلَام في تفسير كلام الله حجة و عليه تحمل الآيات الواردة في المقام لا على كلمات القوم قديمهم وحديثهم فأنَّ كلام الله بعيد عن عقولنا غاية البعد.

فتلخص ممَّا ذكرناه أن السَّماء شيء والكوكب شيء آخر وأنَّ المراد بالسَّمَاوَات السَّبع ليس ما ذهبوا اليه بل الكواكب فيها وبعبارة أخرى أن السَّمَاوَات محلّ الكواكب ومحلّ الشيء غير الحال فيه كما أن المظروف غير الظرف هذا ما نفهم من الآية الشريفة بضميمة الآثار وأما حقيقتها وكيفيتها فلا علم لنا به والله تعالى أعلم بها وذلك لأنّه لا يعقل أن يكون الله تعالى خالقاً للأرض وما فيها وللسَّمَاوَات وما فيها من العجائب إلّا إذا كان عالماً بها محيطاً بجزئياتها كلياتها وذلك يدل على فساد قول من زعم أن الله تعالى لا يعلم

الجزئيات والعقل أيضاً يحكم بأنه عالم بها وبالكليات ولا فرق بينهما من حيث كونهما معلومين له تعالى.

أما أولاً: فلأن العلم بالكلي يستدعي العلم بالجزئي  
ثانياً: لو لم يكن عالماً بالجزئيات يلزم النقص في ذاته لأن الجهل نقص والنقص ينافي الواجبية.

ثالثاً: أنه تعالى خالق للجزئيات والكليات وكيف يعقل أن يكون الخالق جاهلاً بمخلوقه.

رابعاً: أنا نرى الخلق في غاية الإتيان والإحكام وهو يكشف لنا عن علمه الوافي.

خامساً: أنه تعالى عالم بذاته بل العلم عين ذاته مصداقاً وأن يغيره مفهوماً وحيث أن ذاته علة لما سواه والعلم بالعلة مستلزم للعلم بالمعلول على وجه التفصيل ولا عكس فلا جرم يكون عالماً بالمعلولات الكلية والجزئية وسيأتي البحث في علمه تعالى وسائر صفاته في موضعه إن شاء الله.



وَأِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ  
خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ  
الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي  
أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)

### ◀ اللغة

لِلْمَلَائِكَةِ: الملائكة جمع ملك وأصله مألَكَ فَقَدَمَ اللَّامَ وَأُخِرَ الهمزة فقال مَلَكٌ ووزنه مفعِل وهو مشتق من الأنوكة وهي الرسالة ثم تركت الهمزة لكثرة الإستهمال فقبل مَلَكٌ فلما جمعه ردوه إلى أصله فقالوا ملائِكَ فزيدت التاء للمبالغة أو لتأنيث الجمع فصار ملائِكَ ونُقل عن ابن كيسان أنه، فعال من المَلَكِ وعن أبي عبيدة أنه مفعِل من لَأَك إذا أُرسل، قال في المُنجد، الملاك: فَخَفَفَ مَلَاكٌ وهو أحد الأرواح السماوية ملائِكَ وملائِكَ انتهى. كيف كان فلا كلام في كون الملائكة من، أَلَك، أَلُوكة وهي الرسالة يقال أَلَكَ بلى فلان أي أُرسل اليه والملائكة رسل الله تعالى لقوله جاعل الملائكة رُسُلًا.

جَاعِلٌ: وزنه فاعِل من جَعَلَ.

خَلِيفَةً: التاء فيها للمبالغة وأصلها الخَلِيف بفتح الخاء وكسر اللام من الخَلَف: ويقال لِمَنْ خَلَفَ آخر فَسَدَ مَسَدَهُ خَلَفَ والخِلْفَة يقال في أن يُخلف كل واحدٍ الآخر كما قال تعالى: وهو الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلِيفَةً وجمع الخَلِيف، الخلفاء وجمع الخَلِيفَة، الخَلَائِف.

يَسْفِكُ: مضارع، سَفَكَ والسَّفَكَ الإِراقة يقال سَفَكَ الدَّمُ أي إراقة الدَّماء. الدَّمَاء: جمع، دَم، أصله دَمِيٌّ، وهو موصوف.

**نُسَبِّحُ:** من التَّسْبِيح وهو مأخوذ من، سَبَحَ سَبْحاً وَالسَّبْح المَرَّ السَّريع في الماء وفي الهواء والتَّسْبِيح المَرَّ السَّريع في عبادة الله.  
نُقَدِّسُ: من التَّقْدِيس بمعنى التطهير.

### ◀ الإعراب

وَإِذَا قَالَ، اذ، مفعول به ومحله النَّصَب والتَّعْدِير وإذكر اذ قال، وقيل موضعه الرَّفْع على أَنَّهُ خبر لمبتدأ محذوف تقديره وابتداء خلقي إِذَا قَالَ رَبُّكَ، وقيل زائدة وقال رَبُّكَ، فعل وفاعل إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً جملة في موضع نصب يقال قَالُوا لَنَجْعَلَ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ في موضع نصب بقالوا، والواو في قوله، ونحن واو الحال والباء في، بحمدك متعلق بقوله نُسَبِّحُ، واللام في، لك، متعلق بقوله نُقَدِّسُ وما، موصولة صلته، لا تعلمون، والعائد محذوف أي لا تعلمونه.

### ◀ التفسير

وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ اإِخْتَلَفُوا فِيهِ أَنَّ المراد كل الملائكة أو بعضهم فروي عن ابن عباس أَنَّهُ قال، أَنَّهُ سبحانه وتعالى أَنما قال هذا القول للملائكة الَّذِينَ كانوا محاربين مع إبليس لأنَّ الله تعالى لَمَّا أَسْكَنَ الْجَنَّ فِي الْأَرْضِ فَافْسَدُوا فِيهَا وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بَعَثَ اللَّهُ إِبْلِيسَ فِي جُنْدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَتَلَهُمْ إِبْلِيسُ بِعُسْكَرِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَالْحَقْوَاهُمْ بَجَزَائِرِ الْبَحْرِ فَقَالَ تَعَالَى لَهُمْ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَقَالَ الْأَكْثَرُونَ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ ذَلِكَ لَجَمَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ لِأَنَّ لَفْظَ الْمَلَائِكَةِ يَفِيدُ الْعُمُومَ وَالتَّخْصِيصَ خِلَافَ الْأَصْلِ.

في البحار بأسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن

أبأه عن عليّ عليه السلام قال: أن الله تبارك وتعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده و ذلك بعد ما مضى من الجنّ والنّسناس في الأرض سبعة آلاف سنة و كان من شأنه خلق آدم كشف (خ ل) عن أطباق السموات وقال للملائكة إنظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجنّ والنسناس فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي و سفك الدماء و الفساد في الأرض بغير الحقّ عظم ذلك عليهم و غضبوا لله و أسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم فقالوا ربّنا أنت العزيز القادر العظيم الشأن و هذا خلقك الضّعيف الذّليل يتقلّبون في قبضتك و يعيشون برزقك و يستمتعون بعافيتك و هم يعصونك بمثل هذه الذّنوب و لا تأسف عليهم و لا تغضب و لا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم و ترى و قد عظم ذلك علينا أكبرناه فيك فلما سمع ذلك من الملائكة قال إني جاعل في الأرض خليفة يكون حجة لي في أرضي على خلقي فقالت الملائكة سبحانك أنجعل فيها من يفسد فيها كم أفسدت بنو الجان و يفسكون الدماء كما سفك بنو الجان و يتحاسدون و يتباغضون فاجعل ذلك الخليفة منّا فإنّا لا نتحاسد و لا نتباغض و لا نسفك الدماء و نسبح بحمّك و نقديس لك فقال جلّ وعزّ إني أعلم ما لا تعلمون إني أريد أن أخلق خلقاً بيدي و أجعل من ذريته أنبياء و مرسلين و عباداً صالحين و أئمة مّهتدين أجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي يهونهم عن معصيتي و ينذرونهم من عذابي و يهدونهم إلى طاعتي و يسلكون بهم طريق سبيلي و أجعلهم لي حجة عليهم و عذراً و نذراً و أنقل مرّة الجنّ العصاة عن برّيتي و خلقي و خيرتي و أسكنهم في الهواء و في أقطار الأرض فلا يجاورون نسل خلقي و أجعل بين الجنّ و بين خلقي

حجاباً فلا يرى نسل خلقي الجنّ ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم  
فمن عصاني من نسل خلقي الذين إصطفيتهم أسكنتهم مساكن  
العصاة وأوردتهم مواردهم ولا أبالي فقالت الملائكة ياربنا إفعل  
ما شئت الحديث.

أقول و يظهر من هذا الحديث تفسير الآية و في المقام أبحاث ينبغي  
الإشارة إليها على سبيل الإجمال فنقول:

**البحث الأول :** في حقيقة الملك فإن ذكره قد تكرر في القرآن فلا بد لنا من  
البحث في ماهيته و حقيقته.

قال المجلسي رحمته في المجلد الرابع عشر من البحار ما لفظه، أعلم أنه  
أجمعت الإمامية بل جميع المسلمين إلا من شذ منهم من المتفلسفين الذين  
أدخلوا نفوسهم بين المسلمين لتخريب أصولهم و تضييع عقائدهم، على  
وجود الملائكة و أنهم أجسام لطيفة نورانية أولي أجنحة مثنى و ثلاث و رباع و  
أكثر قادرون على التشكل بالأشكال المختلفة و أنه سبحانه يورد عليهم بقدرته  
ما شاء من الأشكال و الصور على حسب الحكم و المصالح و لهم حركات  
صعوداً و هبوطاً و كانوا يراهم الأنبياء و الاوصياء، و القول بتجردهم و تأويلهم  
بالعقول و النفوس الفلكية و القوى و الطبائع و تأويل الآيات المتظافرة و الأخبار  
المتواترة تعويلاً على شبهات واهية و إستبعادات و همية زيغ عن سبيل الهدى  
و إتباع لأهل الجهل و العمى.

قال المحقق الذواني في شرح العقائد الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة  
على التشكلات بأشكال مختلفة كاملة في العلم و القدرة على الأفعال الشاقة  
شأنها الطاعة و مسكنها السموات هم رسل الله إلى أنبياءه و أمناءه على وحيه  
يسبحون الليل و النهار لا يفترون و لا يعصون ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون و  
قال الملائكة عند الفلاسفة هم العقول المجردة و النفوس الفلكية و يخص

بإسم الكُزُوبين ما لا تكون له علاقة مع الأجسام ولو بالتأثير وذهب أصحاب الطَّلسمات إلى أنَّ لكلِّ فَلَكَ روحاً كلياً يدبّر أمره ويتشعب منه أرواح كثيرة مثلاً للعرش أعني الفلك لأعظم روح يرى أثره في جميع ما في جوفه يُسمَّى بالنفس الكلية والروح الأعظم ويتشعب منه أرواح كثيرة متعلّقة بأجزاء العرش وأطرافه كما أنَّ النفس الناطقة تدبّر أمر بدن الإنسان ولها قوّة طبيعية وحيوانية ونفسانية بحسب كلّ عضو وعلى هذا يُحمل:

قال الله تعالى: **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ خَافِئِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** <sup>(٢)</sup>

هكذا سائر الأفلاك وأثبتوا لكلِّ درجة روحاً يظهر أثره عند حلول الشّمس تلك الدّرجة وكذا لكلِّ من الأيام والسّاعات والبحار والجبال والمفاوز والعمران وغير ذلك على ما ورد في لسان الشّرع من ملك الأرزاق وملك البحار وملك الأمطار وملك الموت ونحو ذلك وبالجمله فكما ثبت لكلِّ من الأبدان البشريه نفس مدبّرة فقد أثبتوا لكلِّ نوع من الأنواع بل لكلِّ صنف روحاً يدبّره يُسمّى بالطّبائع التّام لذلك النوع تحفظه من الأفات والمخافات ويظهر أثره في النوع ظهور أثر النفس الإنسانيه في الشخص انتهى.

وقال الرّازي في تفسيره أنّه لا خلاف بين العقلاء أنَّ أشرف الرّتبة للعالم العلوي هو وجود الملائكة كما أنَّ أشرف الرّتبة للعالم السفلي هو وجود الإنسان فيه إلّا أنَّ النّاس اختلفوا في ماهيّة الملائكة وحقيقتهم وطريق ضبط المذاهب أن يقال الملائكة لا بدّ وأن تكون ذوات قائمة بأنفسها ثمَّ أنَّ تلك الذّوات أمّا أن تكون متّخيرة أو لا تكون أمّا الأوّل ففيه أقوال:

في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأوّل

**أحدها:**، أنها أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكالٍ مختلفة مسكنها السموات وهذا قول أكثر المسلمين

**ثانيها:** قول طوائف من عبدة الأوثان وهو أن الملائكة في الحقيقة هي هذه الكواكب الموصوفة بالأسعاد والأنحاس فأنها بزعمهم أحياء ناطقة وأن المعدات منها ملائكة الرحمة والمنحسات منها هي ملائكة العذاب.

**ثالثها:** قول معظم المجوس والثنوية وهو أن هذا العالم مركب من أصليين أزليين وهما النور والظلمة وهما في الحقيقة جوهران شفافان حساسان مختاران قادران متضاد النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحي ولا يبلي وجوهر الظلمة على ضد ذلك ثم أن جوهر النور لم يزل يولد الأولياء وهم الملائكة على سبيل التناكح بل على سبيل تولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضي وجوهر الظلمة لم يزل يولد الأعداء وهم الشياطين على سبيل تولد السفه من السفه لا على سبيل التناكح فهذه أقوال من جعل الملائكة متحيزة جسمانية.

**القول الثاني:** أن الملائكة ذوات قائمة بأنفسها وليست بمتحيزة ولا أجسام فها هنا قولان:

**أحدهما:** قول طوائف من النصارى وهو أن الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة بذاتها المفارقة لأبدانها على نعت الصفا والخيرية وذلك لأن النفوس المفارقة أن كانت صافية خالصة فهي الملائكة وأن كانت كدرة خبيثة فهي الشياطين.

**ثانيها:** قول الفلاسفة وهي أنها جواهر قائمة بأنفسها ليست بمتحيزة البتة و أنها بالهمية مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية و أنها أكمل قوة منها وأكثر علماً و أنها النفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء ثم أن هذه الجواهر على قسمين:



منها ما هي بالنسبة إلى الأجرام الأفلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة إلى أبداننا ومنها، ما هي أعلى شأنًا من تدبير أجرام الأفلاك بل هي متفرقة في معرفة الله تعالى ومحَبَّته ومُشتغلة بطاعته وهذا القسم هم الملائكة المقربون ونسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السموات كنسبة أولئك المدبرين إلى نفوسنا الناطقة فهذان القسمان قد إتفقت الفلاسفة على إثباتهما.

ومنهم من أثبت نوعاً آخر من الملائكة وهي الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلي ثم أن مدبرات هذا العالم أن كانت خيرات فهم الملائكة وأن كانت شريرة فهم الشياطين ثم اختلف أهل العلم في أنه هل يمكن الحكم بوجودها من حيث العقل أو لا سبيل إلى إثباتها إلا بالسمع فالفلاسفة على الأول ثم ذكر بعض دلائلهم فقال وأما الدلائل النفسانية فلا نزاع ألبتة بين الأنبياء في إثبات الملائكة بل ذلك كالأمر المجمع عليه بينهم انتهى موضع الحاجة من كلامه.

### البحث الثاني: في كثرة الملائكة:

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: أظنت السماء وحق لها أن تظ ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملكٌ ساجد أو راکع.

وروي أن بني آدم عشر الجنّ والجنّ وبنو آدم عشر الحيوانات البرية وهؤلاء كلّهم عشر الطيور وهؤلاء كلّهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلّهم عشر ملائكة الأرض المؤكلين بها وكلّ هؤلاء عشر ملائكة سماء الدنيا وكلّ أولئك عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة ثم الكلّ في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كلّ هؤلاء عشر ملائكة السرداق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ست مائة ألف طول كلّ سرادقٍ وعرضه وسمكه إذا قُوِّلت به السموات والأرضون وما

فيها وما بينها فأنها كلها تكون شيئاً يسيراً و قدراً صغيراً و ما من مقدار موضع قدم إلا و فيه ملك ساجد أو راکع أو قائم ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر و لا يعلم عددهم إلا الله و هم كلهم ساطعون ميطعون لا يفترون و مشغولون بعبادته سبحانه و تعالى يتسابقون في ذلك مذ خلقهم لا يستكبرون عن عبادته أثناء الليل والنهار و لا يسامون لا يحصى أجناسهم و لا مدة أعمارهم و لا كيفية عبادتهم إلا الله على ما قال الله تعالى: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ<sup>(١)</sup> صدق الله العلي العظيم.

البحث الثالث: في أصناف الملائكة ف قيل أنها ثمانية:

وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ آتُوا إِلَيَّ قَوْله: مَا لَا تَعْلَمُونَ

أحدها: حملة العرش كما قال الله تعالى: وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ<sup>(٢)</sup>.

ثانيها: الحافون حول العرش كما قال الله تعالى: وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ خَافِئِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ<sup>(٣)</sup>

ثالثها: أكابر الملائكة فمنهم جبرائيل وميكائيل قال الله تعالى: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ<sup>(٤)</sup>

رابعها: ملائكة الجنة قال الله تعالى: وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ<sup>(٥)</sup>

خامسها: ملائكة النار قال الله تعالى: عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ<sup>(٦)</sup> ورئيسهم مالك وأسماء جملتهم الزبانية قال الله تعالى: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ<sup>(٧)</sup>

٢- الحاقة = ١٧

٤- البقرة = ٩٨

٦- المدثر = ٣٠

١- المدثر = ٣١

٣- الزمر = ٧٥

٥- الرعد = ٢٣/٢٤

٧- العلق = ١٧/١٨

سادسها: الموكولون ببني آدم قال الله تعالى: عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ<sup>(١)</sup>

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>

سابعها: كتبه الأعمال قال الله تعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ، يَخْلُقُونَ مَا تَفْعَلُونَ<sup>(٣)</sup>

ثامنها: الموكولون بأحوال هذا العالم وهم المرادون قال الله تعالى: وَ الْأَصْنَافُ صَفًّا<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُؤًا إِلَى قَوْلِهِ: فَأَلْفَقَسِمَاتٍ أَمْرًا<sup>(٥)</sup>

قال الرازي في تفسيره أعلم أنه ليس بعد كلام الله وكلام رسوله كلاماً في وصف الملائكة أعلى وأجل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام قال في بعض خطبه:

ثُمَّ فَتَقَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى، فَمَلَأْنَّ أَطْوَاراً مِنَ الْمَلَائِكَةِ (مِنْ مَلَائِكَتِهِ)، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَزْكُونَ، وَ رُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَ صَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ، وَ مُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ التَّسْلِيَانِ، وَ مِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ، وَ أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ، وَ مِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ، وَ مِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَ الْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَ الْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ إِنْصَارُهُمْ، مُتَلَفِعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنَحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَاسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَ لَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَ لَا يَحْلُونَهُ بِالْأَمَاكِينِ، وَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ انْتَهَى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ١

المجلد الأول

٢- الرعد = ١١

١- ق = ١٧/١٨

٤- الصفات = ١

٣- الانتظار = ١٠/١١/١٢

٥- الذاريات = ١ إلى ٤

وَأَنَا أَقُولُ مَا نَقَلَهُ الرَّازِي مِنَ الْخُطْبَةِ أَمَّا هُوَ فِي الْخُطْبَةِ الْأُولَى مِنَ النَّهَجِ.  
أُولَاهَا: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مُدَحَّتَهُ الْقَائِلُونَ) ذَكَرَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ  
إِبْتِدَاءَ خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ ذَكَرَ عَلَيْهِ إِبْتِدَاءَ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ إِسْتَوْفَيْنَا  
الْكَلَامَ فِيهَا وَفِي سَائِرِ الْخُطَبِ إِلَى آخِرِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ فِي شَرْحِنَا  
الْمَبْسُوطِ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ دُونَ كَلَامِ الْخَالِقِ وَفَوْقَ كَلَامِ الْمَخْلُوقِ  
بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ.

وَالْعَجَبُ مِنَ الرَّازِي حَيْثُ اعْتَرَفَ فِي تَفْسِيرِهِ قَبْلَ نَقْلِ الْكَلَامِ أَنَّهُ لَا كَلَامَ  
أَعْلَى وَأَجَلَ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ وَهُوَ كَلَامٌ حَقٌّ  
جَرَى عَلَى لِسَانِهِ لِيَكُونَ حُجَّةً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمُنَاقِبَ شَهِدِ الْعَدُوِّ بِفَضْلِهَا،  
وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ هَذَا تَمَامَ الْبَحْثِ فِي الْمَلَائِكَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ.  
الْبَحْثُ الرَّابِعُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَفِيهِ  
مَسْأَلَتَانِ.

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: فِي قَوْلِهِ: إِنِّي جَاعِلٌ وَالفَرْقُ بَيْنَ الْجَعْلِ وَالْخَلْقِ.  
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: فِي مَعْنَى الْخَلِيفَةِ.

أَمَّا الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: لَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يَقُلْ إِنِّي  
خَالِقٌ فِي الْأَرْضِ لِأَنَّ الْجَعْلَ لَفْظٌ عَامٌّ فِي الْأَفْعَالِ كُلِّهَا وَهُوَ أَعَمُّ مِنْ، فَعَلَ وَ  
صَنَعَ، وَخَلَقَ وَتَوْضِيحُهُ أَنَّهُ تَارَةً يَكُونُ لَازِمًا نَحْوَ جَعَلَ زَيْدٌ يَقُولُ كَذَا أَيْ صَارَ وَ  
طَفِقَ قَالَ الشَّاعِرُ:

فَقَدْ جَعَلْتَ قُلُوصَ بَنِي سُهَيْلٍ

مِنْ الْأَكْوَارِ مَرِيقَهَا قَرِيبُ

وَأُخْرَى يَكُونُ مُتَعَدِّيًا بِمَعْنَى أَوْجَدَ فَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ نَحْوَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ<sup>(١)</sup>

ثالثاً: يستعمل في إيجاد شيء من شيء و تكوينه منه:

قال الله تعالى: وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَ جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا<sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: وَ جَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا<sup>(٤)</sup>

رابعاً: في تصيير الشيء على حالة دون حالة:

قال الله تعالى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا.

قال الله تعالى: وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا<sup>(٥)</sup>.

قال الله تعالى: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا<sup>(٦)</sup>

خامساً: في الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان أو باطلاً، أمّا الحقّ:

قال الله تعالى: إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَىكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ<sup>(٧)</sup>

والباطل:

قال الله تعالى: وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا<sup>(٨)</sup>

قال الله تعالى: وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْآبَتَاتِ<sup>(٩)</sup>

قال الله تعالى: الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ<sup>(١٠)</sup>

وأما الخلق، أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل

ولا إحتذاء:

قال الله تعالى: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَي أَبْدَعَهُمَا.

قال الله تعالى: بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

٢- النحل = ٧٢

٤- الزخرف = ١٠

٦- نوح = ١٦

٨- الانعام = ١٣٦

١٠- الحجر = ٩١

١- النحل = ٧٦

٣- النحل = ٨١

٥- النحل = ٨١

٧- القصص = ٧

٩- النحل = ٥٧

و قد يستعمل في إيجاد الشيء من الشيء:

قال الله تعالى: **خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.**

قال الله تعالى: **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ**

قال الله تعالى: **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ**

و أمثالها من الآيات و من الواضح أنَّ الخلق الإبداعي لا يكون لغير الله تعالى و لهذا قال تعالى في الفصل بين الخلقين: **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**<sup>(١)</sup> أي أفمن يخلق الخلق على سبيل الإبداع كمن لا يخلق كذلك إذ الخلق في غير الإبداع يطلق على غيره قال تعالى: **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي**<sup>(٢)</sup> إذا عرفت هذا فأعلم أنَّ الله تعالى قال أَنِّي جاعل و لم يقل خالق، لأنَّ الخلافة من الأوصاف و العناوين الثابتة للذات لا من الموجودات المستقلة بالذات و بعبارة أخرى هي من الإعراض القائمة بغيرها لا من الجواهر القائمة بذاتها و الخلق لا يتعلّق بالصفة فلا يقال خلق الله فيك العلم أو الشّجاعة و أمثالهما بل يقال جعل الله فيك العلم و الشّجاعة و السخاوة مثلاً و حيث أنَّ الإيجاد تعلق في المقام بالخلافة فالأنسب أن يقال جاعلٌ في الأرض خليفة أن قلت أليس الجعل قد تعلق بإيجاد آدم و هو ليس من الصّفة بشي قلت نعم الإيجاد تعلق به إلّا أنَّ تعلقه به في المرتبة الثانية إذ الغرض الأصلي مقام الخلافة لا وجود آدم كيف كان فهو مخلوق للخلافة فهي غاية الإيجاد و لاجل هذا قال تعالى أَنِّي جاعلٌ، و أن شئت قلت، الخلق على وجهين:

**أحدهما: إبداع الشيء من غير أصل.**

**ثانيهما: إيجاد الشيء من الشيء، وكلا المعنيين لا يصدق في المقام.**

**أما الأول:** فلأنَّ الخلافة ليست من المبدعات.

**أما الثاني:** فلأنّها ليست من إيجاد الشيء من الشيء فليست بمخاوق و إذا لم

يصدق عليها الخلق فهو مجعول وهو المطلوب إذا علمت هذا فقد دريت أن الجعل في المقام جعل مركب لا جعل بسيط لأن الله تعالى جعل آدم خليفته في الأرض لا أنه خلقه وأوجده كسائر خلقه فتأمل في المقام فإنه من مزال الأقدام.

**أما المسئلة الثانية:** في معنى الخلافة والمراد بها في المقام فتقول قد مر الكلام منّا في معناها بحسب اللغة عند شرح اللغات وقلنا أن الخليفة عبارة عن يشد مسد غيره والآن نقول لفظة الخليفة قد جاءت في موضعين من كتاب الله أحدهما هذا المقام في حق آدم، وثانيهما في حق داود: قال الله تعالى: يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ<sup>(١)</sup>.

وأما الخلافة، التي هي جمع خليفة، فقد جاءت في ثلاث آيات أحدها قال الله تعالى: ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ<sup>(٢)</sup> ثانيها قال الله تعالى: وَ جَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا<sup>(٣)</sup> ثالثها قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ<sup>(٤)</sup> وأما الخلفاء فليست جمع خليفة بل هي جمع، خليف وقد جاءت أيضاً في ثلاث آيات.

أحدها قال الله تعالى: وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ<sup>(٥)</sup> ثانيها قال الله تعالى: وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ<sup>(٦)</sup> ثالثها قال الله تعالى: أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ<sup>(٧)</sup>.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

٢- يونس = ١٤

٣- فاطر = ٣٩

٤- الأعراف = ٧٤

١- ص ٢٦

٢- يونس = ٧٣

٣- الأعراف = ٦٩

٤- النمل = ٦٢

إذا عرفت هذا فنقول الخليفة في العُرف لها معنيان أحدهما كونها خلفاً لمن كان قبلها وثانيها كونها مدبراً للأُمور من قبل غيره. **أما الأول:** فكما إذا استخلف إمام جماعةٍ غيره في غيابه ليصلي في مسجده ويأتّم النَّاسَ به فحسبُ ولم يفوّض اليه تدبير أُمور المسجد وغيره فهو أي الخليفة يصلي وينصرف.

**أما الثاني:** فكما إذا استخلف السُّلطان غيره في غيابه لتدبير أُمور المملكة وقد يجتمعان معاً كما هو واضح وعليه فتكون خلافة آدم لله تعالى لتدبير الأُمور إذ لا معنى لخلافته بالمعنى الأول نعم في خلافة داود يتصور هذا المعنى بأن يقال أنّه كان خلفاً لمن كان قبله من الرّسل وأما في حقّ آدم فلا إذ لم يكن قبله رسول بل ولا إنسان ليكون خلفاً له فهو خليفة الله في تدبير الأُمور فكُلّما أمر أو نهى فكأنّ الله أمر ونهى فأمره أمر الله ونهيه نهيه وطاعته طاعة الله ومعصيته معصيته وهكذا وهذا المعنى جارٍ في جميع الأنبياء والأوصياء الَّذِينَ هم خلفاء الله في أرضه أن قلت أن كانت الخلافة بمعنى تدبير الأُمور من قبل الله تعالى فيلزم التفويض الممنوع عقلاً وشرعاً إذ المراد به تفويض الأُمور إلى العبد وهذا هو بعينه قلت ليس الأمر كذلك فإنّ التفويض ممنوع عبارة عن تفويض أُمور كل عبدٍ إلى نفسه بمعنى أنّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد في الدُّنيا وليست لإرادة الله ومشيته دخلٌ في فعله وقوله وأما تفويض الأمر إلى عبدٍ خاصٍّ كاملٍ في العبودية الذي لا يريد إلا ما أراد الله ولا يحكم إلا بما حكم الله به ولا يشاء إلا أن يشاء الله وهكذا في جميع الأُمور فليس فيه إشكال عقلاً وشرعاً عرفاً وسيأتي الكلام في هذا الموضوع في موضعه إن شاء الله تعالى بوجهٍ أوفى وأبسط ثم أنّ هذه الخلافة مختصّة بالأرض كما هو الظاهر من الآية.



البحث الخامس: في قوله تعالى: **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ.**

يظهر من ظاهر الكلام أن الملائكة لم يفهموا معنى الخليفة ولم يعلموا المراد بها ولذلك قالوا أتجعل فيها أي في الأرض من كان كذا وكذا.

أو يقال أنهم فهموا من الخليفة هذا المعنى الذي ذكروا وهو الفساد وأسفك الدماء وأما المعنى الذي كان مراده تعالى فلا ويحتمل ثالثاً أن الملائكة ظنوا أن الله أراد أن يجعل خليفته في الأرض لأجل التسبيح والتقديس فقالوا أن كان المراد هذا فنحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ والكل محتمل والأول أقرب إلى اللفظ.

وأما قالوا: **يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** لأن الله تعالى كشط عن أطباق السموات وقال لهم أنظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجن والناس فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق عظم ذلك عليهم و غضبوا لله وتأسفوا على أهل الأرض وقالوا ربنا أنت العزيز الحكيم القادر إلى آخر الحديث وقد نقلناه سابقاً فعند ذلك قال الله تعالى: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** فقالوا **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**

ظناً منهم أن الذي أخبرهم الله به وقال **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** مثل الجن والناس الذين رأوهم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء فقالوا ما قالوا فقول الملائكة ليس بإعتراض في الحقيقة بل منشأ الجهل بمعنى الخليفة و قياسهم الخليفة على الجن والنسئاس وهو دليل على عدم جواز القياس أن قلت ما الفرق بين الجن والنسئاس الذين كانوا قبل آدم وكانوا يفسدون فيها و يسفكون الدماء فأهلكهم الله تعالى وبين أولاد آدم أعني بهم الإنسان فانهم أيضاً كذلك يفسدون و يسفكون الدماء بغير الحق ويعصون الله بل يعبدون

اللات والعزى والنار والكواكب والأصنام وغيرها وإذا كان كذلك فأى فضيلة وشرف لم عليهم حيث أهلكهم الله وأوجدتهم قلت الفضيلة والشرف ثابتة للخليفة الذي تعلق الجعل به أولاً وبالذات للجميع أولاده فإن الجعل تعلق بهم ثانياً وبالتبع ومن المعلوم أن خليفة الله لا يعبد غير الله ولا يعصيه أبداً هذا أولاً.

ثانياً: مقول لو قيسست معصية الناس بعبادة الخلفاء واتباعهم لرُجحت العبادة على المعصية والحاصل أنه يظهر من الآية أن النظر في الجعل إلى الخليفة في كل عصر وزمان وهو يكفي لتعلق الجعل بغيره ببركة وجوده و لنعم ما قيل بالفارسية:

نه در اختر حرکت بود ونه در قطب سكون

گر نبودی بر زمین خاک نشینانی چند

البحث السادس: في قوله تعالى: **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ويُستفاد من هذا الكلام امور.

أحدها: أن الله تعالى يعلم ما لا يعلمه غيره وهو مسلم عقلاً ونقلاً.

أما العقل: فلأن المخلوق كائناً من كان كما أنه في وجوده محتاج بخالقه كذلك في جميع صفاته ومنها العلم فإن الصفات من توابع الوجود.

ثانياً: أن العلم مما أفاض الله على خلقه ولا شك أن الإفاضة بقدر استعداد المستفيض وقابليته وقابلية المخلوق في جنب الخالق معلوم.

أما نقلاً فلقوله تعالى: **وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**<sup>(١)</sup> وحيث أن الملاك المخلوقية فالملائكة أيضاً من مصاديق الآية لأنهم مخلوقون مربوبون.

ثانيها: أن الملائكة لما لم يعلموا مراد الله تعالى من جعل الخليفة أو لم يعلموا معنى الخليفة أصلاً وكيف كان ما كان ينبغي لهم أن يقولوا أتجعل فيها

من يفسد فيها الخ. فقولهم هذا كان من غير علم لهم بحقيقة الأمر وكلّ قولٍ كذلك يستحقّ التوبيخ والنّدم ولذلك قال تعالى توبيحاً لهم أنّي أعلم ما لا تعلمون وهو بمعنى إسكتوا عمّا لا تعلمون فهو موعظة لنا أيضاً.

**ثالثها:** أنّ الله تعالى لم يطلب منهم الرأي والنظر ولذلك لم يقل لهم ما تقولون مثلاً بل قال: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** وهو إعلام محض لا المشورة لإستغنائه عنها وعليه فقولهم: **أَتَجْعَلُ فِيهَا خ.**

كلام لا محلّ له ولذلك وبخهم بقوله أنّي أعلم ما لا تعلمون هذا تتمم الكلام في تفسير الآية الشريفة على سبيل الإجمال وأن كان للبحث فيه مجال واسع إلّا أنّ إطالة الكلام توجب الملل والحمد لله ربّ العالمين.



وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ  
 فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١)  
 قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ  
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ  
 أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)

### ◀ اللغة

آدم: قيل سَمِيَ بذلك لكون جسده من اديم الأرض وقيل سمرة في لونه  
 يقال رجلٌ أسمر وقيل سُمِيَ بذلك لكونه من عناصرٍ مختلفة وقُوًى متفرقة  
 يقال جعلت فلاناً، آدمة على أهل خلطته بهم وقيل سَمِيَ بذلك لما طَيبَ من  
 الرُّوح المنفوح فيه المذكور في قوله: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي<sup>(١)</sup> وذلك من  
 قولهم إلا آدم وهو ما يطيب به الطَّعام.

الْأَسْمَاءُ: جمع الإسم وقد مرَّ معناه وأنه مشتقٌّ من أي شيء  
 أَنْبِئُونِي: أمرٌ من أنباء يُنبِئُ إنباءً

سُبْحَانَكَ سُبْحَانَ: بضم السين في الأصل مصدر نحو خضران والسَّبح  
 المرَّ السَّريع في الماء وسُبْحَانَ من أسماءه تعالى وقد مرَّ الكلام في التَّسبيح  
 في الآية السَّابقة.

العليم: مبالغة في العلم.

الْحَكِيمُ: مبالغة في الحكمة.

## ◀ الإعراب

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا قِيلَ الْوَاوِ وَالْإِسْتِثْنَاءُ وَ عَلَيْهِ عَلَّمَ، فعل و فاعله الله و هو مستتر فيه و آدَمَ مفعوله الأول الْأَسْمَاءُ مفعوله الثاني و كُلٌّ لِلتَّأْكِيدِ وَ ضمير، ها، يرجع الى الأسماء، و قيل الجملة معطوفة على قوله تعالى و إِذْ قَالَ رَبُّكَ، و عليه فموضعها الجَرِّ لِأَنَّهَا معطوفة على الكاف المجرور بباء ثُمَّ عَرَضَهُمْ أَي عَرَضَ أَصْحَابُ الْأَسْمَاءِ فَلِذَلِكَ ذَكَرَ الضَّمِيرَ، و عَرَضَ، فعل و فاعل و هُم مفعوله هَؤُلَاءِ لَفْظَ مَبْنِيٍّ عَلَى الْكسْرِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ شَرْطُ وَجْزَاءٍ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ عِنْدَ الْخَلِيلِ وَقَالَ الْأَكْسَائِيُّ مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ نِدَاءٌ مضاف إِلَّأ مَا عَلَّمْتَنَا مَا مَصْدَرِيَّةٌ وَ مَوْضِعُهُ رُفِعَ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ مَوْضِعٍ، لَا عِلْمَ كَقَوْلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ أَنْتَ مُبْتَدَأُ وَالْعَلِيمُ خَبْرُهُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ، أَنْ وَالْحَكِيمُ خَبَرُ ثَانٍ أَوْ صِفَةٌ لِلْعَلِيمِ عَلَى قَوْلٍ مِنْ أَجَازِ صِفَةِ الصِّفَةِ قَالَ يَا آدَمَ، آدَمَ، مُنَادِي أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فاعل الفعل مستتر فيه و هُم مفعوله الأول و أَسْمَاءُهُمْ مفعوله الثاني و قد تعدى إليه بحرف الجرِّ وَ هُوَ بِأَوِّهِ هَكَذَا فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِي أَي قُلْتُ لَكُمْ وَ، أَقُلْ مُجْزُومٌ بِلَمْ، إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّ مِنْ حُرُوفِ الْمَشْبَهَةِ بِالْفِعْلِ، وَ الْبَاءُ إِسْمُهُ وَ أَعْلَمُ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْذَوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، مَا فِي الْمَوْضِعَيْنِ مَوْصُولَةٌ وَ التَّقْدِيرُ مَا تُبْذَوْنَ، وَ تَكْتُمُونَهُ فَالرَّابِطُ بَيْنَ الْمَوْصُولِ وَالصَّلَةِ مُحذُوفٌ وَ هُوَ شَائِعٌ كَثِيرٌ الْإِسْتِعْمَالِ.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

## ◀ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ أَتَجْعَلُ فِيهَا آخٍ... وَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَرَادَ إِثْبَاتَ

ذلك للملائكة فقال: **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** الى آخر الآية ليبين فضل آدم عليهم وعلى جميع خلقه بما خصّه من العلم بالأسماء كلّها وأختلف المفسّرون في معنى الأسماء والمراد بها في المقام على أقوال.

**أحدها:** أنّه تعالى علّمه جميع الأسماء والصّناعات و عمارة الأرض و الأطعمة والأدوية وإستخراج المعادن و غرس الأشجار ومنافعها و جميع ما يتعلّق بعمارة الدّين والدّنيا نقل هذا القول عن ابن عبّاس و سعيد ابن جبّير و أكثر المتأخّرين.

**ثانيها:** روي عن أبي عليّ الجبائي أنّه علّمه الأسماء كلّها ما خلق و ما لم يخلق بجميع اللّغات التي تتكلّم بها ولده بعده قالوا فأخذوا عنه ولده اللّغات فلمّا تفرّقوا تكلم كلّ قوم بلسان ألفوه وأعتادوه وتطاول الزّمان على ما خالف ذلك فنسوه و يجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللّغات الى زمن نوح فلمّا أهلك الله النّاس إلّا نوحاً و من تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللّغات فلمّا كثروا و تفرّقوا إختار كلّ قوم منه لغة تكلموا بها وتركوا ما سواه ونسوه.

**ثالثها:** أنّه تعالى علّمه أسماء الملائكة وأسماء ذريّته وهذا القول مروى عن الرّبيع.

**رابعها:** أنّه علّمه ألقاب الأشياء ومعانيها وخواصّها وهو أنّ الفرس يصلح لماذا والجمار يصلح لماذا.

**خامسها:** ما روي عن الصادق عليه السلام: أنّه قال المراد بالأسماء الأرضيين والجبال والشّعاب والأودية ثمّ نظر الى البساط تحته فقال وهذا البساط ممّا علّمه وهذه الوجوه نقلها الطّبرسي في المجمع.

**سادسها:** ما نقله الفيض عليه السلام في الصّافي عن تفسير الإمام عن السّجاد عليه السلام: أنّه تعالى علّمه أسماء كلّ شيء وفيه ايضاً أسماء أنبياء الله و أوليائه و غُتاة اعداءه.

**سابعه:** ما قاله الطبري في تفسيره قال أنه أسماء ذريته وأسماء الملائكة دون أسماء سائر الأجناس.

**ثامنها:** ما ذهب اليه الرازي حيث قال المشهور أن المراد أسماء كل ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع اللغات التي يتكلم بها ولد آدم اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد آدم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات آدم وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد منهم بلغة معينة من تلك اللغات فغلب عليه ذلك اللسان فلما طالبت المدة ومات منهم قرن بعد قرن نسوا سائر اللغات فهذا هو السبب في تغيير الألسنة في ولد آدم <sup>عليه السلام</sup> إنتهى ما ذكره.

**تاسعها:** ما ذكره الزمخشري في الكشف وأرتضاه وهو أنه تعالى علم آدم الأسماء كلها أي أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء لأن الإسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى: **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ثم قال - فإن قلت هلازعت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وأن الأصل وعلم آدم مسميات الأسماء قلت لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات لقوله تعالى: **أَتَّبِعُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ** ، أنبأهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم، فكما علق الأنباء بالأسماء لا بالمسميات ولم يقل أنبئوني بهؤلاء أنبئهم بأسمائهم وجب التعليم بها. **فأن قلت** فما معنى تعليمهم أسماء المسميات قلت أراه الأجناس التي خلقها وعلمه أن هذا إسمه فرس وهذا إسمه بعير وهذا إسمه كذا وكذا وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية انتهى.

فهذه هي الأقوال التي وصلت إلينا من تفاسيرهم وقس عليها ما لم نذكره. روي في بصائر الدرجات بأسناده عن أبي عبد الله <sup>عليه السلام</sup> قال: أن رسول الله <sup>صلى الله عليه وآله وسلم</sup> قال أن الله مثل لي أمتي في الطين وعلمني أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها.

وعنه عليه السلام قال: أهدى الي رسول الله دالجوح فيه حبّ مختلط فجعل رسول الله يلقي علي حبة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبة ويسأله أي شيء هذا وجعل علي عليه السلام يخبره فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما أن جبرئيل أخبرني أن الله علّمك إسم كل شيء كما: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا انتهت <sup>(١)</sup>.

وفي تفسير البرهان عن ابن بابويه بأسناده عن الصادق عليه السلام أنه قال: أن الله تبارك وتعالى: عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ حُجْجَهُ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ وهم أرواح على الملائكة الخبر قوله تعالى: ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فقالوا أي ثم عرض الله تعالى أصحاب الأسماء على الملائكة.

وعن ابن عباس أنه قال عرض الخلق والمراد من أصحاب الأسماء المسميات في الحقيقة ولما كان فيهم العقلاء وغير العقلاء غلب العقلاء فقال، عرضهم، ولم يقل عرضها ثم اختلفوا في كيفية العرض على الملائكة فقال بعضهم خلق الله معاني الأسماء التي علّمها آدم حتى شاهدها الملائكة وقيل صور في قلوبهم هذه الأشياء.

فصارت كأنهم شاهدها، وقيل عرض عليهم من كل جنس واحد وأراد بذلك تعجيزهم فقال أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أي أخبروني فإن الأنبياء الأخبار ومعنى قوله: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أي إن كنتم صادقين في دعواكم قيل لأنهم خطر ببالهم أنه لن يخلق الله خلقاً إلا وهم أعلم منه وأفضل في سائر أنواع العلم فقيل: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في هذا الظن فأخبروا بهذه الأسماء وقيل المراد إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في أنكم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة فأنبئوني بأسماء هؤلاء وأمثال ذلك من الوجوه المذكورة في التفسير والأحسن أن يقال أن كنتم صادقين في زعمكم أنني



أَسْتَخْلَفَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ سَفَاكِينَ لِلدَّمَاءِ إِرَادَةَ اللَّزْدِ عَلَيْهِمْ وَأَنْ فِيمَنْ  
يَسْتَخْلَفُهُ مِنَ الْفَوَائِدِ الْعَلْمِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَصُولُ الْفَوَائِدِ كُلِّهَا مَا يَسْتَأْهِلُونَ لِأَجَلِهِ  
أَنْ يَسْتَخْلَفُوا فَأَرَاهُمْ بِذَلِكَ وَبَيْنَ لَهُمْ بَعْضَ مَا أَجْمَلَ مِنْ ذِكْرِ الْمَصَالِحِ فِي  
إِسْتَخْلَافِهِمْ فِي قَوْلِهِ: **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا  
مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** لَمَّا قَالَ تَعَالَى لَهُمْ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ  
هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا فِي الْجَوَابِ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا،  
أَيَّ تَنْزِيهًا لَكَ عَنْ أَنْ يَعْلَمَ الْغَيْبُ سِوَاكَ هَكَذَا قِيلَ فِي مَعْنَى، سُبْحَانَكَ، وَلَيْسَ  
بَشَيْءٍ بَلِ الْمَعْنَى أَنْتَ مَنْزَعٌ عَنِ النَّقَائِصِ بِقَوْلٍ مُطْلَقٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ تَسْبِيحَهُ تَعَالَى  
تَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَنَابِهِ كَيْفَ فِي الْكَلَامِ إِشْعَارَ بِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَعْلَمُ مِنْ  
عِنْدِ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَهُ الْخَالِقُ فَكَمَا أَنَّهُ فِي وَجُودِهِ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ كَذَلِكَ فِي  
جَمِيعِ صِفَاتِهِ فَقَوْلُهُمْ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ بِالْأَسْمَاءِ كَانَ  
مُخْتَصًّا بِهِ تَعَالَى وَلَمْ يُعْلَمِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ شَيْئًا وَلِذَلِكَ عَجَزُوا عَنْ  
الْجَوَابِ وَقَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا وَفِي قَوْلِهِ: **أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** إِشَارَةٌ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
هُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَأَنَّ الْعِلْمَ مِبَالِغَةٌ فِي الْعِلْمِ كَمَا أَنَّ الْحَكِيمَ مِبَالِغَةٌ فِي  
الْحِكْمَةِ قَالَ **يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ**، لَمَّا عَجَزُوا عَنِ الْجَوَابِ وَأَقْرَبُوا بِالْجَهْلِ  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ: **يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ** فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ آدَمُ بِأَسْمَاءِهِمْ قَالَ  
أَيُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَتُظْهِرُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** أَيُّ تَخْفُونَ فِي نَفْسِكُمْ، إِنْ  
قُلْتُ لِمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِآدَمَ **يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ** الْخ.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

قلت أراد الله تعالى أن يبين لهم فضل آدم عليهم ولو أنبأهم الله تعالى  
بنفسه لم ينكشف لهم فضل آدم ولم يعلموا أن آدم أعلم منهم.  
إِنْ قُلْتُ لَمَّا أَنْبَأَهُمْ آدَمُ بِأَسْمَاءِهِمْ فَحَقَّ الْكَلَامُ أَنْ يَقُولَ آدَمُ لَهُمْ أَنِّي أَعْلَمُ  
غَيْبَ السَّمَوَاتِ الْخَ لَأَنَّهُ هُوَ الْمَعْلَمُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي تَعْلِيمِهِ الْأَسْمَاءَ لَهُمْ.

قلت في الجواب إشعار بأن آدم عَلَّمَهُم بتعليم الله إياه لا من عند نفسه وفي  
وَأَعْلَمَ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ إشارة بأن الله يعلم السر كما يعلم العلن  
فلا يخفى عليه شيء ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء  
وهو بكل شيء عليم هذا تفسير الآيات بظاهرها ولكن يستفاد منها أمور لا بأس  
بالإشارة إليها إجمالاً:

**الأمر الأول:** قال بعض المحققين ليس المراد بتعليم الأسماء تعليم الألفاظ  
الدالة فحسب كيف وهو يرجع إلى تعليم اللغة وليس هو علماً يصلح لأن  
يتفاخر به على الملائكة ويتفضل به عليهم بل المراد بالأسماء حقائق  
المخلوقات الكائنة في عالم الجبروت المسمّاة عند طائفة بالكلمات وعند  
قوم بالأسماء وعند آخرين بالعقول وبالجملة أسباب وجود الخلاق وأرباب  
أنواعها التي بها خلقت وبها قامت وبها رزقت فأنها أسماء الله لأنها تدل على  
الله بظهوره في المظاهر دلالة الأسم على المسمى فإن الدلالة كما تكون  
بالألفاظ كذلك تكون بالذوات من غير فرق بينهما فيما يؤل إلى المعنى و  
اسماء الله لا تشبه أسماء خلقه وإنما أضيفت في الحديث تارة إلى  
المخلوقات كلها لأن كلها مظاهرها التي فيها ظهرت صفاتها مجتمعة أي  
ظهرت صفات اللطف كلها في الأولياء وصفات القهر كلها في الأعداء إلى أن  
قال ﷺ والمراد بتعليم آدم الأسماء كلها خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة  
حتى يستعد لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات  
والمُتخيلات والموهومات وإلهامه معرفة ذوات الأشياء وخواصها وأصول  
العلم وقوانين الصناعات وكيفية ألاتها والتّمييز بين أولياء الله وأعداءه فتأتي  
له بمعرفة ذلك كله مظهرية لأسماء الله الحسنی كلها وبلوغه مرتبة أحديّة  
الجمع التي فاق بها سائر أنواع الموجودات ورجوعه إلى المقام الأصلي الذي  
جاء منه وصار مُنتخباً الكتاب الله الكبير الذي هو العالم الأكبر قال أمير

المؤمنين وفيك إنطوى العالم الأكبر انتهى موضع الحاجة من كلامه رفع مقامه.  
 والتَّحْقِيقُ في المقام أنَّ الأسم ما يَدُلُّ على المسمَّى وهذا ممَّا لا كلام فيه  
 لأحدٍ ثمَّ نقول دلالة الأسم على المسمَّى على وجهين:  
 أحدهما: دلالته عليه بإعتبار صفة في المسمَّى.

ثانيهما: لا كذلك، فالأوَّل يَدُلُّ على الذات الموصوفة بصفة معيّنة كلفظ  
 الرَّحْمَنُ فَأنَّه يَدُلُّ على الذات المتَّصفة بالرحمة، والقهار يَدُلُّ على الذات  
 الموصوف بالقهر وهكذا الرزاق والخالق وغيرهما ممَّا يعتبر في مسمَّاه الصِّفة.  
 الثاني: يَدُلُّ على الذات من غير إعتبار الصِّفة فيه كلفظ، الله، مثلاً ومن هذا  
 القبيل زيد وعمرو وبكر وغيرهما ممَّا يَدُلُّ اللَّفْظ على مجرد الذات وقد  
 يطلق اللَّفْظ على مظهر صفة الذات بإعتبار إتصافه بها كالنَّبي الَّذي هو مظهر  
 هداية الله فَأنَّه إسم الله، الهادي، لعباده قال الله تعالى مخاطباً لنبيه: **إِنَّمَا أَنْتَ**  
**مُنذِرٌ وَلِكَلِّ قَوْمٍ هَادٍ**<sup>(١)</sup> فالهادي من أسماء الله تعالى ويطلق على الرُّسول  
 بإعتبار أنَّه كان مظهرًا لهديته فالأسماء الملفوظة بهذا الإعتبار هي في الحقيقة  
 أسماء الأسماء ولذلك لما سُئِلَ الرُّضَا عليه السلام عن الأسم ما هو، قال صفة  
 لموصوف، وهذا الكلام منه عليه السلام يحتمل المعنيين المذكورين وأن كان في  
 المظهر أظهر هذا، وقد يطلق الأسم على ما يفهم اللَّفْظ أي المعنى الذهني  
 وعليه ورد قول الصادق عليه السلام من عبد الله بالتَّوَهُّم فقد كفر وعن عبد الأسم  
 والمعنى فقد أثرك ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف  
 بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك هم  
 المؤمنون حقاً، فأن المراد بالأسم هاهنا ما يفهم من اللَّفْظ لا اللَّفْظ بما هو هو اذ  
 اللَّفْظ لا يعبد والمراد بالمعنى ما يصدق عليه اللَّفْظ فالأسم معنى ذهني  
 والمعنى موجود عيني وهو المسمَّى والأسم غير المسمَّى لأنَّ الإنسان مثلاً

في الذّهن ليس بإنسان ولا له جسميّة ولا حسّ ولا حركة ولا نطق ولا شيء من خواصّ الإنسانيّة والإنسان الموصوف بهذه الصّفات هو الموجود في الخارج اذا عرفت هذا فاعلم أنّ لكلّ إسم من اسماء الإلهيّة مظهراً من الموجودات باعتبار غلبة الظهور الصّفة التي إشتمل عليها ذلك الأسم وهو إسم الله باعتبار دلالاته على الله من جهة إتصافه بذلك الصّفة وحيث أنّ الله تعالى خالق ومُدبر لكلّ نوع من أنواع الخلائق بإسم من أسمائه فذلك الأسم هو ربّ ذلك النوع والله سبحانه ربّ الأرباب والى هذا المعنى أشير في بعض الأدعية المأثورة عنهم عليهم السّلام بقولهم (وبالاسم الذي خلّقت بها العرش وبالاسم الذي خلّقت بها الكرسي وبالاسم الذي خلّقت به الأرواح النخ).

وقد ورد عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفتنا وذلك لأنّهم وسائط معرفة ذاته ووسائط ظهور صفاته وأرباب أنواع مخلوقاته ولا يحصل لأحد العلم بالأسماء كلّها إلا اذا كان مظهراً لها كلّها ولا يكون مظهراً إلا اذا كان في جليّة إستعداد قبول ذلك كلّهُ وحيث أنّ آدم عليه السلام كان مُستعداً لذلك صار مظهراً لكلّ الأسماء فلا محالة حصل له العلم بكلّها أيضاً وأما الملائكة فلم يكونوا مُستعدين بقبول المظهرية الكاملة ولذلك لم يحصل لهم العلم بالأسماء كلّها فقالوا لا علم لنا إلا ما علّمنا وأما آدم فلاستعداده وقابليّته حصّلت له المظهرية الكاملة والعلم بالأسماء كلّها وبذلك صار معلماً للملائكة فأنبأهم بأسماءهم وأي شرف وفضيلة أحسن من شرف العلم النّاشئ عن كمال الإستعداد وهذا ممّا لا خلاف فيه عنه العقلاء في جميع الملل المختلفة في العالم.

**الأمر الثاني:** إنّ الآية قد دلّت على أنّ العلم أشرف الفضائل ولا فضيلة أعلى منها وذلك لأنّ الله تعالى فضّل آدم على الملائكة بالعلم فلو كانت

فضيلة الموجود على موجودٍ آخر بشئٍ غير العلم من الصفات لكان أولى بالذكر والمفروض أن آدم كان مظهراً لجميع الكمالات من السخاوة والعدالة والشجاعة والعفة وغيرها ولم يجعل الله تعالى ملاك الفضيلة فيه غير العلم وهو من أدل الدليل على كونه رأس الفضائل وهو كذلك اذ مدار جميع الفضائل النفسانية والكمالات الروحية والبدنية على العلم ولم يتوقف العلم على شيء منها كيف والمعرفة التي جعلت علةً غائية لأصل الإيجاد تتوقف على العلم فمن لا علم له لا معرفة له بل جريان كل الصفات على مجراها الحقيقي لا يمكن بدون العلم قال الله تعالى: **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** <sup>(١)</sup> وبه قامت السموات والأرضون وبه فضل الإنسان على غيره وبه يكتب الكمال الحقيقي وبه يتقرب العبد إلى الله تعالى وبه يصل إلى أعلى مرتبة العبودية وبه يصل إلى الفوز العظيم وبالجملة به يكتب ما فيه سعادة الدنيا والآخرة ولذلك خصه الله تعالى بالذكر فقال: **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ**

**الأمر الثالث:** يستفاد من الآية أن التكلم بشئٍ لا يكون للمتكلم علم به مذموم ولذلك قال الله تعالى في جواب الملائكة أني أعلم ما لا تعلمون، وهذا في الحقيقة توبيخ لهم أي إسكتوا عما لا تعلمون، فلم قلت **أَتَجْعَلُ فِيهَا** فالواجب على من سئل عن علم وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم.

**الأمر الرابع:** أن رفع الجهل ممدوح حتى الإمكان فعلى الجاهل السؤال وعلى العالم الجواب بل يجب على العالم تعليم الجاهل اذا علم أنه وقع فيه وأن لم يسأل وذلك لأنه كثيراً ما يكون الإنسان جاهلاً بالجهل البسيط وهو الجهل الساذج بمعنى أنه عالم بجهله غافل عما هو فيه فاذا رأى العالم جاهلاً كذلك ينبغي له أن يوقظه من نوم الغفلة، فيعلمه بما فيه صلاحه وسداده.

نعم في الجهل المركب يكون الأمر أصعب لأن الجاهل بالجهل المركب يرى نفسه عالماً ولا يعتقد بأنه لا يعلم ففي هذه الصورة لا يقبل قول غيره فهو مصداق لقوله تعالى ذرهم في خوضهم يلعبون.

إذا عرفت هذا و علمت قسمي الجهل فنقول لاشك أن الملائكة كانوا جاهلين بالأسماء وقد يستفاد من بعض الكلمات من مفسري العامة والخاصة أن جهلهم كان جهلاً مركباً لظنهم أن الخليفة يفسد فيها ويسفك الدماء مع أن الواقع بخلافه فكانوا جاهلين بحقيقة الأمر ولم يعلموا أنهم كذلك.

والحق أن الأمر على خلاف ما زعموه وحملوا الآية عليه بل جهلهم كان بسيطاً وقوله: **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا** الخ... لا يدل على إدعائهم العلم بحقيقة الأمر وأن الخليفة من هو، بل يدل على ذكر الآثار المترتبة على الموجود في الأرض على قياس الجن والناس والدليل على المدعى من الآية قوله تعالى: **سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا** فأن كلمة، لا، لنفي الجنس فنقوا جنس العلم في المقام من أنفسهم وهو دليل على علمهم بجهلهم ولا نعني بالبسيط إلا هذا مضافاً إلى أن مقام الملك منزّه عن الجهل المركب الذي يدل على العناد واللجاج وعدم القابلية والإستعداد والله أعلم بحقائق الأمور سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.



وَأَذُقْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)

### ◀ اللغة

اسْجُدُوا: السُّجُود أصله التَّطَامُن والتَّذَلُّل وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته.

إِبْلِيسَ: الإِبلّاس الحزن المعترض من شدة اليأس يقال، أبلَس، ومنه أشق إبليس على ما قيل قال الله تعالى: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ<sup>(١)</sup>  
أبَى: أبى: أبى أبى أي، إمتنع.  
اسْتَكْبَرَ: الإستكبار ضدّ التواضع.

### ◀ الإعراب

وَأَذُقْنَا فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ أَيْ وَأَذْكُرُ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَعَلٌ وَفَاعِلٌ وَآدَمُ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِ، إِلَّا إِبْلِيسَ إِسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ عَلَى الْمَشْهُورِ وَسَيَأْتِي الْبَحْثُ فِيهِ وَأَبَى فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ إِبْلِيسِ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قِيلَ أَنَّهُ مُسْتَأْنَفٌ وَقِيلَ فِي مَوْضِعٍ حَالٍ.

### ◀ التفسير

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا أُعْطِيَ آدَمُ مِنَ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ وَالْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ حَيْثُ جَعَلَهُ مَسْجُوداً لِلْمَلَائِكَةِ فَقَالَ: وَأَذُقْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ أَيْ إِذْ كَرِ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قُلْنَا ذَلِكَ لَهُمْ وَالْبَحْثُ فِي مَقَامَيْنِ.

في تفسير القرآن

جزء ١٤

المجلد الأول

أحدهما: أَنَّ الملائكة المأمورون بالسَّجدة لآدم جميعهم أو بعضهم، الثَّاني: في أَنَّ السَّجدة ما معناها في المقام.

أَمَّا المقام الأوَّل: فإختلفوا فيه فقال بعضهم أَنَّ الأمر بالسَّجود كان لجميع الملائكة بدليل قوله تعالى: **فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** <sup>(١)</sup> وهذا تأكيد للعموم وقال قوم أَنَّ الأمر بالسَّجود كان خاصاً بطائفةٍ منهم وهم الَّذِينَ كانوا مع إبليس في تطهير الأرض من الجانِّ والنَّسَّاس والمَشْهُور عند مفسَّري العامة هو القول الأوَّل واستدلوا عليه.

أَمَّا أوَّلًا: بأنَّ لفظ الملائكة صيغة الجمع وهي تفيد العموم ولا سيَّما وقد وردت هذه اللفظة مقرونة بأكمل وجوه التأكيد في قوله فسجد الملائكة كُلُّهم أَجْمَعُونَ.

ثانيًا: بأنَّه تعالى إستثنى إبليس منهم فقال **إِلَّا إبليس**، وإستثناء الشَّخص الواحد منهم يدلُّ على أنَّ غير ذلك الشَّخص داخل في ذلك الحكم والمشهور عند الشيعة أَنَّ إبليس لم يكن منهم واقعاً وأنَّ كان منهم ظاهراً قال بعضهم أَنَّ الله تعالى أَمَّا أَدْخَلَهُ في لفظ الملائكة لأنَّه كان مخلوطاً بهم وكونه ظاهراً منهم وَاَمَّا وَجْه الخطاب في الأمر بالسَّجود إلى هؤلاء الحاضرين وكان بينهم فَشَمَلَهُ الأمر.

بعبارةٍ أخرى كان إبليس أيضاً مأموراً بالسَّجود لكونه ظاهراً منهم مظهرًا لصفاتهم كما أَنَّ الخطاب، في **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**، يشمل المنافقين أيضاً لكونهم ظاهراً من المؤمنين وَاَمَّا ظَنُّ الملائكة فيحتمل أن يكون المراد أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ مِنْهُمْ في الطَّاعة وعدم العصيان لأنَّه لا يبعد أن لا يعلم الملائكة أَنَّهُ ليس منهم مع أَنَّهُم رفعوه إلى السَّمَاء وأهلكوا قومه فيكون من قبيل قوله **عَالِمِينَ** سلمان مَنَّا أهل البيت على أَنَّهُ يحتمل أن يكون الملائكة، ظَنُّوا أَنَّهُ كان ملكاً



جعلله الله حاكماً على الجنّ ويحتمل أن يكون هذا الظنّ من بعض الملائكة الذين لم يكونوا بين جماعة قتلوا الجانّ ورفّعوا إبليس انتهى.

والأصل فيه مارواه المجلسي عن جميل ابن درّاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إبليس أكان من الملائكة أو كان يلي شيئاً من أمر السماء فقال عليه السلام: لم يكن من الملائكة وكانت الملائكة ترى أنّه منهم وكان الله يعلم أنّه ليس منهم ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء، ولا كرامة فأتيت الطيّار فأخبرته بما سمعت فأنكر وقال كيف لا يكون من الملائكة والله يقول للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، فدخل عليه الطيّار فسأله وأنا عنده فقال له جعلت فداك قول الله عزّ وجلّ يا أيّها الذين آمنوا، في غير مكان لمخاطبة المؤمنين أيّدخل في هذه المنافقون فقال نعم يدخلون في هذه المنافقون والضّلال وكلّ من أقرّ بالدعوة الظّاهرة انتهى<sup>(١)</sup>.

ونظير ذلك مارواه في تفسير نور الثّقليين عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام: قال فسئل عمّا ندب الله الخلق اليه أدخل فيه الضّلال قال عليه السلام نعم والكافرون دخلوا فيه لأنّ الله تبارك وتعالى أمر الملائكة بالسّجود لآدم فدخل في أمره الملائكة وإبليس فإنّ إبليس كان مع الملائكة في السماء يعبد الله وكانت الملائكة تظنّ أنّه منهم فلما أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد فعلمت الملائكة عند ذلك أنّ إبليس لم يكن منهم فقيل له فكيف يقع وقع الأمر على إبليس وأنّما أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم فقال عليه السلام: كان إبليس مُبهمٌ بالولاء ولم يكن من جنس الملائكة وذلك أنّ الله خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس منهم حاكماً

في الأرض فعتوا و أفسدوا و سفكوا الدماء فَبَعَثَ اللَّهُ الملائكة فقتلوهم وأسروا إبليس و رَفَعُوهُ إِلَى السَّمَاءِ فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أنْ خلق الله تبارك و تعالى آدم انتهت.

و أيضاً بأسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: أَنَّ الملائكة يحسبون أنْ إبليس منهم و كان في علم الله أَنَّهُ ليس منهم فإِسْتَخْرَجَ ما في نفسه بالحمية والغضب فقال خلقتني من نار و خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ انتهت.

المقام الثاني: في تفسير السجود والمراد به في الآية إعلم أن السجود في أصل اللغة التظامن والتذلل و جعل ذلك عبارة عن التذلل لله و عبادته و هو عام في الإنسان والحيوانات والجمادات ثم أَنَّهُ على قسمين سجوداً بالاختيار و هو مختص بالإنسان وبه يستحق الثواب قال الله تعالى: فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا<sup>(١)</sup> أي تَذَلُّوا له.

والثاني: بغير الإختيار - و يعبر عنه بالسجود التسخيري و هو عام للإنسان والحيوان والنبات و على ذلك قوله تعالى: وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً<sup>(٢)</sup> و يقال في تعريفه: هو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة و أَنَّها خلق فاعلٍ حكيم.

هذا كله بحسب اللغة و اما في اصطلاح الشرع فمعناه وجه الجبهة على الأرض لله تعالى بقصد التقرب والسجود بهذا المعنى مختص بالمكلفين و لا يجوز لأحد غير الله تعالى و ذلك لأنَّه عبادة محضة و من عبد غير الله فهو مشرك.

إذا عرفت هذا فنقول سجود الملائكة لآدم لم يكن بالمعنى الشرعي المصطلح عند المشرعة لأنَّ السجود بهذا المعنى لا يجوز لغير الله تعالى بالاتفاق بل هو بمعناه اللغوي أعني به التظامن والتذلل له والقيام بمصالحه و مصالح أولاده.

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ سَجُودِ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ فَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ مِنَ الْعَامَّةِ أَيْ الْمَلَائِكَةِ وَضَعُوا جَبَاهِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ كَالسَّجُودِ الْمَعْتَادِ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلْعِبَادَةِ.

وَقَالَ بَعْضُ آخَرِينَ كَذَلِكَ بَلْ كَانَ بِمَعْنَاهُ اللَّغْوِي وَهُوَ التَّذَلُّلُ وَالْإِنْقِيَادُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: اسْجُدُوا لِآدَمَ أَيْ إِخْضَعُوا لَهُ وَأَقْرَبُوا لَهُ بِالْفَضْلِ فَسَجَدُوا أَيْ إِمْتَثَلُوا مَا أَمَرُوا بِهِ.

القول الأول: كان آدم كالقبة لهم والمسجود في الحقيقة هو الله تعالى كما أنَّ الكعبة قبة لنا.

على الثاني: فيكون من قبيل قوله تعالى في قصة يعقوب ويوسف:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا<sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَأَلْقَى السَّحَرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَى<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَضُولُ أَرْزَمَتِهَا أَسْجَدَتْ سَجُودَ النَّصَارَى لِأَحْبَارِهَا

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِمْتَثَلُوا أَمْرَهُ فَسَجَدُوا لِآدَمَ وَأَقْرَبُوا بِفَضْلِهِ إِلَّا إِبْلِيسَ إِنَّهُ أَبَى وَامْتَنَعَ مِنَ السَّجُودِ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ فِي الْمَقَامِ أَبْحَاثُ:

البحث الأول: في قوله تعالى: إِلَّا إِبْلِيسَ هَلِ الْإِسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ أَمْ مُنْقَطِعٌ. البحث الثاني: في قوله: أَبَى وَاسْتَكْبَرَ.

البحث الثالث: في قوله تعالى: وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

أَمَّا الْبَحْثُ الْأَوَّلُ: اِخْتَلَفُوا فِي الْإِسْتِثْنَاءِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مُتَّصِلٌ لِأَنَّهُ أَيْ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَنَسَبِ الْقُرْطَبِيِّ هَذَا الْقَوْلُ إِلَى الْجُمْهُورِ وَغَرَضُهُ جُمْهُورُ الْعَامَّةِ.

**والقول الثاني:** أَنَّ الإِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ بِمَعْنَى أَنَّ إبليسَ لم يكن من جنس الملائكة وأن كان في الظاهر معهم وقد مرَّ الكلام فيه وقلنا هذا هو مختار الشيعة وتقلنا الأحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السَّلام وأهل البيت أدركوا بما في البيت.

وكان إسم إبليس في الأصل عزازيل فلَمَّا عصَى واستَكْبَرَ صار مَطْرُوداً و مَلْعُوناً فسمي إبليس ويقال له الشَّيْطَانُ أيضاً لبعده عن رحمة الله ونقل عن سعيد ابن جبير أَنَّهُ قال، أَنَّ الجِنَّ سط من الملائكة خلقوا من نار وإبليس منهم وخلق سائر الملائكة من نور، وعن قتادة وابن زيد والحسن أَنَّ إبليس أبو الجِنَّ كما أَنَّ آدم أبو البشر ولم يكن ملكاً وقيل إسمه الحارث وسيأتي الكلام فيه في المستقبل إن شاء الله تعالى.

**البَّحْثُ الثَّانِي:** في قوله تعالى **أَبَىٰ** وَاسْتَكْبَرَ أَيِ إِمْتَنَعَ عَنِ السَّجُودِ لِآدَمَ وَ إِسْتَكْبَرَ أَيِ تَكَبَّرَ عَلَيْهِ وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ عِلَّةَ إِمْتِنَاعِهِ عَنِ السَّجُودِ لَهُ التَّكَبُّرُ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ يَرَىٰ نَفْسَهُ أَشْرَفَ وَأَفْضَلَ مِنْ آدَمَ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا مَعْنَى لِسُجُودِهِ لَهُ إِذَا الْفَاضِلُ لَا يَتَذَلَّلُ وَلَا يَخْضَعُ لِلْمَفْضُولِ بَلْ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**<sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِيَبْشُرَ خَلْقَتَهُ مِنْ ضُلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ**

**مَسْنُونٍ**<sup>(٢)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**<sup>(٣)</sup>

وسَيَأْتِي الكلام في خطأه عند تفسير الآيات مَبْسُوطاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ أَنَّ الْمُفَسِّرَيْنِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ مَعْصِيَةَ إبليس كانت واحدة وهي ترك

السُّجُود لآدم ولاجل ذلك طرد ومنع وبلغ من البعد ما بلغ والذي يقوى في النفس ويظهر من الآية أيضاً أنه صدر منه ذنبان لا ذنب واحد.  
أحدهما: إيبائه وامتناعه من السُّجُود وكان مأموراً به وهو الذي أُشير إليه في الآية بقوله تعالى: **أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ**.

ثانيهما: استكباره واستعطافه فالإباء عن السُّجُود أمر والتكبر أمر آخر.  
أَنْ قُلْتَ إِبَاءَهُ عَنِ السُّجُود منشأه التكبر بمعنى أَنْ وجود الكبر فيه صار موجباً للإمتناع عن السُّجُود فكأنهما شيء واحد أو أحدهما يلزم الآخر قلت ليس الأمر كذلك لِأَنَّ الإمتناع عن الإتيان بالمأمور به أعم من أَنْ يكون منشأه الكبر أولاً، إذ يمكن الإباء بدون التكبر نعم قد يجتمعان والحاصل أَنَّ الشَّيْطَانَ لو كان تاركاً للسُّجُود لآم من غير استكبار كان ذنبه واحداً وهو تركه المأمور به فلما استكبر صار ذنبه إثنتين وبذلك إشتد غضب الله عليه وقال أخرج فأنتك رجيم وَأَنَّ عَلَيْكَ لِعَنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ أَلَا تَرَىٰ أَنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ أَوْ الصَّوْمَ أَوْ كُلَّ وَاجِبٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّسَامُحِ وَالْعَفْوَ وَالْإِهْمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُجُوهِ فَهُوَ عَاصٍ قَطْعاً لتركه المأمور به واما إِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ أَوْ غَيْرَهَا إِسْتِكْبَاراً فَهُوَ عَاصٍ مُسْتَكْبِرٍ وَلَهُ عِقَابَانِ عِقَابٌ عَلَىٰ تَرْكِ الْوَاجِبِ وَعِقَابٌ عَلَىٰ إِسْتِكْبَارِهِ وَهُوَ وَاضِحٌ.

**أَمَّا الْبَحْثُ الثَّلَاثُ:** وهو قوله **وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** فقليل معناه أَنَّهُ كَانَ كَافِراً فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَقِيلَ، كَانَ، بِمَعْنَى صَارَ، أَي مِنَ الْكَافِرِينَ بَعْدَ إِبَائِهِ عَنِ السُّجُود وَتَرْكِه الْإِمْتِنَانِ لِمَا أَمَرَ بِهِ وَكَلَا الْمَعْنَيْنِ مِمَّا لَا بَأْسَ بِهِ.

**أَمَّا الْأَوَّلُ:** فلائ، كَانَ، يَجِيءُ بِمَعْنَى صَارَ، كَثِيراً وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَيْضاً قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي قِصَّةِ نُوحٍ: **وَكَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ** أَي وَصَارَ مِنْهُمْ وَقَالَ الشَّاعِرُ:

بِتِيهَاءِ قَفْرٍِ وَالْمَعْلَى كَأَنَّهَا

قَطَا الْحَزْنَ قَدْ كَانَتْ فَرَاخاً بِيَوْضِهَا

أَي صَارَتْ فَرَاخاً.

**وَأَمَّا الْوَجْهَ الثَّانِي:** وهو أَنَّهُ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ مِنَ الْكَافِرِينَ فَهُوَ أَيْضاً مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ عَالِماً بِأَنَّهُ سَيَكْفُرُ فِي إِبَائِهِ عَنِ السُّجُودِ وَاسْتِكْبَارِهِ وَعِنَادِهِ فِي جَنْبِ آدَمَ إِلَّا أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ بِذَلِكَ لَا يَكُونُ عِلَّةً لِكُفْرِهِ فَأَنَّ الْعِلْمَ الْأَزْلِيَّ لَيْسَ مِنَ الْعِلَّةِ بِشَيْءٍ كَمَا ثَبَتَ فِي مَوْضِعِهِ نَعَمْ هَذَا عَلَى الْقَوْلِ بِالْجَبْرِ يَتِمُّ وَالْعُقْلَاءُ لَا يَقُولُونَ بِهِ فَضْلاً عَنِ الْمُتَشَرِّعِينَ، فَلَوْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَافِراً وَعِلْمُهُ تَعَالَى بِكُفْرِهِ فِي الْأَزْلِ صَارَ سَبَباً لِكُفْرِهِ فِي الدُّنْيَا فَأَيُّ ذَنْبٍ لَهُ إِذَ الْمَفْرُوضُ أَنَّهُ كَانَ عَالِماً بِكُفْرِهِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ بِنَاءِ عَلَى عِلْيَةِ الْعِلْمِ لَا قُدْرَةَ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى خِلَافِ عِلْمِهِ فَلَا ذَنْبَ لَهُ وَهَذَا وَاضِحٌ وَالْحَقُّ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ بَعْدَ الْإِبَاءِ عَنِ السُّجُودِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الطَّاعَةِ كَسَائِرِ الْمَلَائِكَةِ وَلِذَلِكَ صَارَ مَطْرُوداً فَالْكُفْرُ فِي الْآيَةِ لَيْسَ كُفْرُ الرِّبَوِيَّةِ وَلَا كُفْرُ الْمَعْرِفَةِ وَلَا كُفْرُ النُّعْمِ، بَلِ الْكُفْرُ فِي الْمَقَامِ وَتَرَكَ مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، وَهُوَ الْقِسْمُ الرَّابِعُ مِنْ أَقْسَامِ الْكُفْرِ مِنْ أَقْسَامِهِ الْخَمْسَةِ عَلَى مَا مَرَّ سَابِقاً عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ**

وَنَقَلْنَا الْحَدِيثَ الْمَرْوِيَّ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْبَابِ، وَيُمْكِنُ إِدْخَالُهُ فِي الْقِسْمِ الْخَامِسِ أَيْضاً وَهُوَ كُفْرُ الْبِرَاءَةِ عَلَى إِحْتِمَالٍ بَعِيدٍ كَمَا أَنَّهُ لَا يَبْعَدُ إِدْخَالُهُ فِي الْقِسْمِ الثَّالِثِ وَهُوَ كُفْرُ النُّعْمِ كَذَلِكَ وَعَلَيْكَ بِاسْتِخْرَاجِ الْحَقِّ مِنْ خَطَاةٍ.



وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا  
 رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا  
 مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا  
 فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ  
 عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦)  
 فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ  
 التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا  
 يَأْتِيَنَّكُمْ مَتَى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)

### ◀ اللغة

زَوْجُكَ الْجَنَّةَ: قال الرَّاغب في المفردات، يقال لكل واحدٍ من القرينين  
 من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة، زوجٌ، ولكل قرينين فيها وفي  
 غيرها، زوج، كالخف والنعل ولكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاد زوج،  
 قال الله تعالى: فَجَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى<sup>(١)</sup> وَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ  
 وَالْأُنْثَى، قال وزوجك الجنة وزوجة لغة رديئة وجمعها زوجات وجمع  
 الزوج أزواج انتهى.

الْجَنَّةُ: كل بستانٍ ذي شَجَرٍ يَسْتَرَهُ بأشجار الأرض قيل وقد سُمِّيَ الأشجار  
 الساترة، جَنَّةً.

رَغَدًا: يقال، عيش رَغَدَ ورَغيد، أي واسع وأرغد القوم حَصَلُوا فِي رَغْدٍ  
 مِنَ الْعَيْشِ.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

مُسْتَقَرٌّ: أي محلّ للاستقرار.

مَتَاعٌ: أصل المتنوع الإمتداد والارتفاع يقال متع النهار ومتع النبات إذا ارتفع في أول النبات والمتاع إنتفاع ممتد الوقت قال الله تعالى: مَتَعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ.

هَدَىٰ: الهدى ضد الضلالة.

### الإعراب

وَقُلْنَا الْوَاوِ لِلْعُطْفِ أَوْ الْإِسْتِنْفِ، قلنا فعل و فاعل يَا آدَمُ بَاء حرف نداء و آدم مناداه اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ، أَنْتَ توكيد للضمير في الفعل أنى به ليصحّ العطف عليه وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ معطوف على أَنْتَ مرفوعة الرفع لأنه معطوف على الفاعل وَكَلَّا بَضَم الكاف أمرٌ من أَكَلْ يَأْكُلْ، أصله أَأْكُلْ مثل أَقْتَلْ، و العرب حذفت الهمزة الثانية تخفيفاً و مثله، خُذْ، و أصله أَخْذْ و لا يقاس عليه و حكى سيبويه أَوْكَلْ، و هو شاذٌ منها رَغَدًا حَيْثُ سِتُّمًا، رَغَدًا صفة مصدر محذوف أي أكلا رغداً حيث ظرف مكان والعامل فيه، كَلَّا و يجوز أن يكون بدلاً من الجنة فيكون مفعولاً به وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ الْهَاء بدل من الباء في، هدي، و الشجرة نعتٌ لهذه والجملة في محل النصب على المفعولية فتكونُ جواب النهي لأنَّ التقدير أن تقربا، تكونا و حذف التّون علامة النّصب فَازْلَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ما بمعنى الذي و يجوز أن تكون نكرة موصوفة و الشيطان فاعل لقوله، أَزَلْ و هما مفعوله فَأَخْرَجَهُمَا أي أخرجهما الشيطان بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ جملة في موضع الحال من الواو في إهبطوا و اللام متعلقة بعدو و لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ الواو للإستئناف أو الحال و مستقر، مصدر بمعنى الإستقرار و يجوز أن يكون مكان الإستقرار إِلَىٰ حِينٍ في موضع رفعٍ على أنه صفة لمتاع و يجوز أن يكون في موضع



نصب، بمتاع لأنه في حكم المصدر والتقدير، وأن تمتعوا الى حين فتلقَى آدمُ فعل وفاعل من رَبِّهِ في موضع نصب بتلقَى ويجوز أن يكون في الأصل صفة لكلمات إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ هو ههنا مثل أنت في أنت العليم الحكيم مِنْهَا جَمِيعاً جميعاً، حال فاعلاً إن حرف شرط وما، حرف موكد يَأْتِيَنَّكُمْ فعل الشرط مؤكد بالنون الثقيلة فَمَنْ تَبَعَ جواب الشرط، ومن في موضع رفع على الابتداء والخبر تَبَعَ وموضع، تَبَعَ، جزم، بمن والجواب فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وضمير هُمْ، يرجع الى من وكذلك كل إسم شرطت به وكان مبتدأ ف خبره فعل الشرط.

### ◀ التفسير

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ أَي بعد ما أمرنا الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس على ما مر بيانه قلنا يا آدم اسكن أي اتخذ أنت وزوجك، حواء الجنة مسكناً وماوى وكلاً مِنْهَا، أي من الجنة وثمارها رَغداً، كثيراً واسعاً طيباً لا عناء فيه حَيْثُ شِئْتُمَا من بقاع الجنة وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ أي لا تأكلا منها فمعناها لا تقرباها بالأكل فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ لأنفسكما بالأكل منها، وفي الآية مسائل:

المسئلة الأولى: في خلق آدم وحواء.

المسئلة الثانية: في تفسير الجنة وأنها ما هي وما المراد بها في الآية.

المسئلة الثالثة: في بيان النهي في الآية.

المسئلة الرابعة: في بيان المراد بالشجرة، المسئلة الخامسة في بيان معنى الظلم والمراد به في المقام في حق آدم.

المسئلة الأولى: في خلق آدم وحواء، فنقول الذي يظهر لنا من الروايات والآيات هو أن خلق آدم كان قبل حواء والدليل عليه من الآيات :

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا.

دليل على المدعى وهذا مما لا كلام فيه فعلى هذا يجب علينا أن نقدم البحث في آدم وكيفية خلقه أولاً ثم نردفه بخلق زوجه حواء ثانياً ولا يذهب عليك أن المراد في الآية الشريفة أن آدم وحواء أول مخلوق في الأرض بحيث لم يكن قبلهما مخلوق فيها وذلك لما عرفت سابقاً في قوله تعالى: وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَهِيَ صريحة في وجود المخلوق في الأرض قبل آدم، فلولم يكن قبله أحد لا معنى لقول الملائكة أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وقد مر في تفسير الآية أن الجن والنساسة كانوا يعيشون فيها فلما عصوا وعتوا عن أمر ربهم دمرهم الله تدميراً ثم جعل فيها خليفة وهو آدم أبو البشر فالذي نحن بصدد البحث عنه في المقام هو كيفية خلق آدم في الأرض سواء أكان قبله خلق من جنسه أم لا وهذا مما لا خلاف فيه عند الكل وإنما الخلاف في الموجودات قبله نوعاً وجنساً وهو خارج عما نحن بصدده فعلاً إذا عرفت هذه المقدمة.

فأعلم أن آدم أصله أ آدم، على وزن أ فعل قلبت همزة الثانية الفأفصار آدم وأختلفوا في مبدأ اشتقاق الاسم فقيل أنه مشتق من الأدم بسكون الدال ومنه إدام الطعام وهو ما يجعل مع الخبز فيطيبه وروي، سيد أدامكم اللحم، لأنه أقل مؤونة وأقرب إلى القناعة وعليه فسُمي آدم بأدم لما طُيب به من الروح المنفوخ فيه المذكور في قوله تعالى: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي وقيل سُمي به لكون جسده من أديم الأرض وقيل لسمره في لونه وقيل سُمي به لكونه من

عناصر مختلفة وقوى متفرقة والذي يظهر من الأخبار هو أنه سُمي به لكون جسده من أديم الأرض ونحن نُشير إلى بعض.

ما ورد فيه روي في البحار عن أبي بصير قال سأل طاووس اليماني أبي جعفر عليه السلام لم سُمي آدم قال عليه السلام: لأن طينته رفعت من أديم الأرض السفلي قال فلم سُميت حواء حواء قال لأنها خلقت من ضلع حي يعني آدم إنتهى.

وأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما سُمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض إنتهى وأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال سُميت حواء حواء لأنها خلقت من حي قال الله عز وجل (وخلق منها زوجها) الآية.

وأسناده قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام يهودي فقال لم سُمي آدم آدم وحواء حواء قال عليه السلام إنما سُمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض إنتهى.

وأما حواء فالروايات فيها مختلفة منها ما يدل على أنها خلقت من ضلع آدم كما مر ومنها ما يدل على أنها خلقت من فضل الطين التي خلق منها آدم فقد روي المجلسي رحمته الله في البحار بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام لما سئل من أي شيء خلق الله حواء فقال عليه السلام: أي شيء يقول هذا الخلق قلت يقولون أن الله خلقها من ضلع من أضلاع آدم فقال عليه السلام كذبوا أكان يعجزه أن يخلقها من غير ضلعه فقلت جعلت فداك يابن رسول الله من أي شيء خلقها فقال أخبرني أبي عن آبائه قال قال رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين فخلق منها آدم وفضلت فضلة من طين فخلق منها حواء إنتهى.

وروي الصدوق بأسناده عن وهب قال أن الله خلق حواء من فضل طينة آدم على صورته وكان ألقى عليه النعاس وأراه ذلك في منامه وهي أول رؤيا كانت في الأرض فانتبه وهي جالسة عند رأسه فقال عز وجل يا آدم ما هذه الجالسة قال الرؤيا التي أريتني في منامي فأفسس وحمد الله تعالى وأوحى إليه أني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي، واحدة لك، واحدة لك، واحدة فيما بيني وبينك، واحدة فيما بينك وبين الناس، فأما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه وأما التي فيما بينك وبينني فعليك بالدعاء وعلي الإجابة وأما التي فيما بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك إنتهى.

قال المجلسي رحمه الله فالأخبار السابقة أمّا محمولة على التقية أو على أنها خلقت من طينة ضلع من أضلاعه والأحاديث مروية عن البحار<sup>(١)</sup>.

وأنا أقول يظهر من مجموع الأخبار أن آدم خلق أولاً ثم خلقت حواء منه إما من ضلعه أو من فضلة فضلة من الطين المخلوق منها آدم والقول الثاني أقوى وأقرب إلى القول عليه أكثر المحققين.

**المسئلة الثانية:** في المراد بالجنة في المقام، اختلفوا في جنة آدم هل كانت في الأرض أم في السماء وعلى الثاني هل هي الجنة التي هي دار الثواب أم غيرها.

فذهب أكثر المفسرين وأكثر المعتزلة إلى أنها جنة الخلد وقال أبو هاشم هي جنة من جنات السماء غير جنة الخلد وقال أبو مسلم الأصفهاني وأبو

القاسم البلخي وطائفة هي بستان من بساتين الدنيا في الأرض وأحتج الأولون بأن الظاهر أن الألف واللام للعهد والمعهود المعلوم بين المسلمين هي جنة الخلد المتبادر بالذهن منها جنة الخلد حتى صار كالعلم لها فوجب حمل عليها، واحتجت الطائفة الثانية بأن قوله تعالى: **إِهْبِطُوا**، يدل على الإهباط من السماء إلى الأرض وليست بجنة الخلد واحتجت الثالثة بوجوه: **الأول**: أنها لو كانت دار الخلد لما خرج آدم منها لقوله تعالى: وما هم منها بمخرجين.

**الثاني**: أن جنة الخلد لا يفنى نعيمها لقوله تعالى **أَكَلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا الْيَوْمَ**، وقوله تعالى: **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا** <sup>(١)</sup> فهذه خلاصة الأقوال المنقولة في المقام.

**أقول** الحق أنها كانت بستاناً من بساتين الأرض، أما الجواب عن المعتزلة وأكثر المفسرين في استدلالهم بأن الألف واللام للعهد والمعهود بين المسلمين هي جنة الخلد أما أولاً فبأنه لا دليل على كون الألف واللام للعهد وعلى فرض التسليم لا نسلم أن المعهود جنة الخلد بل مطلق الجنة والمتبادر إلى الذهن أيضاً مطلق الجنة التي يعرفها الناس من اللغة وهو واضح.

وعن أبي هاشم بأن الإهباط لا يدل على كونه من السماء إلى الأرض فأن الانتقال من أرض إلى أرض يصدق عليه الإهباط كما في قوله تعالى: **أَهْبِطُوا مِصْرًا**.

وثانياً قد يعبر عن التنزل بحسب المقام بالإهباط قال الله تعالى: **وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** <sup>(٢)</sup> وقد يطلق الإهباط على غيره كقوله تعالى: **قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ** <sup>(٣)</sup> والحاصل أنه لا دليل على أن الإهباط

مختَصَّ بالانتقال من السماء الى الأرض ويستفاد من الأخبار أيضاً أنَّ المختار هو الحقُّ في المقام.

منها ما رواه في البحار بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: لَمَّا سئل عن جنة آدم وقال عليه السلام: جنته في جنان الدنيا تطلع عليها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً انتهى.

و بأسناده عنه عليه السلام: أيضاً لَمَّا سئل عن جنة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة فقال وكانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً انتهى. وأما مدة مكثهما في الجنة فقد روي بأسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنما كانت لبث آدم وحواء في الجنة حتى أخرجا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتى أهبطهما الله من يومهما ذلك.

جالمسألة الثالثة: في بيان معنى النهي في قوله تعالى: وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ إعلم أنهم اختلفوا في هذا النهي فقال بعضهم أنه نهى التحريم وقال الآخرون أنه للتنزيه كمن يقول لغيره لا تجلس على الطرق والفرق بين المقامين أنَّ الفاعل على الأول مستحق للعقاب.

وعلى الثاني، لا يستحقه وقد يعبر عنه بترك الأولى قال الطبرسي رحمته الله فإنَّ عندنا أنَّ آدم كان مندوباً الى ترك تناول من الشجرة وكان بالتناول منها تاركاً نقلاً وفضلاً ولم يكن فاعلاً بقبيح فأنَّ الأنبياء لا يجوز عليهم القبائح لا صغيرها ولا كبيرها.

وقالت المعتزلة: كان ذلك صغيرة من آدم على اختلاف بينهم في أنه وقع منه على سبيل العمد أو السهو أو التأويل وأنما قلنا لا يجوز مواقعة الكبائر على الأنبياء من حيث أنَّ القبيح يستحق فاعله الذم به والعقاب لأنَّ المعاصي عندنا كلها كبائر وأنما تسمى صغيرة بإضافتها الى ما هو أكبر منها عقاباً لأنَّ

الإحباط قد دلّ الدليل عندنا على بطلانه فاذا أبطل ذلك فلا معصية إلا و يستحق فاعلها الذم والعقاب و اذا كان الذم والعقاب منفيين عن الأنبياء وجب أن ينتفي عنهم سائر الذنوب ولأنه لو جاز عليهم شيء من ذلك لينضر عن قبول قولهم والمراد بالينفس أن النفس الى قبول قول من لا يجوز عليه شيئاً من المعاصي أسكن منها الى قول من يجوز عليه ذلك وساق الكلام الى أن قال و اذا صح ما ذكرناه علمنا أن مخالفة آدم لظاهر النهي كان على الوجه الذي بيناه انتهى ما ذكره رحمته.

**أقول** ما ذكره رحمته في المقام حق لا مرية فيه فإن الشيعة قد إتفقت على عدم جواز صدور القبايح عن الأنبياء بقول مطلق صغيرة كانت أو كبيرة قبل البعث و بعده و عليه فالنهي يحمل على التنزيه ومعناه أن آدم ترك الأولى ولم يكن فاعلاً لقبيح بل كان فاعلاً لشيء كان تركه أولى من فعله وهو مما لا يضّر بعصمته.

وأما أهل السنة فقد إتفقوا على أن الأنبياء معصومين من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شين ونقص، و أما الصغائر من الذنوب فلا.

قال القرطبي في تفسيره بعد ذكره ما نقلناه عنهم ما لفظه فقال الطبري و غيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين، تقع الصغائر منهم خلافاً للرافضة حيث قالوا أنهم معصومون من جميع ذلك و قال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك و أبي حنيفة و الشافعي أنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها لأننا أمرنا بإتباعهم في أفعالهم وأثارهم وسيرهم أمراً مطلقاً من غير إلزام قرنية فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الإقتداء بهم انتهى موضع الحاجة من كلامه.

و قال الرّازي في تفسيره عند قوله تعالى: **وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ** لا شبهة أنه نهى و لكن فيه بحثان الأول أن هذا نهى تحريم أو نهى تنزيه فيه خلاف

فقال قائلون هذه الصيغة لنهي التنزيه و ذلك لأن هذه الصيغة وردت تارة في التنزيه و أخرى في التحريم والأصل عدم الإشتراك فلا بد من جعل اللفظ حقيقة في القدر المشترك بين القسمين و ما ذلك إلا أن يجعل حقيقة في ترجيح جانب الترك على جانب الفعل من غير أن يكون فيه دلالة على المنع من الفعل أو على الإطلاق فيه لكن الإطلاق فيه كان ثابتاً بحكم الأصل فأَنَّ الأصل في المنافع الإباحة فإذا ضممنا بدلول اللفظ الى هذا الأصل صار المجموع دليلاً على التنزيه قالوا و هذا هو الأولي بهذا المقام لأن على هذا التقدير يرجع حاصل معصية آدم <sup>عليه السلام</sup> الى ترك الأولي و معلوم أن كل مذهب كان أفضى الى عصمة الأنبياء عليهم السلام كان أولي بالقبول و قال آخرون بل هذا النهي نهى تحريم واحتجوا عليه بأمور:

أحدها: أن قوله تعالى: **وَلَا تَقْرُبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ**

قال الله تعالى: **وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرَنَّ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** <sup>(٢)</sup>.

فكما أن هذا للتحريم فكذا الأول.

**ثانيها:** أنه قال فتكونا من الظالمين معناه ان اكلتما منها ظلمتما أنفسكما ألا ترى لما أكلنا قالاً ربنا ظلمنا أنفسنا.

**ثالثها:** أن هذا النهي لو كان نهى تنزيه لما إستحق آدم بفعله الإخراج من الجنة ولما وجبت التوبة عليه، و الجواب عن الأول نقول، أن النهي وأن كان في الأصل للتنزيه ولكنه قد يحمل على التحريم لدلالة منفصلة.

و عن الثاني أن قوله تعالى: **فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ** أي فتظلمنا أنفسكما بفعل كان الأولي بكما تركه لأنكما اذا فعلتما ذلك أخرجتما من الجنة التي لا تظلمان فيها ولا تجوعان وعن الثالث بأننا لا نسلم أن الإخراج من الجنة كان لهذا السبب و سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى كلامه.



وَأَمَّا نَقَلْنَا كَلَامَهُ بِطَوْلِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ فَقَدْ ظَهَرَ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ النَّهْيَ تَنْزِيهِ لَا نَهْيَ تَحْرِيمٍ بِإِتِّفَاقٍ مِنَ الشَّيْعَةِ وَأَكْثَرِ الْعَامَّةِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: فِي بَيَانِ الْمُرَادِ بِالشَّجَرَةِ، وَالْأَقْوَالِ فِيهَا أَيْضاً مُخْتَلِفَةً.

فَقِيلَ أَنَّهَا شَجَرَةُ السُّنْبُلَةِ وَقِيلَ هِيَ الْكَرَامَةُ وَقِيلَ هِيَ التَّيْنَةُ، وَقِيلَ هِيَ الْكَافُورُ وَقِيلَ هِيَ الْعِلْمُ أَعْنِي بِهِ عِلْمُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَقِيلَ هِيَ شَجَرَةُ الْخُلْدِ الَّتِي كَانَتْ يَأْكُلُ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ وَعَنْ تَفْسِيرِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهَا شَجَرَةُ عِلْمِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا شَجَرَةٌ تَمَيَّزَتْ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْإِشْجَارِ بِأَنَّ كُلَّهَا مِنْهَا أَمَّا يَحْمِلُ نَوْعاً مِنَ الثَّمَارِ وَكَانَتْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ وَجَنَسُهَا تَحْمِلُ الْبَرَّ وَالْعَنْبَ وَالتَّيْنَ وَالْعُنَابَ وَسَائِرَ أَنْوَاعِ الثَّمَارِ وَالْفَوَاكِهَ وَالْأَطْعِمَةَ فَلِذَلِكَ اِخْتَلَفَ الْحَاكُونَ بِذِكْرِهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ بَرَّةً وَقَالَ آخَرُونَ، عِنَبَةً وَقَالَ آخَرُونَ هِيَ عَنَابَةٌ وَهِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِي مِنْ تَنَاوُلِ مِنْهَا بِإِذْنِ اللَّهِ أُلْهِمَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ وَمِنْ تَنَاوُلِ بِغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ خَابَ مِنْ مُرَادِهِ وَعَصَى رَبَّهُ قَالَ الرَّازِيُّ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الظَّاهِرِ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّعْيِينِ فَلَا حَاجَةَ أَيْضاً إِلَى بَيَانِهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنْ يَعْرِفْنَا عَيْنَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَمَا لَا يَكُونُ مَقْصُوداً فِي الْكَلَامِ لَا يَجِبُ عَلَى الْحَكِيمِ أَنْ يُبَيِّنَهُ بَلْ رُبَّمَا كَانَ بَيَانُهُ عِبْثاً انْتَهَى.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ نَظِيرَ ذَلِكَ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُمْ قَالُوا مَا قَالُوا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ. وَأَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ قَدْ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ عَنِ الْأَثَمَةِ الْمَعْصُومِينَ فِي بَيَانِ مَعْنَى الشَّجَرَةِ وَالْمُرَادُ بِهَا فِي الْآيَةِ فَقَدْ رُويَ فِي الْعَيُونَ بِأَسْنَادِهِ إِلَى عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ صَالِحِ الْهَرَوِيِّ قَالَ قُلْتُ لِلرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَكَلَ مِنْهَا آدَمُ وَحَوَاءُ مَا كَانَتْ فَقَدْ اِخْتَلَفُوا فِيهَا فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِي أَنَّهَا الْحَنْظَلَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِي أَنَّهَا شَجَرَةُ الْعَنْبِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِي أَنَّهَا شَجَرَةُ الْحَسَدِ

فَقَالَ **عَالِي** كَلْ ذَلِكَ حَقٌّ قُلْتُ فَمَا مَعْنَى هَذِهِ الْوُجُوهُ عَلَى إِيْخْتِلَافِهَا فَقَالَ يَا أَبَا الصَّلْتِ أَنْ شَجَرَةَ الْجَنَّةِ تَحْمِلُ أَنْوَاعاً وَكَانَتْ شَجَرَةُ الْحَنْطَةِ وَفِيهَا عَنَبٌ لَيْسَتْ كَشَجَرَةِ الدُّنْيَا وَآدَمُ لَمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ ذَكَرَهُ بِاسْجَادِهِ مَلَائِكَتُهُ لَهُ وَبَادِخَالِهِ الْجَنَّةِ قَالَ فِي نَفْسِهِ هَلْ خَلَقَ اللَّهُ بَشَرًا أَفْضَلَ مِنِّي فَعَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِهِ فَنَادَاهُ إِرْفَعْ رَأْسَكَ يَا آدَمُ وَأَنْظِرْ إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ فَرَفَعَ آدَمُ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ فَوَجَدَ عَلَيْهِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ **عَالِي** وَزَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نَسَاءِ الْعَالَمِينَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ آدَمُ يَا رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ مِنْ دُرِّيَّتِكَ وَهُمْ خَيْرُ مَنْكَ وَمِنْ جَمِيعِ خَلْقِي وَلَوْلَا هُمْ مَا خَلَقْتُكَ وَلَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَا السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ فَأَيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بَعِينَ الْحَسَدِ فَأَخْرَجَكَ مِنْ جَوَارِي فَانْظُرَ إِلَيْهِمْ بَعِينَ الْحَسَدِ وَتَمَنَّى مَنَزَلَتَهُمْ فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا وَتَسَلَّطَ عَلَى حَوَاءَ لِنَظَرِهَا إِلَى فَاطِمَةَ بَعِينَ الْحَسَدِ حَتَّى أَكَلَتْ مِنْ.

الشَّجَرَةُ كَمَا أَكَلَ آدَمُ فَأَخْرَجَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ جَنَّتِهِ وَأَهْبَطَهُمَا عَنْ جَوَارِهِ إِلَى الْأَرْضِ انْتَهَى الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ فِي بَيَانِ الْمَرَادِ بِالظُّلْمِ فِي الْمَقَامِ. لَا شَكَّ أَنَّ أَصْلَ الظُّلْمِ ثَابِتٌ فِي حَقِّ آدَمَ وَحَوَاءَ فِي الْمَقَامِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** <sup>(١)</sup>

أَتَمَّا الْكَلَامَ فِي مَعْنَاهُ فِي الْآيَةِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى مَعْنَى الظُّلْمِ فِي حَقِّ آدَمَ لِمَكَانِ عَصَمَتِهِ فَنَقُولُ الظُّلْمَ عَلَى مَا فَسَّرُوهُ التَّجَاوُزَ عَنِ الْحَقِّ قَالَ الرَّاعِبُ الظُّلْمُ يُقَالُ فِي مَجَاوِزَةِ الْحَقِّ الَّذِي يَجْرِي مَجْرَى نَفْطَةِ الدَّائِرَةِ وَيُقَالُ فِيمَا يَكْثُرُ وَفِيمَا يَقَلُّ مِنَ التَّجَاوُزِ وَلِهَذَا يَسْتَعْمَلُ فِي الذَّنْبِ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَلِذَلِكَ قِيلَ

لآدم في تعديهِ ظالم وفي إبليس ظالم وأن كان بين الظلمين بونٌ بعيد انتهى.  
ثم أن الظلم على ماورد في الأحاديث ثلاثة:  
ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور، أما الذي لا يغفر فالشرك بالله.  
والذي يغفر فظلم العبد نفسه، والذي لا يترك ظلم العبد على غيره من  
الناس.

### فمن الأول:

قال الله تعالى: يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>.

من الثاني: أعني به الذي يغفر.

قال الله تعالى: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: ظَلَمْتُ نَفْسِي.

قال الله تعالى: ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ.

قال الله تعالى: وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ<sup>(٣)</sup>.

من الثالث: وهو الذي لا يترك.

قال الله تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا<sup>(٥)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ<sup>(٦)</sup>.

إذا عرفت أقسام الظلم فقد علمت أن الظلم في الآية ظلم بين آدم وبين ربه  
وليس ظلماً على الغير وهو مغفور بالتوبة كما قال تعالى: قَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ  
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أما الكلام في أن هذا الظلم هل هو منافي للعصمة الثابتة للأنبياء أولا  
والحق عدم المنافاة لأنه على ما مر بيانه عن ترك الأولى فحسب بمعنى أن آدم

٢- الفاطر = ٣٢

٤- الشورى = ٣٩

٦- الشورى = ٤٢

١- اللقمان = ١٣

٣- البقرة = ٢٣١

٥- الاسراء = ٣٣

لو لم يفعل ما فعل لكان أولى له أي كان أولى لنفسه وهذا ليس من الظلم بشئ سوى إطلاقه عليه لصدق التجاوز والتعدي من حدود الله بظاهر الأمر وهذا القدر من التجاوز في حق المقرين يعدّ ظلماً.

وأما بالنسبة اليها فلا يعدّ من الحسنات ولذلك قيل حسنات الأبرار سيئات المقرين وقال رسول الله ﷺ أني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة:

قال الله تعالى: **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** <sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** <sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** <sup>(٤)</sup>.

وأمثالها من الآيات ومن المعلوم أنه لم يصدر من رسول الله ﷺ ذنب بمعنى المتعارف بين الناس وأمثال هذه الآيات في الأنبياء كثيرة وما نحن فيه من هذا القبيل وسيأتي الكلام فيه مفصلاً إن شاء الله تعالى في موضعه.

**فَازَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** الزّلة في الأصل إسترسال الرجل من غير قصد يقال زلت رجلٌ نزل، وقيل للذنب من غير قصد زلٌ تشبيهاً بزلة الرجل ومعناها بالفارسية (لغزش) ومعنى الآية أن الشيطان نحيهما عن الجنة وأوقعهما في الذنب من غير قصد لهما فيه فأخرج آدم وحواء مما كانا فيه من العيش والسعة في جوار رحمة الحق والمرافقة مع الأبرار وقيل المعنى إسترلهما أي حملهما على الزلل وهو الخطأ والذنب.

وقال بعض المفسرين من العامة أن إبليس لعنه الله لم يقصد إخراجهم منها وأنما قصد إسقاطه من مرتبته وابعاده كما أبعد هو قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

١- الفتح = ٢

٢- النصر = ٣

٣- غافر = ٥٥

٤- محمد = ١٩

ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَتَهُ، وَأَمَّنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ وَحَدَّرَهُ إِبْلِيسَ  
وَ عَدَاوَتَهُ، فَأَعْتَرَهُ عَدُوهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ  
بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبَدَّلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًّا، وَبِالْغَيْثِ نَدْمًا (الخ)

اختلف المفسرون في كيفية الوسوسة بعد إتفاقهم على أصل وجودها،  
فمنهم من قال أغواهما مشافهة وهو قول ابن عباس و جمهور المفسرين و  
استدلوا عليه بقوله تعالى: **وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ** <sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم دخل إبليس الجنة في فَمِ الْحَيَّةِ وهي ذات أربع كالطاوس من  
أحسن دابة خلقها الله تعالى بعد أن عرض نفسه على كثير من الحيوان فلم  
يدخله إلا الحية فلما دخلت به الجنة خرج من جوفها إبليس فأخذ من الشجرة  
التي نهى الله آدم وزوجه عنها فجاء بها إلى حواء فقال أنظري إلى هذه الشجرة  
ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فلم يزل يغويهما حتى أخذتها  
حواء فأكلتها ثم أغوى آدم وقالت له حواء كل فأني قد أكلت فلم يضرني فأكل  
منها فبدت لهما سواتهما وحصلا الذنب فدخل آدم في جوف الشجرة فناداه  
ربه أين أنت فقال أنا هذا يارب قال ألا تخرج قال أستحي منك يارب قال أهبط  
إلى الأرض التي خلقت منها ولعنت الحية ورذت قوائمها في جوفها وجعلت  
العداوة.

بينها وبين بني آدم ولذلك أمرنا بقتلها وقيل لحواء كما أدميت الشجرة  
فكذلك يصيبك الدَّمُ كل شهرٍ وتحملين وتضعين كرهاً تشرفين به عن الموت  
مراراً زاد الطبري والنقاش، وتكوني سفيهة وقد كنت حليمة وقالت طائفة أن  
إبليس لم يدخل الجنة إلى آدم بعد ما أخرج منها وأما أغوى بشيطانه و  
سلطانه وسواسه التي أعطاه الله تعالى كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي  
مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ انتهى ما ذكره القرطبي في تفسيره.

قال الرّازي بعد نقله ما نقلناه في كيفية وسوسة الشّيطان لهما ودخوله في فَم الحيّة ما هذا لفظه وإعلم أنّ هذا وأمثاله ممّا يجب أن لا يلتفت اليه لأنّ إبليس لو قدر على الدخول في فم الحيّة فلم لم يقدر على أن يجعل نفسه حيّة ثمّ يدخل الجنّة ولأنّه لمّا فعل ذلك بالحيّة فلم عوقبت الحيّة مع أنّها ليست بعاقلة ولا مكلفة، ثمّ ذكر وجوهاً في كيفية إغواء لهما.

منها أنّ إبليس دخل الجنّة في صورة دابةٍ وهذا القول أقلّ فساداً من الأوّل. ومنها قال بعض أهل الأصول أنّ آدم وحواء لعلهما كانا يخرججان الى باب الجنّة وإبليس كان يقرب من الباب ويوسوس اليهما.

ومنها أنّ إبليس كان في الأرض وأوصل الوسوسة اليهما في الجنّة قال بعضهم وهذا بعيد لأنّ الوسوسة كلام خفيّ والكلام الخفيّ لا يمكنه إيصاله من الأرض الى السّماء هذا ما قالته العامّة في تفسير الآية مع إختلاف يسير في كلماتهم.

وقال بعض المفسّرين من الشيعة ما هذا لفظه، فأزلهما الشّيطان عنها، به وسوسته وخديعته وعداوته وغروره بأن بدأ بآدم فقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشّجرة إلّا أن تكونا ملكين، أن تناولتما منها تعلمان الغيب وتقدران على ما يقدر عليه من خصّه الله بالقُدرة أو تكونا من الخالدين لا تموتان أبداً و قاسمهما أي حلف لهما أنّي لكما لمن النّاصحين وكان إبليس بين لِحيتي الحيّة أدخلته الجنّة وكان آدم يظنّ أنّ الحيّة هي التي تخاطبه ولم يعلم أنّ إبليس قد إختبى بين لِحيتها فرّد آدم على الحيّة وقال أيتها الحيّة هذا من غرور إبليس كيف يخوننا ربّنا أم كيف تعظمين الله القسم به وأنت تنسبينه الى الخيانة وسوء النظر وهو أكرم الأكرمين كيف أروم التّوصل الى ما منعني منه ربّي و أتعاطاه بغير حكمه فلمّا آيس إبليس من قبول آدم منه عاد ثانية بين لِحيتي الحيّة فخاطب حواء من حيث يوهما أنّ الحيّة هي التي تخاطبها وقال يا

حواء أرأيت هذه الشجرة التي كان الله عز وجل حرّمها عليكم فقد أحلّها لكم بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما له وتوقير كما آياه وذلك أنّ الملائكة الموكلين بالشجرة التي معها الحراب يدفعون عنها سائر حيوانات الجنّة لا تدفعك عنها إنّ رمتها فإعلمي بذلك أنّه قد أحلّ لك وأبشري بأنك إنّ تناولتها قبل آدم كنت المسلّطة عليه الأمرة النّاهية فوقه فقالت حواء سوف أجرب هذا فرامت الشجرة فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابطها فأوحى الله اليهم أنّما تدفعون بحرابطكم من لا عقل له يزجره فأما من جعلته متمكناً مميّزاً مختاراً فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجة عليه فإن أطاع إستحق ثوابي و أن عصي وخالف أمري إستحق عقابي و جزائي فتركوها ولم يتعرضوا لها بعد ما همّوا بمنعها بحرابطهم فظنّت أنّ الله نهاهم عن منعها لأنّه قد أحلّها بعد ما حرّمها فقالت صدقت الحيّة وظنّت أنّ المخاطب لها هي الحيّة فتناولت منها و لم تنكر من نفسها شيئاً فقالت لآدم ألم تعلم أنّ الشجرة علينا قد أبيحت لنا تناولت منها ولم يمنعي إملاكها ولم أنكر شيئاً من حالي فلذلك إغترّ آدم فتناول، فأخرجهما ممّا كانا فيه، من النّعم و قلنا يا آدم و يا حواء و يا أيّتها الحيّة و يا إبليس، إهبطوا بعضكم لبعض عدوّ، و آدم و حواء و ولدتهما عدوّ للحيّة و إبليس و هما و أولادهما أعدائهم و كان هبوط آدم و حواء و الحيّة من الجنّة، و لكم في الأرض مُستقرّ، أي منزل و فقر للمعاش، و متاع، أي منفعة إلى حين، حين الموت و في رواية يعني إلى يوم القيامة.

أقول فأذكره ﷺ حقّ موافق للآثار والأخبار المروية عن أهل البيت عليهم السّلام والشّيعة لا تقول إلّا بما كان كذلك فإنّ أهل البيت أدرى بما في البيت والذي يمكن أن يُفهم في المقام هو أنّ الله تعالى خلق آدم و حواء وأعطاهما العقل ثمّ نهاهما عن الشجرة ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حي عنها و لاجل هذا قال في الحديث المذكور، فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجة عليه

وفيه سيردقيق وهو أنَّ الله تعالى أراد وشاء أن يعبد على هذا الأساس أي على الاختيار النَّاشئ من العقل الحاكم بين الخير والشر ولذلك نهى الملائكة، عن دفعهما وقال أنما تدفعون بحرابكم من لا عقل له يزجره فأما من جعلته متمكناً مُمَيَّزاً مختاراً فكلوه إلى عقله ومنه يظهر أنَّ آدم وحواء كانا مختارين في فعلهما ولم يكونا مجبورين وهكذا يكون أولاده إلى يوم القيامة وفي قوله تعالى: **إِلَىٰ حِينٍ** في آخر الآية إشارة إلى إنقطاع الحياة لنسل آدم وهو كذلك لأنَّ الدُّنيا بأسرها فانية ونعمها دائرة غير باقية لقوله تعالى: **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** <sup>(١)</sup>

**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** فالبحت

يقع في موضعين

أحدهما: في الكلمات.

ثانيهما: في التوبة

**أَمَّا الْأَوَّلُ:** اختلفوا في المراد بها ف قيل في معناه أي فهم وفطن وقيل قبل وأخذ به وكان **عَلَيْهِ السَّلَام** يتلقى الوحي أي يستقبله ويأخذه ويتلقفه نقول خرجنا نتلقى الحجيج أي نستقبلهم وقيل معنى تلقى، تلقن ونقل عن مكِّي أنه قال أي ألهمها فانتفع بها وقال الحسن **عَلَيْهِ السَّلَام** قبولها لعلها لها وعمله بها.

و أما الكلمات فقال ابن عباس والحسن وسعيد ابن جبير والضحاك ومجاهد هي قوله تعالى: **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** <sup>(٢)</sup>

وعن مجاهد أيضاً سبحانه اللهم لا إله إلا أنت ربِّي ظلمت نفسي فأغفر لي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

وقال قوم رأى مكتوباً على ساق العرش محمد رسول الله ﷺ فشفع بذلك فهي الكلمات.



وقالت طائفة الكلمات البكاء والحياء والدعاء وقيل الندم والإستغفار والحزن وقيل الكلمات قوله حين عطس، الحمد لله والأقوال كثيرة في التفسير وقال في الكشف نقلاً عن ابن مسعود أنه قال أن أحب الكلام الى الله ما قاله أبونا آدم حين إقترف الخطيئة، سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فأغفر لي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ونقل عن ابن عباس أن آدم قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يارب أن ثبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم انتهى.

أقول هذه الأقوال التي ذكرها أهل السنة في تفاسيرهم لم تقم على صحتها دليل من العقل والشرع وإنما هي من المستخرجات الظنية بل الوهمية التي لا يمكن حمل كلام الله عليها كما هو واضح على المتأمل.

روي في معاني الأخبار بأسناده عن ابن عباس قال: سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتأب عليه قال سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ثبت علي فتأب الله عليه.

وأيضاً بأسناده عن أبي سعيد المدائني في قول الله عز وجل: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ قَالَ: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام<sup>(١)</sup>.

وعن الكافي عن أحدهما، أن الكلمات لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فتبت علي أنك أنت التواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوء وظلمت

نفسى فإغفر لي وأنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوءً و ظلمت نفسى فإغفر لي وإرحمني أنك أنت أرم الرّاحمين.

و في رواية بحق محمدٍ و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و في رواية أخرى بحق محمدٍ و آل محمدٍ و عن تفسير العسكري، لما زلت من آدم الخطيئة و إعتذر الى ربّه عزّ و جلّ قال ياربّ تب عليّ و أقبل معذرتي و أعدني الى مرتبتي و إرفع لديك درجتي فلقد تبّين نقص الخطيئة و ذلّها بأعضاء بدني قال الله تعالى يا آدم أما تذكر أمري إيّاك بأن تدعوني بمحمدٍ و آله الطيّبين عند شدائدك و دواهيك و في النوازل التي تبهضك قال آدم ياربّ بلى قال الله عزّ و جلّ فبهم بمحمدٍ و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين خصوصاً فأدعني أجبك الى ملتصقك و أزدك فوق مرادك فقال آدم ياربّ الهي و قد بلغ عندك في محلهم أنك بالتّوسل بهم تقبل توبتي و تغفر خطيئتي و أنا الذي أسجدت له ملائكتك و أتحت جنتك و زوجتة حواء أمتك و أخدمته كرام ملائكتك قال الله يا آدم أنما أمرت الملائكة بتّعظيمك بالسّجود لك اذ كنت و عاء هذه الأنوار و لو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها و أن أظنك لدواعي عدوك إبليس حتّى تحترز منها لكنت قد جعلت ذلك ولكنّ المعلوم في سابق علمي يجري موافقاً لعلمي و الآن فبهم فأدعني لأجيبك فعند ذلك قال آدم اللهم بجاه محمدٍ و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و الطيّبين من آلهم تفضّلت بقبول توبتي و غفران زلّتي و إعادتي من كرامتك الى مرتبتي فقال الله عزّ و جلّ قد قبلت توبتك و أقبلت برضواني عليك و عرفتُ نعمائي و ألأني اليك و أعدتك الى

مرتبك من كراماتي و وفّرت نصيبك من رحماتي فذلك قوله عزّ وجلّ: **فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** <sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً بأسناده عن رسول الله ﷺ قال ﷺ: يا عباد الله أن آدم لما رأى النور ساطعاً من صُلبه إذ كان تعالى قد نقل أشباحنا من ذروة العرش الى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح فقال آدم ياربّ لو بيّنتها لي فقال الله عزّ وجلّ أنظر يا آدم الى ذروة العرش فنظر آدم و وقّع أنوار أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فإنطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصّافية فرأى أشباحنا فقال ما هذه الأشباح ياربّ قال الله تعالى يا آدم هذه أشباح أفضل خلّاقي و بريّاتي هذا محمّد وأنا المحمود الحميد في أفعالي شققت له إسماً من إسمي وهذا عليّ وأنا العليّ العظيم شققت له اسماً من إسمي وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل القضاء و فاطم أوليائي ممّا يعزّوهم و يشينهم فشققت به إسماً من إسمي و هذان الحسن والحسين وأنا المُحسن المُجمل شققت إسمهما من إسمي، هؤلاء خيار خليقتي و كرائم بريّتي بهم أخذ و بهم أعطي و بهم أعاقب و بهم أثيب فتوسّل بهم إليّ يا آدم و اذا دهتك داهي فإجعلهم لي شفعاك فأنّي آليت على نفسي قسماً حقاً أن لا أخيب لهم أملاً ولا أرد لهم سائلاً فذلك حين زلت منه الخطيئة ودعا الله عزّ وجلّ بهم فتبت عليه و غفرت له انتهي <sup>(٢)</sup>.

أقول قد ذكر ﷻ روايات أخر أن شئت فراجعها وهذا هو الذي إعتمد عليه أتباع أهل البيت عليهم السّلام في تفاسيرهم ومؤلفاتهم وعقائدهم فأنهم سفن النّجاة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها والحمد لله على هذه النعمة ولنعم ما قيل فيهم:

مُطْهَرُونَ نَقِيَّات ثِيَابِهِمْ      تُتْلَى الصَّلَاة عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا ذَكَرُوا  
 مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيًّا حِينَ تَنَبَّه      فَمَا لَهُ فِي قَدِيم الدَّهْرِ مَفْتَحُ  
 وَاللَّهِ لَمَّا بَرِئَ خَلْقًا فَأَتَقَنَهُ      صَفَاكُمْ وَإِصْطَفَاكُمْ أَتَيْهَا الْبِشْرُ  
 فَأَنْتُمْ الْمَلَاءُ الْأَعْلَى وَعِنْدَكُمْ      عِلْمُ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّورُ

الثاني في تفسير قوله تعالى، فَتَابَ عَلَيْهِ أَنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ، التَّوْبَةُ، مصدر تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا وَتَوْبَةً وَهِيَ فِي الْأَصْلِ الرَّجُوعُ يُقَالُ تَابَ إِلَى اللَّهِ رَجَعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَيْهِ وَالْمُرَادُ بَقْبُولِ التَّوْبَةِ إِسْقَاطُ الْعِقَابِ بِهَا وَهُوَ مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ وَأَتَمَّ الْخِلَافَ فِي أَنَّهُ هَلْ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ الْقَبُولَ حَتَّى لَوْ عَاقَبَ بِهَا بَعْدَ التَّوْبَةِ كَانَ ظُلْمًا، أَوْ هُوَ تَفَضَّلَ مِنْهُ وَكَرَّمَ لِعِبَادِهِ وَرَحِمَهُ لَهُمْ فَالْمَعْتَزَلَةُ عَلَى الْأَوَّلِ وَالْأَشَاعِرَةُ عَلَى الثَّانِي وَالِيهِ ذَهَبَ الشَّيْخُ الطُّوسِي ﷻ فِي كِتَابِ الْإِقْتِصَادِ وَالْعَلَامَةُ ﷻ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ الْكَلَامِيَّةِ وَتَوَقَّفَ الْمُحَقِّقُ الطُّوسِي فِي التَّجْرِيدِ، وَأَمَّا فِي الْإِصْطِلَاحِ فَهِيَ النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ لِكَوْنِهِ ذَنْبًا وَفِي الْحَدِيثِ النَّدَمُ تَوْبَةٌ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا

بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ <sup>(١)</sup>

ثُمَّ أَنَّهُ لَا شَكَّ فِي حُسْنِ التَّوْبَةِ مِنَ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا أَنَّ التَّوْبَةَ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ غَيْرُهَا فَيُنَالُ فِي مَعْنَاهَا اللَّغْوِي وَالْإِصْطِلَاحِي بَلْ مِنْ حَيْثُ الْمُنْشَأُ وَالْمُبْدَأُ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّوْبَةَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْنَا رَجُوعٌ عَنِ الذَّنْبِ الْمَسْلُومِ

المقطوع يقيناً كبيراً كان الذنب أو صغيراً فمنشأ التوبة هو الذنب الواقعي. أما في حق الأنبياء والأوصياء فليس الأمر كذلك لأن منشئها فيهم ترك الأولى المعبر عنه بالذنب لفظاً لا واقعاً وقد مرّ الكلام فيها في حقهم إجمالاً وسيجي مفضلاً وهكذا يجي البحث في معنى التوبة فينا في تفسير الآيات الواردة فيها وحاصل الكلام في المقام هو أن آدم تاب إلى الله فتاب الله عليه على ما مرّ الكلام فيه وقلنا في تفسير الكلمات أنها هي التي صارت سبباً بقبول توبته و إنما خصّ الله التوبة بآدم في الآية ولم يذكروا حواء مع أنها أيضاً ثابتة لأنها كانت تابعة لآدم كما هو شأن النساء في القصر والإتمام وسائر الأمور و إنما لأنها أي المرأة مستورة فأراد الله الستر لها كما قال بعض المفسرين وقيل أنه دلّ بذكر التوبة عليه إذ أمرهما سواء، كما قال الشاعر:

رمانى بأمرٍ كنت منه ووالدى بريئاً ومن فوق الطوى رمانى  
وقال بعض المفسرين أن آدم لمّا خوطب في أول القصّة بقوله تعالى: قُلْنَا  
يَا آدَمُ اسْكُنْ الْخ.

خصّه بالذكر في التلقي فلذلك كملت القصّة بذكره وحده.  
أقول هذه الوجوه لا بأس بها والذي يقوي في النفس أن آدم لمكان عصمته  
كان الذنب منه غير مترقبٍ و إنما حواء فلم يقم دليل على عصمتها ولم يقل بها  
في حقها أحد ولذلك خصّ آدم بالذكر والله أعلم بحقائق الأمور.  
وأما قوله تعالى: قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ  
تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

فالمعنى قلنا اهبطوا، والخطاب لآدم و حواء وإبليس، منها أي من الجنة  
فإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى أي بيان ودلالة وقيل أنبياء ورُسُل فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ  
أي إقتدى رُسلي وإحتذى أدلتي فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أي فلا  
يلحقهم الخوف من أهوال يوم القيامة من العقاب، وفي مسائل.

الأولى: إختلفوا في المخاطب بالإهباط هو على أقوالٍ.

**أولها:** أن المخاطب، آدم وحواء وإبليس وهو قول الزجاج.

**ثانيها:** آدم وحواء والحيّة.

**ثالثها:** آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما.

**رابعها:** أن الخطاب لآدم وحواء فقط والإثنين جمع على عادة العرب.

**خامسها:** آدم وحواء والوسوسة وهو أضعف الأقوال ويتلوه في الضعف

القول الثاني ثم الثالث بالأقوى هو الأخير منها وأن كان الأول أظهر الثانية قالوا

أن الهبوط في المقام من السماء إلى الأرض كما أن الهبوط الأول من الجنة إلى

السماء قال الجبائي ولا نعلم من أين ذكر هذا القول وأظن أنه من إستبساطه و

إستظهاره وهو ليس بمعتمد في تفسير القرآن وعمدة أدلتهم في هذه الأقوال

أنهم فسروا الهبوط من مكان أعلى إلى مكان أسفل وحيث إعتقدوا بأن الجنة

في السماء السابعة و آدم وحواء كانا فيها فأهبطا منها إلى سماء الدنيا أولاً و

منها إلى الأرض ثانياً ولم يعلموا أن وجود الجنة التي كان آدم وحواء فيها في

السماء السابعة أول الكلام وقد قلنا سابقاً أن الجنة كانت بستاناً من بساتين

الأرض وعليه فمعنى الهبوط إنتقالهما من موضع إلى موضع آخر أو في منزل

إلى منزل آخر لم يكن في الشرف مثل الأول كما قال لبيد:

كل بني حرة مصيرهم قل وأن أكثروا من العدد

أن يغبطوا يهبطوا وأن أمروا يوماً فهم للفناء والقند

أن قلت لم كثر قلنا اهبطوا قلنا لوجهين:

أحدهما: التأكيد ولما نيط به من زيادة قوله تعالى: **فَإِذَا يَا تَيْتَبُكُم مِّنِّي هَدَىٰ**

ثانيهما: أن قوله: **اهبطوا** في الأول لم يكن خطاباً للجميع بخلافه في

المقام لقوله تعالى جميعاً.

**الثالثة:** أن قوله تعالى **إِمْأً**، شرط وجوابه **الفاء**، و، من شرط آخر وجوابه الذي بعده من قوله **فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** وهو نظير المبتدأ والخبر الذي يكون خبره مبتدأ وخبراً وهذا في مقدمات القياس يُسمّى بالشرطية المركبة وذلك أن المقدم فيها اذا وجب التالي المرتب عليه

**الرابعة:** أن الهدى المذكور في الآية البيان والدلالة ويمكن أن يكون المراد به الأنبياء والرسل قالوا وعلى الأخير يكون قوله **اهْبِطُوا لَادَمَ وَحَوَّاءَ**، و ذَرِيَّتَهُمَا كما قال تعالى: **فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ أُنْتِينَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**<sup>(١)</sup> أي أتينا بما فينا من الخلق طائعين ومحصل المعنى في الشريعة أن الله تعالى قال لهم إهبطوا أي أنزلوا عن الجنة إلى الأرض التي هي دار التكليف فمن تبع فيها أنبيائي ورسلي فلا خوف عليهم من أهوال القيامة وما يتبعها وهو ظاهر.



## وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

لَمَّا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَىٰ مَتَّبِعِ الْهُدَىٰ بِالْأَمْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْحَزَنِ عَقِبَهُ بِذِكْرِ مَنْ أَعَدَّ لَهُ الْعَذَابَ الدَّائِمَ فَقَالَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَهُمْ أَصْحَابُ الْعَذَابِ الدَّائِمِ وَأَتَمَّا قَدَّمَ الْكَفْرَ عَلَى التَّكْذِيبِ فِي الْآيَةِ لِأَنَّ الْكَفْرَ عِبَارَةٌ عَنْ عَدَمِ الْإِيمَانِ وَهُوَ أَمْرٌ قَلْبِي وَالتَّكْذِيبُ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِنْكَارِ بِاللَّفْظِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْكَارَ بِاللِّسَانِ مُؤَخَّرٌ عَنِ الْإِنْكَارِ بِالْقَلْبِ فَأَنَّ اللِّسَانَ تَابِعٌ لِلْقَلْبِ وَلَا عَكْسَ فَيَصِيرُ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الَّذِينَ أَنْكَرُوا بِقُلُوبِهِمْ وَكَذَّبُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ فَقَدْ جُمِعُوا بَيْنَ الْكَفْرِ فِي الْبَاطِنِ وَالتَّكْذِيبِ فِي الظَّاهِرِ فَهُمْ كَافِرُونَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَذِهِ الْآيَةُ أُخِرَ الْآيَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى النُّعْمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى جَمِيعِ بَنِي آدَمَ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ مِنْ جِهَةِ الْإِعْتِقَادِ وَالنُّعْمِ الظَّاهِرَةِ الْمَحْسُوسَةِ فِي الدُّنْيَا مِنْ جِهَةِ الْمَعَاشِ وَالْحَيَاةِ فَقَدْ أَكْمَلَ النُّعْمَةَ عَلَى عِبَادِهِ لِيَكُونَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ الْحِجَّةُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ <sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْفُتُورُ <sup>(٢)</sup>





يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ  
أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)

## ◀ اللغة

إِسْرَائِيلُ: إسم أعجمي ولذلك لم ينصرف وفيه سبع لغات إسرائيل وهي لغة القرآن وإسرائيل بمدة مهموزة مختلصة، حكاها شنود عن درش وإسرائيل بمدة بعد الياء من غير همزة وهي قراءة الأعمش وعيسى ابن عمر وقرأ الجسن والزهرى بغير همز ولا مد، وإسرائيل، بغير ياء به همزة مكسورة وإسراول به همزة مفتوحة وإسرائيلين، بالتون في لغة تميم، ومعنى إسرائيل عبد الله ونقل عن ابن عباس أنه قال، إسرا، بالعبرانية هو عبد، وإيل هو الله وقيل إسراء هو صفوة الله وإيل، هو الله وقيل إسرا، من الشد فكأن إسرائيل الذي شده الله وإتقن خلقه ذكره المهدوي، وقال السهيلي، سمي إسرائيل لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر إلى الله تعالى فسمي إسرائيل أي أسرى إلى الله وكيف كان المراد به في الآية هو يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام كذا قال أبو الفرج الجوزي.

ونقل عنه أنه قال ليس في الأنبياء من له إسمان غيره إلا نبينا محمد ﷺ فأن له أسماء كثيرة ذكره في كتاب مفهوم الآثار له هكذا قال القرطبي وما ذكره ليس بشي فقد نقل عن الخليل أن خمسة من الأنبياء ذو إسمين محمد وأحمد، وعيسى والمسيح وإسرائيل ويعقوب ويونس وذوالتون والياس وذو الكفل عليهم السلام.

بِعَهْدِي: الْعَهْدُ حِفْظُ الشَّيْءِ وَمُرَاعَاتُهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ.  
فَارْهَبُونِ: الرَّهْبَةُ مَخَافَةٌ مَعَ تَحَرُّزٍ وَاضْطِرَابٍ.

## ◀ الإعراب

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ نداء مضاف علامة النصب فيه الياء وحذفت منه التّون للأضافة وإسرائيل في موضع جرٍّ لأنّه مضاف اليه وفتح لأنّه غير مُنصرف فيه سببان التّعريف والعجمة اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، اذْكُرُوا، فعل وفاعله مستتر فيه نِعْمَتِيَ مفعول له، الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ في موضع النّصب على البدلية اَوْفُوا بِعَهْدِي معطوف على اذْكُرُوا نِعْمَتِي، اَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ.

## ◀ التفسير

إِعلم أَنّه لَمّا عَمَّ الله جميع الخلق بالحجج الواضحة الدّالة على التّوحيد و النّبوة والمعاد وبيّن لهم ما أنعم به عليهم في أبيهم آدم على سبيل الإجمال عقبها بذكر الإنعامات الخاصّة على أسلاف اليهود كسرّاً لعنادهم ولجأهم بتذكير النّعم السّالفة وإستماله قلوبهم بسببها فقال تعالى: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ. فالمقاصد ثلاثة.

المقصد الأوّل: في قوله تعالى: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ.

المقصد الثّاني: في تفسير قوله تعالى: اَوْفُوا بِعَهْدِي اَوْفِ بِعَهْدِكُمْ. المقصد الثّالث: في تفسير قوله: وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ.

أمّا المقصد الأوّل: فنقول قال الله تعالى مخاطباً لبني إسرائيل وهم أولاد يعقوب ابن اسحاق ابن إبراهيم عليه السلام بالإتفاق، اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ والبحث فيه تارة في أصل النّعمة وأنها ما هي وخرى في أنّ النّعمة الّتي أعطاهم الله ما هي.

أما النعمة فقد قالوا في تعريفها أنها المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير.

و منهم من يقول المنفعة الحسنة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير وأنما زادوا في تعريفها، الحسنة، لأن النعمة ما يستحق بها الشكر فإذا كانت قبيحة لم يستحق بها الشكر والحق أن هذا لقيد غير معتبر فيها لأنه يجوز أن يستحق الشكر بالإحسان وأن كان فعله محظوراً ضرورة أن جهة إستحقاق الشكر غير جهة إستحقاق الذم والعقاب فأبي امتناع في اجتماعهما ألا ترى أن الفاسق يستحق الشكر بأنعامه والذم بمعصيته فلم لا يجوز أن يكون الأمر كذلك ثم أن قولهم، المنفعة، لأن المصرة المحضته لا تكون نعمة و قولهم المفعولة على جهة الإحسان لأنه لو كان نفعاً وقصد الفاعل نفع نفسه لا نفع المفعول به كمن أحسن إلى زوجته أو صديقه ليبرح عليها أو أراد إستدراجها إلى ضرر واختداعه كمن أطعم غداءً مسموماً ليهلكه لم يكن ذلك نعمة فأما إذا كانت المنفعة على جهة الإحسان إلى الغير كانت نعمة بلا كلام إذا عرفت النعمة وحدها فأعلم أن كل ما يصل إلينا أثناء الليل والنهار في الدنيا والآخرة من النفع ودفع الضرر فهو من الله تعالى كما قال: وما بكم من نعمة فمن الله. ثم أن النعمة على ثلاثة أوجه.

أحدها: ما تفرّد الله تعالى به نحو الخلق والرّزق.

ثانيها: ما وصل إلينا بواسطة غيره بأن خلق النعمة والمنعم وما مكن المنعم من الأنعام وجعل فيه قدرة الأنعام وداعية فهذه النعمة أيضاً في الحقيقة من الله تعالى ألا أنه لما أجراها بيد عبده كان ذلك العبد مشكوراً و لكن المشكور في الحقيقة هو الله ولهذا قال: أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ<sup>(١)</sup> فبدء بنفسه وقال ﷺ النَّاسُ، من لم يشكر الخلق لم يشكر المخلوق.

فصل في تفسیر القرآن

جزء ١

المجلد الأول

**ثالثها:** ما وصل الى العبد من الله تعالى بواسطة طاعاته وهي أيضاً في الحقيقة من الله تعالى لأنه وفق العبد على الطاعة وأعانها عليها فطهر بهذا التقرير أن جميع النعم من الله تعالى في الواقع واليه الإشارة بقوله: **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ<sup>(١)</sup>**.

و أيضاً أن نعم الله علينا مما لا يمكن عدّها وحصرها كما قال تعالى: **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا<sup>(٢)</sup>** وإستدلوا على المدعى عقلاً بأن المنفعة هي اللذة أو ما يكون وسيلة إليها وجمع ما خلق الله كذلك لأن كل ما يلتذ به نعمة وكل ما لا يلتذ به فهو وسيلة الى دفع الضرر والذي لا يكون جالباً للنفع الحاضر ولا دافعاً للضرر الحاضر فهو صالح لأن نستدل به على الصانع الحكيم فيقع ذلك وسيلة الى معرفته وطاعته وهما وسيلتان الى اللذات الأبدية فثبت أن جميع مخلوقاته نعم على العبيد ولكن العقول قاصرة عن تعديدها فضلاً عن الإحاطة بها ونعني بعدم فناء النعم عن عدم تناهيها بحسب الأنواع والأشخاص وأما بحسب الأجناس فهي متناهية وبذلك يندفع ما قيل أو يقال بأنه إذا كانت النعم غير متناهية فكيف يصح الأمر بتذكرها ومن المعلوم أن غير المتناهي لا يمكن التذكر به وإذا ثبت إستحقاق الحمد والثناء والطاعة على إيصال النعمة وهي منه تعالى فينتج أن الله تعالى هو المستحق لحمد الحامدين وشكر الشاكرين والى هذا المعنى أشار بقوله:

قال الله تعالى: **قَالَ هَلْ يُسْمِعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ<sup>(٣)</sup>**

قال الله تعالى: **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ<sup>(٤)</sup>**  
قال الله تعالى: **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ<sup>(٥)</sup>**

أَنْ نِعَمَ اللَّهُ وَأَنْ كَانَتْ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ لَا يُمْكِنُ عَدَّهَا وَلَا إِحْصَائُهَا إِلَّا أَنَّ أَوَّلَهَا  
مَعْلُومٌ لَنَا وَهُوَ نِعْمَةُ الْحَيَاةِ وَالْوُجُودِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَلَرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ<sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ<sup>(٢)</sup>

وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهَا وَالْوُجُودُ رَأْسُ النِّعَمِ وَهُوَ نِعْمَةٌ عَامَّةٌ تَشْمَلُ جَمِيعَ  
الْمَوْجُودَاتِ ثُمَّ بَعْدَهُ تَصِلُ النَّوْبَةُ إِلَى سَائِرِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ عَلَى  
حَسَبِ مَرَاتِبِهَا إِذَا عُرِفَتْ هَذَا فَتَقُولُ:

أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَذْكَرَ شَطْرًا مِنَ النِّعَمِ الَّتِي خَصَّهَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَتَبَيَّنَ  
كَفَرَهُمْ وَطُغْيَانَهُمْ وَعَصْيَانَهُمْ بَدَلًا مِنَ الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ وَأَنَّهُمْ كَيْفَ وَقَعُوا  
فِي الْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بَعْدَ مَا كَانُوا فِي سَعَةٍ وَرَخَاءٍ جَزَاءً بِمَا  
كَسَبُوا بِأَيْدِيهِمْ وَنَكَالًا لِمَا تَرَكُوا الشُّكْرَ بِأَقْسَامِهِ عَلَى مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فِي دَارِ  
الدُّنْيَا مِنَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَالنَّجَاةِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ وَإِنْزَالِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى  
عَلَيْهِمْ وَغَيْرِهَا مِمَّا سَتَقَفَ عَلَيْهِ فِي الْآيَاتِ فَفِي كُلِّ ذَلِكَ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ  
وَإِنْذَارٌ لِكُلِّ مَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ فِي كُفْرَانِ النِّعْمَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى<sup>(٣)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ<sup>(٤)</sup>

الْمَقْصِدُ الثَّانِي: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ أَيِ أَوْفُوا  
بِمَا أَمَرْتَكُمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَنَهَيْتَكُمْ عَنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي، أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ أَيِ أَرْضِ  
عِنْدَكُمْ وَادْخُلِكُمُ الْجَنَّةَ وَهُوَ الَّذِي رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَدَلِيلُهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي  
بَايَعْتُمْ بِهِ<sup>(٥)</sup>

فِيهِ الْفَرْقَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ١

المجلد الأول

٢- البقرة = ٢١

١- الرحمن = ١/٢/٣/٤

٤- يوسف = ١٩١

٣- النازعات = ٢٦

٥- التوبة = ١١١

قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ  
الْجَنَّةُ (١)

والقول الثاني: أن المراد بالعهد في الآية ما أثبتته في الكتب المتقدمة من  
وصف محمد ﷺ وأنه يبعثه على ما صرح به في سورة المائدة حيث قال:

قال الله تعالى: وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَى قَوْلِهِ لَأُكَفِّرَنَّ  
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ (٢)

قال الله تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ  
مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ (٣)

وأما عهد الله معهم فهو أن يُنجز لهم ما وعدهم من وضع ما كان عليهم من  
الأصر والأغلال التي كانت في أعناقهم.

قال الله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ  
ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ (٤)

قال الله تعالى: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ  
اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ  
بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (٥)

فهذا عهد الله معهم وقد نبذوه وراء ظهورهم ومكروا مكراً والله خير  
الماكرين.

القول الثالث: أن العهد قد يضاف إلى المعاهد وقد يضاف إلى المتعاهد  
ولعل الأول في الآية مضاف إلى الفاعل والثاني إلى المفعول فإنه تعالى عهد  
إليهم بالإيمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وإنزال الكتب وعدهم

بالتَّوَابِ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ وَلِلْوَفَاءِ بِهَا عَرِضٌ عَرِضٌ فَأُولَٰ مَرَاتِبِ الْوَفَاءِ هُوَ الْإِتْيَانُ بِكَلِمَتِي الشَّهَادَةِ وَمِنَ اللَّهِ تَعَالَى حَقْنَ الدِّمِّ وَالْمَالِ وَأَخْرَهَا الْإِسْتِغْرَاقَ فِي بَحْرِ التَّوْحِيدِ بَحِثْ يَغْفِلُ عَنْ نَفْسِهِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِ، وَمِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْفَوْزَ بِاللِّقَاءِ الدَّائِمِ، وَقِيلَ كِلَاهُمَا مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ وَالْمَعْنَى أَوْفُوا بِمَا عَاهَدْتُمُونِي مِنَ الْإِيمَانِ وَإِلْتِزَامِ الطَّاعَةِ أَوْفَ بِمَا عَاهَدْتَكُمْ مِنْ حُسْنِ الْإِثَابَةِ وَهَذَا الْقَوْلُ إِخْتَارَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ وَتَبَعَهُ الْبَيْضَاوِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ.

**القول الرابع :** فِي كِتَابِ مَعَانِي الْأَخْبَارِ بِأَسْنَادِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفَ بِعَهْدِكُمْ، وَاللَّهُ لَقَدْ خَرَجَ آدَمُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ عَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْلَا ذَلِكَ شَيْءٌ فَمَا وَفَى الْقَوْمُ بِهِ وَلَقَدْ خَرَجَ نُوحٌ مِنَ الدُّنْيَا وَعَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْصِيَّتِهِ، سَامٌ، فَمَا وَفَّتْ أُمَّتُهُ، وَلَقَدْ خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الدُّنْيَا وَعَاهَدَ قَوْمَهُ لَوْصِيَّتِهِ إِسْمَاعِيلَ فَمَا وَفَّتْ أُمَّتُهُ وَلَقَدْ خَرَجَ مُوسَى مِنَ الدُّنْيَا وَعَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْصِيَّتِهِ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ فَمَا وَفَّتْ أُمَّتُهُ وَلَقَدْ رَفَعَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدْ عَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْصِيَّتِهِ شَمْعُونُ بْنُ حَمُونِ الصِّفَا فَمَا وَفَّتْ أُمَّتُهُ وَأَنْتِي مَفَارِقُكُمْ عَنْ قَرِيبٍ وَخَارِجٍ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ وَلَقَدْ عَاهَدْتُ إِلَى أُمَّتِي فِي عَهْدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهَا لَرَاكِبَةٌ سَنَنُ مِنْ قَبْلِهَا مِنَ الْأُمَمِ فِي مَخَالَفَةِ وَصِيِّ وَعَصِيَانِهِ إِلَّا وَأَنْتِي مُجَدِّدٌ عَلَيْكُمْ عَهْدِي فِي عَلِيٍّ فَمَنْ نَكَثَ فَأَتَمَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ عَلَيّاً إِمَامُكُمْ بَعْدِي وَهُوَ وَصِيِّ وَزِيرِي وَأَخِي وَنَاصِرِي وَزَوْجُ ابْنَتِي وَأَبُو وَلَدِي وَصَاحِبُ شِفَاعَتِي وَحَوْضِي مِنْ عَصَى عَلِيّاً فَقَدْ عَصَانِي وَمَنْ

عصاني فقد عصى الله و من أطاع علياً فقد أطاعني و من أطاعني فقد أطاع الله عز وجل، يأيها الناس من ردَّ عليَّ علي في قول أو فعل فقد ردَّ علي ومن ردَّ علي فقد ردَّ علي الله فوق عرشه أيها الناس من إختار منكم علي علي إماماً فقد إختار علي نبياً و من إختار علي فقد إختار علي الله عز وجل رباً، أيها الناس أن علياً سيّد الوصيين و قائد الغر المحجلين و مولى المؤمنين وليه ولي و ولي الله و عدوه عدوي و عدوي عدو الله عز وجل أيها الناس أوفوا بعهده الله في علي يوف لكم بالجنة يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

و عن أصول الكافي بأسناده عن أبي عبد الله في قوله عز وجل أوفوا بعهدي قال: قال بولاية أمير المؤمنين، أوف بعهديكم أوف لكم بالجنة<sup>(٢)</sup>.

و بأسناده عن خثيمة قال قال أبو عبد الله: يا خثيمة نحن عهد الله فمن وفى بعهدهنا فقد وفى بعهده الله و من حصرنا فقد حصر ذمه الله الحديث

و بأسناده عنه عليه السلام قال له رجل جلت فداك أن الله يقول أدعوني أستجب لكم وأنا ندعو فلا يستجاب لنا قال عليه السلام لأنكم لاتفون بعهده وإن الله يقول أوفوا بعهدي أوف بعهديكم والله لو وفيتم لله لوفى الله لكم انتهى<sup>(٣)</sup>.

أن قلت الآية وزدت في ذم بني إسرائيل حيث أنهم لم يوفوا بعهده الله لقوله تعالى: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ لَا فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ وَآلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.



قلت خصوصية المورد لا يقدح في عموم الآية ألا ترى أن كثيراً من الآيات كأية الزنا وأية السرقة وأمثالهما موارد لها خاصة فأنها نزلت في شخص خاص زنى أو سرق مثلاً ومع ذلك حكمه يجري إلى يوم القيامة فيمن سرق أو زنى وما نحن فيه من هذا القبيل والأيّلم أن يكون نقض العهد مذموماً في حق بني إسرائيل لأن الآية وردت فيهم لا في حق هذه الأمة وغيرها إذ الآية لا تشملها مثلاً ولا يقول بهذه المقالة عاقل نضلاً عن مسلم وقد ذكرنا في صدر المبحث أن قصص القرآن لأجل العبرة بها في هذه الأمة إلى يوم القيامة وهو ظاهر فإذا كان قوم بني إسرائيل مذمومين لعدم مراعاتهم عهد الله ولاجل ذلك إبتلاءهم الله بالخسران والعذاب في الدنيا والآخرة كما سيجي فهكذا الأمر في هذه الآية لأنهم أيضاً لم يراعوا عهد الله ونبيه في حق أوصيائه وحكم الأمثال واحد.

**المقصد الثالث:** في تفسير قوله تعالى: **وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** أعلم أن الرهبة والخشية والمخافة نظائر والفرق بينهما بالإعتبار وضد الرهبة، الرغبة تقول، رَهَبَ فلان يرهَب رَهَباً ورَهَاباً ورَهَبَةً إذا خاف من شيء ومنه اشتقاق الرَاهِب والإِسْم الرّهبة والفرق بين الخوف والرّهبة أن الخوف هو شك في أن الضرر يقع أم لا والرّهبة معها العلم بأن الضرر واقع عند شرط فإن لم يحصل ذلك الشرط لم يقع وعلى هذا فالمعنى وإيائي خافون وأصله فأرهَبُونِي سقطت الياء أتى بعد التّون لأنها رأس آية وقرأ ابن أبي إسحاق فأرهَبُونِي بالباء وكذا (فأتقوني) على الأصل.

قلنا في شرح اللغات والإعراب، أن إيائي، منصوب بفعل مقدّر وتقديره إيائي فأرهَبُوا فأرهَبُون ونزيد في المقام أنه يجوز في الكلام وأنا فأرهَبُون على الإبتداء والخبر وكون، فأرهَبُون الخبر على تقدير الحذف والمعنى وأنا ربكم فأرهَبُون، والمقصود خافوني في صورة عدم الوفاء بعهدي وإلا فلا، وكيف

كان فالأمر يتضمّن معنى التهديد لمن لا يفي بعهد الله فأنّ العهد ممّا يجب مراعاته لكلّ أحد وفي جميع الموارد.

قال الله تعالى: **وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** <sup>(١)</sup> و سياأتي الكلام فيه.



وَأٰمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ  
كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ  
فَاتَّقُونَ (٤١)

### ◀ اللغة

مُصَدِّقًا: إسم فاعل من التصديق وهو الاعتقاد بالقلب.  
كَافِرٍ بِهِ: الكافر السّاتر وقد مضى الكلام فيه.  
ثَمَنًا: الثمن هو البذل في البيع ويستعمل في غيره مجازاً.  
إِيَّايَ: مضى الكلام فيه.

### ◀ الإعراب

مُصَدِّقًا حال مؤكدة من الهاء المحذوفة في أُنزِلَتْ تقديره، أُنزِلَتْ مَعَكُمْ منصوب على الظرف والعامل فيه الإستقرار أَوَّلَ هي أفعل وفاءها وعينها و أوان عند سيبويه وأصلها، وَوَّلَ، فأبدلت الواو همزة لانضمامها ضمّاً لازماً ولم تخرج على الأصل كراهية إجتماع الواوين ونصب أَوَّلَ كَافِرٍ لَأَنَّهُ خبر كان.

### ◀ التفسير

قال الله تعالى مخاطباً لليهود وَاٰمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ على محمدٍ من القرآن مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ من التّوراة وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ أي بالرسول وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا من حطام الدنيا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ أي وأخشوني في أمر محمد ﷺ وفيها أبحاث:

البحث الأول: في قوله وَاٰمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ أمرهم الله بالإيمان بما أنزل على رسوله وهو القرآن وقد قلنا سابقاً أن الإيمان عبارة عن

الإعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعَمَلُ بالجوارح والأركان وأتَمَّا قال ذلك لأنَّ اليهود وخصوصاً علمائهم كانوا يمنعهم عن أتباع الحقِّ والإقرار به حبُّ الرئاسة والشهوات النفسانية مع علمهم بصدق الرِّسول فقال تعالى مخاطباً لهم أَمِنُوا بما أنزلت على مُحَمَّدٍ ﷺ من القرآن وأَنَّهُ منزل من السَّمَاءِ، مصدّقاً لما معكم، أي أَنَّ القرآن مصدّق لما معكم من التَّوراة وذلك لأنَّ الكتب السَّماوية تصدِّق بعضها بعضاً فَأَنَّ حكم الأمثال واحد والكلُّ منزل من السَّمَاءِ بواسطة الأنبياء لإرشاد الخلق وفيه إيماة إلى أَنَّ الملاك في القبول واحد في التَّوراة والقرآن فلا وجه لقبول التَّوراة وإنكار القرآن (إن قلت، أن كان الأمر على هذا المنوال فلمَ لم يؤمنوا به.

قلت، أَمَّا علماء اليهود فالسَّبب في إنكارهم حبُّ الرئاسة والجهاد وأَمَّا العوام منهم فلم يعلموا به لأنَّ علماء اليهود كانوا يكتُمون الحقَّ عنهم وأتَمَّا قال أَمِنُوا ولم يقل أسلموا، لأنَّ المطلوب والمقصود الحقيقي في الأنيان هو حصول الإيمان الَّذي هو أَعَمُّ من الإسلام وفي قوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ إشارة إلى أَنَّهُم أي علماء اليهود قد علموا بصدق الرِّسول على ما أخبرهم الله في التَّوراة بقلوبهم وأتَمَّا أنكروا نبوته ﷺ باللسان وهذا هو النِّفاق فكأنَّهم ستروا الحقَّ في قلوبهم ولم يظهروه على ألسنتهم ولهذا عبَّر عنهم بالكافر ولم يعبِّر عنهم بالمنكِر وقد مرَّ في معنى الكفر أَنَّهُ في الأصل السُّتْر.

البحث الثاني: في قوله وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا رُوي عن الباقر عليه السلام في تفسير الآية أَنَّهُ قال كان حيَّ ابن أخطب وكعب بن الأشرف وأخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كلِّ سنة فكرهوا بطلانها بأمر النَّبي فحرَّفوا لذلك آيات من التَّوراة فيها صفته وذكره فذلك الثَّمَن الَّذي أريد في الآية.

قال الفراء أنما دخل الباء في، آيات دون الثمن وفي سورة يوسف أدخله في الثمن وقال: وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ لَّأَنَّ الْعُرُوضَ كُلَّهَا أَنْتَ مَخِيرٌ فِيهَا إِنْ شِئْتَ قُلْتَ إِشْتَرَيْتَ الثَّوبَ بِكَسَاءٍ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ أَشْتَرَيْتَ بِالثَّوبِ كَسَاءً أَيْهَمَا جَعَلْتَ ثَمناً لصاحبه جاز فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن كقوله: وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ<sup>(١)</sup> لَّأَنَّ الدَّرَاهِمَ ثَمَنٌ أَبَدًا وَعَلَيْهِ فَاَلْمَعْنَى لَا تَسْتَبَدُّلُوا بِآيَاتِي الَّتِي فِي التَّوْرَةِ فِي صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَعَثَهُ ثَمناً قليلاً أي عرضاً يسيراً من الدنيا قاله الطبرسي في المجمع.

وقال بعض العامة كان الأخبار من اليهود يأخذون الرشوة على تغيير صفة محمد ﷺ عن التوراة فنهوا عنه وقال قوم كانت لهم مأكل يأكلونها على العلم كالراتب فنهوا عنه وقيل أن الأخبار كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك وفي كتبهم يابن آدم علم مجاناً كما علمت مجاناً أي بغير أجرة. وقيل المعنى، ولا تشتروا بأوامري ونواهي وآياتي ثمناً قليلاً يعني الدنيا ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له فسُمي ما إعتاضوه عن ذلك ثمناً لأنهم جعلوه عوضاً فأطلق عليه اسم الثمن وأن لم يكن ثمناً قال الشاعر:

إِنْ كُنْتُ حَاولْتُ ذَنْباً أَوْ ظَفَرْتُ بِهِ فَمَا أَصَبْتُ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

وقال صاحب الكشف كانت عامتهم يعطون أخبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشون الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الأموال ليكتموا أو يحرفوا.

أقول الجامع بين هذه الأقوال هو حب الدنيا ولا غير وليس هذا أول قارورة كسرت في الإسلام.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

البحث الثالث: في قوله تعالى: وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ، والأصل فإتقوني كما مرّ في قوله وإيَّايَ فأرهبون وإيَّايَ منصوب بفعلٍ محذوف والتقدير، إتقوا إيَّايَ فإتقون أمرهم بالتقوى وأصل الإيتقاء الإحتراز لأنه من الوقاية وهي حفظ الشئ مما يؤذيه ويضرّه.

قال الرّاعب التّقوى جعل النّفس في وقايةٍ ممّا يخاف وفي تعارف الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثّم وذلك بترك المحظور وقد تكرر هذا اللفظ في الآيات والأثار كثيراً.

قال الله تعالى: فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَسَبَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا<sup>(٢)</sup>.

و غيرها من الآيات والمراد بقوله تعالى: وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ أي فإيَّايَ فأحذرون أي إحذروا عن معصيتي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَلَا تكونوا أوّل كافرٍ بالرّسول أو إحذروا عن تحريف كتابي.



وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ (٤٢)

### ◀ اللغة

وَلَا تَلْبِسُوا: اللَّبَسُ، السَّتْرُ، وأصل اللَّبَسِ بَسْتَر الشَّيْءَ ويقال ذلك في المعاني على سبيل الإستعارة.  
الْحَقُّ: يقابل الباطل.  
تَكْتُمُوا: الكتمان سَتَر الحديث يقال كَتَمْتُهُ كَتَمًا وَكَتَمَانًا.

### ◀ الإعراب

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ فعل النهي و فاعله والحق مفعوله بِالْبَاطِلِ الجار والمجرور متعلق بالفعل، وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ مجزوم بحكم العطف على قوله ولا تلبسوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ في موضع نصبٍ على الحال.

### ◀ التفسير

لَمَّا أَمَرَهُمُ اللَّهُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِالْإِيمَانِ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى الرَّسُولِ وَنَهَاهُمْ عَنْ إِشْتِرَاءِ الْكِتَابِ بِالثَّمَنِ الْقَلِيلِ وَهُوَ الدُّنْيَا وَزَخَارِفُهَا أُرْدَفَ كَلَامُهُ بِالنَّهْيِ عَنْ تَلْبِيسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ فَقَالَ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَلَا تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَالحال أَنْكُمْ تَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ، فالمطالب ثلاثة.

أحدها: تلبيس الحق بالباطل. ثانيها: كتمان الحق. ثالثها: العلم بهما.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَلَا شَكَّ فِي قُبْحِهِ عَقْلًا وَشَرْعًا.

أَمَّا الْعَقْلُ فَلَا تَه مِنْ عِلَامِ النَّفَاقِ وَالْمَنَافِقِ مُحْكُومٍ فِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ.

أَمَّا النَّقْلُ فَلَا يَاتِ وَالْأَثَارُ.

قال الله تعالى: لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ<sup>(٢)</sup>  
وَأَمَّا الْآثَارُ فَقَدْ مَرَّتْ فِي الْمُنَافِقِينَ وَ سَيَاتِي الْكَلَامِ فِي النِّفَاقِ وَ التَّلْبِيسِ فِي  
مَوْضِعٍ آخَرَ.

أَنْ قُلْتُ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ النِّفَاقِ وَ التَّلْبِيسِ، قُلْتُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِالْإِعْتِبَارِ فَأَنَّ  
النِّفَاقَ عِبَارَةٌ عَنْ مَخَالَفَةِ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ قَوْلًا وَ فِعْلًا، وَ التَّلْبِيسَ عِبَارَةٌ عَنْ إِرَائَةِ  
الْبَاطِلِ بِصُورَةِ الْحَقِّ بِحَيْثُ يَكُونُ الْأَمْرُ مُشْتَبِهًا عَلَى غَيْرِهِ فَهُوَ وَ أَنْ كَانَ مَنْشَأُ  
النِّفَاقِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَطْلُقُونَ عَلَيْهِ الْمُنَافِقَ فَهُوَ بِالْخُدْعَةِ وَ الْمَكْرِ أَشْبَهَ وَ أَمَّا الثَّانِي،  
أَيُّ كِتْمَانِ الْحَقِّ فَهُوَ أَيْضًا مَذْمُومٌ.

قال الله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَلْهَدَىٰ مِنْ بَعْدِ  
مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْتَرُونَ بِهِ  
ثُمَّ نَأْتُوا بَلَدًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ<sup>(٥)</sup>

وَالسَّرِّ فِي قُبْحِهِ عَقْلًا وَ شَرْعًا هُوَ أَنَّ كِتْمَانَ الْحَقِّ يُوجِبُ ظُهُورَ الْبَاطِلِ لِأَنَّ  
الْأَمْرَ يَدُورُ مَدَارَهُمَا وَ هُمَا نَقِضَانُ لَا يَجْتَمِعَانِ وَ لَا يَرْتَفِعَانِ فَلَا بَدَّ مِنْ وَجُودِ  
أَحَدِهِمَا لِثَلَاثٍ يَرْتَفِعُ النَّقِضَانُ فَإِنْ كَانَ الْحَقُّ ظَاهِرًا فَالْبَاطِلُ لَا وَجُودَ لَهُ وَ  
بِالْعَكْسِ فَمَنْ كَتَمَ الْحَقَّ أَظْهَرَ الْبَاطِلَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ وَ لَا يَظْهَرُ الْبَاطِلُ إِلَّا  
أَهْلُهُ.



أما الثالث: وهو قوله: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ففيه إشارة إلى أن كتمان الحق من العالم يُوجب القَدْح والذَّم وأما من الجاهل الذي لا يعلم ولا يعرف الحق فلا لقوله ﷺ رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي تسعة وعَدَّ منها ما لا يعلمون، وأن كان بين القاصر والمقصر فرقٌ من حيث أن الثاني في حكم العاقد دُون الأول وللبحث فيه موضع آخر.

ويستفاد من الآية أن علماء اليهود كانوا يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق عن علم وعمدٍ وهو كذلك في حقهم إلا أن النّهي يشمل كلّ من كان كذلك لعموم النّهي.



## وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)

### ◀ اللغة

قد مضى في صدر السُّورة معنى الصَّلَاة وإقامتها عند قوله تعالى وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ.

الرَّكَاةُ: أصلها النَّمُو الحاصل عن بركة الله تعالى يقال زكا الزَّرْع يَزْكُو إذا حصل منه نموٌ وبركة هذا بحسب الأصل واما في الشَّرْع فتطلق على القَدْر المخرج من المال كما سيأتي.

وَارْكَعُوا: أَمَرٌ مِنَ الرُّكُوع وهو الانحناء فتارةً يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصَّلَاة كما هي، وتارةً في التَّواضع والتذلل إِمَّا فِي الْعِبَادَةِ واما في غيرها.

### ◀ الإعراب

الواو للعطف، أَقِيمُوا الصَّلَاةَ، أَقِيمُوا أَمَرٌ مِنْ إِقَامٍ يَقِيمُ وَفَاعِلُ الْفِعْلِ مُسْتَتْرِفٌ فِيهِ وَالصَّلَاةُ مَفْعُولُ الْفِعْلِ وَآتُوا الزَّكَاةَ، كَذَلِكَ وَأَصْلُ آتَوْا، آتَوْا لِأَنَّهُ مِنْ أَتَى يَأْتِي فَاسْتَقْلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْبَاءِ فَسَكَنْتْ وَحُذِفَتْ لِإِلْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ثُمَّ حَرَكْتَ التَّاءَ بِحَرَكَةِ الْبَاءِ الْمَحذُوفَةِ مَعَ الرَّاكِعِينَ.

### ◀ التفسير

ثُمَّ أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ أَوَّلًا فَقَالَ: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَاتِيَانِ الزَّكَاةِ ثَانِيًا فَقَالَ: وَآتُوا الزَّكَاةَ وَبِالرُّكُوعِ: مَعَ الرَّاكِعِينَ ثَالِثًا. أَمَّا الصَّلَاةُ فَقَدْ مَضَى الْبَحْثُ فِيهَا وَفِي إِقَامَتِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

الصَّلَاةُ الْآيَةُ مَقْصَلاً وَقَلْنَا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي الْأَصْلِ الدَّعَاءُ وَفِي إِصْطِلَاحِ الْمُتَشَرَّعَةِ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَفْعَالِ الْمَخْصُوصَةِ وَالْأَذْكَارِ الْمَأْثُورَةِ بِقِصْدِ الْقَرَبَةِ مِنَ النِّيَّةِ وَتَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ وَالْقِرَاءَةِ وَالرَّكُوعِ وَالسَّجُودِ وَالتَّشَهُّدِ وَغَيْرِهَا وَالْمُرَادُ بِإِقَامَتِهَا إِدَائُهَا بِأَرْكَانِهَا وَحُدُودِهَا وَشَرَائِطِهَا كَمَا بَيَّنَّهَا النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي فَلَا نَعِيدُ الْكَلَامَ بِذِكْرِهَا ثَانِياً وَأَمَّا الزَّكَاةُ، وَهِيَ الْقَدْرُ الْمَخْرُجُ مِنَ الْمَالِ فَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى وَجوبِهَا كَالصَّلَاةِ وَعَدُّوْهَا مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ فِي الْإِسْلَامِ وَحَكَمُوا بِكُفْرٍ مَنْ أَنْكَرَهَا وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ فِيهَا إِجْمَالاً. فنقول، قال في الحدائق، الزَّكَاةُ تَطْلُقُ عَلَى مَعْنَيْنِ، الطَّهَارَةُ وَالزِّيَادَةُ وَالنَّمُوُّ وَمِنَ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا<sup>(١)</sup> أَيِ طَهَّرَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، وَمِنَ الثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى: أَرْزُقْ لَكَمْ وَأَطْهَرُ أَيِ أَنْمَى لَكُمْ إِلَى أَنْ قَالَ تَزَكَّوْا وَهِيَ وَاجِبَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ:

قال الله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ<sup>(٣)</sup>

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَمُتَفِيضَةٌ جَدًّا مِنْهَا مَا رَوَاهُ ثِقَّةُ الْإِسْلَامِ فِي الْكَافِي فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ قَالَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الزَّكَاةِ.

قال الله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ<sup>(٥)</sup>

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَمُسْتَفِيضَةٌ جَدًّا مِنْهَا مَا رَوَاهُ ثِقَّةُ الْإِسْلَامِ فِي الْكَافِي فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الزَّكَاةِ، خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَأُنْزِلَتْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادِيَهُ فَنَادَى فِي النَّاسِ

١- توبة = ١٠٣

٢- توبة = ١٠٣

٣- الشمس = ٩

٤- فصلت = ٦/٧

٥- فصلت = ٦/٧

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْكُمُ الزَّكَاةَ كَمَا فَرَضَ عَلَيْكُمُ الصَّلَاةَ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ خَلٍّ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ وَفَرَضَ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّيْبِ وَنَادَى فِيهِمْ بِذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَعَفَى لَهُمْ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثُمَّ لَمْ يَتَعَرَّضْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى حَالَ عَلَيْهِمُ الْحَوْلُ مِنْ قَابِلٍ فَصَافُوا وَأَفْطَرُوا فَنَادَاهُ فِي الْمُسْلِمِينَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ زَكُّوا أَمْوَالَكُمْ تُقْبَلْ صَلَوَاتُكُمْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ وَجَّهَ عَمَّالَ الصَّدَقَةِ وَعَمَّالَ الطَّسِّ انْتَهَى. الطَّسُّ بِالْفَتْحِ مَا يَوْضَعُ مِنَ الْخِرَاجِ عَلَى كُلِّ جَرِيبٍ مِنَ الْأَرْضِ فَارْسِي مُعَرَّبٌ).

وما رواه عن أبي جعفر وأبي عبد الله قالوا: فرض الله الزكاة مع الصلاة، الظاهر من المعية المقارنة في الرتبة كما يشعر به الحديث الأتي.

وما رواه أيضاً عن معروف بن حربوز عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَرَنَ الزَّكَاةَ بِالصَّلَاةِ قَالَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَمَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَلَمْ يَأْتِ الزَّكَاةَ فَلَمْ يُقِيمِ الصَّلَاةَ انْتَهَى.

وما رواه في الفقيه عن أبي عبد الله بن مسكان يرفعه إلى أبي جعفر قال عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ قَالَ قُمْ يَا فُلَانُ قُمْ يَا فُلَانُ حَتَّى أَخْرَجَ خَمْسَةَ نَفَرٍ فَقَالَ وَاللَّهِ وَبِشَايِئِهِ أَخْرَجُوا مِنْ مَسْجِدِنَا لَا تَصَلُّوا فِيهِ وَأَنْتُمْ لَا تَزْكُونَ انْتَهَى.

وما رواه في الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ مَنَعَ قِيرَاطاً مِنَ الزَّكَاةِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مُسْلِمٍ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى (رَبِّ أَرْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ) وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى وَلَا تُقْبَلُ. وما رواه فيه أيضاً عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ

مَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ سَأَلَ الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ رَبِّ أَرْجِعُونِ  
لِعَلِّي أَعْمَلَ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ.

و ما رواه فيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من منع  
قيراطاً من الزَّكَاةِ فليمتُ إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً إلى غير  
ذلك من الأخبار الواردة في الباب.

و أما الآيات فقد وردت في الحث عليها أكثر من خمسين آية قد قرنها  
مَعَ الصَّلَاةِ فِي أَكْثَرِهَا:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ  
آتَوْا الزَّكَاةَ<sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ  
مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ<sup>(٢)</sup>  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا  
سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٣)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ  
أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ<sup>(٤)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي  
الدِّينِ<sup>(٥)</sup>

قال العلامة رحمته في التذكرة أجمع المسلمون كافة على وجوبها في جميع  
الأعصار وهي أحد الأركان الخمسة (لعل مراده بالأركان الخمسة قوله عليه السلام  
بني الإسلام على خمس، الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية وما  
نؤدي بشئٍ فيها كما نؤدي بالولاية.

في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

٢- البقرة = ١١٠

٤- التوبة = ١٨

١- البقرة = ٢٧٧

٣- التوبة = ٥

٥- التوبة = ١١

قال ﷺ إذا عرفت هذا فمن أنكر وجوبها ممن ولد على الفطرة ونشأ بين المسلمين فهو مرتد يقتل من غير أن يستتاب وأن لم يكن عن فطرة بل أسلم عقيب كفر مع علمه بوجوبها أستثيب ثلاثاً فإن تاب وإلا فهو مرتد وجب قتله وأن كان ممن يخفي وجوبها عليه لأنه نشأ بالبادية أو كان قريب العهد بالإسلام عُرِف وجوبها ولم يحكم بكفره انتهى.

أقول، لاشك في وجوبها بل كونها من ضروريات الدين كما عرفت وأما تفصيل الكلام فيها وبيان شرائطها فموكول إلى كتب الفقه من العامة والخاصة. وأما قوله تعالى: **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** فلقال أن يقول لِمَ خُصَّ الرُّكُوعُ في الآية وهو من أفعال الصلاة أليس قوله: **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ** مُغْنٍ عنه والجواب عنه من وجوه ذكرها الطبرسي في المجمع:

**أحدها:** أن الخطاب لليهود ولم يكن في صلواتهم ركوع وكان الأحسن ذكر المختص دون المشترك لأنه أبعد من اللبس.

**ثانيها:** أنه عبر بالركوع عن الصلاة يقول القائل فرغت من ركوعي أي صلاتي وأما قيل ذلك لأن الركوع أول ما يشاهد من الأفعال التي يستدل بها على أن الإنسان يصلي فكأنه كَرَّرَ ذكر الصلاة تأكيداً، ثم قال ﷺ ويمكن أن يكون فيه فائدة تزيد على التأكيد وهو أن قوله أقيموا الصلاة إنما تُفِيد وجوب إقامتها ويحتمل أن يكون إشارة إلى صلواتهم التي يعرفونها وأن يكون الصلاة إشارة إلى الصلاة الشرعية وقوله: **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** يكون معناه صَلُّوا مع هؤلاء المسلمين الرَّاكِعِينَ فيكون متخصصاً بالصلاة المتقررة في الشرع فلا يكون تكراراً بل يكون بياناً.

**ثالثها:** أنه حَثَّ على الصلاة جماعة لتقدم ذكر الصلاة في أول الآية انتهى ما ذكره ﷺ.

أقول هذه الوجوه التي ذكرها رَبِّكَ في تفسيره عند الآية هي التي ذكرها غيره من المفسرين من العامة والخاصة بأدنى تفاوت في الألفاظ والعبارات ولا بأس بها وأنا أقول، لا يبعد أن يكون المراد بالركوع في قوله : **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** معناه الآخر وهو التذلل والخضوع وذلك لأن الرّكوع كما يطلق على الإنحناء، يطلق على التواضع والتذلل في العبادة وفي غيرها وعلى هذا فمعنى قوله تعالى: **إِخْضَعُوا** مع الخاضعين و **ذَلُّوا** مَعَ الْمُتَذَلِّلِينَ فهو في الحقيقة نهى عن الإستكبار المذموم عقلاً و شرعاً وذلك لأن اليهود كانوا متكبرين وبه قال الفيض رَبِّكَ في الصّافي حيث قال أي تواضعوا مع المتواضعين لعظمة الله في الإنقياد لأولياء الله ثم قال، وقيل أي في جماعتهم للصلاة، أقول وهذا فردٌ من أفراد ذاك انتهى.



أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَتْلُونَ  
الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٢٤٢)

### ◀ اللغة

بِالْبِرِّ: البر بكسر الباء الإحسان وافتحها ضد البحر.  
تَنْسَوْنَ: من النسيان و ضده الذكر و قالوا في تعريفه النسيان غروب الشيء  
عن النفس بعد حضوره وقد يكون بمعنى الترك و عليه قوله تعالى: نَسُوا اللَّهَ  
فَنَسِيَهُمْ أي تركوا الله فتركهم.  
تَتْلُونَ: مضارع من تلي يتلو وأصل التلاوة القراءة.  
تَعْقِلُونَ: العقل ضد الحمق.

قال الزاغبي في المفردات العقل يقال للقوة المتهينة لقبول العلم و يقال  
للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل فهو مطبوع و مسموع.

### ◀ الإعراب

وَتَنْسَوْنَ أصله تنسيون ثم عمل فيه ما ذكرناه في قوله: اِشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ.  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ إستفهام في معنى التوبيخ و لا موضع له من الإعراب.

### ◀ التفسير

ثم خاطبهم بقوله: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ والإحسان والهمزة للتوبيخ و  
تنسون أنفسكم وأنتم، أي والحال أنتم، تتلون الكتاب و هو التوراة  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ، فأن العاقل يبدأ بنفسه ثم بغيره و من لم يكن كذلك فكأنه غير  
عاقل، قيل أُنْ الآية خطاب لعلماء اليهود و ذلك لأنهم كانوا يقولون لأقرباءهم  
من المسلمين إثبتوا على ما أنتم عليه و هم لا يؤمنون و الهمزة معناه التوبيخ و



قيل أنَّ المراد بالبَرِّ في الآية الإيمان بمحمدٍ ﷺ وقال بعض المُفسِّرين أنَّهم كانوا يأمرُونَ النَّاسَ بالتمسُّكِ بالتَّوْرَةِ وتركوا التمسُّكَ به فأدَّ جحدهم النَّبِيَّ وصفته تركٌ للتمسُّكِ به، وقال بعض، كانوا يأمرُونَ النَّاسَ بطاعةِ اللَّهِ وهو يخالفونه، ثمَّ قال: **وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ**، أي التَّوْرَةَ وفيه صفة الرِّسُولِ ونعته **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** أي أفلا تتفهَّمُونَ ما تفعلونه قبيح في العقول وسبب التعجُّب أمور.

**أحدها:** أنَّ المقصود من الأمر بالمعروف وإرشاد الغير إلى تحصيل المصلحة ومن المعلوم أنَّ الإحسان إلى النَّفْسِ أولى من الإحسان إلى الغير قال اللَّهُ تعالى: **قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**<sup>(١)</sup>. فمن وعظ ولم يتَّعظ فكأنَّه أتى بفعلٍ متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال **أَفَلَا تَعْقِلُونَ**.

**ثانيها:** أنَّ من وعظ النَّاسَ وأظهر علمه للخلق ولم يتَّعظ صار ذلك سبباً لرغبة النَّاسِ في المعصية لأنَّ النَّاسَ يقولون أنَّه مع هذا العلم لو لا أنَّه أطلَّع على أنَّه لا أصل لهذه التخويفات لما ترك العمل بقوله وحيث أنَّه لا يعمل بقوله فهو دليل على كذبه فيصير هذا داعياً لهم إلى التَّهَوُّنِ بالدِّينِ والجُرْأَةِ على المعصية فإذا كان الواعظ غرضه من وعظه الرِّجْرَجُ عن المَعْصِيَةِ ثمَّ أتى بفعل يوجب الجُرْأَةَ على المَعْصِيَةِ فكأنَّه جَمَعَ بين المتناقضين وذلك لا يليق بأفعال العقلاء فلهذا قال: **أَفَلَا تَعْقِلُونَ**، وقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال، أبلغ شيعتنا أنَّ أعظم النَّاسِ حسرةً يوم القيامة مَنْ وصف عدلاً ثمَّ خالفه إلى غيره وبهذا المضمون روايات كثيرة.

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى  
الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ  
وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)

### ◀ اللغة

اسْتَعِينُوا: أَمَرَ من الإستعانة وهي طلب العون.  
بِالصَّبْرِ: الصَّبْرُ منع النفس عن محابها وكفها عن هواها.  
الْخَاشِعِينَ: جمع خاشع والخشوع قريب المعنى من الخضوع.  
يَظُنُّونَ: الظن ترجيح أحد طرفي الشك فأن لم يترجح فهو الشك.

### ◀ الإعراب

وَاسْتَعِينُوا أصله استعوني وقد مرّ الكلام فيه في الفاتحة وَأَنَّهَا الضمير  
للصّلاة وقيل الإستعانة إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ في موضع نصب، بكبيرة والذين  
يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ ملاقوا ربهم في موضع الجزر صفة للخاشعين.

### ◀ التفسير

نقل عن الجبائي أنّه قال الآية خطاب للمسلمين دون أهل الكتاب و عن  
الرّماني أنّه قال، الآية خطاب لليهود غيرهم من أهل الكتاب ويتناول المؤمنين  
أيضاً على وجه التأديب قال بعض المفسرين والأولى أن يكون خطاباً لجميع  
المكلفين بفقد الدلالة على التخصيص، والحق في المقام هو أن الآية خطاب،  
لأهل الكتاب وفي رأسهم اليهود ومع ذلك يشمل الخطاب جميع المكلفين.  
أما أنّها خطاب لليهود وغيرهم من أهل الكتاب فالأول سياق الآية يدل على  
ذلك فأن اليهود كان يمنعهم إتباع النبي حبّ الرئاسة أوزوالها في صورة الإتيان

فقال الله تعالى لهم أستعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه من طاعتي وإتباع أمري وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لامري وإتباع رسولي محمد ﷺ بالصبر على ما أنتم عليه من ضيق المعاش الذي تأخذون الأموال من عوامكم بسببه وأما أنها تشمل الجميع فلا خصوصية المورد لا تنافي العموم لإشتراك الجميع في التكليف والكفار أيضاً مكلفون بالفروع ويدل على المدعى قوله تعالى: **وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** والضمير في قوله **إِنَّهَا** أما راجع إلى الاستعانة المستفاد من قوله، **وَاسْتَعِينُوا**، كقوله تعالى: **إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** حيث أن الضمير أعني، هو، يرجع إلى العدل المستفاد من إعدلوا، وعليه فالمعنى أن الاستعانة اكبرية إلا على الخاشعين المتواضعين وأما أنه يرجع إلى الصلوة والمعنى أن الصلوة لكبرية إلا على الخاشعين وعلى كلا التقديرين في الآية تعريض على اليهود أي أنكم لا تستعينون بالصبر والصلوة لأنكم لستم بخاشعين إذ لو كنتم كذلك آمنتكم بمحمد ﷺ وحيث لم تؤمنوا به فأنتم باقون على الاستكبار هذا كله إن كان المراد بالصبر في الآية معناه المضطجع وهو منع النفس عن محابها وكفها عن هواها وأما إذا قلنا أن المراد به الروايات.

قلنا أن الآية خطاب لليهود فيستفاد منها أن الكفار مكلفون بالفروع وهو أيضاً ممّا لا كلام فيه عند الكل وأما من قال أن الآية خطاب للمسلمين قال المراد به إستعينوا على تُنجز ما وعدته لمن إتبع النبي أو على مشقة التكليف بالصبر أي بحبس النفس على الطاعات وحبسها عن المعاصي والشهوات والصلوة لما فيها من تلاوة القرآن والتدبر لمعانيه والإبتعاظ بمواعظه وقد قيل أنه ليس في أفعال القلوب أعظم من الصبر ولا في الجوارح أعظم من الصلوة فأمر بالاستعانة بهما، إن قلت كيف يراد من الصبر الصوم ثم أي ربط بينهما قلت الصوم يلزم الصبر على الجوع والعطش والضعف وأمثالها فإنه لا يخلو

منها نوعاً وفي الأكثر فذكر الصبر وإرادة الصوم منه من ذكر اللازم وإرادة الملزوم وهو شائع كثيراً في الاستعمال، وقوله تعالى الظن في الآية الَّذِينَ يَظُنُّونَ بِمَعْنَى العلم واليقين، أي الذين يعلمون أنهم ملائقوا ربهم بالموت وأنهم اليه راجعون قال الله تعالى: قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلْذِي تَعْبُرُونَ مِنْهُ فَأِنَّهُ مَلَأَقِيكُمْ<sup>(١)</sup>.

وملاقات الموت ملاقات الله، لقوله تعالى: ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ غَالِمٍ الْعُغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(٢)</sup>.

وقوله: الَّذِينَ أَلَحَ صِفَةً للخاصين أي أَنَّ الخاصين قد ايقنوا بملاقات الله بالموت والرجوع اليه والمقصود من ملاقات الله ملاقات حسابه وجزائه وعقابه وبالجملة حكمه العدل وقوله الفصل:

قال الله تعالى: إِبْنِي ظَنَنْتُ أَتَىٰ مَلَأَقٍ حِسَابِيَةِ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مَلَأَقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَأَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٥)</sup>.

وغيره من الآيات بقي في المقام شيء وهو أَنَّ الظن في الآية بمعنى العلم واليقين كما مرّ وعليه إتفاق المفسرين إن قلت كيف يمكن إرادة العلم من الظن وهو قسيمه فَأَنَّ الْمُدْرَكَ عَلَىٰ أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ، العلم، والظن، والشك إن أردنا من العلم اليقين وَأَنَّ أَرَدْنَا مِنْهُ مطلق الإدراك فهو بعينه مقسمٌ للأقسام الثلاثة فَأَنَّ العلم بمعنى مطلق الإدراك أَمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقَةً بِالْجَزْمِ وَالْقَطْعِ فهو اليقين أو متساوي الطرفين فهو الشك أو راجح أحد الطرفين على الآخر فهو الظن وإذا كان كذلك فكيف يكون الظن بمعنى العلم واليقين قلت إستدلوا على المدعى

بأن العلم والظن يشتركان في أن كل واحد منهما إعتقاداً راجحاً إلا أن العلم راجح مانع من التقيض والظن راجح غير مانع من التقيض فلما إشتبها من هذا الوجه صح إطلاق إسم أحدهما على الآخر قال الشاعر:

فأرسله مُستيقِنُ الظن أنه مُخالط ما بين الشراسيف خائف

ولقائل أن يقول - أن كان الإشتراك من جهة واحدة بين الشئيين مجوراً لحمل أحدهما على الآخر فصَح أن يطلق السَّواد على البياض مع أنَّهما ضدَّان لأنَّهما يشتركان في جهة واحدة وهي اللونية إلا أنَّ أحدهما مفرَّق للبصر والآخر قابض للبصر فلما إشتبها من هذا الوجه صح إطلاق إسم أحدهما على الآخر كما قالوا به في الآية بل التَّفاوُت بين المقامين مع أنَّهم لا يقولون به بل نقول ما من شئيين إلا وبينهما جهة واحدة وإشتراك ولا أقل من الشَّيْثية فلو كان مصحَّح حمل أحدهما على الآخر هذه الجهة يلزم المَحاذير والعَجَب من فخر الرَّايزي حيث أنَّه ذهب إلى ما ذهب إليه المفسِّرون في الآية وإستدلَّ على المُدَّعى أو نقل عنهم ما نقلناه عنه من كون كلِّ (يا واحد من العلم والظن إعتقاداً راجحاً وهذا القدر من الإشتراك يكفي في الصُّدق ولم يعلم أنَّه لو كان يكفي هذا في المقام يكفي في كلِّ مقام ومنه الضَّدان في كلِّ الموارد ومحصل الكلام في المقام هو أنَّه لو أُريد من الظن في الآية العلم اليقين وأمثالهما كما قالوا به فلا بدَّ لهم من بيان الوجه وأنَّه كيف يمكن إرادة العلم واليقين من الظن الَّذي هو قسيم العلم في التعليم أو كيف يطلق الإعتقاد الَّذي ليس بمانع من التقيض وهو الظن على الإعتقاد المانع منه وهو العلم أليس المانع وعَدَمه متناقضان وهم لا يجتمعان وحيث لم يأتوا بالإستدلال ولا يمكن لهم الإتيان به إلا ما ذكروه وهو أوهن من بيت العنكبوت فالإشكال باق على حاله، والَّذي يختلج بالبال في حلِّه هو أنَّ الظن في الآية بحاله أي على معناه المصطلح ومعنى الآية أنَّ الخاشعين يَظُنُّون أنَّهم مُلَاقُوا رَبِّهِمْ بالتَّوَاب لا أنَّهم أيقنوا به لأنَّ المؤمن الخاشع في أي مقام كان من الإيمان لا يعلم ولا يَتَيَقَّن بماذا يختم له العاقبة فأَنَّ العاقبة مستورة عنه.



يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ  
وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

### ◀ اللغة

الْعَالَمِينَ: أصناف الخلق كلِّ صنفٍ منهم عالم، جمع لا واحد له من لفظه و قيل العالم يختصُّ بمن يعقل و جمعه بالواو والنون و سائر اللغات قد مرَّ ذكره.

### ◀ الإعراب

قد مرَّ الكلام في إعراب الآية أيضاً إلى قوله: عَلَيْكُمْ و أمّا قوله: وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ في موضع نصب تقديره واذكروا تفضيلي إياكم فالواو للحال أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ.

### ◀ التفسير

قد مرَّ الكلام في بني إسرائيل و أنهم أولاد يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم و أيضاً تكلمنا في النعمة و ماهيتها و أقسامها و الآن نتكلم في قوله وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ، فنقول الفضل في الأصل الزيادة عن الإقتصار و ذلك ضربان محمود و مذموم.

فالأول: كفضل العلم و الحلم و أمثالهما.

الثاني: كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه و هو أي الفضل في الم محمود أكثر استعمالاً منه في المذموم و الفضول بالعكس، ثم أنَّ الفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثة أقسام:

فضل من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على النّبات، و فضل من حيث النوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوان و على هذا قوله تعالى: وَلَقَدْ

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَفَضَّلْنَا مِنَ حَيْثُ الذَّاتِ كَفَضْلِ رَجُلٍ عَلَى آخَرَ، وَالْأُولَئِكَ جَوْهَرِيَّانِ لَا سَبِيلَ لِلتَّاقِصِ فِيهِمَا أَنْ يَزِيلَ نَقْصَهُ وَأَنْ يَسْتَفِيدَ الْفَضْلُ كَالْفَرَسِ وَالْحِمَارِ لَا يَمَكْنُهُمَا أَنْ يَكْسِبَا الْفَضِيلَةَ الَّتِي خَصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ.

أَمَّا الثَّالِثُ: فَهُوَ عَرَضِيٌّ يَوْجَدُ السَّبِيلَ عَلَى اكْتِسَابِهِ وَمِنْ هَذَا النَّوعِ التَّفْضِيلِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **وَ اللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْآزْرِقِ** <sup>(١)</sup> يَعْنِي الْمَالِ وَمَا يَكْتَسِبُ بِهِ وَقَوْلِهِ: **بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** <sup>(٢)</sup>

إِذَا عَرَفْتَ الْفَضْلَ وَأَقْسَامَهُ فَقَدْ ذَرَيْتَ أَنَّ الْفَضِيلَةَ فِي الْآيَةِ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَتْ مِنْ حَيْثُ الْجِنْسِ وَهُوَ مَعْلُومٌ وَلَا مِنْ حَيْثُ النَّوعِ بَلْ هِيَ مِنَ الثَّالِثِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** مَعَ وَأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ الْكُلِّ أَفْضَلِيَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَرَادَ بِهِ الْعَالَمِيُّ أَهْلَ زَمَانِهِمْ لِأَنَّ أَمْتَنَا أَفْضَلُ الْأُمَمِ بِالْإِجْمَاعِ كَمَا أَنَّ نَبِيَّنَا أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** <sup>(٣)</sup> وَقَالَ الْآخَرُونَ أَنَّ الْمُرَادَ تَفْضِيلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ فِي أَشْيَاءٍ مَخْصُوصَةٍ وَهُوَ إِنْزَالُ الْمَنِّ وَالسَّلَوى وَمَا أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّسْلِ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ وَتَغْرِيقَ فِرْعَوْنَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النُّعَمِ.

وَقِيلَ الْمُرَادُ تَفْضِيلَ آبَائِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَعْدَهُ قَبْلَ أَنْ يَغَيِّرُوا نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقِيلَ فَضْلُ آبَائِهِمْ بِقَبُولِهِمْ وَلايَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي دِينِهِمْ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْكَلِّ يَرْجِعُ إِلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ إِثْبَاتُ الْفَضِيلَةِ لَهُمْ كَيْفَ كَانَتْ وَأَحْسَنُ الْأَقْوَالِ مِنْهَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا أَفْضَلَ



زمانهم يمكن أن يستدل عليه بأن الشخص الذي سيوجد وهو الآن ليس بموجود كيف يكون من جملة العالمين ومن المعلوم أن أمّة محمد ﷺ لم يكونوا موجودين في زمان أبائهم في عصر موسى عليه السلام فالآية لا تشملهم لأنّ المعدوم ليس بموجود فثبت أنّ الفضيلة لهم ثابتة على أهل زمانهم من الموجودين وهو المطلوب.

وفي المقام وجه آخر وهو أنّ العالمين، عامٌّ في العالمين ولكنّه مطلق في الفضل وقد ثبت أنّ المطلق يكفي في صدقه صورة واحدة من الفضل وذلك لأنّ الكلّي يوجد بوجود الفرد وينتفي بانتفاء كلّ الأفراد وعلى هذه القاعدة فنقول كون بني إسرائيل أفضل من غيرهم في فضيلة واحدة أو معدودة لا يستلزم كونهم أفضل من غيرهم من جميع الوجوه كما أنّ العالم الفاسق أفضل من المؤمن الجاهل بعلمه وهو لا يستدعي أفضليته مطلقاً وهكذا في المقام. فإنّ بني إسرائيل كانوا أفضل من حيث إنزال المنّ والسلوى مثلاً عليهم وهو لا ينافي مفضوليّتهم من سائر الجهات.

تنبيه:

قال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه:

البحث الرابع: قوله تعالى: **وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** يدل على أنّ رعاية الأصلح لا تجب على الله لا في الدنيا ولا في الدين لأنّ قوله: **وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** يتناول جميع نعم الدنيا والدين فذلك التفضيل أمّا أن يكون واجباً أو لا يكون واجباً فأن كان واجباً لم يجز جعله منّة عليهم لأنّ من أدّى واجباً فلا منّة له على أحد وأن كان غير واجب مع أنّه تعالى خصّ البعض بذلك دون البعض فهذا يدل على أنّ رعاية الأصلح غير واجبة لا في الدنيا ولا في الدين انتهى كلامه.

وَلِقَائِي أَنْ يَقُولَ أَيُّهَا الْمَفْسِّرُ لِكَلَامِ اللَّهِ بِرَأْيِكَ هَلْ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ وَتَنْسِبُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْقَبِيحِ كَيْفَ لَمْ يَرَاعِي الْأَصْلَحَ فَأَنْ كَانَ الْمَرَادُ بِالْأَصْلَحِ هُوَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمْ فَبِذَلِكَ لَمْ يَرَاعِي الْأَصْلَحَ فَيَقَالُ لَكَ مِنْ أَيْنَ أَثَبْتَ لَهُمْ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَالْآيَةُ لَا تَدُلُّ عَلَيْهَا أَصْلًا وَ أَنْ كَانَ الْمَرَادُ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ زَمَانِهِمْ وَقَدْ كَانَ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ وَأَصْلَحُ مِنْهُمْ فَعَلَيْكَ بِالْإِثْبَاتِ ثُمَّ أَنَّ رِعَايَةَ الْأَصْلَحِ أَمْرٌ عَقْلِيٌّ يَسْتَقِلُّ الْعَقْلُ بِحُسْنِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَفْعَلُ غَيْرَهُ وَ مُحْصَلُ الْكَلَامِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا أَفْضَلَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ وَ هَذَا مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ وَالْآيَةُ لَا تُثَبِّتُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا.

وَأَمَّا رِعَايَةُ الْأَصْلَحِ فَقَدْ رَاعَاهَا اللَّهُ تَعَالَى حَقَّ الرِّعَايَةِ وَالْأَلَمَ يَفْضَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى غَيْرِهِمْ وَ حَيْثُ فَضَّلَهُمْ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ نَسْتَكْشِفُ مِنْهُ بَدَلِيلَ الْأَنْ أَفْضَلِيَّتِهِمْ وَأَصْلَحِيَّتِهِمْ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.



وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ  
مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ  
يُنْصَرُونَ (٤٨)

### ◀ اللّغة

لَا تَجْزِي: جزى يعجزى جزاءً نقل عن الخليل أنه قال المجازاة المكافاة بالإحسان إحساناً وبالإساءة إساءة وأصل الباب مقابلة الشئ بالشئ.  
وقال في المفردات الجزاء الغناء والكفاية الى أن قال والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة أن خيراً فخييراً وأن شراً فشرّاً يقال جزيته كذا وبكذا انتهى.  
نَفْسٌ: بسكون الفاء فأن نسبت البنا فهي الرّوح وأن أضيفت الى الله فهي ذاته ومن الأول: قوله تعالى: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ.  
من الثّاني: قوله: وَيُخَذَّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ.

شَفَاعَةٌ: شفّع شفاعةً وهي مأخوذة من الشّفّع الذي خلاف الوتر و الشّفاعة والوسيلة والقربة والموصولة نظائر.  
وقال الرّاعب الشّفاعة الانضمام الى آخر ناصر له وسائلاً عنه وأكثر ما يُستعمل في إنضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة الى من هو أدنى ومنه الشّفاعة في القيامة، عدلٌ، قيل هو النّدية وقيل هو الفريضة.

### ◀ الإعراب

يَوْمًا هو مفعول به لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ الجملة في موضع نصب صفة اليوم والعائد محذوف وتقديره، تُجْزَى فيه، ثم حُذِفَ الجار والمجرور عند سبويه وعن نَفْسٍ في موضع نصب بقوله: تُجْزَى ويجوز أن يكون في موضع نصب بالحال والتقدير شيئاً عن نفس شيئاً هنا في حكم المصدر لأنه وقع

موقع الجزاء وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ أَي فِيهِ وَكَذَلِكَ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ وَمِنْهَا فِي الْمَوْضِعِينَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِقَبْلِ وَيُؤْخَذُ، وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً بِشَفَاعَةِ وَعَدْلٍ، فَلَمَّا قَدَّمَ انْتِصَابَ عَلَى الْحَالِ، وَيُقْرَأُ يَقْبَلُ بِالْيَاءِ لِأَنَّ التَّائِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ غَيْرُ حَقِيقِي وَبِالْيَاءِ لِأَنَّ ظَاهِرَهَا التَّائِيثَ.

### ◀ التفسير

بعد ما قال الله تعالى لبني إسرائيل ما قال في الآيات السابقة وخصوصاً في قوله: **ادْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**

أَوْعَدَهُمْ وَهَدَاهُمْ عَلَى كُفْرَانِهِمُ النِّعْمَةُ وَقَالَ: **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا** والمراد باليوم يوم القيامة والتقدير إِتَّقُوا عَذَابَ يَوْمٍ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالتَّقْوَى لَا يَقَعُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ هَكَذَا قِيلَ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالتَّقْوَى فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَلْ أَمَرَهُمْ بِهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هَذَا أَوَّلًا. ثَانِيًا: أَمَرَهُمْ بِالِاتِّقَاءِ فَقَالَ **وَاتَّقُوا** وَالِاتِّقَاءُ بِمَعْنَى الْإِحْتِرَازِ أَيِ إِحْذَرُوا يَوْمًا كَذَا وَكَذَا وَهَذَا أَيْضًا فِي الدُّنْيَا فَاتَّعَاهُ مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ وَكَيْفَ كَانَ فَالْمَسَائِلُ ثَلَاثَةٌ نَتَكَلَّمُ فِيهَا إِجْمَالًا فنقول:

**المسألة الأولى:** فِي قَوْلِهِ: **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا** أَيِ إِحْذَرُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي، أَيِ لَا تَغْنِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا قِيلَ أَيِ لَا تَدْفَعُ عَنْهَا مَكْرُوهًا وَقِيلَ أَيِ لَا يُؤْدِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ حَقًّا وَجِبَ عَلَيْهِ لِلَّهِ أَوْ لِغَيْرِهِ وَ قَدْ تَكَرَّرَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **وَ أَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا<sup>(١)</sup>**.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ<sup>(٢)</sup>**

قال الله تعالى: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: أَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: وَ لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُخْلَمُونَ<sup>(٣)</sup>

وغيرها من الآيات

والحاصل أن كل نفس بما كسبت رهينة ولا تزر وازرة وزر أخرى وهذا مقتضى العدل الذي هو وضع الشيء في محله فالثواب والعقاب محلها المحسن والمسيء فلو كان المسيء مثاباً والمُحسن معاقباً فقد وضعاً في غير موردتهما وهو ظلم لا ينبغي أن يصدر من الله تعالى لتنزهه عن القبائح العقلية هذا أن أردنا من اليوم يوم القيامة، وقيل أن المراد به يوم الموت أي إتقوا يوماً، وهو وقت النزاع لا تجزي نفس عن نفس شيئاً من العذاب الذي قد إستحقته، ولا يقبل منها شفاعاة، بتأخير الموت عنها، ولا يؤخذ منها عدل، أي لا يقبل منها فداء مكانها، ولا هم ينصرون، في رفع الموت والعذاب وبه وردت الروايات عن أهل البيت عليهم السلام فقد نقل صاحب تفسير البرهان عن الإمام أبو محمد العسكري في تفسير قوله تعالى: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ إلى قوله لا يُنصرون حديثاً وساق الحديث إلى أن قال:

قال الصادق عليه السلام: وهذا يوم الموت فإن الشفاعة والفداء لا يغني عنه فأمّا في القيامة فإننا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء ليكونن على الأعراف بين الجنة والنار محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبون من آلهم فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات ممن كان منهم مقصراً في بعض شذائدها فنبعث إليهم خير

شيعتنا كسلمان و المقداد و أبى ذرّ و عَمَّار و نظائرهـم في العَصْرِ  
الَّذِي يليهـم ثمّ في كلّ عَصْرِ الى يوم القيامة فينفضون عليهـم  
كالبزاة و الصَّقُور فيتنالونهـم كما يتناول البُزاة و الصَّقُور صيدها  
فيرفعونهـم الى الجنة الحديث.

المسئلة الثانية: في تفسير قوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا  
عَدْلٌ قلنا المقصود من العَدْل في الآية الغداء و من المعلوم أنّ يوم الموت أو  
يوم القيامة لا يقبل من نفس عَدْلٌ، بأن يموت غيرها مكانها أو يُعَذَّب كذلك و  
هذا ممّا لا كلام فيه و أمّا الكلام في قبول الشّفاعَة و عدمه فمنهم من أنكرها  
مطلقاً و منهم من أثبتها كذلك و منهم من قال بالتفضيل و حيث أنّها من أهم  
المباحث الإعتقادية فلا بدّ لنا من البحث فيها و ما يتبعها من لوازمها و شروطها  
فنقول إعلم أنّ الشّفاعَة مأخوذة من الشّفع الذي هو خلاف الوتر و هي  
الإنضمام الى آخر ناصراً له و سائلاً عنه و أكثر ما يستعمل في إنضمام من هو  
أعلى حُرمة و مرتبة الى من هو أدنى.

قاله الرّاغب في المفردات و من هذا التعريف يظهر أنّ الشّفاعَة ليست من  
الأُمور المستحدثة في الإسلام و القرآن بل هي من الأُمور السّارية الجّارية بين  
النّاس طول الأعصار على إختلاف مللهم و عقائدهم و آرائهم و لا سيّما عند  
الملوك و السّلاطين و الأمراء و أمثالهم من المّسلطين على النّاس فإنّ  
المغضوب كثيراً ما يستشفع بمن له تقرب و مقام عند السّلطان مثلاً إذا وجد  
الشّفيع و هو أمر شائع جدّاً بحيث لا يكاد يخفى على أحدٍ إلّا أنّهم إختلفوا في  
جواز وقوعها و عدمه في الإسلام يوم القيامة عند ربّ العالمين من حيث أنّ  
وقوعها يوجب تغيير علمه تعالى عمّا كان أرادّه أو حكم به و هو محال و قبل  
الخوض في أصل البحث لا بدّ لنا من تحرير محلّ النزاع و هو أنّه لا شكّ عند  
الكلّ في إمكان الشّفاعَة و أنّها من الأُمور الّتي لا يحكم العقل بإستحالتها

كاجتماع النقيضين والضدين مثلاً ولا شك أيضاً في ورود لفظة الشفاعة في الآيات والأخبار وأنما الخلاف في جواز وقوعها عند الله في حق العصاة و عدمه ونحن نشير أولاً الى بعض ما ورد فيها من الآيات ثم نردفه بذكر ما هو الحق عندنا بعون الله تعالى فنقول الآيات الواردة في الباب كثيرة كلها يدل على جواز وقوعها بإذن الله تعالى وأما النفي المطلق أو الإثبات كذلك فلا منها.

قال الله تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ<sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ<sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ<sup>(٦)</sup>

قال الله تعالى: لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ<sup>(٧)</sup>

قال الله تعالى: مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ<sup>(٨)</sup>

قال الله تعالى: مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ<sup>(٩)</sup>

قال الله تعالى: مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ<sup>(١٠)</sup>

قال الله تعالى: قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا

لَنَا<sup>(١١)</sup>

قال الله تعالى: أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ<sup>(١٢)</sup>

فيه القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

١- الأعراف = ٥٣

٢- الشعراء = ١٠٠

٣- الأنعام = ٥١

٤- يونس = ٣

٥- غافر = ١٨

٦- الزمر = ٤٣

١- البقرة = ٢٥٥

٢- الأنبياء = ٢٨

٣- المذثر = ٤٨

٤- الأنعام = ٧٠

٥- السجدة = ٤

٦- الأعراف = ٥٣

قال الله تعالى: وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ<sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا<sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ<sup>(٦)</sup>

قال الله تعالى: وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ<sup>(٧)</sup>

قال الله تعالى: قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ<sup>(٨)</sup>

قال الله تعالى: وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ<sup>(٩)</sup>

قال الله تعالى: إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِخَيْرٍ لَا تَغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا<sup>(١٠)</sup>

قال الله تعالى: لَا تَغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ<sup>(١١)</sup>

قال الله تعالى: مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا<sup>(١٢)</sup>

فهذه هي الآيات الواردة في الباب وأنت بعد التأمل فيها لا تجد شيئاً يدل على نفي الشفاعة بقول مطلق أو إثباتها كذلك فنفي الشفاعة بقول مطلق

١- الأنعام = ٩٤

٢- سورة البقرة آية ٢٥٤

٣- مريم = ٨٧

٤- الزمر = ٤٤

٥- يس = ٢٣

٦- النساء = ٨٥

٧- البقرة = ١٢٣

٨- سبأ = ٢٣

٩- الزخرف = ٨٦

١٠- النجم = ٢٦



بمجرد الإستخراجات الذهنية والإستنباطات الوهمية التي ألغها الشيطان في قلوب أولياء مما لا يقبله العقل السليم كما أن إثباتها كذلك وأن لم يأذن الله بها أمر غير معقول مناف لحكمته وقدرته وعدله وأما إثباتها في حق العصاة بإذن الله تعالى فلا محذور فيه ولا يُنافي عدله وحكمته وقد ذكر صاحب تفسير الميزان في القام ما أورده على الشفاعة وجواز وقوعها من الإشكالات وأجاب عنها عليه السلام بما لا مزيد حذراً من الإطناب إن شئت فراجع.

وأما الأخبار الواردة في البحار فكثيرة جداً:

منها ما رواه في البحار بأسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لكل نبي دعوة دعى بها وقد سأل سؤالاً وقد أخبأت دعوتي لشفاعتي لأمتي يوم القيامة.

وبأسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعون الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء انتهى.

مارواه أيضاً بأسناده: قال رسول الله ﷺ: من لم يؤمن بحوذي فلا أورده الله حوذي ومن لم يؤمن شفاعتي فلا أناله الله شفاعتي ثم قال عليه السلام أنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل قال الحسين بن خالد قلت للرضا يابن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل ولا يشفعون إلا لمن ارتضى قال عليه السلام لا يشفعون إلا لمن إرتضى الله دينه.

ما رواه بأسناده عن علي عليه السلام: قال عليه السلام قالت فاطمة عليها السلام: لرسول الله ﷺ يا ابتاه أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال ويوم الفرع الأكبر قال ﷺ يا فاطمة عند باب الجنة ومعي لواء الحمد وأنا الشفيع لأمتي إلى ربي قالت يا ابتاه فأن لم ألقاك هناك

قال ألقيني وأنا عند الميزان أقول ربِّ سَلِّمْ أَمَّتِي قالت فاطمة فأن لم أَلْقَاكَ هناك قال ألقيني على شفيع جهنم أَمْنَعُ شرَّها ولهبها عن أَمَّتِي فاستبشر فاطمة بذلك انتهت.

ومنها مرواه بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن شفاعة النَّبِيِّ يوم القيامة قال يلجم النَّاسُ يوم القيامة العرق ويرهقهم الفلق فيقولون إنطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا فيأتون آدم فيقولون إشفع لنا عند ربِّك فيقول إن لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح فيأتون نوحاً فيزدهم إلى من يليه ويزدهم كل نبي إلى من يلي حتى ينتهون إلى عيسى فيقول عليكم بمحمد صلَّى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأنبياء فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول إنطلقوا فينطلق بهم إلى باب الجنة ويستقبل باب الرَّحْمَنِ ويخَرَّ ساجداً فيمكث ما شاء الله فيقول الله عزَّ وجلَّ إرفع رأسك وإشفع تشفع وسل تعط و ذلك قوله تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا <sup>(١)</sup>

مارواه بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأمي وعمي وأخ لي كان في الجاهلية انتهت.

مارواه بأسناده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد فتعشاهم ظلمة شديدة فيضجون إلى ربِّهم ويقولون ياربِّ أكشف لنا هذه الظلمة فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة فيقول أهل الجمع هؤلاء أنبياء الله فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بأنبياء فيقول أهل الجمع هؤلاء ملائكة فيجيئهم النداء من عند الله

ما هؤلاء بملائكة فيقول أهل الجمع شهداء فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بشهداء فيقولون من هم فيجيئهم النداء يا أهل الجمع سلوهم من أنتم فيقولون نحن العلويون نحن ذرية محمد رسول الله ﷺ نحن أولاد علي ولي الله نحن المخصوصون بكرامة الله نحن الأمنون المطمئنون فيجيئهم النداء من عند الله عز وجل أشفعوا في محبيكم وأهل مودتكم وشيعتكم فيشفعون فيشفعون انتهى.

مارواه بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا، المعراج والمسألة في القبر والشفاعة انتهى.

مارواه بأسناده عنه عليه السلام عن أبيه، قال رسول الله ﷺ: اذ قمت المقام المحمود و تشفعت في أصحاب الكبائر من أمتي فيشفعني الله فيهم والله لا تشفعت فيمن آذى ذريتي انتهى.

مارواه عن أبي ذر و سلمان قالا، قال رسول الله ﷺ: إن الله أعطاني مسألة فأخرت مسألتني لشفاعة المؤمنين من أمتي يوم القيامة ففعل ذلك، الخبر.

مارواه عن أبي عبد الله و أبي جعفر عليه السلام قالا: والله لنشفعن والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى تقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك فما لنا من شافعين و لا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين قال من المهتدين قال لأن الإيمان قد لزمهم بالإقرار انتهى.

مارواه بأسناده قال دخل مولى لأمرأة علي ابن الحسين عليه السلام على أبي جعفر يقال له أبو أيمن فقال: يا أبا جعفر تغزون الناس و تقولون شفاعة محمد فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربد وجهه ثم

قال عليه السلام ويحك يا أبا أيمن أغرّك أن عف بطنك و فرجك أمّا لو قد رأيت أفزاع يوم القيامة لقد احتجّت الى شفاعة محمد صلّى الله عليه وآله وملك فهل يشفع إلّا لمن وجبت له النار ثم قال عليه السلام ما أحد من الأولين والآخرين إلّا وهو محتاج الى محمد صلّى الله عليه وآله يوم القيامة ثم قال أبو جعفر عليه السلام أن لرسول الله صلّى الله عليه وآله لشفاعة في شيعتنا ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم ثم قال عليه السلام وأنّ المؤمن ليشفع في مثل ربيعة و مضر وأنّ المؤمن ليشفع حتّى لخادمه و يقول ياربّ حقّ خدمتي كان يقيني الحرّ والبرد انتهى.

مارواه عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله، أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي، جعلت لي الأرض مسجداً و طهوراً، و نصرت بالرّعب، و أحلّ لي المغنم، و أعطيت جامع الكلم، و أعطيت الشّفاة. مارواه بأسناده عن معاوية ابن وهب قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله تعالى: لا يتكلّمون إلّا من أذن له الرّحمن و قال صواباً، قال عليه السلام نحن والله المأذون لهم في ذلك والقائلون صواباً قلت جعلت فداك و ما تقولون اذا كلّتم قال نُمجّد ربّنا ونصلي على نبيّنا و نشفع لشييعتنا فلا يردّنا ربّنا انتهى.

مارواه بهذا الإسناد قال قلت لأبي عبد الله قوله تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ قال عليه السلام نحن أولئك الشّافعون انتهى

و الأحاديث نقلناها عن البحار<sup>(١)</sup> إن شئت أكثر من هذا فراجع البحار و سائر المطوّلات فإنّ الأخبار الواردة في الباب لاتكاد تضبط لكثرتها والعجب ممن يدّعي الإيمان بالله و برسوله و هو يرى الأخبار و الآيات و مع ذلك ينكرها وليت شعري ما الذي دعاه الى الإنكار وأي إشكال في وقوعها عقلاً أو شرعاً.

قال الرّازي من علماء العامّة عند تفسيره لهذه الآية.

**المسألة الثانية:** أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ شَفَاعَةً فِي الْآخِرَةِ

وَحَمَلَ عَلَى ذَلِكَ:

قال الله تعالى: **أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** <sup>(٢)</sup>.

ثم اختلفوا بعد هذا في شفاعته ﷺ لمن تكون، أَتَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَحْقِينَ لِلثَّوَابِ أَمْ تَكُونُ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ الْمُسْتَحْقِينَ لِلْعِقَابِ فَذَهَبَ الْمُعْتَزِلَةُ إِلَى أَنَّهَا لِلْمُسْتَحْقِينَ لِلثَّوَابِ وَتَأْثِيرُ الشَّفَاعَةِ فِي أَيِّ أَنْ تَحْصُلَ زِيَادَةُ مِنَ الْمَنَافِعِ عَلَى قَدَرِ مَا اسْتَحَقُّوه وَقَالَ أَصْحَابُنَا تَأْثِيرُهَا فِي إِسْقَاطِ الْعَذَابِ عَنِ الْمُسْتَحْقِينَ لِلْعِقَابِ أَمَّا بَأَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ فِي عُرْصَةِ الْقِيَامَةِ حَتَّى لَا يَدْخُلُوا النَّارَ وَأَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ فَيَشْفَعَ لَهُمْ حَتَّى يُخْرِجُوا مِنْهَا وَيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ لِلْكَفَّارِ وَاسْتَدَلَّتِ الْمُعْتَزِلَةُ عَلَى إِنْكَارِ الشَّفَاعَةِ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ بِوُجُوهٍ:

**أحدها:** هذه الآية قالوا أَنَّهَا تَدَلُّ عَلَى نَفْيِ الشَّفَاعَةِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

الأول: قوله تعالى: **لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً** وَلَوْ أَثَرَتِ الشَّفَاعَةُ فِي إِسْقَاطِ الْعِقَابِ لَكَانَ قَدْ أَجْزَتْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً.

الثاني: قوله تعالى: **وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ** وَهَذِهِ فِكْرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ فَتَعَمَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَةِ.

الثالث: قوله: **وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ شَفِيعاً لِأَحَدٍ مِنَ الْعَصَاةِ لَكَانَ نَاصِراً لَهُ وَذَلِكَ عَلَى خِلَافِ الْآيَةِ.

الرابع: قوله تعالى: **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَتْهُ أُخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مَلَائِكَتِهِ أَنَّهُمْ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا أَنْ يَرْضِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَاسِقُ لَيْسَ بِمُتَرْضَى مِنَ اللَّهِ** وَإِذَا لَمْ تَشْفَعْ الْمَلَائِكَةُ لَهُ فَكَذَا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِأَنَّهُ لَا قَائِلَ بِالْفَرْقِ.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

الخامس: قوله تعالى: **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ولو أثرت الشفاعة في إسقاط العقاب لكانت الشفاعة قد تنفعهم وذلك ضد الآية.

السادس: قوله تعالى: **مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بِنِعْمَةٍ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ** ظاهر الآية يقتضي نفي الشفاعات بأسرها.

وهذه عمدة أدلتهم على ما ذكره الرازي في نفي الشفاعة عن الكبائر والجواب عن الكل أن المشفوع له لا يخلو أما أن يكون كافراً أو يكون مسلماً أما الكافر فليس له شفيع عندنا وعند الخصم وأما المسلم العاصي فهو أيضاً على قسمين صاحب الصغيرة وصاحب الكبيرة:

**أما الأول:** فالشفاعة تشمله عندنا وعند الخصم.

**أما الثاني:** أعني به صاحب الكبيرة فتارة يكون ذنبه من قبيل قتل الوصي أو خيار المؤمنين والصلحين من عباد الله عن عمد أو نهب أموالهم وأمثال ذلك وأخرى يكون دون ذلك كالزنى والغيبة وشرب الخمر وأمثالهما.

**أما الأول:** فلا شفاعة له قطعاً.

**أما الثاني:** فإن كان من حقوق الله تعالى فهو مورد للشفاعة وأن كان من حقوق الناس فالشفاعة له مشروط برضى الناس عنه لا مطلقاً وفي كل الموارد يشترط إذن الله في الشفاعة وهو ظاهر ونحن بعد الآيات والزوايات التي مر شطراً منها لا نشك في وقوعها وأنها من المسلمات لمن آمن بالله واليوم الآخر ونرجوها لانفسنا أن شاء الله تعالى.

**المسألة الثالثة:** في تفسير قوله تعالى **وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** أي لا يعانون، والنصر العام والمقصود أنهم لا ينجون من العذاب وقيل ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله إذا عاقبهم ومن المعلوم أن من لا ينصره الله فلا ناصر له فأولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين وقال: **فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ**<sup>(١)</sup> والمعنى واضح.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ  
الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي  
ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)

### ◀ اللغة

نَجَّيْنَاكُمْ: أصل النجاة الانفصال من الشيء ومنه نجا فلان من فلان و  
أنجيته ونجيته.

فِرْعَوْنُ: فرعون إسم أعجمي وهو لا ينصرف والواو والنون فيه زائدة  
وجمعه فراعن يقال تفرعن فلان إذا تعاظم فعل فرعون كما يقال أبلس و  
تبلس ومنه قيل للطغاة الفراعنة والأبالسة وعن ابن الجوزي أنَّ الفراعنة  
ثلاثة، فرعون الخليل وإسمه سنان، وفرعون يوسف وإسمه الزيان بن الوليد،  
وفرعون موسى وإسمه الوليد بن مصعب وقال بعض أن كل عاتٍ فرعون و  
العتاة الفراعنة.

يَسُومُونَكُمْ: السوم أصله الذهاب في إبتغاء الشيء فهو لفظ لمعنى مُركب  
من الذهاب والإبتغاء.

الْعَذَابُ: قد مرَّ الكلام فيه سابقاً في أوائل السورة.

يُذَبِّحُونَ: أصل الذبح شقّ حلق الحيوانات.

أَبْنَاءَكُمْ: أبناء جمع ابن.

يَسْتَحْيُونَ: أي يستبقون والحياء إنقباض النفس عن القبائح وتركه.

نِسَاءَكُمْ: النساء النسوان والنسوة جمع المرأة من غير لفظها كالقوم في

جمع المرء.

بَلَاءٌ: البلاء بفتح الباء من بلى الثوب بلاءً وبلاءً أي خلق وبلوته إختبرته  
كأنّي أخلقته من كثرة إختباري له والبلاء المحنة كما في هذه الآية والمنحة كما

في قوله تعالى: **وَإِنَّمَا هُمْ مِنْ آيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ** <sup>(١)</sup>.  
**مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**: قد مضى الكلام في الرب غير مرة عظيم مُبالغة في  
العظمة و عظم الشيء أصله كُبر عظمه ثم أُستعير لكل كبير فأجرى مجراه.

### ◀ الإعراب

إِذْ في موضع نصب معطوفاً على إِذْ كروا ونعمتي. نَجَّيْنَاكُمْ فعل و فاعل و  
مفعول به مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ أصل آل أهل وتصغيره أهيل لأن التصغير يزد إلى  
الأصل وقال بعضهم أصله أويل فأبدل الألف واواً ولم يزد به إلى الأصل  
يَسْؤُمُونَكُمْ في موضع نصب على الحال من آل سُوءَ الْعَذَابِ مفعول به لأن  
يسومونكم متعداً إلى مفعولين بلاءً الهمزة بدل من واو و موضعه الرفع على  
الابتداء وفي ذَلِكَمُ خبر مقدم على المبتدأ مِنْ رَبِّكُمْ في موضع رفع صفة  
لبلاء.

### ◀ التفسير

أَيِ وَإِنَّمَا نَجَّيْنَاكُمْ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ وَخَلَّصْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ  
الَّذِينَ يَسْؤُمُونَكُمْ، أَيِ كَانُوا يَذِيقُونَكُمْ، سُوءَ الْعَذَابِ وَشِدَّتَهُ يُذِيقُونَ  
أَبْنَاءَكُمْ أَيِ يَقْتُلُونَ أَوْلَادَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ أَيِ يَسْتَقَوْنَهُنَّ وَيَدْعُوْنَهُنَّ  
أَحْيَاءَ لِيَسْتَعْبِدْنَ وَيَنْكِحْنَ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِرْقَاقِ وَهَذَا أَشَدُّ مِنَ الذَّبْحِ، وَفِي  
ذَلِكَمُ أَيِ وَفِي سَوْمِكُمُ الْعَذَابِ وَذَبْحِكُمُ الْأَبْنَاءَ بَلَاءً مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ أَيِ  
إِبْتِلَاءٌ عَظِيمٌ مِنْ رَبِّكُمْ لَمَّا خَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ حَتَّى فَعَلَ بِكُمْ هَذِهِ الْأَفَاعِيلَ، وَ  
قِيلَ فِي نَجَاتِكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ نِعْمَةٌ أَيْ عَظِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ  
الْآيَةِ أُمُورٌ يَنْبَغِي التَّوَجُّهُ إِلَيْهَا وَهِيَ نَجَاتُهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَخَلَّصَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ  
وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى نَجَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا اللَّهُ وَهَذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ.



ثانيها: أنَّ فرعون أمر بذبح أبناءهم وإستحياء نساءهم واللّٰه تعالى نجّاهم من العذاب.

ثالثها: أنَّ ذلك كان ابتلاء لهم من ربّهم ليختبروا به ويشكروا له لئن شكرتم لأزيدنكم فإنّ عذابي لشديد ولئن كفرتم عذابي شديد.

أمّا كَيْفِيَّةُ الْقَضِيَّةِ نقل في البحار عن الثعلبي أنّه قال في كتاب عرايس المجالس لما مات الرّيان ابن الوليد فرعون مصر الأوّل صاحب يوسف وهو الَّذِي وَلَّى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ خزائن أرضه وأسلم على يديه فلمّا مات ملك بعده قابوس ابن مصعب صاحب يوسف الثّاني فدعاه يوسف الى الإسلام فأبى و كان جباراً وقبض الله تعالى يوسف في ملكه ثمّ هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العبّاس الوليد بن مصعب بن الرّيان بن أراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوز بن سام بن نوح وكان أعتى من قابوس وأكبر وأفجر و امتدّت أيام ملكه وأقام بنو إسرائيل بعد وفاة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد نشروا وأكثروا وهم تحت أيدي العمالقة وهم على بقايا من دينهم ممّا كان يوسف ويعقوب واسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام يتمسكن به حتّى كان فرعون الَّذِي بَعَثَ الله اليه موسى وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن منهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولاً ولا أقسى قلباً ولا أطول عمراً في ملكه ولا اسوء ملكة لبني إسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم فجعلهم خدماً وخولاً وصنّفهم في أعماله، فصنّف يبنون، وصنّف يحرسون، وصنّف يتولون الأعمال القذرة ومن لم يكن من أهل العمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى: يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وقد إستنكح فرعون امرأة يقال لها آسية بنت مُزاحم من خيار النّساء المعدودات ويقال بل هي آسية بنت مُزاحم بن الرّيان بن الوليد فرعون يوسف الأوّل فأسلمت على يدي موسى قال مقاتل ولم يسلم من أهل مصر إلّا ثلاثة، آسية بنت مُزاحم وحزقيل ومريم بنت ناموساء

الَّتِي دَلَّتْ مُوسَىٰ عَلَىٰ قَبْرِ يُوسُفَ فَعَمَّرَ فِرْعَوْنَ وَهُمْ تَحْتَ يَدَيْهِ عُمُراً طَوِيلًا يُقَالُ أَرْبَعُمِائَةٍ سَنَةً يَسُوءُكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُفْرِجَ عَنْهُمْ بَعَثَ مُوسَىٰ وَكَانَ بَدْءَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ السَّيِّدِيُّ عَنْ رَجَالِهِ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَىٰ فِي مَنَامِهِ إِنَّ نَارًا قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ حَتَّىٰ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ بَيُوتِ مِصْرَ فَأَخْرَبَتْهَا وَأَحْرَقَتْ الْقَبْطَ وَتَرَكْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَدَعَىٰ فِرْعَوْنَ السَّحْرَةَ وَالْكَهَنَةَ وَالْمُعَبِّرِينَ وَالْمُنْجِمِينَ وَسَأَلَهُمْ عَنْ رُؤْيَاهُ.

فَقَالُوا أَنَّهُ يُؤَلَّدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ غُلَامٌ يَسْلُبُكَ مَلِكُكَ وَيَغْلِبُكَ عَلَىٰ سُلْطَانِكَ وَيُخْرِجُكَ وَقَوْمَكَ مِنْ أَرْضِكَ وَيَبْدِلَ دِينَكَ وَقَدْ قَرُبَ زَمَانُهُ الَّذِي يُؤَلَّدُ فِيهِ قَالَ فَأَمَرَ فِرْعَوْنَ يَقْتُلَ كُلَّ غُلَامٍ يُؤَلَّدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَمَعَ الْقَوَابِلَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ فَقَالَ لَهُنَّ لَا يَسْقِطَنَّ عَلَىٰ أَيْدِيكُمْ غُلَامٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا قَتَلْتُنَّهُ وَلَا جَارِيَةَ إِلَّا تَرَكْتُنَهَا وَكُلَّ بَهْنٍ فَكَّرَ يَفْعَلُنَّ ذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ لَقَدْ ذَكَرَ لِي أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِالْقَصْبِ فَيَسْقَىٰ حَتَّىٰ يَجْعَلَ أَمْثَالَ الْأَشْفَارِ ثُمَّ يَصْفُ لِبَعْضِهَا إِلَىٰ بَعْضٍ ثُمَّ يُؤْتِي بِالْحَبَالِيِّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيُوقِعَنَّ فَتَحَزُّرُ أَقْدَامَهُنَّ حَتَّىٰ أَنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُنَّ لَتَضَعَنَّ وَلَدَهَا فَيَقَعُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا فَتَنْظُلُ تَطَّاهُ تَنْقِي بِهِ حَدَّ الْقَصْبِ عَنْ رِجْلَيْهَا لَمَّا بَلَغَ مِنْ جَهْدِهَا فَكَانَ يَقْتُلُ الْغُلَامَانَ الَّذِينَ كَانُوا فِي وَقْتِهِ وَيَقْتُلُ مَنْ يُؤَلَّدُ مِنْهُمْ وَيُعَذِّبُ الْحَبَالِيَّ حَتَّىٰ يَضَعَنَّ مَا فِي بَطُونِهِنَّ وَأَسْرَعَ الْمَوْتَ فِي مَشِيخَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَدَخَلَ رُؤُوسَ الْقَبْطِ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ فَقَالُوا لَهُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ وَقَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنْتَ تَذْبَحُ صِغَارَهُمْ وَيَمُوتُ كِبَارُهُمْ فَيُوشِكُ أَنْ يَقَعَ الْعَمَلُ عَلَيْنَا فَأَمَرَ فِرْعَوْنَ أَنْ يَذْبَحُوا سَنَةً وَيَتْرَكُوا سَنَةً فَوَلَدَ هَارُونَ فِي السَّنَةِ الَّتِي لَا يَذْبَحُونَ فِيهَا فَتَرَكَ وَوَلَدَ مُوسَىٰ فِي السَّنَةِ الَّتِي يَذْبَحُونَ فِيهَا قَالُوا فَوَلَدَتْ هَارُونَ أُمَّهُ عِلَاتِيَّةٌ آمِنَةٌ فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلَ حَمَلَتْ بِمُوسَىٰ فَلَمَّا أَرَادَتْ وَضْعَهُ حَزَنْتَ مِنْ شَأْنِهِ وَأَشْتَدَّ غَمُّهَا فَأَوْحَىٰ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهَا وَحْيَ الْهَامِ: أَنَّ

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ  
جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ<sup>(١)</sup>.

فلَمَّا وَضَعَتْهُ فِي خَفِيَةِ أَرْضِهَا ثُمَّ اتَّخَذَتْ لَهُ تَابُوتًا وَجَعَلَتْ مِفْتَاحَ التَّابُوتِ  
مِنْ دَاخِلٍ وَجَعَلَتْهُ فِيهِ وَكَانَ الَّذِي صَنَعَ التَّابُوتَ حَزْبِيلُ مُؤْمِنٌ آلَ فِرْعَوْنَ وَ  
قِيلَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ بُوْدِي فَأَتَّخَذَتْ أُمُّ مُوسَى التَّابُوتَ وَجَعَلَتْ فِيهِ قُطْنًا مَحْلُوجًا وَ  
وَضَعَتْ فِيهِ مُوسَى وَقَيَّرَتْ رَأْسَهُ وَخَصَّامَهُ ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِي النَّيْلِ فَلَمَّا فَعَلَتْ ذَلِكَ  
وَتَوَارَتْ (تَوَازَى) عَنْهَا ابْنُهَا اتَاهَا الشَّيْطَانُ وَوَسَّسَ إِلَيْهَا فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا مَاذَا  
صَنَعْتُ بِأَبْنِي لَوْ ذَبَحَ عِنْدِي فَوَارِيتَهُ وَكَفَفْتَهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقِيَهُ بِيَدِي  
إِلَى دَوَابِ الْبَحْرِ فَعَصَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَانْطَلَقَ الْمَاءُ بِمُوسَى يَرْفَعُهُ الْمَوْجَ مَرَّةً وَ  
يُخَفِّضُهُ أُخْرَى حَتَّى أَدْخَلَهُ بَيْنَ أَشْجَارٍ عِنْدَ دَارِ فِرْعَوْنَ إِلَى غُرْفَتِهِ وَهِيَ  
مُسْتَقَاءُ جَوَارِي فِرْعَوْنَ وَكَانَ يَشْرَبُ مِنْهَا نَهْرٌ كَبِيرٌ فِي دَارِ فِرْعَوْنَ وَبَسْتَانُهُ  
فَخَرَجَتْ جَوَارِي آسِيَةَ يَغْتَسِلْنَ وَيَسْقِيْنَ فَوَجَدَتِ التَّابُوتَ فَأَخَذَتْهُ وَظَنَّ أَنَّ  
فِيهِ مَالًا فَحَمَلَتْهُ كَهَيْئَةٍ حَتَّى أَدْخَلَتْهُ عَلَى آسِيَةَ فَلَمَّا فَتَحَتْهُ وَرَأَتْ الْعُلَامَ فَأَلْقَتْ  
اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً مِنْهَا فَرَحِمَتْهُ آسِيَةُ وَأَحْبَبَتْهُ حُبًّا شَدِيدًا فَلَمَّا سَمِعَ  
الذَّبَّاحُونَ أَمْرَهُ أَقْبَلُوا عَلَى آسِيَةَ بِشَفَارِهِمْ لِيَذْبَحُوا الصَّبِيَّ فَقَالَتْ آسِيَةُ  
لِلذَّبَّاحِينَ إِنصَرَفُوا فَإِنَّ هَذَا الْوَاحِدَ لَا يَزِيدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاتَى فِرْعَوْنَ  
فَأَسْتَوْهَبَهُ إِيَّاهُ فَأَنْ وَهَبَهُ لِي كَتَمْتُ أَحْسَنْتُمْ وَأَنْ أَمَرَ بِذَبْحِهِ لَمْ يَكْمُ فَاتَتْ بِهِ وَ  
قَالَتْ قَرَّةَ عَيْنٍ لِي عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا فَقَالَ فِرْعَوْنَ قَرَّةَ عَيْنٍ لَكَ فَمَا  
أَنَا فَلَاحَاجَةٌ لِي فِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ لَوْ أَقْرَ فِرْعَوْنَ أَنْ  
يَكُونَ قَرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتْ بِهِ لَهْدَاهُ اللَّهُ كَمَا هَدَى بِهِ إِمْرَأَتَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
حَرَمَهُ ذَلِكَ قَالُوا فَأَرَادَ فِرْعَوْنَ أَنْ يَذْبَحَهُ وَقَالَ أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ وَأَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ الَّذِي عَلَى يَدَيْهِ هَلَاكُنَا وَزَوَالُ مَلِكُنَا فَلَمْ تَزَلْ آسِيَةُ

فصل القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

تَكَلَّمَهُ حَتَّىٰ وَهَبَ لَهَا فَلَماً آمَنَتْ آسِيَةً أَرَادَتْ أَنْ تَسْمِيَهُ بِإِسْمِ إِقْتِضَاءِ حَالِهِ وَهُوَ مُوشَىٰ لِأَنَّهُ وَجَدَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالشَّجَرَةِ، وَمَوْ، بِلَفْظِ الْقَبْطِ الْمَاءِ وَ، الشَّاءِ، الشَّجَرَةُ فَعَرَبَ فَقِيلَ مُوسَىٰ وَرَوَىٰ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ أَنَّ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ لَمَّا كَثُرُوا بِمِصْرَ اسْتَطَالُوا عَلَى النَّاسِ وَعَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَوَافَقَ خِيَارَهُمْ شَرَارَهُمْ وَلَمْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ يَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَبْطَ فِاسْتَضْعَفُوهُمْ وَسَامَوْهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَذَبَحُوا أَبْنَاءَهُمْ وَقَالَ وَهَبَ بَلْغَنِي أَنَّهُ ذَبَحَ فِي طَلَبِ مُوسَىٰ سَبْعِينَ أَلْفَ وَلِيدٍ انْتَهَىٰ.

وَلَا نَحْتَاجُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ أَزِيدُ مِنْ هَذَا إِلَّا الْإِعْتِبَارَ فَأَعْتَبَرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ثُمَّ أَنْظَرُوا إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَإِمَهَالِهِ الظَّالِمِينَ وَالْإِنْتِقَامَ مِنْهُمْ بَعْدَ حِينٍ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ<sup>(١)</sup>.  
تَبِيَّةٌ

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مَا لَفَظَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ** آلُ فِرْعَوْنَ قَوْمُهُ وَأَتْبَاعُهُ وَأَهْلُ دِينِهِ وَكَذَلِكَ آلُ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ هُوَ عَلَى دِينِهِ وَمِلَّتُهُ فِي عَصْرِهِ وَسَائِرِ الْأَعْصَارِ سَوَاءً كَانَ نَسِيباً لَهُ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَمِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى دِينِهِ وَمِلَّتُهُ فَلَيْسَ مِنْ آلِهِ وَلَا أَهْلِهِ وَأَنْ كَانَ نَسِيبَهُ وَقَرِيبَهُ خِلَافاً لِلرَّافِضَةِ حَيْثُ قَالَتْ أَنَّ آلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةُ **عَلَيْهَا السَّلَامُ** وَالْحَسَنُ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وَالْحُسَيْنُ **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ** فَقَطْ دَلِيلُنَا، وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ، إِدْخَلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ، أَيُّ آلٍ دِينُهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ابْنٌ وَلَا بِنْتُ وَلَا أَبٌ وَلَا أُمٌّ وَلَا أَخٌ وَلَا عَقِبَةٌ وَلَا أَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّ مِنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤَحِّدٍ فَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ كَانَ قَرِيباً لَهُ وَلَا جِلَّ هَذَا يَقَالُ أَنَّ أَبَاهُ وَأَبَاجَهُ لَيْسَا مِنْ آلِهِ وَلَا مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النَّبِيِّ قَرَابَةٌ وَلَا جِلَّ هَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ابْنِ نُوحٍ: **إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**<sup>(٢)</sup> ثُمَّ نَقَلَ حَدِيثاً عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ الَّذِي كَلَامُهُ حُجَّةٌ عِنْدَ الْقُرْطُبِيِّ.

وأمثاله عن صحيح مسلم أنه قال سمعتُ رسول الله ﷺ جهاراً غير مَرٍ يقول الآن آل أبي - يعني فلاناً - ليسوا لي بأولياء أنما ولي الله وصالح المؤمنين وقالت طائفة آل محمد أزواجه وذريته خاصته لحديث أبي حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته الحديث ورواه مسلم، وقالت طائفة من أهل العلم الأهل معلوم والال الإتياع والأول أصح لما ذكرناه ولحديث عبد الله ابن أوفى أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه قوم بصدقته قال اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى إنتهى ما ذكره لا غفر الله له والغرض من نقل كلامه في المقام هو أن يعرف أعداء الدين في لباس المُفسّرين لكتاب الله الذينهم يفسّرون القرآن بأرائهم ولا يخافون الله ولا رسوله الذي قال من فسّر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار ثم إنظروا أيّها المنصفون في هذه الأراجيف والأباطيل التي لفقها في كتابه وكم لها من نظير فيه، وسمّاه تفسير القرآن.

بعبارة أخرى الجامع لأحكام القرآن، ولم يعلم أن معنى الآل أو الأهل لو كان كما ذكره يعني يصدق على كل من كان على دينه وملته، فإن كان مراده كل من كان على دينه واقعاً فليس القرطبي ومعاوية ويزيد وأمثالهم من آله وأن كان المراد كل من كان على دينه ظاهراً فيلزم أن يكون بنى أمية وبنى المروان وجميع المنافقين والظالمين من آل الرسول والمسلم لا يقول به هذا.

أولاً وثانياً أن رسول الله ﷺ قد عرف آله في كثير من الروايات الصحيحة ولا يحتاج الموضوع الى هذه التكلّفات وجعله آل الرسول كآل فرعون فهو أن كان مخالفاً للروايات من العامة والخاصة غير رواية عمر بن

العاص الخبيث الذي نقله لقوله تعالى: **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ** <sup>(١)</sup> إلا أنه ينبغي  
 أن يُصدق الإمام الشافعي الذي هو أحد الأئمة الأربعة بزعمهم وكان أكثر علماً  
 وفضلاً من الثلاثة وهو الذي يقول على رؤس الأشهاد إن سمعه القرطبي:  
 إذا في مجلسٍ ذكروا عليّ      وشبليه و فاطمة الزكية  
 يُقال تجاوزوا يا قوم هذا      فهذا من حديث الرافضية  
 برئتُ إلى المهيمن من إناس      يرون الرّفْض حُبّ الفاطمية  
 على آل الرسول صلاة ربّي      ولعنة لتلك الجاهلية  
 فعلى قول القرطبي قد صلى الشافعي على كل من كان أو يكون على ملته و  
 دينه وإن كان أمثال عبد الملك و معاوية و يزيد و حجاج و شمر و ابن ملجم و  
 قبلهم و بعدهم، ولا يبعد منه أن يقول به لأنه فيهم.  
 و ثالثاً، يلزم من قوله أن أهل كل مملكةٍ من ممالك الدنيا كانوا من آل  
 السلطان لأنهم أتباعه قهراً أو إختياراً لا يقول به عاقل فطويّت عنه كشاحاً.



وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ  
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾

### ◀ اللغة

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ: الفرق والفلق واحد، والفرق بينهما بالإعتبار فالفلق يقال إعتباراً بالانشقاق، والفرق بالانفصال الْبَحْرُ أصل الْبَحْرُ كُلُّ مَكَانٍ وَاسِعٍ جامع للماء الكثير هذا هو الأصل فيه.  
فَأَنْجَيْنَاكُمْ: قد مرَّ معنى النجاة.  
أَغْرَقْنَا: الغرق الرُسُوب في الماء وفي البلاء والباقي واضح.

### ◀ الإعراب

بِكُمْ الْبَحْرَ، بكم في موضع نصب على أَنَّهُ مفعول ثانٍ وَالْبَحْرُ مفعول أول، والباء هنا في معنى اللام وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ في موضع الحال والعامل في أغرقنا، وآل فرعون مفعول له.

### ◀ التفسير

ثم ذكر الله تعالى نعمة أخرى فقال: وَإِذْ فَرَقْنَا أَيِ إِذْكَرُوا إِذْ فَرَقْنَا، أَيِ شَقَقْنَا، بكم أي لكم أو بسببكم البحر حتى مررتم في فَأَنْجَيْنَاكُمْ من الغرق في وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ في البحر والحال أنكم وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ، اليهم ولم يذكر غرق فرعون لأنه قد ذكره في مواضع كقوله: أَغْرَقْنَا و من معه فأختصر في الآية لدلالة الكلام عليه لأن الغرض إهلاك فرعون وقومه.

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ الْقَضِيَّةِ نُقِلَ فِسِي الْبَحَارِ عَنْ تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ

فَأَتَىٰ بَابَهُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَأْذَنَ لَهُ فَخَسِبَ بِعَصَاهُ الْبَابَ  
فَأَصْطَلَكَ الْأَبْوَابَ مَفْتَحَةً ثُمَّ دَخَلَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَسُولُ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْسِلَ مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنَ  
كَمَا حَكَى اللَّهُ: قَالَ أَلَمْ تُؤْتِكْ فِينَا وَلِبَدًا وَلَبِثْتُ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ، وَ  
فَعَلْتُ فَعَلْتِكَ أَلَتِي فَعَلْتُ<sup>(١)</sup> أَي قَتَلْتُ الرَّجُلَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ يَعْنِي  
كَفَرْتَ بِنِعْمَتِي فَقَالَ مُوسَىٰ كَمَا حَكَى اللَّهُ: فَعَلْنَاهَا إِذَا وَ أَنَا مِنْ  
الضَّالِّينَ، فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ إِلَىٰ قَوْلِهِ أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا  
رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ<sup>(٢)</sup>  
وَسَاقِ الْحَدِيثِ بَطُولُهُ إِلَىٰ أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ  
أَسْرِ بِعِبَادِي أَنْكُمْ مُتَّبِعُونَ فَخَرَجَ مُوسَىٰ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَقْطَعَ بِهِمُ  
الْبَحْرَ وَجَمَعَ فِرْعَوْنَ أَصْحَابَهُ وَبَعَثَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ وَحَشَرَ  
النَّاسَ وَقَدَّمَ مَقْدَمَتَهُ فِي سِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ وَرَكِبَ هُوَ فِي أَلْفٍ أَلْفٍ وَ  
خَرَجَ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَاتٍ وَعِیُونَ وَكَنُوزٍ  
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاتَّبَعُوهُمْ مَشْرِقِينَ فَلَمَّا قَرَّبَ  
مُوسَىٰ الْبَحْرَ وَقَرَّبَ فِرْعَوْنَ مِنْ مُوسَىٰ وَقَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ أَنَا  
لِمَدْرُكُونَ فَقَالَ مُوسَىٰ كَلَّا أَنْ مَعِيَ رَبِّي سَهِدِينَ أَي سَيَنْجِيَنَّا فَنَدَا  
مُوسَىٰ مِنَ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ إِنَّفِرْ فَقَالَ لَهُ الْبَحْرُ اسْتَكَبَرْتَ يَا مُوسَىٰ  
أَنْ تَقُولَ لِي أَنْفِرْ، أَنْفِرْ لَكَ وَلَمْ أَعْصِي اللَّهَ طَرَفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَانَ  
فِيكُمْ الْمَعَاصِي فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ فَأَحْذَرُ أَنْ تَعْصِي وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ آدَمَ  
أَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ بِمَعْصِيَتِهِ فِيهَا وَأَتَمَّا لَعَنَ إِبْلِيسَ بِمَعْصِيَتِهِ فِيهَا  
فَقَالَ الْبَحْرُ عَظِيمُ رَبِّي مُطَاعٌ أَمْرُهُ وَلَا يَنْبَغِي لَشَيْءٍ أَنْ يَعْصِيَهُ فَقَامَ  
يُوشَعَ ابْنُ نُونٍ وَقَالَ لِمُوسَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَمْرُكَ رَبِّكَ فَقَالَ

فِيهِ الْقُرْآنُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ١

المجلد الأول



بعبور البحر فأقحم يوشع فرسه الماء وأوحى الله إلى موسى أن  
أضرب بعصاك البحر فضربه فإنفلق فكان كل فرق كالطود العظيم  
أي كالجبل العظيم فضرب له في البحر إثني عشر طريقاً فأخذ كل  
سبطٍ منهم في طريقٍ فكان الماء لما إرتفع على رؤسهم مثل الجبال  
وقع شعاع الشمس في أرض البحر فبيست كما حكى الله عز وجل  
فأضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى و  
دخل موسى وأصحابه البحر و كان أصحابه إثني عشر سبطاً  
فَضْرَبَ اللهُ لَهُمْ فِي الْبَحْرِ إِثْنِي عَشَرَ طَرِيقاً فَأَخَذَ كُلُّ سَبْطٍ مِنْهُمْ فِي  
طَرِيقٍ وَكَانَ الْمَاءُ قَدْ إِرْتَفَعَ عَلَى رُؤُسِهِمْ مِثْلَ الْجِبَالِ فَجَزَعَتِ الْفِرْقَةُ  
الَّتِي كَانَتْ مَعَ مُوسَى فِي طَرِيقِهِ فَقَالُوا يَا مُوسَى أَيْنَ أَخَوَانَا فَقَالَ  
لَهُمْ مَعَكُمْ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَصْدُقُوهُ فَأَمَرَ اللهُ الْبَحْرَ فَصَارَتْ طَاقَاتُ  
حَتَّى كَانَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَيَتَحَدَّثُونَ وَأَقْبَلَ فِرْعَوْنُ  
وَجُنُودُهُ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَحْرِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي رَبُّكُمْ  
الْأَعْلَى قَدْ فَرَجَ لِي الْبَحْرُ فَلَمْ يَجْسِرْ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ الْبَحْرَ وَإِمْتَنَعَتْ  
الْخَيْلُ مِنْهُ لَهَوْلِ الْمَاءِ فَتَقَدَّمَ فِرْعَوْنُ حَتَّى جَاءَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ  
لَهُ مَنْجِمُهُ لَا تَدْخُلِ الْبَحْرَ وَعَارِضُهُ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَأَقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ  
حِصَانٍ فإِمْتَنَعَ الْفَرَسُ الْحِصَانُ أَنْ يَدْخُلَ الْمَاءَ فَعُطِفَ عَلَيْهِ جِبْرِئِيلُ  
وَهُوَ عَلَى مَادْيَانَةَ فَقَدَّمَهُ وَدَخَلَ فَنَظَرَ الْفَرَسُ إِلَى الرَّمْكَةِ فَطَلَبَهَا  
وَدَخَلَ الْبَحْرَ وَاقْتَحَمَ أَصْحَابُهُ خَلْفَهُ فَلَمَّا دَخَلُوا كُلُّهُمْ حَتَّى كَانَ آخِرُ  
مَنْ دَخَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَآخِرُ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَصْحَابِ مُوسَى أَمَرَ اللهُ  
الرِّيَّاحَ فَضَرَبَتْ الْبَحْرَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ فَأَقْبَلَ الْمَاءُ يَقَعُ عَلَيْهِمْ مِثْلُ  
الْجِبَالِ فَقَالَ فِرْعَوْنُ عِنْدَ ذَلِكَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو  
إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَخَذَ جِبْرِئِيلُ كَفًّا مِنْ حَمَاطٍ فَدَسَّهَا فِي

فيه ثم قال الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين<sup>(١)</sup>.

تنبيه آخر:

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية ما لفظه، فصل، ذكر الله تعالى الأنجاء والإغراق ولم يذكر اليوم الذي كان ذلك فيه فروي مسلم عن ابن عباس أن رسول الله قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله ﷺ ما هذا اليوم الذي تصومونه فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن نصومه فقال رسول الله فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه وأخرجه البخاري أيضاً عن ابن عباس وأن النبي قال لأصحابه أنتم أحق بموسى منهم فصوموا انتهى.

ثم ذكر مسألة وقال بعدها.

مسألة، اختلف في يوم عاشوراء هل هو التاسع من المحرم أو العاشر فذهب الشافعي إلى أنه التاسع لحديث الحكم بن الأعرج قال إنتهيت إلى ابن عباس وهو متوسد رده في زمزم فقلت له أخبرني عن صوم عاشوراء فقال إذا رأيت هلال المحرم فأعدد وأصبح يوم التاسع صائماً قلت هكذا كان محمد ﷺ يصومه قال نعم، خرجه مسلم وساق الكلام بذكر هذه الأكاذيب إلى أن قال. فضيلة.

روى أبو قتادة أن النبي ﷺ قال صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن سكفر السنة التي قبله أخرجه مسلم والترمذي انتهى.

أقول فيما ذكره القرطبي ودقائق ينبغي لكل مسلم أن يعرفها.

**أولها:** أَنْ نَبِيَّهُمْ أَخَذَ صَوْمَ يَوْمِ عَاشُورَاءَ مِنَ الْيَهُودِ وَهُوَ كَانَ جَاهِلًا بِفَضْلِ الصَّوْمِ فِي هَذَا الْيَوْمِ قَبْلَ مَجِيئِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمَّا وَرَدَ بِهَا صَامَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِهِ وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ دَعَتْ أَعْدَاءَ الدِّينِ إِلَى قَوْلِهِمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ أَخَذَ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ وَأَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ تَعَلَّمَ عِنْدَ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَأَخَذَ دِينَهُ مِنْهُمْ.

**ثانيها:** أَنَّ رَسُولَ الْإِسْلَامِ إِقْتَدَى بِمُوسَى فِي حُكْمِ كَانَ فِي شَرِيعَتِهِ عَلَى قَوْلِ الْقُرْطُبِيِّ وَمَنْ إِقْتَدَى فِي دِينِهِ بغيره فَذَلِكَ الْغَيْرُ أَفْضَلُ مِنْهُ لَا مُحَالَةَ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُوسَى أَفْضَلُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ كَمَا تَرَى.

وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَوْ أَدْرَكْنِي أَخِي مُوسَى مَا وَسَّعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي.

**ثالثها:** قَوْلُهُ ﷺ لِأَصْحَابِهِ، أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصُومُوا، وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ لَوْ كَانُوا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنَ الْيَهُودِ فَمُوسَى أَحَقُّ بِالرَّسَالَةِ مِنَ الرَّسُولِ لِأَنَّ مَعْنَى الْإِحْقَاقِ أَنَّ مُوسَى أَحَقُّ بِاتِّبَاعِ مَنْهُ ﷺ.

**رابعها:** إِخْتِلَافُ النَّاسِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَهُوَ مِمَّا تَضَحَّكَ بِهِ التَّكْلِي، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَاشُورَاءَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَشْرَةِ كَمَا أَنَّ النَّاسُوعَاءَ مِنَ التَّسْعَةِ وَكَيْفَ يَعْقِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ وَمَنْ لَا يَعْلَمُ الْفَرْقَ بَيْنَ التَّسْعِ وَالْعَشْرِ كَالشَّافِعِيِّ أَنْ صَحَّ النَّقْلُ، فَكَيْفَ يَدَّعِي إِمَامَةَ الْأُمَّةِ وَكَيْفَ يُوْخَذُ بِقَوْلِهِ وَحُكْمِهِ.

**خامسها:** يَظْهَرُ مِنَ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ مُوسَى وَقَوْمَهُ كَانُوا جَاهِلِينَ بِالْعَاشُورَاءِ حَتَّى أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بِهِ كَمَا فِي حَدِيثِ مَنَاجَاةِ مُوسَى وَقَدْ قَالَ يَارَبِّ لَمْ فَضَّلْتَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَضَّلْتَهُمْ لِعَشْرِ خِصَالٍ قَالَ مُوسَى وَمَا تِلْكَ الْخِصَالُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا حَتَّى أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالْحَجُّ، وَالْجِهَادُ،

والجمعة، والجماعة، والقرآن والعلم والعاشوراء قال البكاء والتباكى على سبط محمدٍ الحديث.

فاذا كان موسى كذلك فكيف كان هو وأصحابه يصومون في العاشوراء، والذي دعى القرطبي الى القول به وأن الصوم فيه مرغوب فيه هو أن العاشوراء يوم قتل فيه سبط الرسول على أيدي الكفرة الفجرة لعنهم الله وهو يوم تَبَرَّكَت به بنو أمية وبنو مروان وآل زياد وأمثالهم من الطغاة بقتلهم فيه أولاد الرسول ولأجل ذلك صاموا وحكموا أتباعهم بالصيام فيه تيمناً وتبركاً وحيث أن القرطبي مرواني النسب فقال ما قال ولنعم ما قيل:

بأبه إقتدي عدي في الكرم      ومن يشابه أبه فما ظلم  
اللهم أحشره مع من أحبه.



وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ  
مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ  
بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾

## △ اللغة

إِذْ: إسم للوقت الماضي كما أنَّ إِذَا إسم للوقت المُستقبل.  
وَإِعْدْنَا: قرأ أهل البصرة بغير ألف والباقون بإثباته والقراءتان صحيحتان  
قويتان والوعد يكون في الخير والشر والوعيد في الشر خاصة.  
مُوسَى: إسم مركب من اسمين بالقبطية، المو، هو الماء وسى شجر وقيل،  
شىء، شجر وأصله موشى ثم عَرَب فصار موسى وأما سَمِي به لأنَّ التَّابوت  
الَّذِي كان فيه موسى وجد عند الماء والشَّجر وجدنه جوارى آسية امرأة  
فرعون وقد خرجن ليغتسلن فسمي بالمكان الَّذي وجد فيه وهو موسى ابن  
عمران بن يعمر بن ناهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام  
اتَّخَذْتُمْ: وقرأ أخذتم.  
الْعِجْلُ: بكسر العين ولد البقرة.

عَفَوْنَا: العفو القصد لتناول الشئ يقال عَفَاهُ أي قصده متناولاً  
عنده وعَفَوْتُ عنه قصدت ازالة ذنبه صارفاً عنه وقيل العفو هو التجافي عن الذنب.  
تَشْكُرُونَ: الشكر تصوّر النعمة إظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة و  
سترها.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

## △ الإعراب

وَإِذْ في محلّ النَّصب على المفعوليّة والتقدير واذكر اذ وَاَعَدْنَا، وَعَد  
يتعدى الى مفعولين تقول وعدت زيدا مكان كذا و يوم كذا فالمفعول الأول،

موسى، أَرَبَعِينَ الْمَفْعُولَ الثَّانِي ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إِتَّخَذَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، فَالْعِجْلَ، مَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي مَحذُوفٌ أَيِ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إِلَهًا، مِنْ بَعْدِهِ أَيِ مِنْ بَعْدِ إِنْطِلَاقِهِ فَحَذَفَ الْمُضَافُ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْحَالِيَةِ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ، ثُمَّ حُرِفَ عَطْفٌ لِلتَّرَاخِي وَعَفَوْنَا فَعَلَ وَفَاعِلٌ عَنْكُمْ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَعَلَّ، مِنْ حُرُوفِ النَّاصِبَةِ لِلإِسْمِ رَافِعَةٌ لِلْخَبَرِ نَحْوُ إِنْ وَأَنْ، كَمِ إِسْمِهِ تَشْكُرُونَ، خَبَرُهُ.

### ◀ التفسير

أي وأذكر وإِذْ وَاَعْدْنَا مُوسَى أَرَبَعِينَ لَيْلَةً يَعْنِي ذِي الْقَعْدَةِ وَعِشْرًا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَقِيلَ ذَالْحِجَّةَ وَعِشْرًا مِنَ الْمَحَرَّمِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ الْعِجْلَ إِلَهًا مِنْ بَعْدِهِ أَيِ مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَالْحَالُ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ثُمَّ عَفَوْنَا وَتَجَاوَزْنَا عَنْكُمْ أَيِ أَرْزَلْنَا وَصَرَفْنَا عَنْكُمْ الذَّنْبَ، مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، أَيِ بَعْدِ إِتَّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ إِلَهًا لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَلَا تَكْفُرُونَ بِنِعْمَتِي عَلَيْكُمْ.

كَيْفِيَّةُ الْقَضِيَّةِ: لَمَّا وَعَدَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ وَالْأَلْوَحُ إِلَى ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَخْبَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِذَلِكَ وَذَهَبَ إِلَى الْمِيقَاتِ وَخَلَفَ هَارُونَ عَلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا جَاءَتِ الثَّلَاثُونَ يَوْمًا وَلَمْ يَرْجِعْ مُوسَى إِلَيْهِمْ غَضِبُوا وَأَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوا هَارُونَ قَالُوا أَنْ مُوسَى كَذَبَنَا وَهَرَبَ مِنْهَا فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ فَقَالَ لَهُمْ أَنْ مُوسَى قَدْ هَرَبَ مِنْكُمْ وَلَا يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا فَأَجْمَعُوا إِلَى حَلِكُمْ حَتَّى اتَّخَذَ لَكُمْ إِلَهًا تَعْبُدُونَهُ وَكَانَ السَّامِرِيُّ عَلَى مَقْدَمَةِ مُوسَى يَوْمَ غَرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَأَصْحَابَهُ فَنَظَرَ إِلَى جِبْرِئِيلَ وَكَانَ عَلَى حَيَوَانٍ فِي صُورَةِ رَمَكَةٍ وَكَانَتْ كُلُّ مَا وَضَعَتْ حَافِرُهَا عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْأَرْضِ يَتَحَرَّكُ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ السَّامِرِيُّ وَكَانَ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ مُوسَى فَأَخَذَ التُّرَابَ مِنْ حَافِرِ رَمَكَةِ جِبْرِئِيلَ

وكان يتحرك فصره في صرة وكان عنده ليفخر به على بني إسرائيل فلما جاءهم إبليس واتخذوا العجل قال للسامري هات التراب الذي معك فجاء به السامري فألقاه إبليس في جوف العجل فلما وقع التراب في جوفه تحرك وخار ونبت عليه الوبر والشعر فسجد له بنو إسرائيل فكان عدد الذين سجدوا سبعين ألفاً من بني إسرائيل فقال لهم هارون:

قال الله تعالى: **يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَاطِيعُوا أَمْرِي، قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى<sup>(١)</sup>.**

فهموا بهارون حتى هرب من بينهم وبقوا في ذلك حتى تم ميقات موسى أربعين ليلة فلما كان يوم عشرة من ذي الحجة أنزل الله عليه الألواح فيه التوراة وما يحتاجون اليه من أحكام السير والقصص ثم أوحى الله الى موسى أنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري وعبدوا العجل وله خوار فقال موسى يارب العجل من السامري فالخوار ممن، قال متي يا موسى أنا لما رأيتهم قد ولوا عني الى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة فرجع موسى كما حكى الله الى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفضال عليكم العهد أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ثم رمى بالألواح وأخذ بلحية أخيه هارون ورأسه يجره اليه فقال له ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أف عصيت أمري فقال هارون كما حكى الله يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أنني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي فقال له بنو إسرائيل ما أخلفنا موعداً بملكنا قال ما خالفناك ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم يعني من حلّهم فقدفناها فالتراب الذي جاء به السامري طرحناه في جوفه ثم أخرج السامري العجل وله خوار فقال له موسى ما خطبك يا سامري قال السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول

يعني من حت حافر رمكة جبرئيل في البحر فنبتتها أي أمسكتها وكذلك  
سوّلت لي نفسي أي زينت فأخرج موسى العجل فأحرقه بالنار وألقاه في البحر  
ثم قال موسى للسامري اذهب فأنت لك في الحياة أن تقول لا مساس يعني ما  
دمت حياً و عقبك هذه العلامة فيكم قائمة حتى تعرفوا أنكم سامرية فلا يغتر  
بكم الناس فهم إلى الساعة بمصر والشام معروفين لا مساس ثم هم موسى  
بقتل السامري فأوحى الله إليه لا تقتله يا موسى فإنه سخي فقال له موسى أنظر  
إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقه ثم لينسفنه في اليم نسفاً أما إلهكم  
الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً وأما قوله تعالى: ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ الْخ.  
فالمعنى عَفَوْنَا عَنْ أَمْرَانِكُمْ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ لَعَلَّكُمْ يَأْتِيهَا الْكَائِنُونَ فِي عَصْرِ  
مُحَمَّدٍ ﷺ من بني إسرائيل تشكرون تلك النعمة على أسلافكم و عليكم  
بعدهم وإنا عفا الله عز وجل عنهم لأنهم دعوا محمد وآله الطيبين وجَدَّوْا  
على أنفسهم الولاية لمحمد ﷺ وآله الطاهرين فعند ذلك رحمهم الله و  
عفا عنهم.

وفي المقام أبحاث لا بد من الإشارة إليها:

**الأول:** أن قوله تعالى: **وَأَعَدْنَا** من المواعدة وهي مستلزم الطرفين لأن باب  
المفاعلة لا يكون إلا بين اثنين والله عز وجل فأنما هو المنفرد بالوعد والوعد  
والجواب عنه أما أولاً فبأن كثيراً من القراء قرأوا بدون الألف قبل العين، فقالوا،  
وعدنا، وهذه القراءة صحيحة قوية و عليه فلا إشكال في المقام.

**ثانياً:** نقول أن الوعد وأن كان من الله تعالى فقبوله كان من موسى وقبول  
الوعد يشبه الوعد لأن القابل للوعد يقول بلسان مقاله أو حاله أفعل ذلك  
هكذا قيل وإعترض عليه بأن القبول ليس بوعد حقيقة بل هو إخبار الموعود  
بما يفعل به من خير، والأحسن في الجواب هو أن يقال باب المفاعلة قد تأتي  
من واعد في كلام العرب كما يقال طارقت النعل و داويت العليل و عاقبت



الّصّ، و أمثال ذلك ممّا يكون الفعل من واعدٍ، و قيل أنّ الطّاعة من العبد بمنزلة القبول فمن الله تعالى، الوعد و من موسى الطّاعة، وكيف كان فالوجه ما ذكرناه.

**الثّاني:** أنّ تعيين عدد الأربعين في الميعاد لإختصاصه في الكمالية و ذلك لأنّ مراتب الأعداد أربعة، الأحاد، والعشرات والمئات والألوف، ثمّ أنّ العشرة في نفسها كاملة لقوله تعالى تلك عشرة كاملة، و اذا ضعفت عشرة أربع مرّات و هو كمال مراتب الأعداد يحصل أربعون و هو كمال الكمال و هو عدد أيّام تخمير طينة آدم عليه السلام لما ورد خَمَرَتْ طِينَةُ آدَمَ بِيَدَيَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا. و روي عنه عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: أَنَّهُ خَلَقَ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَظْفَةً ثُمَّ عُلِقَ مِثْلُ ذَلِكَ ثُمَّ مَضِغَةٌ مِثْلُ ذَلِكَ.

ثمّ أنّ كمال العقل في أربعين ورياضة المرتاضين في أربعين و إنعقاد الطّلسم الجسماني مخصوص بالأربعين و إنحلاله أيضاً بالأربعين الى غير ذلك.

**الثّالث:** لم قال تعالى أربعين ليلة و لم يقل أربعين يوم قالوا لأنّ الشّهور تبدأ من اللّيلالي و قيل لأنّ اللّيل أسبق من اليوم فهي قبله في الرّتبة و لذلك وقع بها التّاريخ.

و قال بعض أهل المعرفة أنّ للّيل خصوصية في التّعبد و التقرب كقوله عليه السلام: أنّ أقرب ما يكون العبد من الرّب في جوف اللّيل، لهذا قال الله تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام: **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ** <sup>(١)</sup>.

و قوله تعالى: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** <sup>(٢)</sup> و معلوم أنّ الوجوه المذكورة كلّها إستحسانات عقلية.

## وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

### ◀ اللغة

الْكِتَابُ: في الأصل مصدر ثم سُمِيَ المكتوب فيه كتاباً فهو إسم للصّحيفة مع المكتوب فيه.  
الْفُرْقَانُ: بضم الفاء مصدر قولك فَرَّقَ فرقا وفرقانا، فالفرقان كل ما فَرَّقَ به بين الحقّ والباطل.  
تَهْتَدُونَ: مرّ معنى الهداية.

### ◀ الأعراب

قد مرّ الكلام في إعراب إِذْ موسى مفعول لقوله آتَيْنَا والكتاب مفعوله الثاني، والفرقان معطوف على الكتاب لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ الكلام فيه كالکلام في قوله: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وقد مضى.

### ◀ التفسير

وإذكروا إِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ الَّذِي يَفْرُقُ به بين الحقّ والباطل، لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أي لكي تهتدوا.  
أما الكتاب فالمراد به التّوراة بالإتفاق و أما الفرقان فقد اختلفوا فيه على أقوال:

أحدها: قول ابن عباس وهو أنّ الفرقان أيضاً التّوراة وأنما عطفه عليه لإختلاف اللفظين وقال قطرب وتغلب يحتمل أن يكون المراد به القرآن أي أتى موسى التّوراة ومحمد ﷺ الفرقان وضعف هذا القول ظاهر لأنّ فيه

حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع أنه تعالى قد أخبر أنه أتى موسى الفرقان كما قال: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهُرُونَ الْفُرْقَانَ** <sup>(١)</sup>.

وقيل المراد بالفرقان انفراق البحر لبني إسرائيل والفرج الذي أتاهم كما قال: **يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**. أي مخرجاً وقيل المراد به الحلال والحرام الذي ذكره في التوراة وقيل المراد به النصر الذي فرق الله به بين موسى وفرعون كما فرق بين محمد ﷺ وبين المشركين وقال أبو مسلم هو ما أوتي من الآيات والحج التي فيها التفرقة بين الحق والباطل وقال الطبري من العامة بعد نقله الأقوال المذكورة وغيرها أن الفرقان الذي ذكر الله أنه أتاه موسى في هذا الموضع هو الكتاب الذي فرق به بين الحق والباطل وهو نعت للتوراة وصفة لها فيكون تأويل الآية حينئذٍ وإذ آتينا موسى التوراة التي كتبناها في الألواح وفرقنا بها بين الحق والباطل فيكون الكتاب نعتاً للتوراة أقيم مقامها إستغناءً به عن ذكر التوراة ثم أعطف عليه بالفرقان انتهى.

وأما قوله: **لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** معناه لكي تهتدون لأن الترجي في حقه تعالى غير معقول وذلك لأنه لا يجبي حقيقته إلا في مورد الشك فإذا قلنا لعل زيداً قائم، نترجى منه القيام لانعلم أنه يقوم أم لا وأما واجب الوجود الذي علمه عين ذاته فهو يعلم السر والعلن والماضي والمستقبل والحال بالنسبة إليه سواء ولذلك لا يجبي فيه الترجي واقعاً فهذه الكلمة أينما وجدت في كلامه معناها ما ذكرناه فقوله: **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** وأمثالها معناه أنه يقع قطعاً من غير تردد فيه وعليه فمعنى الآية، **آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ** لأجل أن تهتدوا وقد مر معنى الهداية في أوائل السورة وفي سورة الحمد إن شئت فراجع.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ  
بَاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ  
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ  
هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤)

### ◀ اللغة

فَتُوبُوا: أصل التوبة الرجوع من الذنب.  
بَارِئِكُمْ: الباري خص بوصف الله تعالى والبرية الخلق قيل أصله الهمز  
فترك وقيل من قولهم برئت العود وسميت برية، لكونها مبرية عن البرى أي  
التراب بدليل قوله تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ وقوله: أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ قَالَ  
عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالَّذِي خَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَاءَ النَّسْمَةِ أَلَخ.

### ◀ الإعراب

قد مضى الكلام في إعراب، إذ، يَا قَوْمِ منادى ومحله النصب وأصله  
يا قومى حذف ياء المتكلم والكسرة تدل عليه وهذا يجوز في النداء خاصة.

### ◀ التفسير

وأذكروا وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ وهم بنو إسرائيل يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ  
أَنْفُسَكُمْ وتعدتيم عليها بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ إِلَهَا كَمَا مَرَّ فَتُوبُوا من هذا الذنب  
العظيم إِلَى بَارِئِكُمْ وخالفكم فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ أَي قَتْلِ الْأَنْفُسِ خَيْرٌ  
لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ أَي اللَّهُ تَعَالَى هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ عَلَى  
سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مَرَّ الْكَلَامُ مِنْهُ فِي كَيْفِيَّةِ اتِّخَاذِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعِجْلَ إِلَهًا وَلَا شَكَّ  
أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الذَّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْ لِقْمَانَ: وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ

لَا يَنْبِيهِ وَهُوَ يَعْظُمُهُ يَا بَنِي لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>.

و حيث ثبت الذنب فدوائه التوبة وإنما قال ظلمتم أنفسكم لأن العبد إذا عصي الله فهو يضر بنفسه لأن ضرر الذنب يرجع إليه لا محالة وفيه إشارة إلى أن الله تعالى لا يحتاج إلى عبادة العبد بمعنى أن نفع العبادة يرجع إلى العبد كما أنه تعالى لا يتضرر من معصية قال أمير المؤمنين في خطبة المتقين:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ أَمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ الْخ.

وقال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ<sup>(٢)</sup> والحاصل أنه قد ثبت بالأدلة العقلية والنقلية أنه غني مطلق وما سواه فقير مطلق محتاج إليه ولاجل هذا قال: إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ فقد اختلفوا في المراد بالقتل في الآية على أقوال

أحدهما: يقتل بعضهم بعضاً ذهب إليه ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد والحسن وغيرهم من أهل العلم كما يقول القائل قتل آل فلان إذا قتل بعضهم بعضاً.

ثانيهما: ما ذكره ابن عباس وإسحاق وإختره أبو علي وهو أن يستسلموا للقتل فجعل إستسلامهم للقتل قتلاً منهم لأنفسهم على وجه التوسع.

ثالثها: ما قيل أن السبعين الذين إختارهم موسى للميقات أمره بالقتل لمن سأل الرؤية من بني إسرائيل.

رابعها: أنهم قتلوا أنفسهم كما أمروا عمدوا إلى الخناجر وجعل بعضهم يطعن بعضاً ونقل عن ابن عباس أنهم غشّتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضاً ثم إنجلت الظلمة فأجلوا عن سبعين ألف قتيل والسبب الذي

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

لأجله أمروا بقتل أنفسهم ذكره ابن جريج وهو أَنَّ اللَّهَ علم أَنَّ ناساً منهم علموا أَنَّ العجل لان باطلاً فلم يمنعهم أن ينكروا إلا خوف القتل فلذلك بلاهم اللَّه أن يقتل بعضهم بعضاً.

وقال الرّماني ولا بد أن يكون في الأمر بالقتل لطف لهم ولغيرهم كما يكون في إستسلام القاتل لطف له ولغيره وهذه الوجوه ذكرها الشيخ في التّبيان. ونقل بعض المفسّرين أَنَّ موسى و هارون وقفا يدعون اللَّه ويتضرّعان اليه وهم يقتل بعضهم بعضاً حتّى نزل الوحي برفع القتل وقبلت توبته من بقى. **خامسها:** قال أرباب الخواطر أي دَلَّلُوها بالطّاعات وكَفَّوها عن الشّهوات. **سادسها:** ما قيل أنّه وقف الَّذِينَ عبدوا العجل صَفّاً ودخل الَّذِينَ لم يعبدوه عليهم بالسّلاح فقتلوهُم والأقوال كثيرة جداً.

ونقل في تفسير البرهان عن عليّ ابن إبراهيم أنّه قال أَنَّ موسى لما خرج الى الميقات ورجع الى قومه وقد عبدوا العجل قال لهم موسى يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فقالوا وكيف نقتل أنفسنا فقال لهم موسى إغدوا كلّ واحدٍ منكم الى بيت المقدّس ومعه سكّين أو حديدة أو سيف فإذا صعدت أنا منبر بني إسرائيل فكونوا أنتم ملثمين لا يعرف أحد صاحبه فأقتلوا بعضهم بعضاً فأجتمعوا سبعين ألف رجل ممّن كان عبدوا العجل الى بيت المقدّس فلما صلّى بهم موسى وصعد المنبر أقبل بعضهم يقبل بعضاً حتّى نزل جبرئيل فقال قُلْ لهم يا موسى إرفعوا القتل فقد تاب الله عليكم فقتل منهم عشرة آلاف وأنزل الله: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ فهذه هي الأقوال التي وصلت بأيدينا من المفسّرين في تفسير هذه، الآية، فالفاء في قوله: فَتُوبُوا للسّبب لأنّ الظلم سبب التّوبة وفي قوله: فَاقْتُلُوا للتّعقيب لأنّ المعنى فأعزموا على التّوبة أي فأتبعوا التّوبة القتل تَمّة لتوبتكم وفي قوله: فَتَابَ عَلَيْكُمْ متعلّق بمحذوف

أَي فَاِنَّ فَعَلْتُمْ فَقَدْ تَابَ عَلَيْكُمْ وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِلْتِفَاتِ فَالْتَقْدِيرِ  
فَفَعَلْتُمْ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مُوسَى فَتَابَ عَلَيْكُمْ بَارِئُكُمْ.

قال بعض العُرفاء أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عَجَلاً يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ  
عِجْلَ الدَّرَاهِمِ وَالذَّنَانِيرِ وَ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ عِجْلَ الشَّهَوَاتِ وَ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ عِجْلَ  
الْجَاهِ وَ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ عِجْلَ الْهَوَىِّ وَ هَذَا أَبْغَضُهَا عِنْدَ اللَّهِ فَاللَّهُ تَعَالَى يُلْهِمُ  
مُوسَى قَلْبَ كُلِّ سَعِيدٍ لِيَقُولَ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ  
فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ أَيِ إِرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ بِالْخُرُوجِ عَمَّا سِوَاهُ وَ لَا يُمْكِنُكُمْ إِلَّا  
بِقَتْلِ النَّفْسِ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بِقَمْعِ الْهَوَىِّ لِأَنَّ الْهَوَىِّ هُوَ حَيَاةُ النَّفْسِ وَ بِالْهَوَىِّ  
إِدْعَى فِرْعَوْنُ الرُّبُوبِيَّةَ وَ عَبْدُ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْعِجْلَ وَ بِالْهَوَىِّ أَبِي وَ اسْتَكْبَرَ إِبْلِيسُ،  
أَوْ إِرْجِعُوا بِالْإِسْتِنصَارِ عَلَى قَتْلِ النَّفْسِ فَنَهَى عَنْ هَوَاهَا فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ  
بِنَصْرِ اللَّهِ وَ عَوْنِهِ فَإِنَّ قَتْلَ النَّفْسِ فِي الظَّاهِرِ يَتَسَرُّ لِلْمُؤْمِنِ وَ الْكَافِرِ وَ أَمَّا قَتْلُ  
النَّفْسِ فِي الْبَاطِنِ فَأَمْرٌ صَعِبٌ لَا يَتَسَرُّ إِلَّا لِلْخَوَاصِّ بِسَيْفِ الصِّدْقِ وَ نَصْرِ الْحَقِّ  
وَ بِهَذَا جَعَلَ مَرْتَبَةَ الصِّدِّيقِينَ فَوْقَ مَرْتَبَةِ الشَّهَدَاءِ وَ كَانَ النَّبِيُّ إِذَا رَجَعَ مِنْ غَزْوٍ  
يَقُولُ رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُجَاهِدَ إِذَا قَتَلَ  
بِسَيْفِ الْكُفَّارِ يَسْتَرِيحُ مِنَ التَّعَبِ بِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ وَ إِذَا قَتَلَ بِسَيْفِ الصِّدْقِ فِي يَوْمٍ  
أَلْفَ مَرَّةٍ تَحْيِي كُلَّ مَرَّةٍ نَفْسَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ أُخْرَى وَ تَزْدَادُ فِي مَكْرَهَا فَلَا يَسْتَرِيحُ  
الْمُجَاهِدُ طَرَفَةً عَيْنٍ مِنْ جِهَادِهَا وَ لَا يَأْمَنُ مَكْرَهَا وَ بِالْحَقِيقَةِ النَّفْسُ هِيَ صُورَةُ  
الْمَكْرِ وَ لَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ذَلِكَمُ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ  
يَعْنِي قَتْلَ النَّفْسِ بِسَيْفِ الصِّدْقِ خَيْرٌ لَكُمْ لِأَنَّ بِكُلِّ قَتْلَةٍ رَفْعَةٌ وَ دَرَجَةٌ لَكُمْ عِنْدَ  
بَارِئِكُمْ فَانْتُمْ تَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِقَتْلِ النَّفْسِ وَ قَمْعِ الْهَوَىِّ وَ هُوَ يَتَقَرَّبُ إِلَيْكُمْ  
بِالتَّوْفِيقِ لِلتَّوْبَةِ وَ الرَّحْمَةِ عَلَيْكُمْ كَمَا قَالَ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ يَشِيرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا  
وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَ سَيَأْتِي الْكَلَامُ فِي التَّوْبَةِ  
بِوَجْهِ أَبْسَطٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ  
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ  
بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾  
وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى  
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ  
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

### ◀ اللغة

جَهْرَةً: الجهر يقال لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر أو حاسة السمع.  
الصَّاعِقَةُ: الصَّاعِقَةُ والصَّاقِعَةُ يتقاربان وهما الهذّة الكبيرة إلا أنَّ الصَّعِقَ  
يقال في الأجسام الأرضية والصَّعِقَ في الأجسام العلوية، والصَّاعِقَةُ على ثلاثة  
أوجه، الأول: المَوْت كقوله تعالى: فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ <sup>(١)</sup> و  
قوله: فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ.

الثاني: العذاب كقوله تعالى: أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ <sup>(٢)</sup>.

الثالث: بمعنى النَّار كقوله تعالى: وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ  
يَشَاءُ <sup>(٣)</sup> وقيل الصَّاعِقَةُ هي الصَّوْت الشَّدِيد من الجَوِّ ثم يكون منه نار فقط أو  
عذاب أو مَوْت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الأشياء تأثيرات منها.  
بَعَثْنَاكُمْ: البعث في الأصل إثارة الشيء وتوجيهه يقال بَعَثَهُ فَأَنْبَعَثَ و  
الْبَعَثَ على ما قاله الراغب ضربان، بشري كبعث البعير وبعث الإنسان في  
حاجة، وإلهي وذلك ضربان.

أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن اللَّيْسِ المَحْضِ وذلك  
مُخْتَصٌّ بالباري ولم يقدر عليه أحد.



الثَّانِي: إحياء الموتى و قد خَصَّ بذلك بعض اوليائه كعيسى عليه السلام ومنه قوله فهذا يوم البعث يعني يوم الحشر إنتهى.

مَوْتَكُمْ: الموت ضدَّ الحياة.

وَضَلَّلْنَا: الظل ضدَّ الصَّح وهو أعم من الفَيء يقال ظلَّ الليل و ظلَّ الجنة و يقال لكل موضع لم تصل الشمس اليه ظلٌّ ولا يقال الفَيء إلا لما زال عنه الشمس و قد يُعَبَّر بالظل عن العزَّة والمنعَّة عن الرفاهة كقوله تعالى: إِنَّ الْأَمْتَقِينَ فِي ظِلَالٍ وَ عُيُونٍ <sup>(١)</sup> أي في عزَّة و مناع.

الْغَمَام: الغم ستر الشَّي ومنه الغمام لكونه ساتراً ل ضوء الشمس قال الله تعالى: يأتهم الله في ظللي من الغمام.

الْمَنِّ وَالسَّلْوَى: قيل، المَن شئ كالظل فيه حلاوة يسقط على الشجر، والسَّلْوَى طائر، و قيل كلاهما إشارة الى ما أنعم الله به عليهم و هما بالذات شئ واحد لكن سمَّاه مَنَّا بحيث أنه إمتن به عليهم و سمَّاه سلوى من حيث أنه كان لهم به التسلية.

طِيبَات: أصل الطيب ما تستلذه الحوَّاس وما تستلذه النفس والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوزه و بقدر ما يجوز و من المكان الذي يجوز.

ما ظَلَمُونَا: الظلم وضع الشئ في غير محله و هو ضدَّ العدل الذي وضع الشئ في محله.

## الإعراب

جَهْرَةً مصدر في موضع الحال من إسم الله و قيل حال من التاء والميم في قلتم و قيل مصدر منصوب بفعل محذوف أي جهرتم جَهْرَةً (و الصَّاعِقَةُ الصَّاعِقَة) مفعول ثانٍ لقوله أَخَذْتَكُمْ، و مفعول الأول كُمْ، وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ في

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

موضع الحال و محلّه النصب وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ، ظَلَّلَ مَعْدٍ الى مفعولين أحدهما كم، و ثانيهما الغمام الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، الْمَنِّ مفعول ثانٍ لقوله أَنْزَلْنَا وَالسَّلْوَى معطوف عليه وهما جنسان مِنْ طَيِّبَاتٍ من هنا للتبعية أو لبيان الجنس و المفعول محذوف والتقدير كُلُّوا شَيْئاً من طَيِّبَاتِ أَنْفُسِهِمْ مفعول لقوله يظلمون أنفسهم.

### ◀ التفسير

والبحث في مقاصد ثلاثة:

المقصد الأول: في قوله: إِذْ قُلْتُمْ الى قوله: تَنْظُرُونَ.

الثاني: في قوله: ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ الى قوله: تَشْكُرُونَ.

الثالث: في قوله: وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ الى قوله: يَظْلُمُونَ.

المقصد الأول: في تفسير قوله تعالى: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى الى قوله: تَنْظُرُونَ.

فنقول و أذكروا وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ، أي لن نؤمن لأجل قولك أَوْ لَنْ تُقَرَّ بما إِدَّعَيْتَهُ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً كما نرى غيره من الموجودات فَآخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ بقولكم هذا والحال أنتم تشاهدونهم فيما جرى عليهم إختلفوا في معنى قوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فمنهم من قال أي لَنْ نَصْدَقَكَ في قولك أنك نبي مبعوث حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً أي علانية فَيُخْبِرُنَا بِأَنَّكَ مَبْعُوثٌ وقيل معناه لا نصدقك فيما تخبر به من صفات الله و ما يجوز عليه حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَيُخْبِرُنَا به، وقيل أنه لما جاءهم بالألواح و فيها التوراة قالوا لَنْ نُؤْمِنَ بِأَنْ هَذَا من عند الله حَتَّى نَرَاهُ عَيْنَانَا ذكر هذه الوجوه في المجمع.

ثم قال و قال بعضهم إِنَّ قوله جَهْرَةً صفة لخطابهم لموسى أنهم جهروا به و أعلنوه و تقديره و اذ قلتم جهرة لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ والأول أقوى انتهى.

**أقول** أنما قالوا نرى الله جَهْرَةً ولم يكتفوا بقولهم حتَّى نرى الله، لأنَّ الرُّؤية قد يكون غير جَهْرَةٍ كما الروية في النُّوم والرُّؤية بالقلب فاذا قالوا جَهْرَةً أرادوا رؤية العين على التَّحقيق دون التَّخيل ثمَّ أَنَّهُمْ اِخْتَلَفُوا فِي أَنَّ طَلِبَهُمُ الرُّؤية كان بعد أن كَلَّفَ الله عبده العجل بالقتل أو أَنَّهُ بعد القتل فيما بقى منهم فقتل عن مُحَمَّد ابن إِسحاق القول الأوَّل وعن السَّدي القول الثَّاني.

وقال مُحَمَّد ابن إِسحاق لَمَّا رجع موسى مِنَ الطُّور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لأخيه والسَّامريُّ ما قال وخرق العجل وألقاه في البحر، إختار من قومه سبعين رجلاً من خيارهم فلمَّا خرجوا الى الطُّور قالوا لموسى سل ربَّكَ حتَّى يسمعنا كلامه فسأل موسى عليه السلام ذلك فأجابه الله اليه و لَمَّا دنا من الجَبَل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا من موسى ذلك الغمام حتَّى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وكان موسى عليه السلام متى كَلَّمَهُ رَبُّهُ وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم النَّظر اليه ويسمع القوم كلام الله مع موسى عليه السلام يقول له إفعل ولا تفعل فلمَّا تمَّ الكلام إنكشف عن موسى الغمام الَّذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وماتوا جميعاً وقام موسى رافعاً يديه الى السَّماء يدعو ويقول يا إلهي إخترتُ من بني إسرائيل سبعين رجلاً ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فأرجع اليهم وليس معي منهم واحد فَمَا الَّذي يقولون فِيَّ فلم يزل موسى مشغلاً بالدَّعاء حتَّى ردَّ الله اليهم أرواحهم وطلب موسى توبة بني إسرائيل من عبادة العجل فقال لا إلَّا أَن يقتلوا أنفسهم انتهى.

وأما السَّدي فقال لَمَّا تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل بأن قتلوا أنفسهم أمر الله تعالى أن يأتيهم موسى في ناس من بني إسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختر من قومه سبعين رجلاً فلمَّا أتوا الطُّور قالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وماتوا فقام موسى يبكي و

يقول يارب ماذا أقول لبني إسرائيل فأني أمرتهم بالقتل ثم اخترت من بقيتهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معي منهم أحد فماذا أقول لهم فأوحى الله الى موسى أن هؤلاء السبعين ممن إتخذوا العجل إليها فقال موسى إن هي إلا فتنتك الى قوله أنا هدنا اليك ثم أنه تعالى أحياهم فقاموا ونظر كل واحد منهم الى الآخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى أنك لا تسأل الله شيئاً إلا أعطاك فأدعه يجعلنا أنبياء فدعاه بذلك فأجاب الله دعوته انتهى.

**أقول** وأنت ترى أنه ليس في الآية ما يدل على ترجيح أحد القولين على الآخر والذي نقول به هو أن الموضوع مسلم لاشك فيه بدلالة الآية عليه وأما أن السؤال كان بعد القتل أو قبله فالله أعلم به.

**المقصد الثاني:** في قوله: **بَعَثْنَاكُمْ** الى قوله: **تَشْكُرُونَ** وفيه إشارة الى أن الله تعالى أحياهم بعد موتهم بالصاعقة وهو كذلك وأنما قال بعثناكم ولم يقل ثم أحياكم لوجوه.

**أحدها:** أن هذا النوع من الإحياء المعبر عنه بالبعث مختص به تعالى وأما الإحياء للموتى فقد يوجد في غيره بأذنه كما قال عن عيسى: **وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَ أَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>**.

**ثانيها:** أن في التعبير بالبعث إشعار بأن الله تعالى هكذا يبعث من في القبور.

**ثالثها:** أن يكون البعث بمعنى الحشر كما قال تعالى: **فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ** أي يوم الحشر فقوله: **بَعَثْنَاكُمْ** يعني حشرناكم بعد موتكم في الدنيا، وفي قوله: **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** إشارة بوجوب شكر المُنعم لو كانوا يعقلون.

**وأما المقصد الثالث:** وهو قوله: **وَوَضَعْنَا عَلَىكُمْ الْغَمَامَ** الى آخر الآية أي وجعلنا لكم الغمام ظلة وستره تقيكم حر الشمس في التيه عن جماعة من

المُفَسِّرِينَ رُوي في تفسير الآية أَنَّ بني إسرائيل لَمَّا عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة فقالوا يا موسى أهلكتنا وقتلتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظل ولا شجر ولا ماء وكانت تجيء بالنهار غمامة تظلمهم من الشمس وينزل عليهم بالليل المن فيقع على النبات والشجر والحجر فيأكلونه وبالعشي يجيء طائر مشوي فيقع على موائدهم وإذا أكلوا شبعوا طار ومرت مع موسى حجر يضعه في وسط العسكر ثم يضربه بعصاه فتفجر منه اثنتا عشرة عيناً كما حكى الله فيذهب الماء إلى كل سبط في رحله وكانوا اثني عشر سبطاً فلما طال عليهم الأمد قالوا: يا موسى لَن نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا أَلْئَنُ هِيَ الْحِنْطَةُ فَقَالَ لَهُمْ موسى أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ إِهْبَطُوا مِصْرَ فَأَنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ فقالوا يا موسى أَنْ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَأَنَا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَأَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَأَنَا دَاخِلُونَ فنصف الآية في سورة البقرة وتمامها وجوابها لموسى في سورة المائدة وقد نقل هذه القصة بصورة أخرى وهي أَنَّ السَّبَبَ فِي إِنْزَالِ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لَمَّا إِبْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالتِّيهِ إِذْ قَالُوا لِمُوسَى إِذْ هَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا أَنَا هَاهُنَا قَاعِدُونَ حِينَ أَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَحَرْبِ الْعِمَالِقَةِ بِقَوْلِهِ أَدْخَلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ فَوَقَعُوا فِي التِّيهِ صَارُوا كُلُّهُمْ سَارُوا فِي قَدَرِ خَمْسَةِ فَرَاخٍ أَوْ سِتَّةَ فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَارُوا عَادِينَ فَأَمْسُوا فَادَّاهُمْ فِي مَكَانِهِمُ الَّذِي إِرْتَحَلُوا مِنْهُ وَكَانُوا كَذَلِكَ حَتَّى تَمَّتِ الْمَدَّةُ وَبَقُوا فِيهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً وَفِي التِّيهِ تَوَفَّى مُوسَى وَهَارُونَ ثُمَّ خَرَجَ يُوْشَعَ ابْنُ نُونٍ وَقِيلَ كَانَ اللَّهُ يَرُدُّ الْجَانِبَ الَّذِي انْتَهَوْا إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي سَارُوا مِنْهُ فَكَانُوا يَضِلُّونَ عَنِ الطَّرِيقِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا خَلْقًا عَظِيمًا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَضِلُّوا كُلَّهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ فِي هَذِهِ الْمَقْدَارِ مِنَ الْأَرْضِ فَلَمَّا حَصَلُوا فِي التِّيهِ نَدَمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا فَأَلْطَفَ اللَّهُ لَهُمْ بِالْغَمَامِ لَمَّا شَكُوا حَرَّ الشَّمْسِ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ

وَالسَّلَوِيُّ فَكَانَ يَسْقُطُ عَلَيْهِمُ الْمَنُّ مِنْ وَقْتِ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَكَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْهَا مَا يَكْفِيهِمْ لِيَوْمِهِمْ.

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: كَانَ يَنْزِلُ الْمَنُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَمَنْ فَاءَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ لَمْ يَنْزِلْ نَصِيبُهُ فَلِذَلِكَ يَكْرَهُ النَّوْمُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ إِلَى بَعْدِ طُلُوعِ الشَّمْسِ.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ الْمُرَادُ بِالْغَمَامِ هُوَ الَّذِي يَأْتِي اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَمَّا هُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّحَابِ وَلَيْسَ بِهِ ثُمَّ قَالَ اِخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ الْمَنِّ فَقَالَ بَعْضُهُمُ الْمَنُّ الْعَسَلُ.

وَقَالَ بَعْضُهُ هُوَ مِثْلُ الثَّلْجِ وَقَالَ بَعْضُهُ هُوَ شَرَابٌ وَقَالُوا السَّلَوِيُّ اسْمُ طَائِرٍ يَشْبَهُ السَّمَانِي وَاحِدُهُ وَجَمَاعُهُ سَوَاءٌ وَقِيلَ وَاحِدَةُ السَّلَوِيِّ سَلَوَاهُ وَسَاقُ الْكَلَامِ إِلَى أَنْ قَالَ قَائِلٌ وَمَا سَبَبُ تَظْلِيلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْغَمَامَ وَإِنْزَالِهِ الْمَنِّ وَالسَّلَوِيِّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قِيلَ قَدْ اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ مَا حَضَرْنَا عَنْهُ فَحَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ بْنُ نَصْرٍ عَنِ السَّيِّدِيِّ لَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَى قَوْمِ مُوسَى وَأَحْيَا السَّبْعِينَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ مُوسَى بَعْدَ مَا أَتَاهُمْ أَمْرُهُمُ اللَّهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى أَرِيحَا وَهِيَ أَرْضُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ فَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا قَرِيباً مِنْهُمْ بَعَثَ مُوسَى اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَمْرُ الْجَبَّارِينَ وَأَمْرُ قَوْمِ مُوسَى مَا قَدْ قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى إِذْ هَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا أَنَا هَاهُنَا قَاعِدُونَ فَغَضِبَ مُوسَى وَدَعَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ رَبِّ أَتَيْتَنِي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَأَفْرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ فَكَانَتْ عَجَلَةً مِنْ مُوسَى عَجَلَهَا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَمَّا ضَرَبَ عَلَيْهِمُ التَّيَهُ نَدِمَ مُوسَى وَأَتَاهُ قَوْمُهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فَقَالُوا لَهُ مَا صَنَعْتَ بَنَى يَامُوسَى فَلَمَّا نَدِمَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ لَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ أَيْ لَا تَحْزَنْ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ سَمَّيْتَهُمْ فَاسِقِينَ فَلَمْ يَحْزَنْ فَقَالُوا

ياموسى كيف لنا بماء هاهنا و أين الطّعام فأنزل الله عليهم المّن فكان يسقط على شجر التّرنجيبين والسّلوى و هو طير يشبه السّماني فكان يأتي أحدهم فينظر الى الطّير إن كان سميئاً ذبحه وإلا أرسله فاذا سمن أتاه فقالوا هذا الطّعام فأين الشّراب فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا فشرب كلّ سبطٍ من عينٍ فقالوا هذا الطّعام والشّراب فأين الظّل فظلّ عليهم الغمام فقالوا هذا الظّل فأين اللّباس فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصّبيان ولا يتخرّق لهم ثوب فذلك قوله: **عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى** وقوله: **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ**<sup>(١)</sup>.

وأما قوله: **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** فهو في الحقيقة توضيح لما قبله وذلك لأنّ إنزال المّن والسّلوى من أكمل مصاديق الطّيّبات من الرزق وفي قوله تعالى: **وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** إشارة الى أنّهم خالفوا ما أمرهم الله و عصوا رسوله وكان الواجب عليهم شكر النّعمة لا كفرانها ولم يعلموا أنّهم ظلموا أنفسهم وذلك لأنّ تبعات الظلم تنالهم في الدّنيا والآخرة و من يشكر فأنّما يشكر لنفسه و من يكفر فما ريك بظلام للعبيد:

قال الله تعالى: **وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**<sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ**<sup>(٤)</sup>

فصل نذكر فيه ما ورد في شكر النّعمة قيل لبعض الحكماء ما أضيع الأشياء قال مطر الجود في أرضٍ سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها و سراج يؤقد

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأوّل

في الشمس وجارية حسناء تُزف إلى أعمى، وصنيعة تسدئ إلى من لا يشكرها ولنعم ما قيل:

وما نعمة مكفورة قد صَنَعْتُهَا

التي غير ذي شكرٍ تمنعنا أخرى  
سأتي جميلًا ما حييتُ فأتني

إذا لم أفد شكرًا أفدتُ به جرأً وقال  
الشكر أفضل ما حاولت ملتصا

به الزيادة عند الله والناس

وإذا كان الشكر على النعمة واجباً عقلاً وشرعاً فكفران النعمة مذموم كذلك وأما عدوه من الظلم لأن الظلم وضع الشيء في غير محله والكافر بالنعمة يكون كذلك ولذلك عبّر في الآية عن قوم موسى بالظالمين وهذا لا يختص بهم بل يعمّ غيرهم ممن هدى حذوهم إلى يوم القيامة. وقال بعضهم ما أنعم الله على عبدٍ نعمة فظلم بها إلا كان حقاً على الله تعالى أن يزيلها عنه وفي هذا المعنى قيل:

أعارك ماله لتقوم فيه بواجبه وتقضي بعض حقّه  
فلم تقصد لطاعته ولكن قويت على معاصيه برزقه  
وقال بعضٌ من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال.  
إذا كانت النعمة وسيمة

فأجعل الشكر لها تميمة  
ولو كان لي في كل منبت شعرة

لساناً يطيل الشكر كنتُ مُقصرًا

اللهم أجعلنا من الشاكرين ولا تجعلنا من الكافرين الظالمين بحق محمد وآله الطاهرين.



وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ  
رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ  
خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ  
ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

### ◀ اللغة

الْقَرْيَةُ: بفتح القاف إسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس والناس جميعاً و  
يستعمل في كل واحد منها.  
رَغَدًا: مَرَّ الكلام فيه في قِصَّةِ آدم وحواء.  
سُجَّدًا: قد مَرَّ الكلام في معنى السَّجود وَأَنَّ أَهْلَهُ التَّطَامُن والتَّذَلُّل في قِصَّةِ  
آدم وبيْنَا أَقْسَام السَّجود أَن شَتَّت فَرَاغَهُ، سُجَّدَ بِضَمِّ السَّيْنِ وَفَتْحِ  
الجِيمِ الْمَشْدُودَةِ جَمَعَ السَّاجِدَ.  
حِطَّةً: الحِطُّ إِنْزَال الشَّيْءِ مِنْ عُلُوِّ وَالْحِطَّةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ وَفَتْحِ الطَّاءِ الْمَشْدُودَةِ  
فِي الْآيَةِ كَلِمَةٌ أَمْرٌ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَعْنَاهُ، حُطُّ عَنَّا ذُنُوبَنَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ قُولُوا  
صَوَابًا

خَطَايَاكُمْ: الْخَطَايَا جَمْعُ خَطِيئَةٍ وَهِيَ الذَّنْبُ.  
فَبَدَّلَ: التَّبْدِيلُ التَّغْيِيرُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ.  
رِجْزًا: بِكَسْرِ الرَّاءِ أَصْلُ الرِّجْزِ الْإِضْطِرَابُ وَمِنْهُ قِيلَ رَجَزَ الْبَعِيرَ رَجْزًا.  
يَفْسُقُونَ: الْفَسْقُ الْخُرُوجُ عَنْ حَجَرِ الشَّرْعِ وَمَعْنَاهُ وَاضِحٌ.

### ◀ الإعراب

قَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي إِعْرَابِ إِذْ، وَأَنَّ مَحَلَّهُ التَّصْبِ والتَّقْدِيرِ وَإِذْ قُلْنَا حَيْثُ  
ظَرَفَ مَكَانَ مَبْنِي عَلَى الضَّمِّ سُجَّدًا مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ حَالُ جَمْعٍ سَاجِدٍ.

حِطَّةٌ خَيْرٌ مِّبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ أَيْ سَأَلْنَا حِطَّةً خَطَايَاكُمْ فِي مَحَلِّ النَّصَبِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ وَكَذَلِكَ الْمُحْسِنِينَ، وَقَوْلُهُ نَغْفِرُ مَجْذُومٌ بِشَرْطِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَنْ تَقُولُوا ذَلِكَ نَغْفِرُ لَكُمْ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا تَقْدِيرَهُ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالَّذِي قِيلَ لَهُمْ قَوْلًا، فَبَدَّلَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ وَالْيَ أَيْ أَخْرَجَ بِالْبَاءِ مِنَ السَّمَاءِ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ مَتَّعِلِقٌ بِأَنْزَلْنَا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً، لِرَجْزٍ يَتَعَلَّقُ بِمَحْذُوفٍ بِمَا كَانُوا الْبَاءَ لِلْسَّبَبِيَّةِ أَيْ بِسَبَبِ فَسْقِهِمْ.

### ◀ التفسير

وَإِذْ قُلْنَا أَيْ أَذْكُرُوا إِذْ قُلْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ إِنْتَفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقَرْيَةِ فِي الْآيَةِ بَيْتَ الْمَقْدَسِ وَنُقِلَ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ أَنَّهَُا أَرِيحَا قَرْيَةٌ قَرِبَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَكَانَ فِيهَا بَقَايَا مِنْ قَوْمِ عَادَ وَهُمْ الْعَمَالِقَةُ وَرَأْسُهُمْ عَوْجُ بْنُ عَنُقٍ فَكَلُّوا مِنْهَا أَيْ مِنَ الْقَرْيَةِ وَالْمَقْصُودُ مَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِ وَإِسْأَلَ الْقَرْيَةَ أَيْ أَهْلَهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا أَيْ عَيْشًا هَنِئًا وَاسْعَاً بِغَيْرِ حِسَابٍ وَقَدْ مَضَى مَعْنَى الرِّغْدِ فِيمَا مَضَى فِي قِصَّةِ آدَمَ وَحَوَاءَ وَادْخُلُوا الْبَابَ أَيْ بَابَ الْحِطَّةِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَقِيلَ بِبَابِ الْحِطَّةِ مِنْ بَابِ إِبْلِيَا مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ سُجَّدًا فَقَدْ نَقَلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ أَيْ رُكْعًا لِأَنَّ أَصْلَ السَّجُودِ الْإِنْحِنَاءُ لِمَنْ نَسَجَدَ لَهُ مَعْظَمًا بِذَلِكَ فَكُلٌّ مَنْحِنٍ لَشَيْءٍ تَعْظِيمًا فَهُوَ سَاجِدٌ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

بِجَمْعِ تَضَلُّ الْبَلَقِ فِي حِجْرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ  
وَقِيلَ: وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا أَيْ مُتَوَاضِعِينَ خُضُوعًا لَا عَلَى هَيْئَةٍ مَعِينَةٍ  
وَقِيلَ أَيْ مُنْتَظَمِينَ مُخْبِتِينَ أَوْ سَاجِدِينَ شُكْرًا عَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنَ التَّيِّهِ وَقِيلَ  
مَعْنَاهُ أَدْخَلُوا الْبَابَ فَادْخَلْتُمُوهُ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ شُكْرًا وَالْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةٌ الْمَعْنَى  
قُولُوا حِطَّةً أَيْ قُولُوا حِطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا فَهُوَ أَمْرٌ بِالِاسْتِغْفَارِ.

ونقل عن ابن عباس أنهم أمروا أن يقولوا هذا الأمر حق.

وعن عكرمة أمروا أن يقولوا لا إله إلا الله لأنها تحط الذنوب.

وروي عن الباقر عليه السلام: أنه قال نحن باب حطتكم قاله الطبرسي في المجمع.

أقول ويؤيده ما روي عن العيون بأسناده عن علي ابن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ: لكل أمة صديق وفاروق و صديق هذه الأمة وفاروقها علي ابن أبي طالب عليه السلام أن علياً سفينة نجاتها وباب حطتها انتهى.

و عن الخصال في مناقب أمير المؤمنين و تعدادها قال علي و أما العشرون فأنني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول مثلك في أمتي مثل باب حطة في بني إسرائيل فمن دخل في ولايتك فقد دخل الباب كما أمره الله عز وجل انتهى.

و فيه يقول أمير المؤمنين في حديث طويل ونحن باب حطة.

و عن كتاب التوحيد بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته، أنا باب حطة.

و في روضة الكافي في خطبة لأمر المؤمنين و هي خطبة الوسيلة ألا وأنني فيكم أيها الناس كه هارون في آل فرعون وكباب حطة في بني إسرائيل.

أقول فعلى هذا المراد بالباب في الآية باب الولاية والمراد بقوله تعالى: سجداً تواضعهم و خشوعهم لمحمد و آل محمد (ص) و المراد من حطة نفس الولاية فأنها تحط الذنوب وقد ورد في أخبارنا أن ولايتهم قد عرضها الله على جميع الأنبياء والأمم.

و يؤيد هذا المعنى ما نقله في تفسير البرهان عن العسكري عليه السلام في تفسير الآية قال عليه السلام قال الله تعالى اذكروا يا بني اسرائيل اذ قلنا لأسلافكم ادخلوا هذه القرية وهي أريحا من بلاد الشام و ذلك حين خرجوا من التيه فكلوا منها أي من القرية قال عليه السلام واسعاً بلا تعب و ادخلوا باب القرية سجداً مثل الله عزّ وجلّ على الباب مثال محمّدٍ وعليّ و أمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك المثال و يجددوا على أنفسهم بيعتها و اذكروا موالاتها و ليذكروا العهد و الميثاق المأخوذين عليهم لهما و قولوا حطة أي قولوا أنّ سجدونا لله تعالى تعظيماً لمثال محمّدٍ و إعتقادنا لولايتهما حطة لذنوبنا و محو لسيئاتنا قال الله نغفر لكم، بهذا الفعل خطاياكم السالفة و نزيل عنكم آثامكم الماضية و سنزيّد المُحسنين، من كان منكم لم يفارق الذنوب التي فارقها من خالف الولاية و ثبت على ما أعطى الله من نفسه من عهد الولاية و إنّنا نزيدهم بهذا الفعل درجات و مَثوبات و ذلك قوله: وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ، انتهى.

أما قوله تعالى: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ. اختلفوا في هذا التبديل بعد إتفاقهم على أنهم تركوا ما أمروا به و فعلوا ما لم يأمرؤا به فَبَدَّلُوا أمر الله تعالى بشئ غير الذي قيل لهم، فقال قوم أنهم قالوا بالسريانية، حطاً سمقاتاً و معناه حنطة حمراء فيها شعيرة و كان قصدهم بذلك الإستهزاء و مخالفة الأمر و قيل إنهم قالوا حنطة تجاهلاً و إستهزاءً و كانوا قد أمروا أن يدخلوا الباب سجداً و طوّطى لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه راجفين على أستهمهم مخالفوا في الدخول.

أيضاً ذكره الطبرسي في المجمع و عليه أكثر المُفسرين من العامة والخاصة و قيل كان خلافهم أنهم لمّا بلغوا الباب رأوا باباً مرتفعاً قالوا ما بالنّا نحتاج أن

نرُكع عند الدّخول ها هنا ظنّنا أنّه بابٌ متطامن لا بدّ من الرّكوع فيه وهذا باب مرتفع والى متى يسخر بنا هؤلاء يعنون موسى ثمّ يوشع ابن نون ويسجدونا في الأباطيل وجعلوا أستاذهم نحو الباب وقالوا بدل قولهم حِطّة ما معناه حِنطة حمراء فذلك تبديلهم.

أقول وقد ذكر الطّبري روايات من طريق العامّة في الباب كلّها قريب بهذا المعنى أي أنّهم كانوا يزحفون على أستاذهم وقالوا حِنطة في شعيرة.

وأما على رواية البرهان عن العسكري عليه السلام: فالتبديل عبارة عن

عدم إنقيادهم لولاية الله و ولاية محمّدٍ و عليٍّ و آلهما الطّاهرين. أما قوله تعالى فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فالمراد بالظّالمين في الآية من بدّل قول الله فمعنى الآية أنزلنا من السّماء رجزاً عليهم لكونهم من الظّالمين الفاسقين وإختلفوا في معنى، الرّجز فنقل عن ابن عباس و قتادة أنّه العذاب وعن ابن زيد أنّه الطّاعون فمات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً من كبرائهم وشيوخهم وبقى الأبناء فأنتقل منهم العلم والعبادة كأنّهم عوقبوا بإخراج الأفاضل من بينهم وقال قوم أنّ الرّجز في الآية الغضب ويظهر من الآية أنّ سبب نزول الرّجز هو الفسق لقوله بما كانوا يفسقون والباء للسبب وهو واضح.



وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ  
الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ  
أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا  
تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

### ◀ اللغة

وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ: الإستسقاء طلب السقي والسقي والسقياء أن يعطيه ما  
يشرب والإسقاء أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء ولذلك قيل الإسقاء  
أبلغ من السقي.  
بِعَصَاكَ: العصي أصله من الواو لقولهم في الثنية عصوان وفي الجمع عُصَي  
يقال عصوته أي ضربته بالعصاء.  
فَانْفَجَرَتْ: الانفجار شق الشيء شقاً واسعاً يقال فجرته فأنفجر وفجرتة  
فتفجر.

عَيْنًا: يقال لمنبع الماء عينٌ تشبهاً بها لما فيها من الماء.  
أُنَاسٍ: يضم الألف لغة في الناس.

وَلَا تَعْتَوْا: عثا يعثوا عثوا قال الراغب العيث والعثي يتقاربان إلا أن العيث  
أكثر ما يقال في الفساد المحسوس والعثي فيما يدرك حكماً.

### ◀ الإعراب

قد مرّ الكلام في إعراب إذ، غير مرة وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ  
مفسدين حال مؤكدة لأنّ قوله وَلَا تَعْتَوْا أي لا تفسدوا، والباقي واضح.

### ◀ التفسير

أي وذكروا يا بني إسرائيل إِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ كيفية القضية أن  
موسى طلب لهم السقي لما لحقهم من العطش في التيه وَضَجُوا بالبكاء إلى

موسى وقالوا هلكنا بالعطش فقال موسى إلهي بحق محمد ﷺ سيد الأنبياء و  
 بحق علي ﷺ سيد الأوصياء و بحق فاطمة ﷺ سيدة النساء و بحق الحسن ﷺ  
 سيد الأولياء و بحق الحسين ﷺ سيد الشهداء و بحق عترتهم و خلفاءهم  
 سادة الأركياء لما سقيت عبادك هؤلاء فأوحى الله تعالى يا موسى: **أَضْرِبْ  
 بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَضْرِبْهُ بِهَا فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ  
 أُنَاسٍ أَيَ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ بَنِي أَبِ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ مَشْرِبَهُمْ فَلَإِيْزَاحِمِ الْآخَرِينَ  
 فِي مَشْرِبِهِمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كُلُّوْا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْوَهُ وَلَا  
 تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَلَا تَسْعَوْا فِيهَا وَأَنْتُمْ مَفْسِدُونَ عَاصُونَ.**

قال الطبري أصل العثا شدة الإفساد بل هو أشد الإفساد يقال منه عثى فلان  
 في الأرض إذا تجاوز في الإفساد إلى غايته ثم قال وفيه لغتان أخريان أحدهما  
 عثا يعثو عثواً و من قرأ بهذه اللغة فإنه ينبغي له أن يضم التاء من يعثو ولا أعلم  
 قارئاً يقتدى بقراءته قرأ به و من نطق بهذه اللغة مخبراً عن نفسه قال عثوت  
 أعثو و من نطق باللغة الأولى قال عثيت أعثي والأخرى منهما عاث يعيث عثياً  
 و عيوناً و عثياناً كل ذلك بمعنى واحد و من العيث قول الشاعر:

و عاثَ فينا مستحل عائثُ مصدق أوتاجر مقاعث

يعني بقوله عاث فينا أفسد فينا انتهى ما ذكره.

**أقول** يظهر من كلامه، أن من قرأ الآية بفتح التاء كما هو المشهور المنصور  
 فهو من عاث يعيث أي أفسد، ومن ذهب إلى أنه من عثا يعثو عثواً، فيلزمه أن  
 يضم التاء في الآية وحيث أنه لم يقرأ به فيعلم أنه من عاث يعيث و الأمر سهل  
 بعد وضوح المعنى وكيف كان ففي قوله: **وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**  
 إشعار بأن الشكر على النعمة ليس معناه أو مصداقه الفساد في الأرض كما  
 فعله بنو إسرائيل بل الشكر عليها المشي في الأرض على الصلاح والسداد  
 ونعبر عنه بالشكر العملي.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ  
فَادْعُوا لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ  
بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ  
أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا  
مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ  
وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوا وَغَضِبَ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا  
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ  
بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٤١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٢)

### ◀ اللغة

طَعَامٌ: الطَّعَامُ بفتح الطاء إسم لما يتناول من الغذاء وهو من الطَّعَامِ بمعنى تناول الغذاء.

تُنْبِتُ: الإنبات إخراج النبات من الأرض من النَّامِيَّاتِ سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم.

بَقْلِهَا: البَقْل بفتح الباء وسكون القاف ما لا ينبت أصله وفرعه في الشتاء.  
قِثَّائِهَا: القِثَاء بكسر القاف وتشديد التاء الخيار واحدة قِثَاة وقد يضم القاف وهو قليل.

فُومِهَا: الفُوم بضم الفاء الحنطة وقيل الثوم يقال ثُوم وفُوم كقولهم جَدَثَ وجَدَفَ.



عَدَسِيهَا: الْعَدَسُ بفتح العين والدال الحَبُّ المعروف.  
وَصَلَبُهَا: الْبَصْلُ بفتح الباء والصاد معروف.  
الذَّلَّةُ: بكسر الدال الحقارة.  
وَالْمُسْكَنَةُ: الْفَقْرُ والدَّلُّ والضعف وقد تجيء بمعنى الخضوع والخشوع.  
بَأَوْ: باء يَبُوءُ بَوء أي إنصرف.  
هَادُوا: هَادَ يَهُودُ هَوْدًا أي تاب ورجع والمقصود قوم اليهود.  
وَالنَّصَارَى: جمع نصراني منسوب إلى قرية يقال لها نصران والمقصود  
أتباع المسيح.  
وَالصَّابِثِينَ: قوم كانوا على دين نوح.

### ◀ الإعراب

قد مرّ الكلام في إعراب إِذْ يخرج مِمَّا تُنبت الأرض، مفعول يخرج محذوف وتقديره يخرج شيئاً ممَّا تُنبت الأرض وما بمعنى الذي أو نكرة موصوفة ولا تكون مصدرية لأنَّ المفعول المقدر لا يوصف بالإنبات من بقلها من هنا لبيان الجنس ومحلّها النصب على الحال من الضمير المحذوف تقديره ممَّا تنبته الأرض كأننا من بقلها ويجوز أن يكون بدلاً من ما الأولى بإعادة حروف الجر مضرراً نكرة فلذلك إنصرف وهو في الأصل الحدّ بين الشئيين مَّا سَأَلْتُمْ ما في موضع نصب إسم أنْ وهي بمعنى، الذي والقول بكونها نكرة موصوفة ضعيف بَأَوْ الألف فيه منقلبة عن واو لقولك في المستقبل يَبُوءُ بِغَضَبٍ في موضع الحال أي رجعوا مغضوباً عليهم مِنَ اللَّهِ في موضع جرّ صفة لِعِصْبِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ذلك مبتدأ وبأنَّهُمْ كانوا يَكْفُرُونَ خبره النبيين، مفعول به لقوله، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ في موضع نصب على الحال من الضمير في، يقتلون مَنْ أَمَنَ من هنا شرطية في موضع مبتدأ والخبر أَمَنَ والجواب

فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ وَالْجُمْلَةُ خَيْرٌ أَلَّذِينَ وَالْعَانِدِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ مَنْ أَمِنَ مِنْهُمْ وَ  
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ، مِنْ بِمَعْنَى الَّذِي وَخَبِرَ أَنْ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ، وَجَرَّهُمْ مَبْتَدَأٌ وَلَهُمْ  
خَبْرُهُ وَعِنْدَ ظَرْفٍ وَالْعَامِلُ فِيهِ مَعْنَى الْإِسْتِقْرَارِ

### ﴿التفسير﴾

وَأَذْكُرُوا إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصْبِرَ نَفُوسَنَا عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ وَهُوَ  
الْمَنْ وَالسَّلَوِيُّ فَادْعُوا فَاسْأَلْنَا رَّبَّكَ يُخْرِجِ اللَّهُ لَنَا أَيْ لِأَجْلَانَا مِثْلًا  
تَثْبِيتُ الْأَرْضِ مِنْ بَقْلِهَا إِلَى قَوْلِهِ: بِصَلِّهَا، قَالَ مُوسَى أَسَسْتَبْدِلُونَ الطَّعَامَ  
الَّذِي هُوَ أَذْنِي وَأَرْدِي وَهُوَ الْبَقْلُ إِلَى آخِرِهِ.

بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَعْنِي بِهِ الْمَنْ وَالسَّلَوِيُّ الَّذِي إِخْتَارَهُ اللَّهُ لَكُمْ إِهْطُوا  
مِصْرًا أَيْ أَنْزِلُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا مَا سَأَلْتُمْ مِنَ الْبَقْلِ وَالْقِثَاءِ وَأَمْثَالِهِمَا  
وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ أَيْ أَلْزَمُوا الذِّلَّةَ الْإِزَامًا لَا تَبْرَحَ عَنْهُمْ كَمَا  
يُضْرَبُ الْمَعْمَارُ عَلَى الشَّيْءِ وَبَاءُوا أَيْ رَجَعُوا مَنْصَرِفِينَ مُتَحَمِّلِينَ غَضَبَ اللَّهِ  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ أَيْ يَجْحَدُونَ حُجَّةَ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ وَقِيلَ  
الْمُرَادُ بِآيَاتِ اللَّهِ الْإِنْجِيلَ وَالْفُرْقَانَ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَيْ بِغَيْرِ جَرَمٍ  
كَزَكْرِيَا وَيَحْيَى وَغَيْرِهِمَا ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ يَتَجَاوَزُونَ عَنْ  
الْحَقِّ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَالَّذِينَ هَادُوا وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى  
أَتَبَاعَ الْمَسِيحِ وَالصَّابِئِينَ أَتَبَاعَ نُوحٍ، مَنْ أَمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْهُمْ وَ  
عَمِلَ صَالِحًا مُطَابِقًا لِإِيمَانِهِ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ لِأَنَّهُ لَا نَضِيعَ أَجْرٍ  
الْمُحْسِنِينَ وَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِي الْقِيَامَةِ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

إِعْلَمُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا وَقَفُوا فِي التَّيِّهِ مَا وَقَفُوا وَأَكَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ  
مِنَ الْمَنْ وَالسَّلَوِيِّ فَقَدْ مَلَّوْا وَلِذَلِكَ قَالُوا لِمُوسَى يَا مُوسَى لَنْ نُصْبِرَ عَلَى  
طَعَامٍ وَاحِدٍ أَيْ لَنْ نَطِيقَ حَبْسَ أَنْفُسِنَا عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ وَأَتَمَّا قَالُوا طَعَامَ

واحد وهما أثنان لأنهم كانوا يأكلون أحدهما بالآخر وقيل لتكرارهما في كل يوم وكيف كان فقد سألو موسى تبديل المَن والسلوى بالبقل والقثاء والفوم والغدس والبصل ممَّا تنبته الأرض ولم يعلموا أنَّ المَن والسلوى خير ممَّا كانوا يطلبونه من موسى ولذلك قال موسى لهم أيَّ أسسْتِيدُونَ الَّذِي هُوَ أَذْنَى البقل والقثاء بما هو خير منه وهو المَن والسلوى فلاستفهام للتوبيخ والتقبيح أي أنَّ العاقل لا يفعل ذلك فأن أبيتُم إلا عن ذلك أي إهبطُوا مِصْرًا أي أنزلوا مصرًا فأنَّ لكم ما سألتُم، و اختلفوا في قراءة قوله تعالى مصرًا فمن قرأه بالتَّونين وهو أكثر القراء أراد مصرًا من الأمصار لا مصرًا بعينه ومن قرأه يترك التَّونين أراد به مصرًا بعينه وهو مصر الفراعنة الَّذي كانوا فيه من قبل.

قال الطَّبْرِي لا دلالة في كتاب الله على الصَّواب من هذين التأويلين ولا خبر به عن الرِّسُول يقطع مجيئه العُذر وأهل التأويل متنازعون فيه فأولَى الأقوال أن يقال أنَّ موسى سأل ربَّه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض على ما بيَّنه الله في كتابه وهم في الأرض تائهون فاستجاب الله لموسى دعائه وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قراراً من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك وجائز أن يكون ذلك القرار مصر وجائز أن يكون الشَّام وأمَّا القراءة فأنَّها بالألف والتَّونين أهبطوا مصرًا وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها لإجماع خطوط مصاحف المسلمين وإتفاق قراءة القراء على ذلك ولم يقرأ بترك التَّونين فيه وإسقاط الألف منه إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجَّة فيما جاءت به من القراءة مستضيفاً بينها انتهى.

وأنا أقول يمكن أن يُراد به مصر فرعون والتَّونين فيه في القراءات المُعتبرة مع أنَّ فيه العلميَّة والتَّأنيث لسكون وسطه كما في نوح ولوط وهند كسرة ودَّعد فتحة وأمثالهما والحاصل أنَّ وجود التَّونين وعدمه سيَّان في المقام لمَّا

قلنا من الوجه و عليه فالأقوى في النَّظَر أنَّ المراد من مصرفي الآية هو ديار آل فرعون و آثارهم و أمَّا أَنَّهُمْ سَكَنُوا الشَّامَ بعد التَّيَّة فلا ينافي ما ذكرناه.

و أنَّ كَانَ الثَّانِي أيضاً محتمل و لانمنعه و كيف كان لما ذكر الله صنوف نعمه على بني إسرائيل إجمالاً ثم تفصيلاً أراد أن يبين مأل حالهم ليكون عبرة للنَّظَار و تبصرة لأولي البصائر و تحذيراً للإنسان عن الحُجُود و الكفران المتَّبَعين للخزي والهوان فقال و ضربت عليهم الذُّلَّة و المسكنة أي جعلت محيطه بهم مشتملة عليهم كالقُبَّة المضروبة على الشَّخْص أو ألصقت بهم حتَّى لزمتهم ضربة لازب كما يُضْرَب الطَّيْن على الحائط فيلصق بهم فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة و مدقعة.

أمَّا على الحقيقة و أمَّا لتصاغرهم و تفارقهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية و هذا من جملة الأخبار عن الغيب الدَّال على كون القرآن وحياً منزلاً من السَّماء على مُحَمَّدٍ ﷺ هذا حالهم في العقبي فذلك قوله تعالى: وَيَأْوُرُوا وَيَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقياً بأن يقبل لمساوته له و مكافاته أي صاروا أحقَّاء بغضبه و هو إرادة إنتقامه ثم إستدل على ما فعله بهم في الدُّنْيَا و الآخرة بقوله: وَ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ أَوَّلًا و يقتلون النَّبِيِّينَ بغير الحقِّ ثانياً و بما عصوا و كانوا يعتدون ثالثاً و من كان كذلك فهو مستوجب للخزي والعذاب في الدُّنْيَا و الآخرة.

أمَّا الأوَّل أعني كفرهم بآيات الله أي القرآن بل وبالتَّوْرَةِ لأنَّ الكُفْر به مستلزم لكفرها هذان أريد من الآيات الآيات بحسب التَّشْرِيع و أمَّا أن عممنا الآيات بأن يراد بها ما هو بحسب التَّكْوِين و التَّشْرِيع فالمراد أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِهَمَا أمَّا التَّشْرِيع فَلَمَّا قُلْنَا مِنْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِالتَّوْرَةِ و ما جاء به موسى من عند الله من الأحكام و أمَّا التَّكْوِين منها فبأنَّهُمْ كَفَرُوا بِنِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلَوى والخروج من البَحْرِ سَالِمِينَ و أمثال ذلك فأنَّهَا آيات تَكْوِينِيَّة من الله

تعالى وفي رأسها وجود موسى ابن عمران الذي نجّاهم من آل فرعون الذين كانوا يَسْؤِمُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَهَكَذَا وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُسْتَحَقٌّ لِلْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ وَالْخِزْيِ وَالذَّلَّةِ فِي الدُّنْيَا وَهَذَا هُوَ الَّذِي فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ لِكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ تَشْرِيْعاً وَتَكْوِيناً، وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَالْبَحْثُ فِيهِ يَقَعُ فِي مَقَامَيْنِ.

**أحدهما:** قتلهم الأنبياء و ثانيهما أنَّ هذا القتل منهم صدر بغير الحق، أمّا المقام الأوّل أعني قتلهم الأنبياء فلا شك فيه مع أنّه من، عظم الكبائر بعد الشّرك بالله و قد نقل أنّهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً و لذلك سلّط الله عليهم بخت النّصر فقتل منهم ما قتل كما يأتي في موضعه و أيضاً قتلوا يحيى و زكريّا و غيرهم كما هو مذكور في التّواريخ و السّير و أمّا المقام الثّاني و هو قوله: **بِغَيْرِ الْحَقِّ** ففيه وجهان:

**أحدهما:** أنَّ القتل منهم لم يكن بشبهة حصّلت لهم توجب إستحقاق القتل بل كانوا قد تعمّدوا به و ذلك لأنّ الآتي بالباطل قد يكون إعتقده حقّاً لبشبهة حصلت عنده و قد يأتي به مع علمه بكونه باطلاً و لا شك أنّه أقيح من الأوّل.

**ثانيهما:** أنَّ قوله: **بِغَيْرِ الْحَقِّ** للتأكيد نحو قوله و من يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به و محال أن يكون لمدّعي الإله الثّاني برهان فكذلك في المقام محال أن يكون قتل الأنبياء بالحقّ، قال بعض المحقّقين فإن قلت قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحقّ فما فائدة ذكره قلت معني أنّه قتلهم بغير الحقّ عندهم لأنّهم لم يقتلوا و لا أفسدوا في الأرض فيقتلوا و إنّما نصّحوهم و دعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سألوهم و أنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجهاً يستحقّون به القتل عندهم و الحقّ في المقام أنَّ قوله بغير الحقّ أنّما خرج مخرج الصّفة لقتلهم أنّه ظلم و ليس بحقّ فكان هذا تعظيماً للشّناعة عليهم و معلوم أنّه لا يقتل على الحقّ فصّرّح قوله: **بِغَيْرِ الْحَقِّ** عن شناعة الذّنْب و وضوحه هذا كلّ

مضافاً الى أن مفهوم الوصف ليس بحجة على الأقوى وأما قوله: ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ أي أنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة الى قوله: بِغَيْرِ الْحَقِّ لأنهم عَصَوْا وكانوا يعتدون، أو يقال بسبب إرتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء، و قيل هو إعتدائهم في السبب وقيل أنه تأكيد بتكرير الشيء بغير اللفظ الأول، و قيل أن الباء في قوله: بِمَا عَصَوْا بمعنى، مع، أي ذلك الكفر والقتل مع ما عَصَوْا سائر أنواع المعاصي وأعتدوا حدود الله في كل شيء هذا تمام في تفسير الآية الأولى.

وأما الآية الثانية وهي قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا الخ فالمراد بقوله: هَادُوا هادوا، اليهود ويقولونه النصارى أتباع المسيح فهذا مما لا كلام فيه وأما الصابئون فقد اختلفوا فيهم.

فمنهم من يقول أن الصَّابِئِينَ مَنْ ليس لهم كتاب لأنهم قد خرجوا من دين أهل الكتاب قالوا أن الصَّابِئِينَ جمع صابئ من صَبَأَتِ النُّجُوم إذا طلعت، وصبأت ثنية الغلام إذا خرجت ولذلك أي لُخِرَ وجهم من دين أهل الكتاب قيل لهم الصَّابِثُونَ أي الخارجون من دين الله وقال قوم الصَّابِثِينَ بدون الهمزة من صبا يصبو إذا مال والقول الأول أشهر.

وقال قوم هم طائفة من المجوس واليهود لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساءهم وقال قتادة هم قوم يعبدون الملائكة وَيُصَلُّونَ لِلشَّمْسِ كُلِّ يَوْمٍ خمس مرّات.

وقال قوم أنهم يعبدون الكواكب ثم فيهم قولان:

الأول: أن خالق العالم هو الله سبحانه إلا أنه أمر بتعظيم هذه الأجرام و إتخاذها قبله للصلاة والدعاء.

الثاني: أنه سبحانه خلق الأفلاك والكواكب وفوض أمر التدبير إليها فيجب

على البشير تعظيمها لأنها هي الألهة المدبرة لهذا العالم ثم أنها تعبد الله سبحانه وينسب هذا المذهب الى الكلدانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام. وقال الطبري الصائبون ليسوا بيهود ولا نصارى ولا دين لهم.

ونقل عن السدي أنهم طائفة من أهل الكتاب وقال صاحب الملل والنحل أن الصبوة في مقابلة الحنيئية ويميل هؤلاء عن سنن الحق وزيفهم عن نهج الأنبياء وقيل لهم الصائبة اذا عرفت هذا فلنرجع الى تفسير الآية فنقول يختلف المفسرون في تفسير هذه الآية إختلافاً شديداً وذلك لأن الله تعالى يقول: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا** أي المؤمنون بالله ورسوله والذين هادوا، أي اليهود والنصارى، أي أتباع المسيح والصائبين وهم المجوس **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ** ظاهر الآية يدل على نفي الخوف وثبوت الأجر لكل هؤلاء الفرق مع أننا نقول أن اليهود والنصارى والصائبين وغيرهم من أصناف الكفار الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ولم يقبلوا الإسلام جزاءهم جهنم وهم فيها خالدون والدليل عليه قوله تعالى: **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** وقد ذكروا للتقصي عن هذا الإشكال وجوهاً:

**أحدها:** ما نقل عن ابن عباس وهو أن المراد بقوله الذين آمنوا قبل مبعث محمد ﷺ بعبسى مع البراءة عن أباطيل اليهود والنصارى مثل قس ابن ساعدة وبحيرة الزاهب وحبیب النجار وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن نوفل وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري وفد النجاشي فكأنه قال أن الذين آمنوا قبل مبعث محمد ﷺ والذين كانوا على الدين الباطل الذي لليهود والذين كانوا على الدين الباطل الذي للنصارى وهكذا الصائبين، كل من آمن منهم بعد مبعث محمد ﷺ بالله واليوم الآخر بمحمد ﷺ فلهم أجرهم عند ربهم.

**ثانيها:** أنه تعالى ذكر في أول هذه السورة طريقة المنافقين ثم طريقة اليهود فالمراد من قوله: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا** هم المنافقون الذين آمنوا باللسان ولم يؤمنوا بالقلب أي أن الذين آمنوا ظاهراً والذين هادوا أي اليهود والنصارى والصّابئين من آمن منهم بالإيمان الواقعي وعمل صالحاً على هذا الأساس **فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**.

**ثالثها:** أن المراد بقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا** هم المؤمنون بمحمد ﷺ في الحقيقة وهو عائد إلى الماضي ثم قوله: **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** عائد إلى المستقبل فيكون المعنى أن الذين آمنوا بالله وبرسوله حقاً واستمروا عليه في المستقبل **وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ** كذلك فلا خوف عليهم وأجرهم على الله.

**رابعها:** أن يكون الواو في قوله: **وَالَّذِينَ هَادُوا** للإستئناف والتقدير **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا** بمحمد ﷺ **وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ** من آمن منهم بالله واليوم الآخر وصار مؤمناً حقاً **فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ** والمقصود من آمن منهم كمن آمن وهو ليس منهم فأن الملاك هو الإيمان الواقعي وقد حصل على الفرض.

**خامسها:** ما روي عن ابن عباس أيضاً أنه قال هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ** نقل هذا القول عنه في المجمع ثم قال وهذا بعيد لأن النسخ في الأحكام الشرعية ولا يجوز أن يدخل الخبر الذي هو متضمن للوعد فالأولى أن يحمل على أنه لم يصح هذا القول عن ابن عباس.

**سادسها:** ما ذهب إليه بعض المفسرين وهو أن معنى الآية أن هذه الفرق الأربع إذا آمنوا بالله ويدخل فيه الإيمان بكل ما أوجبه كالإيمان برسله وأمنوا باليوم الآخر وبما وعد فيه فأن أجرهم متيقن جارٍ مجرى الحاصل عند الله تعالى والله تعالى أعلم بكلامه.



وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا  
 آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ  
 تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ  
 رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ  
 الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا  
 قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا  
 وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦)

### ◁ اللّٰغَة

أَخَذْنَا: الأخذ حوز الشيء وتحصيله.  
 مِيثَاقَكُمْ: الميثاق بكسر الميم عهدٌ مُّوكَّدٌ بيمين وهو مِفْعَالٌ من الوِثَاق وهو في الأصل الحبل.  
 تَوَلَّيْتُمْ: أي أعرضتم.  
 اعْتَدَوْا: من العدو وهو التّجاوز ومنافاة الإلتزام والإعتداء مجاوزة الحق.  
 قِرَدَةٌ: جمع قِرْد.  
 خَاسِئِينَ: يقال خَسَأَت الكلب فحسأ أي زجرته مُسْتَهِيناً به فإنزجر.  
 نَكَالًا: نَكَلَ عن الشيء ضعف وعجز، نَكَلْتُ، أي قَيَّدْتُهُ والنَّكَل قيد الدّابة وحديدة اللّحام.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

### ◁ الإعراب

فَوْقَكُمُ الطُّورَ ظرف، لِرَفَعْنَا بِقُوَّةٍ، في موضع نصب على الحال المقدّرة و صاحب الحال الواو في خذْ وَاذْكُرُوا مركبة من لو، و، لا، فَضْلُ اللَّهِ مُبْتَدَأ والخبر محذوف وتقديره لولا فضل الله حاضر عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا، علمْتُمْ بمعنى

عَرَفْتُمْ مُتَعَدِّيَ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ عَلَى الْحَالِ، مِنَ الَّذِينَ إِعْتَدُوا فِي السَّبَبِ مُتَعَلِّقٌ بِإِعْتَدَا نَكَالًا مَفْعُولٍ ثَانٍ وَهَاءُ مَفْعُولٍ أَوَّلٍ.

### ◀ التفسير

وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ إِلَى قَوْلِهِ: تَتَّقُونَ وَالْبَحْثُ يَقَعُ فِي مَسَائِلِ  
الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى:، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ أَيِ وَإِذْ كَرُوا إِذْ  
أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَالخِطَابُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اخْتَلَفُوا فِي الْمَرَادِ بِالْمِيثَاقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ  
يَقُولُ أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ  
وَنَصَبَ الدَّلَائِلَ الْقَاطِعَةَ بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ وَالْبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى  
صَدَقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَقِيلَ الْمَرَادُ بِالْمِيثَاقِ هُوَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى الرَّسْلِ  
فِي قَوْلِهِ: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ وَقِيلَ هُوَ أَخَذَ التَّوْرَةَ عَنْ مُوسَى ذَكَرَ هَذِهِ  
الْوُجُوهُ الطَّبْرَسِي فِي الْمَجْمَعِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ الْمَرَادُ بِالْمِيثَاقِ الْعُهُودُ الَّتِي أَخَذَهَا اللَّهُ عَنْهُمْ وَهِيَ  
أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا فِي التَّوْرَةِ وَمَا فِي الْقُرْآنِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ مُوسَى وَأَنْ يَقْرَءُوا بِمَا  
فِيهِ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِيَّهِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالطَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا وَأَنْ يُؤَدِّهِ  
إِلَى أَخْلَافِهِمْ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَأَبَوْا قَبُولَ ذَلِكَ وَاسْتَكْبَرُوا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ذَلِكَ بِمَا  
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ، قَالَ بَعْضُ  
الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ مُوسَى لَمَّا جَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالْأَلْوَحِ فِيهَا التَّوْرَةُ قَالَ  
لَهُمْ خُذُوهَا وَالتَّزَمُوا بِهَا فَقَالُوا لَا، إِلَّا أَنْ يَكْلِمَنَا اللَّهُ بِهَا كَمَا كَلَّمَكَ فَصَعَقُوا ثُمَّ  
أَحْيَا فَقَالَ خُذُوهَا فَقَالُوا لَا فَاقْرَأْ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَأَنْتَلَعَتْ جَبَلًا مِنْ جِبَالِ فِلَسْطِينَ  
طَوْلُهُ فَرْسَخٌ فِي مِثْلِهِ وَكَذَلِكَ كَانَ عَسْكَرُهُمْ فَجَعَلَ عَلَيْهِمْ مِثْلَ الظِّلَّةِ وَأَتَوْا بِبَحْرِ  
مِنْ نَارٍ جَهَنَّمَ وَنَارٍ مِنْ قَبْلِ وَجُوهِهِمْ وَقِيلَ لَهُمْ خُذُوهَا وَعَلَيْكُمْ الْمِيثَاقُ إِلَّا

تَضَيِّعُوهَا وَإِلَّا سَقَطَ عَلَيْكُمُ الْجَبَلُ فَسَجَدُوا تُوبَةً لِلَّهِ وَأَخْذُوا التَّوْرَةَ بِالْمِيثَاقِ  
قَالَ الطَّبْرِيُّ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لَوْ أَخَذُوهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقٌ وَكَانَ  
سُجُودُهُمْ عَلَى شَيْءٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْقُبُونَ الْجَبَلَ خَوْفًا فَلَمَّا رَحِمَهُمُ اللَّهُ قَالُوا لَا  
سَجْدَةَ أَفْضَلَ مِنْ سَجْدَةِ تَقْبِلُهَا اللَّهُ وَرَجِمَ بِهَا عِبَادَهُ فَأَمَرُوا بِسُجُودِهِمْ عَلَى  
شَيْءٍ وَاحِدٍ انْتَهَى مَا قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ.

**أقول** ما ذكره بعيد جداً وذلك لأنَّ جَبَلًا طوله فرسخ في مثله أي عرضه  
أيضاً فرسخ ممَّا لا يكاد يقبله العقل السَّليم بل وجود مثل هذا في العالم ممَّا لم  
نسمعه إلى الآن وكيف يقبل وجود جبلٍ كذلك في الخارج ونظيره لم يوجد  
أبدًا.

وبعبارة أخرى نحن لا نمنع إمكان هذا وأعظم منه لأنَّ الله تعالى على كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ بَلْ نَمْنَعُ وَقَوْعُهُ فِي الْخَارِجِ إِذْ لَوْ وُجِدَ الْجَبَلُ عَلَى مَا قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ  
فَلَقَائِلٌ أَنْ يَقُولَ أَيْنَ هَذَا الْجَبَلُ بِهِذِهِ الْمَسَاحَةُ وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ فِي طُولِ التَّارِيخِ ثُمَّ  
هَذَا الْإِشْكَالُ بَعِينُهُ فِي عَسْكَرِهِمْ وَكَيْفَ يَقُولُ وَكَذَلِكَ كَانَ عَسْكَرُهُمْ، يَعْنِي  
كَانَ عَسْكَرُهُمْ فَرَسَخٌ فِي فَرَسَخٍ مِثْلَ الْجَبَلِ كُلِّ هَذَا مِنَ الْخَرَافَاتِ وَالْأَوْهَامِ  
الْبَاطِلَةِ الَّتِي لَا تَسْتَنْدُ إِلَى آيَةٍ أَوْ رَاوِيَةٍ صَحِيحَةٍ كَأَكْثَرِ مَا رَوَاهُ فِي تَفْسِيرِهِمْ  
وَالْعَجَبُ مِنَ الرَّازِيِّ مَعَ تَضْلُعِهِ فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَالتَّنْقِيَّاتِ أَنَّهُ أَيْضًا وَقَعَ فِي هَذِهِ  
الْوَرُطَةِ وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ جَبَلًا مِنْ جِبَالِ فَلَاسْطِينَ فَيَنْقَلِعُ مِنْ  
أَصْلِهِ حَتَّى قَامَ فَوْقَهُمْ كَالظِّلَّةِ وَكَانَ الْمُعْسَكَرُ فَرَسَخًا فِي فَرَسَخٍ فَأَوْحَى إِلَيْهِ  
إِلَيْهِمْ أَنْ أَقْبِلُوا التَّوْرَةَ وَإِلَّا رَمَيْتُ عَلَيْكُمُ الْجَبَلَ فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَا مَهْرَبَ قَبِلُوا  
التَّوْرَةَ بِمَا فِيهَا وَسَجَدُوا لِلْفَرْعِ سَجُودًا يَلْحَظُونَ الْجَبَلَ فَلِذَلِكَ سَجَدَتْ الْيَهُودُ  
عَلَى أَنْصَافٍ وَجْهَهُمْ انْتَهَى.

وَجْهَ التَّعَجُّبِ أَنَّ الرَّازِيَّ وَأَنْ لَمْ يَقُلْ فِي طُولِ الْجَبَلِ وَعَرْضِهِ مَا قَالَهُ  
الْقُرْطُبِيُّ وَكَذَلِكَ لَمْ يَقُلْ وَكَانَ عَسْكَرُهُمْ كَذَلِكَ، بَلْ قَالَ كَانَ الْمُعْسَكَرُ فَرَسَخًا

في فرسخ، أي الأرض التي كان العسكر عليها وهو أمرٌ معقول إلا أنه قال في آخر كلامه فلما رأوا أن لا مهرب قبلوا التوراة بما فيها، وهذا الكلام منه صريحٌ في الجبر الممنوع شرعاً وعقلاً كما يأتي البحث فيه في محله وكيف يقبل العقل أن الله أوحى إليهم أن قبلوا التوراة وإلا رُميت الجبل عليكم، كل ذلك من الإستخراجات الظنية وليس من تفسير القرآن بشئٍ والذي نقول به طبقاً لنص الآية أن موسى لما جاءتهم بالألواح فرأوا فيها ما خالف طباعهم وغرائزهم كما هو الشأن في أكثر التكاليف الشرعية في جميع الأديان ولذلك قال رسول الله ﷺ حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، فلا محالة كبرت عليهم التكاليف فأبوا قبولها فأمر الله جبرئيل بقطع الطور من أصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم أن قبلتم وإلا ألقى عليكم فخافوا وقبلوا إلا من عصمه الله من العباد فإنه قبله طائعاً مختاراً ثم لما قبلوه سجدوا وعفروا وكثير منهم عفر خذيه لا يريد الخضوع لله ولكن نظر إلى الجبل هل يقع هذا أم لا وأخرون سجدوا طائعين مختارين فقال رسول الله ﷺ أحمدا والله معاشر شيعتنا على توفيقه إياكم فأنكم تعفرون في سجودكم لا كما عفر كفرة بني إسرائيل ولكن كما عفره خيارهم هكذا.

رؤي عن العسكري عليه السلام في تفسير البرهان: ويظهر منه أن قوم موسى بعد رؤيتهم الجبل فوق رؤوسهم صاروا فرقة آمنت للخوف من سقوط الجبل وهم المنافقون وفرقة آمنت بالطوع والرغبة وهم المؤمنون حقاً وهذا بعينه شأن المسلمين في صدر الإسلام فإن بعضهم آمنوا بالله وبرسوله خوفاً على دمائهم وأموالهم أو طمعاً في الدنيا وزخارفها باللسان دون القلب والبعض الآخر لا كذلك أمثال سلمان وأبي ذر وغيرهما ومن الأول معاوية وأبو سفيان وغيرهما من المنافقين الذين آمنوا في

فتح مكة خوفاً ورعباً وليس هذا من الجبر فأن الله تعالى لم يجبرهم على قبول الإسلام بل هم أنفسهم أجبروا نفوسهم عليه وبين المقامين بونٌ بعيد لأن الجبر المنقفي هو الأول وأما الثاني فليس منه لأنه كان بإختيارهم.

وأما طول الجبل وعرضه ومقداره فهو ممّا لا نعلمه ولم يرد بهذه الأمور من الأخبار الواردة ما يعتمد عليه فهو داخل تحت قوله ﷺ أسكنوا ممّا سكنت الله عنه.

وأما الطور فالظاهر أن المراد به طور سيناء وهو اسمٌ للجبل الذي كلم الله عليه موسى فإن الألف واللام فيه يدل على أن المراد به الجبل المعهود ولذلك عرّف فمام نقل عن مجاهد وقتادة من أن الطور اسم لكل جبل لا دليل عليه اذ لو كان كذلك يقال ورَفَعنا فوقكم طُورٌ، ويؤيد ما ذكرناه ما قاله الراغب في المفردات حيث قال الطور اسم جبل مخصوص.

المسئلة الثانية: في قوله تعالى: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أي خذوا ما آتيناكم من التوراة بقوة أي بجدٍ وبقين لاشك فيه. وهو المروي عن ابن عباس وغيره وعن العياشي أنه سأل عن الصادق ﷺ عن قول الله عز وجل خذوا ما آتيناكم بقوة، أبقوة الأبدان أم بقوة القلوب فقال بهما جميعاً.

وقيل أخذه بقوة هو العمل بما فيه بعزيمة وجدٍ وقيل بنية صادقة وإخلاص، وأذكروا ما فيه أي تدبروه وأحفظوا أو امره ووعيده ولا تنسوه ولا تُضيعوه وقيل معناه وأذكروا ما في تركه من العقوبة وقيل معناه أعملوا بما فيه ولا تتركوه.

أقول ما ذكروه في تفسير الكلام لا بأس به إلا أنه لا يناسب لفظ الآية وذلك لأنه تعالى لم يقل وتذكروا ما فيه، أو أعملوا وأمثال ذلك وقال وأذكروا، وهذا

اللفظ يُرشدنا الى أَنَّ المراد وأذكروا ما فيه لغيركم من الجهال والعوام ولا تكتُمُوا شيئاً عنهم وأنما قلنا ذلك لأننا إستندنا من سائر الآيات أنهم كانوا يكتُمون الحقائق عن عوامهم ولا يذكرون لهم ما في التّوراة.

قال الله تعالى: لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>(١)</sup>

فأن فعلتم ذلك أي أن أخذتم ما فيه بقوة الإيمان وعملتم ثم ذكرتم ما عملتم لغيركم فأنتم من المتّين، ويمكن أن يكون المعنى لا تغفلوا عما فيه و ذلك لأن لازم ذكر الشئ التوجه اليه وعدم الغفلة عنه:

قال الله تعالى: وَ أَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا<sup>(٤)</sup>. وغيرها

من الآيات هذا تمام البحث في هذه الآية.

وأما قوله تعالى: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، ففيه إيماء بل تصريح بأنّ القوم تخلّفوا عما أمروا به وأعرضوا عن التّوراة عملاً ونَبَذُوا وراء ظهورهم ولذلك قال الله تعالى: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ وَأَعْرَضْتُمْ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي أَخَذْنَاهُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ اعْطَائِكُمُ الْمَوَاقِيقَ، فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ أَي لولا أن تفضل الله عليكم وَرَحْمَتِهِ الَّتِي رَحِمَ اللَّهُ بِهَا إِيَّاكُمْ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ، قيل فضل الله الإيمان وَرَحْمَتُهُ الْفِرْقَانِ، وقيل فلولا فضلي عليكم في رفع الجبل فوقكم للتوفيق واللفظ الذي ثَبَّتْ عنده حتّى زال العذاب عنكم وسقوط الجبل، لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ، قال بعض المفسرين قد يُعلم في الجملة أنهم بعد قبول التّوراة وَرَفَعِ الطُّورَ تَوَلَّوْا عَنِ التّوراة بأمر كثيرة فحَرَفُوهَا وتركوا العمل بها و

قتلوا الأنبياء وكفروا بهم وعصوا أمرهم ولعلّ فيها ما يختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله أوائلهم ومنها ما فعله متأخريهم ولم يزلوا في التّيه مع مشاهدتهم الأعاجيب ليلاً ونهاراً يُخالفون موسى ويعترضون عليه و يلقونه بكلّ أذى ويُجاهرون بالمعاصي في معسكرهم ذلك حتّى لقد خَسَفَ ببعضهم وأحرقت النار بعضهم وعُوقبوا بالطّاعون وكلّ هذا مذكور في تراجم التّوراة التي يَقْرُون بها ثمّ فعل متأخروهم ما لا خفاء به حتّى عُوقبوا بتّخريب بيت المقدّس وكفروا بالمسيح وهُموا بقتله والقرآن وأن لم يكن فيه بيان ما تَوَلّوا به عن التّوراة فالجملة معروفة وذلك أخبار من الله تعالى عن عناد أسلافهم فغير عجيب إنكارهم ما جاء به محمّد ﷺ من الكتاب وجحودهم لحقّه وحالهم في كتابهم ونبيهم ما ذكر والله أعلم انتهى.

وأما قوله: **فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ، فيمكن أن يراد به لو ما تفضّل الله به عليكم من إمهالكهم وتأخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين أي من الهالكين الذين باعوا أنفسهم بنار جهنّم فذلّ هذا القول على أنّهم أنّما خرجوا من هذا الخسران لأنّ الله تعالى تفضّل عليهم بالإمهال حتّى تابوا، وقيل أنّ الخبر قد انتهى عند قوله تعالى: **ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ** ثمّ قيل **فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ** رجوعاً بالكلام إلى أوّله أي لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردّكم الكتاب ولكنته تفضّل عليكم ورحمكم فلفظ بكم بذلك حتّى تبتّم.

أما قوله تعالى: **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** فقد مرّ في شرح اللّغات أنّ قوله علمتم بمعنى حرفتّم، أي أنكم عرفتم الذين اعتدوا وجاوزوا ما أمروا به من ترك الصّيد يوم السّبت، فقلنا لهم أي قلنا للمعتدين كونوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ، هذا إخبارٌ عن سرعة فعله ومسخه إيّاهم لأنّ هناك أمرٌ أو معناه قال الطّبرسي انتهى.

ونحن ننقل قصّة أصحاب السَّبْتِ أولاً ثمّ نقول في تفسير الآية ما فهمناه أو وصل إلينا من المفسّرين.

فنقول رُوي في البحار بأسناده عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أنّ قوماً من أهل أبله من قوم ثمود سَبَقَت الحيتان اليهم يوم السَّبْتِ لِيَخْتَبِرَ اللَّهُ طاعتهم في ذلك فَشَرَعَت اليهم يوم سببتهم في ناديتهم وقَدَّام أبوابهم في أنهارهم وسواقيتهم فبادروا إليها فَأَخَذُوا يَصْطادونها ولبثوا في ذلك ما شاء الله لا ينهاهم عنها الأحبار ولا يمنعهم العلماء من صيدها ثمّ أنّ الشيطان أوحى إلى طائفة منهم أنّما نُهيتم عن أكلها يوم السَّبْتِ ولم تُنْهوا عن صيدها فأصطادوا يوم السَّبْتِ وكلوها فيما سوى ذلك من الأيام فقالت طائفة منهم الآن نصطادها فعتت وإنحازت طائفة أخرى منهم ذات اليمين فقالوا ننهاكم عن عقوبة الله أن تتعرضوا بخلاف أمره وإعترلت طائفة منهم ذات اليسار فتنكبت ولم تعظمهم فقالت للطائفة التي وعظتهم لم تعظون قوماً الله مُهلِكهم أو مُعَذِّبهم عذاباً شديداً فقالت الطائفة التي وعظتهم معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون قال فقال الله عزّ وجلّ فلما نسوا ما ذكروا به يعني لما تركوا ما وعظوا به ومضوا على الخطيئة فقالت الطائفة التي وعظتهم لا والله لا نجا معكم ولا نُبأيتكم اللّيلة في مدينتكم هذه التي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعمّنا معكم قال فخرجوا من المدينة مخافة أن يُصيبهم البلاء فنزلوا قريباً منها فباتوا تحت السماء فلما أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت فدَقّوه فلم يُجابوا ولم يسمعوا منها حِسّ أحد فَوَضِعُوا سُلْماً على



سور المدينة ثم أصدعوا رجلاً منهم فأشرف على المدينة فنظر فإذا هو بالقوم قردة يتغاوون فقال الرجل لأصحابه يا قوم أرى والله عجباً قالوا وما ترى قال أرى القوم قد صاروا قردة يتغاوون لها أذناب فكسروا الباب قال فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة فقال القوم للقردة ألم ننحكم فقال عليّ عليه السلام والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنني لأعرف أنسابها من هذه الأمة لا ينكرون ولا يغيرون بل تركوا ما أمروا به فتفرقوا فبعداً للقوم الظالمين فقال الله أنجينا الذين يَنْهَوْنَ عَنِ السَّوِّءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ بئس بما كانوا يفسقون انتهى.

أقول وقد روي عن عليّ ابن الحسين عليه السلام أيضاً هذه القصة إن شئت فراجع البحار<sup>(١)</sup>

وفي المقام أبحاث:

**الأول:** قال صاحب الكشاف السَّبْتُ مصدر سَبَتَ اليهود إذا عَظُمَ يوم السَّبْتُ فإن قيل لما نهاهم الله عن الإصطياد يوم السَّبْتُ فما الحكمة في أن أكثر الحيتان يوم السَّبْتُ دون سائر الأيام كما قال تعالى: تَأْتِيهِمْ حِبَتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَ يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ<sup>(٢)</sup> وهل هذا إلا إشارة الفتنه وإرادة الإضلال..

قلنا إما على مذهب أهل السنّة فإرادة الإضلال جائزة من الله تعالى وأما على مذهب الحقّ فالتشديد للتكاليف حسن لغرض إزدياد الثواب وإن شئت قلت للاختيار والإمتحان.

**الثاني:** أن قوله تعالى كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ليس بأمرٍ لأنهم ما كانوا قادرين على أن يقلبوا أنفسهم على صورة القردة بل المراد منه سرعة التكوين كقوله

فيه القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ<sup>(١)</sup> وكفوله تعالى: قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ.

والمعنى أنه تعالى لم يعجزه ما أراد إنزاله من العقوبة بهؤلاء بل لما قال لهم كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ صاروا كذلك أي لما أراد ذلك بهم صاروا كما أراد وهو كقوله: كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا<sup>(٢)</sup>

الثالث: ما معنى المَسْخ في المقام فأن قوله تعالى كونوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ، يدل على المَسْخ لأنه على ما فسره الراغب في المفردات تشويه الخلق والخلق من صورة إلى صورة قال بعض الحكماء المَسْخ على ضربين:

مَسْخٌ خَاصٌ يحصل في العين وهو مسخ الخلق، ومَسْخٌ قَدْ يحصل في كل زمانٍ وهو مسخ الخلق وذلك أن يصير الإنسان مُتَخَلِّقًا بِخَلْقٍ ذَمِيمٍ من أخلاق بعض الحيوانات نحو أن يصير في شدة الحرص كالكلب وفي الشره كالخنزير وفي الغمارة كالثور إذا عرفت المَسْخ بقسميه فنقول:

ما المراد بالمَسْخ في المقام هل هو مسخ الخلق أو مسخ الخلق قال بعض المحققين كلاهما محتمل، والحق خلافه فأن قوله تعالى: كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ صريحٌ في المسخ بالمعنى الأول وهو مَسْخُ الخلق أعني تحويل الشئ من صورة إلى صورة وذلك لأن الإنسان إذا صار قرداً فلا محالة زالت صورة الإنسانية عنه وإلا لا يطلق عليه إسم القرد وهو واضح وقد قال الله تعالى في موضع آخر وجعل منهم القردة والخنازير.

وقال تعالى: وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ<sup>(٣)</sup> يقال مَسَخْتُ النَّاقَةَ أي أنضيتها وأزلتها حتى أزلت خلقتها عن حالها وعلى هذا فقول بعض المفسرين من العامة أن المراد بالآية هو مَسْخُ قلوبهم بمعنى الطبع والختم:

قال الله تعالى: **حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** <sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ** <sup>(٣)</sup>.

وأمثالها من الآيات لا معنى له بل هو مخالف لصريح الآية وكأنه لم يفرق بين المسخ في الخلق والمسخ في الخلق وأن ما ذكره من الأول والآية من الثاني وبينهما بون بعيد فالآية دالة على مسخ الصورة بلا كلام ثم أنه استدل على مدّعه بأمرين:

**أحدهما:** أن الإنسان هو هذا الهيكل المشاهد والبُنية المحسوسة فاذا أبطلها وخلق في تلك الأجسام تركيب القرد وشكله كان ذلك إعداماً للإنسان وإيجاداً للقرد فيرجع حاصل المسخ على هذا القول إلى أنه تعالى أعدم الأعراض التي باعتبارها كانت تلك الأجسام فيها الأعراض التي باعتبارها كانت قرداً فهذا يكون إعداماً وإيجاداً لا أنه يكون مسخاً.

**ثانيهما:** أن جؤزنا ذلك لما أمنا في كل ما نراه قرداً وكلباً أنه كان إنساناً عاقلاً وذلك يُفضي إلى الشك في المشاهدات.

**أما الجواب عن الأول** فبأن الإنسان هو هذا الهيكل المشاهد والبُنية المحسوسة أول الكلام ومن أين ثبت له هذا وما الدليل عليه، بل الإنسان أمر وراء هذا الهيكل المحسوس والبُنية المحسوسة كما ثبت في محله ولذلك تقول جسمي ويدي ورجلي وعيني فالجسم وأعضاءه مضاف إلى الإنسان وإلا يلزم من قولك جسمي إضافة الشيء إلى نفسه هذا أولاً.

ثانياً نقول أن الجسم والأجزاء في الإنسان متبدلة متغيرة وهو واضح من بدو تولده إلى آخر عمره فلو كان الجسم وما يتعلق به هو الإنسان يلزم التغير

والتبديل في الإنسانية ولم يقل به أحد وتفصيل الكلام في هذا البحث خارج عن طَور الكتاب.

والذي نقول في المقام أن الجسم مُركَّب وألَّة للإنسان للوصول الى الكمال وإذا كان كذلك فالإنسان شيء والهيكَل المحسوس شيء آخر متعلق به ثم أن هذا الهيكَل المحسوس له صورة ومادَّة كما هو الشَّان في كلِّ الأجسام والصُّورة على قسمين:

صورة نوعيَّة وصورة جسميَّة وقد ثبت أن شيئيَّة الشَّي بصورته لا بمادَّته فإنَّ الصُّورة ما به الشَّي هو أيضاً قد ثبت أن المادَّة في جميع المراحل محفوظة والصُّورة مُتبدِّلة مُتغيِّرة كما أن الماء يصير بخاراً لم يصير ماءً ثانياً فلولا بقاء المادَّة في الصُّورتين كيف يكون ذلك أليس أن الماء إذا صار بخاراً مادَّة المائيَّة فيه محفوظة فإن كان فهو المطلوب.

وأن لم يكن فكيف يصير البخار ماءً إذا عرفت هذا فأعلم أن المسخ عبارة عن تحويل صورة الإنسانية بصورة القردة وأن شئت قلت تغييرها وتبديلها مع بقاء المادَّة فليس هذا من قبيل الإعدام والإيجاد بل من تغيير الصُّورة الى صورة أخرى لأن الإعدام لا يكون إلا بإعدام المادَّة والصُّورة معا وأما في صورة بقاء المادَّة لا يصدق الإعدام بل هو خلْع ولَبْس وتفصيل الكلام في مباحث الحشر والنَّشر والمعاد إن شاء الله تعالى.

**الجواب عن الثَّاني:** بأن إمكان وقوع المسخ وجوازه في مكانٍ خاصٍّ وزمانٍ خاصٍّ بالنسبة الى أشخاص معيَّنة لا يوجب الشكَّ في المشاهدات في جميع الأزمنة مضافاً الى قيام الإجماع من الأُمَّة على أن المسخ وما شابهه لا يكون في هذه الأُمَّة وأنما وقع ما وقع في الأُمم السَّالفة على ما صرَّح به الكتاب.

وأما قوله تعالى: **فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** فإختلفوا في مرجع الضمير في قوله: **فَجَعَلْنَاهَا** فقال الأخفش الى رجوعه الى القردة أي جعلنا القردة نكالاً لما بين يديها الخ.

وقال بعضهم أَنَّ الصَّمِيرَ يرجع الى المَسْخَةِ التي مَسَّحُوهَا.

**ثالث الأقوال:** رجوعه الى أصحاب السَّبْت أي جَعَلْنَا أصحاب السَّبْت نَكَالًا.

**رابعها:** رجوعه الى القرية أي جَعَلْنَا قريتهم نَكَالًا.

**خامسها:** رجوعه الى الأُمَّة أي جَعَلْنَا هذه الأُمَّة نَكَالًا والكلّ محتمل و  
الأحسن رجوعه الى القِرْدَةِ وهو الأظهر، ثمَّ أَنَّ النِّكَالَ العقوبة الغليظة الرّادعة  
للنّاس عن الإقدام على مثل تلك المعصية وأصله من المنع والحبس ومنه  
النّكول عن اليمين وهو الإمتناع منها ويقال للقيّد النّكل وللجام الثّقيل أيضاً  
النّكل لما فيهما من المنع والحبس:

قال الله تعالى: **إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا** <sup>(٢)</sup>

والمعنى في الآية أَنَا جَعَلْنَا ماجرئ على هؤلاء القوم عقوبة رادعة لغيرهم  
أي لم نقصد بذلك ما يقصده الأدميون من التّشفي أَنما يصحّ صدوره مِن  
تضرّ به المعاصي وتنقص من ملكه وتؤثر فيه و أَمَا نحن فَأَنَّمَا نَعاقِب لمصالح  
العباد فعقابنا زجرٌ ومَوْعِظَةٌ ولذلك قال بعض أرباب التّحقيق أَنَّ اليسير من  
العقوبة لا يوصف بأنّه نكال حتّى اذا عظم وكثر وإشتهر يوصف به فكأنّه  
تعالى لَمَّا بَيَّن ما أنزله بهؤلاء القوم الَّذِينَ إعتدوا في السَّبْت وإستحلّوا من  
إصطياد الحيّتان وغيره ممّا حرّمه عليهم إبتغاء الدّنيا ونقض ما كان منهم من  
المواثيق أنزل بهم عقوبة وجعلها نكالًا لما بين يديها الخ عقوبةً على ما صدر  
منهم من الذّنْب ولذلك أتاه بالفاء المفيد للتّفريع أي أَنَّ العقوبة النّازلة بهم فرغ  
على عصيانهم وتمرّدهم عمّا أمروا به.

في القرآن في تفسير القرآن



المجلد الأول

أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا فِيهِ وَجْهٌ:

أَحَدُهَا: أَي لِمَا قَبْلَهَا وَمَا مَعَهَا وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْأُمَمِ وَالْقُرُونِ لِمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِ الْأَوَّلِينَ فَأَعْتَبَرُوا بِهَا مِنْ بَلَّغَ إِلَيْهِ خَبَرُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ مِنَ الْآخِرِينَ.

ثَانِيهَا: أُرِيدَ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مَا يَحْضُرُهَا مِنَ الْقُرُونِ وَالْأُمَمِ.

ثَالِثُهَا: الْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهَا عَقُوبَةً لِجَمِيعِ مَا إِرْتَكَبُوهُ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْفِعْلِ وَمَا بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَفَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ فَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَنْ عَرَفَ الْأَمْرَ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ يَتَعَزَّ بِه وَيَخَافُ إِنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِمْ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِهِمْ وَأَنْ لَمْ يَنْزِلْ عَاجِلًا فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَخَافَ مِنَ الْعِقَابِ الْأَجَلِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ وَأَدْوَمُ وَأَمَّا تَخْصِصُ الْمُتَّقِينَ بِالذِّكْرِ فَالْوَجْهُ فِيهِ مَا مَضَى عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: هُدًى لِلْمُتَّقِينَ فَأَنَّ غَيْرَهُمْ لِإِنْغِمَارِهِمْ فِي الشَّهَوَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَإِنْهَامِهِمْ فِي اللَّذَاتِ الْحَسَنَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَحُبِّهِمْ لِلدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا وَبِالْجُمْلَةِ غَفَلَتِهِمْ عَنْ عَوَاقِبِ الْعَصْيَانِ وَالطَّغْيَانِ لَا يَتَعَزَّوْنَ بِهَذِهِ الْمَوَاعِظِ التَّكْوِينِيَّةِ فَضْلًا عَنْ الْمَوَاعِظِ التَّشْرِيعِيَّةِ.

لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا أَكْثَرَ الْعَبْرَ وَأَقَلَّ الْإِعْتِبَارَ وَلِنُشِرَ إِلَى بَعْضِ مَا وَرَدَ فِي الْبَابِ.

رَوَى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَبِيتُونَ عَلَى اللَّهْوِ وَشَرِبِ الْخَمْرِ وَالْغِنَاءِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ مَسَخُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ وَأَصْبَحُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَحْذَرُوا أَنْ تَعْتَدُوا كَمَا إِعْتَدَى أَصْحَابُ السَّبْتِ فَقَدْ كَانَ أُمْلِي لَهُمْ حَتَّى أَشْرَوْا وَقَالُوا أَنْ السَّبْتِ لَنَا حَلَالٌ وَأَتَمَّا كَانَ حُرْمٌ عَلَى أَوْلَادِنَا وَكَانُوا يِعَاقِبُونَ عَلَى إِسْتِحْلَالِهِمُ السَّبْتِ فَأَمَّا نَحْنُ فَلَيْسَ عَلَيْنَا حَرَامٌ وَمَا زَلْنَا بِخَيْرٍ مِنْذُ إِسْتَحْلَلْنَاهُ وَقَدْ كَثُرَتْ أَمْوَالُنَا وَصَحَّةُ أَجْسَامِنَا ثُمَّ أَخَذَهُمُ اللَّهُ لِيَلَّا وَهُمْ غَافِلُونَ وَهُوَ قَوْلُهُ

أحذروا أن يحلّ بكم مثل ما حلّ بمن تعدّى وعصى انتهى.  
وعن كتاب الخصال عن أبي عبد الله عن جدّه عليه السلام قال المسوخ من  
بني آدم ثلاثة عشر صينفاً إلى أن قال فأما القردة فكانوا قوماً  
ينزلون على شاطئ البحر إعتدوا في السّبب فصادوا الحيتان  
فمسخهم الله قردة انتهى.

وفيه أيضاً عن جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام  
قال سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسوخ فقال هم ثلاثة عشر،  
الفيل إلى أن قال وأما القردة فقوم إعتدوا في السّبب انتهى.  
وفي عُيون الأخبار عن محمد ابن سنان عن الرضا عليه السلام والحديث  
طويل وفيه، كذلك حرم القردة لأنّه مسخ مثل الخنزير وجعله عِظة  
وعبرةً للخلق دليل على ما مسخ على خلقه وصورته وجعل فيه  
شبهه من الإنسان ليبدّل على أنّه الخلق المغضوب عليه انتهى.  
وفي كتاب علل الشّرائع بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام أنّ  
اليهود أمروا بالإمساك يوم الجمعة فتركوا يوم الجمعة وأمسكوا  
يوم السّبب فحرّم عليهم الصّيد يوم السّبب انتهى رويّا الأحاديث  
عن تفسير نور الثّقلين.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا  
بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ  
مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ  
قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ  
ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ  
يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ  
لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّازِلِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا  
مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ  
لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ  
الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا  
الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)

### ◀ اللغة

تَذْبَحُوا: أصل الذبح شَقَّ حلق الحيوانات.  
بَقَرَةٌ: البَقَارُ اسم جنس يقع على الذكر والأنثى وإنما دخلته الهاء للوحدة  
قيل هو مشتق من بَقَر إذا شَقَّ لأنها تشق الأرض بالحراثة.  
هُزُؤًا: مصدر وفيه ثلاث لغات الهمز وضم الزاي والهمز وسكون الزاي و  
قلب الهمزة واواً مع ضم الزاي وربما سكنت الزاي أيضاً وتقديره، ذوي هُزُؤ  
فالمضاف محذوف.

فَارِضٌ: الفارض المُسِنَّ من البَقَر وأصل الفرض القطع وقيل قطع الشئ  
الصلب وسُمي البقر به لأنه يقطع الأرض.

بِكْرٌ: البكر من البقر هي التي لم تلد وسُميت المرأة التي لن تفتن بكراً



إعتباراً بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد به النساء وجمع البكر أبكار.  
 عَوَانُ: العَوَان بفتح العين المتوسط بين السنين.  
 صَفْرَاءُ: الصُّفْرَة لون من الألوان التي بين السَّوَاد والبياض وهي الى السَّوَاد  
 أقرب ولذلك قد يُعَبَّر بها عن السَّوَاد.  
 فَاقِعٌ: فاعل من فَقَعَ يقال أصفر فاقع اذا كان صادق الصُّفْرَة.  
 دَلُولٌ: الدَّلُول ضدَّ الصُّعْب.  
 الْحَرَثُ: إلقاء البذر في الأرض وتهيؤها للزَّرع ويسمى المحروث حَرَثًا.  
 لِأَشْيَةٍ: والأشْيَة فعله من الوَشَى يقال ثور مُوشِي القوائم يقال وشيت وشيًا  
 جعلت فيه أثرًا يخالف معظم لونه.

### ◁ الإعراب

أَنْ تَذْبَحُوا في موضع نصب على تقدير إسقاط حرف الجرّ وتقديره بأن  
 تَذْبَحُوا وعلى قول الخليل في موضع جرٍّ بالباء بَقَرَةً مفعوله هَزُواً يجوز أن  
 يكون مصدرًا بمعنى المفعول تقديره فَهَزُواً بهم وقيل مفعول ثانٍ لَأَتَّخِذُوا فيه  
 مضاف محذوف تقدير ذوي هَزُواً مَا هِيَ مبتدأ وخبر لَأَفَارِضْ صفة لبقرة و  
 قيل خبر مبتدأ أي لا هي فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ مثله وكذلك قوله، عَوَان بين ذلك مَا  
 تَوَمَّرُونَ ما بمعنى الَّذِي فَاقِعٌ لَوْنُهَا إن شئت جَعَلْتُ فاقع صفة ولونها مرفوعاً  
 به وإن شئت كان خبراً مقدّماً والجملة صفة تَسْرُ النَّاطِرِينَ صفة أيضاً وقيل  
 فاقع صفة للبقرة ولونها مبتدأ وتَسْرُ خبره، وأنت اللون لوجهين.  
 أحدهما: أَنَّ اللَّوْنَ صفرة هاهنا فحمل على المعنى.

بِسْمِ  
الْقُرْآنِ  
فِي تَفْسِيرِ  
الْقُرْآنِ

جزء ١

المجلد  
الأول

الثاني: أَنَّهُ مضاف الى المؤنث فَأُنْثِ كما تقول ذهب بعض أصابعه، قال  
 الله تعالى: يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ<sup>(١)</sup> مَا هِيَ مبتدأ وخبر إن شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَهْتَدُونَ

أي إن شاء الله هدايتنا إهتدينا، فالمفعول محذوف وهو هدايتنا لا ذلول  
صفة للبقرة أو خبر ابتداء محذوف والجملة صفة تُشير في موضع نصب حالاً  
من الضمير في ذلول تقديره لا تذلل في حال إضراتها وقيل هو مستأنف أي،  
هي تشير الأرض مفعول للفعل ولا تَسْقَى الْحَرْثَ يجوز أن يكون صفة أيضاً  
وأن يكون خبر ابتداء محذوف وكذلك مُسَلِّمَةٌ لِأَشْيَةٍ فِيهَا والأحسن أن  
يكون صفة والأصل في شَيْءٍ وَشَيْءٍ لَأَنَّهُ مِنْ وَشَيْءٍ فَلَمَّا حُذِفَتِ الْوَاوُ فِي  
الفعل حُذِفَتْ فِي الْمَصْدَرِ أَيْضاً وَفِيهَا خَبَرٌ لَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ قَالُوا الْآنَ الْأَلْفُ  
وَاللَّامُ فِي الْآنَ زَائِدَةٌ وَهُوَ مَبْنِيٌّ لَتَضْمَنِهِ مَعْنَى الْإِشَارَةِ وَقِيلَ لَتَضْمَنِهِ مَعْنَى لَا  
التعريف لَأَنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ الْمَلْفُوظَ بِهِمَا لَمْ تَعْرِفْهُ وَلَا هُوَ عِلْمٌ وَلَا مُضْمَرٌ وَلَا  
شَيْءٌ مِنْ أَقْسَامِ الْمَعَارِفِ فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفُهُ بِاللَّامِ الْمُقَدَّرَةِ وَاللَّامُ هُنَا زَائِدَةٌ  
لِأَزْمَةِ كَمَا لُزِمَتْ فِي الَّذِي.

### ◀ التفسير

قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

روي ابن بابويه عن أبي نصر البرنطي قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: أَنَّ رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثُمَّ أَخَذَهُ وَطَرَحَهُ عَلَى طَرِيقٍ أَفْضَلَ سَبِطٍ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثُمَّ جَاءَ يَطْلُبُ بَدْمَهُ فَقَالُوا لِمُوسَى أَنَّ سَبِطَ آلِ فُلَانٍ قَتَلُوا فُلَاناً فَأَخْبَرَ مَنْ قَتَلَهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيْتُونِي بِبَقْرَةٍ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزْواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمِدُوا إِلَى بَقْرَةٍ أَجْزَأَتْهُمْ وَلَكِنْ شَدَّوْا فَشَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالُوا أَدْعِ لَنَا رَبَّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ أَنَّهُ يَقُولُ أَنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ يَعْنِي لَا صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَ لَوْ أَنَّهُمْ عَمِدُوا إِلَى أَيِّ بَقْرَةٍ أَجْزَأَتْهُمْ وَلَكِنْ شَدَّوْا فَشَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

قالوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى بَقَرَةٍ أَجْزَأَتْهُمْ وَلَكِنْ شَدُّوا فَشَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ أَنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمَهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شَرَّ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ فَطَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا عِنْدَ فَتًى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ لَا أَبِيعُهَا إِلَّا بِمَلُوءٍ مَسَكٍ ذَهَبًا فَجَاؤُوا إِلَى مُوسَى وَقَالُوا ذَلِكَ فَقَالَ إِشْتَرُوهَا فَأَشْتَرُوهَا وَجَاؤُوا بِهَا فَأَمَرَ بِذَبْحِهَا ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُضْرَبَ الْمَيْتَ بِذَنْبِهَا فَعَلُوا ذَلِكَ حَيَّيَ الْمَقْتُولَ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ إِبْنَ عَمِي قَتَلَنِي دُونَ مَنْ يَدَّعِي عَلَيْهِ قَتْلِي فَعَلِمُوا بِذَلِكَ قَاتَلَهُ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ مُوسَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنَّ هَذِهِ الْبَقَرَةَ لَهَا بَنَوٌ فَقَالَ وَمَا هُوَ أَنَّ فَتًى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ بَارَأَبَابِيهِ وَأَنَّهُ إِشْتَرَى بَيْعًا فَجَاؤُوا إِلَى أَبِيهِ وَالْأَقَالِيدَ تَحْتَ رَأْسِهِ نَكَرَهُ أَنْ يَوْقُظَهُ فَتَرَكَ ذَلِكَ الْبَيْعَ وَاسْتَيْقِظَ أَبُوهُ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ أَحْسَنْتَ هَذِهِ الْبَقَرَةَ فَهِيَ لَكَ عَوْضًا لَمَّا فَاتَكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ مُوسَى أَنْظِرْ إِلَى الْبَرِّ مَا بَلَغَ لِأَهْلِهِ انْتَهَى.

وروي العياشي هذا الحديث عن البرنطي قال: سمعتُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: وذكر الحديث بتمامه في تفسير البرهان وقد روي في تفسير أيضاً عن علي بن إبراهيم بأسناده عن أبي عبد الله قال أَنَّ رجلاً من خيار بني إسرائيل و علمائهم خطب امرأة منهم فَأَنْعَمَتْ لَهُ وَخَطَبَهَا إِبْنُ عَمٍّ لِذَلِكَ الرَّجُلِ وَكَانَ فَاسِقًا رَدِيئًا فَلَمْ يَنْعَمُوا لَهُ فَحَسَدَ إِبْنُ عَمِّهِ الَّذِي أَنْعَمُوا لَهُ فَفَعَلَ لَهُ فَقَتَلَهُ غِيْلَةً ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنَّ هَذَا إِبْنُ عَمِّي قَدْ قَتَلَ قَالَ مُوسَى مَنْ قَتَلَهُ قَالَ لَا أَدْرِي وَكَانَ

القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً فعظم ذلك على موسى فاجتمع عليه بنو إسرائيل فقالوا ما ترى يا نبي الله و كان في بني إسرائيل رجل له بقرة و كان له ابن بار و كان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته فلما إنتبه قال له يا بني ماذا صنعت في سلعتك قال هي قائمة لم أبيعها لأن المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أنبهك وأنغص عليك نومك قال له أبوه قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عما فاتك من ربح سلعتك وشكر الله لأبنه فأمر موسى بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها فلما اجتمعوا الى موسى و بكوا وضجوا قال لهم موسى أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتعجبوا و قالوا أتتخذنا هزواً نأتيك بقتيل فتقول إذبحوا بقرة فقال لهم موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فعلموا أنهم قد أخطأوا فقالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي قال أنه يقول أنها بقرة لا فارض ولا بكر، الفارض التي قد ضربها الفحل، والبكر التي لم يضربها الفحل فقالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها أي شديدة الصفرة تسر الناظرين اليها، قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي أن البقر تشابه علينا و إننا إن شاء الله لمهتدون قال يقول أنها بقرة لا ذلول تُثير الأرض أي لم تذلل و لا تسقي الحرث أي ولا تسقي الزرع، مسلمة لاشية فيها، أي لا يقع فيها إلا الصفرة قالوا الآن جئت بالحق هي بقرة فلان فذهبوا ليشتروها فقال لا أبيعها إلا بملوء جلدها ذهباً فرجعوا الى موسى فأخبروه فقال موسى لا بد لكم من ذبحها بعينها فاشتروها بملوء جلدها ذهباً فذبحوها ثم قالوا ما تأمرنا يا نبي الله فأوحى الله تعالى اليه قل لهم أضربوه ببعضها و قولوا من قتلك فأخذوا الذنب فضربوه به وقالوا من

قَتَلَكَ يَا فُلَانٍ فَقَالَ فُلَانٌ بِنَ فُلَانٍ بِنَ عَمِّي الَّذِي جَاءَ بِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ فُلَانًا  
إِضْرَبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَعْقِلُونَ انْتَهَى.

أَقُولُ وَأَتَمَّا نَقَلْنَا الْحَدِيثَيْنِ لِأَنَّ الثَّانِيَّ أَبْسَطُ مِنَ الْأَوَّلِ وَبِهِمَا تَبْتَمُ الْقِصَّةُ.  
وَأَمَّا الْعَامَّةُ فَقَدْ نَقَلُوا هَذِهِ الْقِصَّةَ بِوَجْهِ آخَرَ وَنَحْنُ نَذْكُرُ مَا ذَكَرُوهُ أَيْضاً  
فَنَقُولُ رَوَوْهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَوَهَّبٍ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي  
إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ صَالِحٌ لَهُ ابْنٌ طِفْلٌ وَكَانَ لَهُ عَجَلٌ فَاتَى بِالْعَجَلِ إِلَى غِيضَةٍ فَقَالَ  
اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْتَوْدِعُكَ هَذِهِ الْعَجَلَةَ لِابْنِي حَتَّى يَكْبُرَ وَمَاتَ الرَّجُلُ فَثَبَّتَ الْعَجَلَةَ  
فِي الْفِيضَةِ وَصَارَتْ عَوَانًا وَكَانَتْ تَهْرَبُ مِنْ كُلِّ مَنْ رَأَاهَا فَلَمَّا كَبُرَ الصَّبِيُّ كَانَ  
بَارًا بِوَالِدَتِهِ وَكَانَ يَقْسِمُ اللَّيْلَةَ ثَلَاثَةَ أَثْلَاقٍ يُصَلِّي ثُلُثًا وَيَنَامُ ثُلُثًا وَيَجْلِسُ عِنْدَ  
رَأْسِ أُمِّهِ ثُلُثًا فَإِذَا أَصْبَحَ انْطَلَقَ وَاحْتَطَبَ عَلَى طَهْرِهِ وَيَأْتِي بِهِ السُّوقَ فَيَبِيعُهُ بِمَا  
شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَتَصَدَّقُ بِثَلَاثَةِ يَافِئَاتٍ وَيَأْكُلُ ثَلَاثَةً وَيُعْطِي وَالِدَتَهُ ثُلُثًا فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ يَوْمًا أَنْ  
أَبَاكَ وَرَثَتُكَ عَجَلَةٌ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى غِيضَةٍ كَذَا وَاسْتَوْدَعَهَا فَاِنْطَلَقَ إِلَيْهَا وَأَدَعَ إِلَيْهِ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْكَ وَأَنْ مِنْ عِلَاتِهَا إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا  
يَخِيلُ إِلَيْكَ أَنْ شِعَاعَ الشَّمْسِ يَخْرُجُ مِنْ جِلْدِهَا وَكَانَتْ تُسَمَّى الْمُذْهَبَةَ لِحَسَنِهَا  
وَصَفَاءِ لَوْنِهَا فَاتَى الْفَتَى الْفِيضَةَ فَرَأَاهَا تَرْعَى فَصَاحَ بِهَا وَقَالَ أَعْنِ عَلَيْكَ (أَعَزَمُ  
خ ل) بِأَلِّهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى حَتَّى قَامَتْ  
بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَبِضَ عَلَى عُنُقِهَا وَقَادَاهَا فَتَكَلَّمَتْ الْبَقْرَةَ بِأُذُنِ اللَّهِ وَقَالَتْ أَيُّهَا الْفَتَى  
الْبَارُّ بِوَالِدَتِهِ أَرْكَبْنِي فَإِنَّ ذَلِكَ أَهْوَنُ عَلَيْكَ فَقَالَ الْفَتَى أَنْ أُمِّي لَمْ تَأْمُرْنِي بِذَلِكَ وَ  
لَكِنْ قَالَتْ خُذْ بِعُنُقِهَا قَالَتْ الْبَقْرَةُ بِأَلِّهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ رَكِبْتَنِي مَا كُنْتُ تَقْدِرُ عَلَيَّ  
أَبْدًا فَاِنْطَلَقَ فَأَنَّكَ لَوْ أَمَرْتَ الْجَبَلَ أَنْ يَنْقَلِعَ مِنْ أَصْلِهِ وَيَنْطَلِقَ مَعَكَ لَفَعَلَ لِبَرِّكَ  
وَالِدَتِكَ فَسَارَ الْفَتَى بِهَا فَاسْتَقْبَلَهُ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ رَاعٍ فَقَالَ أَيُّهَا الْفَتَى  
أَنِّي رَجُلٌ مِنْ دَعَاةِ الْبَقَرِ إِشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَخَذْتُ ثَوْرًا مِنْ ثِيرَانِي فَحَمَلْتُ

عليه زادي ومقامي حتّى إذا بلغت شطر الطريق ذهبت لأقضى حاجتي فعدا  
وسط الجبل وما قدرت عليه وأني أخشى على نفسي الهلكة فأن رأيت أن  
تحمّلني على بقرتك وتنجيني من الموت وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك  
فلم يفعل الفتى وقال إذهب فتوكل على الله ولعلّ منك اليقين لبلغك بلا  
زاد ولا راحلة فقال إبليس إن شئت فبعنّها بحكمك وأن شئت فاحمّلني  
عليها وأعطيك عشرة مثلاً فقال الفتى إنّ أمي لم تأمرني بذلك فبين الفتى  
كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلات وغابت  
الرّاعي فدعا الفتى بإسم إله إبراهيم فرجعت البقرة اليه وقالت أيّها الفتى البار  
بوالدته ألم ترّ إلى الطائر الذي طار فأثّه إبليس عدوّ الله إحتلسني أمّا أنّه لو  
ركبني لما قدرت على أبداً فلما دعوت إله إبراهيم جاء ملك فأنترعني من يد  
إبليس ورّدني اليك ليبرك بأمك وطاعتك لها فجاء بها الفتى الى أمّه فقالت له  
أنتك فقير لا مال لك ويشقّ عليك الإحتطاب بالنّهار والقيام بالليل فإنطلق وبع  
هذه البقرة وخذ ثمنها قال أمي بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير  
رضاي ومشورتي وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فإنطلق بها الفتى  
الى السّوق فعقبه الله سبحانه ملكاً ليُري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف برّه  
بوالدته وكان الله به خبيراً فقال له الملك بكم تبّيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير  
وأشترط عليك رضا أمي فقال له الملك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال الفتى  
لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أمي فردّها الى أمّه وأخبرها بالثمن  
فقالت إرجع فبعها بستة دنانير على رضا منّي فإنطلق الفتى بالبقرة الى السّوق  
فقال الملك إستأمرت والدتك فقال الفتى نعم أنّها أمرتني أن لا أنقصها من ستة  
دنانير على أن أستأمرها قال الملك فأفي إثني عشر على أن لا تستأمرها فأبى  
الفتى ورجع الى أمّه وأخبرها بذلك فقال أنّ ذاك الرّجل الذي يأتيك هو ملكك  
من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليُجربك فإذا أتاك فقل له أتأمرني أن أبيع

هذه البقرة أم لا ففعل ذلك فقال له المَلَكُ إذهب الى أَمَك وقل لها إمسكي هذه البقرة فَأَنْ موسى يشتريها منكم لقتل يُقتل في بني إسرائيل فلا تتبعوها إلا بملاء مسكها دنانير فأمسكوا البقرة وقَدَّرَ الله تعالى على بني إسرائيل ذبح مَلَكِ البقرة بعينها مكافأة على برِّه لوالدته فضلاً منه ورحمة فطلبوها فوجدوها عند الفتى فاشتروها بملاء مسكها ذهباً قال السدي اشتروها بوزنها عشر مَرَّات ذهباً، وإختلفوا في العض المضروب به فقال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المَقْتَل.

وقال الضحاك بلسانها وقال سعيد بن جبير بعُجْب ذنبها وقال عكرمة والكَلْبِي بفخذها الأيمن وقيل بأذنها وكيف كان فقام القتل حياً بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً وقال قَتْلَنِي فلان ثم سَقَطَ ومات مكانه إنتهى<sup>(١)</sup>. إذا عرفت أصل القصَّة فلنرجع الى تفسير الآية فنقول هذه الآيات معطوفة على ما تقدّمها في ذكر النِّعَم التي أعطاهها الله تعالى على بني إسرائيل ومقابلتهم لها بالكفر والعصيان فكأنه قال وأذكروا أيضاً من نكثكم ميثاقي الذي أخذته عليكم وإذ قال موسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً على ما مرّ تفصيله قَالُوا اتَّخِذْنَا هُزُوءاً أَي قال قوم موسى لموسى أتُسَخَّر بنا حيث سألناك عن القتل وأنت تأمرنا بذبح بَقَرَة فقال موسى لهم أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ وَلَمْ يَقُلْ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ وقال من الجاهلين لأنّ الإستهزاء لا يصدر إلا من الجاهل فإذا لم يكن الإنسان جاهلاً لا يستهزاء وحيث أنّ النبي مُنَزَّه عن الجهل وإلا لا يكون نبياً فلا محالة مُنَزَّه عن الإستهزاء، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ، أي قال بنو إسرائيل لموسى يا موسى سل ربك يُبَيِّنْ لنا وصف البقرة التي أمرنا بذبحها، قال، موسى، أنّه أي الله تعالى، يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ أَي ليست بكبيرة ولا صغيرة فإنّ

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

خير الأمور أوسطها ولذلك قال عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ أَيِ  
 إِذْبَحُوهَا حَسَبَ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ قَالُوا، أَيِ قَالَ قَوْمُ مُوسَى ثَانِيًا، اذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ  
 لَنَا مَا لَوْنُهَا والفرق بين السَّوَالَيْنِ إِنَّ الْأَوَّلَ سَوَالٌ عَنِ سِنَّ البقرة والثَّانِي عَنِ  
 لَوْنِهَا، قَالَ مُوسَى فِي جَوَابِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ، إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا  
 تَسْرُّ النَّظِيرِينَ قِيلَ حَتَّى قَرْنَهَا وَظَلَفَهَا صَفْرَانِ، والمراد بقوله، فاقع، أَيِ  
 شديدة صفرة لونها بحيث تَمِيلُ إِلَى السَّوَادِ وَقِيلَ أَيِ حَسَنَ الصَّفْرَةِ وَقِيلَ  
 خَالِصَهَا بِحَيْثُ تَعْجَبُ النَّظِيرِينَ وَتَفْرَحُهُمْ بِحَسَنِهَا، ثُمَّ أَعَادُوا السَّوَالِ ثَالِثًا  
 فَقَالُوا، يَا مُوسَى اذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا أَيِ  
 إِشْتَبَهَ عَلَيْنَا صِفَةَ الْفَرَةِ الَّتِي أَمَرْنَا اللَّهَ بِذَبْحِهَا، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ، إِلَى  
 صِفَةِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أَمَرْنَا بِذَبْحِهَا فَقَالَ مُوسَى فِي الْجَوَابِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ  
 لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ أَيِ لَمْ يَذَلِّهَا الْعَمَلُ بِأَثَارَةِ الْأَرْضِ  
 بِأُظْلَانِهَا، وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ أَيِ لَا يَسْتَقِي عَلَيْهَا الْمَاءُ فَتَسْقِي الزَّرْعَ، مُسَلِّمَةً  
 أَيِ بَرِيَّةً مِنَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ مِنْ حَيْثُ الْجِسْمِ وَاللَّوْنِ، لِأَشْيَةِ فِيهَا أَيِ لَيْسَ  
 لَهَا لَوْنٌ يُخَالِفُ لَوْنَهَا وَقَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ، لَا وَضَحَ لَهَا يَخَالِفُ لَوْنَ جِلْدِهَا، قَالُوا  
 الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ أَيِ الْآنَ قَدْ ظَهَرَ لَنَا مَا هُوَ الْحَقُّ، فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا  
 يَفْعَلُونَ أَيِ قَرَبَ أَنْ لَا يَفْعَلُوا مَا أَمَرُوا بِهِ مَخَافَةَ إِشْتِهَارِ فَضِيحَةِ الْقَاتِلِ وَقِيلَ  
 كَادُوا لَا يَفْعَلُونَ لِغِلَاءِ ثَمْنِهَا وَهُوَ مِلءُ جِلْدِهَا ذَهَبًا مِنْ مَالِ الْمُقْتُولِ عَلَى قَوْلِ  
 ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْ عَشْرَ مَرَّاتٍ ذَهَبًا عَلَى قَوْلِ السَّدْيِيِّ وَالظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ إِنَّهُ  
 لَمَّا قِيلَ لَهُمْ إِذْبَحُوا بَقَرَةً لَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ إِلَّا ذَبْحَ أَيِ بَقَرَةٍ شَاؤُوا مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ  
 بِصِفَةِ وَلَوْ إِنَّهُمْ ذَبَحُوا أَيِ بَقَرَةً انْتَفَقَتْ لَهُمْ كَانُوا قَدْ امْتَثَلُوا الْأَمْرَ فَلَمَّا شَدَّدُوا  
 شَدَّدَ عَلَيْهِمْ فَالذَّمُّ مُتَوَجِّهٌ إِلَى تَقْصِيرِهِمْ أَوْ تَأْخِيرِهِمْ فِي امْتِثَالِ الْأَمْرِ بَعْدَ الْبَيَانِ  
 التَّامِّ إِذَا عُرِفَ هَذَا فَأَعْلَمَ إِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ  
 تَذْبَحُوا بَقَرَةً، هَلْ هُوَ أَمْرٌ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ مُعَيَّنَةٍ مُبَيَّنَةٍ أَوْ هُوَ أَمْرٌ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ أَيِ بَقَرَةٍ



كانت فالذين يجوزون تأخير البيان عن وقت الخطاب قالوا بالأول إلا أنها ما كانت بيّنة وقال المانعون منه هو وإن كان أمراً بذبح أي بقرة كانت إلا أن القوم لما سألوا تغير التكليف عند ذلك و ذلك لأن التكليف الأول كان كافياً لو أطاعوا وكان التّخيير في جنس البقر اذ ذاك هو الصّلاح فلمّا عصوا ولم يمتثلوا و راجعوا بالمسألة لم يمتنع تغير المصلحة و ذلك معلوم في المشاهد لأنّ المُدبر لولده قد يأمره بالسّهل إختياراً فاذا إمتنع الولد منه فقد يرى المصلحة في أن يأمره بالصّعب فكذا هاهنا ثمّ أقام كلّ واحدٍ من الفريقين من الدليل ما يُثبت مدّعاء بزعمه و أمّا نحن فحيث رأينا عدم النّفع أو قلّته في هذا البحث أعرضنا عن إطالة الكلام فيه مضافاً الى ماورد في المقام عن أئمة المعصومين عليهم السّلام، أنّهم شدّدوا فشّدّد عليهم فلو أنّهم إكتفوا بذبح أي بقرة في بدو الأمر كان كافياً لهم كما مرّ في الأحاديث المنقولة عنهم فعلى هذا لا نرى فائدة في بسط الكلام فيه.



وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ  
تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ  
الْمُتَوْتِي وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)

### ◀ اللغة

قَتَلْتُمْ: أصل القتل إزالة الرّوح عن الجسد كالموت لكن اذا إعتبر بفعل المتولي لذلك يقال، قتل واذا إعتبرت بفوت الحياة يقال مَوْت. نَفْسًا: النفس بسكون الفاء الرّوح. فَادْرَأْتُمْ: أصله تدارأتم ثم أدمعت الثاء في الدّال ولا يجوز الأبتداء بالمدعم لأنّه ساكن فزيد ألف الوصل والباقي واضح.

### ◀ الإعراب

وَإِذْ محلّه النّصب والتقدير وأذكروا، وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا والنفس مفعول للقتل فَادْرَأْتُمْ الفاء للتفريع فيها في محلّ النّصب على المفعول وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مبتدأ وخبر مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ما في موضع نصب على أنّه مفعول لمُخرج وهو بمعنى الذي والعائد محذوف ويجوز أن يكون مصدرية بمعنى المفعول أي يخرج كتمكم أي مكتومكم كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمُتَوْتِي الكاف في موضع نصب نعتاً لمصدر محذوف تقديره يحيي الله المتوتى إحياء مثل ذلك يُخَيِّ اللَّهُ الْمُتَوْتِي فعل وفاعل ومفعول وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ كذلك لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ الكاف في موضع نصب على أنّه إسم، لعلّ وتعقلون خبره.

### ◀ التفسير

قالوا أنّ قوله: وَإِذْ قَتَلْتُمْ الى قوله: تَكْتُمُونَ متقدّم في المعنى على الآيات المتقدمة في اللفظ فعلى هذا يكون تأويله، وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا

فَسَأَلْتُمْ مُوسَى فَقَالَ لَكُمْ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً فَقَدِمَ الْمُؤَخَّرَ وَ أَخَرَ  
 الْمَقْدَمَ قَالُوا وَمِثْلَ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى**  
**عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قَيِّمًا**<sup>(١)</sup> تَقْدِيرُهُ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ قَيِّمًا وَ  
 لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا وَ أَمَّا الشَّعْرُ فَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَنَّ الْفَرَزْدَقَ ضَجْرَةَ مَلْمُوسَةً طَالَتْ فَلَيْسَ نِيَالَهَا الْأَوْعَالَا  
 أَي طَالَتْ الْأَوْعَالَا، وَأَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَهُمْ بِذَبْحِ الْبَقْرَةِ كَانَ بَعْدَ  
 أَهْمَالِهِمْ وَ اخْتِلَافِهِمْ فِي أَمْرِ الْمَقْتُولِ وَكَيْفَ كَانَ فَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي الْقَتْلِ  
 وَكَيْفِيَّتِهِ وَ قَوْلُهُ: **فَادْرَأْتُمْ أَي** اخْتَلَفْتُمْ وَ الْمَقْصُودُ أَنْكُمْ اخْتَلَفْتُمْ فِي تَعْيِينِ  
 الْقَاتِلِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ إِعْوَاجُكُمْ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ وَ مِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي وَ دَاوَا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ  
 أَي إِعْوَاجَ الْأَعَادِي وَ قَالَ قَوْمُ الدَّرَّةِ الْمُدَافِعَةُ وَ مَعْنَاهُ تَدَافَعْتُمْ فِي الْقَتْلِ وَ  
 مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **وَيَذَرُوا عَنْهَا الْغَضَبَ**<sup>(٢)</sup> وَ الْمَالَ فِي الْكَلِّ وَاحِدٌ.

وَ فِي قَوْلِهِ إِشَارَةٌ إِلَى: **وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ  
 بِالسِّرَائِرِ فَلَا يُمْكِنُ كِتْمَانُ شَيْءٍ مِنْهُ كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ أَخْرَجَ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَ  
 بِذَبْحِ الْبَقْرَةِ وَ ضَرَبَ بَعْضُهَا بِبَعْضِ الْمَقْتُولِ كَمَا قَالَ: **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا** وَ  
 قَدْ مَرَّتْ كَيْفِيَّةُ الْقَضِيَّةِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: **كَذَلِكَ يُخِي اللَّهُ الْمَوْتَى** إِلَى أَخْرِفْهُوَ إِشَارَةٌ  
 إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ مِنْهُ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَ لِذَلِكَ قَالَ **يُرِيكُمْ آيَاتِهِ**  
**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** وَ لَا تَنْكُرُونَ الْبَعْثَ وَ لَا تَنْشُورُ ثُمَّ فِي قَوْلِهِ: **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** إِيمَاءٌ  
 إِلَى أَنَّ الْعَاقِلَ إِذَا لَمْ يَسْتَعْمَلْ عَقْلَهُ فِي مُؤَدَاةٍ وَلَمْ يُبْصِرْ رَشْدَهُ فَهُوَ كَمَنْ لَا عَقْلَ  
 لَهُ فَالْمَعْنَى لِكَيْ تَسْتَعْمِلُوا عُقُولَكُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ وَ كَيْفَ  
 يَكُونُ عَاقِلًا مَنْ كَانَ يَرَى إِحْيَاءَ الْقَتِيلِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ ثُمَّ تَكَلَّمَهُ بِمَا يَرْفَعُ الْإِبْهَامَ عَنِ  
 الْقَاتِلِ وَ مَعَ ذَلِكَ يَنْكُرُ الْبَعْثَ.

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ  
أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ  
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا  
يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا  
تَعْمَلُونَ (٧٤)

### ◀ اللغة

قَسَتْ: قسى، يقسو، قسوة، قساوة والقسوة غلظة القلب وأصله من حَجَر  
قاس، وقال بعض القسوة ذهاب اللين والرحمة والخشوع والخضوع، أقول ما  
ذكره من آثار الغلظة والقساوة.

الْحِجَارَةُ: جمع حجر وهو الجوهر الصلب المعروف  
يَتَفَجَّرُ: الفجر شق الشيء شقاً واسعاً

يَشْقَقُ: أصله يتشقق أدمعت التاء في الشين فصارت شيئاً مشددة تشقق  
الحجارة انعدامها.

### ◀ الإعراب

فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ الكاف حرف جر متعلقة بمحذوف تقديره فهي مستقرة  
كالحجارة ويجوز أن يكون اسماً بمعنى مثل في موضع رفع أشد معطوف  
على الكاف تقديره أو هي أشد، قسوة، مصدر منصوب على التمييز لَمَّا يَتَفَجَّرُ  
ما بمعنى الذي في موضع نصب، إسم أن واللام للتوكيد مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، مِنْ  
في موضع نصب بيهبط عَمَّا تَعْمَلُونَ، ما بمعنى الذي ويجوز أن تكون نصدرية  
فعلى الأول العائد محذوف والتقدير يعلمونه.

## ◀ التفسير

أي ثم غلظت قلوبكم من بعد ذلك، أي من بعد إحياء الميت لكم ببعض من أعضاء البقرة بعد أن تدارؤوا فيه وأخبرهم بقاتله والسبب الذي من أجله قُتله وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهد هذا أن يخضع ويلين قلبه و يحتمل أن يكون من بعد إحياء الميت والآيات الأخر التي تقدّمت كمنسوخ القردة والخنازير ورفع الجبل فوق رؤسهم وإنجاس الماء من الحجر وإنفراق البحر وغير ذلك وأنما جاز ذلك وأن كان جماعة ولم يقل ذلكم لأن الجماعة في معنى الجمع والفريق فالخطاب في اللفظ واحد ومعناه، جماعة فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً يعني أن قلوبهم كالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدّة، بل أشدّ صلابةً منها لإمتناعهم بالإقرار اللازم من حقّه الواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات ومعنى أو في الآية يحتمل أمور:

**أحدها:** التخيير كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين أيهما جالست جائز فكأنه قال أن شبهت قلوبهم بالحجارة جاز وأن شبهتها بما هو أصلب كان جائزاً.

**الثاني:** أن تكون أو، بمعنى الواو والتقدير فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً كما قال: وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ<sup>(١)</sup> ومثله قول جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدراً      كما أتى ربّه موسى على قدرٍ  
وقال الآخر:

وقد زعمت ليلى بأنّي فاجر      لنفسي تقاها أو عليها فجورها

أي وعليها ومثله قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ  
أَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ<sup>(٢)</sup>

في القرآن في تفسير القرآن

المجلد الأول

جزء ١

**الثالث:** أن يكون المراد الإبهام على المخاطبين كما قال أبو الأسود الدؤلي:

أَحَبُّ مُحَمَّدًا حَبًّا شَدِيدًا      وَ عَبَّاسًا وَ حِمْرَةً وَ الوَصِيَا  
فَأَنْ يَكُ حَبِّهِمْ رَشْدًا أَصْبَهُ      وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ أَنْ كَانَ غِيًّا  
وَأَبُو الْأَسْوَدِ لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي حَبِّهِمْ وَلَكِنْ أَتَبَّهُمْ عَلَى مَنْ خَاطَبَهُ وَلِذَلِكَ لَمَّا  
قِيلَ لَهُ، شَكَّكَتَ قَالَ كَلَّا ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّا أَوْ إِتَاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي  
ضَلَالٍ مُبِينٍ<sup>(١)</sup>.

**الزابع:** أن يكون بمعنى بل أي قلوبهم كالحجارة بل أشد قسوة و عليه فلا  
تكون بل للإضراب بل مجرد العطف.  
**الخامس:** أنها كالحجارة أو أشد قسوة عندهم.

**السادس:** أن يكون أراد مثل قول القائل طعمتك حلواً وحامضاً وقد  
أطعمه النوعين جميعاً و معناه أن قلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثلين أما  
أن تكون مثلاً للحجارة و أما أن تكون أشد منها قال الشيخ في التبيان و أحسنها  
الإبهام على المخاطبين و لا يجوز أن يكون المعنى الشك لأن تعالى عالم لا  
يخفى عليه خافية أي وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ مِنَ الْحِجَارَةِ  
ما هو أنفع وألين من قلوبهم القاسية و ذلك لأن من الحجارة حجارة يَتَفَجَّرُ مِنْهَا  
أنهار الماء فاستغنى بذكر الأنهار عن ذكر الماء يقال فَجَّرَ الماءَ إِذَا أَنْزَلَ خَارِجًا  
من منبعه قال الشاعر:

وَلَمَّا أَنْ قَرِبْتُ إِلَى جَوِيرٍ      أَبْيَ ذُو بَطْنِهِ إِلَّا إِنْفِجَارُ  
يعني خروجاً وسيلاناً وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ يعني  
فيخرج منه الماء فيكون عيناً نابعة لا أنها جارية حتى يكون مخالفاً للأول.

ونقل عن المغربي أنه قال الحجارة الأولى حجارة الجبال تخرج منها الأنهار.

الثانية: حجر موسى الذي ضربه فأنفجر فيه عيون فلا يكون تكراراً وإنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ قال بعض المفسرين أي بخشية الله فتكون من، بمعنى باء نحو قوله يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله، والضمير في قوله: مِنْهَا أمّا أنه ترجع الى الحجارة لأنها أقرب مذكور، أمّا أن ترجع الى القلوب فالمعنى وأن من القلوب لما يخضع من خشية الله ثم ذكروا في هبوطها وجوهاً أحسنها ما ذكره في التبيان بعد نقله الأقوال:

فقال معنى الآية الإبانة عن قساوة قلوب الكفار وأن الحجارة أليّن منها لو كانت تلين لشيء فلأت وتفتّرت منها الأنهار وتشققت منها المياه وهبطت من خشية الله وهذه القلوب لا تلين مع مشاهدتها الآيات التي شاهدها بنو إسرائيل وجرى ذلك مجرى ما يقوله تعالى: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ<sup>(١)</sup> ومعناه لو أنزلنا هذا القرآن على جبل وكان الجبال ممّا تخشع لشيء ما لرأيت خاشعاً متصدّعاً ومّا الله يغافل عمّا تعملون فمعناه واضح فأنه تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فضلاً عن أعمالنا الظاهرة.

روي عن الحسين بن عليّ عليهما السلام في قوله تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ الى قوله: أَشَدَّ قَسْوَةً قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه يقول يبست قلوبكم معاشر اليهود كالحجارة اليابسة لا ترشح برطوبة أي أنكم لا حقّ الله تؤدون ولا لأموالكم تتصدقون ولا بالمعروف تتكرمون ولا للضيف تقرون ولا مكروبا تغيثون ولا لشيء من الإنسانية تعاشرون وتواصلون أو أشدّ قسوةً أبهم على السامعين ولم

يَبَيِّنْ لَهُمْ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ أَكَلْتُ خَبْزاً وَ لَحْماً وَ هُوَ لَا يَرِيدُ بِهِ أَنَّهُ لَا  
يَدْرِي أَن يَبْهَمَ عَلَى السَّمَاعِ حَتَّى لَا يَعْلَمَ مَاذَا أَكَلَ وَ أَن كَانَ يَعْلَمُ قَدْ  
أَكَلَ أَيُّهُمَا، وَ أَنَّ مِنَ الْحَجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، أَيُّ قُلُوبِكُمْ فِي  
الْقِسَاوَةِ بَحِيثٌ لَا يَجِيئُ مِنْهَا خَيْرٌ وَ فِي الْحَجَارَةِ مَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ  
الْأَنْهَارُ فَتَجِيئُ مِنْهُ بِالْخَيْرِ وَ النَّبَاتِ لِبَنِي آدَمَ (وَ أَنَّ مِنْهَا) أَيُّ مِنَ  
الْحَجَارَةِ، لَمَا يَتَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ دُونَ الْأَنْهَارِ، وَ قُلُوبِكُمْ لَا  
يَجِيئُ مِنْهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْخَيْرِ وَ لَا الْقَلِيلُ (وَ أَنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبُطُ) أَيُّ مِنَ  
الْحَجَارَةِ أَن أَقْسَمَ عَلَيْهَا بِإِسْمِ اللَّهِ تَهْبِطُ وَ لَيْسَ فِي قُلُوبِكُمْ شَيْءٌ مِنْهُ  
فَقَالُوا زَعَمْتَ يَا مُحَمَّدٌ أَنَّ الْحَجَارَةَ أَلَيْنَ مِنْ قُلُوبِنَا وَ هَذِهِ الْجِبَالُ  
بَحْضَرْتَنَا فِإِسْتِشْهَدَهَا عَلَى تَصْدِيقِكَ فَأَنْ نَطَقَتْ بِتَصْدِيقِكَ فَأَنْتَ  
الْمَحْقُوقُ فَخَرَجُوا إِلَى أَوْعَرِ جَبَلٍ فَقَالُوا إِسْتِشْهَدْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
أَسْأَلُكَ يَا جَبَلُ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ  
خَفَّفَ اللَّهُ الْعَرْشَ عَلَى كَوَاهِلِ ثَمَانِيَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَقْدِرُوا  
عَلَى تَحْرِيكِهِ فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ وَ فَاضَ الْمَاءُ فَنَادَى أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ  
اللَّهِ وَ أَنَّ قُلُوبَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ كَمَا وَصَفْتَ أَقْسَى مِنَ الْحَجَارَةِ فَقَالَ  
الْيَهُودُ أَعَلَيْنَا تَلْبَسُ أَجْلَسْتَ أَصْحَابَكَ خَلْفَ هَذَا الْجَبَلِ يَنْطَقُونَ بِمِثْلِ  
هَذَا فَأَنْ كُنْتَ صَادِقاً فَتَنْحَ عَنْ مَوْضِعِكَ إِلَى ذِي الْقَرَارِ وَ مُرْ هَذَا  
الْجَبَلُ يَسِيرُ إِلَيْكَ وَ مُرْهُ أَن يَنْقَطِعَ نِصْفَيْنِ تَرْتَفِعُ السَّفْلَى وَ تَنْخَفِضُ  
الْعُلْيَا فَأَشَارَ إِلَى حَجَرٍ تَدْرَجُ فَتَدْرَجُ ثُمَّ قَالَ لِمَخَاطَبِهِ خُذْهُ وَ قَرِّبْهُ  
فَتَعِيدَ عَلَيْكَ مَا سَمِعْتَ فَأَنَّ هَذَا خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ فَأَخَذَهُ الرَّجُلُ  
فَأَدْنَاهُ مِنْ أُذُنِهِ فَنَطَقَ الْحَجَرُ بِمِثْلِ مَا نَطَقَ الْجَبَلُ قَالَ فَأَتَنِي بِمَا  
إِقْتَرَحْتَ فَتَبَاعَدَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى فُضَاءٍ وَاسِعَةٍ ثُمَّ نَادَى أَيُّهَا الْجَبَلُ  
بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّاهِرِينَ لَمَا إِقْتَلَعْتَ مِنْ مَكَانِكَ بِأَذْنِ اللَّهِ وَ جِئْتَ



الى حضرتي فَنَزَلُ الْجَبَلَ وَ سَارَ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمَهْلَاجِ فَنَادَى أَنَا  
 سَامِعُ لَكَ وَ مُطِيعُ أَمْرِكَ فَقَالَ هَؤُلَاءِ إِقْتَرَحُوا عَلَيَّ أَن أَمْرَكَ أَن تَنْقَطَعَ  
 مِنْ أَصْلِكَ فَيَبْقَى نَصْفَيْنِ فَسَيَنْحَطُ أَعْلَاكَ وَ يَرْتَفِعُ أَسْفَلَكَ فَانْقَطَعَ  
 نَصْفَيْنِ وَ إِرْتَفَعَ أَسْفَلُهُ وَ إِنْخَفَضَ أَعْلَاهُ فَصَارَ فَرْعُهُ أَصْلَهُ ثُمَّ نَادَى  
 الْجَبَلَ أَهَذَا الَّذِي تَرَوْنَ دُونَ مَعْجَزَاتِ مُوسَى الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ بِهِ  
 تَوْمِنُونَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ هَذَا رَجُلٌ تَتَأْتِي لَهُ الْعَجَائِبُ فَنَادَى الْجَبَلَ يَا  
 عَدُوَّ اللَّهِ أَبْطَلْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ بَنِيَّوَةَ مُوسَى حَيْثُ كَانَ وَقُوفَ الْجَبَلَ  
 فَوْقَهُمْ كَالظَّلِّ فَيَقَالُ هُوَ رَجُلٌ تَتَأْتِي لَهُ الْعَجَائِبُ فَلَزِمَتْهُمْ الْحِجَّةُ  
 وَلَمْ يَسْلَمُوا أَنْتَهَى تَفْسِيرُ نُورِ الثَّقَلَيْنِ عَنِ الْخَرَائِجِ وَالْجَرَاجِ وَ أُنْمَا  
 نَقَلْنَا الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَقَائِقِ الْمَفْسُورَةِ لِلآيَةِ الشَّرِيفَةِ.

وَ قَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَا تَكْثُرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ  
 اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ يَقْسِي الْقَلْبَ (الْقُلُوبَ) وَ أَنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ  
 مِنَ اللَّهِ الْقَاسِي الْقَلْبَ أَنْتَهَى.

وَ فِي كِتَابِ الْخِصَالِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ فِيمَا أَوْصَى بِهِ  
 رَسُولُ اللَّهِ عَلِيًّا يَا عَلِيُّ ثَلَاثَ يَقْسِينَ الْقَلْبَ، إِسْتِمَاعُ اللَّهِو، وَ طَلَبُ الصَّيْدِ، وَ  
 إِيْتِيَانِ بَابِ السُّلْطَانِ أَنْتَهَى.

وَ فِيهِ فِيمَا عَلَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَصْحَابَهُ: وَ لَا يَطُولُ عَلَيْكُمْ الْأَمَلُ فَتَقْسُوا  
 قُلُوبَكُمْ.

وَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى إِلَى مُوسَى  
 التَّفَرُّحَ بِكَثْرَةِ الْمَالِ إِلَى قَوْلِهِ وَ تَرَكَ ذِكْرِي لِقْسِي الْقُلُوبِ.

وَ فِي كِتَابِ عَلَلِ الشَّرَائِعِ بِأَسْنَادِهِ إِلَى الْأَصْبَغِ بْنِ نَابَتَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ  
 الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا جَفَّتْ الدَّمُوعُ إِلَّا لِقِسَاوَةِ الْقُلُوبِ وَ مَتَّ قَسَتْ الْقُلُوبُ إِلَّا  
 لِكَثْرَةِ الذَّنُوبِ.

و في أصول الكافي بأسناده فيما ناجى الله عز وجل به موسى يا موسى لا تطول في الدنيا أملك فيَقسو قلبك والقاسي القلب مني بعيد و الأحاديث كثيرة أعاذنا الله من هذه الرذيلة التي لا دواء لها إلا بترك ما يُوجبها وهو صعبٌ جداً.



اَفَتَطْمَعُونَ اَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ  
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ  
وَهُمْ يَظُنُّونَ (٧٥) وَاِذَا لَقُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا قَالُوا اٰمَنَّا  
وَاِذَا خَلَا بِغَضِّهِمْ اِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذَتُوهُمْ بِمَا  
فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُخَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ اَفَلَا  
تَعْقِلُونَ (٧٦) اَوْ لَا يَعْلَمُونَ اَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ  
وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧)

### ◀ اللغة

اَفَتَطْمَعُونَ: الطَّمَع نزوع النفس الى الشَّيْءِ شهوة له.  
فَرِيقٌ: الفريق الجماعة المتفرقة عن آخرين.  
يُحَرِّفُونَهُ: تحريف الشَّيْءِ إمالاته كتحريف القلم وتحريف الكلام أن تجعله  
على حَرَفٍ من الإحتمال يمكن حمله على الوجهين.  
لِيُخَاجُّوكُمْ: المُحَاجَّة أن يطلب كل واحد أن يَرُدَّ الآخر عن حُجَّة.

### ◀ الإعراب

الألف في قوله: اَفَتَطْمَعُونَ للاستفهام الإنكاري كقوله تعالى: أَلَيْسَ اللَّهُ  
بِكَافٍ عَبْدَهُ<sup>(١)</sup> اَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ حرف الجر محذوف أي في أن تؤمنوا وَقَدْ كَانَ  
الاول للحال منهم، في موضع رفع صفة، لفريق يَسْمَعُونَ خبر كان كَلَامَ اللَّهِ  
مفعول لقوله يسمعون، ما عَقَلُوهُ ما مصدرية وَهُمْ يَعْلَمُونَ حال والعامل فيه  
يُحَرِّفُونَهُ ويجوز أن يكون العامل عقلوه ويكون حالاً مؤكداً اَوْ لَا يَعْلَمُونَ

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

الهمزة للإستفهام الإنكاري أي أنهم يعلمون ما يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ما في الموضوعين موصولة والعائد محذوف.

### التفسير

اَفْتَضَمُّوْنَ اَنْ يُّؤْمِنُوْا لَكُمْ هَذَا خطاب لأمّة محمد ﷺ فكأنّه قال أفتطمعون أيها المؤمنون أن يؤمنوا لكم من طريق النّظر والإعتبار ونفي التشبيه والإنقياد للحقّ وَقَدْ كَانَ قَرِيْقٌ مِّنْهُمْ والحال أنّ فريقاً منهم يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ وهو التّوراة بدليل قوله: ثُمَّ يَحْرَفُوْنَهُ وذلك لأنهم أي اليهود وحرّفوا التّوراة فجعلوا الحلال والحراماً حلالاً إبتغاءً لأهوائهم وإعانة لمن يرشوهم. وقال بعض المفسرين أنهم الذين إختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره وحرّفوا القول في أخبارهم لقومهم حتّى رجعوا اليهم وَهُمْ يَعْلَمُونَ أنهم قد حرّفوا، وأيد هذا القول بأنّ الذين إختارهم موسى من قومه هم الذين كانوا قد سمعوا كلام الله بلا واسطة ثمّ حرّفوه من بعد ما عقلوه حبّاً للدّنيا وزخارفها ولم يعلموا أنّ متاع الدّنيا قليل. وقال قوم هو التّوراة التي عليها علماء اليهود وفي قوله: مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوْهُ وجهان:

أحدهما: وهم يعلمون أنهم يحرفونه.

ثانيها: من بعد ما تحقّقوه وهم يعلمون ما في تحريفه من العقاب ثمّ قال تعالى: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ ﷺ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضَمِهِمْ إِلَى بَعْضٍ مِنْ أَبْنَاءِ نَوْعِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا اتَّحَدَّثُونَهُمْ أَيِ اتَّحَدَّثُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَيِ بِمَا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِكُمْ مِنْ بَعَثِ مُحَمَّدٍ وَبِهِ قَالَ قِتَادَةُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ ذَلِكَ قَوْلُ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ حِينَ سَبَّهِمُ النَّبِيُّ بِأَنَّهُمْ أَخُوهُ الْفَرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَالُوا مِنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا حِينَ أَرْسَلَ

اليهم علياً قال بعضهم لبعض ما أخبره بهذا إلا منكم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم.

وقال السدي هؤلاء ناس آمنوا من اليهود ثم نافقوا وكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به ليقولوا نحن أحب إلى الله منكم وأكرم عليه منكم ومثله.

روي عن أبي جعفر عليه السلام: أَقْلًا تَعْقِلُونَ أَي أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَقْدَمُ بِمَا فِيهِ ضَرَرٌ وَشِمَاتَةٌ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، أَي أَنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ كَذَلِكَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَمَا يُعْلِنُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ أَي أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ وَلَكِنَّ الدُّنْيَا خُلِيتْ فِي أَعْيُنِهِمْ وَحَبَّ الشَّيْءُ يُعْمِي وَيُصِمُّ وَاللَّهُ لَبِالْمُرْصَادِ.

قال علي ابن إبراهيم أنها نزلت في اليهود قد كانوا أظهروا الإسلام وكانوا منافقين وكانوا إذ رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: أَنَا مَعَكُمْ وَإِذَا رَأَوْا الْيَهُودَ قَالُوا أَنَا مَعَكُمْ وَكَانُوا يَخْبُرُونَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا فِي التَّوَارَةِ مِنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ كِبَرَاءَتُهُمْ وَعُلَمَائُهُمْ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ أَفَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ.

روى الطبري في تفسيره بأسناده عن مجاهد في قول الله افْتِطَمَعُونَ أَن يَوْمِنَا لَكُمْ إِلَى قَوْلِهِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، فَالَّذِينَ يُحَرِّفُونَهُ وَالَّذِينَ يُكْتُمُونَهُ هُمُ الْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنِ السَّيِّدِيِّ قَالَ: هِيَ التَّوْرَةُ حَزَفَوْهَا  
وَبِأَسْنَادِهِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: بَلَّغْنِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ  
أَنْهُمْ قَالُوا لِمُوسَى قَدْ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رُؤْيَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَسْمِعْنَا  
كَلَامَهُ حِينَ يَكَلِّمُكَ فَطَلَبَ ذَلِكَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ نَعَمْ فَمَرَّهْمُ أَنْ  
يَتَطَهَّرُوا وَيَطَهَّرُوا ثِيَابَهُمْ وَيَصُومُوا فَفَعَلُوا ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ حَتَّى أَتَى  
الطَّوْرَ فَلَمَّا غَشِيَهُمُ الْغَمَامُ أَمَرَهُمْ مُوسَى فَوَقَعُوا سُجُودًا فَكَلَّمَهُ رَبُّهُ  
فَسَمِعُوا كَلَامَهُ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ حَتَّى عَقَلُوا مَا سَمِعُوا ثُمَّ إِنصَرَفَ  
بِهِمْ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَكَمُ بِكَذَا وَبِكَذَا قَالَ ذَلِكَ الْفَرِيقُ  
الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ أَلَمْ يَقَالَ كَذًا وَكَذَا خِلَافًا لِمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ  
فَهُمُ الَّذِينَ عَنِ اللَّهَ لِرَسُولِهِ انْتَهَى.

أَقُولُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ وَأَمْثَالُهَا مِمَّا ذَكَرُوهُ فِي تَفَاسِيرِهِمْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَمَدَ  
عَلَيْهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَسْمَعُهُ إِلَّا مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ  
إِصْطَفَى وَلِلْبَحْثِ فِيهِ مَوْضِعٌ آخَرُ.



وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ  
 إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ  
 بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُءُوسُهُ  
 ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ  
 مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا  
 مَعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ  
 عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى  
 مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ  
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ (٨٢)

### ◀ اللغة

أُمِّيُونَ: جمع أُمِّي والياء للنسبة قال الراغب يقال لكل ما كان أصلاً لوجود  
 شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدؤه أُمٌّ، قال الخليل كل شيء ضُمَّ إليه سائر ما  
 يليه سُمِّي أُمًّا

أَمَانِي: الأمانى جمع الأمنية وهي الصورة الحاصلة في النفس من تَمَنَّى  
 الشيء ولما كان الكذب تصوّر ما لا حقيقة له وإيراده باللفظ صار التمني كالمبدأ  
 للكذب فصَحَّح أن يُعَبَّر عنه به.

فَوَيْلٌ: الويل القُبْح وقد يستعمل على التحسّر.

خَطِيئَتُهُ: الخطيئة والسّيئة يتقاربان بإلا أن الخطيئة تطلق على ما قصد فيه و  
 السّيئة تطلق على ما يقصد فعله من العصيان.

## ◀ الإعراب

أُمِّيُونَ مبتدأ و منهم خبره قَدَمَ عليه لأنَّ الظَّرْفَ مِمَّا تَوْسَعُ عليه و يجوز على مذهب الأخفش أن يرتفع بالظرف لا يَعْلَمُونَ في موضع رفع صفة لقوله، أُمِّيُونَ إِلَّا أَمَانِيَّ استثناء منقطع لأنَّ الأمانِي ليست من جنس العلم وَإِنْ هُمْ إِنْ بمعنى النفي إِلَّا يَطْنُونَ أي قومٌ يظنون قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ مبتدأ و خبر الكتاب مفعول به بمعنى المكتوب لِيَسْتَرُوا اللام متعلقة بقولون قَلِيلًا حال مِمَّا كَتَبَتْ إِيْدِيهِمْ ما بمعنى الذي أو نكرة موصوفة أو مصدرية وكذلك مِمَّا يكسبون إِلَّا أَيَّامًا منصوب على الظرف وأصل أَيَّامَ أيَّام، لأنه من اليوم قَلَبْتُ الواو ياءً و أدغمت الياء في الياء تخفيفاً اتَّخَذْتُمْ الهمزة للإستفهام و همزة الوصل محذوفة إستغناءً بها عنها و هو بمعنى جعلتم المتعدية الى مفعول واحد فَلَئِنْ يُخْلَفَ التقدير فيقولون لَنْ يَخْلَفَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ما بمعنى الذي أو نكرة و لا تكون مصدرية هُنَا بَلَى حرف يثبت به المجيب المنفي قبله مَنْ كَسَبَ في مَنْ، وجهان.

أحدهما هي بمعنى الذي.

الثاني: أَنَّهَا شَرْطِيَّة و على الوجهين من مبتدأ إِلَّا أَنْ، من كسب، لا موضع لها أن كانت مَنْ موصولة ولها موضع أن كانت شَرْطِيَّة والجواب فَأُولَئِكَ و هو مبتدأ و أصحاب النار خبره، والجملة جواب الشرط أو خبر مَنْ.

## ◀ التفسير

قوله: وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ الى آخر الآية معناه أَنَّ من اليهود و قيل من اليهود و المنافقين أُمِّيُونَ، أي مَنْ لا يكتب و لا يقرأ إِلَّا أَمَانِيَّ قيل إِلَّا بمعنى لكن فهو إستثناء منقطع كقوله تعالى و مالههم به علم إِلَّا إتباع الظن، و في الآية مسائل: الأولى: أَنَّهُ يستفاد من قوله تعالى: مِنْهُمْ بعض اليهود كانوا كذلك لأنَّ كلمة



مِنْ، لِلتَّبَعِيضِ وَأَتَمَّا قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْأُمِّيِّينَ فَأَنَّ عِلْمَانَهُمْ كَانُوا يَكْتُبُونَ وَيَقْرَأُونَ.

**الثَّانِيَّةُ:** قَالُوا فِي وَجْهِ تَسْمِيَةِ مَنْ لَا يَحْسُنُ الْكِتَابَةَ بِأُمِّيٍّ وَجَوْهًا: أَحَدُهَا: أَنَّ الْأُمَّةَ الْخُلُقَةَ فَسَمَّيْ أُمِّيًّا لِأَنَّهُ بَاقٍ عَلَى خُلُقَتِهِ وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشِيِّ: وَأَنَّ مَعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ حَسَانَ الْوُجُوهِ طَوَالَ الْأَمِّ ثَانِيهَا: أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ الْجَمَاعَةُ أَيُّ هُوَ عَلَى أَصْلٍ مَا عَلَيْهِ الْأُمَّةُ فِي أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ لِأَنَّهُ يَتَسْتَفِيدُ الْكِتَابَةَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْتُبُ. ثَالِثُهَا: أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأُمِّ أَيُّ هُوَ عَلَى مَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ فِي أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ وَقِيلَ أَتَمَّا نَسَبَ إِلَى أُمِّهِ لِأَنَّ الْكِتَابَةَ أَتَمَّا تَكُونُ فِي الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ وَهَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةُ ذَكَرَهَا الطَّبْرَسِيُّ.

رَابِعُهَا: مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ مِنَ الْعَامَّةِ وَهُوَ أَنَّهُمْ سَمَّوْا بِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَصْدُقُوا بِأَمِّ الْكِتَابِ نَقْلُوهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

خَامِسُهَا: مَا نُسِبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ لَهُمْ أُمِّيُونَ لِنَزُولِ الْكِتَابِ عَلَيْهِمْ كَأَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى أُمِّ الْكِتَابِ فَكَأَنَّهُ قَالَ وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ.

سَادِسُهَا: مَا قِيلَ هُمْ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ رَفَعَ كِتَابَهُمْ لِدُثُوبِ إِرْتِكِبُوهَا فَصَارُوا أُمِّيِّينَ.

أَقُولُ هَذِهِ الْوُجُوهُ السَّتَّةُ كُلُّهَا لَا يَرْجِعُ إِلَى مُحْصَلٍّ وَأَتَمَّا اخْتَرَعُوهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ وَقَدْ غَفَلُوا عَنْ أَصْلِ الْمَعْنَى وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأُمِّيَّ مَنْسُوبٌ إِلَى الْأُمِّ وَهَذَا مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ وَالْأَمُّ فِي اللَّغَةِ الْأَصْلُ فَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ أُمُّ الشَّيْءِ أَصْلُهُ كَمَا نَقَلْنَاهُ عَنْ الرَّاعِبِ.

وَقَالَ فِي الْمُنْجِدِ الْأُمُّ، الْوَالِدَةُ، أَصْلُ الشَّيْءِ وَقَالَ فِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ أَيُّ فِي أَصْلِ الْكِتَابِ وَأُمُّ الْكِتَابِ أَيْضًا فَاتِحَةُ الْكِتَابِ لِأَنَّهُمَا أَوَّلُهُ وَ

أصله وبالجملة هذا قول جميع أهل اللّغة فيما نَعْلَم و عليه فالأُمِّي مَنْسُوب الى الأُمّ الَّذي هو أصله والأصل في الإنسان عدم الكتابة والقراءة لأنّه حين الولادة لا يعلم شيئاً من القراءة والكتابة فكلّ من يطلق عليه الأُمِّي فهو بهذا المعنى وإطلاق الأُمّ على الوالدة لكونها هي الأصل دون الأب فإنّ الإنسان يولد من والدته لا من أبيه وأما ما ذكره الطبرسي رحمته الله في الوجه الثالث من أنّ الكتابة تكون في الرّجال دون النّساء فلا وجه له بل أنّما نسب الى أمّه لما ذكرناه من الوجه وهو إصالتها بالنسبة لى الأولاد.

وبالجملة لا يطلق الأُمّ الا على الأصل اذا عرفت هذا فنقول النّاس على قسمين:

قسم منهم باقون على أصل ولادتهم لا يعلمون شيئاً من القراءة والكتابة فهم الأُمِّيون وقسم عالم بهما فهم غير أُمِّيّين أن قلت فما معنى الأُمِّي في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قلتُ معناه أنّه وُلِدَ في أُمّ القرئ وأصلها وهو أرض مَكّة الا أنّه كان الى آخر عمره أُمِّياً بالمعنى الَّذي ذكروه أي كان صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يقرأ ولا يكتب وذلك لأنّ النّبي ولا سيّما نبيّنا الَّذي هو أفضل الأنبياء وأكملهم لا يجوز أن يكون أُمِّيّاً بهذا المعنى الَّذي ذكروه أي كان لا يعلم القراءة والكتابة وأيّ نقص في الرّسول أعظم من نقص الجهل بهما أليست الكتابة والقراءة من الكمالات وقد ثبت أنّ الرّسول جامع لجميع الكمالات وسيأتي تحقيقه إن شاء الله.

فقوله تعالى: وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ معناه أنّ بعض اليهود كانوا باقين على الأصل لا يعلمون بعض الكتاب أي لا يكتبون ولا يقرأون كما هو شأن العوام من كلّ قومٍ وأما قوله تعالى: إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فقد قيل في معناه وجوه:

أحدها: أن تكون الاماني بمعنى الأكاذيب و عليه فالمعنى أنّ الأُمِّيّين لا

يُعلمون من الكتاب إلا الأكاذيب و الموهومات التي ليست من الكتاب بشئ.  
**ثانيها:** أن الأمانى بمعنى ما يتمناه الإنسان ويشتهيهِ يعني لا يعلمون من الكتاب إلا ما يتمنونهُ من حطام الدنيا ولذلك يحرقونه.

**ثالثها:** أنهم يتمنون على الله ما ليس لهم.

**رابعها:** أن تكون الأمنية بمعنى التلاوة والمعنى لا يعلمون من الكتاب إلا تلاوته كما قال الشاعر:

تَمَنَى كتاب الله أول ليلةٍ وأخره لا في حمام المقادر  
 وقال آخر:

تَمَنَى كتاب الله آخر ليلةٍ تَمَنَى داود الزُّبور على رسلٍ  
**خامسها:** أن المراد بالأمانى الأحاديث المختلفة نقل هذا القول عن القراء  
**سادسها:** أن يكون الأمانى بمعنى التقدير يقال منى له أي قَدَّر حكاه  
 القرطبي عن الجوهري ومنه قول الشاعر:

لا تَأْمَنْ وَأَنْ أَمَسَيْتَ فِي حَرَمٍ حَتَّى تَلَاقِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي  
 أي يَقْدِّرُ لَكَ الْمُقَدِّرُ قَالَ فِي الْكُشَافِ وَالْأَمَانِي مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ الْمَنْقُوعِ وَقَرَأَ  
 بِأَمَانِي بِالتَّخْفِيفِ، ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ عَانَدُوا بِالتَّحْرِيفِ مَعَ الْعِلْمِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ ثُمَّ  
 الْعَوَامُ الَّذِينَ قَلَّدُوهُمْ وَنَبَّهَ عَلَى أَنَّهُمْ فِي الضَّلَالِ سَوَاءٌ لِأَنَّ الْعَالَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ  
 بَعْلَمَهُ وَعَلَى الْعَامِيِّ أَنْ لَا يَرْضَى بِالتَّقْلِيدِ وَالظَّنِّ وَهُوَ مَتَمَكِّنٌ مِنَ الْعِلْمِ وَقَوْلُهُ:  
 وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ إِنْ نَافِيَةٌ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: **إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ** <sup>(١)</sup> وَ  
 قَوْلُهُ **يَظُنُّونَ** أَي لَا عِلْمَ لَهُمْ بِصَحَّةِ مَا يَقُولُونَ لِأَنَّهُمْ مُقَلِّدُونَ لِأَحْبَارِهِمْ فِيمَا  
 يَقْرَرُونَ بِهِ وَالظَّنَّ تَرْجِيحُ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى الْآخَرِ لِإِمَارَةٍ صَحِيحَةٍ وَلَيْسَ هُوَ  
 مِنْ قِبَلِ الْإِعْتِقَادَاتِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْمَذْهَبِ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ قَالَ أَنَّهُ إِعْتِقَادٌ  
 ثُمَّ إِعْلَامٌ أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ بِنَاءٌ عَلَى مَا ذَكَرُوهُ فِي مَعْنَى الْأُمِّيِّ وَالْأَمَانِيِّ يَصِيرُ هَكَذَا

ومن اليهود أُمَيُّون لا يعلمون معاني الكتاب و أُنَمَّا حفظوا ألفاظاً ممَّا ألقاه اليهم  
أحبارهم وظنُّوا أَنَّهُم من الكتاب وليست منه وكيف كان فالآية دالَّة على ذمِّ  
التَّقليد في الإعتقادات كما هو الحقُّ هذا تمام الكلام في هذه الآية.  
و أَمَّا الآيةُ الثَّانية: وهي قوله تعالى: قَوْلُ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ إِلَى  
آخِر الآية.

فهي نزلت في شأن علماء اليهود والمراد بالكتاب في الآية معناه اللغوي لا  
التَّوراة والإنجيل مثلاً والدليل عليه قوله تعالى: ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
وهو دليلٌ على أَنَّهُم كانوا يكتبون كتاباً من عند أنفسهم ثُمَّ يقولون هو من عند  
الله والكتاب مصدر بمعنى المكتوب و أُنَمَّا فعلوا ذلك لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً  
قيل كتابتهم بأيديهم أَنَّهُم عمدوا إلى التَّوراة وحرفوا صفة النبي ﷺ  
ليوافقوا الشكَّ بذلك للمتقين من اليهود وهو المَرْوي عن أبي جعفر الباقر وعن  
جماعة من أهل التفسير وقيل كانت صفة في التَّوراة إسمه ربيعة فجعلوه آدم  
طويلاً ونقل عن عكرمة عن ابن عباس قال أَنَّ أحبار اليهود وجدوا صفة النبي  
مكتوبة في التَّوراة أكحل أعين ربيعة حسن الوجه فمحوه من التَّوراة حسداً و  
بغياً فأتاهم نفر من قريش فقالوا أتعبدون في التَّوراة نبياً ممَّا قالوا نعم نجده  
طويلاً أرزق سبط الشَّعر ذكره الواحدي بأسناده في الوسيط وكان غرضهم من  
هذا الفعل أخذ الأموال من عوامهم و ذَكَرَ لفظ الإشتراء من باب التَّوسع  
والمراد أَنَّهُم تركوا الحقَّ وأظهروا الباطل ليأخذوا على ذلك شيئاً كمن يشتري  
السِّلعة بما يعطيه ثُمَّ هَدَّاهم الله بقوله: قَوْلُ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ أَي  
عذاب وخزي لهم ممَّا فعلوا من تحريف الكتاب وقَوْلُ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ  
من الأموال أو من المعاصي والزَّشَى الَّتِي يأخذونها من العوام.

قد روي عن الإمام العسكري عليه السلام في قوله تعالى: قَوْلُ لِلَّذِينَ  
يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ<sup>(١)</sup> قال عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى هذا القوم من

اليهود كتبوا صفة زعموا أَنَّها صفة مُحَمَّدٍ و هي خلاف صفته و قالوا للمستضعفين منهم هذه صفة النَّبِيِّ المبعوث في آخر الزَّمان أَنَّهُ طويل عظيم البدن و البَطْن أَهْدَف أَصْهَب الشَّعر و مُحَمَّدٌ بخلافه و هو يجيئ بعد هذا الزَّمان بخمس مائة سنة و أَنما أرادوا بذلك لتبقى على ضعفائهم رئاستهم و تدوم لهم أصاباتهم و يكفوا أنفسهم مؤونة خدمة رسول الله و خدمة علي و أهل خاصته فقال الله عزَّ وجلَّ: **فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ** من هذه الصِّفَات المَحْزَنَات المَخَالَفات لِصفة مُحَمَّدٍ و علي الشَّدة من العذاب في أسوء بقاع جهنَّم و ويلٌ لهم الشَّدة من العذاب ثانية مضافة الى الأولى ممَّا يكسبونه من الأموال الَّتِي يأخذونها إذا أثبتوا أعوانهم على الكُفر بِمُحَمَّدٍ و الجَحْد لوصيه و أمينه علي و لي الله انتهي.

أَمَّا الآية الثالثة: و هي قوله تعالى: **وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً** فالمعنى أَنَّ اليهود قالت لن نَمْسَنَا النَّارُ أي لن تصيبنا إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً أي أَيَّامًا قلائل فقال الله تعالى قل لهم يا مُحَمَّد، أَتُخَذْتُمْ عند الله عَهْدًا، أي موتقًا أَنَّهُ لا يعذبكم إِلَّا هذه المدة و عرَفتُم ذلك بوحيه و تنزيله فأن كان كذلك فلن يخلف الله عهده، أم تقولون على الله ما لا تعلمون جهلاً منكم به و قيل أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لليهود، من أهل النَّار، قالوا نحن ثم تخلفونا أنتم فقال كذبتم لقد علمتم إِنَّا لا نخلفكم فنزلت هذه الآية و نقل عن عكرمة من إبن عباس قدم رسول الله ﷺ المدينة و اليهود تقول أَنما الدُّنيا سبعة آلاف و أَنما يعذب النَّاس في النَّار لكل ألف سنةٍ من أَيَّام الدُّنيا يوم واحد من أَيَّام الآخرة و أَنما هي سبعة أَيَّام فأنزل الله الآية و قالت طائفة أخرى قالت اليهود أَنَّ في التَّوراة أَنَّ جهنَّم مسيرة أربعين سنة و أَنهم يقطعون في كل يوم سنة حتَّى

يَكْمُلُوهَا وَتَذْهَبَ جَهَنَّمَ وَ عَنْ ابْنِ عَاسٍ زَعَمَ الْيَهُودُ أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي التَّوْرَةِ  
مَكْتُوباً أَنَّ مَا بَيْنَ طَرَفَيْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى أَنْ يَسْتَهْوُوا إِلَى شَجَرَةِ  
الزَّقُومِ وَقَالُوا أَنَّمَا تُعَذِّبُ حَتَّى نَنْتَهِيَ إِلَى شَجَرَةِ الزَّقُومِ فَتَذْهَبَ جَهَنَّمَ وَتَهْلِكَ.  
وَعَنْهُ أَيْضاً أَنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ أَنْ يَدْخُلَنَّهُمُ النَّارُ أَرْبَعِينَ يَوْماً عَدَدَ  
عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ كَمَا تَقَدَّمَ أَقُولُ وَيُؤَيِّدُ الْقَوْلَ الْآخِرَ مَا فِي تَفْسِيرِ  
عَلِيِّ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا  
الْأَيَّامَ الْمَعْدُودَاتِ الَّتِي عَبَدْنَا الْعِجْلَ فَرَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ لَهُمْ  
أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَلَنْ  
يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ.



وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ  
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ  
وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ  
مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ  
دِمَائَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ  
أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

### ◀ اللغة

أَخَذْنَا: الأخذ حوز الشيء وتحصيله.  
وَبِالْوَالِدَيْنِ: الأب والأم.  
الْقُرْبَى: مصدر قربت مني رَجِمَ فلان قرابةً وَقُرْبَى وقرباء.  
وَالْيَتَامَى: جمع يتيم مثل ندامى جمع نديم واليتيم الذي مات أبوه.  
وَالْمَسَاكِين: جمع مسكين وهو الْمُتَخَشِعُ الْمُتَذَلِّلُ من الحاجة.  
تَوَلَّيْتُمْ: أي أعرضتُم.  
تَسْفِكُونَ: السَّفَكَ الصَّب.  
دِمَائِكُمْ: الدَّماء جمع الدَّم.

### ◀ الإعراب

لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فيها وجوه من الإعراب أَحْسَنَهَا أَنَّهَا في موضع نصب  
على الحال تقديره أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ مُّوَحِّدِينَ وَإِلَّا اللَّهَ، مفعول، تعبدون، إِلَّا قَلِيلًا  
منكم، النَّصْب على الإِسْتِنَاءِ الْمُتَّصِلِ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ مبتدأ وخبر والجملة  
في موضع الحال المؤكدة وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ مبتدأ وخبر في موضع الحال.

## ◀ التفسير

و أذكروا وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَهَمْ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ كَمَا مَرَّ  
شرحه على أمور:

أحدها: أَنْ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ.

ثانيها: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا.

ثالثها: وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ.

رابعها: وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا.

خامسها: وَاقِمُْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فالمسائل خمسة.

المسألة الأولى: في تفسير قوله: لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ قلنا سابقاً أَنَّ الْعِبَادِيَّةَ  
إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية  
الإفضال وهو الله تعالى ولهذا قال الله ولا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ثُمَّ أَنَّ الْعِبَادَةَ تَارَةً  
بِالتَّخْيِيرِ كَمَا مَرَّ فِي السَّجُودِ وَآخَرَىٰ بِالإِخْتِيَارِ وَهِيَ لِذَوِي النُّطْقِ وَهِيَ  
المأمور بها في المقام وغيره نحو قوله أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَأَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تَعْبُدُوا  
إِلَّا إِيَّاهُ، وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنَّ الْعِبَادَةَ فِي  
أَصْلِ اللُّغَةِ غَايَةُ التَّذَلُّلِ كَمَا مَرَّ فِي الْإِصْطِلَاحِ هِيَ الْمَوَاطَبَةُ عَلَى الْفِعْلِ  
المأمور به.

قال المحقق الطوسي رحمته الله عَلَى مَا نَقَلَ عَنْهُ، عِبَادَةُ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ، الْأَوَّلُ مَا  
يَجِبُ عَلَى الْأَبْدَانِ كَالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالسَّعْيِ فِي الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ لِمَنَاجَاتِهِ  
تَعَالَى شَأْنَهُ.

الثاني: مَا يَجِبُ عَلَى النَّفْسِ كَالْإِعْتِقَادَاتِ الصَّحِيحَةِ مِنَ الْعِلْمِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ  
وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالتَّمْجِيدِ وَالفكر في مَا أَفَاضَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْعَالَمِ  
مِنْ وَجُودِهِ وَحُكْمَتِهِ ثُمَّ الْإِتْسَاعُ فِي هَذِهِ الْمَعَارِفِ.



الثالث: ما يجب عند مشاركات النَّاس في المدن وهي في المعاملات و المزارعات و المناكحات و تأدية الأمانات و نصح البعض للبعض بضروب المعاونات و جهاد الأعداء و الذَّب عن الحريم و حماية الحوزة انتهى ما ذكره و أمَّا حقيقة العُبودية كما ورد عن الصادق عليه السلام في حدث عنوان البصري ثلاثة أشياء:

أحدها: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خَوَّله الله ملكاً لأنَّ العبيد لا يكون لهم ملك بل يرون المال مال الله يصنعونه حيث أمرهم الله.

ثانيها: أن لا يدبر العبد لنفسه تدبيراً.

الثالثها: جملة إشتغاله فيما أمره الله و نهاه عنه فإذا لم ير العبد فيما خَوَّله ملكاً هان عليه الإنفاق و اذا فوض العبد تدبير نفسه الى مدبرها هانت عليه مصائب الدنيا و اذا إشتغل العبد فيما أمره الله و نهاه لا يتفرغ منها الى المراء و المباهات مع النَّاس فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا الحديث.

المسألة الثانية: وَيَا لَوِ الدِّينِ إِحْسَانًا الإحسان مصدر قولك أحسن إحساناً و هو مأخوذ من الحسن، والحسن عبارة عن كلِّ مُبتَهج مرغوب فيه و ذلك ثلاثة أضرب، مُستحسن من جهة العقل، مُستحسن من جهة الهوى، مُستحسن من جهة الحس، والحسنة يعبر بها عن كلِّ ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه و بدنه و أحواله و السيئة تضادها، والإحسان يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير يقال أحسن فلان.

الثاني: الاحسان في فعله و ذلك اذا علم علماً حسناً أو علم عملاً حسناً و على هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام النَّاس أبناء ما يُحسنون، أي منشوبون الى ما يعلمون، و ما يعملونه من الأفعال الحسنة قال الله تعالى: أَلَّذِي أَحْسَنَ

كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ<sup>(١)</sup> وَالْإِحْسَانُ أَعَمُّ مِنَ الْإِنْعَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ<sup>(٢)</sup> فَالْإِحْسَانُ فَوْقَ الْعَدْلِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَدْلَ هُوَ أَنْ يُعْطِيَ مَا عَلَيْهِ وَيَأْخُذَ مَالَهُ، وَالْإِحْسَانُ أَنْ يُعْطِيَ أَكْثَرَ مِمَّا عَلَيْهِ وَيَأْخُذَ أَقْلَ مِمَّا لَهُ فَالْإِحْسَانُ زَائِدٌ عَلَى الْعَدْلِ فَتَحَرَّى الْعَدْلَ وَاجِبٌ وَتَحَرَّى الْإِحْسَانَ نَدْبٌ وَتَطَوُّعٌ إِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى الْإِحْسَانِ فَتَقُولُ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِحْسَانًا مَعْنَاهُ أَنْ تُعْطِيَ الْوَالِدَيْنِ أَكْثَرَ مِمَّا عَلَيْكَ وَتَأْخُذَ مِنْهُمَا أَقْلَ وَكَيْفَ كَانَ فَالْإِحْسَانُ مُطْلَقًا أَمْرٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ شَرْعًا وَعَقْلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَيِّ شَخْصٍ كَانَ مَعَ ذَلِكَ هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ وَكَفَى فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَنَ الْإِحْسَانَ بِهِمَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ فَذَكَرَ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ الْإِحْسَانَ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِحْسَانَ بِهِمَا بَعْدَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فِي الشَّرَفِ وَالْفَضْلِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا<sup>(٣)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ نَعْبُدُوا أَتْلَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا<sup>(٤)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا<sup>(٥)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ<sup>(٦)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا<sup>(٧)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا<sup>(٨)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا<sup>(٩)</sup> وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ.

١- النحل = ٩١

٢- سورة الأنعام آية ١٥١

٣- لقمان = ١٤

٤- العنكبوت = ٨

١- السجدة = ٧

٢- النساء = ٣٦

٣- الإسراء = ٢٣

٤- الأحقاف = ١٥

٥- مريم = ١٤

ومن الأخبار :

قال رسول الله ﷺ: كُنْ بَارًا وَأَقْصِرْ عَلَى الْجَنَّةِ وَأَنْ كُنْتَ عَاقًا فَأَقْصِرْ عَلَى النَّارِ.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في كلام له إِيَّاكُمْ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ وَلَا يَجِدُهَا عَاقُ الْحَدِيثِ.

وقال ﷺ: مَنْ أَصْبَحَ مَسْخُطًا لِأَبَوَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى النَّارِ.

وقال الصادق عليه السلام: مَنْ نَظَرَ إِلَى أَبَوَيْهِ نَظْرَ مَاقَتٍ وَهُمَا ظَالِمَانِ لَهُ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً.

وقال رسول الله ﷺ: كُلُّ الْمُسْلِمِينَ يَرُونِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَاقَ الْوَالِدَيْنِ وَشَارِبَ الْخَمْرِ.

وقال رسول الله ﷺ: بَرَّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وقال ﷺ: مَنْ أَصْبَحَ مَرْضِيًّا لِأَبَوَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وقال رجل للرضا عليه السلام: أَدْعُوا لَوَالِدَيْهِ إِذَا كَانَا لَا يَعْرِفَانِ الْحَقَّ قَالَ عليه السلام: أَدْعُ لِهَمَا وَتَصَدَّقْ عَنْهُمَا وَأَنْ كَانَا حَيَيْنِ لَا يَعْرِفَانِ الْحَقَّ فَدَارُهُمَا فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِالرَّحْمَةِ لَا بِالْعُقُوقِ.

والأحاديث نقلناها عن جامع السعادات للترقي (١).

ويظهر من الآيات أَنَّ الإحسان إليهما والبر بهما مما هو كان ثابتاً في جميع

الأديان كما ترى في الآية المبحوثة عنها مع أنها خطاب لبني إسرائيل وهو كذلك فإن الإحسان بهما لا يختص بقوم خاص.

**المسألة الثالثة:** في تفسير قوله تعالى **وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ** الواو للعطف أي وأحسنوا إلى ذي القربى واليتامى والمساكين أيضاً، والإحسان إلى ذي القربى أي تصلوا رحمهم وتعرفوا حقهم وباليتامى بأن تعطفوا عليهم بالرفقة والرحمة، وبالمساكين أن توفوهم حقوقهم التي ألزمها الله في أموالكم وقد أشير إلى هذا في كثير من الآيات:

قال الله تعالى: **وَآتَىٰ أَمْوَالَهُ عَلَىٰ حُدُودِهَا لِلْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ** <sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ** <sup>(٣)</sup> وأمثالها من الآيات.

وعن تفسير الإمام قال **عليه السلام**: وأما قوله عز وجل وذي القربى فهم من قرباتك من أبيك وأمك قيل لك أعرف حقهم كما أخذ به العهد على بني إسرائيل وأخذ عليكم معاشر أمة محمد بمعرفة حق قربات محمد الذين هم الأئمة بعده ومن يليهم بعد من خيار أهل دينهم.

قال رسول الله **ﷺ**: من رعى حق قربات والديه أعطى في الجنة ألف درجة ما بين الدرجتين حفر الفرس المضممر مائة سنة إحدى الدرجات من فضة والأخرى من ذهب والأخرى من لؤلؤ والأخرى

من زُمرد وأخرى من زبرجد وأخرى من مسكٍ وأخرى من عنبرٍ  
وأخرى من كافور وتلك الدرجات من هذه الأصناف ومن رعى  
حقَّ قربىٍّ محمّدٍ وعليٍّ أعطى من فضل الدرجات وزيادة المثوبات  
على قدر زيادة فضل محمّدٍ وعليٍّ على أبيي نَسَبه وأما قول الله  
عزَّ وجلَّ واليتامى فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال حَتَّ الله عزَّ وجلَّ  
على بَرِّ اليتامى لِإِنْقِطَاعِهِمْ عَنْ آبَائِهِمْ فَمَنْ صَانَهُمْ صَانَهُ اللهَ وَمَنْ  
أَكْرَمَهُمْ أَكْرَمَهُ اللهَ وَمَنْ مَسَحَ يَدَهُ بِرَأْسِ يَتِيمٍ رَفَقاً بِهِ جَعَلَ اللهَ لَهُ  
فِي الْجَنَّةِ لِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ قَصِيراً أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا وَ  
فِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِلَى أَنْ  
قَالَ ﷺ وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَالْمَسَاكِينَ وَهُوَ مَنْ سَكَنَ الضَّرَّ وَ  
الْفَقْرَ حَرَكْتَهُ أَلَا فَمَنْ وَاسَاهُمْ بِحَوَاشِي مَالِهِ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ خَبَانَهُ وَ  
أَنَالَ غَفْرَانَهُ وَرَضْوَانَهُ.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا قد مرَّ معنى الحُسْنِ،  
والمقصود من هذا القول الحَسَنَ الجميل وهو ممَّا إِرْتِضَاهُ اللهُ وَأَحَبَّهُ نَقَلَ هَذَا  
عن ابن عَبَّاسٍ.

وقيل المراد به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن سفيان الثوري وقال  
الربيع بن أنس أي قولوا للناس معروفًا.

وروي عن أبي جعفر ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قُولُوا لِلنَّاسِ أَحْسَنَ مَا تَحِبُّونَ  
أَنْ يُقَالَ لَكُمْ فَإِنَّ اللهَ يَبْغِضُ اللَّعَانَ السَّبَابَ الطَّعَانَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
الْفَاحِشَ السَّائِلَ الْمُخْلَفَ وَيَحِبُّ الْحَلِيمَ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ.

قال الطبرسي رحمه الله بعد نقله ما نقلناه ثُمَّ اِخْتَلَفَ فِيهِ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ هُوَ  
عَامٌّ فِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ عَلَى مَا رَوَى عَنْ الْبَاقِرِ ﷺ: وَقِيلَ هُوَ  
خَاصٌّ فِي الْمُؤْمِنِ أَقُولُ الْحَقُّ أَنَّهُ عَامٌّ فِيهِمَا لِمَا رَوَى عَنْ

الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ قَالَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا كُلَّهُمْ مُؤْمِنُهُمْ وَمَخَالِفُهُمْ أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَبْسُطُ لَهُمْ وَجْهَهُ وَبَشْرَهُ وَأَمَّا الْمَخَالِفُونَ فَيَكْلِمُهُمْ بِالْمَدَارَاةِ لِاجْتِنَابِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَإِنْ بَيَّأَسَ مِنْ ذَلِكَ يَكْفُ شُرُورَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ وَأَخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَدَارَاةُ أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنْ أَفْضَلِ صَدَقَةِ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَخْوَانِهِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنْزِلِهِ إِذَا اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ مَسْلُودٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بئس أخو العشيرة أئذّنوا له فلما دَخَلَ أَجْلَسَهُ وَبَشَرَ فِي وَجْهِهِ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ فِيهِ مَا قُلْتَ وَفَعَلْتَ فِيهِ مِنَ الْبَشَرِ مَا فَعَلْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا حُمَيْرَاءُ أَنْ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَكْرُمُ إِنْقَاءَ شَرِّهِ انْتَهَى.

وَفِي الْكَافِي عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَقُولُوا إِلَّا خَيْرًا حَتَّى تَعْلَمُوا مَا هُوَ انْتَهَى.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَادَّعُوا الْحِلَالَ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى إِعْرَاضِهِمْ وَإِدْبَارِهِمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ<sup>(٢)</sup> وَهُوَ لَا يَخْتَصُّ بِالْيَهُودِ بَلْ حُكْمُ عَامٍّ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْأُمَمِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَحْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ<sup>(٣)</sup> فَالْمَعْنَى فَادْكُرُوا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ عَلَى أَسْلَافِكُمْ وَعَلَى كُلِّ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهِ الْخَبَرُ بِذَلِكَ مِنْ أَخْلَافِكُمُ الَّذِينَ أَنْتُمْ فِيهِمْ، لَا

تَسْفِكُونَ دِمَائَكُمْ بِقَتْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، أَي لَا يَخْرُجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَلَّتَهُمْ كَانَتْ وَاحِدَةً وَأَمْرُهُمْ وَاحِدٌ وَكَانُوا فِي الْأُمَمِ كَالشَّخْصِ الْوَاحِدِ جَعَلَ قَتْلَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَإِخْرَاجَهُمْ كَذَلِكَ قَتْلًا وَإِخْرَاجًا لِأَنْفُسِهِمْ وَنَفْيًا لَهَا وَقِيلَ الْمُرَادُ الْقِصَاصُ أَي لَا يَقْتُلُ أَحَدٌ فَيُقْتَلُ قِصَاصًا فَكَأَنَّهُ سَفَكَ دَمَهُ وَكَذَلِكَ لَا يَزْنِي وَلَا يَرْتَدُّ فَأَنَّ ذَلِكَ يَبِيحُ الدَّمَ وَلَا يُفْسِدُ فَيَنْفَى فَيَكُونُ قَدْ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ دِيَارِهِ، وَنَقَلَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّبَيَّنِ قَوْلًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الْمُرَادُ لَا يَقْتُلُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ غَيْرَهُ فَيَقَادُ بِهِ قِصَاصًا فَيَكُونُ بِذَلِكَ قَاتِلًا لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ كَالسَّبَبِ فِيهِ وَاضِيفَ قَتْلُ الْوَلِيِّ إِتَاهُ قِصَاصًا إِلَيْهِ بِذَلِكَ كَمَا يَقَالُ لِرَجُلٍ يَعَاقِبُ لَجْنَانِيَّةٍ جَنَاهَا عَلَى نَفْسِهِ أَنْتَ جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، قَالَ وَفِيهِ قَوْلٌ ثَالِثٌ وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ: وَأَنْفُسَكُمْ أَرَادَ بِهِ أَخْوَانَكُمْ لِأَنَّهُمْ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ أَقَرَّرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، أَي ثُمَّ أَقَرَّرْتُمْ بِالْمِيثَاقِ وَإِعْتَرَفْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِلِزُومِهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَيْهَا كَقَوْلِكَ فَلَانْ مَقْرَرٌ عَلَى نَفْسِهِ بِكَذَا أَي شَهِدَ عَلَيْهَا، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ الْيَوْمَ بِأَمْعَشَرِ الْيَهُودِ عَلَى إِقْرَارِ أَسْلَافِكُمْ بِهَذَا الْمِيثَاقِ.



ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا  
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ  
 وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ  
 عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ  
 وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا  
 خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى  
 أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا  
 يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦)

### ◀ اللغة

تَظَاهَرُونَ: أي تعاونون يقال ظاهرته عليه أي عاونته.  
 بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ: الإثم والأثم إسمٌ للأفعال المبطنة عن الثواب وجمعه أثم.  
 العدوان والعدو: التجاوز و منافاة الإلتزام فتارة يعتبر بالقلب فيقال له  
 العدَاوة والمعاداة وتارة بالمشي فيقال العدو وتارة في الإخلال بالعدالة في  
 المعاملة فيقال له العدوان والعدو.  
 أُسَارَى: جمع أسير وهو مأخوذ من الأسر وهو الشد بالقيد ثم قيل لكل  
 مأخوذ ومقيّد وأن لم يكن مشدداً.

### ◀ الإعراب

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ: أنتم مبتدأ وفي خبره ثلاثة أوجه:  
 أحدها: تقتلون فعلى هذا في هؤلاء وجهان:  
 أحدهما: في موضع نصب بإضمار أعنى.



الثاني: هو منادى أي ياهؤلاء.

**والوجه الثاني:** أن الخبر هؤلاء على أن يكون بمعنى، الذين، وتقتلون صلة.  
**والوجه الثالث:** أن الخبر هؤلاء على تقدير حذف مضاف تقديره ثم أنتم مثل هؤلاء فعلى هذا، تقتلون حال يعمل فيها معنى التشبيه تظاهروا عليهم في موضع نصب على الحال العامل فيها تخرجون وصاحب الحال الواو والأصل تتظاهرون، فقلبت التاء الثانية ظاءً وأدغمت وقرأ بضمة التاء وكسر الهاء والتخفيف وما فيه ظاهر والعُدوان مصدر مثل الكفران أسارى حال وهو مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ هو مبتدأ ومحَرَّم خبره إخراجهم مرفوعٌ محَرَّم ويجوز أن يكون مبتدأ ومحَرَّم خبره وإخراجهم، بدل من الضمير في، محَرَّم أو من هو فَمَا جَزَاءُ، مانفي والخبر، خزى ويجوز أن يكون، ماء إستفهامية وهو مبتدأ وجزاء خبره الْآخِزِيُّ بدلٌ من جزاء يَقْعُلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ في موضع نصب على الحال من الضمير في يفعل في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا صفة للخزى والباقي ظاهر.

### ◀ التفسير

إعلم أنه لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة أنه أخذ الميثاق منهم أن لا يَسْفِكُوا دِمَائِهِمْ وأن لا يخرجوهم من ديارهم ذكر في هذه الآية أنهم قد نَقَضُوا عهد الله وميثاقه وعملوا بخلاف ما عاهدوا الله عليه فلذلك وبخهم وقال ثم أنتم هؤلاء يامعشر اليهود تقتلون أنفسكم الآية وفي قوله: أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ: أচ্ছেما: أنه بحذف حرف النداء والتقدير ثم أنتم ياهؤلاء فترك ياء، للدلالة الكلام عليه كما في قوله يوسف أعرض عن هذا، أي يابوسف أعرض عن هذا، و عليه فمعنى الكلام ثم أنتم يامعشر اليهود بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم ألا تَسْفِكُوا دِمَائَكُمْ الى أخر الآية ما وَفَيْتُمْ به مع أنه كان حقاً لازماً عليكم فتصلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم متعاونين عليهم في إخراجكم إياهم بالإثم والعُدوان والتظاهر التعاون وأنما قيل

لِلتَّعَاوُنِ التَّظَاهِرِ لَتَقْوِيَةِ بَعْضُهُمْ ظَهْرَ بَعْضٍ فَهُوَ تَفَاعُلٌ مِنَ الظَّهْرِ قَالَ الشَّاعِرُ:

تَظَاهَرْتُمْ أَشْبَاهَ نَيْبٍ تَجَمَّعَتْ عَلَى وَاحِدٍ لَزَلْتُمْ قَرْنَ وَاحِدٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ<sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا<sup>(٢)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ<sup>(٣)</sup>.

ثَانِيهَا: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى ثُمَّ أَنْتُمْ الْقَوْمُ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ فَيَرْجِعُ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ أَنْتُمْ وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ فِي الْآيَةِ تَنْبِيهِ وَتَوْكِيدٌ، لِأَنْتُمْ وَأَنْ كَانَ كُنَايَةً عَنْ أَسْمَاءِ جَمِيعِ الْمُخَاطَبِينَ فَأَتَمَّا جَازَ أَنْ يُوَكَّدَ بِهِؤُلَاءِ وَأَوْلَاءُ يَكْنَى بِهَا عَنِ الْمُخَاطَبِينَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَقُولُ لَهُ وَالرَّمَحُ يَاطُرُ مَتْنَهُ تَبَيَّنَ خُفَافًا أَنَّنِي أَنَا ذَالِكَا

وَالْإِثْمُ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ هُوَ مَا تَنَفَّرَ عَنْهُ النَّفْسُ وَلَمْ يَطْمَئِنِّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ لِنَوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ، الْبَرَّ مَا إِطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ نَفْسُكَ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَقَالَ قَوْمُ الْإِثْمِ مَا يَتَحَقَّقُ عَلَيْهِ الدِّمُّ وَهُوَ الْأَصْحَى وَأَمَّا الْعِدْوَانُ فَهُوَ مَجَاوِزَةُ الْحَقِّ وَقِيلَ أَنَّهُ الْإِفْرَاطُ فِي الظُّلْمِ، وَأَسَارَى فَقَدْ قِيلَ أَنَّهَا جَمْعُ أُسِيرٍ، وَقِيلَ أَنَّ الْأُسِيرَ جَمْعُهُ أُسْرَى وَجَمْعُ أُسْرَى أُسَارَى وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ وَكَيْفَ كَانَ فَلِأَسَارَى هُمُ الَّذِينَ فِي الْوِثَاقِ وَالْأُسْرَى الَّذِينَ فِي الْبَيْدِ وَأَنْ لَمْ يَكُونُوا فِي الْوِثَاقِ هَكَذَا قِيلَ، وَمَعْنَى تُفَادُوهُمْ، طَلَبُ الْفَدْيَةِ مِنَ الْأُسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ قَالَ الشَّاعِرُ:

قِفْ فِي فَادِي أُسِيرِكَ أَنْ قَوْمِي وَقَوْمُكَ مَا أَرَى لَهُمْ إِجْتِمَاعًا

وَقَوْلُهُ: وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ إِنْشَارَةٌ إِلَى أَنْ طَلَبَ الْفَدْيَةَ مِنْهُمْ كَانَ حَرَامًا فِي مَذْهَبِ الْيَهُودِ وَأَنْ كَانَ مَبَاحًا لَنَا فِي شَرْعِنَا وَلِذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ إِلَهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَقَالَ قَوْمٌ أَنَّهُ إِفْتِدَاءُ الْأُسِيرِ مِنْهُمْ إِذَا أُسْرَ أَعْدَاءُهُمْ وَهَذَا مَدْحٌ لَهُمْ ذَكَرَهُ

من بعد ذمهم أنهم خالفوه في سفك الدماء و تابعوه في إقتداء الأسارى إستشهاداً على هذا الباطل بقوله: **أَقْتُوْهُمْ نُونٍ بَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**.

و قال قوم الفرق بين تغدوهم وتغادوهم، أن تغدوهم هو إنفكاك بمل و تغادوهم هو إفتكاك الأسارى بالأسارى و إختلفوا فيمن قصد بهذه الآية فعن ابن عباس أن قوله: **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ إِلَى قَوْلِهِ: وَالْعُدُوَّانِ** أريد بهم أهل الشرك حتى يسفكوا دمائهم معهم و يخرجوهم من ديارهم معهم قال أخبرهم بذلك عن فعلهم و قد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم و إفترض عليهم فيها فداء أسراهم و كانوا فريقين طائفة منهم بنو قينقاع و أنهم حلفاء الخزرج و حلفاء النضير و قريظة و أنهم حلفاء الأوس و كانوا إذا كانت بين الأوس و الخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج و بنو النضير و قريظة مع الأوس يظهر كل فريق حلفاءه على أخوانه حتى يتسافكوا دمائهم بينهم و بأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم و لهم و الأوس و الخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان و لا يعرفون جنّة و لا ناراً و لا قيامة و لا كتاباً و لا حراماً و لا حلالاً فإذا وضعت الحرب أوزارها إفتدوا أسراهم تصديقاً لما في التوراة، و أخذاً به يفتدي بنو قينقاع من كان من أسراهم في أيدي الأوس و يفتدي بنو النضير و قريظة ما كان في أيدي الخزرج و يطلبون ما أصابوا من الدماء و ما قتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم يقول الله تعالى حين أخبرهم بذلك **أَقْتُوْهُمْ نُونٍ بَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** أي تغادونهم بحكم التوراة و في حكم التوراة أن لا يقتل و لا يخرج من داره و يظهر عليه من يشرك بالله و يعبد الأوثان من دونه إبتغاء عرض الدنيا ففي ذلك من فعلهم مع الأوس و الخزرج نزلت هذه القصّة و قوله: **يَأْتُوْكُمْ أَسَارِي تَغَادُوْهُمْ** إلى قوله: **وَ تَكْفُرُونَ** القصد بذلك توبيخهم و تعنيفهم على سوء أفعالهم فقال تعالى (ثم أنتم بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم تقتلون أنفسكم يقتل

بعضكم بعضاً وأنتم مع قتلکم من تقتلون منكم اذا وجدتم أسيراً منكم في أيدي غيركم من أعدائكم تفادوهم ويخرج بعضكم بعضاً من ديارهم وقتلكم إياهم وإخراجكم إياهم من ديارهم حرام عليكم كما حرام عليكم تركهم أسارى في أيدي عدوكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم وهما جميعاً حرام عليكم، **أَقْتُمُونِ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** فقتلون من حرمت عليكم قتله من أهل دينكم ومن قومكم وفي قوله: **فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** فالخزي الذل والصغار ثم اختلفوا في الخزي الذي أخزاهم الله بما سلف منهم في المعصية فقال بعضهم ذلك حكم الله الذي أنزله على نبيه من أخذ القاتل بما قتل والقود به قصاصاً والانتقام من الظالم للمظلوم.

وقال بعض آخر بل ذلك هو الجزية منهم ما أقاموا على دينهم ذلة لهم وصغاراً.

وقال آخرون، الخزي الذي خزوا به في الدنيا إخراج رسول الله بني النضير من ديارهم لأول الحشر، وقيل مقاتلة بني قريظة وسبي ذرارهم وكان ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، أي أسوء العذاب بعد الخزي في الدنيا الذي أعدّه الله لأعدائه وقوله: **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**، أي عما تعملون في الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة ثم أردف كلامه في اليهود وما فعلوا من الإثم والعدوان بقوله: **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** <sup>(١)</sup> أي أولئك الذين أخبر عنهم بأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض هم الذين اشتروا رئاسة الدنيا والحياة الفانية فيها عوضاً من نعيم الآخرة الذي أعدّه الله للمؤمنين فجعل الله تعالى تركهم حظوظهم من

نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمناً لما إبتاعوه من خسيس الدّنيا و من كان كذلك فلاحظ لهم في الآخرة ولهم عذاب فيها غير مخفف عنهم ولا هم ينصرون، أي لا ينصرهم أحد في الآخرة فيدفع عنهم العذاب وهذا هو الخسران المبين وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ.**

قال كان في بني إسرائيل اذا إستضعفوا قوماً أخرجوهم من ديارهم و قد أخذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دمائهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم و أخذ عليهم الميثاق أن أسر بعضهم أن يُفادوهم فأخرجوهم من ديارهم ثم فادوا منهم فأمّنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض أمّنوا بالفداء ففدّوا وكفروا بالإخراج من الديار فأخرجوا.

ونقل عن ابي العالية أنّ عبد الله ابن سلام مرّ على رأس الجالوت بالكوفة و هو يُفادي من النّساء من لم يقع عليه العرب و لا يُفادي من وقع عليه العرب فقال له عبد الله ابن سلام أما أنّه مكتوب عندك في كتابك أن فادوهنّ كلّهنّ انتهى.

أقول و قد ورد في رواياتنا أنّه لما نزلت الآية في اليهود الذين نقضوا عهد الله من بعد ميثاقه و كذبوا رسل الله و قتلوا أولياء الله قال رسول الله ﷺ: **أَفَلَا أُنبئكم بمن يضاهيهم من هذه الامّة قالوا بلّى يارسول الله ﷺ قال قوم من أمتي ينتحلون أنّهم من أهل ملّتي يقتلون أفاضل ذرّيتي و أطائب أرومتي و يُبدّلون شريعتي و سنّتي و يقتلون ولّدي الحسن و الحسين كما قتل أسلاف اليهود زكريّا و يحيى ألا و أنّ الله يلعنهم كما لعنهم و يبعث على بقايا ذرّاريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً من ولد الحسين المظلوم يجرّهم بسيوف أولياءه الى نار جهنّم انتهى.**

وقيل نزلت في أبي ذر و عثمان و القصّة مشهورة.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ  
 آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ  
 الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ  
 اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا  
 قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا  
 يُؤْمِنُونَ (٨٨) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
 مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى  
 الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ  
 اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ  
 أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ  
 عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ  
 وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠)

### ◀ اللغة

وَقَفَّيْنَا: القفا، معروف يقال قفوتَه أحسبت قفاه وقَوْتُ أثره تَبِعْتُ قفاه  
 وقَفَّيْتَه جعلته خَلَفَه.

أَيَّدْنَاهُ: التأييد التَّقْوِيَةُ.

بِرُوحِ الْقُدُسِ: وهو جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تَهْوَى: الهوى ميل النفس إلى الشهوة وقيل سُمِّيَ بذلك لأنه يهوى بصاحبه  
 في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية.

غُلْفٌ: قيل هو جمع أغلف كقولهم سيفٌ أغلف أي هو في غلاف والحق  
 أنه جمع غلاف والأصل فيه غُلْفٌ بضم اللام وقد قرأ به نحو كتب.

بَغْيًا: الْبَغْيُ طَلَبُ تَجَاوُزِ الْإِقْتِصَادِ فِيمَا يَتَحَرَّرُ تَجَاوُزُهُ أَوْ لَمْ يَتَجَاوُزِهِ.

غَضَبٍ: الْغَضَبُ ثَوْرَانُ دَمِ الْقَلْبِ إِرَادَةُ الْإِنْتِقَامِ.

مُهَيِّنٍ: مَنْ أَهَانَ يَهِينُ وَهُوَ مَا خُوِذَ مِنَ الْهَوَانِ وَالْهَوَانُ الْعَذَابُ الْمَتَضَمِّنُ لَشِدَّةٍ وَإِهَانَةٍ وَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ، بَضْمُ الْهَاءِ أَيِ عَلَى هَوَانٍ وَذُلٍّ.

## ◁ الإعراب

وَقَفَّيْنَا الْبَاءَ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ لِقَوْلِكَ قَفَوْتَهُ وَهُوَ يَقْفُوهُ أَفَكَلُمَا الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ التَّوْبِيخِي فَقَلِيلًا مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ وَمَا زَائِدَةٌ أَيْ فَيَمَانًا قَلِيلًا يُؤْمِنُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ لِإِبْتِدَاءِ غَايَةِ الْمَجْئِ أَوْ فِي مَوْضِعٍ رَفْعٍ صِفَةً لِكِتَابٍ مُصَدِّقٌ بِالرَّفْعِ صِفَةٌ لِكِتَابٍ أَوْ بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ بِشَمَا اشْتَرَوْا مَا نَكْرَةٌ غَيْرُ مَوْصُوفَةٍ مَنْصُوبَةٍ عَلَى التَّمْيِيزِ أَنْ يَكْفُرُوا خَبَرٌ مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَيْ هُوَ أَنْ يَكْفُرُوا بَغْيًا مَفْعُولٌ لَهُ أَوْ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مَفْعُولٌ لِاجْلِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ نَكْرَةٍ مَوْصُوفَةٍ مِنْ عِبَادِهِ حَالٌ مِنْ لِهَاءِ الْمَحْذُوفَةِ.

## ◁ التفسير

ذَكَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَنْعَامَهُ عَلَى قَوْمِ الْيَهُودِ بِإِرْسَالِهِ الرُّسُلَ وَإِنْزَالِهِ الْكُتُبَ وَمَا قَابَلُوهُ بِالتَّكْذِيبِ فَقَالَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَهُوَ التَّوْرَةُ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ أَيْ أَتْبَعْنَا وَأَرَدَفْنَا مِنْ بَعْدِ مُوسَى، بِالرُّسُلِ رَسُولًا بَعْدَ رَسُولٍ يَتَّبِعُ الْآخِرُ الْأَوَّلَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْأَخْذِ بِدِينِ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ وَحُلَاوَةُ النَّشَاتَيْنِ عَلَى مَنْهَاجٍ وَاحِدٍ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ مُوسَى إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا عَلَى طَرِيقِ مُوسَى بُعْثُوا لِإِقَامَةِ التَّوْرَةِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا إِلَى أَنْ وَصَلَتِ النَّوْبَةُ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا قَالَ

وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ أَيْ أَعْطَيْنَاهُ الْمُعْجَزَاتِ وَالْكَرَامَاتِ  
الذَّلَاتِ عَلَى نُبُوتِهِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقِيلَ  
المراد بالبيِّنَاتِ الْإِنْجِيلَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْآيَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ  
أَيْ قُوَّتِهِ بِهِ وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ جَبْرِئِلَ قَالَ حَسَّانُ:

وجبريل رُسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ بِهِ خِفَاءُ  
قَالَ النَّحَّاسُ، وَسَمِيَ جَبْرِئِلَ رُوحاً وَأُضِيفَ إِلَيْهِ الْقُدُسُ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَكَوَّنُ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ رُوحاً مِنْ غَيْرِ وَلَادَةِ وَالِدٍ وَلَدَهُ وَكَذَلِكَ سُمِّيَ عِيسَى رُوحاً  
لِذَلِكَ.

وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: الْقُدُسُ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرُوحُهُ جَبْرِئِلُ.  
عَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ، رُوحُ الْقُدُسِ، هُوَ الْإِسْمُ الَّذِي كَانَ يُحْيِي بِهِ عِيسَى  
الْمَوْتَى وَقِيلَ هُوَ إِسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ الْإِنْجِيلُ فَسَمَّاهُ رُوحاً كَمَا  
سَمَّى الْقُرْآنَ رُوحاً فِي قَوْلِهِ: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا<sup>(١)</sup> وَالْقُدُسُ  
الطَّهَّارَةُ، وَقِيلَ فِي وَجْهِهِ تَسْمِيَةُ جَبْرِئِلَ بِالرُّوحِ لِأَنَّهُ يُحْيِي بِمَا يَأْتِي مِنَ الْبَيِّنَاتِ  
الْأَدْيَانِ كَمَا تُحْيِي بِالْأَرْوَاحِ الْأَبْدَانِ، وَقِيلَ سُمِّيَ بِهِ لَغَلْبَةِ الرُّوحَانِيَةِ عَلَيْهِ وَ  
كَذَلِكَ سَائِرُ الْمَلَائِكَةِ وَأَمَّا خَصَّ بِهَذَا الْإِسْمَ تَشْرِيفاً لَهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ إِلَى آخِرِ  
الْآيَةِ فَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ مَخَالَفَةَ الْيَهُودِ بِلِ كُلِّ النَّاسِ لِلنَّبِيِّاءِ أَمَّا هِيَ لِأَجْلِ مَخَالَفَةِ  
الْأَدْيَانِ لِلطَّبَائِعِ وَالْأَهْوَاءِ فَلَوْ كَانَ الرَّسُولُ يَأْتِي بِدِينٍ يُوَافِقُ طَبَائِعَ النَّاسِ وَ  
أَهْوَاءَهُمْ وَغَرَائِزَهُمْ لَمْ يُخَالَفُوهُ قَطْعاً فَعِنَادَهُمْ لِلرَّسُولِ أَمَّا هِيَ لِأَجْلِ دِينِهِ  
الَّذِي أَتَى بِهِ وَمَا قَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى صَدَقَ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً وَلِذَلِكَ لَا  
تُوجَدُ نَبِيّاً بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ إِلَّا وَهُوَ كَانَ مُوَاجِهاً بِمَخَالَفَةِ  
الْعَامَّةِ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ خُلُقاً وَخُلُقاً وَحَسَباً وَنَسَباً وَعِلْماً وَ



أرومة ألا ترى أن نبينا ﷺ كان قبل البعثة محبوباً في الناس ملقباً فيهم بالأمين ولما بُعث صار مبغوضاً إليهم ورموه بالكذب والجُنون والسحر وأمثالها ومن المعلوم أنه ﷺ كان بمعزلٍ عن هذه الأمور إلا أنه دعاهم إلى التوحيد والعدل والمعاد وأمثالها من الأمور التي لا تقبلها طبائع الناس وغرائزهم قالوا فيه ما قالوا وهذا كان جارياً في جميع الأنبياء من البدن إلى الختم فإن حكم الأمثال واحد ولذلك قال الله تعالى: **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَا تَهْوَى، أَيْ لَا تَمِيلُ، أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ أَيْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا كَذَلِكَ، إِمَّا مَقْتُولُونَ، كَمَا قَتَلُوا يَحْيَى وَزَكَرِيَّا.**

وقد روي أن بني إسرائيل قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً ولذلك سَلَطَ اللَّهُ عليهم بخت النَّصْر فقتل منهم من قتل.

وأما قوله تعالى: **وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ** معناه أن اليهود قالوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ أي أوعية للعلم فما بالها لا تفهم. وقال عكرمة أي عليها طابع وقال بعض أي أنها مستورة عن الفهم والتمييز.

وقال الشيخ في التبيان المعنى عندنا أن الله أخبر أن هؤلاء الكفار ادعوا أن قلوبهم ممنوعة من القبول وذهبوا إلى أن الله منعهم من ذلك فقال الله تعالى رَدًّا عليهم **بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ** أي أنهم لما كفروا منعهم الله من الأنطاف والفوائد ما يؤتية المؤمنين ثواباً على إيمانهم وترغيباً لهم في طاعتهم وزجر الكافرين عن كفرهم لأن من سَوَّى بَيْنَ الْمُطِيعِ وَالْعَاصِي لَهُ فَقَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِمَا وَفِي الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى الْمَجْبَرَةِ أَيْضاً لِأَنَّهُمْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْيَهُودُ إِنْتَهَى مَوْضِعَ الْحَاجَةِ مِنْ كَلَامِهِ.

أقول لما كانت الآية بظاهرها تدل على الجبر لأن قولهم قُلُوبُنَا غُلْفٌ، أي أجنحتها مغطاة بأغطية مانعة من وصول أثر الدعوة إليها ومن المعلوم أنهم لم

يجعلوا قلوبهم كذلك بل الله تعالى خلق القلوب كذلك وإذا كان الأمر على هذا المنوال فليس الإنسان مقصراً في عدم قبوله الحق.

والجواب عنه من وجهين:

**أحدهما:** أننا نسلّم أن الله تعالى خلق قلوبهم كذلك بل الغُلف فيها كانت بسبب أعمالهم الشنيعة لأن المعصية تُوجب القساوة في القلب كما وردت به الأخبار.

**ثانيهما:** أن الله تعالى لعنهم أي طردهم عن الحق بسبب كفرهم ثم استولى الشيطان عليهم وأوقعهم في موارد الهلكة ولذلك أتى في الآية بكلمة، بل، التي تفيد الإستدراك أي ليس الأمر كما ظنوا من أن الله خلقهم كذلك بل العلة في كون قلوبهم غُلفاً هو أنه تعالى أبعدهم عن رحمته لكفرهم وعصيانهم و لازم ذلك عدم صلاحية القلب لدعوة الحق وسيأتي فيه زيادة تحقيق في موضعه إنشاء الله تعالى.

و أما قوله تعالى: **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ** فالمراد بالكتاب الإنجيل الذي أتى به عيسى ابن مريم وكان مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ، يعني التّوراة وهم أنكروه وأنكروا عيسى أيضاً.

وقيل المراد بالكتاب القرآن وهو مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ من التّوراة والإنجيل والأخبار التي فيهما و أما قوله تعالى: **وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا** أي كانوا يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه فلما بعث الله في العرب فقال لهم معاذ بن جبل وبشير ابن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل الشّرك وتخبرونا بأنه مبعوث فقال سلام بن مثكم ما جاء بشي وما هو بالذي كنّا نذكر لكم فأنزل الله ذلك.

و قال قوم يستفتحون معناه يستحكمون ربهم على كفّار العرب كما قال

الشاعر:

ألا أببلغ بني عصم رُسولاً فأنسي عن فتاحتكم غني  
أي عن محاكتكم وقال قوم معناه يستعلمون من علمائهم صفة نبي يبعث  
من العرب وكانوا يصفونه فلما بُعث أنكروه.

أن قلت تدل الآية على أنهم كانوا عارفين بنبوته ﷺ لما رأوا من  
أوصافه في التوراة فكيف أنكروه كفرهم بالرسول بعد بعثه لا يخلو من وجوه  
ثلاثة.

**أحدها:** أنهم كانوا يظنون أن المبعوث يكون من بني إسرائيل لكثرة من جاء  
من الأنبياء منهم وكانوا يرغبون الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله  
تعالى محمداً ﷺ من العرب من نسل إسماعيل أعظم ذلك عليهم فأظهروا  
التكذيب وخالفوا طريقهم الأول.

**ثانيها:** أنهم كانوا معترفين بنبوته واقعاً عند أنفسهم إلا أنهم لم يظهروا به  
خوفاً منهم على زوال رئاستهم وأموالهم فأبوا واصرّوا على الإنكار.

**ثالثها:** لعلمهم ظنوا أنه مبعوث إلى العرب خاصة فلا جرم كفّروا به وفي  
قوله تعالى: **كَفَرُوا بِهِ** دليل على أن الكفر لا يختص بالجهل بالله تعالى و  
إنكاره فقط وأما قوله: **فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ** فالمراد الإبعاد من خيرات  
الآخرة لأن المبعد من خيرات الدنيا لا يكون ملعوناً وأيضاً فيه إشارة بأن لعن  
من يستحق اللعن من القول الحسن فلا يُنافي لعنهم في الآية قوله تعالى: **وَ  
قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**.

وأما قوله تعالى: **يُشَسِّمُ أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا**  
ففيه إشارة إلى أن الكفر بما أنزل الله يتصوّر على قسمين.

**الأول:** أن يكون منشأ الكفر هو الجهل البسيط.

**الثاني:** أن يكون منشأ العمد بمعنى أنه يعلم أو يقدر على أن يعلم وهو  
مع ذلك أنكر الحق بداعٍ من الدواعي من حب الجاه والمال وأمثالهما.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فليس فيه كثير ذمّ نعم يجب عليه تحصيل العلم وهو أمر آخر.  
 أَمَّا الثَّانِي: فهو مذموم عقلاً وشرعاً و عرفاً وهذا هو الَّذِي أُشير في الآية  
 اليه فقال: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَأَنَّ الْإِشْتِرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ بِالْثَّمَنِ  
 وَالْمَثْمَنِ وَالْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي وَ حَيْثُ أَنَّ الْيَهُودَ كَانَ إِنْكَارُهُمْ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ  
 وَنَجَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْدَّلِيلُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُ: بَغِيًّا أَيِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِالرَّسُولِ  
 بِسَبَبِ الْبَغْيِ الْمَوْجُودِ فِيهِمُ الدَّالُّ عَلَى كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ بَاغِينَ مُعَانِدِينَ، قَالَ  
 بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ فِي مَعْنَى الشِّرَاءِ فِي الْآيَةِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بِمَعْنَى الْبَيْعِ وَبَيَانُهُ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا مَكَنَ الْمَكْلَفُ مِنَ الْإِيمَانِ  
 الَّذِي يَفْضِي بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْكَفَرُ الَّذِي يُؤْذِي بِهِ إِلَى النَّارِ إِخْتِيَارُهُ لِأَحَدِهِمَا  
 عَلَى الْأَخْرِ بِمَنْزِلَةِ إِخْتِيَارِ تَمَلُّكَ سَلْعَةٍ عَلَى سَلْعَةٍ فَإِذَا إِخْتَارَ الْإِيمَانُ الَّذِي فُوزُهُ  
 فِيهِ وَنَجَاتُهُ بِهِ قِيلَ نِعَمَ مَا اشْتَرَيْ وَ لَمَّا كَانَ الْغَرَضُ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ هُوَ إِبْدَالُ  
 مُلْكٍ بِمُلْكٍ صَلَحَ أَنْ يُوصَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِأَنَّهُ بَائِعٌ وَمُشْتَرٍ لَوْ قَوَّعَ هَذَا  
 الْمَعْنَى مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَصَحَّ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ  
 أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّ الْمُرَادَ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ بِكَفَرِهِمْ لِأَنَّ الَّذِي حَصَلَوهُ عَلَى مَنَافِعِ  
 أَنْفُسِهِمْ لَمَّا كَانَ هُوَ الْكَفَرُ صَارُوا بِائِعِينَ أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ الْوَجْهِ الثَّانِي أَنَّ الْمَكْلَفَ  
 إِذَا كَانَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ يَأْتِي بِأَعْمَالٍ يَظُنُّ أَنَّهَا تَخْلُصُهُ مِنْ  
 الْعِقَابِ وَتُوصِلُهُ إِلَى الثَّوَابِ فَقَدْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ اشْتَرَوْا أَنْفُسَهُمْ بِهَا فَذَمَّهُمُ اللَّهُ  
 تَعَالَى وَ قَالَ: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَّ تَفْسِيرَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ  
 أَنْفُسَهُمْ بِقَوْلِهِ: أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا شَبَهَةَ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ كُفَرِهِمْ  
 بِالْقُرْآنِ لِأَنَّ الْخَطَابَ لِلْيَهُودِ وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ بغيره ثُمَّ بَيَّنَّ الْوَجْهَ الَّذِي لِأَجْلِهِ  
 إِخْتَارُوا هَذَا الْكَفَرُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: بَغِيًّا وَأشار بذلك إلى غرضهم  
 بِالْكَفَرِ كَمَا يَقَالُ يُعَادِي فَلَانِ فَلَانًا حَسَدًا تَنْبِيهًا بِذَلِكَ عَلَى غَرَضِهِ وَلَوْلَا هَذَا  
 الْقَوْلُ لَجَوَّزْنَا أَنْ يَكْفُرُوا جَهْلًا لَا بَغِيًّا إِنَّتْهِ.

وقوله: **أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنْ** منشأ البغي فيهم هو الحسد لا شيء آخر وفي قوله تعالى: **فَبَاؤُوا بْغَضٍ عَلَى غَضٍ** يمكن أن يكون المراد من الغضب الأول ما وجد من تكذيبهم عيسى ابن مريم ومن الثاني من تكذيبهم محمد ﷺ فصار ذلك دخولاً في غضب بعد غضب وبسخط بعد سخط من قبله تعالى لأجل أنهم دخلوا في سبب بعد سبب، ويحتمل أن يكون المراد به تأكيد الغضب وتكثيره لأجل أن هذا الكفر وإن كان واحداً إلا أنه عظيم وهو قول أبي مسلم وثالث الأقوال أن غَضَبَ الأول بعبادتهم العجل والثاني بكتمانهم صفة محمد ﷺ و جحدهم بنبوته ورابعها ليس المراد إثبات غضبين فقط بل المراد إثبات أنواع من الغضب مترادفة لأجل أمور مترادفة صدرت عنهم نحو قولهم عزيز إن الله، يد الله مغلولة أن الله فقير ونحن أغنياء، إنكارهم صفة محمد في التوراة ونبوته وغير ذلك من الأمور، وخامسها أن الغضب الأول حين غيروا التوراة قبل مبعث النبي والغضب الثاني حين كفروا بمحمد ﷺ.

وأما قوله: **وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ** معناه للجاحدين بنبوته محمد ﷺ عذاب مهين من الله أما في الدنيا وأما في الآخرة والمهين هو الذي يذل صاحبه ويخزيه ويلبسه الهوان وقيل المهين الذي لا ينتقل منه إلى إعزاز وإكرام وقد يكون غير مهين إذا كان تمحيصاً وتكفيراً ينتقل بعده إلى إعزاز وتعظيم فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار إلى الجنة لا يكون عذابه مهيناً ثم أن الغضب عبارة عن التغير الذي يعرض للإنسان في مزاجه عند غليان دم قلبه بسبب مشاهدة أمر مكروه وذلك محال في حق الله تعالى فهو محمول في المقام وأمثاله على إرادته لمن عصاه الإضرار به من جهة اللعن والأمر بذلك هذا تمام الكلام في تفسير الآية وهو أعلم بكلامه ومفاده.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اٰمِنُوْا بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوْا اَنْتُمْ بِمَا  
اَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُوْنَ بِمَا وَّرَاۤءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا  
لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُوْنَ اَنْبِيَآءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ اِنْ كُنْتُمْ  
مُّؤْمِنِيْنَ (٩١) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُّوسٰى بِالْبَيِّنٰتِ ثُمَّ  
اَتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْۢ بَعْدِهٖ وَاَنْتُمْ ظٰلِمُوْنَ (٩٢)

### ◀ اللغة

الْحَقُّ: مقابل للباطل، وهو القول المطابق للواقع وباقي اللغات قد مرّ الكلام فيه غير مرّة.

### ◀ الإعراب

يَكْفُرُونَ أي وهم يكفرون والجُملة حال والعامل فيها قالوا بِمَا وَّرَاۤءَهُ الضمير تعود الى ما والهمزة في وراء بدلٌ من ياء لأن ما فاده واو لا يكون لامه، واو ويدل على أنه ياء ما في تَوَارَيْتُ.

وقال ابن جني هي عندنا همزة لقولهم ورئيّة بالهمز في التصغير وهو الْحَقُّ جملة في موضع الحق والعامل فيها يكفرون مُصَدِّقًا، حال مؤكدة والعامل فيها ما في الحق من معنى الفعل إذا المعنى وهو ثابت مُصَدِّقًا فَلَمَّ ما هنا إستفهام وحذفت ألفها مع حَرَفِ الْجَزْرِ للفرق بين الإستفهامية والخبريّة ومثله فيم أنت، وَعَمَّ يتساءلون ومم خلق اِنْ كُنْتُمْ جوابها محذوف دل عليه ما تقدّم بِالْبَيِّنَاتِ يجوز أن يكون في موضع الحال من موسى ويجوز أن يكون مفعولاً به أي بسبب إقامة البينات وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ مُبْتَدَأٌ وخبر والجُملة في موضع الحال أي والحال أنتم ظالمون.

## ◀ التفسير

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ عَنِ الْيَهُودِ الَّذِينَ تَقْدَمُ ذَكَرَهُمْ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ آمَنُوا بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي جَاءَ بِهَا قَالُوا أَنْتُمْ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا عَنِ التَّوْرَةِ وَيَكْفُرُونَ الْيَهُودَ، بِمَا وَرَأَاهُ أَيِ يَجِدُونَ بِمَا بَعْدَهُ وَهُوَ الْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ أَوْ بِمَا سِوَى التَّوْرَةِ مِنَ الْكُتُبِ الْمَنْزُولَةِ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ يَعْنِي أَنَّ الْقُرْآنَ وَالْإِنْجِيلَ حَقٌّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْرَةِ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أَيِ قُلْ لَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي إِدْعَائِكُمْ الْإِيمَانَ بِالتَّوْرَةِ، فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى قَتْلَهُمْ وَقَتْلَ غَيْرِهِمْ فِيهَا وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ، ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إِلَهًا وَمَعْبُودًا لَكُمْ، مِنْ بَعْدِهِ أَيِ مِنْ بَعْدِ مُوسَى لَمَّا فَارَقَكُمْ وَمَضَى إِلَى مِيقَاتِ رَبِّهِ، وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ أَيِ وَالْحَالُ أَنْتُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ إِلَهًا فَيَعْلَمُ مِنْكُمْ أَنْكُمْ لَسْتُمْ بِصَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ الْإِيمَانَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ.

إِعْلَمُ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ لَفْظَةَ، مَا، تَفِيدُ الْعُمُومَ أَوْ لَا تَفِيدُ، فَالْقَائِلُونَ بِإِفَادَتِهَا الْعُمُومَ اسْتَدَلُّوا عَلَى الْمُدْعَى بِهَذِهِ الْآيَةِ قَالُوا لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَمْ يَعْينِ الْمَرَادَ بِهِ هَلْ هُوَ الْإِنْجِيلُ أَوْ الْقُرْآنُ إِنْكَالًا عَلَى لَفْظَةِ، مَا، وَحَيْثُ لَمْ يَدُلْ دَلِيلٌ عَلَى إِرَادَةِ أَحَدِهِمَا فَلَفْظَةُ، مَا، تَشْمَلُ جَمِيعَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا نَعْنِي بِالْعُمُومِ إِلَّا هَذَا وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِالْإِيمَانِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَلَمَّا لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْجَمِيعِ صَارُوا مُسْتَحْقِينَ لِلذَّنْبِ وَالتَّوْبِيخِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا قَالُوا أَنْتُمْ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا يَعْنِي التَّوْرَةَ فَقَطْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَأَاهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِمَا وَرَاءَ التَّوْرَةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ

والقرآن، فقال تعالى ردّاً عليهم ايمانهم بالتّوراة قُل: فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بالتّوراة فقد ثبت كذبهم في إدعائهم الإيمان بها وفي الآية إشعار بأنّ الإيمان الواقعي لا يتحقّق إلا بقبول جميع الشرائع والكتب السماوية وتصديق جميع الأنبياء والمرسلين وهو كذلك والدليل عليه أنّ الأنبياء كلّهم سفراء الله الّى خلقه لا فرق بينهم من هذه الجهة وأن كان بعضهم أفضل من بعض وهو أمرٌ آخر، وإذا كان كذلك فإنكار أحدهم بمنزلة إنكار الجميع والدليل على ما ذكرناه من كلام الله هو قوله في أوائل البقرة: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَقوله: لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ.

وسياتي تفصيل البحث فيه في موضعه ولجل ذلك ذمّ اليهود بما قالوا من الإيمان بالتّوراة والكفر بما وراه وفي قوله: مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ إشارة إلى أنّ التّوراة كانت مُشتملة على الأخبار عن نبوته ﷺ والآل لم يكن القرآن مُصَدِّقًا لها بل كان مكذّباً لها وإذا كانت التّوراة مشتملة على نبوته وهُم قد اعترفوا بوجوب الإيمان بها لزمهم من هذه الجهة وجوب الإيمان بالقرآن ونبوته ﷺ وحيث لم يؤمنوا به فهم كاذبون في دعواهم وهو المطلوب.

أن قلت قوله تعالى: فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ يَذَلّ على أنّ اليهود حين الخطاب كانوا كذلك قضاءً لحق المضارع الدّال على الحال والاستقبال ومن المعلوم أنّ قتل الأنبياء كان في أسلافهم وآبائهم فحقّ العبارة أن يقال فَلِمَ قتلتم أنبياء الله.

قلت أمّا أولاً فقد إرتفع الإشكال بقوله: من قبلُ و ثانياً يجوز أن يأتي الماضي بمعنى المضارع وبالعكس قال الشاعر:

شَهِدَ الحَطيئةَ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ      أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقَّ بِالْعُذْرِ

فقوله شَهِدَ بمعنى يشهد ويمكن أن يقال في الجواب أنّ الإتيان بالمضارع



الدّال على الحال و الإستقبال للإشعار بأنّ المخاطبين بالأية لو كانوا قادرين على قتل النبي لقتلوه فالمعنى أنكم تقتلون أنبياء الله في الحال أيضاً لو قدرتم عليه كما كان أسلافكم كذلك من قبل أو يقال أنكم يا معشر اليهود ترضون بما فعل أسلافكم من قتلهم الأنبياء فأنتم أيضاً من قتلتم كأسلافكم لأن من رضى من فعل قوم فهو منهم.

وأما قوله تعالى: وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ أي أن كنتم صادقين في إدعائكم الإيمان بالتّوراة و رسولكم موسى ابن عمران فأنه قد جاءكم بالبيّنات، وهي العصا، والسّنون واليد و الدّم، والطّوفان، والجراد، والقمل، والضّفادع، وفلق البحر، وقيل المراد بالبيّنات التّوراة و ما فيها من الدّلالات ثمّ إنّخذتم العجل، كما مرّ شرحه وأنتم ظالمون على أنفسكم والحاصل أنكم لو كنتم صادقين في دعواكم فلم فعلتم ما فعلتم وفي الإتيان بشمّ دون الواو دلالة على أنّ ثمّ أبلغ في التّفريع من الواو أي أنكم بعد النّظر في الآيات والإتيان بها إنّخذتم ما إنّخذتم وهذا يدلّ على أنّهم أنما فعلوا ذلك بعد مهلة من النّظر في الآيات و ذلك أعظم لجرمهم اعظم ذنباً لهم.



وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا طَوْراً خُذُوا مَا  
 آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا  
 وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يَكْفُرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا  
 يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)

### ◀ اللغة

قد مرّ شرح الميثاق والطور والقوة وباقي اللغات واضح.

### ◀ الإعراب

فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ أَي حُبِّ الْعِجْلِ فَحُذِفَ الْمُضَافُ بِكَفْرِهِمْ أَي بِسَبَبِ  
 كُفْرِهِمْ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الْمَحْذُوفِ وَأُشْرِبُوا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ  
 وَالْعَامِلِ فِيهَا قَالُوا قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ فَهُوَ جَوَابُ قَوْلِهِمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا.

### ◀ التفسير

قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ إِلَى قَوْلِهِ: بِقُوَّةٍ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِيهِ فِي  
 تَفْسِيرِ آيَةِ (٦٣).

وَأَمَّا قَوْلُهُ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا فَقَوْلُهُ اسْمَعُوا أَي أَطِيعُوا  
 وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ بِإِدْرَاكِ الْقَوْلِ فَقَطْ وَأَمَّا الْمُرَادُ أَعْمَلُوا بِمَا سَمِعْتُمْ وَأَتَزَيَّمُوهُ وَ  
 مِنْهُ قَوْلُهُمْ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، أَي قَبِلَ وَأَجَابَ قَالَ الشَّاعِرُ:  
 دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خَفْتُ أَلَّا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ  
 أَي يَقْبَلُ وَقَالَ الْآخَرُ:

وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالتَّسْلِيمُ خَيْرٌ وَأَعْفَى لِبَنِي تَمِيمٍ  
 وَأَمَّا قَوْلُهُ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا فَفِيهِ قَوْلَانِ:

أحدھما: أنھم قالوا هذا القول في الحقيقة إستھزاء أي سمعنا قولك و عَصِينَا أَمْرَكَ.

ثانيھا: أنھم لم يقولوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا باللفظ و أنما فعلوا فعلاً قام مقام القول فيكون مجازاً كقول الشاعر:

إمْتَلِي الحوض وقال قطنی مهلاً رويداً قد ملأت بطني  
و الضمير في قالوا يرجع الى اليهود الذين كانوا في زمن النَّبِيِّ ﷺ وقيل  
الى اليهود الذين كانوا في عصر موسى اذ ردّوا عليه قوله وقابلوه بالعصيان و  
قوله وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ففيه إلتفات عن لفظ الخطاب الى الغيبة و  
هو من محسنات علم البلاغة و أنما قلنا ذلك لأنّ الضمير في أَشْرَبُوا يرجع  
الى اليهود في عصر موسى قطعاً لأنّهم كانوا بهذه الصّفة يعني دَخَلَ قُلُوبِهِمْ  
حَبَّ الْعِجْلِ بالشرب وأنما عبّر عن حَبِّ الْعِجْلِ دون الأكل لأنّ شرب الماء  
يتغلغل في الأعضاء حتّى يصل الى بواطنها والطعام يجاور الأعضاء ولا  
يتغلغل فيها قال الشاعر:

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزنٌ ولم يبلغ سُرورُ  
قال المفسرون ليس المعنى في قوله تعالى: وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ  
أنّ غيرهم فعل ذلك لهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقول القائل، أنسيْتُ ذلك،  
يقال أوتي فلان علماً جمّاً، وأن كان هو المكتسب له قاله الطبرسي في المجمع  
وبه قال القرطبي عن السّدي وابن جريح أنّ موسى برد العجل و ذراه في الماء  
وقال لبني إسرائيل أشربوا ذلك الماء فشرب جميعهم فَمَنْ كان يُحِبُّ الْعِجْلَ  
خَرَجَتْ برادة الذهب على شفّتيه وروي أنّه ما شربه أحدٌ إلّا جُنَّ ثم قال أما  
تذرّيته في البحر فقد دلّ عليه قوله تعالى ثُمَّ لِنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا، وأما شرب  
الماء ظهور البرادة على الشّفاة فيردّه قوله تعالى: وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ  
الْعِجْلَ أَنْتَهَى

قلت يظهر من كلامه أنه لم يقبل قول السدي وابن جريح لعدم دليل يدل عليه وهو حق وقال الشيخ في التبيان بعد نقله ما نقله القرطبي عن السدي ما لفظه والأول عليه أكثر محصلي المفسرين وهو الصحيح لأن الماء لا يقال فيه أشرب منه فلان في قلبه وأما يقال ذلك في حب الشيء على ما بيناه ولكن يترك ذكر الحب إكتفاءً بفهم السامع لمعنى الكلام اذ كان معلوماً أن العجل لا يشربه القلب وأن الذي أشرب منه حبه كما قال وأسأل القرية وأما أراد أهلها انتهى موضع الحاجة من كلامه.

أقول ما ذكره لا بأس به وأن كان خلاف ظاهر اللفظ ومن المحتمل أن يكون المراد أن إبليس والسامري وشياطين الإنس والجن زينوا عبادة العجل لأنفسهم ودعوهم إليها فعبر الله تعالى عن هذا بقوله: **وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ** على سبيل الاستعارة.

وأما القائلون بالجبر فهم في فسحة عن هذا لأنهم اعتقدوا أن محدث كل الأشياء هو الله وعليه فهو الفاعل لا غير نعوذ بالله منه وأما قوله: **يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** له يمكن أن يكون المراد بنس ما يأمركم به إيمانكم بالتوراة لأنه ليس في التوراة عبادة العجل وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم كما في قوله تعالى في قصة شعيب **أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ**

أن قلت أن الإيمان عرض ولا يضح منه الأمر والنهي قلت الداعي إلى الفعل قد يشبه بالأمر كقوله تعالى: **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** (١) وحيث أن الإيمان أو الداعي لا يأمر به علق إيمانهم على الشرط فقال أن كنتم مؤمنين أي اذ ليس فليس.



قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ  
 دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾  
 وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
 بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾

### ◀ اللغة

الدَّارُ: المنزل إعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط ثم تُسمى البلدة داراً  
 والصَّعَقَ داراً والدُّنْيَا داراً والآخرة داراً.  
 الْمَوْتُ: ضدَّ الحياة.  
 أَيْدِيهِمْ: جمع يد.

### ◀ الإعراب

الدَّارُ إسم كان وفي الخبر ثلاثة أوجه:  
 أحدها: هو خالصةٌ و عند ظرف لها أو للإستقرار الذي في لكم و يجوز أن  
 تكون عتد حالاً من الدَّار.  
 الوجه الثَّاني: أن يكون خبر كان لكم و عند الله ظرف و خالصةٌ حال و  
 الفاعل كان أو الإستقرار.

الوجه الثَّالث: أن يكون عند الله، هو الخير و خالصةٌ حال والعامل فيها إمَّا  
 عند أو ما يتعلَّق به أبداً ظرفٍ بِمَا قَدَّمْتُمْ أي بسبب ما قدَّمت مفعول به و ما  
 بمعنى الذي أو نكرة موصوفة أو مصدرية وَاللَّهُ عَلِيمٌ مبتدأ وخبر والجملة في  
 موضع حال.

## التفسير

هذانوع آخر من قبائح اليهود وهو إدعائهم أنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ خالصةٌ لهم من دُونِ النَّاسِ وذلك لما حكاه الله تعالى عنهم:

قال الله تعالى: **وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً** <sup>(٣)</sup>

و أيضاً أنهم كانوا مُعتقدين في أنفسهم أنهم هم المُحقِّون لإعتقادهم أنَّ النَّسخ غير جائز في دينهم وأنَّ سائر الفرق على الباطل وإعتقادهم أيضاً أنَّ إنتسابهم الى أكابر الأنبياء عليهم السَّلام أعني يعقوب وإسحاق وإبراهيم يخلصهم من عقاب الله و يوصلهم الى ثوابه فلهذه الأمور وأمثالها كانوا يفتخرون على العرب و يصرفون النَّاس بسبب هذه الشَّبه عن إتباع مُحَمَّد ﷺ ثمَّ أنَّ الله تعالى إحتج على فساد قولهم و عقائدهم بقوله قُلْ يامُحَمَّدُ لَهُمْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ كَمَا تَدَّعُونَ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ أَي لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا حِظٌّ وَ لَا مَقَامٌ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ وَلَكِنْ يَتَمَنَّوْهُ أَي لَنْ يَتَمَنَّى الْيَهُودُ الْمَوْتَ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ أَي بِسَبَبِ مَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَا يَجْهَلُ بِحَالِهِمْ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ نِيَاتِهِمْ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا فَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

إِعلم أنَّ الله تعالى إحتج على اليهود بقوله: **قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.**

أَنْ قَلْتُ أَيَّ مَلَازِمَةٍ بَيْنَ إِدْعَائِهِمْ وَبَيْنَ التَّمَنِّيِ لِلْمَوْتِ قُلْتُ الْمَلَازِمَةُ ثَابِتَةٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ نَعَمَ الدُّنْيَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى نَعَمِ الْآخِرَةِ قَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ ثُمَّ أَنَّهَا عَلَى قَلَّتِهَا وَحَقَارَتِهَا كَانَتْ مُتَغَصَّةً عَلَيْهِمْ بَعْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَمَنَارَعَتِهِ مَعَهُمْ بِالْجِدَالِ وَ الْقِتَالِ مُضَافًا إِلَى أَنَّهَا لَا تَخْلُو عَنْ الْأَفَاتِ وَ الْهَمُومِ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَ يَالْغَدْرَ مَعْرُوفَةٌ وَ أَمَّا الْآخِرَةُ وَ نِعْمَهَا بَرِيئَةٌ عَنْ هَذِهِ الْأَفَاتِ وَ الْأَلَامِ وَ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ دَائِرَةٌ وَ الْآخِرَةُ بَاقِيَةٌ لَا فَنَاءَ لَهَا وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعَاقِلَ يَطْلُبُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَبْقَى فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْآخِرَةَ خَالِصَةٌ لَهُ فَكَيْفَ لَا يَطْلُبُهَا وَ لَا يَتَمَنَّاها بَلْ يَهْرَبُ مِنْهَا وَ حَيْثُ أَنَّ الْيَهُودَ لَا يَطْلُبُ الْمَوْتَ نَسْتَكْشِفُ مِنْهُ كَذِبَهُمْ وَ هُوَ الْمَطْلُوبُ أَلَا تَرَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

وَاللَّهِ لَا بِنَ أَبِي طَالِبٍ أَنْسَ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ

وَ قَدْ رَوَى أَنَّهُ كَانَ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفِّينِ بِصَفِّينَ فِي غِلَالَةٍ فَلَمَّا قَالَ لَهُ ابْنُهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا هَذَا ذِي الْحَرْبِ قَالَ لَهُ يَا بَنِيَّ أَنْ أَبَاكَ لَا يُبَالِي وَقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ وَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بِصَفِّينَ الْآنَ... الْأَحَبَّةَ مُحَمَّدًا وَ حَزْبَهُ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَكُنْ يَتِمَّنُوهُ أَبَدًا دَلِيلٌ عَلَى كَذِبِ الْيَهُودِ فِي إِدْعَائِهِمْ لِأَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ وَ ذَلِكَ لِمَا فَعَلُوا مِنَ الْمَعَاصِي وَ الْقَبَائِحِ وَ تَكْذِيبِ الْكِتَابِ وَ الرَّسُولِ أَوْ بِمَا كَتَمُوا مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسُوقُهُمْ إِلَى النَّارِ وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَ أَنَّ كَانَ عَلِيمًا بِغَيْرِهِمْ أَيْضًا إِشَارَةً إِلَى الرَّجَرِ وَ التَّهْدِيدِ.

وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي مَنَعَتْهُمْ عَنْ تَمَنِّيِ الْمَوْتِ وَ بِمَا أَضْمَرُوهُ وَ أَسْرَوْهُ مِنْ كَتْمَانِ الْحَقِّ عَنَادًا مَعَ عِلْمِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ مَبْطُلُونَ.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: لو أن اليهود تَمَنَّوا الموت لماتوا و  
لَرَأَوْا مقاعدهم من النَّار ولذلك قال الله تعالى أَنَّهُمْ وَلَكِنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا  
تحقيقاً لكذبهم وفي ذلك دلالة على صدق نبينا ﷺ وصحة  
نبوته لأنه أخبر بالشئ قبل وجوده فكان كما أخبر.





وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِمَّنَ الَّذِينَ  
 أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ  
 بِمُزَحِّزٍ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا  
 يَعْمَلُونَ (٩٦) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ  
 عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى  
 وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ  
 وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)

### ◀ اللغة

أَحْرَصَ النَّاسِ: الحرص فرط الشَّره وفرط الإرادة وأصل ذلك من حرص  
 القصار الثوب أي قشره بدقة.  
 يَوَدُّ: الود محبة الشيء وتمنى كونه.  
 لَوْ يُعَمَّرُ: العمر إسم لمدّة عمارة البدن بالحياة فهو دون البقاء.  
 بِمُزَحِّزٍ بِهِ: زَحَزَحَ بِزُحْزُوحٍ الزَّحْزَحَةُ والزَّحْزَاحُ الإزالة قال الله تعالى: فَفَنُ  
 زُحْزِخَ عَنِ النَّارِ<sup>(١)</sup> أي أزيل عن مقره فيها.  
 عَلَى قَلْبِكَ: قلب الشيء تصريفه وصرف عن وجهه الى وجهه كقلب الثوب و  
 قلب الإنسان أي صرفه عن طريقته والإنقلاب والإنصراف.  
 بُشْرَى: يقال أبشرتُ الرجل وبشّرت وبشّرت، أخبرته بسارٍ بسط بشرة وجهه.

### ◀ الإعراب

وَلَتَجِدَنَّهُمْ هي المتعدية الى مفعولين أَحْرَصَ مفعوله الثاني عَلَى متعلقة  
 بأَحْرَصَ وَمِمَّنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا معطوفة على النَّاسِ في المعنى والتقدير أَحْرَصَ

مِنَ النَّاسِ أَى الَّذِينَ فِي زَمَانِهِمْ وَأَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَعْنِي بِهِ الْمَجُوسَ  
يُودُ فِيهِ وَجِهَان:

أحدهما: أَنَّهُ حَالُ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا.

الثَّانِي: أَن يَكُونَ حَالاً مِنَ الْهَاءِ وَالْمِيمِ فِي وَلِتَجِدَنَّهُم وَالْوَجْهَ الثَّانِي مِنْ  
وَجْهِي مِنَ الَّذِينَ أَن يَكُونَ مُسْتَأْنَفاً لَوْ يُعَمَّرُ لَوْ هُنَا بِمَعْنَى أَن النَّاصِبَةَ لِلْفِعْلِ  
وَلَكِنْ لَا تَنْصِبُ يُعَمَّرُ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ وَقَدْ أُقِيمَ مَقَامَ الْفَاعِلِ الْكُفْرُ  
سَنَةِ ظَرْفٍ وَمَا هُوَ بِمَرْحُوزٍ فِي هُوَ وَجِهَان:

أحدهما: أَحَدُ بِمَرْحُوزٍ خَبَرٌ مَا وَمِنَ الْعَذَابِ مُتَعَلِّقٌ بِمَرْحُوزِهِ وَأَن يَعْمُرَ  
فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ بِمَرْحُوزِهِ وَالْوَجْهَ الْآخَرَ أَن يَكُونَ هُوَ ضَمِيرُ التَّعْمِيرِ وَقَدْ يَدُلُّ  
عَلَيْهِ قَوْلُهُ لَوْ يُعْمَرُ وَقَوْلُهُ أَن يُعْمَرُ بَدَلٌ مِنْ هُوَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ مَنْ  
شَرْطِيَّةٌ وَجَوَابُهَا مُحَذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ فَلَيْمَتْ غِيظاً أَوْ نَحْوَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ فِي مَوْضِعِ  
الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ فِي نَزَلَ وَهُوَ ضَمِيرُ جِبْرِيلَ مُصَدِّقاً حَالِ مِنَ الْهَاءِ فِي  
نَزَلَهُ وَكَذَلِكَ وَهَدَى وَبَشَّرَى أَيْ هَادِياً وَمُبَشِّراً.

### التفسير

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهَ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ فَقَالَ وَلِتَجِدَنَّهُمْ أَيْ لَتَجِدَنَّ يَامُحَمَّدُ الْيَهُودَ  
أَحْرَصَ عَلَى حَيَاةٍ أَيْ أَنَّهُمْ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَقَاءِ فِيهَا أَحْرَصَ مِنْ سَائِرِ  
النَّاسِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْ أَنَّهُمْ أَحْرَصَ عَلَيْهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ  
الْمَجُوسُ وَمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ أَيْضاً، قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ الْكَلَامَ قَدْ تَمَّ  
عِنْدَ قَوْلِهِ عَلَى حَيَاةٍ، وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ تَقْدِيرُهُ وَمِنَ الَّذِينَ  
أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ فَحَذَفَ مِنْ وَمَا هُوَ بِمَرْحُوزٍ أَيْ وَ  
مَا أَحَدُهُمْ بِمَنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَا بِمُبْعِدِهِ مِنْهُ تَعْمِيرُهُ وَهُوَ أَن يَطُولَ لَهُ  
الْبَقَاءُ لِأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْفَنَاءِ وَاللَّهُ بِصَبْرٍ بِنَا يَعْمَلُونَ أَيْ أَنَّهُ تَعَالَى بِأَعْمَالِهِمْ

محيطٌ فلا يخفى عليه شيء من أقوالهم وأفعالهم ونياتهم قل يا محمد مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ وَهُوَ رُوحُ الْقُدُسِ فَأَنَّهُ أَيُّ فَأَنَّ جِبْرِيلَ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ لِأَنَّهُ أَمِينٌ وَحِيَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ أَيُّ أَنَّ جِبْرِيلَ مَأْذُونٌ مِنَ اللَّهِ وَمَأْمُورٌ مِنْهُ قَبْلَهُ فَمَا نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّمَا هُوَ بِإِذْنِ اللَّهِ الْإِذَا مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَيُّ مُوَافَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُصَدِّقًا لَهُ بِأَنَّهُ حَقٌّ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى لَا مَكْذَبَ لَهَا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَيُّ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَّلَهُ جِبْرِيلَ عَلَى قَلْبِكَ هَدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَيُّ يَهْدِيهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَيُبَشِّرُهُم بِالنَّعِيمِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّمَا خَصَّ الْهُدًى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ كَانُوا هُمُ الْمُهْتَدِينَ بِهِ لِقَابِلَتِهِمْ وَإِسْتِعْدَادَهُمْ وَأَنَّ كَانَ هَدًى لغيرهم أَيْضًا وَقَدْ مَرَّ الْبَحْثُ فِيهِ عِنْدَ قَوْلِهِ: هُدًى لِلْمُتَّقِينَ فِي أَوَّلِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ

قِيلَ أَنَّمَا أَعَادَ ذِكْرَهُمَا لِأَنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ جِبْرِيلَ عَدُوْنَا وَمِيكَائِيلَ وَلَيْنَا وَلِذَلِكَ خَصَّهِمَا اللَّهُ بِالذِّكْرِ لِفَضْلِهِمَا وَمَنْزِلَتِهِمَا لِثَلَا تَزْعُمُ الْيَهُودُ أَنََّّهُمَا مَخْصُوصَانِ مِنْ جَمَلَةِ الْمَلَائِكَةِ وَلَيْسَا بِدَاخِلِينَ فِيهِمْ فَخَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِمَا لِيَبْطُلَ مَا يَتَأَوَّلُونَهُ مِنَ التَّخْصِصِ ثُمَّ قَالَ فَأَنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ وَلَمْ يَقُلْ فَأَنَّهُ وَكَرَّرَ إِسْمَ اللَّهِ لثَلَا يَظُنُّ أَنَّ الْكِنَايَةَ رَاجِعَةً إِلَى جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ قَالَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ.

قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ مِنَ الْعَامَّةِ أَنَّ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ قُلُّ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرَائِيلَ فَأَنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ إِلَى قَوْلِهِ: عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قَدَّمَ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ نَوْمُكَ فَقَدْ أَخْبَرْنَا عَنْ نَوْمِ النَّبِيِّ الَّذِي يَجِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَقَالَ ﷺ: نَتَنَا عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي قَالَ صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ فَأَخْبَرَنِي عَنْ الْوَلَدِ أَمِنْ الرَّجُلِ يَكُونُ أُمٌّ مِنَ الْمَرْأَةِ فَقَالَ ﷺ: أُمَّا الْعِظَامُ

والعصب والعروق فَمَنْ الرّجُل وأَمَّا اللّحم والدّم والظّفَر والشّعَر  
فَمِنْ المرأة فقال صدقت فما بال الرّجُل يشبه أعمامه دون أخواله  
أو يشبه أخواله دون أعمامه فقال ﷺ: أَيُّهُمَا غَلَبَ ماءه ماء  
صاحبه كان الشبّه له قال صدقت ثمّ قال أخبرني أي الطّعام حَرَّم  
إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ وفي التّوراة أَنَّ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ يَخْبِرُ عَنْهُ  
فَقَالَ ﷺ: أَنُشَدُّكُمْ بِاللّهِ الَّذِي أَنزَلَ التّوراةَ عَلَى مُوسَى هَلْ تَعْلَمُونَ  
أَنَّ إِسْرَائِيلَ مَرَضَ مَرَضاً شَدِيداً فَقَالَ سَقَمُ فَنذَرَ لِلّهِ نَذراً لَأَنْ عَافَاهُ  
اللّهُ مِنْ سَقَمِهِ لِيَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَحَبَّ الطّعامِ وَالشَّرَابِ وَهُوَ لَحْمُ  
الْإِبِلِ وَأَلْبَانُهَا فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ لَهُ بَقِيتَ خَصْلَةٌ وَاحِدَةٌ أَنْ قَتَلْتَهَا آمَنْتُ  
بِكَ أَيُّ مَلِكٍ يَأْتِيكَ بِمَا تَقُولُ عَلَى اللَّهِ (عَنِ اللَّهِ) قَالَ ﷺ: جِبْرَائِيلُ قَالَ:  
أَنَّ ذَلِكَ عَدُوْنَا يَنْزِلُ بِالْقِتَالِ وَالشَّدَةِ وَرَسُولُنَا مِيكَائِيلُ يَأْتِي بِالْبَشَرِ  
وَالرَّخَاءِ فَلَوْ كَانَ هُوَ الَّذِي يَأْتِيكَ آمَنَّا بِكَ فَقَالَ عُمَرُ وَمَا مَبْدَأُ هَذِهِ  
الْعِدَاوَةِ فَقَالَ إِبْنُ صَوْرِيَا أَوَّلُ هَذِهِ الْعِدَاوَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنزَلَ عَلَى  
نَبِيِّنَا أَنَّ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ سَيُخْرَبُ فِي زَمَانٍ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ بَخْتُ نَصْرٍ وَ  
وَصَفَهُ لَنَا فَطَلَبْنَاهُ فَلَمَّا وَجَدْنَاهُ بَعَثْنَا لِقَتْلِهِ رَجُلًا أَفْرَفَعَ عَنْهُ جِبْرَائِيلُ  
وَقَالَ أَنْ سُلْطَمَكُمُ اللَّهُ عَلَى قَتْلِهِ فَهَذَا لَيْسَ هُوَ ذَاكَ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهَ عَنْهُ  
أَنَّهُ سَيُخْرَبُ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ فَلَا فَائِدَةَ فِي قَتْلِهِ ثُمَّ أَنَّهُ كَبِرَ وَقَوِيَ وَمَلَكَ  
وَغَزَانَا وَخَرَبَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَقَتَلْنَا فَلِذَلِكَ نَحْنُ عَدُوُّوهُ وَأَمَّا  
مِيكَائِيلُ فَأَنَّهُ عَدُوُّ جِبْرَائِيلَ فَقَالَ عُمَرُ فَأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ كَانَ عَدُوًّا  
لَجِبْرَائِيلَ فَهُوَ عَدُوٌّ لِمِيكَائِيلَ وَهُمَا عَدُوَانِ لِمَنْ عَادَاهُمَا فَأَنْكَرُوا  
ذَلِكَ عَلَى عُمَرَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ انْتَهَى.

وقال: بعض آخر روي أَنَّهُ كَانَ لِعُمَرَ أَرْضٌ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَ مَمَرَهُ  
عَلَى مَدَارِسِ يَهُودٍ وَكَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَمِعُ كَلَامَهُمْ فَقَالُوا يَا

عُمَرُ قَدْ أَجْبَنَّاكَ وَ إِنَّا لَنَطْمَعُ فِيكَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَجْبَيْتُكُمْ لِحَبِّكُمْ وَلَا أَسْأَلُكُمْ لِأَنِّي شَاكٌ فِي دِينِي وَأَنْتُمْ أَدْخَلْتُمْ عَلَيَّكُمْ لِإِزْدَادِ بَصِيرَةٍ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَرَىٰ آثَارَهُ فِي كِتَابِكُمْ ثُمَّ سَأَلَهُمْ عَنْ جِبْرَائِيلَ فَقَالُوا ذَاكَ عَدُوُّنَا يَطْلُعُ مُحَمَّدًا عَلَىٰ أَسْرَارِنَا وَهُوَ صَاحِبُ كُلِّ خَسْفٍ وَ عَذَابٍ وَأَنَّ مِيكَائِيلَ يَجِيءُ بِالْخَصْبِ وَالسَّلَامِ فَقَالَ لَهُمْ وَمَا مَنَزَلَتُهُمَا مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَقْرَبُ مَنَزَلَةٍ جِبْرَائِيلَ عَنْ يَمِينِهِ وَ مِيكَائِيلَ عَنْ يَسَارِهِ وَ مِيكَائِيلَ عَدُوٌّ لِّجِبْرَائِيلَ فَقَالَ عُمَرُ لَنْ كَانَا كَمَا تَقُولُونَ فَمَا هُمَا تَعْدَوِيْنِ وَ لَأَنْتُمْ أَكْفَرُ مِنَ الْحَمِيرِ وَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِأَحَدِهِمَا كَانَ عَدُوًّا لِلْآخَرِ وَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لَهُمَا كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ ثُمَّ رَجَعَ عُمَرُ فَوَجَدَ جِبْرَائِيلَ قَدْ سَبَقَهُ بِالْوَحْيِ فَقَالَ النَّبِيُّ فَقَدْ وَافَقَكَ رَبُّكَ يَا عُمَرُ قَالَ عُمَرُ لَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي دِينِ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَصْلَبُ مِنَ الْحَجَرِ انْتَهَى تَفْسِيرُ الْفَخْرِ الرَّازِي.

وَأَنَا أَقُولُ مَا ذَكَرَهُ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهِهِ.

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي كِتَابِهِ سَنَدَ الرَّوَايَتَيْنِ وَأَنَّهُ مِنْ أَيْنَ نَقَلَهُمَا فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي نَقْلِهِ لَوْ جَبَّ عَلَيْهِ ذِكْرُ مَا أَخَذَ الْحَدِيثَيْنِ وَلَا سَيِّمَا الْأَوَّلَ مِنْهُمَا فَإِنَّا بَعْدَ الْفَحْصِ فِي كُتُبِ الْعَامَّةِ وَتَفَاسِيرِهِمْ قَبْلَ الرَّازِي لَمْ نَجِدْ شَيْئًا نَعْمَ بَعْضُ الْعَامَّةِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ نَقَلَ مَا نَقَلَهُ الرَّازِي وَأَنْتُمْ هُوَ أَخَذَهُ مِنْ كِتَابِهِ كَمَا ذَكَرَهُ النِّسَابُورِي فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ غَيْرِ فَحْصٍ فِي سَنَدِ الْحَدِيثِ.

ثَانِيَهُمَا: أَنَّ الطَّبْرِيَّ نَقَلَ الْحَدِيثَيْنِ بِخِلَافِ مَا نَقَلَهُ الرَّازِي فِي أَكْثَرِ عِبَارَاتِ الْحَدِيثِ وَقَدْ إِتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنَّ الطَّبْرِيَّ أَمَامَهُمْ فِي التَّفْسِيرِ وَكُلُّهُمْ أَخَذُوا مِنْهُ مِضَافًا إِلَىٰ أَنَّ الطَّبْرِيَّ كَانَ مُقَيَّدًا بِنَقْلِ الْأَحَادِيثِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ لِأَنَّ تَفْسِيرَهُ تَفْسِيرٌ بِالْمَأْثُورِ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنَ الرَّازِي وَأَمْثَالُهُ بَلْ مِنْ جَمِيعِ عُلَمَاءِ الْعَامَّةِ فِي هَذَا الْفَنِّ وَكَانَ زَمَانُهُ مُقَدِّمًا عَلَىٰ الرَّازِي بِقُرُونٍ كَثِيرَةٍ وَجَمِيعِ مُفَسِّرِي الْعَامَّةِ

كلّما نقلوه من الأحاديث في تفاسيرهم أخذوه من تفسيره ومع ذلك كلّ لم ينقل في تفسيره ما نقله الرّازي والإختلاف بين النّقلين كثير للطّبري<sup>(١)</sup>. وهكذا السيوطي في اله المنشور في التّفسير بالمأثور ذكر أخباراً كثيرة في تفسير الآية ولم ينقل ما نقله الرّازي بألفاظه وعباراته بل نقل ما هو قريب منه من بعض الجهات أنظر إلى ما ذكره السيوطي<sup>(٢)</sup>.

**قالها:** من أين ثبت للرّازي أنّه كان لعمر أرض بالمدينة ولم يثبت أحد غيره وأعجب من ذلك كلّ قوله في آخر الحديثين أنّ الله تعالى أنزل الأيتين بعد إنكار ابن صوريا على عمر في الأوّل وقول النّبي لعمر، فقد وافقك ربك يا عمر الخ في الحديث الثّاني فإنّ هذه المناقب ممّا يضحك به الثّكلى ولقد كان رسول الله ﷺ عالماً بهذا المجموعات قبل وجودها حيث قال من فسّر القرآن برأيه فليتبوا فقعه من النّار صدق رسول الله ﷺ ونذكر في الخاتمة ما ذكره بعض العلماء في جبرائيل وميكائيل لأنّه لا يخلو من فائدة أمّا جبرائيل فقد ذكروا فيه عشر لغات.

**الأوّل:** جبريل وهي لغة أهل الحجاز قال إحسان ابن ثابت وجبريل رسول الله فينا.

**الثّانية:** جبريل بفتح الجيم وهي قراءة الحّسن وابن كثير.

**الثّالثة:** جبرئيل بياء بعد الهمزة وهي قراءة أهل الكوفة كما قال شاعرهم. شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة مدئ الذّهر إلّا جبريل أمامها وهي لغة تميم وبئس.

**الرّابعة:** جبرئيل على وزن جبرعل مقصور وهي قراءة أبي بكر عن عاصم.

**الخامسة:** مثلها إلّا أنّه شدّد اللّام وهي قراءة يكن ابن عمر.

**السّادسة:** جبرائيل، بألف بعد الراء ثمّ همزة وبها قرأ عكرمة.

السابعة: مثلها إلا أن بعد الهمزة ياء.

الثامنة: جبريل بيائين نفي همزة وبها قرأ الأعمش.

التاسعة: جبرئيل بفتح الجيم مع همزة مكسورة بعدها ياء ونون.

العاشرة: جبرين بكسر الجيم وسكون الياء بنون من غير همزة.

وأما اللغات في ميكائيل فهي أيضاً كثيرة:

الأولى: ميكائيل، ياء بعد الهمزة قراءة حمزة.

الثانية: ميكايل، بيائين قراءة نافع.

الثالثة: ميكال لغة أهل الحجاز وهي قراءة أبي عمرو وحفص عن عاصم

قال كعب ابن مالك:

ويوم بدرٍ لقيناكم لنا مددٌ      فيه مع النصر ميكال وجبريلُ

وقال آخر:

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمدٍ      بجبرئيل وكذبوا ميكالاً

الرابع: ميكييل، مثل ميكييل وهي قراءة ابن محيص.

الخامسة: ميكايل.

السادسة: ميكايل بهمزة مفتوحة وهو إسم أعجمي لم ينصرف ونقل عن

ابن عباس أن جبر وميكا، وإسراف، هي كلها بالأعجمية بمعنى عبد و

مملوك وأيل إسم الله تعالى وقال الماوردي أن جبريل وميكائيل إسمان

أحدهما عبد الله، والآخر عبید الله وقال بعض المفسرين، وإسرافيل عبْدُ

الرَّحْمَنِ هكذا قالوا والله أعلم بحقائق الأمور.

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا  
الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ  
مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠)

### ◀ اللغة

نَبَذَهُ: النَّبَذَ إِلقاءَ الشَّيْءِ وطرحه لقلة الاعتناء به ولذلك يقال نَبَذْتُهُ نَبَذَ النَّقْلُ الخلق، وباقي اللغات قد مرّ تفسيرها مراراً مع وضوحها.

### ◀ الإعراب

أَوْ كَلَّمَا الواو للعطف والهمزة قبلها للإستفهام على معنى الإنكار عَهْدًا مصدر من غير لفظ الفعل المذكور ويجوز أن يكون مفعولاً به.

### ◀ التفسير

قال الله مخاطباً لنبيه وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ والمراد بها الآيات القرآنية الفاصلة بين الحقّ والباطل أو الأعمّ منها والمعجزات والكرامات وغيرها من الآيات التكوينية وَمَا يَكْفُرُ بِهَا أي بالآيات، إِلَّا الْفَاسِقُونَ قالوا أي الكافرون وأما سَمِيَ الكفر فسقاً لأنّ الفسق خروج من شيء إلى شيء واليهود خرجوا من دينهم بسبب تكذيبهم دين النبي وهو الإسلام وأتَمَّ لم يقل الكافرون وأن الكفر أعظم من الفسق لأنّ الفسق لا يكون إلّا أعظم الكبائر فإن كان في الكفر فهو أعظم الكفر وأن كان فيما دون الكفر فهو أعظم المعاصي والحاصل أنّ الفسق بمعناه العامّ يشمل الكافر أيضاً وقوله تعالى: أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا قيل المراد بالعهد ما أَخَذَهُ الأنبياء عليهم أي على اليهود أن يؤمنوا بالنبي الأمّي.



وقال عطاء، المراد أن اليهود كانت كذلك ألا ترى أن العهد التي كانت بين رسول الله وبين اليهود نقضوها كما في قصة قريظة والنضير حيث عاهدوا أن لا يُعينوا عليه أحد فنقضوا ذلك وأعانوا عليه قريشاً يوم الخندق ولذلك قال تعالى: تَبَذَّه قَرِيبٌ مِّنْهُمْ أَي نقضه جماعة منهم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَي أكثر اليهود أو أكثر المعاهدين لا يؤمنون واقعاً كما مرَّ والتعبير بالنَّبذ للدلالة على أن اليهود طرحوا عهودهم وألقوها وراء ظهورهم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً لأنَّ النَّبذ في الأصل الطَّرح والإلقاء كما قال أبو الأسود:

و خَبَرَنِي مِنْ كُنْتُ أَرْسَلْتُ أَنَّما أَخَذْتُ كِتَابِي مَعْرَضاً بَتَمَالَكَا  
نَظَرْتُ إِلَى عَنَوَانِهِ فَتَبَذَّته كَنَبَذْتَ نَعْلًا أَخْلَقْتَ مِنْ نَعَالِكَا  
وقال الشاعر:

أَنْ أَلْذِينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا نَبَذُوا كِتَابَكَ وَإِسْتَحَلُّوا الْمَحْرَمَا  
وهذا مثلُ يُضْرَبُ بِهِ لِمَنْ إِسْتَخَفَّ بِالشَّيْءِ فَلَا يَعْمَلُ بِهِ وَالْيَهُودُ كَانُوا كَذَلِكَ  
أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ.



وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ  
نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ  
ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُم لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)

### ◀ اللغة

ظُهُورِهِمْ: ظهور جمع ظهر و هو الجارحة والظهر هاهنا إستعارة تشبيهاً  
للذنوب بالحمل الذي ينوء بحامله و قد يستعار لظاهر الأرض أيضاً فيقال ظهر  
الأرض.

### ◀ الإعراب

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نعتٌ لِلرَّسُولِ ويجوز نصبه على الحال نَبَذَ فَرِيقٌ جواب  
لما كَتَابَ اللَّهُ نصب على أنه مفعول، نبذ والمراد به التوراة كَانْتَهُم هي وما  
علمت فيه في موضع الحال والعامل نبذ و صاحب الحال فريق.

### ◀ التفسير

وَلَمَّا جَاءَهُمْ أَي الْيَهُودَ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ المراد بالرَّسُولِ نَبِيًّا ﷺ  
الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ  
الْحَقِّ<sup>(١)</sup>.

و يحتمل أن يكون المراد مطلق الرسل ليشمل عيسى ومن قبله من أنبياء  
بنى إسرائيل الَّذِينَ جَاءَ وَابعد موسى فَأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَيْضاً مُصَدِّقٌ لِّمَا  
مَعَهُمْ أَيْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَهُوَ التَّوْرَةُ نَبَذَ أَي ألقى فَرِيقٌ أَي  
طائفة من اليهود مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَهُوَ التَّوْرَةُ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ

ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَي أَعْرَضُوا عَمَّا فِي التَّوْرَةِ مِنْ وَصْفِ النَّبِيِّ بَعْدَ مُوسَى كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَوْصَافِ قَالَ الشَّعْبِيُّ هُوَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَقْرَأُونَهُ وَلَكِنْ نَبَذُوا الْعَمَلَ بِهِ وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيْنِيَّةٍ أَدْرَجُوهُ فِي الْحَرِيرِ وَالذَّبَّاجِ وَحَلَّوْهُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَكِنْ لَمْ يَحْلَوْا حِلَالَهُ وَلَمْ يَحْرَمُوا حَرَامَهُ فَذَلِكَ النَّبَذُ وَقِيلَ لَمَّا جَاءَهُم الرَّسُولُ بِهَذَا الْكِتَابِ فَلَمْ يَقْبَلُوا وَصَارُوا نَابِذِينَ لِلْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَيْضاً الَّذِي فِيهِ الْبَشَارَةُ بِهِ وَنَقَلَ عَنِ السَّيِّدِيِّ أَنَّهُ قَالَ، أَنَّهُمْ نَبَذُوا التَّوْرَةَ وَاخْتَدَوْا بِكِتَابِ آصَفٍ وَسَحَرُهَا رُوتَ وَمَارُوتَ يَعْنِي أَنَّهُمْ تَرَكُوا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَمَحْصَلُ الْكَلَامِ أَنَّ الْيَهُودَ تَرَكُوا الْعَمَلَ بِكِتَابِهِمْ وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ.

وَأَنَا أَقُولُ الْمُسْلِمُونَ أَيْضاً كَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ صَارُوا نَابِذِينَ لِكِتَابِ أَعْنِي بِهِ الْقُرْآنَ بَعْدَ رَسُولِهِمْ طَابَقَ النَّعْلُ بِالنَّعْلِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ فِي حَيَاتِهِ إِلَى أَنْ وَصَلَ الْأَمْرَ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا فَأَنَا نَرَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا إِسْمُهُ وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا دَرَسُهُ يَحْرَمُونَ حِلَالَهُ وَيُحْلِلُونَ حَرَامَهُ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صَنْعاً وَاللَّهِ لِبِالْمِرْصَادِ.



وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا  
كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ  
السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ  
وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ  
فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ  
الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ  
اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا  
لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا  
شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)

### ◀ اللغة

الشَّيَاطِينُ: جمع شيطان والتون فيه أصلية وهو من شَطَنَ أي تَبَاعَدَ كما مرَّ.  
سُلَيْمَانُ: إسم نبي من أنبياء بني إسرائيل.  
السِّحْرُ: قال في المنجد سَحَرَهُ سِحْرًا خَدَعَهُ، عَمِلَ لَهُ السِّحْرُ إِسْتِحَالَةً  
وفتنه و سلب لَبَهُ ثُمَّ قَالَ سَحَرَهُ سِحْرًا أَصَابَ سِحْرًا أَي رَثَتْهُ فَالْمَصَابُ  
مَسْحُورٌ وَقَالَ أَيْضًا السِّحْرُ بِكسر السَّيْنِ مصدر ما أَلْطَفَ مَأْخِذَهُ وَدَقَّ إِخْرَاجَ  
الباطل في صورة الحق ما يفعلُه الإنسان من الحيل.  
بِبَابِلَ: قيل هو بابل العراق لأنها تتبلبل بها الألسُن.  
هَارُوتَ وَمَارُوتَ: إسم ملكين وقيل هما رجلان إسم أحدهما، هاروت  
والآخر ماروت.

فِتْنَةٌ: الْفِتْنَةُ الْإِخْتِبَارُ.

بِضَارِّينَ: الضَّرُّ ضِدُّ النَّفْعِ.

## ◀ الإعراب

وَاتَّبَعُوا مَعْطُوفٌ عَلَى وَأَشْرَبُوا أَوْ عَلَى نَبَذَهُ فَرِيقٌ مَّا تَتَلَّوْا بِمَعْنَى تَلَّتْ عَلَى مُلْكٍ أَيْ عَلَى زَمَنِ مَلِكٍ فَحَذَفَ الْمُضَافُ سُلَيْمَانُ بَصْمَ السَّيْنِ لَا يَنْصَرَفُ لِلْعَجْمَةِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْأَلْفِ وَالتَّوْنِ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي كَفَرُوا وَأَجَازَ قَوْمٌ أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الشَّيَاطِينِ مَّا أُنْزِلَ مَّا بِمَعْنَى الَّذِي وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ عَطْفاً عَلَى السَّحَرِ وَقِيلَ فِي مَوْضِعٍ جَزْ عَطْفاً عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَقِيلَ مَا نَافِيَةٌ هَازُوتَ وَمَازُوتَ بَدَلَانِ مِنَ الْمَلِكَيْنِ بِبَابِلَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفاً لِأَنْزِلَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الْمَلِكَيْنِ أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ فِي أُنْزِلَ، حَتَّى يَقُولَا أَيْ إِلَى أَنْ يَقُولَا نَحْنُ فِتْنَةٌ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ فَيَتَعَلَّكُمُونَ مِنْهُمَا هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى يَعْلَمَانِ وَلَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي النَّفْيِ لِأَنَّ النَّفْيَ هُنَاكَ رَاجِعٌ إِلَى الْإِثْبَاتِ مَّا يُفَرِّقُونَ مَا، بِمَعْنَى الَّذِي أَوْ نَكْرَةً مَوْصُوفَةً وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُصَدَّرِيَّةً لِعَوْدِ الضَّمِيرِ مِنْ بِهِ، إِلَيْهَا، وَالمَصْدَرِيَّةُ لَا يَعُودُ إِلَيْهَا ضَمِيرٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الْجَارِ وَالْمَجْزُورِ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ عَلَى الْحَالِ وَأَنْ شُتَّتْ مِنَ الْفَاعِلِ وَأَنْ شُتَّتْ مِنَ الْمَفْعُولِ وَلَا يَنْفَعُهُمْ هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى الْفِعْلِ قَبْلَهُ وَدَخَلَتْ لِلنَّفْيِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفًا وَلَا يَصَحُّ عَطْفُهُ عَلَى، مَا، لِأَنَّ الْفِعْلَ لَا يَعِطِفُ عَلَى الْإِسْمِ لَمَنْ اشْتَرَاهُ اللَّامُ هُنَا هِيَ الَّتِي يَوْتِي بِهَا لِلْقَسَمِ مِثْلَ الَّتِي فِي قَوْلِهِ لِأَنَّ لَمْ يَنْتَهَ الْمُنَافِقُونَ وَمِنْ فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَهِيَ شَرْطٌ وَجَوَابُ الْقَسَمِ وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، وَقِيلَ، مَنْ بِمَعْنَى الَّذِي وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ مَوْضِعُ الْجُمْلَةِ نَصَبَ بَعْلَمُوا، وَلَيْشَ مَا جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٌ لَوْ كَانُوا جَوَابَ لَوْ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ لَوْ كَانُوا يُتَتَفَعَلُونَ بَعْلَمَهُمْ لَا تَمْتَنَعُوا مِنَ السَّحَرِ.

فيه الفرقان في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

## ◀ التفسير

وَاتَّبَعُوا مَا تَتَلَّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ قِيلَ هَذَا أَخْبَارُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَبَذُوا الْكِتَابَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاتَّبَعُوا السَّحَرِ وَهُمْ الْيَهُودُ

وقال السدي عارضت اليهود محمداً ﷺ بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وبسحر هاروت وماروت ونقل عن محمد بن إسحاق أنه قال لما ذكر رسول الله في الأنبياء والمرسلين قال بعض أخبارهم يزعم محمد أن ابن داود كان نبياً والله ما كان إلا ساحراً فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا أَيَّ آلَافٍ عَزَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فأنزل الله عز وجل على نبيه عذر سليمان وأظهر براءته مما رُمي به فقال وأتبعوا ما تتلوا الشياطين قال عطاء تتلوا تقرأ، من التلاوة وقال ابن عباس معناه تتبع كما تقول جاء القوم يتلوا بعضهم بعضاً وقال الطبري معناه، فضّلوا وقد إتفق المفسرون على أن المضارع في المقام بمعنى الماضي فمعنى تتلوا أي تلت كما قال الشاعر

وإذا مرزت بقبره فأعقربه كوم المهجان وكلّ طرف سانج

وإنفتح جَوَانِبُ قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبائح

أي فلقد كان وعليه، فما مفعول به لقوله: اتَّبِعُوا أَيَّ آلَافٍ عَزَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فأنزل الله عز وجل على نبيه عذر سليمان وأظهر براءته مما رُمي به فقال وأتبعوا ما تتلوا الشياطين قال عطاء تتلوا تقرأ، من التلاوة وقال ابن عباس معناه، تتبع كما تقول جاء القوم يتلوا بعضهم بعضاً وقال الطبري معناه، فضّلوا وقد إتفق المفسرون على أن المضارع في المقام بمعنى الماضي فمعنى تتلوا أي تلت كما قال الشاعر

أي فلقد كان وعليه، فما مفعول به لقوله: اتَّبِعُوا أَيَّ آلَافٍ عَزَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فأنزل الله عز وجل على نبيه عذر سليمان وأظهر براءته مما رُمي به فقال وأتبعوا ما تتلوا الشياطين قال عطاء تتلوا تقرأ، من التلاوة وقال ابن عباس معناه، تتبع كما تقول جاء القوم يتلوا بعضهم بعضاً وقال الطبري معناه، فضّلوا وقد إتفق المفسرون على أن المضارع في المقام بمعنى الماضي فمعنى تتلوا أي تلت كما قال الشاعر

أي فلقد كان وعليه، فما مفعول به لقوله: اتَّبِعُوا أَيَّ آلَافٍ عَزَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فأنزل الله عز وجل على نبيه عذر سليمان وأظهر براءته مما رُمي به فقال وأتبعوا ما تتلوا الشياطين قال عطاء تتلوا تقرأ، من التلاوة وقال ابن عباس معناه، تتبع كما تقول جاء القوم يتلوا بعضهم بعضاً وقال الطبري معناه، فضّلوا وقد إتفق المفسرون على أن المضارع في المقام بمعنى الماضي فمعنى تتلوا أي تلت كما قال الشاعر

هذا الإسم والظاهر من الآية وقيل المراد شياطين الإنس المُتَمَرِّدون في الضلال كقول جزير.

أَيَّامِ يَدْعُونِي الشَّيْطَانُ مِنْ غَرْلِي وَكُنَّ يَهُودِيْنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانًا  
وقال بعض المُفَسِّرِينَ المراد بقوله تعالى: وَاتَّبَعُوا الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ، والقول الثَّالِثُ أَنَّ  
المراد به الجميع لِأَنَّ مُتَّبِعِي السَّحَرِ لَمْ يَزَالُوا مِنْذُ عَهْدِ سُلَيْمَانَ إِلَى أَنْ بَعَثَ  
مُحَمَّدٌ ﷺ رَوَى أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا مُحَمَّدًا زَمَانًا مِنَ التَّوْرَةِ لَا يَسْأَلُونَهُ عَنْ شَيْءٍ  
مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا سَأَلُوا عَنْهُ فَيُخَصِّمُهُمْ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا هَذَا  
أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مِنَّا وَلَمَّا سَأَلُوهُ عَنِ السَّحَرِ وَخَاصَمُوهُ بِهِ أَنْزَلَ اللَّهُ وَاتَّبَعُوا  
مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ الْآيَةُ أَيِ اقْتَدَوْا بِمَا كَانَتْ تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ أَيِ تَتَّبِعْ وَتَعْمَلْ بِهِ  
قال حَسَن:

تَبَيَّ يَرَى مَا لَا تَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

قوله تعالى: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ  
السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ يَسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ  
أَنَّ مَا كَانَتْ تَتْلُوهُ الشَّيَاطِينُ وَتَأْثَرُهُ وَتَرْوِيهِ كَانَ كُفْرًا إِذْ بَرَّ مِنْهُ وَقَالَ: وَمَا كَفَرَ  
سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُبَيِّنِ اللَّهُ تَعَالَى مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى  
مُلْكِ سُلَيْمَانَ أَنَّهَا أَيِ شَيْءٍ كَانَتْ تَتْلَوْنَهَا لَمْ يُبَيِّنْ أَيْضًا نَوْعَ الْكُفْرِ فِي الْآيَةِ حَتَّى  
قَالَ: وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ فَيَعْلَمُ مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ  
الْكُفْرُ كَانَ مِنْ نَوْعِ السَّحَرِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ أَضَافُوا السَّحْرَ إِلَى سُلَيْمَانَ لِأَنَّهُمْ  
زَعَمُوا أَنَّ مُلْكَهُ كَانَ قَائِمًا بِالسَّحَرِ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ فِي الْمَجْمَعِ وَأَخْتَلَفَ فِي  
السَّبَبِ الَّذِي لِأَجْلِهِ أَضَافَ الْيَهُودَ السَّحْرَ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّ سُلَيْمَانَ  
كَانَ قَدْ جَمَعَ كُتُبَ السَّحَرَةِ وَوَضَعَهَا فِي خَزَائِنِهَا وَقِيلَ كَتَمَهَا تَحْتَ كُرْسِيِّهِ لئَلَّا

يطلع عليها النَّاس ولا يعلموا بها فلما مات إستخرجت السَّحرة تلك الكُتُب و قالوا أئما تمَّ ملكه بالسَّحر وبه سَخَّرَ الجِنَّ والإنس والطَّير وزَيَّنوا السَّحر في أعين النَّاس بالنَّسبة الى سليمان وشاع ذلك في اليهود و قبلوه بعدواتهم لسليمان.

وروي العياشي بأسناده عن ابن بصير عن أبي جعفر، قال لما هلك سليمان وضع إبليس السَّحر ثم كَتَبَه في كتاب وطواه و كتب على ظهره هذا ما وَضَعَ آصف بن برخينا من ملك سليمان ابن داود من ذخائر كنوز العلم مَنْ أراد كذا وكذا فليقل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم إستتاره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان إلّا بهذا وقال المؤمنون هو عبد الله ونبيّه فقال الله في كتابه: **وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ** وفي قوله **وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا** ثلاثة أقوال.

**أحدها:** أنهم كفروا بما إستخرجوه من السَّحر.

**ثانيها:** كفروا بما نَسَبُوهُ الى سليمان.

**ثالثها:** أنهم سحروا فعَبَّروا عن السَّحر بالكُفر وفي قوله: **يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ قَوْلَان:**

**أحدهما:** أنهم ألقوا السَّحر اليهم فتعلموه. **الثاني:** دلَّوهم على إستخراجه من تحت الكرسي فتعلموه.

وروي بعض المُفسِّرين من العامة عن السَّدي أنَّه قال كانت الشَّيَاطِين تصعد الى السَّماء فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موتٍ وغيره و يأتون الكهنة و يخلطون بما سمعوا في كلِّ كلمةٍ سبعين كذبة و يخبرونهم بها فإكتسب النَّاس ذلك وفشا في بني إسرائيل أنَّ الجِنَّ تعلم الغيب و بعث سليمان في النَّاس و جمع تلك الكتب وجعلها في صندوقٍ و دفنه



تحت كرسيه و قال لا أسمع أحداً يقول أن الشيطان يعلم الغيب إلا ضربت عنقه فلما مات سليمان و ذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمره و دفنه الكتب و خلف من بعدهم تمثّل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرأ من بني إسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً قالوا نعم قال فأحفروا تحت الكرسي و ذهب معهم فأراهم المكان و قام ناحيته فقالوا أدن قال لا ولكني ههنا فأن لم تجدوا فإقتلوني و ذلك لأنه لم يكن أحد من الشياطين يدنوا من الكرسي إلا إحترق فحفروا و أخرجوا تلك الكتب قال الشيطان أن سايمان كان يضبط الجنّ و الإنس و الشياطين و الطير بهذه ثم طار الشيطان ونشأ في الناس أن سليمان كان ساحراً و أخذ بنوا إسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود فلما جاء محمد ﷺ براء الله سليمان من ذلك و أنزل في عذر سليمان و أتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان و ما كفر سليمان و لكن الشياطين كفروا بإستعمال السحر و تعليمه و تدوينه، و أمّا قوله: وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ فقد قلنا في شرح اللغات أن، ما، موصولة، و قيل نافية و الاختلاف نشأ من ناحية العطف ممن قال أن قوله: وَمَا أُنْزِلَ الخ معطوف على السحر أو على ما تتلوا أو على ملك سليمان فقال أنها موصولة و من قال أنها معطوفة على قوله: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ أي و ما كفر سليمان، أي وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ فقال بالنفي قضاء لحكم العطف ولذلك نقلوا في المقام أقوالاً ثلاثة:

أحدها: أن المراد أن الشياطين يعلمون الناس السحر والذي أنزل على الملكين و أمّا أنزل عليهما وصف السحر و ماهيته و كيفية الإحتيال فيه ليعرفا ذلك و يعرفاه الناس فيجتنبوه غير أن الشياطين لما عرفوه إستعملوه و أن كان المؤمنون إذا عرفوه إجتنبوه.

**ثانيها:** أن يكون المراد وأتبعوا ما كَذَّب به الشَّيَاطِين على مُلْك سليمان و على مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ أي مَعَهُمَا وعلى أَلْسِنَتَهُمَا.

**ثالثها:** أن يكون، ما، بمعنى النَّفْي والمراد وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا أُنْزِلَ اللَّهُ السِّحْرَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ولكن الشَّيَاطِين كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ بِبَابِل هاروت وماروت وعلى هذا التَّأْوِيل يكون هاروت وماروت رجلين من جملة النَّاسِ وَالْمَلَكَانِ اللَّذَانِ نَفَى عَنْهُمَا السِّحْرَ جَبْرِئِيلُ وَمِيكَائِيلُ، قال الطَّبْرَسِي بعد نقله ما نقلناه ما لفظه ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشَّيَاطِين كَأَنَّهُ قَالَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ كَفَرُوا بِإِتْمَانٍ.

قال القُرْطُبِي، ما نفى والواو للعطف على قوله: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ ذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا أَنَّ اللَّهَ أُنْزِلَ جَبْرِئِيلُ وَمِيكَائِيلُ بِالسِّحْرِ فَنَفَى اللَّهُ ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمَ وَتَأْخِيرَ وَالتَّعْدِيرَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ بِبَابِل هَارُوتَ وَمَارُوتَ فَهَارُوتَ وَمَارُوتَ بَدَلُ مِنَ الشَّيَاطِينِ فِي قَوْلِهِ: وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينِ كَفَرُوا هَذَا أَوَّلَى مَا حَمَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ مِنَ التَّأْوِيلِ وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهَا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى سِوَاهُ فَالسِّحْرُ مِنْ إِسْتِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ لِلطَّافَةِ جَوْهَرَهُمْ وَدَقَّةَ أَفْهَامِهِمْ إِنْتَهَى كَلَامُهُ.

ثُمَّ أَنَّهُمْ اِخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالْمَلَكَيْنِ فَمِنْ قَرَأَ بِفَتْحِ اللَّامِ قَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ كَانَا مَلَكَيْنِ وَقَالَ آخَرُونَ كَانَا شَيْطَانَيْنِ وَقَالَ قَوْمٌ هُمَا جَبْرِئِيلُ وَمِيكَائِيلُ خَاصَّةً وَ مِنْ قَرَأَ بِكَسْرِ اللَّامِ قَالَ هُمَا مِنْ مَلُوكِ بَابِلَ وَ عُلُوجِهَا وَ هُوَ قَوْلُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْنَلِيِّ وَ الزَّبِيعِ وَ الضَّحَّاكِ وَ بِهِ قَرَأَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَ رَوَاهَا عَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ وَ اِخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ، بِبَابِلَ أَيْضاً، فَقَالَ قَوْمٌ هِيَ بَابِلُ الْعِرَاقِ لِأَنَّهَا تَبْلِيلُ بِهَا الْأَلْسُنُ وَقِيلَ بَابِلُ دِمَاوَنْدَ ذَكَرَهُ السَّيِّدِي وَقَالَ قَتَادَةُ هِيَ مِنْ نَصِيبِينَ إِلَى رَأْسِ الْعَيْنِ وَقَالَ الْحَسَنُ أَنَّ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلِ الْكُوفَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ بَابِلُ بَلَدٌ لَا يَنْصَرَفُ لِلتَّائِيثِ وَالتَّعْرِيفِ وَ الْعُجْمَةِ.

وَأَمَّا هَارُوتَ وَمارُوتَ فهما لا ينصرفان للتعريف والعجمة ثم اختلفوا فيهما أيضاً فمن ذهب إلى كَوْنِ، ما، نافية جعل هاروت و مارُوت بدلاً من الشياطين كما مرّ وقيل هما قبيلتان من الشياطين وأما من ذهب إلى كَوْنِ، ما، موصولة فالمعنى والذي أنزل على المَلَكَيْنِ بِبَابِلِ هاروت و ماروت فهما بدلان من المَلَكَيْنِ وقال قوم أنّ هاروت و ماروت كانا مَلَكَيْنِ من الملائكة غير المَلَكَيْنِ في الآية وكيف كان اختلفوا في سبب هبوطهما فقال قوم أنّ الله أهبطهما إلى الأرض ليأمرّا بالَّذِينَ وينها عن السّحر لأنّ السّحر كان كثيراً في ذلك الوقت ثم اختلفوا فقال قوم كانا يُعَلِّمانِ النَّاسَ كَيْفِيَةَ السّحر وينهاينهم عن فعله ليَكُونِ النَّهْيُ بعد العلم به لأنّ من لا يعرف الشّيءَ فلا يمكنه إجتنابه وقال قوم آخرون لم يكن لها تعليم بالسّحر ولا إظهاره لما في تعليمه من الإغراء بفعله، وقال قومُ هبطا لمجرد النَّهْيِ إذ كان السّحر فاشياً.

وقال قوم كان سبب هبوطهما أنّ الملائكة تعجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم فقال لهم أما لو كنتم مكانهم لعلتم مثل أعمالهم فقالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا فأمرهم أن يختاروا ملكين ليهبطا إلى الأرض فأختاروا هاروت و ماروت فأهبطا إلى الأرض وركب فيهما شهوة الطعام والشراب والنكاح وأحلّ لهما كلّ شيء بشرطٍ ألا يُشركا بالله ولا يشربا الخمر ولا يزنيا ولا يقتلا النفس التي حرّم الله وعرضت لهما امرأة للحكومة فمالا إليها فقالت لهما لا أُجيبكما حتّى تعبدّا صنماً وتشربا الخمر وتقتلا النفس فعبدا الصنم وواقعاها وقتلا سائلاً مرّ بهما خوفاً أن يشهر أمرهما في حديث طويل قال كعب فوالله ما أمسيا من نومهما الذي أهبطا فيه حتّى استكملا جميع ما نهيا عنه فتعجب الملائكة من ذلك ثم لم يقدر هاروت و ماروت على الصعود إلى السماء وكانا علّمان النَّاسَ السّحر إنتهى.

قال الشيخ في التّبيان بعد نقله ما نقلناه عنه و من قال بعصمة الملائكة لم يجز هذا الوجه وقال قوم أنّ ذلك على عهد إدريس إنتهى<sup>(١)</sup>.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

إِعلم أَنَّهُ قد اِختلف المفسرون في تفسير هذه الآية اِختلافاً شديداً لا يكاد يُوجد في غيرها من الآيات ولذلك ترى المفسرين من العامة و الخاصة لم يأتوا بشئ يرفع الإبهام عن الفاظ الآية و لا عن معناه كما أشرنا اليه إجمالاً وأعظم الإشكال في قوله تعالى: وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ و عليه فالمعنى الَّذي أنزل على المَلَكَيْنِ بعينه ما تتلوا الشياطين و هو السَّحَر المذموم الَّذي عُبر عنه بالكُفر في قوله: وَمَا كَفَرَّ سُلَيْمَانُ و قوله: وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا و هو كما ترى اذ كيف يُعقل أَنَّ الله تعالى أنزل على المَلَكَيْنِ السَّحَر الَّذي تتلوه الشياطين و صاروا بذلك كافرين و هكذا لو كانت موصولة والعطف على قوله تعالى السَّحَر اذ المعنى يصير هكذا و لكن الشياطين كفروا و يعلمون النَّاس السَّحَر و الَّذي أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ و تقرير الإشكال هو أَنَّ الشياطين كفروا لِتعليمهم النَّاس السَّحَر و الَّذي أنزل عليهما فلو كان كفروهم بِتعليمهم السَّحَر فكيف أنزل الله عليهما أعني على المَلَكَيْنِ بل المعنى أَنَّ الشياطين ما صاروا كافرين بما علموا من السَّحَر من عندهم بل صاروا كافرين به و بما أنزل على المَلَكَيْنِ و لقاتل أن يقول كيف علموا ما أنزل عليهما فأن علموا من عند أنفسهم فهو مُحال و إن علموا بتعليم المَلَكَيْنِ إِيَّاهم فهو أَوَّل السَّوَال هذا كله بناء على كونها موصولة. و أما على القول بكونها نافية و الواو إستئنافية فيصير المعنى و لم ينزل على المَلَكَيْنِ سحر كما يدَّعيه اليهود و عليه ففي الكلام تقديم و تأخير و التقدير هكذا، و ما كفر سليمان و ما أنزل على المَلَكَيْنِ و لكن الشياطين كفروا يُعلمون النَّاس السَّحَر ببابل هاروت و ماروت فيصير هاروت و ماروت بدلاً من الشياطين و قد نقلنا هذا القول عن القُرطبي و تبعه غير واحد من المفسرين و العَجَب أَنَّ القُرطبي بعد إختياره هذا القول الَّذي نقلناه عنه قال هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل و أَصَح ما قيل فيها و لا يلتفت الى سواه و لم

يعلم أن كلامه هذا لا يشبه التفسير أصلاً للزومه تغيير الآية عما هي عليه لفظاً ومعنى أما لفظاً فظاهر إذ لم يدل على التقديم والتأخير دليل من العقل والنقل كما لم يدل دليل على أن المراد بالملكين جبرئيل وميكائيل وأن اليهود لما زعموا أن الله تعالى أنزل عليهما السحر فنفى الله ذلك بقوله: وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ولا نعلم من أين علم القرطبي أن اليهود هكذا زعموا ثم من أين علم أن المراد بالملكين جبرئيل وميكائيل هذا بحسب اللفظ وأما بحسب المعنى. فنقول أن كان الأمر كما زعمه القرطبي ومن تبعه من المفسرين من العامة والخاصة فيقال لهم، ما تقولون في هاروت وماروت بعد قوله: وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ وأمرهما لا يخلو من وجهين.

**أحدهما:** أن يكونا بدلاً من الملكين كما هو الظاهر من الآية.

**ثانيهما:** أن يكونا بدلاً من الناس في قوله يعلمان الناس السحر.

فإن كان الأول أعني كونهما بدلاً عن الملكين فأنتم لا تقولون به لأن القرطبي صرح في كلامه أنهما بدلاً عن الشياطين هذا أولاً وثانياً بطل معنى قوله تعالى: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ لَّأَنَّهُمَا إِذَا لم يكونا عالمين بما يفرق به بين المرء وزوجه فما الذي يتعلم منهما ما يفرق بين المرء وزوجه وثالثاً أن لازم ما ذكره أن قوله: وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ عطف على وما كفر سليمان كما اعترف به في كلامه والمفروض أن الله بصريح الآية نفى الكفر أعني به السحر عن سليمان فلو كان النفي عن الملكين نظير النفي عن سليمان فمن المتعلم منه السحر الذي يفرق به بين المرء وزوجه وعن الخبر الذي أخبر عنه بقوله وما يعلمان من أحد الآية هذا كله أن قلنا بكونهما بدلاً عن الملكين وأما على القول الثاني وهو كون هاروت وماروت بدلاً من الناس في قوله: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ فيلزم أن تكون الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت السحر وتكون السحرة أنما تعلمت السحر من هاروت

و ماروت عن تعليم الشياطين إياهما فأن يكن ذلك فلا يخلو هاروت و ماروت عند قائل هذه المقالة من أحد أمرين، أما أن يكونا ملكين فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له بنسبته إياهما إلى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر ويُعلمانه الناس ولا يقول به عاقل فضلاً عن مسلم.

والثاني أن يكون هاروت و ماروت رجلين من بني آدم و عليه فقد يجب أن يرتفع السحر بعد هلاكهما لأنه إذا كان علم ذلك من قبلهما يؤخذ و منهما يتعلم فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما عدم السبيل إلى الوصول إلى ما لا يوصل إلا بهما وفي وجود السحر في كل زمانٍ ووقتٍ أعظم الدليل على فساد هذا القول.

أن قلت لا هذا ولا هذا و ذلك لأن في المقام شق ثالث و هو كون هاروت و ماروت بدلاً من الشياطين كما صرح القرطبي به في كلامه، قلنا مضافاً إلى أنه خلاف ظاهر الآية للزومه التقديم و التأخير والأصل عدمهما أنه لا يحسم مادة الإشكال بل هو باقٍ على حاله اذ يقال فما معنى قوله تعالى: وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ والمفروض أنهما أي هاروت و ماروت لم يكونا من الملائكة و كانا من أبناء الشياطين أو من أبناء بني آدم أو ماشئت فسمه و لنعم ما قيل:

قل للذي يدعي في العلم فلسفةً حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

إذا عرفت هذا فاعلم أن الحق في المقام هو أن كلمة (ما) موصولة بمعنى الذي و هاروت و ماروت بدلاً عن الملكين الذين أنزل عليهما ما أنزل و عليه فإسم. أحدهما: هاروت و إسم الآخر ماروت و لا إشكال فيه أصلاً و جبرئيل و ميكايل بمعزلٍ عنهما خلافاً لما زعمه القرطبي و أتباعه فيصير معنى الآية و أتبعوا أي اليهود ماتلوا الشياطين على ملك سليمان، أي في عهده و زمانه من السحر و ما كفر سليمان كما زعم اليهود بنسبة السحر إليه و لكن الشياطين

كفروا بتعليمهم الناس السحر والذي أنزل على المَلَكِينَ ببابل وهما هاروت و  
 ماروت وما يُعَلِّمان أي هاروت وماروت من أحدٍ وأحد هاهنا يجوز أن تكون  
 مستعملاً في العموم كقولك ما بالدار من أحدٍ وأن تكون بمعنى واحد أو  
 إنسان فعلى الأول يصير المعنى وما يُعَلِّمان أي الملكان وهما هاروت و  
 ماروت من أحد أي من أحدٍ من الأحاد أو من شخصٍ واحد إنساناً كان أو غيره  
 وعلى التقديرين معناه ما يُعَلِّمان أحداً لا بعينه أو بعينه حتى يقول أي إلى أن  
 يقول له أنما نحن فتنة أي إختبار وإمتحان فلا تكفر أي فلا تتعلم السحر منا  
 للعمل به بل تعلم السحر لتبطل به سحر السّاحرين فيتعلمون منهما أي  
 يتعلّمون النَّاسُ منهما ما يُفَرِّقون به بين المرء وزوجه بخلاف ما إشتراطا عليهم  
**وَمَا هُمْ بِضَّارِّينَ مِنْ أَحَدٍ** أي أنَّ الذين تعلموا من المَلَكِينَ ما تعلّموا وعملوا  
 بخلاف الشرط وفرّقوا بين المرء وزوجه ليس بضارين أحداً وكلمة من في  
 المقامين لربط الكلام وحسنه ولا معنى له غير الرّبط، فأنّ قوله أحد في  
 المقامين في محلّ النّصب على المفعوليّة والتّقدير وما يُعَلِّمان أحداً وما هم  
 بضارين به أحداً إلّا بأذن الله ويتعلّمون ما يضرّهم ولا يَنْفَعهم في الدّنيا  
 والآخرة ولقد علموا هؤلاء أي المتعلّمون علم السّحر ثمّ العمل به لَمَنِ  
 اشْتَرَاهُ أي السّحر والعمل به ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به  
 أنفسهم لو كانوا يعلمون فهذا معنى الآية إجمالاً ولا إشكال فيه إلّا ما ربّما  
 يترأى في بادئ النّظر وهو الذي أوقعهم في الحيرة والدّهشة حتّى صرفوا عن  
 ظاهرها لفظاً ومعنى وهو أنّه كيف يجوز أن يضاف إلى الله تبارك وتعالى  
 إنزال ذلك على الملائكة وذلك لأنّ يعلم السّحر للملكين وإظهاره بهما في  
 النَّاسِ يُوجب الإغراء والله تعالى منزّه عنه وبعبارة أخرى كيف ذمّ الله تعالى  
 الشّياطين وأتباعهم من اليهود وغيرهم على السّحر وتعليمه وتعلّمه وهو  
 ينزل السّحر على المَلَكِينَ ويأمرهما بإظهاره في النَّاسِ والجواب عنه أمّا أولاً

فَبَأَنَّ الشَّيَاطِينَ وَالْيَهُودَ لَمْ يَذْمُوا عَلَىٰ عِلْمِهِم بِالسَّحْرِ بَلْ ذَمُّوا عَلَىٰ إِعْمَالِهِ فِي الْخَارِجِ وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ فَتَعَلَّقَ الذَّمُّ بِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ لَا مُطْلَقاً وَأَنْ شُتَّ قُلْتُ الذَّمُّ عَلَى الْعَمَلِ بِهِ لَا عَلَى الْعِلْمِ بِهِ.

**ثانياً:** لَا يُبْعَدُ أَنْ يَكُونَ الْمَلَكُانَ مَأْمُورِينَ بِالتَّعْلِيمِ لِأَجْلِ إِبْطَالِ عَمَلِ السَّاحِرِ وَفِيهِ نَفْعٌ عَظِيمٌ بَلْ هُوَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ قَادِراً عَلَى إِبْطَالِ السَّحْرِ وَلَا جُلْ ذَلِكَ كَانَا يَشْتَرِطَانِ عَلَى مَنْ أَخَذَ مِنْهُمَا السَّحْرَ أَنْ لَا يَكْفُرَ أَيْ لَا يَعْمَلُ بِهِ فِي غَيْرِ مَوْرَدِ الْإِبْطَالِ فَاتَّهَ كُفْرٌ وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ أَيْ أَنَا جُنَّا بِهِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى تَتَعَلَّمُونَ مِنَّا فَتَقْدِرُونَ عَلَى إِبْطَالِ سِحْرِ الشَّيَاطِينَ وَاتَّبَاعِهِمْ لَا لَتَعْمَلُوا بِهِ بَعْدَ التَّعْلَمِ مِنَّا أَتَى شَتْمٌ وَمَتَى شَتْمٌ وَهَذَا هُوَ الْإِخْتِبَارُ وَالْإِمْتِحَانُ فِي الْعِبَادَةِ وَلِذَلِكَ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ وَهِيَ الْإِخْتِبَارُ فَيَكُونُ هَذَا مِمَّا إِمْتَحَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبِيدَهُ كَمَا إِمْتَحَنَهُمْ فِي قِصَّةِ طَالُوتَ بِالنَّهْرِ فِي قَوْلِهِ: فَمَنْ شَرَبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَسَيَاتِي الْبَحْثُ فِيهِ.

فَقَوْلُهُ: فَلَا تَكْفُرْ أَيْ لَا تَكْفُرْ بِالْعَمَلِ بِهِ فَإِنْ قُلْتُ أَيْ فَائِدَةٌ فِي التَّعْلِيمِ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ بِهِ جَائِزاً، قُلْتُ فَائِدَتُهُ الْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الْإِحْتِيَالِ بِهِ لِيَتَجَنَّبَ وَلِتَلْأَيِّتُمُوهُ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْمُعْجَزَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَى يَدِ الْأَنْبِيَاءِ فَيُطْلَقُ الْإِسْتِدْلَالُ بِهَا وَفِي الْمَقَامِ إِحْتِمَالٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّهُمَا أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ بِصُورَةِ الْإِنْسِ حَتَّى يَبَيِّنَا لِلنَّاسِ بَطْلَانَ السَّحْرِ وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى أَنَّهُمَا عَلَّمَا غَيْرَهُمَا بَطْلَانَ السَّحْرِ لِأَنَّهُمَا عَلَّمَا نَفْسَ السَّحْرِ وَعِلْمُهُ وَكَيْفَ كَانَ فَلَا وَجْهَ لَصَرْفِ الْآيَةِ عَنْ ظَاهِرِهَا مَعَ إِمْكَانِ حَمْلِهَا عَلَيْهِ إِذَا عَلِمْتَ هَذَا بَقِيَ فِي الْمَقَامِ شَيْءٌ لَا بَدَلَ لَنَا مِنَ الْبَحْثِ فِيهِ أَيْضاً وَهُوَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَعْنَى بِهِمَا هَارُوتَ وَمَارُوتَ بَعْدَ هَبُوطِهِمَا إِلَى الْأَرْضِ وَتَعْلِيمِهِمَا مَا أَمَرَا بِهَا صَعَدَا إِلَى السَّمَاءِ أَمْ لَا وَالْأَمْرُ لَا يَخْلُو مِنْ وَجْهَيْنِ:



أحدهما: أَنَّهُمَا صَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ فِرَاقِهِمَا عَمَّا أَمَرَا بِهِ.

ثَانِيهِمَا: أَنَّهُمَا أَخْطَا أَوْ رَكِبَا الْفَوَاحِشَ فَلَمْ يَقْدِرَا عَلَى الصُّعُودِ إِلَى السَّمَاءِ بَلْ حَبَسَا وَعَذَّبَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ لِإِخْتِبَارِهِمَا ذَلِكَ.

أَمَّا الْوَجْهَ الْأَوَّلُ: فَلَمْ أَجِدْ قَائِلًا بِهِ صَرِيحًا بَيْنَ الْمَفْسِّرِينَ أَمَّا الْعَامَّةُ فَقَدْ إِتَّفَقُوا عَلَى الثَّانِي وَأَمَّا الْخَاصَّةُ أَيْضًا كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ حَيْثُ قَالُوا بِعَصْمَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِخَطَأِهِمَا وَعَصِيَانِهِمَا لِمَكَانِ الْعَصْمَةِ فِيهِمَا وَلَا زَمَ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ بِالصُّعُودِ وَأَنْ لَمْ يَصْرَحُوا بِهِ إِذِ الْأَمْرُ دَائِرُ بَيْنِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ الْخَطَأَ وَعَدَمِهِ وَالْأَوَّلُ يَلْزِمُ الْعَذَابَ وَالثَّانِي يَلْزِمُ الرَّجُوعَ إِلَى أَصْلِهِ وَنَحْنُ نَنْقُلُ أَصْلَ الْقِصَّةِ.

أَوَّلًا: ثُمَّ نَقُولُ مَا هُوَ الْحَقُّ عِنْدَنَا بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ.

قَالَ الطَّبْرَسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ مَا هَذَا لَفْظُهُ، وَقِيلَ أَيْضًا فِي سَبَبِ هُبُوطِهِمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَعَجَّبَتْ مِنْ مَعَاصِي بَنِي آدَمَ مَعَ كَثْرَةِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا رَبَّنَا أَمَا تَغْضَبُ مِمَّا يَعْمَلُ خَلْقُكَ فِي أَرْضِكَ وَمِمَّا يَفْتَرُونَ عَلَيْكَ مِنَ الْكُذْبِ وَالزُّورِ وَيُرْتَكِبُونَهُ مِنَ الْمَعَاصِي لَقَدْ نَهَيْتَهُمْ عَنْهَا وَهُمْ فِي قَبْضَتِكَ وَتَحْتَ قُدْرَتِكَ فَأَحَبُّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ مَا يَعْرِفُهُمْ مَا مِنْ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَجِيبِ خَلْقِهِمْ وَمَا طَبَعَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَعَصْمِهِمْ بِهِ مِنَ الذَّنُوبِ فَقَالَ لَهُمْ أُنْذِرُوا مِنْكُمْ مَلَائِكِينَ حَتَّى أَهْبِطَهُمَا إِلَى الْأَرْضِ وَأَجْعَلَ فِيهِمَا مِنْ طِبَائِعِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْحَرَصِ وَالْأَقْلَ مِثْلَ مَا جَعَلْتُ فِي وَلَدِ آدَمَ ثُمَّ اخْتَبَرَهُمَا فِي الطَّاعَةِ لِي قَالَ فَنَدَبُوا لِذَلِكَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَكَانَا مِنْ أَشَدِّ الْمَلَائِكَةِ قَوْلًا فِي الْعَيْبِ لَوْلَدِ آدَمَ وَاسْتَجَرَّارَ عَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمَا أَنْ أَهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ فَقَدْ جَعَلْتُ فِيكُمَا مِنْ طِبَائِعِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْحَرَصِ وَالْأَقْلَ مِثْلَ مَا جَعَلْتُ فِي وَلَدِ آدَمَ وَالنَّظَرَ أَنْ لَا تَشْرَكَابِي شَيْئًا وَلَا تَقْتُلَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا وَلَا تَزْنِيَانِ وَلَا تَشْرَبَا الْخَمْرَ ثُمَّ أَهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ عَلَى

صورة البشر فرفع لهما بناء مُشرف فأقبلا نحوه فاذا امرأة جميلة حسناء أقبلت محوهما ف وقعت في قلوبهما موقعاً شديداً ثم أتتهما ذكراً ما نُهيّا عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة فَرَجعا إليها فراوداها عن نفسها فقالت أن لي ديناً أدين به ولست أقدر في ديني أن أجيبكما إلى ما تريدان إلا أن تدخل في ديني فقالا وما دينك فقالت لي إله من عبد وسجد له كان لي لاسبيل إلى أن أجيبه إلى كل ما سألتني قالوا وما إلهك قالت هذا الصنم فإتتمرا بينهما فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك إلى ما سألت قالت خذوا فأشربا الخمر فأنه قربان لكمما عنده وبه تصلان إلى ما تريدان فقالا هذه ثلاث خصال وقد نهانا ربنا عنها الشر، والزنا والخمر فإتتمرا.

بينهما ثم قالوا ما أعظم البلية قد أجبنك فشربا الخمر وسجدا الصنم ثم أراداها عن نفسها فلمّا تهيات لهما دخل عليهما سائل فلمّا أن رأياه فزعا منه فقال لهما أنكما المرّيان قد خلوتما بهذه المرأة الحسنة أنكما لرجلا سوء وخرج عنهما فقالت لهما بادرا إلى هذا لا رَجُل فأقتلاه قبل أن يفضحكما ويفضحني ثم دُونكما فأفضيا صاحبتكما وأنتما مطمئنان أمانا فقاما إلى الرَجُل فأدركاه فقتلاه ثم رجعا إليها فلم يرياها ويدت لهما سوأتهم ونزع عنهما رياشهما وسقط في أيديهما فأوحى الله إليهما أنما أهبطكما إلى الأرض ساعة من نهار فعصيتما في أربع معاصير قد نهيتكما عنها وتصدقت اليكما فيها فلم تستجيا مني وقد كنتما أشد من ينقم على أهل الأرض من المعاصي فأختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فإختارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس بأرض بابل ثم لما علما الناس رُفعا من الأرض إلى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء إلى يوم القيامة وهذا الخبر رواه العياشي مرفوعاً إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام ومن قال بعصمة الملائكة لم يجز هذا الوجه انتهى.

أقول هذه الرواية نقلها الطبرسي عن العياشي، وذكر مثلها بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام علي ابن إبراهيم القمي في تفسيره<sup>(١)</sup>.  
 بأدنى تفاوت في بعض ألفاظها وذكرها في تفسير نورالثقلين أيضاً نقلاً منه عن تفسير القمي<sup>(٢)</sup>.  
 وبهذا المضمون روايات كثيرة من طريق الخاصة مع إختلاف يسير في ألفاظها.

وقد ورد بعض الروايات بخلافها أيضاً، منها ما رواه في تفسير نور الثقلين عن العيون والحديث طويل الى أن قال فقلنا للحسن أبي القاسم عليه السلام قوماً عندنا يزعمون أن هاروت وماروت مَلَكان إختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم وأنزلهما مع ثالث لهما الى الدنيا وأنهما أفتنا بالزهرة وأرادا الرنا بها وشربا الخمر وقتلا النفس المحرمة وأن الله عز وجل يُعَذِّبهما ببابل وأن السحرة منهما يتعلمون السحر وأن الله تعالى مسح تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة فقال الإمام معاذ الله من ذلك أن الملائكة معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بألطف الله تعالى قال الله تعالى فيهم: مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وقال: وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ يَعْنِي الملائكة لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يفترون وقال الله تعالى في الملائكة أيضاً بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ثُمَّ قَالَ عليه السلام لو كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفائه في الأرض وكانوا كالأنبياء في الدنيا ولا لائمة أفيكون من الأنبياء والأئمة عليهم السلام قتل النفس والزنا ثم

قال أولست تعلم أن الله تعالى لم تخل الدنيا قط من نبي أو إمام من البشر أو ليس الله يقول: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ مِنْ قَبْلِكَ يَعْنِي أَلَى الْخَلْقِ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَأَخْبِرْ أَنَّهُ لَمْ يَبْعَثِ الْمَلَائِكَةَ إِلَى الْأَرْضِ لِيَكُونُوا أَئِمَّةً وَحُكَّامًا وَأَنَّمَا أَرْسَلُوا إِلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ.

قالا فقلنا له فعلى هذا لم يكن إبليس أيضاً من الملائكة فقال لا بل كان من الجنّ أما تسمعان الله عزّ وجلّ يقول واذ قلنا للملائكة أسجدوا لِآدَمَ فسجدوا إِلَّا إبليس كان من الجنّ فأخبر الله عزّ وجلّ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ <sup>(١)</sup> انتهى <sup>(٢)</sup>

و في حديث آخر بأسناده عن الرضا عليه السلام لما سأله المأمون عما يرويه الناس من أمر الزهرة وأنها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت وما يرونه من أمر سهيل وأنها كان عشّاراً باليمن فقال عليه السلام: في جوابه كذبوا في قولهم أنّهما كوكبان وأنما كانتا دابّتين من دواب البحر فغلط الناس وظنّوا أنّهما كوكبان وما كان الله ليمسح أعداءه أنواراً مضيئة ما بقيت السموات والأرض وأنّ المسوخ لم تبق أكثر من ثلاثة أيام حتّى ماتت وساق الحديث إلى أن قال وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علّما النّاس ليحترزوا به من سحر السّحرة ويبتلوا به كيدهم وما علّما أحداً من ذلك شيئاً إلّا قالوا له، أنّما نحن قنتة فلا تكفر، فكفر قوم بإستعمالهم لما أمروا بالإحتراز منه وجعلوا يفرقون بما يعلمون بين المرء وزوجه قال الله تعالى وما هم بضارين به من أحدٍ إلّا بأذن الله، يعني بعلمه انتهى <sup>(٣)</sup>

فيه القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

و حيث إنَّجَر الكلام إلى هنا فلا بأس بالإشارة إلى ما ذهب إليه المفسرين من العامة وما رَوَّه فيه تكميلاً للبحث و تيمماً للفحص فنقول المشهور بين العامة أنَّهما أي هاروت و ماروت كانا ملكين فأخطنا و عصيا فعذبهما الله في الدنيا لما إختارا عذاب الدنيا على الآخرة و أمَّا المرأة التي فتن بها هاروت و ماروت فمسخها الله كوكباً و كان إسمها ناهيد.

قال الطَّبْرِي في تفسيره بأسناده عن معاوية بن صالح عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر فلمَّا كان من آخر اللَّيْلِ قال يانافع أنظر طلعت الحمراء قالها مرَّتين أو ثلاثاً ثم قلت قد طلعت قال لا مرحباً ولا أهلاً قلت سبحان الله نجمٌ مسخَّر سامعٌ مُطيع قال ما قلت لك إلا ما سمعتُ من رسول الله ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: أنَّ الملائكة قالت ياربِّ كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والدُّنوب قال أنِّي أبتليهم و عافيتكم قالوا لو كنَّا مكانهم ما عصيناك قال فأختاروا ملكين منكم قال فلم يألوا أن يختاروا فأختاروا هاروت و ماروت ثمَّ قال الطَّبْرِي حدَّثني المثنى قال حدَّثنا أبو حذيفة قال حدَّثنا شبل عن ابن أبي بَخِيح عن مجاهد، و أمَّا شأن هاروت و ماروت فإنَّ الملائكة عجبت من ظلم بني آدم و قد جائتهم الرِّسل والكتب و البينات فقال لهم ربُّهم إختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكمان في الأرض بين بني آدم فأختاروا هاروت و ماروت فقال لهما حين أنزلهما عجبتما من بني آدم و من ظلمهم و معصيتهم و أنما تأتيهم الرِّسل والكتب من وراء وراء و أنتما ليس بيني و بينكما رسول فأفعلا كذا و كذا و دعا كذا و كذا فأمرهما بأمرٍ و نهاهما ثمَّ نَزَلَ على ذلك ليس أحدٌ إلَّه أطوع منهما فَحكما فعدلا فكانا يحكمان النَّهار بين بني آدم فاذا أتيا غرِّي و كانا مع الملائكة ينزلان حين

يُصْبِحَانْ فَيَعْدِلَانِ حَتَّى أَنْزَلْتَ عَلَيْهِمَا الزَّهْرَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ  
 إِمْرَأَةً تَخَاصِمُ فَقَضِيَا عَلَيْهَا فَلَمَّا قَامَتْ وَجَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي  
 نَفْسِهِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ وَجَدْتُ مِثْلَ مَا وَجَدْتُ قَالَ نَعَمْ فَبِعَنَّا  
 إِلَيْهَا أَنْ أَتَيْنَا نَقْضَ لَكَ فَلَمَّا رَجَعْتَ قَالَا لَهَا وَقَضِيَا لَهَا أَتَيْنَا فَأَتَتْهُمَا  
 فَكَشَفَا لَهَا عَنْ عَوْرَتِهِمَا وَأَتَمَّا كَانَتْ شَهْوَتُهُمَا فِي أَنْفُسِهِمَا وَلَمْ  
 يَكُونَا كَبْنِي آدَمَ فِي شَهْوَةِ النِّسَاءِ وَلَذَّتْهَا فَلَمَّا بَلَغَا ذَلِكَ وَاسْتَحْلَاهُ وَ  
 أَفْتَنَا طَارَتِ الزَّهْرَةُ فَرَجَعْتَ حَيْثُ كَانَتْ فَلَمَّا أَمْسِيَا عَرَجَا فَرَدًّا وَلَمْ  
 يُوْذَنْ لِهَـمَا وَلَمْ تَحْمِلْهُمَا أَجْنَحَتُهُمَا فَأَسْتَغَاثَا بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي آدَمَ  
 فَأَتِيَاهُ فَقَالَا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ فَقَالَ كَيْفَ يَشْفَعُ أَهْلُ الْأَرْضِ لِأَهْلِ السَّمَاءِ  
 قَالَا سَمِعْنَا رَبَّكَ يَذْكُرُكَ خَيْرًا فِي السَّمَاءِ فَوَعَدَهُمَا يَوْمًا وَغَدًا يَدْعُو  
 لَهُمَا فَدَعَا لَهُمَا فَأَسْتَجِيبَ لَهُ فَخَيَّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ  
 فَنَظَرَ أَحَدُهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَقَالَا نَعْلَمُ أَنَّ أَنْوَاعَ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ  
 كَذَا وَكَذَا فِي الْخَلْدِ وَمَعَ الدُّنْيَا سَبْعَ مَرَّاتٍ مِثْلَهَا فَأَمَرَ أَنْ يَنْزَلَ بِبَابِلَ  
 فَثَمَّ عَذَابُهُمَا وَزَعَمَ أَنََّّهُمَا مَعْلَقَانِ فِي الْحَدِيدِ مَطْوِيَّانِ يَصْفَقَانِ  
 بِأَجْنَحَتِهِمَا انْتَهَى<sup>(١)</sup>

أقول ونقل الطبري روايات أخر بهذا المضمون أن شئت فراجعه وقد نقل  
 السيوطي في الدر المنثور ما ذكره الطبري من حديث ابن عمر بوجه أبسط  
 أعرضنا عن نقله حذراً عن التّطويل وقد نقله في تفسير الميزان<sup>(٢)</sup>

وقد ذكر في الدر المنثور روايات أخر أيضاً ومحصل الكلام أن الأخبار  
 الواردة من الطرفين في الباب كثيرة مختلفة الألفاظ والمضامين بطرق مختلفة  
 إلا أن كلها يرجع إلى أمر واحد وهو خطأ المَلَكَيْنِ وعصيانهما ثم عذابهما في  
 الدنيا إذا عرفت هذا فنقول أما علماء الشيعة فلم يقبلوا الأحاديث المروية

الموافقة لما روته العامة فقال بعضهم أنها أخبار أحاد لا يعتمد عليها وبه قال الشيخ الطوسي في التبيان وبعضهم قال أنها ثنافي عصمة الملائكة فلذلك لا يجوز التعويل عليها كما قال الطبرسي.

وبعضهم عبّر عنها بالخرافات قال في تفسير الميزان بعد نقله ما نقله السيوطي في الدر المنثور وهو حديث ابن عمر ما هذا لفظه فهذه القصة كالتّي قبلها المذكورة في الرواية السابقة تطابق ما عند اليهود على ما قيل من قصة هاروت وماروت تلك القصة الخرافية التي تشبه خرافات يونان في الكواكب والنجوم ومن هاهنا يظهر للباحث المتأمل أنّ هذه الأحاديث كغيرها الواردة في مطاعن الأنبياء وعتراتهم لا تخلو من دسّ دسّته اليهود فيها وتكشف عن تسريهم الدقيق ونفوذهم العميق بين أصحاب الحديث في الصدر الأوّل فقد لعبوا في رواياتهم بكلّ ماشاؤوا من الدسّ والخلط وأعانهم على ذلك قوم آخرون انتهى كلامه ونحن نقول فعلى هذا لا بدّ لنا من طرح هذه الأحاديث الواردة في الباب من طرفنا أمّا لأنّها أخبار أحاد لا يعتمد عليها أو أنّها من خرافات اليهود ودسائسهم في الصدر الأوّل ثمّ نسبوها إلى إثمنا كسائر مجعولاتهم، ويحتمل أن يكون صدورها عن الأئمة من باب التقيّة وذلك لأنّ العامة كما عرفت إتفقوا على خطأ المملّكين ثمّ عذابهما في الدنيا ومسح المرأة كوكباً على ما مرّ بيانه ولما كان كذلك فالأئمة قالوا بمقاتلتهم تقيّة هذا ما يمكن أن يقال في المقام في دفع الإشكال ولأجل هذا ترى أخبارنا في المقام مختلفة لا يمكن الجمع بينهما.

ثمّ لنا في المقام كلام لا بأس بالإشارة اليه وملخصه أنّ الروايات من الطرفين وأن كانت بظاهرها ممّا ينكره العقل والنقل لكونها قاحدة في قداسة الملائكة الذين لا يعصون الله طرفه عين وهذا هو أصل الإشكال الذي صار باعثاً لطرح هذه الأخبار الال منافي هذه القاعدة المسلّمة عندنا أعني بها عصمة الملائكة ونحن أيضاً نقول بها.

والَّذِي يَخْتَلِجُ بِالْبَالِ هُوَ أَنَّ عَصِيَانَ الْمَلَائِكَةِ مُسْتَحِيلٌ مَا دَامُوا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ أَيَّ مَا دَامَ كَوْنُهُمْ مَلَائِكَةً، أَمَّا إِذَا فَرَضْنَا خُرُوجَهُمْ عَنْ جِنْسِ الْمَلَكِ وَ دَخُولَهُمْ فِي جِنْسِ الْبَشَرِ فَأَيُّ إِشْكَالٍ فِي عَصِيَانِهِمْ عَقْلًا وَ شَرْعًا وَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ لِأَنَّ جَمِيعَ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْبَابِ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مُشْعِرٌ بَلْ مُصَرِّحٌ بِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُمَا الشَّهْوَةَ وَالْغَضَبَ وَ الْحِرْصَ وَ الْأَمَلَ وَ طِبَاعَ الطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ وَ أَمْثَالَهَا مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْبَشَرِ وَ بِهَا يَعِصُ اللَّهُ أحياناً وَ مَنْ كَانَ وَاجِداً لِهَذِهِ الصِّفَاتِ لَا يَكُونُ مَلَكاً لَتَنْزِهِ الْمَلَكِ عَنْهَا، فَهُوَ بَشَرٌ لَا مَلَكٌ كَمَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ أَنَّهُمَا أَهْبَطَا إِلَى الْأَرْضِ بِصُورَةِ الْبَشَرِ أَوْ بَهَيْتَهُمَا فَهُمَا عَصَيَا اللَّهَ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ مَعَ وَجُودِ هَذِهِ الْقُوَى لَا فِي صُورَةِ الْمَلَكِ وَ مَا هَيْتِهِ وَ جِنْسِهِ وَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَ الثَّقَلُ هُوَ عَصْمَةُ الْمَلَائِكَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ لَا مُطْلَقاً وَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَعَصِيَانَهُمْ لَا يَضُرُّ بِالْقَاعِدَةِ أَعْنِي بِهَا عَصْمَةُ الْمَلَائِكَةِ وَ لَيْسَ شَعْرِي كَيْفَ غَفَلُوا عَنْ هَذِهِ الدَّقِيقَةِ وَ ذَكَرُوا مِنْ قَالَ بِعَصْمَةِ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يُجِزْ هَذَا كَمَا قَالَه الطَّبْرَسِيُّ تَبَعاً لِصَاحِبِ التَّبْيَانِ وَ تَبِعَهُمَا عَلَيْهِ مِنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمَا نَعَمْ لَوْ كَانَ طَرَحَ الْأَخْبَارِ لِأَجْلِ كَوْنِهَا أَخْبَارَ أَحَادٍ فَهُوَ أَمْرٌ آخَرٌ لَا بَدَلَ لَنَا مِنْ الْبَحْثِ فِيهِ وَ قَدْ ثَبَتَ فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ حُجَّةٌ أَيْضاً خُصُوصاً إِذَا كَانَ مُحْفُوفاً بِالْقَرَائِنِ الْمُوجِبَةِ لِلظَّنِّ وَ لِلْبَحْثِ فِيهِ مَوْضِعٌ آخَرٌ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ هَذَا أَيُّ نَفْسٍ كَوْنِ الْخَبَرِ وَاحِداً مُوجِباً لَطَرَحِهِ مُضَافاً إِلَى أَنَّهُ لَا يَسْتَمُتُّ مِنَ الْأَحَادِ بِشَيْءٍ وَ أَمَّا عَمْدَةُ ادِّعَائِهِمْ فِي طَرَحِهَا فَهِيَ مَنَافَاتُهَا لِلْعَصْمَةِ وَ قَدْ اجْتَنَبْنَا عَنْهَا.

وَ قُلْنَا أَنَّ الْعَصْمَةَ ثَابِتَةً لِلْمَلَكِ بِالْفِعْلِ لَا لِمَنْ كَانَ مَلَكاً سَابِقاً وَ أَمَّا حِينَ الْمَعْصِيَةِ فَهُوَ لَيْسَ بِمَلِكٍ وَ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْمَشْتَقَّ حَقِيقَةٌ قِيمَنَ تَلْبَسُ بِالْمَبْدَأِ بِالْفِعْلِ مُجَازٍ فِي غَيْرِهِ.

إِنْ قُلْتَ أَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْإِنْقِلَابِ فِي الْمَاهِيَةِ وَ قَدْ اتَّفَقَتْ الْفَلَسَافَةُ عَلَى اسْتِحْثَالِهِ تَقْرِيرَ الْإِشْكَالِ، أَنَّ الْمَلَائِكِينَ بَعْدَ هُبُوطِهِمَا إِلَى الْأَرْضِ وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ



ففيهما ما جعل للبشر من الشهوة والحرص وطبائع الطعام والشراب وغيرهما صارا بشرين بزعمكم وخرجا عن كونهما ملكين ولذلك عصيا بمقتضى طبيعة البشرية ووجود دواعي المعصية فيهما ولا نعني بالإنقلاب إلا هذا وبعبارة أخرى أن كانا في حال المعصية ملكين فهو المطلوب والإشكال باق على حاله وهو أن المعصية تنافي العصمة وأن لم يكونا ملكين في حال المعصية بل كانا بشرين فلازم ذلك صيرورة ماهية الملك ماهية البشر وهي الإنقلاب بعينه ، قلنا، أما أولاً فاستحالة الإنقلاب في الماهية يعارضها عموم القدرة فأن الله على كل شيء قدير فهو تعالى قادر على كل شيء وما نحن فيه أيضاً داخل في العموم، وثانياً، أن هذا ليس من الإنقلاب في الماهية الذي قالوا بإستحالة بل هذا من قليل الإنقلاب في الصورة مع بقاء الماهية بحالها فتبديل صورة الملك بصورة الإنسان ليس من إنقلاب الماهية بشي ومن المعلوم أن الماهية من حيث هي ليست إلا هي فلا حكم لها من حيث هي ولا يبعد أن يكون وجه الإستحالة من هذه الجهة أي أن الماهية من حيث هي ليست بشي لتنقلب وقد تكلمنا في هذا الموضوع في مباحثنا العقلية فلانطيل الكلام به مضافاً الى أن أصل القاعدة أعني بها إستحالة الإنقلاب في الماهية عندنا محل تأمل بل منع ومع ذلك كله فنحن لا نقول ولا نعتقد في تفسير الآيات إلا بما ورد فيها من المعصومين سلام الله عليهم أجمعين وذلك لأن أهل البيت أدركوا في البيت والقرآن نزل في بيت النبوة وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً والآن نرجع الى تفسير تمام الآية.

فنقول في عيون الأخبار بأسناده عن العسكري عليه السلام عن آبائه عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: **وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ** وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ قَالَ عليه السلام اتبعوا ما تتلو كفرة الشياطين من السحر على ملك سليمان، الذين كانوا يزعمون أن سليمان به ملك ونحن

أَيْضاً بِهِ نَظْهَرُ الْعَجَائِبِ حَتَّى يَنْقَادَ لَنَا النَّاسُ وَقَالُوا كَانَ سَلِيمَانُ كَافِراً سَاحِراً  
 بِسِحْرِهِ مَلِكٌ مَا مَلَكَ وَقَدَّرَ عَلَيَّ مَا قَدَّرَ فَزَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ، وَمَا كَفَّرَ  
 سَلِيمَانُ، وَلَا اسْتَعْمَلَ السِّحْرَ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ  
 كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ السِّحْرَ الَّذِي نَسَبُوهُ إِلَى سَلِيمَانَ وَالْإِلَهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى  
 الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَكَانَ بَعْدَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ كَثُرَ السَّحْرَةُ  
 وَالْمُوهُونَ فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَكَ إِلَى نَبِيِّ ذَلِكَ الزَّمَانِ بِذِكْرِ مَا يَسْحَرُ بِهِ  
 السَّحْرَةُ وَذَكَرَ مَا يُبْطَلُ بِهِ سِحْرُهُمْ وَيُرَدُّ بِهِ كَيْدُهُمْ فَتَلَقَاهُ النَّبِيُّ عَنِ الْمَلَائِكَةِ  
 وَأَدَّاهُ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا بِهِ عَلَى السَّحْرَةِ وَأَنْ  
 يَبْطُلُوهُ وَنَهَاهُمْ أَنْ يَسْحَرُوا بِهِ النَّاسَ وَهَذَا كَمَا يَدُلُّ عَلَى السَّمِّ مَا هُوَ وَعَلَى مَا  
 يَدْفَعُ بِهِ غَايَةَ السَّمِّ ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا  
 نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ  
 بِصُورَةِ بَشَرَيْنِ وَيَعْلَمَاهُمَا مَا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا  
 يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ، ذَلِكَ السِّحْرَ وَابْطَالَهُ (حَتَّى يَقُولَا لِلْمَتَكَلِّمِ، إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ، وَ  
 امْتِحَانٌ لِلْبَلَاءِ لِيُطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ هَذَا وَيَبْطُلُوا بِهِ كَيْدَ السَّحْرَةِ وَلَا  
 يَسْحَرُوهُمْ فَلَا تَكْفُرْ بِاسْتِعْمَالِ هَذَا السِّحْرِ وَطَلَبِ الْإِضْرَارِ بِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى  
 أَنْ يَعْتَقِدُوا أَنَّكَ بِهِ تُحْيِي وَتُمِيتُ وَتَفْعَلُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَنَّ  
 ذَلِكَ كُفِّرَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَيَتَعَلَّمُونَ يَعْنِي طَالِبِي السِّحْرِ مِنْهُمَا يَعْنِي مِمَّا كَتَبْتَ  
 الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سَلِيمَانَ مِنَ النَّيِّرِنَجَاتِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ  
 هَارُوتَ وَمَارُوتَ، يَتَعَلَّمُونَ مِنْ هَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ مَا يَقْرَأُونَ بِهِ بَيْنَ السَّحْرِ  
 وَرُوحِهِ هَذَا مِنْ يَتَعَلَّمُ لِلْإِضْرَارِ بِالنَّاسِ يَتَعَلَّمُونَ التَّضَرُّبَ مُضْرُوبِ الْحَيْلِ وَ  
 التَّمَانِيهِ وَالْإِلْهَامِ وَأَنَّهُ دَفِنَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا وَعَمِلَ كَذَا التَّجَبُّبَ الْمَرْأَةَ إِلَى  
 الرَّجُلِ وَالرَّجُلَ إِلَى الْمَرْأَةِ أَوْ يُؤَدِّي إِلَى الْفِرَاقِ بَيْنَهُمَا ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَا هُمْ  
 بِضَارِّينَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ أَيَّ مَا يَتَعَلَّمُونَ لِذَلِكَ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ يَعْنِي بِتَخْلِيَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَمَنْعَهُم بِالْجَبْرِ وَالْقَهْرِ ثُمَّ قَالَ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ لِأَنَّهُمْ إِذَا تَعَلَّمُوا ذَلِكَ السَّحْرَ لِيَسْحَرُوا بِهِ وَيَضُرُّوا فَقَدْ تَعَلَّمُوا مَا يَضُرُّهُمْ فِي دِينِهِمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ فِيهِ بَلْ يَنْسَلِخُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَبِذَلِكَ (لَقَدْ عَلِمَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُتَعَلِّمُونَ) لَمَنْ اشْتَرَاهُ بِدِينِهِ الَّذِي يَنْسَلِخُ عَنْهُ بِتَعَلُّمِهِ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ أَيْ مِنْ نَصِيبٍ فِي ثَوَابِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَيْبَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَرَهْنُهَا بِالْعَذَابِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ قَدْ بَاعُوا الْآخِرَةَ وَتَرَكُوا نَصِيبَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمِينَ لِهَذَا السَّحْرِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَا رَسُولَ وَلَا إِلَهَ وَلَا بَعْثَ وَلَا نَشُورَ فَقَالَ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ، لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ آخِرَةٌ فَلَا خِلَافَ لَهُمْ فِي دَارِ بَعْدِ الدُّنْيَا وَأَنَّ كَانَتْ بَعْدَ الدُّنْيَا آخِرَةٌ فَهَمَّ مَعَ كُفْرِهِمْ بِهَا لَا خِلَافَ لَهُمْ فِيهَا ثُمَّ قَالَ وَلَيْبَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، إِذَا بَاعُوا الْآخِرَةَ وَرَضُوا بِالْعَذَابِ الدَّائِمِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ قَدْ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعَذَابِ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ لَكُفْرِهِمْ بِهِ فَلَمَّا تَرَكُوا النَّظَرَ فِي حُجْجِ اللَّهِ حَتَّى تَعَلَّمُوا عَذَابَهُمْ عَلَى إِعْتِقَادِهِمُ الْبَاطِلَ وَجَحْدِهِمُ الْحَقَّ إِنْتَهَى مَوْضِعُ الْحَاجَةِ مِنْهُ.

أَقُولُ أَنَّكَ لَا تَرَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ خَطَأِ الْمَلَائِكِينَ وَارْتِكَابِهِمَا الْفَوَاحِشَ ثُمَّ عَذَابَهُمَا عَلَى مَا نَقَلُوهُ، عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُطَابِقُ لِلْوَقَائِعِ فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى التَّكَلُّفَاتِ وَالْجَوَابِ عَنْهَا وَالْآيَةُ الشَّرِيفَةُ أَيْضاً لَا تَخْرُجُ عَنْ ظَاهِرِهَا وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا أَقْوَالَ الْقَوْمِ فِيهَا لِتَعْلَمَ صِدْقَ مَا قُلْتُ مِنْ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ أَدْرَى بِمَا فِيهِ خَاتَمَةٌ نَذَكَرَ فِيهَا مَا ذَكَرَهُ الْفَخْرُ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِ السَّحْرِ لَغَةً وَشُرْعاً وَأَنَّهُ عَلَى أَقْسَامٍ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ، قَالَ ذَكَرَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّهُ فِي الْأَصْلِ عِبَارَةٌ عَمَّا لُطِفَ وَخَفِيَ سَبَبُهُ وَالسَّحْرُ بِالْفَتْحِ هُوَ الْغِذَاءُ لِحَفَائِهِ وَلُطْفَ مَجَارِيهِ كَمَا قَالَ لَبِيدٌ وَنَسَخَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ - إِلَى أَنْ قَالَ، الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَّةُ - إَعْلَمُ أَنَّ لَفْظَ السَّحْرِ يُطْلَقُ فِي عَرَفِ الشَّرْعِ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ يَخْفَى سَبَبُهُ وَيَتَخَيَّلُ عَلَى غَيْرِ

حقيقته ويجري مجرى التّمويه والخذاع ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذمّ فاعله الى أن قال المسئلة الثالثة في أقسام السّحر إعلم أن السّحر على أقسام الأول سحر الكلدانيين والكيدايين الذين كانوا في قديم الدّهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنّها هي المذبّرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات و الشّروور والسّعادة والنّحوس وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقاتلهم وزاداً عليهم في مذاهبهم وأما المعتزلة فقد إتفقت كلمتهم على أنّ غير الله تعالى لا يقدر على خلق الأجسام والحياة واللّون والطّعم، ثمّ ذكر الرّازي أدلة المعتزلة وقال فيها ما قال ولا نحتاج الى ذكرها ومن شاء الإطلاع عليها فليطلبها من تفسيره ثمّ قال النّوع الثّاني من السّحر سحر أصحاب الأوهام والنّفوس القويّة وحاصل ما أفاده في هذا النّوع من السّحر أنّ النّفس إذا كانت مُستعيلة على البدن شديدة الإنجذاب الى عالم السّموات كانت كأنّها روح من الأرواح السّماوية فكانت قويّة على التّأثيرات في مواد هذا العالم أمّا إذا كانت ضعيفة شديدة التعلّق بهذه اللّذات البدنيّة فحينئذٍ لا يكون لها التصرف البتّة إلّا في هذا البدن فإن أراد الإنسان صيرورتها بحيث يتمدّى تأثير من بدنها الى بدّنٍ آخر اتّخذ تمثال ذلك الغير ووضع عند الحسّ وإشتغل الحسّ به فأتبعه الخيال عليه واقبلت النّفس النّاطقة عليه وقويت التّأثيرات النّفسانية والتصرّفات الرّوحانية وأطال الكلام فيه بما لا مزيد عليه الى أن قال النّوع الثّالث من السّحر الإستعانة بالأرواح الأرضية وحاصل ما أفاده في هذا النّوع أنّ الأرواح الأرضية عبارة عن الجنّ على قوله الفلاسفة وهي في أنفسها مختلفة منها خيرّة ومنها شرّيرة فالخيرية هم مؤمنوا الجنّ والشرّيرة هم كفّار الجنّ وحيث أنّ هذه الأرواح جواهر قائمة بنفسها لا متخيّرة ولا حالة في المتخيّر وهي قادرة عالمة مدركة للجزئيات وإتصال النّفوس النّاطقة بها أسهل من إتصالها بالأرواح السّماوية فلذلك بعد إستخدام النّفس إيّاها أو إتصالها بها

يحصل لصاحب النفس ما لا يحصل لغيره من العجائب وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وتسخير الجن إنتهى مُلخصاً.

**النوع الرابع:** من السحر التخيلات والأخذ بالعيون وهذا النوع مبني على مقدمات ثم ذكر مقدماته من أغلاط البصر وأن الباصرة تقف على المحسوسات وأن النفس اذا كانت مشغولة بشئ ربما حضر عند الحس شئ آخر ولا يشعر الحس به البتة على ما بينه وفصله.

**النوع الخامس:** الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى الى آخر ما قال.

**النوع السادس:** من السحر الإستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل طعمه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار اذا تناوله الإنسان تبلد عقله وقلت فطنته.

**النوع السابع:** من السحر تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أن قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور فاذا إتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قيل التمييز إعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك و حصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة واذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل به ما يشاء.

**النوع الثامن:** من السحر السعي بالنسيمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس فهذا جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه.

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ  
كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا  
رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ (١٠٤) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا  
الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ  
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
الْعَظِيمِ (١٠٥)

### ◀ اللغة

الْمَثُوبَةُ: أصل الثوب رجوع الشيء إلى حالته الأولى التي كان عليها والثواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله فيُسمى الجزاء ثواباً تصوراً أنه هو هو، والثواب يقال في الخير والشر لكن الأكثر المتعارف في الخير وكذلك المثوبة

قال الله تعالى: هَلْ أَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

إستعارة في الشر كما استعمال البشارة فيه:

قال الله تعالى: فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>(٢)</sup>.

أما قوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ أَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ  
أي ثواب عند الله.

رَاعِنَا: وقرأ بالتثنية وهو من الرعونة يقال أُرعيته سَمَعِي إذا أَصْغَيْتَ إِلَيْهِ  
والياء ذَهَبَ لِلْأَمْرِ وَكَانَ الْيَهُودُ يَذْهَبُونَ بِهَا إِلَى الرَّعُونَةِ وَهِيَ الْحُمُقُ أَيْ لَا  
تَقُولُوا حَقّاً وَلَا تَقُولُوا هُجْراً وَالباقِي وَاضِحٌ.

## ◁ الإعراب

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا، أَنْ وما علمت فيه، مصدر في موضع رفع بفعل محذوف لأن لو، تقتضي الفعل تقديره لو وقع منهم أنهم آمنوا أي إيمانهم لَمَثُوبَةٌ جواب لو ومَثُوبَةٌ مبتدأ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ صفة خَيْرٌ خبره وقرأ مَثُوبَةٌ بسكون التاء وفتح الواو وقاسوه على تصحيح من نظائره نحو فَقَتَلَهُ رَاعِنًا فعل أمر وموضع الجملة نصب، بتقولوا ومن قرأ بالتَّوْنينِ فَالتَّقْدِيرِ لا تقولوا قولاً راعناً وَلَا الْمُشْرِكِينَ في موضع جرّ عطفاً على أهل أَنْ يُنْزَلَ في موضع نصب بيّود مِنْ خَيْرٍ قيل من زائدة مِنْ رَبِّكُمْ لأبتداء غاية الإنزال ويجوز أن يكون صفة لخير.

## ◁ التفسير

قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أي أَلَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ السَّحْرَ وَيُعَلِّمُونَهُ غَيْرَهُم والمراد بهم اليهود على ما مرّ بيانه لو آمنوا بالله ورسوله وصدقوا القرآن، واتَّقَوْا قيل واتَّقَوْا السَّحْرَ والكفر أو جميع المعاصي لَمَثُوبَةٌ، أي لأجل الثواب الله، خير لهم لو كانوا يعلمون وليس أنهم كانوا يجهلون ذلك ولكن نزلهم الله منزلة الجاهل لأن من لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء كما يقول الإنسان لصاحبه وهو يُعْطِيهِ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ خَيْرٌ لَكَ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ أو تنظر في العواقب وفي قوله: لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وجهان:

أحدهما: أَنَّ معناه لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَظَهَرَ لَهُم بِالْعِلْمِ ذَلِكَ أَي تَعْلَمُوا أَنَّ ثواب الله خيرٌ من السَّحْرِ.

القول الثاني: أَنَّ المعنى الدَّلَالَةُ على جهلهم وترغيبهم في أن يعلموا ذلك وأن يطلبوا ما هو خيرٌ من السَّحْرِ وهو ثواب الله الذي ينال بطاعته فأن قلت كيف أوثرت الجملة الإسمية على الفعلية في جواب لو، قلت لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الدَّلَالَةِ عَلَى إِبْثَابِ الْمَثُوبَةِ وَإِسْتِقْرَارِهَا كَمَا عَدَلَ عَنِ النَّصْبِ إِلَى الرَّفْعِ فِي سَلَامٍ عَلَيْكُمْ، لذلك.

أَنْ قُلْتَ فَهَلْ أَقِيلَ لِمَثُوبَةِ اللَّهِ خَيْرٌ، قُلْتَ لِأَنَّ الْمَعْنَى لَشَيْءٍ مِنَ الثَّوَابِ خَيْرٌ لَهُمْ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ فَقَالَ الْمَفْسَّرُونَ فِي الْآيَةِ لَمَّا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ عَنِ السَّحَرِ وَأَعْمَالِهِ عَلَى مَا مَرَّ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ عَقَّبَ الْكَلَامَ بِالنَّهْيِ عَنِ إِطْلَاقِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا قَالَ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ يَارَسُولَ اللَّهِ رَاعِنًا، أَيْ إِسْتَمِعْ مِنَّا فَحَرَفَتْ الْيَهُودُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ فَقَالُوا يَامُحَمَّدَ رَاعِنًا، وَهُمْ يَلْحَدُونَ إِلَى الرَّبُوبِيَّةِ يَرِيدُونَ بِهِ التَّقِيصَةَ وَالْوَقِيعَةَ فَلَمَّا عَوَّبُوا قَالُوا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ فَنَهَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَنِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا وَقَالَ قَتَادَةُ هِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْيَهُودُ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِهْزَاءِ وَقَالَ عَطَاءُ هِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْأَنْصَارُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتُهَوَّأُ عَنْهَا فِي الْإِسْلَامِ وَقَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ إِذَا أُلْقِيَ إِلَيْهِمُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ رَاعِنًا يَارَسُولَ اللَّهِ أَيْ رَاقِبْنَا وَإِنْتَظِرْنَا وَتَأَنَّ بِنَا حَتَّى نَفْهَمَهُ وَنَحْفَظَهُ وَكَانَتْ لِلْيَهُودِ كَلِمَةٌ تَسَابُونُ بِهَا عِبْرَانِيَّةً أَوْ سَرْيَانِيَّةً وَهِيَ رَاعِنًا فَلَمَّا سَمِعُوا بِقَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ رَاعِنًا، إِفْتَرَصُوهُ وَخَاطَبُوا بِهِ الرَّسُولَ وَهُمْ يَعْنُونَ بِهِ تِلْكَ الْمَسْئَةَ فَتَنَاهِيَ الْمُؤْمِنُونَ عَنْهَا وَأَمَرُوا بِمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ وَهُوَ أَنْظِرْنَا مِنْ نَظَرِهِ إِذَا إِنْتَظَرَهُ وَقَرَأَ أَبُو أَنْظِرْنَا مِنَ النَّظَرَةِ أَيْ أَهْمَلْنَا حَتَّى نَحْفَظَ وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مَسْعُودٍ رَاعُونًا، عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَخَاطَبُونَهُ بِلَفْظِ الْجَمْعِ لِلتَّوْقِيرِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ أَيْ أَحْسِنُوا سَمَاعَ مَا يَكَلِّمُكُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ وَيُلْقِي إِلَيْكُمْ مِنَ الْمَسَائِلِ بِأَذَانٍ وَاعِيَةٍ وَأَذْهَانٍ حَاضِرَةٍ أَوْ أَسْمَعُوا سَمَاعَ قَبُولٍ وَطَاعَةٍ وَلَا يَكُنْ سَمَاعُكُمْ كَسَمَاعِ الْيَهُودِ حَيْثُ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا أَوْ أَسْمَعُونَا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ بِجَدِّ حَتَّى لَا تَرْجِعُوا إِلَى مَا تُنْهَيْتُمْ عَنْهُ تَأْكِيداً عَلَيْهِمْ تَرْكَ الْكَلِمَةِ ثَقُلَ أَنَّ سَعْدَ ابْنَ مَعَاذٍ سَمِعَهَا مِنْهُمْ فَقَالَ يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِأَنَّ سَمْعَهَا مِنْ رَجُلٍ مِنْكُمْ يَقُولُهَا لِرَسُولِ



اللَّهُ تَعَالَى لَأَظْرَبَنَّ عَنْقَهُ فَقَالُوا أَوْلَسْتُمْ تَقُولُونَهَا فَنَزَلَتْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

قوله تعالى: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَّبِّكُمْ معناه ما يحب الكافرون من أهل الكتاب أعني اليهود والنصارى وغيرهما ولا المشركين من عبدة الأوثان، أن يُنزل عليكم أيها المسلمون شيئاً من الخير الذي هو عنده والمراد بالخير في الآية ما أوحى إلى نبيه وما أنزل عليه من القرآن والشرائع بغياً منهم وحسداً والله يختص برحمته من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم، فيه إشعار بأن النبوة من الفضل العظيم كقوله تعالى أن فضله كان عليك كبيراً ويمكن أن يكون الفضل إشارة إلى أن كل خير أعطاه الله عباده في دينهم ودنياهم فإنه من عنده ابتلاء منه عليهم وتفضلاً عليهم من غير إستحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل يادائم الفضل على البرية يا باسط اليدين بالعطية من علينا بفضلك وجودك يا أكرم الأكرمين وقد ورد في الدعاء إذا ذا الجود والإحسان إذا ذا الفضل والإمتنان.

قال بعض المحققين في شرحه على الدعاء في هذا المقام في تعقيب هذا الاسم لما قبله إيماء إلى أن جوده وإحسانه على الإطلاق بمحض التفضل منه من غير إستحقاق بل هو تعالى مبتدأ بالنعم قبل إستحقاقها وذلك لأن الفعل مقدّم بجميع أنحاء التقدّم اذ لا قوة حيث لا فعل فما لم يستفرض الأشياء في العين بالفيض المقدّس لم يحصل لها قوة كما أنها ما لم تنقّر في العلم بالفيض الأقدس لم يثبت لها قابلية ولا لسان إستعداد وسؤال ولا إمتنان لأمر الحق المتعال فالقابليات وأن كانت للأشياء ذاتيات لكن ظهورها أنما هو بنور منبع الفعليات انتهى.

مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا  
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ  
 أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ  
 دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَن  
 تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ  
 يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨)

### ◀ اللغة

نَنْسَخُ: النسخ بفتح النون في الأصل إزالة الشيء وقيل إزالة شيء بشي يتعقبه  
 كنسخ الشمس الظل والظل الشمس والشيب الشباب فتارة يفهم منه الإزالة و  
 تارة يفهم منه الإثبات وتارة يفهم منه الأمران ونسخ الكتاب إزالة حكم بحكم  
 يتعقبه.

أَوْ نُنْسِهَا: النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع أما لضعف قلبه أو عن غفلة  
 وقصد هذا في الإنسان وأما إذا نسب إلى الله تعالى فهو تركه أيهم إستهانة  
 بهم ومجازاة لما تركوه.

يَتَّبِعُ: التبديل والتبديل والاستبدال والإبدال جعل شيء مكان آخر وهو  
 أعم من العوض.

### ◀ الإعراب

مَا تَنْسَخُ ما شرطية جازمة للنسخ منصوبة الموضع به وجواب الشرط،  
 نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ومن آية في موضع نصب على الحال أي شيء ننسخ من آية، و  
 قِيلَ، ما مصدرية، و، آية، مفعول به أَوْ نُنْسِهَا معطوف على نَنْسَخُ لَهُ مُلْكُ  
 السَّمَوَاتِ مبتدأ وخبر في موضع خبر أن، مِنْ وَلِيٍّ مَنْ زائدة وولي في موضع

رفه مبتدأ ولكم خبره و، نصير، معطوف على لفظ ولي ويجوز في الكلام رفعه على موضع، ولي، من دون في موضع نصب على الحال من ولي أو من نصير أم تريدون أم هنا منقطعة والأصل في تريدون، ترددون، لأنه من راد يرود كما الكاف في موضع نصب صفة لمصدر محذوف أي سؤالكما، وما مصدرة بالأيمان الباء في موضع نصب على الحال من الكفر سواء السبيل سواء ظرف بمعنى وسط السبيل وأعد له والسبيل يذكر ويؤث.

### ◀ التفسير

أحدها: قوله تعالى: مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ إَعْلَمْ أَنَّ تَفْسِيرَ يَسْتَدْعِي التَّكْلِمَ فِي أُمُورٍ.

أحدها: أَنَّ النسخ في اللغة بمعنى النقل والتحويل ومنه تناسخ الموارد والذهور وبمعنى الإزالة ومنه نسخت الشمس الظل وقد كثر استعماله في هذا المعنى في السنة الصحابة والتابعين فكانوا يطلقون على المخصص والمقيد لفظ الناسخ، وأما في الاصطلاح فهو عبارة عن رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية وسواء أكان من المناسب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله بما أنه شارع وهذا الأخير كما في نسخ القرآن من حيث التلاوة فقط وأما قيدنا الرفع بالأمر الثابت في الشريعة ليخرج به ارتفاع الحكم بسبب ارتفاع موضوعه خارجاً كارتفاع وجوب الصوم بإنهاء شهر رمضان وارتفاع وجوب الصلاة بخروج وقتها وارتفاع مالكية شخص لماله بسبب موته فإن هذا النوع من ارتفاع الأحكام لا يسمى نسخاً ولا إشكال في إمكانه ووقوعه ولا خلاف فيه من أحد وتوضيح ذلك أَنَّ الحكم المجعول في الشريعة له نحوان من الثبوت، أحدهما ثبوته في عالم التشريع والإنشاء و المعلوم أَنَّ الحكم في هذه المرحلة يكون مجعولاً على نحو القضية

الحَقِيقِيَّةُ فلا فرق في ثبوتها بين وجود الموضوع و عَدَمه و أَمَّا يكون قِوامُ الحكم بفرض وجود الموضوع فإذا قال الشَّارِعُ شرب الخمر حرام مثلاً، فليس معناه أن هنا خمراً في الخارج و هو محكوم بالحرقه بل معناه أن الخمر متى فُرض وجوده في الخارج فهو محكوم بالحرمة سواء كان في الخارج خمراً بالفعل أم لم يكن و رفع هذا الحكم في هذا المرحلة لا يكون بالنسخ.

**ثانيهما:** بثبوت ذلك الحكم في الخارج بمعنى أن الحكم يعود فعلياً بسبب فعلية موضوعه خارجاً كما إذا تحقق وجود الخمر في الخارج فأُنْ الحُرمة المجعولة في الشريعة ثابتة له بالفعل و هذه الحرمة تستمر باستمرار موضوعها فإذا إنقلب الخمر خلاً فلاريب في إرتفاع الحرمة الثابتة له حال الخمرية ولكن إرتفاع هذا الحكم ليس من النسخ في شيء ولا كلام لأحد في جوازه و وقوعه و أَمَّا الكلام في القسم الأول و هو رفع الحكم عن موضوعه في عالم التشريع إذا عرفت معنى النسخ فنقول المعروف بين علماء من المسلمين و غيرهم هو جواز النسخ بالمعنى المتنازع فيه و هو رفع الحكم عن موضوعه في عالم التشريع و الإنشاء و خالف في ذلك اليهود و النصارى فأدعوا إستحالة النسخ و ملخص شبهتهم في المقام هو أن النسخ يستلزم عدم حكمة الناسخ أو جهله بوجه الحكمة و كلاهما يستعمل في حقّه تعالى و ذلك لأنّ تشريع الحكم من الحكيم المطلق لا بدّ و أن يكون على طبق مصلحة تقتضيه و على ذلك فرفع هذا الحكم الثابت لموضوعه أمّا أن يكون مع بقاء الحال على ما هو عليه من وجه المصلحة و علم ناسخه بها و هذا يُنافي حكمة الجاعل مع أنّه حكيم مطلق و أمّا أن يكون من جهة البداء و كشف الخلاف على ما هو الغالب في الأحكام و القوانين العرفية و هو يستلزم الجهل منه تعالى و على ذلك فيكون وقوع النسخ في الشريعة محالاً لأنّه يستلزم المحال.

و الجواب، عن هذه الشبهة الواهية أن الحكم المجعول من قبل الحكيم قد لا يراد منه البعث أو الزجر الحقيقيين و ذلك كالأوامر التي يقصد بها الإمتحان

وهذا النوع من الأحكام يمكن إثباته أولاً ثم رفعه ولا مانع من ذلك فإن كلاً من الإثبات والرفع في وقته قد نشأ عن مصلحة وحكمة وهذا النسخ لا يلزم منه خلاف الحكمة ولا ينشأ من البداء الذي يستحيل في حقّه تعالى وقد يكون الحكم المجعول حكماً حقيقياً ومع ذلك يُنسخ بعد زمانٍ لا بمعنى أن الحكم بعد ثبوته يرفع في الواقع ونفس الأمر كي يكون مستحيلاً على الحكيم العالم بل هو بمعنى أن يكون الحكم المجعول مقيداً بزمانٍ خاصٍّ معلوم عند الله مجهول عند الناس ويكون إرتفاعه بعد إنتهاء ذلك الزمان لإنتهاء أمده الذي قيّد به وحلول غايته الواقعة التي أنيط بها والنسخ بهذا المعنى ممكن قطعاً بدهة أن دخل خصوصيات الزمان في مناطات الأحكام ممّا لا يشك فيه عاقل فإن يوم السبت مثلاً في شريعة موسى قد اشتمل على خصوصية تقتضي جعله عيداً لأهل تلك الشريعة دون بقية الأيام ومثله يوم الجمعة في الإسلام وهكذا الحال في أوقات الصلاة والصيام والحجّ وإذا تصوّرنا وقوع مثل هذا في الشرائع فلنتصور أن يكون للزمان خصوصية من جهة استمرار الحكم وعدمه فيكون الفعل ذا مصلحة في مدّة معينة ثم لا تترتب عليه تلك المصلحة بهد إنتهاء تلك المدّة وقد يكون الأمر بالعكس وبالجمله كما يمكن أن يقيد إطلاق الحكم من غير جهة الزمان بدليل مُنفصل فكذلك يمكن تقييد إطلاقه من جهة الزمان بدليل مُنفصل فإن المصلحة قد تقتضي بيان الحكم على جهة العموم أو الإطلاق مع أن المراد الواقعي هو الخاص أو المقيد ويكون بيان التخصيص أو التقييد بدليل مُنفصل فالنسخ في الحقيقة تقييد لإطلاق الحكم من حيث الزمان ولا تلزم منه مخالفة الحكمة ولا البداء بالمعنى المستحيل في حقّه تعالى وهذا كله بناء على أن جعل الأحكام وتشريعها مسبّب عن المصالح أو المفاسد التي تكون في نفس العمل وأما على مذهب من يرى تبعيّة الأحكام لمصالح في الأحكام أنفسها فإن الأمر أوضح لأن الحكم الحقيقي على هذا الرأي يكون شأنه شأن الأحكام الإمتحانية هذا ما أفاده

سَيَدْنَا الإِسْتِزَادَ مَدَّ ظِلَّهُ الْعَلَامَةُ الْخَوْثِي فِي الْمَقَامِ وَالْحَقُّ أَنَّهُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ قَدْ أَجَادَ بِمَا أَفَادَ وَلَيْسَ بَعْدَهُ كَلَامٌ.

فَانْيِهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: **أَوْ تُنْسِيهَا** أَعْلَمَ أَنَّ الْأَشْهَرُ فِي قِرَاءَةِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ ضَمُّ النَّوْنِ وَعَلَيْهِ فَهِيَ مِنْ أَنْسَى يُنْسِي مِنَ النَّسْيَانِ الَّذِي بِمَعْنَى التَّرْكَ أَيِ نَتْرَكْهَا فَلَا تُبَدِّلُهَا وَلَا نَنْسَخُهَا وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ** <sup>(١)</sup> وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ فَالْمَعْنَى فِي أَوْ تُنْسِيهَا حَذْفُ ذِكْرِهَا عَنِ الْقُلُوبِ بِقُوَّةِ إِلَهِيَّةٍ وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ كَثِيرٍ بِفَتْحِ النَّوْنِ وَالسَّيْنِ وَالْهَمْزَةِ وَبِهِ قَرَأَ عَطَا وَمُجَاهِدٌ وَأَبَى ابْنُ كَعْبٍ وَغَيْرُهُمْ وَعَلَى هَذَا فَهُوَ مَا خُوِذَ مِنْ نِسَاءٍ بِمَعْنَى التَّأْخِيرِ قَالَ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ، النَّسْيُ تَأْخِيرٌ فِي الْوَقْتِ وَمِنْهُ نَسِيتُ الْمَرْأَةَ إِذَا تَأَخَّرَ وَقْتُ حَيْضِهَا يُقَالُ نَسَاءَ اللَّهِ فِي أَجَلِكَ وَنَسَاءَ اللَّهِ أَجَلَكَ أَيِ أَخَّرَ وَالنَّسِيئَةُ بَيْعُ الشَّيْءِ بِالتَّأْخِيرِ وَمِنْهَا النَّسْيُ الَّذِي كَانَتْ الْعَرَبُ تَفْعَلُهُ وَهُوَ تَأْخِيرُ بَعْضِ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ إِلَى شَهَرٍ أُخَرَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **إِنَّمَا الْفَنَسِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ** <sup>(٢)</sup> فَيَصِيرُ مَعْنَى الْآيَةِ أَوْ تُؤَخِّرُهَا إِمَّا بِإِنْسَانِهَا وَإِمَّا بِإِبْطَالِ حُكْمِهَا انْتَهَى كَلَامُ الرَّاعِبِ.

إِذَا عُرِفَتِ الْقِرَاءَتَانِ فَنَقُولُ أَمَّا الْقِرَاءَةُ الثَّانِيَةُ فَلَا كَلَامَ فِيهَا بَيْنَ الْمَفْسَّرِينَ لِأَنَّ قَوْلَهُ: **تُنْسِيهَا** مَا خُوِذَ مِنَ النَّسْيِ مِنْ نَسَاءٍ يَنْسَأُ نَسَاءً وَهُوَ التَّأْخِيرُ فِي الْوَقْتِ فَيَصِيرُ مَعْنَى الْآيَةِ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ مَا نَرْفَعُ مِنْ آيَةٍ أَوْ حُكْمَ آيَةٍ وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَا تُبَدِّلُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَاهَا أَوْ تُؤَخِّرُهَا عَنِ الْوَقْتِ الْمَضْرُوبِ لَهُ وَهَذَا وَاضِحٌ.

وَأَمَّا عَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى وَهِيَ ضَمُّ النَّوْنِ مِنْ أَنْسَى يُنْسِي إِنْسَاءً مِنَ النَّسْيَانِ الْمَقَابِلِ لِلذِّكْرِ فَهُوَ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ لَا إِشْكَالَ فِيهِ وَأَمَّا فِي حَقِّ الرَّسُولِ فَهُوَ مُحَلٌّ إِشْكَالٍ بَلْ مَنَعٌ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّسْيَانِ يَنَافِي الْعِصْمَةَ فَتَجْوِزُ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ يَوْجِبُ التَّنْفِيرَ قَالَ الشَّيْخُ فِي التَّبَيَّنِ مَا هَذَا لَفْظُهُ وَقَوْلُهُ أَوْ نَنْسَاهَا فَالنَّسْيُ التَّأْخِيرُ وَنَقِيضُهُ التَّقْدِيمُ يُقَالُ أَنْسَأْتُ الْإِبِلَ عَنِ الْحَوْضِ أَنْسَأْتُهَا أَنْسَاءً إِذَا أَخَّرْتُهَا

عنه وساق الكلام في نقل الأقوال إلى أن قال ومن قرأ نُسِها بضم النون وكسر السين يحتمل أمرين:

**أحدهما:** أن يكون مأخوذاً من النسيان إلا أنه لا يجوز أن يكون ذلك من النبي لأنه لا يجوز ذلك من حيث ينفر عنه ويجوز ذلك على الأمة بأن يؤمر بترك قراءتها وينسونها على طول الأيام ويجوز أن ينسهم الله تعالى ذلك وأن كانوا جمعاً كثيراً ويكون ذلك مُعجزاً بمعنى التَّرك من قوله نُسُوا الله فنسيهم، والأول عن قتادة.

**الثاني:** عن ابن عباس وقال معناه تتركها لا تُبدلها انتهى.

وضع الحاجة من كلامه قال الطبرسي رحمته الله بعد نقله عن الشيخ أنه قال ولا يجوز ذلك على النبي ما لفظه وقد جَوَز جماعة من المحققين ذلك على النبي قالوا أنه لا يؤدي إلى التفسير لتعلقه بالمصلحة إلى أن قال وإستدل من حَمَلَ الآية على النسيان الذي هو خلاف الذكر وجَوَز كون النبي مراداً به بقوله سبحانه سنقرأك فلا تنسى إلا ما شاء الله أي ما شاء الله أن تنساه قال وإلى هذا ذهب أبو الحسن فقال أن نبيكم أقرأ القرآن ثم نسيه وأنكر الزجاج هذا القول وقال أن الله تعالى قد أنبا النبي في قوله: **وَلَقَدْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** لتفتري علينا غيره) بأنه لا يشاء أن يذهب بالذي أوحى إلى النبي وقال أبو علي الفارسي هذا الذي احتج به لا يدل على فساد ما ذهبوا إليه وذلك أن قوله: **وَلَقَدْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** أن ما هو على ما لا يجوز عليه النسخ والتبديل من الأخبار وأقاصيص الأمم ونحو ذلك مما يجوز عليه التبديل والذي ينساه النبي هو ما يجوز أن ينسخ من الأوامر والنواهي الموقوفة على المصلحة وفي الأوقات الذي يكون ذلك فيها أصلح ويدل على أن نُسِها من النسيان الذي هو خلاف الذكر قراءة من قرأ أو نسيها وهو قراءة سعد بن أبي وقاص وقراءة من قرأ أو نسيها وهو المروزي عن سالم مولى أبي حذيفة وساق الكلام إلى أن قال ويؤكد ذلك ما روي عن قتادة أنه قال كانت الآية تُنسخ بالآية ويُنسى الله نبيه من ذلك شيئاً انتهى.

وأنا أقول ما ذكره الشيخ الطوسي رحمته الله من أنه يُوجب التفسير حقّ وهو أحقّ بالإتباع ممّا ذكره قتادة والزجاج وأبو علي الفارسي وأمثالهم من العامة وذلك لأنّ ما ذكره هؤلاء القوم موافق لمذهبهم من جواز السهو والنسيان في حقّ النبي وأما ما ذكره الشيخ فهو موافق لمذهبنا من عدم جواز ذلك في حقّ النبي والأنمة عليهم السلام لمكان عصمتهم فلو جوّز السهو أو النسيان في النبي فكيف يعتمد على قوله وهو واضح ثابت على أصولنا وليس المقام موضع إطالة الكلام فيه ثم قال الطبرسي رحمته الله.

والوجه الثاني، هو أنّ المراد بالنسيان الترك في الآية وهو مروي عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد بنسها فأمركم بتركها أي بترك العمل بها. أقول هذا ممّا لا بأس به وقد نقلنا عن الراغب أنّه قال إذا نُسب إلى الله فهو تركه إياهم إستهانة بهم ومجازاة لما تركوه فملّخص الكلام هو أنّ قراءة الضمّ تصحّ إذا كان بمعنى النسيان بمعنى الترك وأما بمعنى النسيان الذي هو خلاف الذكر فلا يمكن حمل الآية عليه إلّا على أصول العامة من جواز السهو والنسيان على النبي وهو كما ترى وأما قراءة الفتح فلا إشكال فيها أصلاً.

ثالثها: قوله تعالى نَاتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلُهَا نقل فيه قولان:

أحدهما: نَاتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا لَكُمْ في التسهيل والتسيير كالأمر بالقتال الذي سهّل على المسلمين بقوله الآن خفّف الله عنكم أو مثلها في السهولة كالعبادة بالتوجّه إلى الكعبة بعد أن كان البيت المقدّس عن ابن عباس.

الثاني: نَاتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا في الوقت الثاني أي هي لكم في الوقت الثاني خير لكم من الأولى لكم في الوقت الأول في باب المصلحة أو مثلها عن الحسن نقل القولين الطبرسي في المجمع أقول وفي المقام قول ثالث والمعنى بأنفع لكم أيها الناس في عاجل أن كانت النسخة أخفّ وفي أجل أن كانت أثقل ويمثلها أن كانت مستوية ويحتمل عدم إرادة التفضيل من اللفظ لأنّ كلام الله لا يتفاضل وأنما هو مثل قوله: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا <sup>(١)</sup>



أَي فَلَهُ فِيهَا خَيْرٌ أَيْ نَفْعٌ وَأَجَزَ لَا الْخَيْرَ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْأَفْضَلِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: **أَوْ مِثْلُهَا** يَنَافِي هَذَا الْإِحْتِمَالَ أَقُولُ الْآيَةَ فِي الْأَصْلِ الْعَلَامَةُ الظَّاهِرَةُ وَاسْتِثْقَاكُ الْآيَةِ أَمَّا مِنْ أَيْ فَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَبَيَّنَ أَيُّهَا مِنْ أَيْ وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا مُسْتَقَّةٌ مِنَ الثَّانِي الَّذِي هُوَ التَّثْبُتُ وَالْإِقَامَةُ عَلَى الشَّيْءِ يُقَالُ تَأَيَّ أَيُّ أَرْفَقُ أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ أَوْئِي إِلَيْهِ ثُمَّ أَنَّهَا تَطَلَّقَ عَلَى كُلِّ جُمْلَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ دَالَّةٌ عَلَى حُكْمِ سُورَةٍ كَانَتْ أَوْ فُصُولًا أَوْ فُصُلًا مِنْ سُورَةٍ وَقَدْ يُقَالُ لِكُلِّ كَلَامٍ مِنْهُ مُنْفَصِلٌ بِفَصْلٍ لَفْظِي آيَةٌ وَ عَلَى هَذَا إِعْتِبَارُ آيَاتِ السُّورِ الَّتِي تَعَدُّ بِهَا السُّورَةُ هَذَا كُلُّهُ فِي الْآيَاتِ التَّشْرِيعِيَّةِ ظَاهِرٌ وَقَدْ تَطَلَّقَ عَلَى الْآيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **وَجَعَلْنَا آيَةً** <sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا** <sup>(٢)</sup>.

فَالْآيَاتُ قِيلَ إِنْشَاءً إِلَى الْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَى الْأُمَمِ الْمَتَّقِمَةِ لِلتَّنْبِيهِ وَالتَّخْوِيفِ وَمِنْهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ** <sup>(٣)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ** <sup>(٤)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ** <sup>(٥)</sup>.

وَالِى التَّكْوِينِ مِنْهَا أَشِيرُ بِقَوْلِهِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ إِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَقَوْلُهُ تَعَالَى مَا نُسَخَّ مِنْ آيَةِ الْآيَةِ يُحْمَلُ عَلَى الْعُمُومِ أَعْنِي بِهِ التَّشْرِيعِي وَالتَّكْوِينِي وَقَدْ وَرَدَتْ بِهِ رَوَايَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ.

فَقَدْ وَرَدَ فِي أَصُولِ الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ شَاهُوِيهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَلَّابِ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو الْحَسَنِ فِي كِتَابٍ أُرَدْتُ أَنْ تَسْأَلَ عَنِ

خلف بعد أبي جعفر وقلقْتُ لذلك فلا تغتم فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يضلُّ قوماً بعد اذ هدهم حتَّى يبيِّن لهم ما يتقون و صاحبكم بعدي أبو ممد ابني وعنده ما تحتاجون اليه يقدِّم ما يشاء ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسخها نأت بِخَيْرٍ مِنْهَا أو مثلها قد كتبتُ بما فيه بيان وقناع لذي عقلٍ يقظان انتهتِ.

و في تفسير العياشي عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عزَّ وجلَّ ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسخها نأت بِخَيْرٍ مِنْهَا أو مثلها فقال عليه السلام: كذبوا ما هكذا هي اذا كان ينسئ وينسخها أو يأت بمثلها لم ينسخها قلت هكذا قال الله قال ليس هكذا قال الله تبارك وتعالى قلت فكيف قال ليس فيها ألف ولا واو قال ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسخها نأت بِخَيْرٍ مِنْهَا مثلها يقول مائمت من إمام أو نُنسخه ذكره نأت بخير منه من صلبه مثله تفسير نور الثقلين<sup>(١)</sup>.

أقول ما ذكره في الروایتين أنما هو تأويل الآية لا تفسير ألفاظها وسيأتي البحث في الفرق بين التفسير والتأويل إن شاء الله.

رابعها: قوله تعالى: **لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** فالظاهر أنه خطاب للرسول ﷺ وفيه إشارة إلى أن الله تعالى قادر على كل شيء ومنه النسخ في الآيات التشريعية التكوينية وكان سبب نزول الآية أن اليهود حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة وطعنوا في الإسلام بذلك وقالوا أن محمداً يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه فما كان هذا القرآن إلا من جهته ولهذا يناقض بعضه بعضاً فأنزل الله، ما ننسخ من آية الخ واذا بدلنا آية مكان آية الخ أي أنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فكما أنه قادر على الإيجاد قادر على الإماتة وكما أنه قادر على جعل لحكم قادر على نسخه وتبديله وهو مقتضى القدرة المطلقة.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَالِكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ فَهُوَ خُطَابٌ لِلرَّسُولِ ﷺ والمعنى قل لهم أي لليهود أن لله سلطان السموات والأرض فليس لأحد من خلقه الإعتراض عليه في ملكه فهو يفعل في ملكه ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء.

وفي قوله: وَمَالِكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ فالمعنى أين تذهبون والله تعالى وليكم وناصركم، فمن قال أن الآية خطاب للنبي قال أتى بضمير الجمع في الخطاب في قوله (وما لكم) تضخيماً لأمره وتعظيماً لقدره ومن قال هي خطاب له وللمؤمنين أولهم خاصة فالمعنى أَلَمْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ، مالكم من دون الله أي سوى الله من ولي يقوم بأمركم وناصر ينصركم فتوجهوا إليه بقلوبكم وتقربوا إليه بأعمالكم وإخلاصكم فيها أن كنتم تعقلون. قوله تعالى: أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ فالمعنى بل أتريدون أيها المؤمنون أن تسألوا رسولكم محمداً ﷺ كما سأل موسى أي كما سأل قوم موسى من قبل أي من قبل ذلك ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل أي ضل عن طريق الحق وقيل عن طريق الاستقامة وقيل عن وسط الطريق والمأل واحد ولم يبين في الآية أي شيء كان سؤالهم عن موسى ويحتمل أن يكون المراد به سؤالهم حيث قالوا: أَرِنَا اللَّهُ جَهَنَّمَ ويمكن أن يكون غير ذلك.

وقد روي عن بعض المفسرين أن سبب نزول الآية هو أن رافع ابن حرملة و وهب ابن زيد قالوا لرسول الله أنتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه و فجّر لنا أنهاراً نتبعك و نصدّك فأنزل الله هذه و قال الحسن عني بذلك مشركي العرب فقد سألوها فقالوا لن نؤمن حتّى تفجّر لنا إلى قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً وقالوا لولا

أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا وَ عَنِ السَّيِّدِ سَأَلَتِ الْعَرَبُ مُحَمَّدًا  
أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِاللَّهِ فَيَرَوْهُ جَهْرَةً وَقَالَ مُجَاهِدٌ سَأَلَتِ قُرَيْشٌ مُحَمَّدًا أَنْ  
يَجْعَلَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا فَقَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ تَكُونُ لَكُمْ كَالْمَائِدَةِ لِقَوْمٍ  
عَيْسَىٰ فَرَجِعُوا.

وَعَنِ الْجَبَانِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ سَأَلَهُ قَوْمٌ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا  
كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ذَاتَ أَنْوَاطٍ وَهِيَ شَجَرَةٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا وَيَعْلَقُونَ  
عَلَيْهَا الثَّمَرَةَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ كَمَا سَأَلُوا مُوسَىٰ إِنْجِلَ لَنَا آلِهَةٌ  
كََمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ.

وَقَدْ رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ رَوَايَةً مِنْ طَرِيقِهِ وَ  
قَدْ اتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ أَمَّ، فِي الْآيَةِ مَنْقُطَةٌ بِمَعْنَى، بَلْ وَقَدْ نَقَلَ الطَّبْرِيُّ  
عَنْ بَعْضِ الْبَصَرِيِّينَ هِيَ بِمَعْنَى الْإِسْتِفْهَامِ وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ، أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ  
تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ثُمَّ نَقَلَ أَقْوَالًا فِي الْمَقَامِ إِلَى أَنْ قَالَ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي  
ذَلِكَ عِنْدِي عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَثَارُ أَنَّهُ إِسْتِفْهَامٌ مُبْتَدَأٌ بِمَعْنَى، أُرِيدُونَ أَيُّهَا  
الْقَوْمُ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ نَظِيرَ مَا سَأَلَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِكُمْ  
فَتَكْفُرُوا أَنْ مَنَعْتُمُوهُ فِي مَسْأَلَتِكُمْ مَا لَا يَجُوزُ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ أَنْ يُعْطَاكُمْ هُوَ أَوْ  
تَهْلِكُوا أَنْ كَانَ مِمَّا يَجُوزُ فِي حِكْمَتِهِ عَطَاؤُكُمْ هُوَ فَأَعْطَاكُمْ هُوَ ثُمَّ كَفَرْتُمْ مِنْ بَعْدِ  
ذَلِكَ كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَأَلَتْ أَنْبِيَائَهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهَا  
مَسْأَلَتُهَا إِيَّاهُمْ فَلَمَّا أُعْطِيَتْ كَفَرَتْ فَفُوجِلَتْ بِالْعُقُوبَاتِ لِكُفْرِهَا بَعْدَ إِعْطَاؤِهَا  
أَيُّ بَعْدَ إِعْطَاءِ اللَّهِ إِيَّاهَا سُؤْلُهَا وَكَيْفَ كَانَ فِي الْآيَةِ قَدْحٌ وَذَمٌّ عَلَى مَنْ سَأَلَ  
الرَّسُولَ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْأَلَ وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ إِيْمَانَهُمْ كَانَ ضُورِيًّا.

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ  
 إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا  
 تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ  
 بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَأَقِيمُوا  
 الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ  
 تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَ  
 قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى  
 تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ  
 مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
 يَحْزَنُونَ (١١٢)

### ◀ اللغة

وَدَّ: فعل ماضٍ من الود وهو محبة الشيء وتَمَنَّى كونه ويُستعمل في كل  
 واحدٍ من المعنيين على أَنَّ التَمَنِّي يتضمن معنى الود لأنَّ التَمَنِّي هو تشهي  
 حصول ما تَوَدَّه.  
 حَسَدًا: الحسد تَمَنَّى زوال نعمةٍ من مستحقٍ لها وربما كان مع ذلك سعيً  
 في إزالتها.

فَاعْفُوا: أمرٌ من عَفَى يَعْفُو والعَفْو هو التَّجَافِي عن الذَّنْبِ.  
 وَاصْفَحُوا: أمرٌ من صَفَحَ يَصْفَحُ صَفْحًا صَفْحَ الشَّيْءِ عَرْضَهُ وَجَانِبَهُ  
 كَصَفْحَةِ الْوَجْهِ وَالصَّفْحَ تَرْكُ التَّشْرِيبِ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْعَفْوِ.  
 هُودًا: اليهود الرجوع برفقٍ ومنه التَّهْوِيدُ وصار اليهود في التَّعَارُفِ التَّوْبَةَ قَالَ  
 اللَّهُ تَعَالَى (أَنَا هُدْنَا إِلَيْكَ) أَي تَبْنَا قَالَ بَعْضُهُمْ يَهُودُ فِي الْأَصْلِ مِنْ قَوْلِهِمْ هُدْنَا

إليك وكان إسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم وأن لم يكن فيه معنى المدح كما أن النصارى في الأصل من قوله، من أنصاري إلى الله، ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم ويقال هاد فلان إذا تحرر طريقة اليهود في الدين ثم صار علماً بالعلبة لقوم موسى وهكذا النصارى فالهؤد اليهود وهو في الأصل جمع هائد أي تائب.

أَمَانِيَهُمْ: قد مضى معناه وقتلنا الأمانة الصورة الحاصلة في النفس من تمنى الشيء وقال مجاهد معناه الكذب.  
بُرْهَانَكُمْ: البرهان البجة الدليل.  
يَحْزَنُونَ: الحزن ضد السرور.

### الإعراب

لَوْ يَرُدُّونَكُمْ لو بمعنى أن المصدريه كفاراً حال من الكاف والميم ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً حسداً مصدر وهو مفعول له والعامل فيه ودّ أو يردونكم من عند أنفسهم من متعلقة بحسداً أي ابتداء الحسد منهم وما تقدّموا ما شرطية في موضع نصب بتقدّموا تجدوه أي تجدوا ثوابه فحذف المضاف عند الله ظرف لتجدوا أو حال من المفعول به إلا من كان في موضع رفع بيدخل هوذا جمع هائد وهود من هاد يهود إذا تاب أو هنا لتفصيل ما أجمل أو نصارى جمع نصران كسكران وسكاري بكى جواب النفي وأسلم وجهه وهو كله محمول على لفظ من وكذلك فله أجره عند ربه وقوله ولا خوف عليهم محمول على معناها.

### التفسير

قوله تعالى: وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قيل نزلت الآية في حيّ بن أخطب وأخيه ياسر ابن أخطب وقد دخلا على النبي حين قدم المدينة فلمّا خرجا

قيل لحيي بن أخطب أهو نبي قال هو هو فقيل فماله عندك قال العداوة الى الموت و هو الذي نقض العهد اثار الحرب يوم الأحزاب نقل هذا عن ابن عباس وقيل نزلت في كعب ابن الأشرف عن الزهوي وقيل في جماعة اليهود عن الحسن نقل هذه الأقوال الطبرسي في المجمع وقال الطبري بعد نقله ما نقلناه كان حيي ابن خطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود العرب حسداً إذ خصهم الله برسوله ﷺ وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعوا فأنزل الله فيهما **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ** وليس لقول القائل عني بقوله كعب ابن الأشرف مفهوم لأن كعب ابن الأشرف واحد وقد أخبر الله جل ثناؤه أن كثيراً منهم يودون لو يردون المؤمنين كفاراً بعد إيمانهم والواحد لا يقال له كثير بمعنى الكثرة في العدو إلا أن يكون قائل ذلك أراد بوجه الكثرة التي وصف الله بها من وصفه بها في هذه الآية الكثرة في العز ورفعة المنزلة في قومه وعشيرته كما يقال فلان في الناس كثير يراد به كثرة المنزلة والقدر فإن كان أراد ذلك فقد أخطأ لأن الله جل ثناؤه قد وصفهم بصفة الجماعة فقال: **لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا** فذلك دليل على أنه عني الكثرة في العدد انتهى ما أراد ناقله عنه.

**اقول** وكيف كان لا شك أنها نزلت في اليهود وبعبارة أخرى أخبر الله تعالى بهذه الآية عن سرائرهم فقال **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** أي تمنى كثير من اليهود والنصارى **لَوْ يَرُدُّونَكُمْ** يا معشر المسلمين أي يرجعونكم، **مِّنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا** أي تمنوا رجوعكم الى الكفر بعد الإيمان والى الضلالة بعد الهداية ومنشأ هذا التمني هو الحسد لا غيره، لأنهم يحسدون عليكم بما أتاكم الله من الثواب في الآخرة والعز والشرف في الدنيا وأما قال كثير، ولم يقل **وَدَّ** أهل الكتاب لأن بعضهم كانوا مؤمنين بالله ورسوله كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وأمثالهما وأما حسد اليهود المسلمين على وضع النبوة فيهم وذهابها

عنهم وقوله: **مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** أي بعد ما تبين لهم أن محمداً رسول الله وأن الإسلام دين الحق وفيه إشارة إلى أن معرفة الحق لا تلازم العمل به فأُنْ كَثِيراً من الناس يعرفونه ومع ذلك لا يعملون به بل ينكرونه بألسنتهم كما قال الله تعالى: **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا<sup>(١)</sup>**.

وأما قوله تعالى: **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فِيهِ** إشارة إلى حُسن العفو والصفح، أي تجاوزوا عنهم وأن كنتم تقدرُونَ على الإنتصاف و الإنتقام.

حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، لكم بعقابهم وقيل أي بأمره، وهو آية القتل والسبي لبني قريظة والجلاء لبني النضير وقيل بأمر بالقتال عن قتادة فإنه قال هذه منسوخة بقوله تعالى: **فَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ<sup>(٢)</sup>** وقال بعضهم أن الآية نُسخَت بقوله أقتلوا المشركين حيث وجدتموهم.

وروي عن الباقر عليه السلام أنه قال: لم يؤمر رسول الله بقتال ولا أذن له فيه حَتَّى نزل جبرئيل بهذه الآية أذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا، وقَلَّدَه سيفاً هكذا قال الطبرسي في المجمع.

وأما قوله: **إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** أي أن الله على كل ما يشاء قدير أن شاء الإنتقام منهم بعنادهم ربهم لا رَأْدَ لِمَشِيتَتِهِ وأن هداهم كما هداكم الله من الإيمان لا يتعذر عليه شيء مما أَرَادَهُ ولا يتعذر عليه شيء مما قَضَاهُ لأَنَّ له الخلق والأمر قال الله تعالى: **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ<sup>(٣)</sup>**.

نقل القرطبي في تفسيره عن البخاري ومسلم عن أسامة ابن زيد أن رسول الله ﷺ ركب على حمارٍ عليه قطيفة فدكيتة وأسامة



وراءه يَعودُ سعد بن عبادة في بني الحارث ابن الخزرج قبل وقعة بدر فسارا حتَّى مرَّا بمجلسٍ فيه عبد الله ابن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله ابن أبي فاذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشرّكين عبدة الأوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله ابن رَواحة فلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ الدَّابةَ خَمَّرَ ابنُ أَبِي أَنفَهَ برداءه وقال لا تُغَبِّرُوا علينا فسلم رسول الله ثم وَقَفَ فنَزَلَ فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال له عبد الله ابن أبي بن سلول أيها المرء لا أحسن ممّا تقول أن كان حقًّا فلا تُؤدِّنا به في مجالسنا أرجع إلى رَحْلِكَ فمن جاءك فأقصص عليه قال عبد الله ابن رَواحة بلى يارسول الله فأغشنا في مجالسنا فأنا نحبّ ذلك فأستتب المشركون والمسلمون واليهود حتَّى كادُوا يتشاورون.

فَلَم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتَّى سكنوا ثم ركب رسول الله ﷺ دابته فسار حتَّى دَخَلَ على سعد بن عبادة فقال رسول الله يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حُباب يريد ابن أبي قال كذلك فقال سعد يا رسول الله بأبي أنت وأمي أعفُ عنه وأصفَحْ فوالذي أنزل عليك الكتاب بالحقّ لقد جاءك الله بالحقّ الذي أنزل عليك ولقد إصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتَّوجوه و يُعصِّبوه بالعصاة فلَمَّا رَدَّ الله ذلك بالحقّ الذي أعطاك شِرق بذلك فلذلك فَعَلَ ما رأيتَ فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان رسول الله وأصحابه يَعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله تعالى وَيصبرون على الأذى قال الله عزَّ وجلَّ: وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** فكان رسول الله يتأول في العفو عنهم ما أمره الله حتى أذن له فيهم فلما غزا رسول الله بداراً فقتل الله به من قتل من صناديد الكفار و سادات قريش فقتل رسول الله وأصحابه غانمين منصُورين معهم أسارى من صناديد الكفار و سادات قريش قال عبد الله ابن أبي سلول و من معه من المشركين و عبدة الأوثان هذا أمرٌ قد تَوَجَّه فبايعوا رسول الله على الإسلام فأسلموا انتهى.

ونحن نتكلم في الحسد والعفو والصفح في موضع آخر أن شاء الله بما لا مزيد عليه.

و أما قوله تعالى: **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** فقد تقدّم الكلام فيه و قوله: **وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** فالمعنى ما تقدّموا من خيرٍ من الأعمال الصالحة والأقوال الحسنة وبالجمله كلّ عملٍ أو قولٍ يتصف بالخير في دار الدنيا تجدوه عند الله غداً يوم القيامة أي تجدون ثوابه وفي هذا الكلام حثٌ وترغيب على فعل الخير قبل الموت و ذلك لأنّ الدنيا دار عملٍ والأخرة دار ثوابٍ وجزاء.

قال أمير المؤمنين **عليه السلام** اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عملٌ وقال **عليه السلام**: في كلامٍ أخر له، ألا عاملٌ لنفسه قبل يوم يؤسه ألا وأنكم في أيامٍ أملٍ من وراءه أجلٌ فمن عمل في أيامٍ أملٍ قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضره أجله و من قصّر في أيامٍ عمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة إلى أن قال **عليه السلام**: ألا وأنكم قد أمرتم بالظعن ودلّتم على الرّاد وأنّ أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى و طول الأمل تزودوا من الدنيا ما تحرزون أنفسكم به غداً وقال **عليه السلام** في

خطبة أخرى، و اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ و بادروا أجالكم بأعمالكم و  
أبتاعوا ما يبقى لكم بما تَزُول عنكم و تَرَحَّلوا فقد جُدَّ بكم  
و أَسْتَعْدُوا للموت فقد أَجَّلَكُم و كونوا قوماً صريح بهم فأنبَّهوا و  
اعلموا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَمْ بدارٍ فاستبدلوا فَأَنَّ اللَّهَ سبحانه لم  
يخلقكم عبثاً و لم يترككم سُدىً و ما بين أَحَدِكُم و الجَنَّةِ و النَّارِ إِلَّا  
الموت أن ينزل به و قال في خطبة أخرى، فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي  
أَيَّامِ مَهْلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ و في فراغه قبل أو ان شغله و في تَنَفُّسِهِ  
قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ و لِيَمْهَدَ لِنَفْسِهِ و قُدُّومِهِ و لِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ  
لدار إقامته الخ.

و لنعم ما قيل:

حَانَ الرَّحِيلُ فَوَدَعَ الدَّارَ الَّتِي      مَا كَانَ سَاكِنَهَا بِهَا بِمُخَلَّدٍ  
وَأَضْرَعَ إِلَى الْمَلِكِ الْجَوَادِ وَقُلَّ لَهُ      عَبْدُ ثِيَابِ الْجُودِ أَصْبَحَ يَحْتَدِي  
لَمْ يَرْضَ إِلَّا اللَّهَ مَعْبُودٌ وَلَا      دِينًا سِوَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
و قال الآخر:

تَنَادَيْكَ أَحْدَاثٌ وَهَنَ صَمُوتُ      وَأَرْبَابُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خَفُوتُ  
فِيَا جَامِعَ الدُّنْيَا حَرِيصاً لغيره      لِمَنْ يَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

و قوله: إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ معناه لا يخفى عليه تعالى أعمالكم  
كيف و هو أقرب اليكم من حَبْلِ الْوَرِيدِ و هو مَعَكُمْ أينما كنتم، قوله تعالى:  
وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ  
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أي قالت اليهود أو مطلق أهل الكتاب لَنْ  
يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى أي من كان من  
النَّصَارَى فقال الله تعالى رَدًّا عَلَيْهِمْ بَأَنَّ مَا ادَّعَوْهُ مِنْ أَبَاطِيلِهِمْ و أَكَاذِبِهِمْ أَوْ مِنْ  
تَمَنِّيَاتِهِمْ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ عَلَى مَا ادَّعَيْتُمُوهُ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي

إِدْعَاكُمْ هَذَا وَاتَّمَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ الْجَنَّةَ مَأْوَى الْمُتَّقِينَ وَمَكَانَ الصَّالِحِينَ وَ  
 أَمَّا إِخْتِصَاصُهُمَا بِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ فَهُوَ أَمْرٌ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ وَلِذَلِكَ  
 قَالَ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ عَلَّقَ الْخُطَابَ عَلَى الشَّرْطِ لِأَنَّ الْكَاذِبَ لَا  
 رَهَانَ لَهُ فِي كَذِبِهِ فَمَنْ ادَّعَى شَيْئاً وَلَمْ يُقِمِ دَلِيلاً عَلَى مُدَّعَاهِ فَهُوَ كَاذِبٌ وَأَنْ أَقَامَ  
 فَهُوَ صَادِقٌ وَلَا جُلَّ ذَلِكَ أَنْ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إِلَّا وَقَدْ جَعَلَ لَهُ بَيِّنَاتٍ دَالَّةً  
 عَلَى صِدْقِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ**  
**الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** <sup>(١)</sup> وهذه قاعدة عقلية جارية في مجاري الأمور  
 كُلِّهَا وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَدَّعِي الْيَهُودُ وَغَيْرُهُمْ كَانْتاً مِنْ كَانَ أَنَّ الْجَنَّةَ مُتَعَلِّقَةٌ  
 بِهِمْ لَنْ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ إِلَّا مِنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى وَحَيْثُ أَنَّهُ مُجَرَّدُ الدَّعْوَى بِلَا  
 بَيِّنَةٍ وَبِرْهَانٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ أَيَّ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ أَوْ أَنَّهُمْ**  
**يَتَمَنُونَ ذَلِكَ وَلَمْ يَسْأَلُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يَتَمَنُونَهُ** ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا يُوجِبُ  
 دُخُولَ الْجَنَّةِ مِنْ أَيِّ فِرْقَةٍ فَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْمَعْيَارَ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَاحِدٌ فِي حَقِّ  
 الْكُلِّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُسْلِمِينَ وَجَمِيعِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ بَلَى مِنْ  
 أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، أَيَّ نِعَمٍ  
 يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَأْمَنُ مِنَ الْعَذَابِ وَدُخُولِ النَّارِ مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ  
 أَيَّ وَالْحَالِ أَنَّهُ مُحْسِنٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ فَقَوْلُهُ أَسْلَمَ لِلَّهِ فِيهِ وَجُوهٌ:

**أَحَدُهَا:** أَنَّهُ بِمَعْنَى إِسْتَسْلَمَ يُقَالُ إِسْتَسْلَمَ فُلَانٌ أَيَّ سَلَّمَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ  
 تَعَالَى إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَيَّ إِسْتَسْلَمْتُ لِلَّهِ فِي  
 جَمِيعِ مَا قَضَى وَقَدَّرَ.

**ثَانِيهَا:** بِمَعْنَى الْإِعْتِرَافَ بِاللِّسَانِ وَبِهِ يَحَقُّ الدَّمُ حَصَلَ مَعَهُ الْإِعْتِقَادُ أَوَّلُهُ  
 سَحْصُلٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا**  
**أَسْلَمْنَا** <sup>(٢)</sup>

ثالثها: الطاعة والانقياد للحق ومنه قوله تعالى: **إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ** <sup>(١)</sup> أي مُعاندون للحق مذعنون له وقوله تعالى: **يَحْكُمُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ** <sup>(٢)</sup> أي الَّذِينَ إِنْقادوا من الأنبياء الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ أُولِي الْعِزْمِ لِأُولِي الْعِزْمِ الَّذِينَ يَهْتَدُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَيَأْتُونَ بِالشَّرَائِعِ.

رابعها: أنه بمعنى الإخلاص في العبادة ومنه قوله تعالى: **أَسْلَفْتُ وَجْهِي لِلَّهِ** <sup>(٣)</sup> أي أَخْلَصْتُ عِبَادَتِي لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَعَظُمَتْ نِعْمَتُهُ.

وفي الحديث قلت له ما الإسلام قال **إِسْلَامٌ** دين الله إسمه الإسلام وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم وبعد أن تكونوا فَمَنْ أَقَرَّ بدين الله فهو مسلم وَمَنْ عَمِلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ إذا عرفت معنى الإسلام والوجوه المحتملة فيه:

فأعلم أن الإسلام في الآية الشريفة في المقام ليس هو الإعتراف باللسان فحسب بل المراد الإعتراف باللسان والإعتقاد بالقلب والعمل بالجوارح والتسليم لله تعالى في جميع ما قَدَّرَ وقَضَى وهو الأول من الوجوه أو الثالث أو الرابع.

فإن المآل في الثلاثة واحد وأما الوجه الثاني، وهو مجرد الإعتراف فليس بمراد قطعاً والدليل على ما إدَّعيناؤه قوله تعالى بعد قوله من أسلم وجهه لله وهو محسن وهو فاعل من أحسن يحسن إحساناً والإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير يقال أحسن إلى فلان.

ثانيهما: إحسان في فعله وذلك إذا علمَ علماً حَسَناً ولاجل ذلك قيل الإحسان أعم من الإنعام إذا عرفت معنى الإحسان فقوله تعالى وهو محسن، معناه أنه يعلم ويعمل فعلاً حَسَناً فالمحسن عالمٌ ثم عاملٌ بعلمه ومن كان

كذلك لا يكون إسلامه بمجرد اللفظ قطعاً لأن اللفظ بما هو لا يلزم العلم و  
لا العمل فالمسلم المحسن لا يكون إلا معتقداً عاملاً بما يقول من الأفعال  
الحسنة وهذا هو الذي قال تعالى فيه: **قُلْهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ**.

قال الله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ  
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا  
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** <sup>(١)</sup>

وقد مر الكلام فيها ومن الواضح أن العمل الصالح لا يوجد إلا من المحسن  
والقرآن يفسر بعضه بعضاً وأما أن أجره عند ربّه فالوجه فيه معلوم لا يخفى  
على أحد كيف والأجر على العمل مختص به تعالى كما أشار إليه في كثير من  
الآيات.

قال الله تعالى: **أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **وَلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ** <sup>(٤)</sup>

والآيات كثيرة وقوله: **وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** نفى الله تعالى  
عنهم الخوف والحزن والخوف توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة وضده  
الرجاء وهو توقع محبوب كذلك وقيل الخوف ضد الأمن وكيف كان فهو  
يستعمل في الأمور الدنيوية والأخرية:

قال الله تعالى: **وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** <sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: **تَتَخَافِي جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا  
وَطَمَعًا** <sup>(٦)</sup>

قال الله تعالى: **وَ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**<sup>(١)</sup>.

**واعلم** أنَّ الخوف من الله لا يُراد به ما يخطر بالبال من الرُّعب كاستشعار الخوف من الأسد بل أنما يُراد به الكُف عن المعاصي واختيار الطاعات ولذلك قيل لا يُعَدُّ خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً، والتخويف من الله تعالى هو الحثُّ على التَّحرز وعلى ذلك:

قال الله تعالى: **ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ**<sup>(٢)</sup>.

ونهى الله عن مخافة الشَّيطان والمُبالاة بتخويفه:

قال الله تعالى: **إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**<sup>(٣)</sup>

وأما الحُزن فهو خشونة في النَّفس لما يحصل فيه من الضَّم وضده الفَرَح:

قال الله تعالى: **قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ**<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ**<sup>(٥)</sup> و أمثالهما من

الآيات

إذا عرفت معنى الخوف والحزن فقد دَرَيْتَ أَنَّ المُسلم المُحسن في أعماله لا خوف عليه ولا حُزن، لأنَّه لم يفعل ما يُوجبهما بل فعل ما أذهب عنه الخوف والحُزن وهو العمل الصالح فلذلك قال لا خَوْف عليهم ولا هم يحزنون، بل يرجون رحمة الله ويُسرُّون بما أتاهاهم الله من الأجر.



ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

٢- الزمر = ١٦

٤- يوسف = ٨٦

١- آل عمران = ١٧٥

٣- آل عمران = ١٧٥

٥- الفاطر = ٣٤

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ  
النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ  
الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ  
قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ (١١٣)

### ◀ اللغة

أما اللغات فيها فواضحة لا خفاء فيها،

### ◀ الاعراب

وَهُمْ يَتْلُونَ في موضع نصب على الحال والعامل فيها قالت وأصل يتلون يتلون فسكنت الواو ثم حذفت لإلتقاء الساكنين فصار يتلون كَذَلِكَ قَالَ الكاف في موضع نصب نعتاً لمصدر محذوف منصوب بقال وهو مصدر مقدم على الفعل والتقدير قولاً مثل قول اليهود والنصارى قال الذين لا يعلمون فعلى هذا الوجه يكون مِثْلَ قَوْلِهِمْ منصوباً بيعلمون أو يقال على أنه مفعول به ويجوز أن يكون الكاف في موضع رفع الإبتداء والجملة بعده خبر عنه والعائد على المبتدأ محذوف تقديره، قاله، فعلى هذا يكون مِثْلَ قَوْلِهِمْ صفة لمصدر محذوف أو مفعولاً ليعلمون والمعنى مثل قول اليهود والنصارى قال الذين لا يعلمون إعتقاد اليهود والنصارى أي فِيهِ يَخْتَلِفُونَ يَخْتَلِفُونَ فيه فيه متعلق بالفعل أعني به يختلفون.

### ◀ التفسير

بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ إِخْتِلَافِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ تِلَاوَتِهِمْ آيَاتِهِ فَقَالَ: قَالَتِ الْيَهُودُ وَهُمْ أَتْبَاعُ مُوسَى لَيْسَتْ النَّصَارَى وَهُمْ أَتْبَاعُ عِيسَى عَلَى شَيْءٍ فِي



تَدِينُهُمُ بِالنَّصْرَانِيَّةِ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ فِي تَدِينِهِمْ  
بِالْيَهُودِيَّةِ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَيَّ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ كَذَلِكَ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يَتْلُونَ  
وَيَقْرَأُونَ الْكِتَابَ وَلَيْسُوا بِجَاهِلِينَ بِهِ.

قِيلَ لَمَّا قَدَّمَ وَفَدَ نَجْرَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَتَاهُمُ أَحْبَارُ الْيَهُودِ  
فَتَنَازَلُوا وَتَقَابَلُوا بِذَلِكَ وَقَالَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ لِلْآخَرَى لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ فَنَزَلَتْ  
الْآيَةُ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ وَالْمُرَادُ بِهِمْ عَلَى مَا قِيلَ هُوَ  
مُشْرِكُوا الْعَرَبِ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا جَهَالًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كِتَابٌ هَكَذَا قَالُوا لِلْمُحَمَّدِ وَ  
أَصْحَابِهِ أَيَّ قَالُوا لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ قَالُوا بِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ لَمْ يَكُونُوا  
عَلَى شَيْءٍ وَكَانُوا عَلَى خَطِئٍ فَقَدْ سَاوَوْكُم بِأَمْعَشَرِ الْيَهُودِ فِي الْإِنْكَارِ وَهُمْ لَا  
يَعْلَمُونَ.

وَقِيلَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ أُمَمٌ كَانَتْ قَبْلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَقَبْلَ  
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٍ قَالُوا الْأَنْبِيَاءُ هُمْ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ وَالْحَقُّ  
أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ كَفَّارُ الْعَرَبِ الَّذِينَ قَالُوا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ فَبَيَّنَ اللَّهُ  
تَعَالَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ قَوْلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهُمْ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقْبَلَ  
وَيَلْتَفِتَ إِلَيْهِ فَقَوْلُ هَؤُلَاءِ الْكَافَرِ أَوْلَى بِالْتَّرَكِ وَأَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ  
تَعَالَى: قَالَهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فَقَدْ ذَكَرُوا  
فِيهِ أَرْبَعَةٌ أَوْجَه:

أَحَدُهَا: قَالَ الْحَسَنُ يَكْذِبُهُمْ جَمِيعًا وَيَدْخُلُهُمُ النَّارُ.

ثَانِيهَا: يَحْكُمُ بِإِنْتِصَافٍ مِنَ الظَّالِمِ الْمَذْبُوعِ لِلْمَظْلُومِ الْمُكَذَّبِ.

ثَالِثُهَا: يُرِيهِمْ مِنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَيَانًا وَمَنْ يَدْخُلُ النَّارَ كَذَلِكَ.

رَابِعُهَا: يَحْكُمُ بَيْنَ الْمُحَقِّقِ وَالْمُبْطَلِ فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَعِنْدِي قَوْلٌ خَاصٌّ وَ

هُوَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا

يحكم وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: **قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ** هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد النبي ﷺ.

وأما تأويل الآية فإنه قالت اليهود لَيْسَتْ النَّصَارَى في دينها على صوابٍ وقالت النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ في دينها على صوابٍ وأما أخبر الله عنهم بقولهم هذا للمؤمنين إعلاماً منه لهم بتضييع كل فريقٍ منهم حكم الكتاب الذي يظهر الإقرار بصحته وأنه من عند الله وجحودهم مع ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه لأن الإنجيل الذي تدّين بصحته وحقيقته النَّصَارَى يحقّق ما في التّوراة من نبوة موسى عليه السلام وما فرض الله على بني إسرائيل فيها من الفرائض وأنّ التّوراة التي تدّين بصحتها وحقيقتها اليهود تحقّق نبوة عيسى عليه السلام وما جاء به من عند الله من الأحكام والفرائض ثمّ كلّ فريقٍ منهم قال للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله وقالت اليهود ليست النَّصَارَى على شيءٍ وقالت النَّصَارَى ليست اليهود على شيءٍ مع تلاوة كلّ واحدٍ من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قوله ذلك فأخبر جلّ ثناؤه أنّ كلّ فريقٍ منهم قال ما قال من ذلك على علم منهم أنّهم فيما قالوه مُبطلون وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به على معرفةٍ منهم بأنّهم فيه مُلحدون انتهى.

أقول وقد روي في تفسير البرهان عن الحسن ابن عليّ أبي طالب عليه السلام أنّه قال: **لَمَّا نَزَلَتْ جَاءَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ وَقَوْمٌ مِنَ النَّصَارَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ أَقْضَ بَيْنَنَا فَقَالَ ﷺ: قُضُوا عَلَيَّ قَضَيْتُكُمْ فَقَالَتِ الْيَهُودُ نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْحَكِيمِ وَأَوْلِيَاءَهُ وَلَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ وَالْحَقِّ وَقَالَتِ النَّصَارَى بَلْ نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْحَكِيمِ وَأَوْلِيَاءَهُ وَلَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ وَالْحَقِّ** فقال رسول الله ﷺ

كَلِّمَ مُبْطِلُونَ مَخْطُوتُونَ فَاسِقُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَأَمْرُهُ فَقَالَتِ الْيَهُودُ  
وَكَيْفَ نَكُونُ كَافِرِينَ وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ التَّوْرَةُ نَقْرَأُوهَا وَقَالَتِ  
النَّصَارَى وَكَيْفَ نَكُونُ كَافِرِينَ وَلَنَا كِتَابُ اللَّهِ الْإِنْجِيلُ نَقْرَأُوهُ فَقَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْتُمْ خَالَفْتُمْ أَهْلَهَا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كِتَابُ اللَّهِ فَلَمْ  
تَعْمَلُوا بِهِ فَلَوْ كُنْتُمْ عَامِلِينَ بِالْكِتَابَيْنِ لَمَا كَفَرْتُمْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ  
حُجَّةٌ لِأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَنْزَلَهَا شِفَاءً مِنَ الْعَمَى وَبَيَاناً مِنَ الضَّلَالَةِ يَهْدِي  
الْعَامِلِينَ بِهَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكِتَابُ اللَّهِ إِذَا لَمْ تَعْمَلُوا مَا فِيهِ كَانَ  
وَبَالاً عَلَيْكُمْ وَحُجَّةُ اللَّهِ إِذَا لَمْ تَنْقَادُوا لَهَا كُنْتُمْ لِلَّهِ عَاصِينَ وَلِإِسْخَاطِهِ  
مُقَرَّنِينَ أَنْتَهَى.



وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا  
اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ  
يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي  
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ  
فَإَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَجَهَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)  
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَمْ يَكُنْ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦)

### ◀ اللغة

خَرَابُهَا: يقال خرب المكان خراباً وهو ضد العمارة.  
خِزْيٌ: الخِزْي بكسر الخاء مصدر قولك خِزِي خِزياً يقال خِزِي  
الرَّجُلُ إِذَا لَجِحَهُ إِنْكَسَارٌ إِمَّا مِنْ نَفْسِهِ وَأَمَّا مِنْ غَيْرِهِ فَالَّذِي يَلْحَقُهُ مِنْ نَفْسِهِ هُوَ  
الْحَيَاءُ الْمَفْرُطُ وَمَصْدَرُهُ الْخِزَايَةُ وَالَّذِي يَلْحَقُهُ مِنْ غَيْرِهِ يُقَالُ هُوَ ضَرْبٌ مِنْ  
الِإِسْتِخْفَافِ وَمَصْدَرُهُ الْخِزْيُ وَهُوَ الْمُرَادُ فِي الْمَقَامِ.  
الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ: هُمَا إِذَا قِيلَا بِالْأَفْرَادِ بِإِشَارَةٍ إِلَى نَاحِيَتِي الشَّرْقِ  
وَالْغَرْبِ وَإِذَا قِيلَا بِلَفْظِ التَّنْيِثِ بِإِشَارَةٍ إِلَى مَطْلَعِي وَمَغْرَبِي الشَّمَا وَالصَّيْفِ وَإِذَا  
قِيلَا بِلَفْظِ الْجَمْعِ فَأَعْتَبَارٌ بِمَطْلَعِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَغْرَبِهِ:  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ (١)  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (٢)  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَرْبِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ (٣).  
قَانِتُونَ، هُوَ فَاعِلٌ مِنْ قَتَنَتِ الْقُنُوتَ لَزُومِ الطَّاعَةِ مَعَ الْخُضُوعِ

## ◀ الإعراب

وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ إِسْتَفْهَمَ فِي مَعْنَى النَّفْيِ وَهُوَ رَفَعَ بِالْإِبْتِدَاءِ وَأَظْلَمَ خَبْرَهُ  
لَا أَحَدَ أَظْلَمَ مِنْ مَنِّ مَنِّ نَكْرَةٍ مُوصُوفَةٍ أَوْ بِمَعْنَى الَّذِي أَنْ يُذَكَّرَ فِيهِ ثَلَاثَةٌ  
أَوْجُهُ:

أحدها: هو في موضع نصب على البدل من مساجد بدل الإشتغال تقديره  
ذكر إسمه فيها.

الثاني: أن يكون في موضع نصب على المفعول له وتقديره كراهية أن يذكر.  
الثالث: أن يكون في موضع جر تقديره من أن يذكر.

وَسَعَى فِي خَرَابِهَا، خَرَابٌ إِسْمٌ لِلتَّخْرِيبِ مِثْلُ السَّلَامِ لِلتَّسْلِيمِ إِلَّا خَائِفِينَ  
حَالٍ مِنَ الضَّمِيرِ فِي يَدْخُلُوهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ وَلَيْسَتْ حَالًا وَلِلَّهِ  
الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ وَمُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ فَإِنَّمَا شَرْطِيَّةٌ تُؤَلَّوْا مُجْزُومٌ بِهِ وَ  
هُوَ النَّاصِبُ لِأَيْنَ فَتَمَّ الْجَوَابُ لِلشَّرْطِ وَفِي قَوْلِهِ، تَوَلَّوْا وَجْهَانِ:  
أحدهما: هو مستقبل أيضاً وتقديره تتولَّوْا فحذف التاء الثانية.

الثاني: أَنَّهُ ماضٍ وَالضَّمِيرُ لِلْغَائِبِينَ وَالتَّقْدِيرُ أَيْنَمَا يَتَوَلَّوْنَ وَقِيلَ يَجُوزُ أَنْ  
يَكُونَ ماضياً قَدْ وَقَعَ وَلَا يَكُونُ أَيْنَ، شَرْطاً فِي اللَّفْظِ بَلْ فِي الْمَعْنَى كَمَا تَقُولُ مَا  
صَنَعْتَ صَنَعْتُ إِذَا أَرَدْتَ الْمَاضِي وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ لِأَنَّ أَيْنَ إِذَا إِسْتَفْهَمَ وَ  
أَمَّا شَرْطٌ وَلَيْسَ لَهَا مَعْنَى ثَالِثٌ فَتَمَّ ثُمَّ إِسْمٌ لِلْمَكَانِ الْبَعِيدِ عَنْكَ وَبُنِيَ لَتَضْمِنَهُ  
مَعْنَى الْإِشَارَةِ وَقِيلَ بَنِيَ لَتَضْمِنَهُ مَعْنَى حَرْفِ الْخُطَابِ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا  
يُقْرَأُ بِالْوَاوِ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ، لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَيَقْرَأُ بِغَيْرِ وَاوٍ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ كُلِّ  
لَهُ تَقْدِيرُهُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَوْ كُلَّهُمْ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي كُلِّ أَنْ يَسْتَعْمَلَ مُضَافًا وَمِنْ  
هِنَا ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى مَنْعِ دُخُولِ الْأَلْفِ وَالْآمِ عَلَيْهِ لِأَنَّ تَخْصِيصَهَا بِالْمُضَافِ  
إِلَيْهِ قَائِنُونَ حَمَلَ الْخَبَرِ عَلَى مَعْنَى كُلِّ فَجَمَعَهُ وَلَوْ قِيلَ قَائِنٌ، جَازَ عَلَى لَفْظِ  
كُلِّ.

## ﴿التفسير﴾

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ فقال ابن عباس ومجاهد وإختره القراء المراد بهم الرّوم لأنهم كانوا غزو بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت أيام عمر فأظهره عليهم المسلمين وصاروا لا يدخلوا إلا خائفين، وقال الحسن و قتادة والسدي هو بخت نصّر حرب بيت المقدس، قال قتادة وأعانه عليه النصاري وقال قوم عنى به سائر المشركين لأنهم يريدون صد المسلمين عن المساجد ويحبونه قال قوم المراد به هو مشركوا العرب وضعف هذا الوجه الطبري وقال أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، قال الشيخ في التبيان بعد نقله عنه ما نقلناه وهذا أي ما ذكره الطبري ليس بشئ لأن عمارة المسجد بالصلاة فيها و خرابها بالمنع من الصلاة فيها وقد روي أنهم هدموا مساجد كان أصحاب النبي يصلون فيها بمكة لما هاجر النبي وأصحابه انتهى. أن قلت لم قال مساجد الله بلفظ الجمع وهو أراد المسجد الحرام أو بيت المقدس قلت أجابوا عنه بوجهين:

**أحدهما:** أن كل موضع منه مسجد كما يقال لكل موضع من المجلس العظيم مجلس.

**الثاني:** ما نقل عن الجبائي وهو أنه يدخل فيه المساجد التي بناها المسلمون للصلاة بالمدينة وأما قوله: مِمَّنْ مَنَعَ أَصْلَ الْمَنَعِ الصَّدَ والحيلولة وقيل أنهما بمعنى واحد قال أهل اللغة المنع أن يحول بين الرجل وبين الشيء يريده وأما المساجد فقد تبينا الاختلاف فيها فمنهم من قال أراد المسجد الأقصى ومنهم من قال أراد المسجد الحرام ومنهم من قال أراد جميع المساجد. وروي عن زيد بن علي عن أبيه أنه أراد جميع الأرض لقوله ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً وقيل الرماد من منع من كل مسجد إلى يوم القيامة.

قال بعض المفسرين من العامة وهو الصحيح لأنَّ اللَّفْظَ عامٌّ وَرَدَ بصيغة الجمع فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص من غير دليل ضعيف جداً. وأما قوله: **وَسَعَى فِي خَرَابِهَا** فأعلم أنَّ خراب المساجد على قسمين: حقيقي وغير حقيقي.

**أما الأول:** كتخريب بخت نصر ومن أعانه من النصارى بيت المقدس على ما نقل أنهم غزوا بني إسراديل مع لعض ملوكهم قيل إسمه نطوس بن أسبيا نوس الرُّومي فيما ذكر الغزنوي فقتلوا وسبوا وحرَّقوا التَّوراة وقذفوا في بيت المقدس العذرة وخربوه وتفصيل الواقعة مذكور في التَّواريخ.

**أما الثاني:** من قسمي التَّخريب كمنع المشركين المسلمين حين صدَّوا رسول الله ﷺ من المسجد الحرام وبالجملة فتعطيل المساجد عن الصَّلَاة وإظهار شعائر الإسلام فيها خراب لها والحقُّ أن يقال أنَّ خصوصية المورد في الآية لا تنافي عموم المعنى وشموله فكلٌّ من خرب المسجد بأيِّ نحو كان سواء أكان التَّخريب في بناء أم في منع المصلين عن الصَّلَاة فيه فهو مصداق للآية مسلماً كان المُخرب أو كافرًا فَأَنَّ الظَّالِم يشمل الكافر والمُسلم بل هو في المُسلم أشدَّ منه في الكافر وهو واضح لا خفاء فيه وأما قوله: **أَوَلَيْكَ مَا كَانُوا يَدْخُلُونَهَا إِلَّا خَائِفِينَ** معناه أولئك المُخربون ليس لهم أن يدخلوها إلا خائفين وجلين قال ابن عباس أي لا يدخل نصراني بيت المقدس إلا نهك ضرباً وأبلغ عقوبة وهو كذلك اليوم.

ومن قال أنَّ المراد به المسجد الحرام قال لما نزلت هذه الآية أمر النَّبي منادياً ألا تحجَّ بعد العام مشركٌ ولا يطوف بالبيت عريان وقيل هو خيرٌ ومقصوده الأمر أي جاهدوهم وإستأصلوهم حتَّى لا يدخل أحدٌ منهم المسجد الحرام إلا خائفاً كقوله تعالى: **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ** <sup>(١)</sup> فأنه

ضياء القرآن في تفسير القرآن



المجلد الأول

نَهَى وَرَدَ بلفظ الخبر وقوله تعالى: **لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** قيل في معناه، القتل للجري والجزية للذمي وقيل الخزي لهم في الدنيا قيام المهدي وفتح عمورية ورومية وقسطنطية وغير ذلك من مُدُنهم قاله القرطبي ثم قال على ما ذكرناه في كتاب التذكرة، ومن جعلها في قريش جعل الخزي عليهم في الفتح والعذاب في الآخرة لمن مات منهم كافراً وقال الزجاج أعلم الله هذه الآية أن أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالفي إلى مساجدهم إلا خائفاً وهذا كقوله تعالى: **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** <sup>(١)</sup> فكأنه قيل أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لا عزاز الله الدين وإظهاره للمسلمين هذا ما قال المفسرون في المراد بالآية والذي يظهر من بعض الأخبار الواردة في المقام هو أن المراد من الآية مشركوا العرب والمراد بالمساجد في الآية مساجد المسلمين التي بناها قوم من خيار أصحاب الرسول ففناء الكعبة.

روي في تفسير البرهان عن العسكري عليه السلام قال: الحسن بن علي لما بعث الله محمداً بمكة وأظهر بها دعوته ونشر بها كلمته وعاب أديانهم في عبادتهم للأصنام وأخذوه وأسأوا ومعاشرته وسعوا في خراب المساجد المبنية كانت لقوم من خيار اصحاب محمد و شيعة علي ابن أبي طالب عليه السلام بفناء الكعبة مساجد يعنون فيها ما أصابه المبطلون فسعى هؤلاء المشركون في خرابها وأذى محمداً وسائر أصحابه وألجأوه إلى الخروج من مكة نحو المدينة إلتفت خلفه إليها وقال الله يعلم أنني أحبك ولولا أن أهلك أخرجوني عنك لما آثرت عليك بلداً ولا أبقيت عليك بدلاً وأنا لمغتم على مفارقتك فأوحى الله إليه يا محمد صلوات الله عليه أن العلي الأعلى يقرؤك السلام و



يقول سأردك الى هذا البلد ظافراً غانماً سالمأ قادراً قاهراً وذلك قوله أَنَّ الَّذِي فرض عليك القرآن لَرَادِّكَ الى معادٍ، يعني مَكَّةَ غانماً ظافراً فأخبر بذلك رسول الله أصحابه فإتصل بأهل مَكَّةَ ففسخروا منه فقال الله لرسوله سوف يظفرك الله بمَكَّةَ ويجري عليهم حكمي وسوف أمنع من دخولها المشركين حتَّى لا يدخلها أحدٌ منهم إلاَّ خائفاً أن دخلها مستخفياً من أَنَّهُ أن عُثر عليهم قتل فلماً حتم قضاء الحق بفتح مَكَّةَ وإستوثقت له أُمُر عليهم عتاب بن أسيد فلماً إتصل خبره قالوا أَنَّ مُحَمَّدًا لا يزال يستخف بنا حتَّى ولَّى علينا غلاماً حدث السن ابن ثمانية عشر سنة ونحن مشايخ ذوو الأسنان و جيران حرم الله الأمن وخير بُعْعة على وجه الأرض وكتب رسول الله لعتاب ابن أسيد عهداً على مَكَّةَ وكتب في أوله بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، من مُحَمَّدٍ رسول الله الى جيران بيت المقدس و سگان حرم الله أَمَّا بَعْدُ وَذَكَرَ الْعَهْدَ وقرأه عتاب ابن أسيد على أهل مَكَّةَ ثم بعث رسول الله ﷺ بعشر آياتٍ من سورة براءة مع أبى بكر ابن أبى قحافة فيها ذَكَرَ نَبذَ الْعَهْدِ الى الكافرين وتحريم قرب مَكَّةَ على المشركين وأمر أبا بكر على الحجَّ يَبْتَهِجُ لمن ضمَّه الموسم وقرأ الآيات عليهم فلماً صدر عنه أبو بكر جاء المطوف بالنور جبرئيل فقال يا مُحَمَّدُ أَنَّ الْعَلِيَّ الْأَعْلَى يَقْرُوكَ السَّلَامَ ويقول يا مُحَمَّدُ لا يُؤْدِي عنكَ إِلَّا أَنْتَ أو رجل منك فإبعث علياً ليتناول الآيات فيكون هو الَّذِي يَنْبِذُ الْعَهْدَ و يقرأ الآيات وقال جبرئيل يا مُحَمَّدُ ما أَمَرَكَ رَبُّكَ بدفعها الى عَلِيٍّ ونزعها من أبى بكر سهواً ولا شُكاً ولا إستدراكاً على نفسه غلطاً ولكن أراد أن يُبَيِّنَ لضعفاء من أُمَّتِكَ المسلمين أَنَّ الْمَقَامَ الَّذِي يَقُومُهُ أَخُوكَ عَلِيٌّ لَنْ يَقُومَهُ غَيْرُ سِوَاكَ و

أَن جَلَّتْ فِي عَيُونِ هَؤُلَاءِ الضُّعْفَاءِ مَرْتَبَتُهُ وَشَرَفَتْ عِنْدَهُمْ مَنَزَلَتُهُ فَلَمَّا انْتَزَعَ عَلَيَّ الْآيَاتِ مِنْ يَدِهِ لَقِيَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لِمَوْجِدَةٍ كَانَ نَزَعَ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنِّي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا وَلَكِنَّ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ أَمَرَنِي الْإِنْيُوبَ عَنِّي مِنْ هُوَ مِنِّي وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَوَّضَكَ اللَّهُ بِمَا حَمَلَكَ مِنْ آيَاتِهِ وَكَلَّفَكَ مِنْ طَاعَتِهِ الدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ وَالْمَرَاتِبِ الشَّرِيفَةِ أَمَّا أَنْكَ أَنْ أَدُمْتَ عَلَى مَوْلَاتِنَا وَوَأَفِيتِنَا فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وَفِينَا بِمَا أَخَذْنَا بِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاقِيقِ مِنْ خِيَارِ شَيْعَتِنَا وَكِرَامِ أَهْلِ مَوَدَّتِنَا فَفَسَّرِي بِذَلِكَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فَمَضَى عَلَيَّ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَبَذَ الْعُهُودَ إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ وَآيَسَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُخُولِهِمْ بَعْدَ عَامِهِمْ ذَلِكَ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ وَكَانُوا عَدُوًّا كَثِيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا غَسَاهُمُ اللَّهُ نُورَهُ وَكَسَاهُمْ فِيهِمْ هَيْبَةً وَجَلَالًا لَمْ يَجْسُرُوا مَعَهَا عَلَى إِظْهَارِ خِلَافٍ وَلَا قَصْدٍ بِسُوءٍ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَهِيَ مَسَاجِدُ خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَكَّةَ لَمَّا مَنَعُوهُمْ مِنَ التَّعْبُدِ فِيهَا وَالْجَاؤُوا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْخُرُوجِ عَنْ مَكَّةَ وَسَعَوْا فِي خَرَابِهَا خَرَابَ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ لَثَلَا تَعْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَوَلَيْكَ مَا كَانُوا لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ أَنْ يَدْخُلُوا بِقَاعِ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ فِي الْحَرَمِ إِلَّا خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِهِ وَحُكْمِهِ النَّافِذِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا كَافِرِينَ بِسَيُوفِهِ وَسِيَاطِهِ لَهُمْ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي الدُّنْيَا وَخَزْيٍ وَهُوَ طَرَدُهُ إِيَّاهُمْ عَنِ الْحَرَمِ وَمَنْعُهُمْ أَنْ يَعُودُوا إِلَيْهِ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ انْتَهَى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَإِنَّمَا تَوَلَّوْا قَعَمَ وَجْهِهِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اِخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ لَمَّا أَنْكَرْتَ

اليهود تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة نزلت هذه الآية ردّاً عليهم وبيّنوا أنّه سبحانه ليس في جهةٍ دون جهةٍ كما يقول المجسّمة وقيل أنّ المسلمين كانوا يتوجّهون في صلاتهم حيث شاؤوا وفيه نزلت الآية ثم نسخ ذلك بقوله فَوَلَّ وجهك شطر المسجد الحرام قاله قتادة وقيل نزلت في صلاة التطوع على الرّاحلة تصلّيها حيث ما توجّهت اذا كنت في سفرٍ وأمّا الفرائض فقولوه وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره يعني أنّ الفرائض لا تصلّيها إلا الى القبلة وهذا هو المروى عن ائمتنا نقل هذه الأقوال الطبرسي في المجمع و قال القرطبي من العامة إختلف العلماء في المعنى الذي نزلت فيه، فأينما تولّوا على خمسة أقوال فقال عبد الله ابن أبي عامر بن ربيعة نزلت فيمن صلى الى غير القبلة في ليلة مظلمة أخرجه الترمذي عنه عن أبيه قال كنّا مع النبي ﷺ في سفرٍ في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فنزلت الآية فإينما تولّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ أقول لقائل أن يقول هذا الحديث يكذب نفسه لأنهم لو كانوا مع النبي ﷺ وصلّوا كذلك ولم يسئلوا عنه ﷺ فهم مقصرون، وإن سئلوا عنه وهو أيضاً لم يعلم القبلة فكيف يكون نبياً وإن علم بها فكيف لم يُخبرهم بها ثم قال القرطبي وذهب أكثر أهل العلم الى هذا وساق الكلام الى أن قال نقلاً عن صحيح مسلم قال كان رسول الله ﷺ يصلي هو مقبلاً من مكة الى المدينة على راحلة حيث كان وجهه قال وفيه نزلت فإينما تولّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ.

أقول وبذلك زاد القرطبي في الطنبور نعمة أخرى أعادنا الله منه، أمّا سائر قواله فقد مضى الكلام فيها في نقل الأقول، ثم أنّ الشيخ رحمه الله في التبيان بعد نقله الأقوال قال وقيل معناه فَتَمَّ وجه الله فأدعوه كيف توجّهتم، وقال آخرون وأختاره الرّماني والجبائي، فَتَمَّ رضوان الله كما يقال هذا وجه العمل وهذا وجه الصّواب وكأنّه قال الوجه الذي يؤدي الى رضوان الله وتقديره إتصالها

بما قبلها كأنه قال، لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد أن تذكروه حيث كنتم من أي وجهٍ وله المشرق والمغرب والجهات كلها إنتهى.

أقول والذي يستفاد من الأخبار أنها نزلت في صلوة النافلة فصلها حيث توجّهت إذا كنت في سفرٍ وأما الفرائض فقوله تعالى: وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ<sup>(١)</sup> يعني الفرائض لا يصلّيها إلا إلى القبلة.

فمن عن تفسير العياشي بأسناده قال: قال أبو جعفر نزلت هذه الآية في التطوع خاصة فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وصلّى رسول الله ﷺ إيماءً على راحلته أينما توجّهت به حين خرج إلى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره قال: قال زرارة قلت لأبي عبد الله عليه السلام في السفينة والمحمل سواء قال عليه السلام النافلة كلها سواء توئى إيماءً أينما توجّهت دابّتك وسفينتك والفريضة تنزل بها من المحمل إلى الأرض إلا من خوفٍ فأن خفت أو ماتت وأما السفينة فصلى فيها قائماً وتوجّه إلى القبلة بجهدك كان نوح قد صلّى الفريضة فيها قائماً متوجّهاً إلى القبلة وهي مطبقة عليهم قال قلت وما كان علمه بالقبلة فيتوجّهاً وهي مطبقة عليهم. قال جبرئيل يقومها نحوها قال أفأتوجه نحوها في كلّ تكبيرة قال أمّا في النافلة فلا إنّما تكبر في النافلة على غير القبلة ثم قال كلّ ذلك قبلة للمتنقل أنّه قال وحيثما كنتم فتمّ وجهه الله إنّ الله واسعٌ عليمٌ إنتهى.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

أقول والأخبار بهذه المضامين كثيرة فلا تدخل فيما نحن فيه صلوة الفريضة

وهو واضح

**فصل** إختلف النَّاسُ في المراد بِالْوَجْهِ المضاف الى اللَّهِ تعالى في القرآن و السَّنة فقال بعضهم أنَّ ذلك راجع الى الوجود والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام إذ كان الْوَجْه أَظْهَرَ الأَعْضاء في الشَّاهد وأَجْلَها قَدْرًا، وقال ابنُ فُورك قد تذكّر صفة الشَّيِّ والمراد بها الموصوف توسّعاً كما يقال رأيت علم فلان اليوم ونظرتُ الى علمه وإنما يريد بذلك رأيتُ العالم ونظرتُ الى العالم كذلك إذا ذكّر الوجه هنا والمراد من له الْوَجْه أي الوجود وعلى هذا يتأول قوله تعالى: **إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ<sup>(١)</sup> لَأَنَّ** المراد به لَأَنَّ الَّذِي له الْوَجْه وكذلك قوله، **إِلَّا يُبْتَغَى وَجْه رَّبِّهِ الْأَعْلَى**، الَّذِي له الوجه وقال ابنُ عَبَّاس الوجه عبارة عنه عزَّ وجلَّ كما قال ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام، وقال بعضُ، تَلَك صفة ثابتة بالسَّمْع زائدة على ما تُوجبه العقول من صفات القديم تعالى، وقيل المراد بالوجه هنا الجَهَّة الَّتِي وَجَّهْنَا إليها أي القبلة، وقيل الْوَجْه الْقَصْد كما قال الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيهِ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

وقيل المعنى فَتَمَّ رَضِيَ اللَّهُ وَثَوَابَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ **وَاللَّهُ سَاجِدٌ** : من بنى مَسْجِدًا يَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ، وقيل المراد فَتَمَّ اللَّهُ وَالْوَجْه صَلَة كقوله تعالى وهو مَعَكُمْ هذه الأقوال ذكرها القرطبي في تفسيره، وقال الطُّبري في تفسيره لهذا الكلام قوله **فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** أي فَتَمَّ قِبْلَةَ اللَّهِ يعني بذلك وجهه الَّذِي وَجَّهَهُمْ إِلَيْهِ ونقل عن بعض أَنَّهُ قال أي فَتَمَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعن آخر أي فَتَمَّ تَدْرِكُونَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ الْوَجْه الكريم وأمثال ذلك من الأقوال، وأما المفسرون من الشَّيْعة فنقلوا هذه الأقوال أو بعضها من غير ترجيح بعضها على بعض.

**وأنا أقول** الْوَجْه إذا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ تعالى فالمراد به ذاته البسيطة وقد ثبت

أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَىٰ مَنْزَهُ عَنِ الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ وَالْوَضِعِ وَالْكَيفِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْأَجْسَامِ فَلَا آيَةَ وَأَمْثَالَهَا لِنَفْيِ الْجِهَةِ عَنْهُ تَعَالَىٰ إِذْ لَوْ كَانَ فِي جِهَةٍ مِنْ الْجِهَاتِ لَمَا يَصْدُقُ أَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ وَتَقْرِيرُهُ إِجْمَالاً أَنَّ الْجِهَةَ أَمْرٌ مُمْتَدٌّ فِي الزَّمَانِ طَوِيلٌ وَعَرْضٌ أَوْ عَمَقٌ فَلَوْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي جِهَةٍ مِنْ الْجِهَاتِ مِنَ الْفَوْقِ وَالتَّحْتَ وَالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ وَكَانَ الْمُصَلِّيُّ مُحَازِباً لِأَحَدِي الْجِهَاتِ فَهُوَ لَا مُحَالَ لَا يَحَازِي جِهَةً أُخْرَىٰ فَلَا يَصْدُقُ أَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ وَحَيْثُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ كَذَلِكَ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَىٰ لَيْسَ فِي جِهَةٍ خَاصَّةٍ مُعَيَّنَةٍ وَنِسْبَةِ الذَّاتِ إِلَىٰ كُلِّ الْجِهَاتِ سَوَاءٌ فَتَسْتَكْشِفُ مِنْهُ أَنَّ تَعَالَىٰ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا أَنَّهُ فِي وَضْعٍ وَمَكَانٍ فَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَلَيْسَ لَهُ مَكَانٌ خَاصٌّ وَفِي كُلِّ الْجِهَاتِ وَلَيْسَتْ لَهُ جِهَةٌ مُعَيَّنَةٌ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمَنْ جَهْلُهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ صَدَّه، وَمَنْ صَدَّه فَقَدْ عَدَّه وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَمَنْ قَالَ عَلَىٰ مَ فَقَدْ أَخْلَىٰ مِنْهُ، كَانَتْ لَا عَنْ حَدَثٍ مُوجُودٍ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ وَغَيْرِ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعْلَمْ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْأَلَةِ، بِصِيرٍ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ أَلَخَ وَقَدْ أَوْضَحْنَا وَفَسَّرْنَا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِي شَرْحِنَا عَلَىٰ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ إِنْ شِئْتَ فَرَاغَهُ هَذَا أَوَّلًا وَثَانِيًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ تَعَالَىٰ خَالِقَ الْجِهَاتِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجِهَةَ كَمَا قُلْنَا مُمْتَدَّةٌ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالْعَمَقِ وَلَوْ وَهَمَّا وَكُلٌّ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُنْقَسِمٌ لَا مُحَالَ وَكُلٌّ مُنْقَسِمٌ فَهُوَ مُؤَلَّفٌ مُرَكَّبٌ وَكُلٌّ مُرَكَّبٌ لَا يَدُلُّهُ مِنْ خَالِقِهِ وَمُوجِدِهِ وَالسُّرْفِيهِ هُوَ أَنَّ الْمُرَكَّبَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْأَجْزَاءِ وَكُلٌّ مُحْتَاجٌ مُمَكِّنٌ وَكُلٌّ مُمَكِّنٌ مُحْتَاجٌ إِلَى الْخَالِقِ الْوَاجِبِ دَفْعاً لِلدُّورِ وَالتَّسْلُسِ كَمَا ثَبَتَ فِي مَحَلِّهِ فَالْجِهَةُ آيَةٌ جِهَةٌ كَانَتْ تَحْتَاجُ فِي حَدُوثِهَا وَبَقَاءِهَا إِلَى الْخَالِقِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

فلو كان الخالق متصفاً بها يلزم تقدّم الشئ على نفسه وهو محال فثبت أنه

تعالى منزلةً عن الجهات ومع ذلك موجود في جميع الجهات كما هو شأن العلة بالنسبة الى معلولها فيصدق أينما تولوا فثم وجه الله، إذ المصلي وغيره واقع في الجهة متوجه الى الجهة وهي لا تخلو منه تعالى أبداً وسيأتي لهذا البحث تفصيل وتوضيح آخر عند قوله تعالى: **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** <sup>(١)</sup> إنشاء الله تعالى.

وأما قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** فقليل في معناه أي يوسع على عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم كما قال: **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** <sup>(٢)</sup> وقيل أي يسع علمه كل شيء كما قال وسع كل شيء علماً، وقال القراء الواسع هو الجواد الذي يسع عطاءه كل شيء، قال الله تعالى: **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** <sup>(٣)</sup>

وقيل واسع المغفرة أي لا يتعاضم ذنب وقيل أي متفضل على العباد وغني عن أعمالهم كما قال: **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ** <sup>(٤)</sup> أي لينفق الغني مما أعطاه الله ويحتمل أن يكون المراد أن وجوده تعالى وهو عين ذاته وسعة كل شيء بمعنى أن تخصيصه بجهة من الجهات يوجب التضييق في ذاته ووجوده وحيث أنه قال في الجملة السابقة **أَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** فلازم ذلك خروج ذاته من الجهات وإحاطته بها والسعة الإحاطة وفي قوله عليم إشارة الى أنه أينما تولوا فهو تعالى عالم بكم لا يخفى عليه شيء لأن علمه عين ذاته ووجوده فكأنه قال أن الله تعالى بذاته وعلمه يسع الجهات ومحيط بها لا تختلف الجهات بالنسبة اليه فهو معكم أينما كنتم بل هو أقرب اليكم من حبل الوريد صدق الله تعالى.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ**

فَاتَّبَعُوا الْمَرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ النَّصَارَى لِقَوْلِهِمُ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَقِيلَ لِلْيَهُودِ لِقَوْلِهِمْ  
عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقِيلَ أَنَّ الْآيَةَ إِخْبَارٌ عَنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ حَيْثُ قَالُوا الْمَلَائِكَةُ  
بَنَاتُ اللَّهِ وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ عَنِ الْجَهْلَةِ الْكَفَّارِ فِي مَرْيَمَ وَالْأَنْبِيَاءِ وَ  
كَيْفَ كَانَ فَقَدْ ذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْلِهِمْ هَذَا قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي الْآيَةِ  
دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ الْوَلَدُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ جَمِيعُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكًا لَهُ، فَالْمَسِيحُ عَبْدٌ مَرْيُوبٌ وَكَذَلِكَ عُزَيْرُ الْمَلَائِكَةِ  
الْمَقْرُبُونَ وَلَا نَّ الْوَلَدَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جِنْسِ الْوَالِدِ وَلَا يَكُونُ الْمَفْعُولُ إِلَّا مِنْ  
جِنْسِ الْفَاعِلِ وَكُلُّ جِسْمٍ فَعْلٌ لِلَّهِ فَلَا مِثْلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ  
تَعَالَى اللَّهُ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ، فَأَنَّ سُبْحَانَ  
مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ وَمَعْنَاهُ التَّبَرُّتُ وَالتَّنْزِيهِ وَالْمَحَاشَاةُ مِنْ قَوْلِهِمْ اتَّخَذَ اللَّهُ  
وَلَدًا بَلْ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ أَحَدٌ فِي صِفَاتِهِ لَمْ يَلِدْ فَيَحْتَاجُ إِلَى صَاحِبَةٍ  
كَمَا قَالَ، أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَكُونُ  
مَسْبُوقًا جَلَّ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَنَحْنُ نَقُولُ تَفْسِيرَ يَسْتَدْعِي التَّكْلِمَ  
فِيهَا عَلَى وَجْهِ أَسْطَر.

فَنَقُولُ الْوَلَدَ، الْمَوْلُودَ يُقَالُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَجَمْعُ الْوَلَدِ،  
أَوْلَادٌ وَقِيلَ الْوَلَدُ بِضَمِّ الْوَاوِ أَيْضًا جَمْعُ الْوَلَدِ نَحْوُ أَسَدٍ وَأَسَدٌ وَاللَّهُ تَعَالَى مَنَزَّةٌ  
عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ مِنْ وَجْهِهِ.

أَحَدُهَا: أَنَّ الْوَلَدَ لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْوَالِدِ وَإِلَّا لَا يَكُونُ وَلَدًا لَهُ فَلَوْ  
فَرَضْنَا لَهُ تَعَالَى وَلَدًا لَكَانَ مُشَارِكًا لَهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ مِمَّا تَزَا عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ آخَرُ  
وَذَلِكَ يَقْتَضِي كَوْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَيُّ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ، مَرْكَبًا مُحَدَّثًا وَذَلِكَ  
مَحَالٌ فَإِذَا الْمَجَانَسَةُ مُمْتَنِعَةٌ فَالْوَلَدِيَّةُ مُمْتَنِعَةٌ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ بَيَانُ ذَلِكَ إِجْمَالًا  
إِنَّا قُلْنَا أَنَّ الْوَلَدَ مِنْ جِنْسِ الْوَالِدِ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْوَالِدُ مَرْكَبًا فَكَيْفَ  
يَنْفَصِلُ مِنْهُ شَيْءٌ فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ وَإِذَا كَانَ مَرْكَبًا فَهُوَ حَادِثٌ لَا مُحَالَةٌ لِأَنَّ



المركب محتاج الى أجزائه وكل محتاج ممكن حادث فهو حادث فإذا كان الوالد مركباً مُحدثاً فالوَلَدُ مثله وإذا كان حادثين فهما مخلوقان لغيرهما لأنَّ الحُدُوث أن كان ذاتياً فهو مسبوق بالعلّة وأن كان زمانياً فهو مسبوق بالعدم وعلى كلا التقديرين محتاج الى المؤثر والمؤثر لا يكون حادثاً للزومه التسلسل فلا محالة يكون قديماً وهو الواجب المنزّه عن الحُدُوث فالوالد والوَلَدُ مخلوقان للواجب الوجود وهو المطلوب.

**ثانيها:** أن هذا الذي أُضيف اليه بأنّه وَلَدُهُ أمّا أن يكون قديماً أزلّياً أو مُحدثاً مُمكناً والأوّل محال لأنّه مسبوق بالغير أعني به والدد فهو حادث ذاتي والحادث لا يكون قديماً وإذا كان حادثاً فكيف يكون من جنس القديم والمفروض أن الوَلَدَ من جنس الوالد وإذا لم يكن من جنسه فلا يكون ولداً وهو المطلوب.

أن قلت لانّسَلَم كونه حادثاً بل نقول أنّه أزلّي كوالده قلتُ هذا غير معقول لأنَّ الوَلَدَ يُوجد بعد الوالد ومنه فكيف يكون أزلّياً وعلى فرض التسليم نقول لو كانا أزلّيين لم يكن حكمنا بجعل أحدهما ولداً والآخر والدّاً بأولى من العكس وهو كما ترى.

**ثالثها:** أن الوَلَدَ أمّا يتخذ للحاجة اليه أمّا من لا يصح عليه العجز والحاجة لا يصح له الوَلَدُ أيضاً.

**رابعها:** ما استدل عليه سبحانه وتعالى من قوله: **بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ** وتقرير الاستدلال بكلامه تعالى أن الموجود على قسمين.

واجب وممكن، والواجب ما يكون وجوده من نفسه والممكن ما يكون وجوده من غيره، والذي وجوده من نفسه مُنحصَر في الخارج بذاته تعالى كما ثبت في محلّه فما سواه كائناً من كان ممكنٌ موجودٌ به فكلٌ ما سوى الواجب

ممکن لذاته وكلّ ممكن حادث لأنّه نخلق لغيره موجود به ولا نعنّي بالحدوث إلّا هذا فإذا فرضنا له ولدًا فلا محالة يكون من سنخ الممكن لأنّه مخلوق له على الفرض وكلّ ممكن فهو محتاج إلى المؤثر وتأثير ذلك المؤثر فيه أمّا أن يكون حال عدمه أو حال وجوده فإن كان الأوّل فذلك الممكن محدث وأن كان الثّاني فإحتياج ذلك الموجود إلى المؤثر أمّا أن يكون حال بقاءه أو حال حدوثه والأوّل محال لأنّه من تحصيل الحاصل فتعين الثّاني و ذلك يقتضي كون ذلك الممكن محدثًا فثبت أنّ كلّ ما سوى الله محدث سبق بالعدم وأنّ وجوده أمّا حصل بخلق الله تعالى وإيجاده وإبداعه فكلّ ما سواه فهو عبده وملكه فيستحيل أن يكون شيء ممّا سواه ولدًا له وهو المطلوب وإلى ذلك أشير بقوله: **بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ** بعد قوله سبحانه سبحان الله تعالى أن يكون له ولدٌ بل كلّ ما سواه مخلوق له متصّف بالإمكان والحدوث وأمّا قوله: **كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ الْقُنُوتَ** في الأصل الدّوام ثمّ إستعمل على أربعة أوجه.

أحدها: الطّاقة كقوله تعالى: **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ**.

ثانيها: طول القيام كقوله ﷺ لما سُئِلَ أي الصّلاة أفضل قال طول القنوت، أي طول القيام.

ثالثها: السّكوت لقوله تعالى: **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**.

رابعها: الدّوام وهو معناه الأصلي في اللّغة ثمّ أنّ التّنين في قوله كلّ أي كلّ ما في السّموات والأرض قانتون مطيعون فهو عوض عن المضاف إليه ومن المعلوم أنّ الكفّار ليسوا بقانتين مطيعين لله تعالى مع أنّهم داخلون في قوله: **مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** وبعبارة كيف قال الله تعالى: **بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ** أي مطيعون منقادون مع أنّ الواقع بخلافه فإنّ الكفّار ليسوا كذلك فحقّ الكلام أن يقال بعضّ له قانتون والجواب عن هذا الإشكال من وجهين:

أَحَدَهُمَا: أَنَّ المراد من الإنقياد والطاعة التَّكْوِينِي لا التَّشْرِيعِي و ذلك لأنَّ التَّكْلِيف ثابت لذوي العقول وليس كُلُّ ما في السَّمَوَات والأَرْض بمكْلَفٍ فَأَنَّ منه الجمادات والنباتات والحيوانات وهم ليسوا بمُكْلَفِينَ و عليه فمعنى كُلِّ ما في السَّمَوَات والأَرْض له خاضع متذلل بالإنقياد التَّكْوِينِي أعني به الإيجادي و منه قوله تعالى: **وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا<sup>(١)</sup>** أي إنقاد له من في السَّمَوَات والأَرْض، وقوله فقال لها وللأرض ألتيا طَوْعًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ.

ثانِيَهُمَا: أن يكون الواو في قوله: **وَكُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ** للإستئناف والمراد بالكل كُلِّ هؤلاء الَّذِينَ حَكَمُوا عَلَيْهِمْ بِالْوَلَدِ أعني بهم المسيح والملائكة و عُزِير و غيرهم والمعنى كُلِّ هؤلاء الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ وَلَدَ لَهُ تَعَالَى قَانِتُونَ لَهُ أَي مُطِيعُونَ مُتَقَادُونَ تَشْرِيعًا فَكَيْفَ تَدْعُونَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ وَلَدَ لَهُ نَقْلَ بَعْضِ الْمَفْسَّرِينَ مِنَ الْعَامَّةِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ بَعْضُ النَّصَارَى لَوْلَا تَمَرْدُ عِيسَى عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ لَصَرْتُ عَلَى دِينِهِ فَقَالَ النَّصْرَانِي كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ ذَلِكَ إِلَى عِيسَى مَعَ جَدِّهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ أَنْ كَانَ عِيسَى إِلَهًا كَمَا يَقُولُونَ فَكَيْفَ يَعْبُدُ غَيْرَهُ أُنَمَا الْعَبْدُ هُوَ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ الْعِبَادَةُ فَيَنْقَطِعُ النَّصْرَانِي، وَفِي الْمَقَامِ إِحْتِمَالٌ ثَالِثٌ وَهُوَ أَنْ يُحْمَلَ الْقُنُوتُ عَلَى مَعْنَاهِ اللَّغْوِي أعني به الدَّوَامُ وَالثَّبَاتُ وَ عَلَيْهِ فَمَعْنَى الْآيَةِ أَنْ دَوَامَ الْمَمَكِّنَاتِ وَبِقَاوْهَا بِهِ سُبْحَانَهُ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَالَمَ كَمَا أَنَّهُ فِي حَدُوثِهِ كَانَ مَحْتَاجًا إِلَى الْمُؤَثِّرِ كَذَلِكَ فِي بَقَاءِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ مَحْتَاجٌ إِلَيْهِ فَالْمَمَكِّنُ مَحْتَاجٌ إِلَيْهِ فِي حَدُوثِهِ وَبَقَاءِهِ وَهُوَ كَذَلِكَ.

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا أَفَانَمَا  
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ  
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا  
وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)

### ◀ اللغة

بَدِيعُ: الإبداع إنشاءً صنعةً بلا إحتذاءٍ وإقتداءٍ وإذا أُستعمل في الله فهو  
إيحاد الشيء بغير آلةٍ ولا مادةٍ ولا زمانٍ ولا مكانٍ وليس ذلك إلا لله تعالى  
والبديع من أسماء الله تعالى بمعنى المبدع.  
قَضَى: القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكل واحدٍ منهما على  
وجهين، إلهيٍّ وبشريٍّ فَمَنْ الإلهيُّ قوله: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ<sup>(١)</sup> أي  
أمر بذلك وقوله: وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ<sup>(٢)</sup> فهذا قضاء بالإعلام  
والفصل في الحكم.

### ◀ الإعراب

وَإِذَا قَضَىٰ إِذَا ظرفٌ والعامل فيها ما دَلَّ عليه الجواب تقديره وإذا قضى  
أمرًا يكون فَيَكُونُ الجُمُهور على الرِّفع عطفًا على، يقول، أو على الإستثناف  
أي فهو يكون لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ، لَوْلَا للخصيص لأنَّ بعدها المستقبل فأن كان  
بعدها الماضي فمعناها التوبيخ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ يظهر  
من إعراب الموضع الأول إلى هنا ما يحتمله هذا الموضع إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ

الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من المفعول تقديره أرسلناك و معك الحقّ ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل أي ومعنا الحقّ وأن يكون مفعولاً به أي بسبب إقامة الحقّ.

### ◀ التفسير

قوله: **بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** لما قال الله تعالى في الآية السابقة سبحانه **بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ** إشار في هذه الآية بكيفية إيجاد السموات والأرض وأنّ الخلق فيها إبداعيّ بلا إحتذاء وإقتداء لا عن مادّة ولا في زمانٍ أي أنّه تعالى أوجد السموات والأرض على وجه الإبداع الذي لا يمكن لأحدٍ غيره و فيه إشارة الى كمال قدرته وقوله و اذا قضى أمراً فأنما يقول له **يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ففيه وجوه.

**أحدها:** أنّ القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكلّ واحدٍ منهما على وجهين، إلهيّ وبشريّ، فمن الإلهي قوله: **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِنَاءَهُ** أي أنّه تعالى أمر بذلك وقوله تعالى: **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ** فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوصينا اليهم وحياً جزماً ومن الفعل الإلهي:

قال الله تعالى: **وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ**<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**<sup>(٢)</sup>.

إشارة الى فعله وهو إيجاد الإبداعى وأما قوله: ولولا أجلّ مُسمى لقضى بينهم، الآية أي لفصل هذا في القول والفعل الإلهي ومن القول البشري نحو

فيه القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

قضى الحاكم بكذا فَأَنْ حُكْم الحاكم يكون بالقول ومن الفعل البشري:

قال الله تعالى: فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ<sup>(٢)</sup>

وأمثال ذلك من الآيات أي فرغوا أو أفرغوا من أمرهم  
و أما قوله تعالى: فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ<sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا<sup>(٤)</sup>

وقول الشاعر:

قَضَيْتُ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتُ

بعدها وأمثالها فيحتمل القضاء بالقول والفعل جميعاً ويُعبر عن الموت  
بالقضاء فيقال فلان قضى نَحْبَهُ كَأَنَّهُ فصل أمره المختص به من دنياه.

ثانيهما: أن لفظ القضاء في الكتاب والسنة على وجوه:

الأول: بمعنى الخلق ومنه.

قال الله تعالى: فَقَضَيْتُهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ يَعْنِي خَلَقَهُنَّ

ثانيها: بمعنى الأمر.

قال الله تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

ثالثها: بمعنى الحكم ولهذا يقال للحاكم القاضي

رابعها: بمعنى الأخبار ومنه.

قال الله تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ أَي أَخْبَرْنَا بِهِمْ.

خامسها: أن يأتي بمعنى الفراغ من الشيء.

قال الله تعالى: فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ<sup>(٥)</sup> يعني لما فرغ

من ذلك.

سادسها: أَنْ الْقَضَاءِ.

قال الله تعالى: **وَإِذَا قُضِيَ رَبِّكَ.**

يحتمل أن يكون بمعنى الخلق ويحتمل أن يكون بمعنى الحُكم أي اذا حكم وبمعنى الفعل أي اذا فعل أمراً وقيل معناه أحكم أمراً ومنه قول الشاعر:

وعليهما مسرورتان قضاهما داود أو صنع السوابق تبع

سابعها: أَنْ لَفْظُ الْأَمْرِ حَقِيقَةٌ فِي الْقَوْلِ الْمَخْصُوصِ وَهَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ فِي الْفِعْلِ وَالشَّأْنِ أَوْ مَجَازٌ فِيهِ قِيلَ حَقِيقَتُهُ فِيهِ وَهُوَ الْمَرَادُ بِالْأَمْرِ فِي الْمَقَامِ. **ثَالِثُهُمَا:** أَنَّهُ لَيْسَ الْمَرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: **فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لَهُ كُنْ، فَحِينَئِذٍ يَتَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْءُ وَذَلِكَ لَوَجُوه:

**الأول:** أَنْ قَوْلَهُ: **كُنْ فَيَكُونُ** أَمَا أَنْ يَكُونَ قَدِيمًا أَوْ مُحَدَّثًا وَالْقِسْمَانِ فَاسْدَانِ قَبْطِلَ الْقَوْلُ بِتَوَقُّفِ حَدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى كُنْ، وَأَمَّا قُلْنَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدِيمًا لَوَجُوهٍ ثَلَاثَةٌ:

أحدها: أَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَرْكَبَةٌ مِنَ الْكَافِ وَالتَّوْنِ بِشَرْطِ تَقَدُّمِ الْكَافِ عَلَى التَّوْنِ فَالتَّوْنُ لِكَوْنِهِ مَسْبُوقًا بِالْكَافِ يَكُونُ مُحَدَّثًا وَالْكَافُ لِكَوْنِهِ مُتَقَدِّمًا عَلَى الْمُحَدَّثِ بَزْمَانٍ وَاحِدٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُحَدَّثًا أَيْضًا وَالْمُحَدَّثُ لَا يَكُونُ قَدِيمًا وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

ثانيها: أَنْ كَلِمَةً إِذَا، لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِقْبَالِ فَذَلِكَ الْقَضَاءُ لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ مُحَدَّثًا لِأَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ حَرْفُ إِذَا، وَقَوْلُهُ كُنْ، مَرْتَبٌ عَلَى الْقَضَاءِ بِفَاءِ التَّعْقِيبِ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: **فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** وَالتَّأَخُّرُ عَنِ الْمَحْدَثِ بِإِسْتِحَالِ أَنْ يَكُونَ قَدِيمًا وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

ثالثها: أَنَّهُ تَعَالَى رَبُّ كَوْنِ الْمَخْلُوقِ عَلَى قَوْلِهِ: **كُنْ** بِفَاءِ التَّعْقِيبِ فَيَكُونُ قَوْلُهُ كُنْ، مُقَدِّمًا عَلَى تَكُونِ الْمَخْلُوقِ بَزْمَانٍ وَاحِدٍ وَالتَّوَقُّفُ عَلَى الْمَحْدَثِ

بزمانٍ واحدٍ يكون محدثاً فقلوه كُنْ، لا يجوز أن يكون قديماً وهو المطلوب.  
وَأَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِمُحَدَّثٍ لِأَنَّهُ لَوْ افْتَقَرَ كُلُّ مُحَدَّثٍ فِي وَجُودِهِ إِلَى قَوْلِهِ: كُنْ  
وَالْمَفْرُوضُ أَنَّ قَوْلَهُ: كُنْ أَيْضاً مُحَدَّثٌ يُلْزَمُ افْتِقَارُ كُنْ إِلَى كُنْ، آخِرُ وَهُوَ مُسْتَلْزَمٌ  
لِلتَّسْلُسِ أَوِ الدَّوْرِ وَهُمَا مُحَالَانِ فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَوَقُّفُ أَحْدَاثِ الْحَوَادِثِ  
عَلَى قَوْلِهِ: كُنْ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى الْمَدْعَى أَيْضاً بِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَّا أَنْ  
يَخَاطَبَ الْمَخْلُوقَ بِكَلِمَةٍ، كُنْ حَالِ عَدَمِهِ أَوْ حَالِ وَجُودِهِ وَكِلَاهُمَا بَاطِلَانِ أَمَّا  
الْأَوَّلُ فَلَأَنَّ الْمَعْلُومَ فِي حَالِ عَدَمِهِ لَا يَخَاطَبُ بِشَيْءٍ.

**أَمَّا الثَّانِي:** فَلَأَنَّهُ مِنْ قِبَلِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ وَهُوَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ أَنْ لَمْ يَكُنْ  
عَبَثًا.

برهان آخر، أَنَّ الْمَخْلُوقَ قَدْ يَكُونُ جَمَادًا وَتَكْلِيفُ الْجَمَادِ عَبَثٌ وَلَا يَلِيقُ  
بِالْحَكِيمِ.

وَأَيْضاً أَنَّ الْقَادِرَ هُوَ الَّذِي يَصْحَحُ مِنْهُ الْفِعْلُ فَإِذَا قَرَضْنَا الْقَادِرَ الْمُرِيدَ مُنْفَكًّا  
عَنْ قَوْلِهِ: كُنْ فَأَمَّا أَنْ يَتِمَّ كُنْ مِنَ الْإِبْجَادِ وَالْإِحْدَاثِ أَوْ لَا يَتِمَّ كُنْ فَإِنْ تِمَّ كُنْ لَمْ  
يَكُنِ الْإِبْجَادُ مَوْقُوفًا عَلَى قَوْلِهِ: كُنْ وَأَنْ لَمْ يَتِمَّ كُنْ يُلْزَمُ أَنْ لَا يَكُونَ الْقَادِرُ قَادِرًا  
عَلَى الْفِعْلِ إِلَّا عِنْدَ تَكْلِمِهِ بِكَلِمَةٍ كُنْ وَهُوَ كَمَا تَرَى.

وَأَيْضاً قَوْلُهُ: **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** <sup>(١)</sup> بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ قَوْلَهُ كُنْ مُتَأَخِّرًا عَنْ خَلْقِهِ وَالتَّأَخُّرُ عَنِ الشَّيْءِ لَا  
يَكُونُ مُؤَثِّرًا فِي الْمَتَّعِدِّ عَلَيْهِ فَعَلِمْنَا أَنَّهُ لَا تَأْثِيرَ لِقَوْلِهِ: كُنْ فِي وَجُودِ الشَّيْءِ  
فَظَهَرَ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ فُسَادُ هَذَا الْمَذْهَبِ أَقُولُ فَهَذِهِ هِيَ الْوُجُوهُ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي  
الْمَقَامِ عَقْلًا فِي الْآيَةِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ أَنَّ كَانَ مُرَادُهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ وَهِيَ  
الْكَافُ وَالتَّوْنُ لَفْظًا كَمَا نَتَكَلَّمُ بِهَا فَهُوَ حَقٌّ لَا كَلَامَ لِأَحَدٍ فِيهِ لِأَنَّ الْحُرُوفَ مِمَّا



وضعها الإنسان للتكلم بها فهي من قبيل المواضعة بين الناس لإظهار ما في القلب ولذلك يختلف المعنى بحسب اختلاف تراكيب الحروف بعضها إلى بعض فالكاف مثلاً اذا ضمّ إلى التّون يصير كُنْ، واذا ضمّ إلى اللّام يصير كَلْ واذا ضمّ إلى الياء يصير كي وهكذا سائر الحروف وبذلك يصير المعنى أيضاً مختلفاً وليس هذا إلا من المواضعة ولذلك تختلف المعاني والألفاظ بحسب اللّغات فإنّ كلّ لفظ يدلّ على معناه الموضوع له اللفظ وهذا واضح ولم يقل أحد من أهل العلم أنّ الله تعالى يتلفظ بهذه الألفاظ المتداولة بين الناس التي تعتمد على مقاطع الفم لتنزّهه تعالى عن الفم واللّسان وغيرهما ممّا هو من لوازم الجسم وعليه فلا نحتاج في نفي الكلام عند تعالى بهذا المعنى إلى هذه الدلائل والبراهين فإنّ كونه تعالى منزهاً عن الجسم والتّركيب والمادّة وأمثالها يكفي في نفي الكلام والحركة والسّكون وأمثالها في حقّ البارئ جلّ وعزّ فاذا قلنا أنّه تعالى يسمع ويصير ليس معناه أنّه يسمع بالسمع ويُبصر بالعين كما هما فينا كذلك وهكذا الكلام فإنّه قد ثبت أنّ الله تعالى يوصف به قال الله تعالى: **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**<sup>(١)</sup> وليس معناه أنّه كلّم موسى كما كلّم هارون وغيره من أفراد البشر موسى بل معناه أنّه أوجّد الكلام في الشّجرة وغيرها فسمعه موسى كما سيأتي تحقيق الكلام فيه وما نحن فيه أيضاً من هذا القبيل فقوله: **كُنْ** فيكون ليس المراد به التّلفظ بلفظة كُنْ، ثمّ يتكون بعد ذلك شيء بل قوله تعالى فعلة الذي تعبّر عنه بالإنشاء والإيجاد وأن شئت أن تعرف حقيقة الأمر في المقام فأستمع لما يتلى عليك من كلام أمير المؤمنين **عليه السلام** وسيد الوصيين باب مدينة العلم في نهج البلاغة في خطبة التّوحيد<sup>(٢)</sup>.

مَا وَحَدَهُ مِنْ كَيْفِهِ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَلُهُ وَلَا إِيَّاهُ غَنَى مَنْ شَبَّهَهُ وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَضْنُوعٌ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ

في التّفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأوّل

فَاعِلٌ لَا يَاضْطَرِّبُ آلَهُ مُقَدَّرٌ لَا يَجُولُ فِكْرُهُ غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ لَا تَضْحِكُهُ  
الْأَوْقَاتُ وَلَا تَرْفُذُهُ الْأَكْوَاتُ سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنُهُ وَالْعَدَمُ وَجُودُهُ وَالْإِبْتِدَاءُ أَرْزُلُهُ  
بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِيرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ  
وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ ضَادَّ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ وَالْوُضُوحَ بِالْبَهْمَةِ  
وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ وَالْحَرُورَ بِالصَّرْدِ مَوْلُفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا.

مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايَنَاتِهَا مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مَفْرُقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا لَا يُشْمَلُ  
بِحَدٍّ وَلَا يُحْسَبُ بَعْدٌ وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَكْوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَطَائِرِهَا  
مَنْعَتُهَا مِنْدُ الْقِدْمَةِ وَحَمَّتُهَا قُدُّ الْأَرْزَلِيَّةِ وَخَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةُ بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا  
لِلْعُقُولِ وَبِهَا امْتَنَعَ عَنِ نَظَرِ الْعَيُونِ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكََةُ وَكَيْفَ  
يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ وَيَخْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَخَذَتْهُ إِذَا  
لَتَفَاوَتْ دَأْتُهُ وَلَتَجَزَأَ كُنْهُهُ وَلَا مَتْنَعٌ مِنَ الْأَرْزَلِ مَغْنَاهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذْ وَجَدَ لَهُ أَمَامَهُ  
وَلَا لَتَمَسَّ التَّمَامَ إِذْ لَرِمَهُ النُّقْصَانُ وَإِذَا لَقِیَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ وَلَتَحُولُ دَلِيلًا بَعْدَ  
أَنْ كَانَ مَثَلًا عَلَيْهِ وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ  
الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ وَلَا يَجُورُ عَلَيْهِ الْأَقُولُ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا لَمْ يُولَدْ  
فَيَصِيرَ مَخْلُودًا جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَطَهَّرَ عَنِ مَلَامَسَةِ النِّسَاءِ لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ  
فَتُفْقَرُهُ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفُطُنُ فَتُصَوِّرُهُ وَلَا تُذَرِّكُهُ الْحَوَاسِ فَتُجَسِّسُهُ وَلَا تَلْمِسُهُ  
الْأَيْدِي فَتَمْسُهُ وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ  
وَلَا يَغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظُّلَامُ وَلَا يَوْصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَخْزَاءِ وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَغْصَاءِ  
وَلَا يَعْزِضُ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ  
وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتَقْلَهُ أَوْ تُهْوِيهِ أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ  
فَيَمِيلُهُ أَوْ يَعْدَلُهُ. لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بَوَالِجٌ وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٌ يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلِهَوَاتٍ  
وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَكْوَاتٍ يَقُولُ وَلَا يَلْفُظُ وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ وَيُرِيدُ وَلَا يَضْمُرُ  
يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ وَيُنْغِضُ وَيَنْغَضُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنُهُ

كُنْ فَيَكُونُ لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ وَأِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فَعَلُ مِنْهُ أَنْشَاءُ وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجَرَّى عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَى آخِرِ.

الخطبة الشريفة ففي هذه الخطبة أشار عليه السلام الى ما نحن بصددده حيث قال يُخبر لا بلسانٍ ولهواتٍ وقوله يقول ولا يلفظ وأصرح من ذلك قوله يقول لمن أراد كونه كُنْ فَيَكُونُ لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَلَا بِنِدَاءٍ يَسْمَعُ وَأِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فَعَلُ مِنْهُ أَنْشَاءُ ومثله ما لم يكن الخ فهذه الكلمات التي صدرت من باب مدينة العلم تغنيانا عما ذكره في إثبات المدعى وكله أو بعضه مخدوشة لا يمكن التعميل عليه فقد صرح عليه السلام بأن كلامه سُبْحَانَهُ فَعَلُ مِنْهُ أَنْشَاءُ ومثله ما لم يكن من قبل ذلك كائناً أي أن كلامه سُبْحَانَهُ هو فعلٌ بعينه وهو منشأٌ لإيجاده الممكنات لا أن كلامه يوجد الفعل كما ربما يتوهم وبين المقامين بونٌ بعيد اذا عرفت هذا فنقول كلمة كُنْ، لا خصوصية لها وإنما هي مثل سائر الكلمات الموجودة ما بين الدفتين فإن الكتاب من أوله الى آخره كلام الله والله تعالى هو الذي يقول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الى آخر الكتاب إلا أنه لا يتلفظ بلفظٍ ولا يكون للفظه صوتٌ يَقْرَعُ ولا فيه نداءٌ يُسْمَعُ بل كلامه فعلٌ مِنْهُ أَنْشَاءُ ومثله ما لم يكن كائناً من قبل وهذا هو الأصل في جميع الأوامر والنواهي والوعد والوعيد وغيرها وكلمة كُنْ، مثل سائر الكلمات ومحصل الكلام هو أن هذه الحروف الموجودة في الكتاب ليست بعينها ممّا تلفظ به تعالى وإنما هي دالة على مراده ومقصوده وأن شئت قلت كلامه تعالى أعني به فعله تجلّى بهذه الحروف والكلمات لنا لنفهم مراده لا أنها بعينها كلامه الملفوظ به اذ لا لفظ

هناك أصلاً ألا ترى أن كلام الله تعالى في كل قوم أنزل بلسانه ولغته من العبري  
والسرياني والعربي وغيرها والكلام واحد في الجميع كما أن المتكلم أيضاً  
واحد وأتما يوجد المعاني في قالب الألفاظ المتداولة عند كل قوم بعث النبي  
منهم فأفهم وتأمل في المقام وقال الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ  
تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ

حكى الله تعالى عن الكفار الذين أنكروا التوحيد وإدعوا عليه إتخاذ  
الأولاد شيئاً آخر وهو خلافهم في النبوة وسلوكهم في ذلك طريق العناد فقال  
الله تعالى عنهم قال الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ من اليهود أو النَّصَارَى أو مُشْرِكِي الْعَرَب  
لولا يكلمنا الله أي هلاً يكلمنا الله تعالى معانية فيُخبرنا بأنك نبي وقيل هلاً  
يُكَلِّمُنَا بكلامه كما كلَّم موسى وغيره من الأنبياء أو تأتينا آية كَذَلِكَ قَالَ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ قِيلَ هم اليهود حيث إقترحوا الآيات على  
موسى تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ أي قلوبهم في الكفر والعناد والقسوة والإعتراض  
على الأنبياء بعضها شبيهة ببعض وذلك لأن اليهود قالت لموسى أرنا الله  
جَهْرَةً وقالت النَّصَارَى للمسيح أنزل علينا مائدة من السماء وقالت الْعَرَب  
لنبيِّنا حَوْلَ لَنَا الصَّفا ذَهَباً وهذا كله يدل على قلة إيمانهم وضعف إعتقادهم  
بالله ورسوله بل يدل على عنادهم ولجاجهم في الحق والآن قد بينا الآيات  
والمعجزات التي يعلم بها صحة نبوة مُحَمَّد ﷺ لِقَوْمٍ يَوقِنُونَ أي  
يستدلون بها من الوجه الذي يجب الاستدلال به فأيقنوا لذلك وبعبارة أخرى  
أن فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة على صدق النبي كفاية لمن ترك  
التعصب والعناد وقيل أن المراد بقوله: قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أي إنا  
نقد بينا العلامات التي من أجلها غَضِبَ اللهُ على اليهود وجعل منهم القردة  
والخنازير وأعد لهم العذاب المهيِّن في معادهم والتي من أجلها أخزى الله  
النصارى في الدنيا وأعد لهم الخزي والعذاب الأليم في الآخرة والتي من

أجلها جعل سُكَّانَ الْجَنَانِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَجُوهَهُمْ لِلَّهِ وَهُمْ مُحْسِنُونَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا فَأَعْلَمُوا الْأَسْبَابَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا إِسْتَحَقَّ كُلُّ فَرِيقٍ مِنَ اللَّهِ مَا فَعَلَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَخَصَّ اللَّهُ بِذَلِكَ الْقَوْمَ الَّذِينَ يُوقِنُونَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّثَبُّتِ فِي الْأُمُورِ وَالطَّالِبُونَ مَعْرِفَةَ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى يَقِينٍ وَصَحَّةٍ فَأَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ بَيَّنَّ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتَهُ مَا بَيَّنَّ مِنْ ذَلِكَ لِيُزِيلَ شَكَّهُ وَيَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ خَبَرًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَخَبَرَ اللَّهُ هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي لَا يَعْدُرُ سَامِعُهُ بِالشَّكِّ فِيهِ وَقَدْ يَحْتَمِلُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا يَحْتَمِلُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَارِضَةِ فِيهِ مِنَ السَّهْوِ وَالْغَلْطِ وَالْكَذِبِ وَذَلِكَ مُنْفَعٌ عَنْ خَبَرِهِ إِنْ تَنَهَّى.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **وَلَا تُسْأَلُ** وَجُوهٌ مِنَ الْقُرْآنَاتِ.

**أَحَدُهَا:** ضَمُّ التَّاءِ وَرَفْعُ اللَّامِ وَعَلِيهِ فَالْأَمْرُ لِلنَّفْيِ وَالْفِعْلُ مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ وَمَوْضِعُهُ مِنْ جِهَةِ الْإِعْرَابِ الْحَالُ أَيْ وَغَيْرُ مَسْئُولٍ بِعُطْفِهِ عَلَى بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَالْمَعْنَى **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** غَيْرُ مَسْئُولٍ.

**ثَانِيهَا:** فَتْحُ التَّاءِ كَذَلِكَ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ مَعْلُومٌ مَبْنِيٌّ لِلْفَاعِلِ وَيَكُونُ مَوْضِعُهُ النَّصْبُ أَيْضًا عَلَى الْحَالِ عُطْفًا عَلَى، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَالْمَعْنَى **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** غَيْرُ سَائِلٍ عَنْهُمْ.

**ثَالِثُهَا:** بَفَتْحِ التَّاءِ وَالْجَزْمِ فِي اللَّامِ عَلَى النَّهْيِ أَيْ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ كَذَلِكَ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** وَالْمَشْهُورُ مِنَ الْأَقْوَالِ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْمَعْنَى **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** أَيْ مُبَشِّرًا وَمُنْذِرًا غَيْرُ مَسْئُولٍ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ أَيْ وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِجْبَارُهُمْ عَلَى الْقَبُولِ مِنْكَ فَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ** <sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدْيُهُمْ** <sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ذَرُّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ<sup>(٢)</sup> وأمثال ذلك من الآيات.

والحاصل أَنَّ وظيفة الرّسول الإرشاد والهداية ثمّ البشارة والإنذار فالبشارة للمطيع والإنذار للعاصي أما قبول الدّعوة من النّاس أو عدم قبولهم إيّاها فهو خارج عن وظيفة الرّسول وكذلك الدّخول إلى الجنّة والنّار قال الطّبري في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه وقرأ ذلك بعض أهل المدينة ولا تسأل جَزْماً بمعنى النّهي مفتوح التّاء من تسأل وجرّم اللّام منها ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً لتبليغ ما أرسلت به لا لتسأل عن أصحاب الجحيم فلا تسأل عن حالهم وتأول الذين قرؤوا هذه القراءة ما حدّثنا أبو كريب قال حدّثنا وكيع عن موسى بن عبد عن محمّد ابن كعب قال قال رسول الله ﷺ ليت شعري ما فعل أبوأي فنزلت لا تسأل عن أصحاب الجحيم، ثمّ بعد ذلك قوّي الطّبري قول المشهور وهو الرّفْع، أعني رفع التّاء ليكون الفعل منفياً لا منهيّاً وساق الكلام فيه إلى أن قال فإن ظنّ ظانٌّ أَنَّ الخبر الَّذي روي عن محمّد بن كعب صحيح فأنّ في إستحالة الشكّ من الرّسول في أَنَّ أهل الشّرك من أهل الجحيم و أَنَّ أبويّه كانوا منهم ما يدفع صحّة ما قاله محمّد ابن كعب إنتهى موضع الحاجة منه.

أنا أقول غرضه في الجملة الأخيرة أَنَّ الرّسول كان يعلم أَنَّ أهل الشّرك من أهل الجحيم و أَنَّ أبويّه كانوا منهم، ولم يكن شاكّاً فيه حتّى يقول ليت شعري ما فعل أبوأي ولما كان كذلك فقول محمّد ابن كعب أَنَّ شأن نزول الآية كان قول رسول الله ليت شعري ليس بصحيح مثلاً.

وتبّع على هذا القول غيره من مفسّري العامّة كالزّمخشري في الكشّاف والقرطبي في جامع أحكام القرآن بزعمه، و البيضاوي في أنوار التنزيل

والسَيَّوطِي فِي الدَّر الْمَشْهُورِ وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ فَمَا ذَكَرَهُمَا حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ،  
وَالْأَلَوْسِي فِي رُوحِ الْمَعَانِي وَقَالَ بَعْدَ نَقْلِهِ الْحَدِيثِ وَلَا يَخْفَى بَعْدَ هَذِهِ  
الرَّوَايَةِ لِأَنَّهُ ﷺ كَمَا فِي الْمُتَخَبِّعِ عَالِمٌ بِمَا آلُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمَا، وَابْنُ كَثِيرٍ  
الدِّمَشْقِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ فَأَنَّهُ قَالَ بَعْدَ نَقْلِهِ مَا نَقَلْنَاهُ عَنِ الطَّبْرِيِّ وَقَدْ رَدَّ ابْنُ جَرِيرٍ  
هَذَا الْقَوْلَ الْمَرْوِيَّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَغَيْرِهِ فِي ذَلِكَ لِإِسْتِحَالَةِ الشَّكِّ.

مِنَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَمْرِ أَبَوَيْهِ ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا الَّذِي سَلَكَ هَاهُنَا  
فِيهِ نَظَرٌ لِاحْتِمَالِ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي حَالِ إِسْتِغْفَارِهِ لِأَبَوَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ  
أَمْرَهُمَا فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ تَبَرَّأَ مِنْهُمَا وَأَخْبَرَ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ  
كَمَا ثَبَتَ هَذَا فِي الصَّحِيحِ وَلِهَذَا أَشْبَاهُ كَثِيرَةٌ وَنَظَائِرٌ وَلَا يُلْزَمُ مَا  
ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ إِنْ تَنَهَى.

وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ رُوحِ الْبَيَانِ وَلَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْذَارِ  
الْكَافِرِينَ كَانَ يَذْكُرُ عَقُوبَاتِ الْكَفَّارِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ وَالِدِيَّ  
فَقَالَ فِي النَّارِ فَحَزَنَ الرَّجُلُ فَقَالَ ﷺ أَنَّ وَالِدَيْكَ وَوَالِدِيَّ وَالِدِيَّ إِبْرَاهِيمَ  
فِي النَّارِ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** <sup>(١)</sup> فَلَمْ يَسْأَلُوهُ شَيْئاً  
بَعْدَ ذَلِكَ وَمَحْضَلُ الْكَلَامِ فِي الْمَقَامِ أَنَّ مَفْسَرِيَّ الْعَامَّةِ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ  
تَبَعاً لِلطَّبْرِيِّ إِنْ تَنَهَى مَا أَرَدْنَاهُ ذَكَرَهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ فَنَقُولُ نَسْأَلُ عَنِ الطَّبْرِيِّ وَمَنْ  
حَذَوِيَّ حَذَوِهِ مِنَ الْعَامَّةِ مِنْ أَيْنَ ثَبَتَ لَكُمْ أَنَّ أَبَوَيْهِ ﷺ فِي النَّارِ، فَإِنْ قَالُوا  
لَأَنَّهُمَا مَاتَا عَلَى الْكُفْرِ وَمَاتَ عَلَى الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ، نَقُولُ لَهُمْ مِنْ  
أَيْنَ عَلِمْتُمْ أَنَّ أَبَوَيْهِ مَاتَا عَلَى الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ وَمَنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِ غَيْرُ مُحَمَّدِ بْنِ  
كَعْبٍ الْمَجْهُولِ، أَلَسْتُمْ مُعْتَقِدِينَ بِطَهَارَةِ مَوْلِدِ النَّبِيِّ وَنَسَبِهِ ﷺ مِنْ دَنَسِ  
الشَّرْكِ وَشَيْنِ الْكُفْرِ، فَأَنْ قُلْتُمْ لَا نَعْتَقِدُ هَذَا نَقُولُ لَكُمْ أَلَسْتُمْ مُعْتَقِدِينَ بِصُحَّةِ  
نُبُوَّةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَبْلَ نُبُونَا فَأَنْ لَمْ تَعْتَقِدُوا وَذَلِكَ فَأَنْتُمْ كَافِرُونَ بِاللَّهِ

فِيهِ الْقُرْآنُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جُزْءُ ١

المجلد الأول

وبرسوله لأنّ إنكار واحدٍ من الأنبياء ولا سيّما أولى العظم منهم كإنكار الجميع فمن لم يعتقد بصحة نبوة عيسى ومن قبله من الأنبياء كيف يدّعي الإسلام وقد دلّت الآيات على ذلك:

قال الله تعالى: **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** <sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ** <sup>(٣)</sup>.

وأمثالها من الآيات وقد ورد أكثر من ستة وعشرين آية في المسيح ورسالته وقد ثبت أنّ كلّ رسول إذا كان صاحب شريعة وكتاب يجب على الناس متابعتها في كلّ ما جاء به من عند الله إلى أن يأتي رسول بعده ناسخاً لشريعة من قبله ولذلك نقول كلّ الناس كانوا مأمورين بالإتباع عن شريعة موسى إلى أن بعث الله عيسى ابن مريم وهكذا كان الناس مأمورين بإتباع شريعة عيسى إلى أن بعث الله نبينا ﷺ وهو خاتم الأنبياء وشريعته ناسخة لجميع الشرائع قبله قال الله تعالى: **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** <sup>(٤)</sup> وقال ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الناس قبل نبينا كانوا مأمورين بمتابعة شريعة عيسى عليه السلام فمن كان مؤمناً كان كذلك ومن لم يكن مؤمناً بالله وبرسوله كان كافراً فالتناس في عهد الجاهلية بين كافرٍ بالله ورسوله ومؤمنٍ بهما وأباء الرسول وأمهاته كانوا من المؤمنين قطعاً وقد وردت به روايات كثيرة ليس المقام محلّ ذكرها.

أن قلت لا نسلم الروايات الدالة على إيمانهم قلتُ أي دليل دلّ على كفرهم



حتَّى يُقال أَنَّ أبويه في النَّارِ، أيقول الطَّبْرِي وأمثاله كلٌّ من مات ولم يُدرِك النَّبي مات على الكُفْرِ والشُّرك وماواه النَّارُ فإذا كان عبد الله بزعم هؤلاء في النَّار فعبد المطلب وهاشم وعبد مناف وهلمَّ جرَّأكلهم في النَّار نَعوذ بالله من الخُبثِ و سوء السَّريرة أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ عبد الله مات قبل أن يولد النَّبي و أمه آمنة ماتت وهو ابن أربع أو خمس سنين فَمَاذا منهما أن لم يُؤمنا بالنَّبي ﷺ وهو صغير أو لم يُولد بعد اللهمَّ إِلَّا أَنَّ يُقال كان حقَّ عبد الله أن يُؤمن بالجنين في عالم الرِّحم وحقَّ آمنة أن تُؤمن بالإسلام الذي جيَّ به بعد أربعين سنة بعد موتها ولا يبعد من هؤلاء الجهال أن يقولوا بهذه المقالة أعاذنا الله من هذه الخرافات والأباطيل التي إنْتَقَشَتْ في الأوراق بإسم التفسير ثمَّ طُبعت وانتشرت في الأفاق ولنختم الكلام في هذه المقالة فأنها ليست أوَّل قارورة كُسرت في الإسلام.



وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ  
 مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ اتَّبَعْتَ  
 أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ  
 مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ  
 يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ  
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) يَا بَنِي إِسْرَٰئِيلَ اذْكُرُوا  
 نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى  
 الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ  
 نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ  
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣)

## ◀ اللغة

تَتَّبِعَ: الإِتْبَاعُ الإِتْفَاءُ.

مِلَّتَهُمْ: المِلَّةُ كَالَّذِينَ وهو إسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان  
 الأنبياء ليتوصلوا إلى جوار الله.

وَاتَّقُوا يَوْمًا: إلى آخر الآية، قد مرَّ شرح لغاتها وتفسيرها سابقاً آية (٤٨).

## ◀ الإعراب

هُوَ الْهُدَىُّ هو يجوز أن يكون توكيداً لإِسْمِ أَنْ وَفَصْلاً ومبتدأً وقد سبق  
 نظيره مِنَ الْعِلْمِ في موضع نصب على الحال من ضمير الفاعل في جاءكَ  
 الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ مُبْتَدَأً وَآتَيْنَاهُمْ صَلَته يَتْلُونَهُ حال مقدرة من هُمْ، أو من الكتاب  
 حَقَّ منصوب على المصدر أُولَٰئِكَ مُبْتَدَأً وَيُؤْمِنُونَ به خبره والجملة خبر الذين

ولا يجوز أن يكون يتلونه خبر الذين لأنه ليس كل من أوتي الكتاب تلاه حق تلاوته والباقي واضح.

### ◀ التفسير

قوله تعالى: وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قِيلَ فِي شَأْنِ نَزُولِهَا أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَانُوا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ الْهَدَنَةَ وَيُرَوْنَ أَنَّهُ أَنْ هَادَ بِهِمْ وَأَمَلَهُمْ إِيَّابَعُوهُ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ وَقَالَ تَعَالَى: وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى وَلَا النَّصَارَى، أَتَى بِكَلِمَةِ لَنْ وَهِيَ لِنَفْيِ الْأَبَدِ لِيَذِلَّ الْكَلَامُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ أَبَدًا أَيَّ أَنَّهُمْ لَنْ تَرْضَوْا عَنْكَ أَبَدًا حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ أَيَّ دِينِهِمْ وَشَرِيعَتَهُمْ وَقِيلَ قَبْلَتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ أَيَّ قُلْ لَهُمْ أَنَّ دِينَ اللَّهِ الَّذِي يَرْضَاهُ هُوَ الْهُدَى وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهُدَى اللَّهِ الْقُرْآنَ يَعْنِي أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ لَا طَرِيقَةَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَقِيلَ مَعْنَاهُ دَلَالَةُ اللَّهِ هِيَ الدَّلَالَةُ وَهُدَى اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ ذَكَرَ هَذِهِ الْوُجُوهُ الطَّبْرَسِي فِي الْمَجْمَعِ وَلَكِنَّهُ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ قِيلَ مَعْنَاهُ أَيَّ لِأَنَّ إِيَّتَبَعَتْ مَقَاصِدَهُمْ وَقِيلَ الْمَعْنَى أَنَّ صَلَّيْتُ إِلَى قَبْلَتِهِمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ أَيَّ مِنَ الْبَيَانِ أَوْ مِنَ الَّذِينَ هَالَكَ مِنْ اللَّهِ أَيَّ لَيْسَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّيَّ يَحْفَظُكَ مِنْ عِقَابِهِ وَلَا نَصِيرٍ أَيَّ مُعِينٍ وَظَهِيرٍ وَاسْتَدَلُّوا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّهُ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَعْصِي يَصْحَ وَعَيْدِهِ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ نَبِيَّهَ لَا يَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ فَجَرَى مَجْرَى قَوْلِهِ وَلَنْ أَشْرَكَ لِيَحِطَّنَ عَمَلُكَ وَالْمَقْصُودُ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ حَالَهُ أُمَّتُهُ فِيهِ أَغْلَظَ مِنْ حَالِهِ لِأَنَّ مَنَزَلَتَهُمْ دُونَ مَنَزَلَتِهِ وَقِيلَ الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ وَفِي مَسَائِلَ:

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

الأولى: أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَرْضَى عَنِ الْمُسْلِمِ إِلَّا بِإِتِّبَاعِهِ مِلَّتَهُ وَشَرِيعَتَهُ أَيَّ تَرَكَ شَرِيعَتَهُ وَالْأَخْذَ بِشَرِيعَتِهِ الْكَافِرَ وَفِي قَوْلِهِ: لَنْ تَرْضَى دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّ كَلِمَةَ لَنْ لِنَفْيِ الْأَبَدِ أَيَّ لَنْ تَرْضَى أَبَدًا وَلِذَلِكَ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ إِتِّخَاذِ الْكَفَرَاءِ أَوْلِيَاءَ:

قال الله تعالى: لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(١)</sup>.  
 قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِبِعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
 الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ<sup>(٢)</sup>.  
 قال الله تعالى: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا<sup>(٣)</sup>.  
 قال الله تعالى: لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَ لَعِبًا مِنَ الَّذِينَ  
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَوْلِيَاءُ<sup>(٤)</sup>.

ولكن المسلمين لما غفلوا عن هذه الدققة وأخذوا الكفار أولياء لأنفسهم  
 صاروا لا محالة أذلاء بحيث لا يُعَتْنَى بهم أصلاً في زماننا هذا فوقعوا فيما  
 وقعوا في الذلة والحقارة والفقر والإستئصال في الدين والدنيا:

قال الله تعالى: خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ<sup>(٥)</sup>.  
 ومن المعلوم أن منشأ هذا الخسران والضعف والمسكنة ليس إلا لأجل  
 إعراضهم عن الدين وإقبالهم الى الهوى والنفس الأمارة:  
 قال الله تعالى: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا<sup>(٦)</sup>.

الثانية: أن الله تعالى قال: حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ولم يقل دينهم وذلك لوجود  
 الفرق بين الملة والدين فإن الملة عبارة أو اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه و  
 على السنة رُسله فكانت الملة والشريعة سواء وأما الدين فهو عبارة عما  
 يفعله العباد عن أمره ولذلك قال بعضهم الملة والشريعة ما دعا الله عباده الى  
 فعله والدين ما فعله العباد عن أمره فقوله حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ معناه حَتَّى تَفْعَلَ ما  
 يفعلونه وتعمل بما يعملون وبعبارة أخرى حَتَّى تَتَابِعَهُمْ في أقوالهم وأفعالهم  
 وهذا القدر يكفي لهم فلا يضرهم دينك الذي تعتقده في قلبك وأحياناً في  
 عملك لأن الدين أعني به الإعتقاد الصحيح لا يضر بالكفر والكافر اذا لم يكن

فيه عَمَلٌ يطابقه أى يُطابق الاعتقاد كما ترى هذا في أكثر المسلمين في زماننا هذا حيث أنهم إعتقدوا بالله ورسوله وبقوا على إعتقادهم وإذا نظرت الى أعمالهم تراها مخالفة للإسلام فهم مسلمون باطناً كافرون ظاهراً من حيث العمل ولذلك لم يقل في دينهم اذ قلما يتفق أن المسلم يترك الإسلام ويأخذ بدين اليهود أو النصراني أما ترك العمل فهو سهل.

**الثالثة:** في قوله: **إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى** إشارة الى أن الهداية الحقيقة مُنحصرة به تعالى ولذلك قال أن هُدَى الله هو الْهُدَى بتقديم المسند اليه أعني هو على المسند وهو الْهُدَى الذي يفيد الحصر والدليل على إنحصار الهداية به تعالى هو أن الهداية لها معنيان: أحدها: إرائة الطريق.

**الثاني:** الإيصال الى المطلوب.

فأن كان المراد بها الأول فلا شك أنه تعالى أعلم بالطريق من غيره اذ المراد بالطريق طريق السلوك اليه والتقرب بجنابه ومعرفة الطريق بهذا المعنى مختص به والأنبياء والأوصياء والعلماء أخذوه عنه وأن كان المراد الإيصال الى المطلوب فهو أيضاً مختص به تعالى لأن الإيصال الى المطلوب معناه تهيئة الأسباب المؤدية الى المقصود وهو مسبب الأسباب لا غيره وأن أريد بالإيصال التوفيق فهو أيضاً له ثبت أن الهداية مُنحصرة به واذا كان كذلك فصَحَّ أن يقال أن هُدَى الله هو الْهُدَى ولذلك:

قال الله تعالى: **وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ** <sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: **وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا** <sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: **إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُقَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** <sup>(٤)</sup>.

و حيث أن الهداية مختصة به.

قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ<sup>(١)</sup>.

والآيات الدالة على أن الهداية أولاً وبالذات له تعالى وثانياً وبالعرض لغيره كثيرة وفيما ذكرناه كفاية وعليه فقوله لرسوله (قُلْ أَنْ هُدًى هُوَ الْهُدَى) حق وصدق فإن الأنبياء أيضاً قد اهتدوا به ولا يحتاج الكلام إلى التأويل و صرف الآية عن ظاهرها.

الزابعة: قوله: وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فيه إشارة إلى أن العالم يؤخذ بعلمه فقوله بعد ذلك مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ مترتب على ترك الهداية بعد العلم بها أما في صورة الجهل فليس كذلك فإن الجاهل معذور لجهله والعالم مأخوذ بعلمه ضرورة أن العلم حجة على العالم والجهل ليس من الحجة بشئ فالمعنى بعد ما علمت أن الهدى في الحقيقة هدى الله لأن إتبعته أهوائهم وتركته الهدى مالك من الله من ولي ولا نصير، أي تنقطع ولاية الله ونصرتك عنك و مرجعه إلى أن الله يملكك إلى نفسك ولا خسران أشد منه

قوله تعالى: الَّذِينَ اتَّبَعْنَا هُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ يمكن أن يراد بقبوله، الذين اليهود والنصارى لأن سياق الآية يقتضي ذلك ويحتمل أن يكون المراد مطلق أهل الكتاب حتى المسلمين وهو الحق لعدم دليل على إرادة الخاص مضافاً إلى أن إرادة العموم أولى من إرادة الخصوص لدخول الخاص تحت العام ولا عكس فالمعنى، الَّذِينَ اتَّبَعْنَا هُمُ الْكِتَابَ أي أعطيناهم الكتاب يتلونه أي يتلون الكتاب حق تلاوته وفيه وجوه.

أحدها: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ إِتِّبَاعِهِ بَأَن لَا يَحْزِفُوهُ وَلَا يَغْيِرُوهُ بل يعملون بحلاله و يقفون عند حرامه.

**ثانيها:** أن المراد به يصفونه حقَّ صفته في كتبهم لمن يسألهم عن النَّاسِ.  
**ثالثها:** الوقوف عند ذكر الجَنَّةِ والنَّارِ فَيَسْأَلُ فِي الْأَوَّلَى وَيَسْتَعِيزُ فِي الْأُخْرَى.

**رابعها:** أي يقرؤونها حقَّ قرائتها يرتلون ألفاظها ويفهمون ويتدبرون في معانيها.

**خامسها:** أن المراد يعملون حقَّ العمل به بحُكمه ويؤمنون بامتثابه و يَكُونُ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَهْلِهِ.

و قد روي القُرْطُبِيُّ بِأَسْنَادِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أَيْ يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ إِتِّبَاعِهِ وَأَيْضاً رَوَى عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ أَيَّ أَنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ حَقّاً وَ مِنْ يَكْفُرُ بِهِ، أَيْ بِالْكِتَابِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ فِي تَفْسِيرِ الْمِيزَانِ فِي وَجْهِ رِبْطِ الْآيَةِ بِمَا قَبْلُهَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ بِقَرِينَةِ الْحَصْرِ الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ: أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ جَوَاباً لِلسُّؤَالِ الْمَقْدَّرِ الَّذِي يَسُوقُ الذَّهْنَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ وَلَكِنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى وَهُوَ أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ تَطْمَعُ فِي إِيْمَانِهِمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يُؤْمِنُ مِنْهُمْ وَ هَلْ تَوَجَّيْهِ الدَّعْوَةُ إِلَيْهِمْ بِاطِّلْ لِفُؤٍّ، فَأَجِيبُ بِأَنَّ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِهِمْ فَيُؤْمِنُونَ بِكَ، أَوْ أَنَّ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كِتَابَ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ أَيَّ مَا كَانَ أَوْ أَنَّ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ وَسَاقَ الْكَلَامَ إِلَى أَنْ قَالَ وَالْمُرَادُ بِالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَيْسُوا مُتَّبِعِينَ لِلْهَوَى مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ مِنْهُمْ وَبِالْكِتَابِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَأَنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِمْ

المؤمنون برسول الله وبالكتاب القرآن فالمعنى أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ وَاللَّهِ هُمُ الْمُتَّبِعُونَ لِأَهْوَائِهِمْ انْتَهَى.

أقول تفسير الآية ظاهر ولا يحتاج الى هذه التكاليف التي هي من قبيل الأكل من القفا وذلك لأنَّ الله تعالى أخبر في الآية عن حقيقة لا شك فيها لأحد وهي أهل الكتاب سواء فيهم اليهود والنصارى والمسلمون وغيرهم و بالجملة كل من أعطي الكتاب أي كتاب كان لو يتلونه حق تلاوته بأن لا يُحَرِّفوه ولا يُغَيِّرُوهُ ويدَّبِرُوا في آياته ثم يعملون بها فأولئك يؤمنون به أي يؤمنون بآيته من عند الله ومن لم يكن كذلك لا يؤمن به قطعاً ففي الآية حث على التدبر في الكتاب وترغيب إلى العمل به ومن الواضح أنَّ الكفر به يوجب الخسران والوبال في الدارين، ثم فيها منع عن التلاوة من غير تفهم وتدبر تلويحاً لمن يقدر عليه:

قال الله تعالى: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ<sup>(٢)</sup>.

والآيات الحاتئة على التدبر كثيرة ولا شك أنَّ الإيمان يحصل من التدبر والتعقل وما حصل بغير التدبر لا فائدة فيه والحاصل أنَّه ينبغي لأهل الكتاب أن لا يكونوا من مصاديق، ربَّ قال القرآن والقرآن يلعنه وهكذا الأمر في التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية وإلى هذا المعنى يُشِيرُ.

مارواه في إرشاد الدليمي عن الصادق عليه السلام في قوله: لَذِينَ آمَنُوا بِالْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرْتَلُونَ آيَاتِهِ وَيَتَفَقَّهُونَ بِهِ، وَ يَعْمَلُونَ بِأَحْكَامِهِ، وَيَرْجِعُونَ وَعَدَهُ، وَيَخَافُونَ وَعِيدَهُ، وَيَعْتَبِرُونَ



بقصصه، ويأتَمرون بأوامره وينتهون بنواهيه، ما هو والله حفظ آياته ودرس حُرُوفه وتلاوة سُوره ودرس أعشاره وأُخماسه حَفَظُوا حُرُوفه وأُضَاعُوا حُدُوده وأَتَمَّا هو تدبر آياته والعَمَل بأحكامه قال الله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ: انتهى.

وأما قوله تعالى: يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فقد مرَّ الكلام في تفسير الآية (١).

وهكذا قوله: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ قد مرَّ تفسيرها سابقاً (٢).



وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي  
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ  
عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

## ◀ اللغة

ابْتَلَى: الإختبار يقال بلوته أي إختبرته قيل هو مأخوذ من البلى يقال بلى و  
بلاء أي خلق والخلق ضد الجديد يقال ثوبٌ خلق فإذا قيل، بلوته أي إختبرته  
كَأَنِّي أَخْلَقْتَهُ من كثرة إختباري له.  
ذُرِّيَّتِي: الذرية أصلها الصغار من الأولاد وأن كان قد يقع على الصغار  
والكبار معاً في التعارف ويُستعمل للواحد والجمع وفيها ثلاثة أقوال.  
أحدها: أَنَّهَا من ذَرَأَ الله الخلق فترك همزة نحو رُوِيَّة و بَرِيَّة.  
ثانيها: أَنَّ أصلها، ذُرْوِيَّة.  
ثالثها: أَنَّهَا فعلية من الذر نحو قمرية وباقي اللغات واضح.

## ◀ الإعراب

وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ أَيِ إِذْ كُرٍ، وَالْأَلْفُ  
فِي يَبْتَلَى، مِنْقَلِبَةً عَنْ وَاوٍ وَأَصْلُهُ مِنْ بَأَى يَبْلُو إِذَا اخْتَبَرَ، وَفِي إِبْرَاهِيمَ،  
بِالنَّصْبِ مَفْعُولُهُ بِهِ وَرَبُّهُ فَاعِلُ الْفِعْلِ جَاعِلُكَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ لِأَنَّهُ مِنْ  
جَعَلَ بِمَعْنَى صَيَّرَ لِلنَّاسِ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِجَاعِلِ أَيِ لِأَجْلِ النَّاسِ وَأَنْ يَكُونَ  
فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ وَالتَّقْدِيرِ إِمَامًا لِلنَّاسِ فَلَمَّا قَدَّمَهُ نَصَبَهُ عَلَى مَا  
ذَكَرْنَاهُ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي الْمَفْعُولَانِ مُحذُوفَانِ وَالتَّقْدِيرُ أَجْعَلُ فَرِيقًا مِنْ ذُرِّيَّتِي  
إِمَامًا لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عَلَى جَعْلِ الْعَهْدِ هُوَ الْفَاعِلُ وَ  
يَقْرَأُ الظَّالِمُونَ عَلَى الْعَكْسِ وَالْمَعْنِيَانِ مُتَقَارِبَانِ.

## ◀ التفسير

وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ فِي إِبْرَاهِيمَ لُغَاتٍ،  
أَحْذِيهَا: إِبْرَاهِيمَ بِالْأَلْفِ وَالْيَاءِ وَهُوَ الْمَشْهُورُ.  
ثَانِيهَا: بِدُونِ الْيَاءِ.  
ثَالِثُهَا: إِبْرَاهِيمَ بِالْفَيْنِ.

رَابِعُهَا: إِبْرَاهِيمَ بِالْفِ وَأَلْفٌ وَاحِدَةٌ وَضَمُّ الْهَاءِ وَكُلُّ قَرَأٍ وَهُوَ إِسْمٌ أَعْجَمِيٌّ مَعْرِفَةٌ وَجَمْعُهُ، إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ قَوْمٍ وَعِنْدَ آخَرِينَ بِرَاهِمَ، وَقِيلَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ، وَبِرَاهِمَةَ. وَالْمَعْنَى وَاذْكُرُوا وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ، أَيِ إِبْتِحَارٍ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ وَهُوَ مَجَازٌ وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ وَكَلَّفَهُ وَسَمَّىٰ ذَلِكَ إِبْتِحَارًا لِأَنَّ مَا يَسْتَعْمَلُ الْأَمْرَ مَنَّا فِي مِثْلِ ذَلِكَ يَجْرِي مَجْرَى الْإِبْتِحَارِ وَالْإِمْتِحَانِ فَأَجْرِي عَلَىٰ أَمْرِهِ إِسْمُ أُمُورِ الْعِبَادَةِ عَلَىٰ طَرِيقِ الْإِتْسَاعِ وَأَيْضًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ لَمَّا عَامَلَ عِبَادَهُ مَعَامَلَةَ الْمُتَبَلَّى الْمُخْتَرِ إِذْ لَا يُجَازِيهِمْ عَلَىٰ مَا يَعْلَمُهُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ الْفِعْلُ مِنْهُمْ كَمَا لَا يُجَازِي الْمُخْتَبَرُ لِلْغَيْرِ مَا لَمْ يَقَعَ الْفِعْلُ مِنْهُ سَمَّىٰ أَمْرَهُ إِبْتِلَاءً وَحَقِيقَةُ الْإِبْتِلَاءِ تَشْدِيدُ التَّكْلِيفِ انْتَهَىٰ.  
أَقُولُ تَوْضِيحَ الْآيَةِ يَسْتَدْعِي التَّكْلِمَ فِي أُمُورٍ.

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ.  
الْأَمْرُ الثَّانِي: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ وَأَنَّهُ مَا الْمُرَادُ بِهِ.  
الْأَمْرُ الثَّالِثُ: فِي قَوْلِهِ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا.  
الْأَمْرُ الرَّابِعُ: فِي قَوْلِهِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي.  
الْأَمْرُ الْخَامِسُ: قَوْلُهُ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ.

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ فَلَمَّا أُنْزِلَ الْإِبْتِلَاءُ الْإِبْتِحَارُ وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْمَعْنَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ بِالْفَافِ مُخْتَلِفَةً كُلَّهَا يَفِيدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي حَقِّ الْعِبَادَةِ.

قال الله تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: وَ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئْتُوا أَمَدًا، وَ نَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى: وَ نَبْلُوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ<sup>(٥)</sup>.

قال الله تعالى: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ<sup>(٦)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا<sup>(٧)</sup>.

قال الله تعالى: لَنَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ<sup>(٨)</sup>.

قال الله تعالى: أَلَمْ، أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْقَهُونَ<sup>(٩)</sup>.

والآيات كثيرة فَيَعْلَمُ بذلك أَنَّ الإبتلاء والاختبار كان واقعاً ثابتاً في جميع الأزمنة وفي كل الأمم بل ولكل واحدٍ من آحاد الناس كائناً من كان وهو ممَّا لا سبيل للإجكار اليه فَأَنَّ قوله تعالى: أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا نَصَّ فِي الْمُدْعَى لِأَنَّ النَّاسَ يشمل جميع الأفراد وهكذا قوله: وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ<sup>(١٠)</sup>

وَأَمَّا الكلام في جهة الإبتلاء وَأَنَّهُ لِمَ يختبر الله عباده وما المصلحة فيه و المفروض أَنَّهُ عالم بحال العبد ولا يخفى عليه شيء من أقواله وأعماله و نياته

- |                  |                   |
|------------------|-------------------|
| ١- الفجر = ١٥/١٦ | ٢- القلم = ١٧     |
| ٣- الأعراف = ١٦٨ | ٤- محمد = ٣١      |
| ٥- الأنبياء = ٣٥ | ٦- البقرة = ١٥٥   |
| ٧- الكهف = ٧     | ٨- آل عمران = ١٨٦ |
| ٩- العنكبوت = ٢  | ١٠- العنكبوت = ٣  |

وقد قالوا أن العلة علم المُختبر بحال المُختبر أو كشف الحقيقة على المُختبر والمُمتحن وكل هذه الأمور لا يتأتى في حق الله تعالى ألا ترى أن المعلم يختبر المتعلم للإطلاع على حاله وأن ينكشف له استعداداته وهذا أمر واضح لا خفاء فيه بحسب العرف وحيث أن الله عالم بما في الضمائر فضلاً عن الظواهر فلا يحتاج إلى الاختبار لأنه في الحقيقة من تحصيل الحاصل فلا بد من وجود مصلحة فيه وتلك المصلحة هي التي خفيت على أكثر أهل العلم فضلاً عن غيرهم من الجهال فإنما ما وجدنا في تحقيقات القوم وكلماتهم ما يكشف القناع عن وجه هذا الإبهام فنقول بحوله وقوته، الاختبار منه تعالى للعبد ليس لأجل الإنكشاف لأنه تعالى قد أحاط بكل شيء علماً بل لأحد الأمرين.

**أحدهما:** كشف الحقيقة على العبد وذلك لأن العبد ربما يظن في حق نفسه خيراً فإذا قيل له لست كذلك أي لست من المؤمنين مثلاً قال أنا منهم بلاشك ولا شبهة ولا يمكن إخراجه من الشبهة إلا بالاختبار ليعلم أنه لم يعرف نفسه فيخرج بذلك عن الإشتباه والغلط ألا ترى أن كثيراً من الناس يُعيّون على غيرهم بالسنتهم أو بقلوبهم فالفقر يغضب على الغني والجاهل على العالم والمظلوم على الظالم وهكذا صار الفقير غنياً والضعيف قوياً يصير الأمر بالعكس أي يصير الضعيف بعد وصوله إلى القدرة ظالماً والفقير بعد غناه بخيلاً مُمسكاً والجاهل بعد صيرورته عالماً لا يعمل بعلمه وهكذا في جميع الأصناف والطبقات وكشف هذه الحقيقة وظهور هذه السرية لا يمكن إلا بالاختبار في كل إنسان بحسبه ولأجل ذلك قال الله تعالى: **أَحْسِبْ النَّاسَ أَنْ يَبْتَزُّوكَ أَنَّ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقِنُونَ** فهذا عبد الملك بن مروان قبل وصوله إلى المقام كان معتكفاً في المسجد أكثر الأوقات بحيث قيل له حماقة المسجد وهو الذي قال في خلافة يزيد بن معاوية بعد وقعة الطيف كيف لا يسقط السماء على الأرض من هذه الجناية ولما وصل إلى القدرة وجلس مجلس يزيد فعَل ما فعَل من القتل والجناية ما لم يقدر على ضبطه وثبته في

التواريخ والسَّيرِ احد من المؤمنين واحدى جنائياته قتل النَّاس بأمره في مسجد الحرام وهدم الكعبة في قصَّة عبد الله بن الزُّبير وكفى في ظلِّمه أنَّ حجاج بن يوسف الثَّقفي لعنه الله أحد عُمَّاله وقس عليه البواقي وهكذا الأمر بالنسبة الى جميع الخلفاء والحكَّام والسُّلاطين والأمراء الى زماننا هذا ومنه الى يوم ظهور العدل المطلق هذا بالنسبة الى الحكَّام وهكذا الحال في جميع الأصناف والسُّر فيه أنَّ الإنسان قبل القدرة على الشَّي لا يقدر على معرفة نفسه ومراتب إيمانه وإعتقاده فأن قدر ولم يفعل عرف نفسه وعلم مقامه بحسب الإيمان هذا كلُّه بالنسبة الى غير المعصوم ظاهر.

**ثانيها:** أنَّ الله تعالى قد يُريد به أنَّ يعرف عبده في خلقه لا أنَّه أراد به إخراجهم من الإشتباه ومن هذا القبيل إختبار الأنبياء والأوصياء فأنَّ الإنسان الكامل بصيرٌ بحاله عارفٌ بنفسه ومقامه والله تعالى أيضاً عالمٌ بصدقه وصفائه وأنَّه مُنزَّه عما يقول الجاهلون ولكن قدره في النَّاس مجهول حتَّى أنَّ النَّاس يظنون أنَّه كأحدٍ منهم ولا سبيل الى معرفته إلاَّ بالإمتحان فيبتليه ببلاءٍ لينكشف به جوهر ذاته وحسن إعتقاده ومعرفته وبذلك يظهر الفرق بينه وبين غيره من النَّاس، وهذه مصلحة قويَّة ثمَّ في المقام إحتمال آخر وهو أنَّ الإمتحان يوجب خروج العبد من النقص الى الكمال وذلك لأنَّ الخروج عن الإبتلاء بنحو أحسن لا يمكن إلاَّ بالصَّبر على المشاق والصَّبر عبارة عن كَفِّ النَّفس ومنعها عما تشتهيهِ وكمال الإنسان ليس إلاَّ فيه اذا عرفت هذا فنرجع الى أصل البحث ونقول:

قوله تعالى: **وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ دَالَ عَلَىٰ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ ابْتَلَىٰ عَبْدَهُ وَنَبَّيْهُ بِشَيْءٍ كَانَ لَانْفَاقًا بِمَقَامِهِ وَهُوَ الْكَلِمَاتُ فَأَتَمَّهُنَّ إِبْرَاهِيمُ.**  
**الأمر الثَّاني:** اختلفوا في المراد بها على أقوال.

منها ما روي عن ابن عباس وقتادة أنَّ الله تعالى أمره بعشرة سُنن، خمسٌ في الراس فأما النَّبي في الرأس فالمضمضة

والإستنشاق والفرق وقصّ الشارب والسّواك وأما التي في الحسد فالختان وخلق العانة، وتقليم الأظفار ونتف الأبطين والإستنجاء. وفي رواية أخرى عنه أنّه ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين شيئاً عشرة منها في براءة التائبون العابدون الحامدون الى آخرها وعشرة في الأحزاب أنّ المسلمين والمسلمات الى آخرها وعشرة في سورة المؤمنين الى قوله: وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُخَافُونَ وعشرة في سأل سائل الخ وفي رواية ثالثة أنّه أمره بمناسك الحجّ، والوقوف بعرفة والطّواف والسّعي بين الصّفا والمروة رمي الحجار والإفاضة.

ومنها ما عن الحسن ابتلاه الله بالكواكب وبالقمر وبالشّمس وبالجنان وبذبح ابنه وبالنّار والهجرة وكلّهنّ وفي الله فيهنّ. ومنها ما عن مجاهد ابتلاه الله بالأيات التي بعدها وهي أنّي جاعلك للنّاس إماماً، الآية فهذه هي الأقوال التي ذكروها في المقام وتركنا بعضها مخافة الإطالة وعدم الفائدة وعن كتاب الخصال عن المضلّ بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن قول الله وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات، ما هذه الكلمات فقال هذه الكلمات هي التي تلقّاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنّه قال ياربّ أسألك بحقّ محمد ﷺ وعليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام إلّا ثبت عليّ أنّه هو الثّواب الرّحيم، فقلت له يابن رسول الله فما يعني عزّ وجلّ بقوله: فَأَتَمَّهُنَّ قال عليه السلام: يعني أتمهنّ الى القائم اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين انتهي.

وروى في مجمع البيان عن الصادق عليه السلام: أنّه ابتلاه الله به في نومه من ذبح ولده إسماعيل أبي الغرّب فأتمّها إبراهيم وعزم عليها وسلم لأمر الله فلمّا عزم قال الله ثواباً له لما صدّق وعمل بما أمره

اللَّهُ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحَنِيفِيَّةَ وَهِيَ الطَّهَّارَةُ وَهِيَ عَشْرَةُ أَشْيَاءَ خَمْسَةٌ مِنْهَا فِي الرَّاسِ وَخَمْسَةٌ مِنْهَا فِي الْبَدَنِ فَأَمَّا التِّي فِي الرَّاسِ فَأَخَذَ الشَّارِبَ وَإِعْفَاءَ اللَّحْيِ وَطَعْمَ الشَّغْرِ وَالسَّوَاكِ وَالْخِلَالَ وَأَمَّا التِّي فِي الْبَدَنِ فَحَلَقَ الشَّغَرَ مِنَ الْبَدَنِ وَالْخِتَانِ وَتَقْلِيمَ الْأَظْفَارِ وَالْغُسْلَ مِنَ الْجَنَابَةِ وَالطَّهْوَةَ بِالْمَاءِ فَهَذِهِ الْحَنِيفِيَّةُ الطَّاهِرَةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ فَلَمْ تَنْسَخْ وَلا تُنْسخَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ: وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَأَهْلُ الْبَيْتِ أَدْرَى بِمَا فِيهِ.

الأمر الثالث: فِي قَوْلِهِ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ الْإِمَامُ الْقُدْوَةُ وَمِنْهُ قِيلَ لَخِيْطُ الْبِنَاءِ إِمَامٌ وَلِلطَّرِيقِ إِمَامٌ لِأَنَّهُ يَوْمٌ فِيهِ لِلْمَسَالِكِ أَيْ لِيَقْصِدَ فَالْمَعْنَى جَعَلْنَاكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا يَأْتُمُونَ بِكَ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ فَجَعَلَ اللَّهُ إِمَامًا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ فَلِذَلِكَ اجْتَمَعَتِ الْأُمَمُ عَلَى الدَّعْوَى فِيهِ انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.

أَقُولُ الَّذِي نَقَلْنَاهُ عَنْهُ كُلِّ مَا ذَكَرَهُ فِي تَفْسِيرِ الْجُمْلَةِ فَعَلَى قَوْلِهِ جَعَلَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ إِمَامًا لِيَأْتِيَ بِهِ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ أَعْنِي بِهَا الْخِتَانُ وَتَفِيفُ الْإِبْطِينَ وَالْإِسْتِنْجَاءَ وَالْإِسْتِنْشَاقَ وَأَمْثَالَهَا وَالْإِمَامَةَ بِهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَأَمْثَالُهُ هِيَ الَّتِي سَأَلَ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ وَقَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فَلَقَائِلُ أَنْ يَقُولَ لِلْقُرْطُبِيِّ أَيْ رِبطٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: لَا يَنْأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَبَيْنَ الْإِمَامَةِ فِي الْإِسْتِنْجَاءِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَتَفِيفِ الْإِبْطِينَ وَأَمْثَالَهَا أَنْظَرُوا يَا أَهْلَ الْإِنْصَافِ إِلَى هَذِهِ التَّفَاسِيرِ كَيْفَ تَلَبَّوْا الْآيَاتِ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ كَيْفَ أَطْفَأُوا نُورَ اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَأَمَّا أَرَادَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ لِإِبْرَاهِيمَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا أَنِّي مُصِيرُكَ تَوْمًا مِنْ بَعْدِكَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِي وَبِرُسُلِي فَتَقَدَّمَهُمْ أَنْتَ وَيَتَّبِعُونَ هَدْيَكَ وَيَسْتَنُونَ بِسُنَّتِكَ الَّتِي تَعْمَلُ بِهَا بِأَمْرِي إِيَّاكَ وَوَحْيِي إِلَيْكَ انْتَهَى.



أقول ما ذكره الطبري أيضاً يكشف عن خبئه أو جهله و ذلك لأن قوله تعالى: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ لا يناسب ما ذكره لأن الإمامة في الأمور التي ذكرها الطبري وأمثاله من العامة لا يشترط فيها العدالة قطعاً فكيف يقول الله في جواب إبراهيم لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، أليس لإبراهيم وغيره أن يقول يارب أنت جعلتني إماماً في قص الشارب والسواك والختان وأمثالها مما ذكره فكيف تقول في جوابي لا ينال عهدي الظالمين والعدالة ليست بشرط في هذه الأمور، وهذا الذي نقلناه عنهما موجود في سائر تفاسيرهم بأدنى تفاوت في الألفاظ.

الأمر الرابع: قوله: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قد مضى معنى الذرية والمراد بها في شرح اللغات وفي المقام نقول كلمة من، للتبعيض أي وأجعل من ذرئتي من يوشح بالإمامة وتوشح لهذه الكرامة والحق أنه على وجه السؤال من الله تعالى أن يجعلهم كذلك وقيل أتما قال ذلك ليعلم هل يكون في عقبه أئمة يقتدى بهم والوجه الأول أحسن وأليق بالمقام وكيف كان سؤاله هذا يدل على شرف الموضوع وعظمه.

الأمر الخامس: قوله لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ اختلفوا في المراد بالعهد،

روي عن ابن عباس أنه النبوة وقال السدي ومجاهد هو الإمامة وقال قتادة هو الإيمان وقال عطاء هو الرحمة وقال الضحاك هو دين الله وقيل عهده أمره والحق أن المراد به الإمامة وهو المروي عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام أي لا يكون الظالم إماماً للناس.

فمن عيون الأخبار بأسناده إلى الرضا عليه السلام: والحديث طويل، يقول عليه السلام فيه أن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشار بذكره فقال عز وجل: أَنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا فقال سُورُوا بها من

ذَرَيْتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ  
إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ انْتَهَى.  
وَعَنِ الْكَافِي بِأَسْنَادِهِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ نَبِيًّا وَ  
لَيْسَ بِإِمَامٍ حَتَّى قَالَ اللَّهُ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي  
فَقَالَ اللَّهُ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ مِنْ عَبْدٍ صَنَمًا أَوْ وَثَنًا لَا يَكُونُ  
إِمَامًا انْتَهَى.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنْ زَيْدِ الشَّحَامِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ أَنَّ اللَّهَ  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا وَأَنَّ اللَّهَ إِتَّخَذَهُ  
نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا وَأَنَّ اللَّهَ إِتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ  
خَلِيلًا وَأَنَّ اللَّهَ إِتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ (يَجْعَلُهُ) إِمَامًا فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ  
الْأَشْيَاءَ قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ عليه السلام فَمِنْ عِظْمِهَا فِي  
عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ قَالَ لَا  
يَكُونُ السَّفِيهِ إِمَامَ التَّقِيِّ انْتَهَى.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ عليه السلام: أَنَّ اللَّهَ إِتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا  
قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا وَإِتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا الْحَدِيثُ كَمَا مَرَّ.  
وَعَنْ كِتَابِ الْإِحْتِجَاجِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ يَقُولُ  
فِيهِ قَدْ خَطَرَ عَلَى مَنْ مَاسَهُ الْكُفْرُ تَقَلَّدَ مَا فَوَّضَهُ اللَّهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَ  
أَوْلِيَائِهِ بِقَوْلِهِ لِإِبْرَاهِيمَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ أَيِ الْمُشْرِكِينَ  
لَأَنَّهُ سَمَّى الشِّرْكَ ظُلْمًا بِقَوْلِهِ أَنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ فَلَمَّا عَلِمَ  
إِبْرَاهِيمُ أَنَّ عَهْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ إِسْمُهُ بِالْإِمَامَةِ لَا يَنَالُ عَبْدَهُ الْأَصْنَامَ قَالَ  
وَأَجُنَّبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ انْتَهَى.

وَلَقَدْ أَجَادَ صَاحِبُ الْكَشَافِ فِي الْمَقَامِ فَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ  
حَيْثُ قَالَ أَيُّ مَنْ كَانَ ظَالِمًا مِنْ ذُرِّيَّتِكَ لَا يَنَالُهُ إِسْتِخْلَافِي وَعَهْدِي إِلَيْهِ  
بِالْإِمَامَةِ وَأَتَمَّا يَنَالُ مَنْ كَانَ عَادِلًا بَرِيئًا مِنَ الظُّلْمِ وَقَالُوا فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ

الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف يصلح لها مَنْ لا يجوز حكمه وشهادته و لا تجب طاعته و لا يُقبل خبره و لا يُقدّم للصلاة وكان أبو حنيفة يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما وحمل المال اليه والخروج معه على اللّص المتقلّب المتسمّى بالإمام والخليفة الكلدانيقي وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله ابن الحسن حتّى قُتل ليتنا مكان ابنك وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عدّ أجره لما فعلتُ، وعن ابن عينية لا يكون الظالم إماماً قطّ وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام أنّما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالماً في نفسه فقد جاء المثل السائر من إسترعى الذّهب ظلّم انتهى ما ذكره بالفاظه و عباراته و الإنصاف أنّه أدّى حقّ المقال فإن كان قد إستبصر في أواخر عُمره كما قيل فهو وإلاّ فكلّامه هذا حجة عليه يوم القيامة فيُسأل عنه أي فرق بين الدّوانيقي وغيره من خلفاء الغاصبين أليس جميعهم منصوبين للإمارة والإمامة من قبل النّاس ثمّ أليس كلّهم ظالمين، أليس الدّوانيقي وأمثاله من ثمرات السّقيفة وأيّ ذنب للمنصور وغيره إلاّ مُتابعتهم الخلفاء الأوّلين في غصب الخلافة والتصدّي لأمر الإمامة من غير نصّ من النّبي و صلاحيته في أنفسهم فإن كانت الإمامة تثبت بالنصّ كما نقول به فأين النصّ فيهم وأن لم يكن بالنصّ بل تثبت بتعيين أصحاب الحلّ والعقد فكلّهم فيه سواء وأن كانت العدالة من الشّروط فيها فلا تجد في كلّ الخلفاء من إتصف بها و حيث أنّ النّاس عيّنوهم للإمامة وجعلوهم خلفاء رسول الله فهؤلاء النّاس من أكمل مصاديق قوله من إسترعى الذّنب ظلم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون و حيث إنجر الكلام الى هنا فلا بأس بالإشارة الى ما ذكره الرّازي في تفسيره لهذه الآية قال:

في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأوّل

**المسألة الرابعة:** الرّوافض احتجّوا بهذه الآية على القدح في إمامة أبي

بكر و عُمر من ثلاثة أوجه:

**الأول:** أُنْ أبا بكر وعمر كانا كافرين فقد كانا حال كفرهما ظالمين فوجب أن يصدق عليهما في تلك الحالة أنهما لا ينالان عهد الإمامة البتة وإذا صدق عليهما في ذلك الوقت أنهما لا ينالان عهد الإمامة البتة ولا في شيء من الأوقات ثبت أنهما لا يصلحان للإمامة.

**الثاني:** أُنْ من كان مذنّباً في الباطن كان من الظّالمين فأذن ما لم يعرف أن أبا بكر وعمر ما كانا من الظّالمين المذنبين ظاهراً وباطناً وجب أن لا يحكم باماتهما وذلك أنما يثبت في حق من تثبت عصمته ولمّا لم يكونا معصومين بالاتفاق وجب أن لا تتحقّق إمامتهما البتة.

**الثالث:** قالوا كانا مشركين وكلّ مشرك ظالم والظّالم لا يناله عهد الإمامة فيلزم أن يناله عهد الإمامة أمّا أنهما كانا مشركين فبالإتفاق وأمّا أن المشرك ظالم فلقوله تعالى: **أَنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** وأمّا أن الظّالم لا يناله عهد الإمامة فلهذه الآية لا يقال أنهما كانا ظالمين حال كفرهما فبعد زوال الكفر لا يبقى هذا الإسم لأننا نقول:

الظّالم من وجد منه الظلم وقولنا وجد منه الظلم أعم من قولنا وجد منه الظلم في الماضي أو في الحال بدليل أن هذا المفهوم يمكن تقسيمه إلى هذين القسمين ومورد التقسيم بالتقسيم بالقسمين مشترك بين القسمين وما كان مشتركاً بين القسمين لا يلزم إنتفاؤه لأحد القسمين فلا يلزم من نفي كونه ظالماً في الحال نفي كونه ظالماً والذي يدل عليه نظراً إلى الدلائل الشرعية أن الثّامن سمّي مؤمناً والإيمان هو التصديق والتصديق غير حاصل حال كونه نائماً فدل على أنه يسمّى مؤمناً لأن الإيمان كان حاصلًا قبل إذا ثبت هذا وجب أن يكون ظالماً لظلم وجد من قبل وأيضاً فالكلام عبارة عن حروف متوالية والمشي عبارة عن حصولات متوالية في إحياز متابعة مجموع تلك الأشياء البتة لا وجود لها فلو كان حصول المشتق منه شرطاً في كون الإسم المشتق حقيقة وجب أن لا يكون إسم المتكلم والماشي وأمثالهما حقيقة في

شيئاً أصلاً وأنه باطل قطعاً فدلّ على أنّ حصول المشتقّ منه ليس شرطاً لكون الاسم المشتقّ حقيقة انتهى ما ذكره بألفاظه و عباراته ثم قال والجواب كلّ ما ذكرتموه معارض بما أنّه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلاّ أنّه كان كافراً قبل بسنين متطاولة فأنّه لا يحثّ فدلّ على ما قلناه و لأنّ الثائب عن الكفر لا يسمّى كافراً والثائب عن المعصية لا يسمّى عاصياً فكذا القول في نظائره ألا ترى الى قوله تعالى ولا تكونوا الى الذين ظلّموا، فأنّه نهى عن الركون اليهم حال إقامتهم على الظلم وقوله ما على المحسنين من سبيل معناه ما أقاموا على الإحسان على أنّنا بيّنا أنّ المراد من الإمامة في هذه الآية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين لا يصلح للنبوة انتهى.

**فنقول** أمّا تقريره الدليل فهو ممّا لا غبار عليه والحقّ أنّه أجاد في تقرير الاستدلال بما لا مزيد عليه وأمّا جوابه عن الاستدلال فهو ناقص مخدوش بل هو بالمغالطة أشبه وذلك لأنّ لفظ الإمام في العرف واللغة يطلق على معنيين: أحدهما: الحكومة والمارة فإنّ الإمام في اللغة عبارة عمّن يؤتمّ به في أمر الدنيا والدين والحاكم كذلك ولذلك يطلقون عليه الإمام فإنّ الناس على دين ملوكهم وبعبارة أخرى الإمام قد يطلق على الحاكم في الظاهر لأنّه متكفّل لتنظيم الجيش في الحروب وتعيين الولاة والقضاة في البلاد و سدّ الثغور ودفع الأعداء وبالجملة كلّ ما يجب في سياسة المدين وحفظ الأمتية في الاجتماع وأن كان في ذلك مستعيناً بغيره ممّن هو أعلم وأدهى منه.

**ثانيهما:** الإمامة في أمر الدين والدنيا واقعاً بحيث يكون الإلتزام به موجباً لسعادة الدارين وحلاوة النشأتين مصوناً عن السهو والنسيان والخطأ والطغيان والظلم والعدوان والكذب والبهتان وأمثال ذلك من الانحرافات علماً وعملاً وقولاً وفعلًا كما قال الله تعالى: أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ<sup>(١)</sup>.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

الجلد الأول

والأمانة بهذا المعنى يشترط فيها أمور من العصمة والعلم والشجاعة والعفة وبالجمله جميع الكمالات النفسانية اذا عرفت هذا فنقول الإمامة بمعنى الأول لا تجمع مع الرسالة والنبوة لعدم وجود هذه الصفات فيه وأما الإمامة على القول الثاني قد يكون مع الرسالة وقد لا تكون وذلك لأن شرائط الرسالة موجودة في الإمام فإن كان مراد الرازي الإمام بالمعنى الأول فما ذكره صحيح لأنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر ويطلق عليه الإمام لغةً وعرفاً فيكفي كونه عادلاً حين التصدي إلى الفرض أن وجد.

أما الإمامة بالمعنى الثاني فلا بد لها من الشروط المذكورة وأن لا يكون ظالماً من أول الأمر مثل النبوة فلا يكفي فيها عدم كون الحاكم ظالماً حين التصدي فقط فما ذكره في آخر كلامه وهو أن المراد من الإمامة في هذه النبوة فمن كفر بالله طرفه عين لا يصلح للنبوة فقط فهو مخالفٌ لصريح الآية لأن الله تعالى يقول أَنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وَلَمَّا قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فالمراد بالعهد الإمامة قطعاً اذ ليس البحث في النبوة والآية أيضاً ساكنة عنها ألا ترى أن الآية تنادي بأعلى صوتها أن الله جعل إبراهيم إماماً لا نبياً فقلوه تعالى لَا يَنَالُ عَهْدِي راجع إلى الإمامة في صدر الآية فحمل العهد على النبوة تحتاج إلى دليل واذ ليس فليس.

و ثانياً، لو كان المراد من الإمامة النبوة كما اعترف به فلم لم يقل أَنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ نَبِيًّا وقال إماماً فيعلم بذلك أن المراد بالإمامة غير النبوة وهو المطلوب.

سلمنا أن المراد بالإمامة في الآية النبوة لكن النبوة لا تجتمع مع الكفر والظلم سابقاً ولاحقاً كما صرح به وقال فمن كفر بالله طرفه عين لا تصلح للنبوة فكذا الإمامة لا تجتمع اذ المفروض أن المراد بها النبوة وحكم الأمثال واحد فينتج أن من كفر بالله طرفه عين لا يصلح للإمامة أيضاً لآت حادهما على قوله واذ كان كذلك فالإمامة والنبوة قد تجتمعان كما في المقام وقد لا تجتمعان ونحن أيضاً نقول به اذ ليس كل نبي إمام كما لا يكون كل إمام نبي

فمورد الاجتماع إبراهيم الخليل عليه السلام بنص الآية و أما مورد الافتراق من الطرفين فلا بد من وجوده فيهما أما النبوة التي ليست فيها إمامة كأكثر الأنبياء غير الخليل بل جميعهم فأن الكتاب لم يعلم بإمامة أنبياء السلف سوى إبراهيم ولو قلنا بإمامة أولي العزم منهم فالباقون وهو واضح و أما الإمامة التي ليست فيها النبوة فأين مصداقها وعلى الرأزي الجواب و أما نحن فنقول الأئمة المعصومون و بعبارة واضحة لا شك أن الإمامة و النبوة كلتيان من حيث المفهوم لصدق كل واحد منهما على كثيرين و لا نعني بالكلي إلا هذا فأنهم قالوا المفهوم أن إمتنع فرض صدقه على كثيرين فجئني وإفكلي و معلوم أن الإمامة و النبوة لم يمتنع فرض صدقهما على كثيرين وكل كليين لابد أن يكون بينهما إحدى النسب و هي التباین والتساوي، والعموم والخصوص المطلق، والعموم والخصوص من وجه وهذا مما إتفق عليه الكل و حينئذ فنقول، لا يمكن التباین لأن شرط وجوده سلب الكلي من الطرفين مثل لا شيء من الإنسان بحجر، و لا شيء من الحجر بإنسان و أنما قلنا لا يمكن، إذ لا يصح أن يقال، لا شيء من النبي بإمام و لا شيء من الإمام بنبي، و ذلك لإعترافه بأن المراد من الإمامة في الآية النبوة فلو كانت متباينتين لا يصح اجتماعها وهو يقول به فإذا لا يقول بالتباين، و لا يمكن التساوي أيضاً لأن الشرط فيه صدق الكلية من الطرفين على عكس التباين مثل كل إنسان بشر وكل بشر إنسان، و معلوم أن مانحن فيه ليس من هذا القبيل أيضاً إذ لا يصح أن يقال كل نبي إمام وكل إمام نبي و الرأزي أيضاً لا يقول به لأنه يقول المراد من الإمامة في هذه الآية النبوة معناه أن الإمامة في غير الآية ليست كذلك وإلا فحق العبارة أن يقال قد بينا أن المراد من الإمامة النبوة ولم يقل به بقى في المقام من النسب الأربع إثنان، عموم و خصوص مطلق و عموم و خصوص من وجه.

في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

أما العموم والخصوص المطلق فالشرط في تحققه صدق الكلية من جانب واحد، كما بين الإنسان والحيوان، فنقول كل إنسان حيوان ولا نقول كل حيوان

إنسان بل بعضه إنسان وبعضه ليس بإنسان، وما نحن فيه ليس من هذا القبيل أيضاً إذ لا يصح، كل نبي إمام ولا كل إمام نبي ولمّا لم يصدق الكلمة من أحد الطرفين فهو أيضاً خارج عن النزاع، بقى في المقام العموم والخصوص من وجه ويشترط في صدقه الاجتماع في مورد الإفتراق في موردين، مثاله الحيوان والأبيض.

لا تصدق الكلية فيهما من الطرفين فلا يكونا متساويين، إذ لا يصح كل حيوان أبيض، لأن بعض الحيوانات أسود، ولا كل أبيض حيوان لأن الثلج والعاج والقرطاس وأمثالها أبيض وليس بحيوان، ولا يصح سلب الكلّي أيضاً من الطرفين فلا يقال لا شيء من الحيوان أبيض، ولا شيء من الأبيض حيوان لكذبهما، فلا يكون بمتباينين، ولا يصح سلب صدق الكلية من جانب واحد وهو أيضاً ظاهر فلا يكونان بعموم وخصوص مطلق، فهما من قبيل العموم والخصوص من وجه فيقال بعض الحيوان أبيض وبعض الأبيض حيوان كالحمار الأبيض وهذه مادة الاجتماع، وبعض الحيوانات ليس بأبيض كالبقرة الأسود وبعض الأبيض ليس بحيوان كالثلج والعاج وأمثالهما إذا عرفت هذه القاعدة المسلّمة عند الكل فنقول الإمامة والنّبوة حيث أنّهما كليّتان ولا يكون بينهما من النسب التساوي والتّباين والعموم والخصوص المطلق كما مرّ فلا محالة بينهما العموم من وجه فمادة الاجتماع إبراهيم الخليل وبعض الأنبياء على قولنا وتبيننا ﷺ قطعاً وهذا ظاهر وأما مادّتي الإفتراق فنقول بعض الأنبياء ليسوا بإمام أمثال هود وصالح ويونس ونوح وهكذا وبعض الإمام ليسو بنبي، أما على مذهبنا فهم الأئمة الاثني عشر وأما على قول الرّازي فلا نعلم ولا يعلم هو أيضاً فلا بدّ له من تعيين المصدّق أن قال بما نقول فهو المطلوب.

والأفلا بدّ له من أن يقول هم أبو بكر وعمر وعثمان وأمثالهم وهو لا يقول بإمامتهم بالمعنى الذي ذكره من أن المراد بالإمامة في الآية النّبوة بل يقول بإمامتهم لا بهذا المعنى وهو خارج عن البحث وعن مورد الآية فيجب على



الرازبي وأمثاله إما إنكار الآية رأساً من الكتاب، وأما تفسير الإمامة بالمعنى الذي ذكرناه وأن المراد بالعهد هو الإمامة أيضاً لا غيرها والآن يجب علينا نقل كلامه في العهد أيضاً.

**المسألة الخامسة :** قال الجمهور من الفقهاء والمتكلمين الفاسق حال فسقه لا يجوز عقد الإمامة له وإختلفوا في أن الفسق الطارئ هل يبطل الإمامة أم لا وإحتج الجمهور على أن الفاسق لا يصلح أن تعقد له الإمامة بهذه ووجه الاستدلال بها من وجهين.

**الوجه الأول:** ما تبين أن قوله: **لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** جواب لقوله: **وَمِنْ ذُرِّيَّتِي** وقوله: **وَمِنْ ذُرِّيَّتِي** طلب للإمامة التي ذكرها الله تعالى فوجب أن يكون المراد بهذا العهد هو الإمامة ليكون الجواب مطابقاً للسؤال فتصير الآية كأنه قال تعالى لا ينال الإمامة الظالمين وكل عاصٍ فإنه ظالم فكانت الآية دالة على ما قلناه، فإن قيل ظاهر الآية يقتضي إنتفاء كونهم ظالمين ظاهراً وباطناً ولا يصح ذلك في الأئمة والقضاة، قلنا أما الشيعة فيستدلون بهذه الآية على صحة قولهم في وجوب العصمة ظاهراً وباطناً وأما نحن فنقول مقتضى الآية ذلك إلا إننا تركنا إعتبار الباطن فتبقى العدالة الظاهرة معتبرة، فإن قيل أليس أن يونس **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قال: **سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**<sup>(١)</sup> وقال آدم: **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا** قلنا المذكور في الآية هو الظلم المطلق وهذا غير موجود في آدم ويونس عليهما السلام انتهى.

ونحن نقول في المقام قوله مقتضى الآية ذلك أي وجوب العصمة ظاهراً وباطناً من أصح الأقوال وأما قوله إلا إننا تركنا إعتبار الباطن فتبقى العدالة الظاهرة معتبرة فيه ما لا يخفى وهو أنه لم تترك إعتبار الباطن بعد الإقرار بأن مقتضى الآية إعتبار العصمة ظاهراً وباطناً، اليس هذا مخالفة لنص الكتاب، اليس هذا من قبيل نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ثم ما الفرق بينكم وبين اليهود

حيث أنكروا أوصاف النبي أو حذفوها من التّوراة أو فسروا الكتاب لإتباعهم على الأميال والأهواء ونحن نرجو أن يكون الرّجل مع الإعترافات الصّريحة من المتبصرين والأفقد تمت الحجّة بعلمه وإقراره على نفاقه وليس له جواب عند الله يوم القيامة إذا سُأل عنه بعد إقراره بأن مقتضى الآية كذا وكذا فبأيّ دليل ترك إعتبار الباطن حتّى تبقى العدالة الظّاهرة مع أنّها أيضاً لا تبقى إلّا بمجرّد الإدعاء إذ كيف يمكن بقاء العدالة الظّاهرة مع عدم العصمة وهذا الكلام من الرّازي مع توغّله في العقليّات والنقلّيّات عجيب بل هو من قبيل المثل السائر الغريق يتشبّث بكلّ حشيش هذا كلامه في الوجه الأوّل من الوجهين في معنى العهد في الآية.

**أمّا الوجه الثّاني:** أنّ العهد قد يستعمل في كتاب الله بمعنى الأمر :

قال الله تعالى: **أَلَمْ أَعْهِذْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** <sup>(١)</sup>

أي ألم آمركم بهذا:

قال الله تعالى: **قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا** <sup>(٢)</sup>.

يعني أمرنا ومنه عهود الخلفاء إلى أمرائهم وقضاتهم إذا ثبت عهد الله هو أمره فنقول لا يخلو قوله: **لَا يَنْتَالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ** من أن يُريد أنّ الظّالمين غير مأمورين وأنّ الظّالمين لا يجوز أن يكونوا فمن يقبل من يقبل منهم أوامر الله تعالى ولمّا بطل الوجه الأوّل لإتفاق المسلمين على أنّ أوامر الله تعالى لازمة للظّالّمين كلزومها لغيرهم ثبت الوجه الآخر وهو أنّهم غير مؤمنين على أوامر الله وغير مقتدين بهم فيها فلا يكونون أئمة في الدّين فنبت بدلالة بطلان إمامة الفاسق قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ودلّ أيضاً على أنّ الفاسق لا يكون حاكماً وأنّ أحكامه لا تنفذ إذ ولي الحكم وكذلك لا تقبل شهادته ولا خبره إذا أخبر عن النبي ولا قوله إذا أفنى ولا يقدم للصلاة وأن كان هو بحيث لو إقتدى به فأنّه لا تفسد صلاته انتهى.

موضع الحاجة من كلامه ثم ذكر كلاماً عن أبي بكر الرّازي في أبي حنيفة حاصله أنّ أبا حنيفة أيضاً كان على هذا المذهب وأنّه لم يفرّق بين الخليفة والحاكم في أنّ شرط كلّ واحدٍ منهما العدالة ولم يجوز كون الفاسق إماماً و خليفة كيف وروايته غير مقبولة وأحكامه غير نافذة إلى آخر ما قال ونحن نقول في جوابه لا ننكر أنّ العهد قد يستعمل في كتاب الله بمعنى الأمر وغيره وليس كلامنا في معنى العهد مطلقاً ولا في موارد إستعماله وأنما الكلام في المراد به في هذه الآية فإذا فرضنا أنّ العهد في قوله تعالى: **أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ** بمعنى الأمر لا يلزم منه أنّ العهد في كلّ مورد معناه الأمر وهو واضح والعهد في الآية التي نتكلم فيها بقرنية السياق ليس معناه الأمر لأنّ الله تعالى قال: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ولما سأل إبراهيم ما أعطاه الله لذريته قال تعالى في جوابه **لَا يُنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** أي لا ينال ما أعطيتك من الإمامة الظالمين فالعهد كناية عما أعطاه الله وهو الإمامة وهو أيضاً قد اعترف به في طيّ كلماته حيث قال فوجب أن يكون المراد بهذا العهد هو الإمامة ليكون الجواب مطابقاً للسؤال والحمد لله على كلّ حالٍ ونحن على ذلك من الشّاكرين.

تنبيه:

**إعلم أنّ الأرض لا تخلو عن الحجة وإلّا ساخت الأرض بأهلها والمراد بها** من عنده الحجج والبيّنات والعلوم الدّينية ثمّ أنّ الحجة قد يُعبّر عنها بالرسول وقد يُعبّر عنها بالنبي وثالثاً بالإمام فالإمامة قد تكون مع النبوة والرّسالة كما في نبينا ﷺ وإبراهيم الخليل وقد لا تكون كما في الأئمة المعصومين أمّا الشرائط من العصمة والشّجاعة والعدالة وغيرها فهي في الكلّ على حدّ سواء وتفصيل الكلام موكول إلى محالّه ولنختّم البحث حول الآية الشّريفة و تُشير إلى بعض ما ورد من الأخبار في المقام من طريق العامة والخاصّة.

## أَمَّا الْعَامَّةُ:

فقد روي ابن المغازلي الشافعي بأسناده عن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أنا دعوة إبراهيم قلتُ يا رسول وكيف صرّت دعوة أبك إبراهيم قال أوحى الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم أنّي جاعلكَ للنّاسِ إماماً فأستخف إبراهيم الفرح قال: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ائمةٌ مثلي فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن يا إبراهيم أنّي لأعطيك عهداً لا أفي لك به قال يا ربّ ما العهد الذي لا تفي لي به قال لا أعطيك لظالمٍ من ذُرِّيَّتِكَ عهداً قال إبراهيم عندها وأجبنني وبنيّ أن نعبد الأصنام ربّ أنّهنّ أضللن كثيراً من النّاس فقال النبي ﷺ: فأنتهت الدّعوة إلّي والى عليّ لم يسجد أحدنا لصنمٍ قطّ فأتخذني نبياً وأتخذ عليّاً وصياً، وروي الواحدي في تفسير قوله تعالى: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ قال في تفسير ذلك لا ينال عهدي الظالمين أعلمه أنّ في ذرّيته الظالم وقال السدي عهدي بنبوتي يعني لا ينال عهدي ما عهدت إليك من النبوة والإمامة في الدّين من كان ظالماً من ولدك وقال الفراء لا يكون للنّاس إمامٌ مُشرك.

## وَأَمَّا الْخَاصَّةُ:

أعني بها الشيعة فقد تواترت الأخبار عنهم في المقام وكفك في ذلك إنهم إتفقوا على أنّ المراد بالعهد الإمامة وأنّه لا ينالها كافر أو ظالم أو فاسق مطلقاً ولو بلحظةٍ وقد مرّ بعض الأخبار في أوائل البّحث ولنشر إلى بعضٍ آخر تكميلاً للبحث.

منها ما رواه المفيد بأسناده عنهم في حديث قال عليّ: كان إبراهيم نبياً وليس بإمام حتّى قال الله تبارك وتعالى: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي فقال الله تعالى: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ

من عَبْدَ صَنَمًا أَوْ وَثَنًا أَوْ مَثَلًا لَا يَكُونُ إِمَامًا إِنَّتَهَى.

و منها ما رواه في بصائر الدرجات بأسناده عن الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: يُنْكِرُونَ الْإِمَامَ الْمَفْرُوضِ الطَّاعَةَ وَيَجْحَدُونَهُ وَاللَّهِ مَا فِي الْأَرْضِ مَنْزِلَةٌ أَكْثَرُ مِنْ مَنْزِلَةِ مَفْتَرِضِ الطَّاعَةِ لَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ دَهْرًا يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ حَتَّى بَدَأَ لِلَّهِ أَنْ يَكْرِمَهُ وَيُعَظِّمَهُ فَقَالَ: جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَعُرِفَ إِبْرَاهِيمُ مَا فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ فَقَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي أَيْ وَأَجْعَلْ ذَلِكَ فِي ذُرِّيَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا يَنْأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ قَالَ عليه السلام إِنَّمَا هُوَ فِي ذُرِّيَّتِي لَا يَكُونُ فِي غَيْرِهِمْ إِنَّتَهَى <sup>(١)</sup>.

وقد روي أحاديث كثيرة إن شئت فراجعها، ولعمري أنَّ الأمر أوضح من أن يخفى على ذي مسكة ولكن حُبَّ الشَّيْ يعمي ويصم ولنعم ما قيل:

لقد كتموا آثار آل محمدٍ محبّوهم خوفاً وأعدائهم بغضاً  
فأبرزَ من بين الفريقين نبذة بها ملأ الله السموات والأرض

والعجب كلَّ العجب من أكثر مُفسّري العامة أمثال الطَّبْرِي والقُرطَبِي والألُوسِي والبيضاوي وابن كثير الدمشقي ونظرائهم ممَّن أطالوا الكلام في تفاسيرهم فيما لا فائدة فيه لا في الدُّنْيَا ولا في الآخِرَةِ بحيث صارت كتبهم مجلّدات وأما في الآية وأمثالها ممَّا يرتبط بإعتقاد النَّاسِ ودينهم إمَّا سكّتوا عن البحث فيها بالمرّة وأما قَنَعُوا بَسْطَرٍ أَوْ بِسْطَرَيْنِ في توضيح لغات زعماء منهم أنَّ إطفاء الحقِّ يكفي في تثبيت الباطل غافلاً عن أنَّ لِلْحَقِّ دولة وللباطل جولة كلُّ ذلك لِعَدَمِ إحساسهم المَسْئُولِيَّةَ عند الله ونحن نقول لهم فانتظروا إِنَّا معكم من المُتَنَظِّرين.

لو كان لِمِرَّةٍ فِكْرًا في عواقبه

ما شأن أخلاقه حرص ولا طمع

وكيف يُدرك ما في الغيب من حَدَثٍ  
من لَمْ يَزَلْ بِغُرُورٍ العيشَ يَنْخَدِعُ  
يسعى الفتنى لأُمُورٍ قد تَضَرُّ به  
وليس يعلم ما يَأْتِي وما يَدْعُ  
دَع ما يُرِيبُ وَخُذ فيما خَلَقْتُ له  
لَعَلَّ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ يَنْتَفِعُ  
أَنَّ الحَيَاةَ كَثُوبٍ سَوْفَ تَخْلَعُ  
وَكُلَّ ثَوْبٍ إِذَا مَا رُثَ يَنْخَلَعُ  
هذا تمام الكلام في الآية الشريفة وتفصيل الكلام في الإمامة وشرائطها  
يستدعي تأليفاً مُسْتَقِلاً وَفَقَّنا الله تعالى له



وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن  
مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ  
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ  
هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ  
مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا  
ثُمَّ اضْطُرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّ الْمَصِيرُ (١٢٦)  
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ  
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)

### ◀ اللغة

الْبَيْتُ: أصل البيت مأوى الإنسان بالليل لأنه يقال بات، إذا قام بالليل ثم  
قد يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه وجمعه أبيات ويؤت وعبر  
عن مكان الشيء بأنه بيته، وبيت الله والبيت العتيق مكة.  
مَثَابَةٌ: قيل معناه مكاناً يكتب فيه الثواب.  
أَمْنًا: الأمان ضدّ الخوف.  
فَأُمَتِّعُهُ: أمتع على وزن أصرف من باب التفصيل وهو متكلم وحده من  
المضارع وماضيه متبع وهو مأخوذ من المتاع ومعناه إنتفاع ممتد الوقت.  
الْقَوَاعِدُ: جمع قاعدة.

في تفسير القرآن

المجلد الأول

جزء ١

### ◀ الإعراب

وَإِذْ فِي موضع نَصَب على المفعول به أي أذكر جَعَلْنَا جَعَلَ بمعنى صَيَّرَ و  
قيل بمعنى خَلَقَ أو وَضَعَ فَيَكُون مَثَابَةً، حالاً وأصل مَثَابَةٌ مَثُوبَةٌ لَأَنَّهُ مِنْ ثَاب

يثوب اذا رجع و عليه فمعناه محلّ الرجوع لِلنَّاسِ صفة لمثابة وَأَتَّخِذُوا يقرأ على لفظ الخبر والمعطوف عليه محذوف تقديره فثابوا وأَتَّخِذُوا ويُقرأ على لفظ الأمر فيكون مستأنفاً مِنْ مَقَامٍ يجوز أن يكون من للتبعيض أي بعض مقام إبراهيم مُصَلِّيً ويجوز أن تكون من بمعنى في ويجوز أن تكون زائدة على قول الأخفش مُصَلِّيً مفعول إتَّخِذُوا وألفه منقلبة عن واو وزنه مفعول وهو مكان لا مصدر ويجوز أن يكون مصدراً وفيه حذف مضاف وتقديره مكان مُصَلِّيً أي مكان صلاة والمقام موضع القيام وليس بمصدرٍ هنا لأن قيام إبراهيم لا يتخذ مُصَلِّيً أَنْ طَهَّرَ يجوز أن تكون أن هنا بمعنى أي المفسرة لأنَّ عَهْدَنَا بمعنى قلنا والمفسرة ترد بعد القول وما كان في معناه فلا موضع لها على هذا ويجوز أن تكون نصدرية وصلتها الأمر الشُّجُود جمع ساجد وقيل هو مصدر وفيه حذف مضاف أي الرُّكْع ذوي السُّجُود اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا، إجعل بمعنى صير وهذا مفعول الأول، وبلداً مفعول الثاني أَمِنَا صفة مفعول الثاني مَنْ أَمِنَ، مَنْ بَدَّلَ من أهله وهو بدل بعض من كُلِّ مَنْ كَفَرَ في مَنْ وجهان: أحدهما: بمعنى الذي.

ثانيهما: نكرة موصوفة وموضعها نصب والتقدير قال وأرْزُق من كَفَر. فَأَمِنَعُهُ عطف على الفعل المحذوف قَلِيلًا نَعَتْ لمصدر محذوف أو لظرف محذوف ثُمَّ اضْطَرَّه الجمهور على رفع الرءاء وقرئ بفتحها وَوَصَلَ الهمة على الأمر بِشَسِ الْمَصِيرِ، الْمَصِيرُ فاعل بدش والمخصوص بالذم محذوف وتقديره وبشس المصير النَّارِ مِنَ الْبَيْتِ في موضع نصب على الحال من القواعد ويجوز أن يكون في موضع نصب مفعولاً به بمعنى رَفَعَهَا عن أرض البيت لإسماعيل معطوف على إبراهيم والتقدير يقولان رَبَّنَا، ويقولان هذه في موضع الحال وقيل لإسماعيل مبتدأ والخبر محذوف أي يقول رَبَّنَا.



## ◀ التفسير

قال الله تعالى: **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ إِلَىٰ قَوْلِهِ: وَالرُّكُوعِ السُّجُودِ**  
**الواو في وَإِذْ جَعَلْنَا لِلْعَظْفِ** وهو معطوف على قوله: **وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**  
 والمراد بالبيت الذي جَعَلَهُ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ هو البيت الحرام وهو الكعبة ورُوي أَنَّهُ  
 أَنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْحَرَامَ لِأَنَّهُ حَزُمَ عَلَى الْمَشْرِكِينَ أَنْ يَدْخُلُوهُ وَسُمِّيَ الْكَعْبَةَ  
 لِأَنَّهُا مُرَبَّعَةٌ وَصَارَتْ مُرَبَّعَةً لِأَنَّهُا بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَهُوَ مُرَبَّعٌ وَصَارَ الْبَيْتُ  
 الْمَأْمُورُ مُرَبَّعاً لِأَنَّهُ بِجِذَاءِ الْعَرْشِ وَهُوَ مُرَبَّعٌ وَصَارَ الْعَرْشُ مُرَبَّعاً لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ  
 الَّتِي بَنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ أَرْبَعٌ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ  
 أَكْبَرُ ذَكَرَهُ الطَّبْرَسِيُّ فِي الْمَجْمَعِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: **جَعَلْنَا** أَي صَيَّرْنَا أَوْ وَضَعْنَا أَوْ  
 خَلَقْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً أَي مَرَجِعاً لِّلنَّاسِ كَمَا قَالَ وَرَقَةُ ابْنُ نَوْفَلٍ فِي الْكَعْبَةِ:

مَثَاباً لِإِفْنَاءِ الْقِبَابِلِ كُلِّهَا تَحُبُّ إِلَيْهَا الِتَّعْمَلَاتِ الدَّوَامِلِ

هذا اذ قلنا من ثاب يَثُوبٌ مَثَاباً بِمَعْنَى رَجَعَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الثَّوَابِ  
 أَي يُثَابُونَ هُنَاكَ فَالْبَيْتُ مَكَانُ الثَّوَابِ، وَ إِلَىٰ هَذَا يُشِيرُ مِنْ قَالَ:

جُعِلَ الْبَيْتُ مَثَاباً لَهُمْ لَيْسَ مِنْهُ الدَّهْرُ يَقْضُونَ وَطَرٌ

وَالْأَصْلُ فِيهِ مَثُوبَةٌ فَقَلْبَتِ الْوَائِ أَلْفَا أَتْبَاعاً لِثَابٍ يَثُوبٌ وَأَمْنٌ أَي مَأْمَنٌ قِيلَ  
 جَعَلَهُ اللَّهُ مَأْمَناً لِّلنَّاسِ بِأَنْ حَكَّمَ أَنْ مِنْ عَادَ بِهِ وَالتَّجَا إِلَيْهِ لَا يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ  
 مَا دَامَ فِيهِ وَلِعِظَمَ حُرْمَتِهِ لَا يَقَامُ فِي الشَّرْعِ الْحَدُّ عَلَى مَنْ جَنَى جَيَايَةً فَالتَّجَا إِلَيْهِ  
 وَ إِلَىٰ حَرَمِهِ وَلَكِنْ يُضَيِّقُ عَلَيْهِ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ حَتَّى  
 يَخْرُجَ مِنْهُ فَيَقَامُ الْحَدُّ عَلَيْهِ فَإِنْ أَحْدَثَ فِيهِ مَا يَوْجِبُ الْحَدَّ عَلَيْهِ أُقِيمَ الْحَدُّ  
 عَلَيْهِ لِأَنَّهُ هَتَكَ حُرْمَةَ الْحَرَمِ فَهُوَ أَمِنٌ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ وَقِيلَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ أَيْضاً  
 كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَرَى قَاتِلَ أَبِيهِ فِيهِ فَلَا يَتَّعِزُّ لَهُ وَهَذَا شَيْءٌ كَانُوا قَدْ  
 تَوَارَثُوهُ مِنْ دِينِ إِسْمَاعِيلَ فَبَقُوا عَلَيْهِ إِلَى أَيَّامِ نَبِيِّنَا ﷺ .

أَقُولُ رَوَى عَلِيُّ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:

أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ نَازِلًا فِي بَادِيَةِ الشَّامِ فَلَمَّا وُلِدَ لَهُ مِنْ هَاجِرِ  
 إِسْمَاعِيلَ عِغَمَتْ سَارَةُ مِنْ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ مِنْهَا وَ  
 كَانَتْ تُؤْذِي إِبْرَاهِيمَ فِي هَاجِرٍ وَ تَغْتَمُّهُ فَشَكَى إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ  
 عَزَّ وَجَلَّ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّمَا مِثْلُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ الضَّلَعِ الْعُوجَاءِ إِنْ  
 تَرَكْتَهَا إِسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَأَنْ أَقَمْتَهَا أَكْسَرْتَهَا ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَخْرُجَ  
 إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ فَقَالَ يَارَبِّ وَالْيَ أَيَّ مَكَانٍ قَالَ إِلَى حَرَمِي وَأَمْنِي وَ  
 أَوَّلَ بُقْعَةٍ خَلَقْتُهَا مِنَ الْأَرْضِ وَ هِيَ مَكَّةُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ جِبْرِئِيلَ  
 بِالْبَرَقِ فَحَمَلَ هَاجِرَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ كَانَ إِبْرَاهِيمَ لَا يَمُرُّ  
 بِمَوْضِعٍ حَسَنٍ فِيهِ شَجَرٌ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ إِلَّا وَقَالَ يَا جِبْرِئِيلُ إِلَى  
 هَاهُنَا فَيَقُولُ لَا أَمْضُ أَمْضُ حَتَّى وَافِيَ مَكَّةَ فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ وَ قَدْ  
 كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَاهِدَ سَارَةَ أَنْ لَا يَنْزِلَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهَا فَلَمَّا نَزَلَ فِي  
 ذَلِكَ الْمَكَانِ كَانَ فِيهِ شَجَرٌ فَأَلْقَتْ هَاجِرُ عَلَى ذَلِكَ الشَّجَرِ كِسَاءً كَانَ  
 مَعَهَا إِسْتَنْظَلُوا تَحْتَهُ فَلَمَّا سَرَحَهُمْ إِبْرَاهِيمَ وَوَضَعَهُمْ وَأَرَادَ  
 الْإِنْصِرَافَ عَنْهُمْ إِلَى سَارَةَ قَالَتْ لَهُ هَاجِرُ يَا إِبْرَاهِيمُ أَتَدْعُنَا فِي  
 مَوْضِعٍ لَيْسَ فِيهِ أَنْيْسٌ وَلَا مَاءٌ وَلَا زَرْعٌ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ اللَّهُ الَّذِي  
 أَمَرَنِي أَنْ أَضْعَكُمُ فِي هَذَا الْمَكَانِ هُوَ يَكْفِيكُمْ ثُمَّ إِنْصَرَفَ عَنْهُمْ  
 فَلَمَّا بَلَغَ كَدَاءً وَهُوَ جَبَلٌ بَذِي طَوًى إِلْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ رَبِّ أَتَنِي  
 أَسْكَنْتَ مِنْ دُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمَحْرَمِ رَبَّنَا لِيَقِيمُوا  
 الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ  
 لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ، ثُمَّ مَضَى وَبَقِيَتْ هَاجِرُ فَلَمَّا إِرْتَفَعَ النَّهَارُ عَطَشَ  
 إِسْمَاعِيلُ قَامَ وَطَلَبَ الْمَاءَ فَقَامَتْ هَاجِرُ فِي الْوَادِي فِي مَوْضِعِ  
 السَّعْيِ فَنَادَتْ هَلْ فِي الْوَادِي مِنْ أَنْيْسٍ فَغَابَ عَنْهَا إِسْمَاعِيلُ  
 فَصَعِدَتْ عَلَى الصَّفَاءِ وَلَمَعَ لَهَا السَّرَابُ فِي الْوَادِي فَظَنَّتْ أَنَّ مَاءً  
 فَنَزَلَتْ فِي بَطْنِ الْوَادِي وَسَعَتْ فَلَمَّا بَلَغَتْ الْمَسْعَى غَابَ عَنْهَا

إسماعيل ثُمَّ لَمَعَ لَهَا السَّرَابُ فِي نَاحِيَةِ الصَّفَاءِ فَهَبَطَتْ إِلَى الْوَادِي  
تَطْلُبُ الْمَاءَ غَابَ عَنْهَا إِسْمَاعِيلُ عَادَتْ حَتَّى بَلَغَتْ الصَّفَا فَنْظَرَتْ  
حَتَّى بَلَغَ فَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا كَانَتْ فِي الشُّوْطِ السَّابِعِ وَهِيَ  
عَلَى الْمَرْوَةِ نَظَرَتْ إِلَى إِسْمَاعِيلِ وَقَدْ ظَهَرَ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِ رِجْلَيْهِ  
فَعَادَتْ حَتَّى جَمَعَتْ حَوْلَهُ وَمَلَأَ فَأَنَّهُ كَانَ سَائِلًا فَرَمَتْهُ بِمَا جَعَلَتْهُ  
كَوْلِهِ فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ زَمْزَمَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ نَازِلَةً بِذِي الْحِجَازِ وَعِرْفَاتٍ  
فَلَمَّا ظَهَرَ الْمَاءُ بِمَكَّةَ عَكَفَ الطَّيْرُ وَالْوَحْشُ عَلَى الْمَاءِ فَنْظَرَتْ جُرْهُمُ  
إِلَى تَعَكُّفِ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ عَلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ فَأَتَبَعَتْهَا حَتَّى نَظَرُوا إِلَى  
إِمْرَأَةٍ وَصَبَّتِي نَازِلِينَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ قَدْ اسْتَبْطَلَا بِشَجَرَةٍ وَقَدْ ظَهَرَ  
الْمَاءُ لَهَا فَقَالُوا لَهَا جَرِّ مِنْ أَنْتِ وَمَا شَأْنُكَ وَشَأْنُ هَذَا الصَّبِيِّ قَالَتْ  
أَنَا أُمُّ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ وَهَذَا ابْنُهُ أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُنْزِلَنَا هَاهُنَا  
فَقَالُوا لَهَا أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ فِي الْقَرْبِ مِنْكُمْ فَقَالَتْ لَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ  
إِبْرَاهِيمَ فَلَمَّا زَارَهُمْ إِبْرَاهِيمَ يَوْمَ الثَّالِثِ قَالَتْ هَاجِرُ يَا خَلِيلَ اللَّهِ أَنْ  
هَاهُنَا قَوْمًا مِنْ جُرْهُمُ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تَأْذِنَ لَهُمْ حَتَّى يَكُونُوا بِالْقَرْبِ  
مِنَّا أَفَتَأْذِنُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ نَعَمْ فَأَذْنَتْ هَاجِرُ لَهُمْ فَنَزَلُوا  
بِالْقَرْبِ مِنْهُمْ وَضَرَبُوا خِيَامَهُمْ فَأَنْسَتْ هَاجِرُ وَإِسْمَاعِيلُ بِهِمْ فَلَمَّا  
زَارَهُمْ إِبْرَاهِيمَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ نَظَرَ إِلَى كَثْرَةِ النَّاسِ حَوْلَهُمْ فَفَسَّرَ  
بِذَلِكَ سُرُورًا شَهِيدًا فَلَمَّا تَحَرَّكَ إِسْمَاعِيلُ وَكَانَتْ جُرْهُمُ قَدْ وَهَبُوا  
لِإِسْمَاعِيلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَاةً وَشَاتَيْنِ فَكَانَتْ هَاجِرُ وَإِسْمَاعِيلُ  
يَعِيشَانِ فَلَمَّا بَلَغَ إِسْمَاعِيلُ مَبْلَغَ الرِّجَالِ أَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَبْنِيَ  
الْبَيْتَ فَقَالَ يَارَبِّ فِي أَيِّ بَقْعَةٍ قَالَ فِي الْبَقْعَةِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى آدَمَ  
الْقُبَةَ فَأَضَاءَ لَهَا الْحَرَمَ فَلَمْ تَزَلِ الْقُبَةُ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى آدَمَ قَائِمَةً  
حَتَّى كَانَ أَيَّامَ الطُّوفَانِ أَيَّامَ نُوحٍ فَلَمَّا غَرَقَتِ الدُّنْيَا رَفَعَ اللَّهُ تِلْكَ الْقُبَةَ  
وَوَرَقَتِ الدُّنْيَا إِلَّا مَوْضِعَ الْبَيْتِ فَسُمِّيَتِ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّهُ أُعْتِقَ مِنْ

الْعَرَقَ فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَبْنِيَ الْبَيْتَ لَمْ يَدْرِ فِي أَيِّ مَكَانٍ يُبْنِيهِ فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جِبْرِئِيلَ فَحَطَّ لَهُ مَوْضِعَ الْبَيْتِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَانَ الْحَجَرُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى آدَمَ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ فَلَمَّا مَسَّهُ أَيْدِي الْكَفَّارِ إِسْوَدَ فَبْنَى إِبْرَاهِيمَ الْبَيْتَ وَنَقَلَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ ذِي طَوًى فَرَفَعَهُ فِي السَّمَاءِ تِسْعَةَ أَذْرُعٍ ثُمَّ دَلَّهُ عَلَى مَوْضِعِ الْحَجَرِ فِاسْتَخْرَجَهُ إِبْرَاهِيمَ وَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ الْآنَ فَلَمَّا بَنَى جَعَلَ لَهُ بَابَيْنِ بَاباً إِلَى الشَّرْقِ وَبَاباً إِلَى الْغَرْبِ وَالْبَابُ الَّذِي إِلَى الْغَرْبِ يُسَمَّى الْمَسْتَجَارِ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِ الشَّجَرَ وَالْأَذْخَرَ وَأَلْقَتْ هَاجِرٌ عَلَى بَابِهِ كِسَاءً كَانَ مَعَهَا وَكَانُوا يَكُونُونَ تَحْتَهُ فَلَمَّا بَنَى وَفَرَّغَ مِنْهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلُ وَنَزَلَ عَلَيْهِمَا جِبْرِئِيلُ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ لَثْمَانِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَقَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ قُمْ فَأَرْتُقْ مِنَ الْمَاءِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِمَنْى وَعُرْفَاتُ مَاءٍ فَسَمَّيْتُ التَّرْوِيَةَ لِذَلِكَ ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى مَنْى فَبَاتَ بِهَا فَفَعَلَ بِهِ مَا فَعَلَ بَادِمٌ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِمَا فَرَّغَ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَدَ آمناً وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَقَالَ فِي ثَمَرَاتِ الْقُلُوبِ أَيُّ حُبِّهِمْ إِلَى النَّاسِ انْتَهَى.

وَعَنِ الْمُنْذِرِ الثَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْحَجَرِ فَقَالَ نَزَلَتْ ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ مِنَ الْجَنَّةِ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ اسْتَوْدَعَهُ إِبْرَاهِيمَ وَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَبَنَى إِسْرَائِيلُ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام إِنْ اللَّهُ اسْتَوْدَعَ إِبْرَاهِيمَ وَالْحَجَرَ الْأَبْيَضَ وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ الْقِرَاطِيسِ فِإِسْوَدَ مِنْ خَطَايَا بَنِي آدَمَ وَعَنْ جَابِرِ الْجَعْفِيِّ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ يَاجَا بَرُّ مَا أَعْظَمَ فَرِيَةَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى اللَّهِ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيْثُ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَقَدْ وَضَعَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَدَمَهُ عَلَى حَجَرٍ فَأَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ

تَتَّخِذُوهُ مُصَلًّى يَاجَابِرُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ  
تَعَالَى اللَّهُ عَنْ صِفَةِ الْوَاصِفِينَ وَجَلَّ عَنْ أَوْهَامِ الْمُتَوَهِّمِينَ  
وَإِحتَجَبَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاطِرِينَ لَا يَزُولُ مَعَ الزَّائِلِينَ وَلَا يَقِلُّ مَعَ الْأَقْلِينَ  
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ غَالِبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَلِيِّ ابْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام:  
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ إِيْجْعَلْ هَذَا بَلَدًا أَمْنًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ أَمَّنَ  
مِنْهُمْ بِاللَّهِ، إِنَّا نَا عَنِ بِذَلِكَ وَأَوْلِيَاءَهُ وَشِيعَتَهُ أَوْ شِيعَةَ وَصِيِّهِ عليه السلام  
وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَّتَعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرَّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ قَالَ عَنِ بِذَلِكَ مَنْ  
جَحَدَ وَصِيِّهِ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْ أُمَّتِهِ وَكَذَلِكَ اللَّهُ قَالَ هَذِهِ الْأُمُورُ انْتَهَتْ.

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ  
مِنَ الْجَنَّةِ لِأَدَمَ وَكَانَ فِي الْبَيْتِ دُرَّةً بَيَضَاءَ فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ  
وَبَقِيَ أَسَاسُهُ وَهُوَ حِيَالُ هَذَا الْبَيْتِ وَقَالَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ  
أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا فَأَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ يَبْنِيَا  
الْبَيْتَ عَلَى الْقَوَاعِدِ.

وَأَمَّا الْعَامَّةُ:

فَقَدْ ذَكَرُوا فِي كَيْفِيَّةِ الْقِصَّةِ فِي بِنَاءِ الْبَيْتِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى  
أَدَمَ إِذَا هُبِطْتَ إِلَيَّ بَيْتًا ثُمَّ أَحْفَفْ بِهِ كَمَا رَأَيْتَ الْمَلَائِكَةَ تَحْفَفُ  
بِعَرَشِي الَّذِي فِي السَّمَاءِ قَالَ عَطَاءٌ فَرَّعَمَ النَّاسَ أَنَّهُ بَنَاهُ مِنْ خَمْسَةِ  
أَجْبُلٍ مِنْ حَرَاءٍ وَ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ، وَ مِنْ لَبْنَانٍ وَ مِنْ الْجَوْثِيِّ وَ مِنْ  
طُورِ زَيْتَا وَكَانَ رُبُضُهُ مِنْ حَرَاءٍ قَالَ الْخَلِيلُ وَالرَّبُضُ هَاهُنَا  
الْأَسَاسُ الْمُسْتَدِيرُ بِالْبَيْتِ مِنَ الصَّخَرِ وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا أَهْبَطَ  
أَدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ لَهُ أَدَمُ إِذْهَبْ فِإِنِّي لِي بَيْتًا وَطُفْ لَهُ  
وَأُذَكِّرُنِي عَنْدهُ كَمَا رَأَيْتَ الْمَلَائِكَةَ تَصْنَعُ حَوْلَ عَرَشِي فَأَقْبَلَ أَدَمُ  
يَتَخَطَّى وَ طَوَيْتَ لَهُ الْأَرْضَ وَ قُبِضَتْ لَهُ الْمَفَازَةُ فَلَا يَقَعُ قَدَمُهُ عَلَى

شئ من الأرض إلّا صار عمراناً حتّى انتهى الى موضع البيت الحرام وأنّ جبرئيل ضرب بجناحيه الأرض فأبرر عن أسس ثابت على الأرض السابعة السفلى وقذفت اليه الملائكة بالصخر فما يطبق الصخرة منها ثلاثون رجلاً وأنّه بناه من خمسة أجبل كما ذكرنا وقد روي في بعض الأخبار أنّه أهبط لآدم عليه السلام خيمة من خيام الجنة فضربت في موضع الكعبة ليسكن اليها ويطوف حولها فلم تزل باقية حتّى قبض الله آدم عليه السلام ثم رفعت وفي رواية أنّه أهبط معه بيت فكان يطوف به والمؤمنون من ولده كذلك الى زمان الغرق ثم رفعه الله فصار في السماء وهو الذي يدعى البيت المعمور فهذا بناء آدم عليه السلام ثم بناه إبراهيم ثم روبا بأسانيدهم عن على ابن أبي طالب أنّه قال أنّ الله تعالى أمر إبراهيم بعمارة البيت خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل وأمه هاجر وبعث معه السكينة لها لسان تتكلم به يغدو معها إبراهيم اذا غدت ويروح معها اذا راحت حتّى انتهت به الى مكة فقالت لإبراهيم ابن علي موضعي الأساس فرفع البيت هو وإسماعيل حتّى انتهى الى موضع الركن فقال لابنه يابني حبسني حجراً أجعله علماً للناس فجاءه بحجر فلم يرّضه وقال حبسني بغيره فذهب يلتمس فجاءه وقد أتى بالركن فوضعه موضعه فقال يا بئت من جاءك بهذا الحجر فقال من لم يكن ليك، وقال ابن عباس، صالح أبو قبيس يا إبراهيم يا خليل الرحمن أنّ لك عندي وديعة فخذها فاذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة فلما رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت جاءت سحابة مربعة فيها رأس فنادت أن أرفعه على تربيعي فهذا بناء إبراهيم ثم ذكروا في المقام ما لا حاجة لنا في نقله من المتفرقات أقول أهل البيت أدري بما في البيت فما نقلناه عنهم بطرقنا هو المعتمد في المقام وغيره.

إِعلم أَنَّ البيتَ على ما هو المشهور و عليه إتَّفقت الأخبار من الطرفين بناء آدم أبو البشر ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ فِي طوفان نوح أو غرق وخرّب فيه ثُمَّ بناه إبراهيم و إسماعيل على ما مرّ ذكره ثانياً ثُمَّ هَدَمْتَهُ قريش في عهد رسول الله قبل مَبْعَثِهِ و جعلوا يَبْنُونَهُ بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها فرفعوه في السَّمَاء عشرين ذراعاً في المرتبة الثالثة و ذلك قبل البعث بخمس عشرة سنة، ثُمَّ لَمَّا غزا أهل الشَّام عبد الله ابن الزَّبير و خرقت الكعبة من حريقهم هَدَمَهَا ابن الزَّبير و بناها و زاد فيها خمسة أذرع من الحجر حتّى أبدي أسأَ نظر النَّاس اليه فبنى عليه البناء و كان طول الكعبة ثمانى عشر ذراعاً فلَمَّا زاد فيه إستقصره فزاد في طوله عشرة أذرع و جَعَلَ لها بابين أحدهما يدخل منه و الآخر يَخْرُجُ منه و زاد في البيت يلي الحَجَر ستة أذرع و زاد في طولها تسعة أذرع و الأقوال مختلفة و كيف كان فلَمَّا قتل ابن الزَّبير كَتَبَ الحَجَّاج الى عبد الملك يخبره بذلك فأمره بِنَائه على ما كان و ذلك لأنَّ البيت خَرِبَ في فتنة ابن الزَّبير على ما هو مسطور في التَّوَارِيخ فبناه حَجَّاج ابن يوسف بأمر عبد الملك و هو الموجود في زماننا هذا والله أعلم.

إِذا عَرَفْتَ هذا فلنرجع الى تفسير ألفاظ الآيات فنقول قوله تعالى: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ أَي واذكروا إِذْ جَعَلْنَا أَي صَيَّرْنَا البيت و هو الكعبة مَشَابَهَةً أَي مرجعاً و مَآلاً أَي لِلنَّاسِ لَجَمِيعِ النَّاسِ وَ آمَنَّا أَي جَعَلْنَاهُ وَ صَيَّرْنَاهُ مُحَلًّا لِلْأَمْنِ و الأمان كما قال تعالى في موضع آخر: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى أَي و اتَّخَذُوهُ مَصَلًّى وَ عَهْدُنَا إِلَىٰ آبِرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَي أمرناهما أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ مِنَ الْفَرثِ وَ الدِّمِّ الَّذِي كَانَ يَطْرَحُهُ الْمُشْرِكُونَ عند البيت قبل ان يصير بيد إبراهيم و إسماعيل أو طَهِّرَاهُ مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانُوا يَعلقونها على باب البيت قبل إبراهيم، أو طَهِّرَاهُ بِنِيبَانًا بِكَمَالِهِ عَلَى الطَّهَارَةِ كما قال سبحانه: أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ

بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ<sup>(١)</sup> وَأَمَّا أَضَافُ الْبَيْتِ إِلَى نَفْسِهِ تَفْصِيلاً لَهُ عَلَى سَائِرِ  
 الْبَقَاعِ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ الْمُرَادُ بِالطَّائِفِينَ عَلَى الْمَشْهُورِ  
 بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ الزَّائِرِينَ وَبِالْعَاكِفِينَ هُمُ الْمَجَاوِرُونَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: الرُّكَّعِ  
 السُّجُودِ أَيِ الْمُصَلُّونَ وَقِيلَ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِهِمُ الرُّكَّعِ السُّجُودُ  
 وَالرُّكَّعِ جَمْعُ الرَّاكِعِ وَالسُّجُودِ جَمْعُ السَّاجِدِ وَنَقَلَ عَنْ عَطَاءٍ أَنَّهُ قَالَ إِذَا طَافَ بِهِ  
 فَهُوَ مِنَ الطَّائِفِينَ فَإِذَا جَلَسَ فَهُوَ مِنَ الْعَاكِفِينَ فَإِذَا صَلَّى فَهُوَ مِنَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ  
 قَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ  
 الثَّمَرَاتِ الْمُرَادُ بِالْبَلَدِ مَكَّةَ، آمِنًا أَيِ إِجْعَلْهُ ذَا أَمْنٍ وَقِيلَ مَعْنَاهُ يَأْمَنُونَ فِيهِ كَمَا  
 يُقَالُ لَيْلٌ نَائِمٌ أَيِ يَنَامُ فِيهِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَرَامًا مُحَرَّمًا لَا يَصْطَادُ طَيْرُهُ وَلَا  
 يَقْطَعُ شَجَرُهُ وَلَا يَخْتَلِي خَلَاهُ وَهَلْ كَانَ الْحَرَمُ آمِنًا قَبْلَ دُعَاةِ إِبْرَاهِيمَ أَوْ صَارَ  
 آمِنًا بَعْدَ الدُّعَاةِ فِيهِ قَوْلَانِ، فَعَلَى الْأَوَّلِ، كَانَ دُعَاءُ إِبْرَاهِيمَ تَأْكِيدًا لِحُرْمَتِهِ  
 وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَيِ وَارْزُقْ  
 أَهْلَ الْحَرَمِ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّزْقِ وَالثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَفِيهِ  
 إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ دُعَاءَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاصٌّ لَهُمْ وَأَمَّا وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَتُّهُ قَلِيلًا أَيِ قَالَ اللَّهُ  
 تَعَالَى قَدْ أُسْتَجِيبَتْ دَعْوَتُكَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَّا مَنْ كَفَرَ فَأَمَتُّهُ فِي الدُّنْيَا  
 قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَيَشْسُ الْمَصِيرُ أَيِ أَدْفَعَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى  
 النَّارِ وَأَسَوَّقَهَا إِلَيْهَا وَيَشْسُ الْمَأْوَى وَالْمَرْجِعُ النَّارُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ  
 مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَقَدْ بَيَّنَّا  
 كَيْفِيَّةَ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى يَدِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ تَفْصِيلاً وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي  
 فَضِيلَةِ الْحَجِّ وَكَيْفِيَّتِهِ وَأَقْسَامِهِ فَسَيَأْتِي عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ  
 الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا<sup>(٢)</sup> وَنَتَكَلَّمُ أَيْضًا هُنَاكَ فِي بَعْضِ أَسْرَارِهِ وَدِقَائِقِهِ  
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.



رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً  
لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ (١٢٨)

### ◀ اللغة

الإسلام الإنقياد مَنَاسِكُنَا، مناسك جمع مَنَسَك وهو محل العبادة لأنه محل النَّسك ومكانه والنَّسك العبادة يقال رجل ناسك أي عابد.

### ◀ الإعراب

مُسْلِمِينَ لَكَ مفعول ثانٍ وَلَكَ، متعلق بمُسْلِمِينَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا يجوز أن تكون من، لإبتداء غاية الجعل فيكون مفعولاً ثانياً أُمَّةً مفعول أول مُسْلِمَةً نعت لإمة لَكَ على ما تقدم في مُسْلِمِينَ وَأَرِنَا مَنَاسِكُنَا، مَنَاسِكُنَا مفعول ثانٍ والباقي واضح

### ◀ التفسير

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ هذا من تمام دُعاءهما قَالَا رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ، أي اجعلنا مطيعين مُتَقَادِينَ لَكَ في مستقبل عمرنا كما جَعَلْتَنَا مُسْلِمِينَ في مَضَى منه وقيل اجعلنا مُوَحِّدِينَ مُخْلِصِينَ لَكَ حَتَّى لَا نَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاكَ وَلَا نَدْعُوا رَبًّا سِوَاكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ أي واجعل من أولادنا كذلك وأتما قال من ذُرِّيَّتِنَا، فَأَتَى بكلمة مَنْ التي تُفيد التبعيض لأنه تعالى قد أعلمه سابقاً أَنَّ فِي ذُرِّيَّتِهِ مَنْ لَا يَنَالُ عَهْدَهُ فِي قَوْلِهِ: وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَالَ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ. وقوله وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا أي عَرِّضْنَا المَنَاسِكَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ النَّسْكُ بِهَا لِنَفْعَلَهَا عِنْدَهَا والمراد بالمَنَاسِكَ أعمال الحجَّ من الطَّوَّافِ بِالْبَيْتِ

والسَّعي بين الصِّفا والمروة والإفاضة من عرفات ورمي الحَجَر وغيرها من الأفعال والتَّزَوُّك حال الإحرام وبالجملة كلُّ ما تجب مراعاته في الحجَّ لِيَتِمَّ العَمَلُ به كما هو حقُّه وَتُتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُّ الرَّحِيمُ قِيلَ أَنَّهُمَا قَالَا هذه الكلمة ليقْتَدِي بهما النَّاسُ فيها كما هو كذلك في جميع الموارد إذا صَدَرَتْ مِنَ الْمُعْصُومِ إِذَا الْعَصْمَةُ تَنَافَى الذَّنْبُ حَقِيقَةً وَفِي قَوْلِهِ الرَّحِيمُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُنْعَمُ عَلَى عِبَادِهِ بِالنُّعْمِ الْعِظَامِ وَتَكْفِيرِ الْأَثَامِ وَالسَّيِّئَاتِ وَنَحْنُ نَقُولُ آمِينَ.



رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ  
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)

### ◀ اللغة

وَابْعَثْ: البعث إثارة الشيء وتوجيهه.  
رَسُولًا: فعولٌ من الرسالة أي مُرسلاً.  
يُزَكِّيهِمْ: التزكية التطهير في الباطن أي تطهير القلب عن الأوساخ.

### ◀ الإعراب

وَابْعَثْ فِيهِمْ ذكر الضمير على معنى الآية ولو قال فيها لرجع إلى لفظي تَلَوْا عَلَيْهِمْ في موضع نصب لرسول ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في منهم.

### ◀ التفسير

قال المفسرون المراد بالرسول في دعاء إبراهيم هو نبينا محمد ﷺ لما روي عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا دَعَا إِبْرَاهِيمَ وَبَشَرِي عِيسَى قَوْلُهُ وَمُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي إِسْمُهُ أَحْمَدُ وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ فِي حَدِيثٍ: فَلَمَّا أَجَابَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَجَعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً وَابْعَثَ فِيهَا رَسُولًا مِنْهَا يَعْنِي مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَرَدَفَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ دَعْوَتَهُ الْأُولَى بِدَعْوَتِهِ الْآخِرَى وَسَأَلَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ وَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ لِيَصَحَّ أَمْرُهُ فِيهِمْ وَ

لَا يَتَّبِعُوا غَيْرَهُمْ فَقَالَ وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ أَتَنُحِلُّكُمْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ الْأُتَمَّةُ وَالْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ الَّتِي بَعَثَ فِيهَا مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَّا مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْلِهِ وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ أَنْتَهَى.

و فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ فَإِنَّهُ يَعْنِي وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ فَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ.

و عَنْ كِتَابِ الْخِصَالِ عَنْ أَبِي إِمَامَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَدْوُ أَمْرِكَ قَالَ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَ بُشْرَى عِيسَى وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا شَيْءٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ السَّمَاءِ أَنْتَهَى.

أَقُولُ الْمُرَادُ بِالْكِتَابِ الْقُرْآنَ وَبِتَعْلِيمِهِ تَعْلِيمَ قِرَاءَتِهِ وَمَعَانِيهِ وَالْمُرَادُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالذِّينِ عَلَى قَوْلٍ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ الْفَقْهُ وَالْفَهْمُ، وَالْمُرَادُ بِالتَّزْكِيَةِ التَّطْهِيرُ مِنْ وَضَرِ الشَّرْكِ وَقِيلَ أَنَّ الْآيَاتِ تَلَاوَةَ ظَاهِرِ الْأَلْفَاظِ وَالْكِتَابِ مَعَانِيهَا وَالْحِكْمَةُ الْحُكْمُ وَهُوَ مُرَادُ اللَّهِ بِالْخُطَابِ مِنْ مَطْلَقٍ وَمَقِيدٍ وَمُفَسِّرٍ وَ مُجْمَلٍ وَ عُمُومٍ وَخُصُوصٍ وَ الْعَزِيزُ مَعْنَاهُ الْمُنِيعُ الَّذِي لَا يَنَالُ وَلَا يَغَالِبُ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ الَّذِي لَا يَعْجِزُهُ عَنْ شَيْءٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْكِسَائِيُّ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ<sup>(٢)</sup> وَفِي الْمَثَلِ مِنْ عَزَّ بَزَّ، أَيُّ مَنْ غَلَبَ سَلَبَ وَقِيلَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَأَمَّا الْحَكِيمُ فَهُوَ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا.



وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ  
 اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ  
 الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ  
 لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ  
 وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا  
 تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)

### ◀ اللغة

يَرْغَبُ: أصل الرُّغْبَةُ السَّعة في الشَّيْءِ يقال رَغِبَ الشَّيْءُ اتَّسَعَ الرُّغْبَةُ  
 والرُّغْبُ والرَّضَى السَّعة في الإرادة فإذا قيل رَغِبَ فيه واليه يقتضي الحرص  
 عليه كقوله تعالى: إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ<sup>(١)</sup> وإذا قيل رَغِبَ عنه إقتضى حَرَفَ  
 الرُّغْبَةِ عنه والزُّهْد فيه وما نحن فيه من هذا القبيل.

مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: المِلَّة كالدين إسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان  
 الأنبياء ليتوصلوا به الى جوار الله والفرق بينهما أَنَّ المِلَّة لا تضاف إلا الى النبي  
 بخلاف الدين.

سَفِهَ: السَّفه خَفَّة في البدن ومنه قيل زمام سفیه كثير الإضطراب وثوبٌ  
 سفیه رَدِي النَّسَج وإستعمل في خِفَّة النَّفس لنقصان العقل وفي الأمور  
 الدُّنيوية والأخروية فليل سفه نفسه.

اصْطَفَيْنَاهُ: أصل الصَّفَا خلوص الشَّيْء من الثُّوب ومنه الصَّفَا للجارة الصَّافية  
 والإصطفاء تناول صَفو الشَّيْء كما أَنَّ الإختيار تناول خيرهِ والإجتباه تناول  
 جباتيه.

في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

اسْلِمَ: الإسلام الخضوع والانقياد للمستسلم.  
وَوَصَّى: الوَصِيَّة التَّقْدِم الى الغير بما يعمل به يقال وَصَّى، أي أنشأ فَضَّلَهُ و  
تواصى القوم إذا أوصى بعضهم الى بعض.

### ◀ الإعراب

وَمَنْ يَرْغَبُ مَنْ إِسْتِفْهَامَ بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ وَلِذَلِكَ جَاءَتْ، إِلَّا، بَعْدَهَا لِأَنَّ  
الْمَنْكُرَ مُتَفِيٍّ وَهِيَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالْإِبْتِلَاءِ، وَيَرْغَبُ، الْخَبَرُ فِيهِ ضَمِيرٌ يَعُودُ  
عَلَى، مَنْ، إِلَّا مَنْ مَنْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي  
مَوْضِعِ الرَّفْعِ بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي، يَرْغَبُ، وَمَنْ، نَكْرَةً مَوْصُوفَةً أَوْ بِمَعْنَى الَّذِي  
نَفْسُهُ مَفْعُولٌ، نَفْسُهُ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ جَهْلٌ فِي الْأَخْرَةِ مُتَعَلِّقٌ بِالصَّالِحِينَ أَيْ وَأَنَّهُ  
مِنَ الصَّالِحِينَ فِي الْأَخْرَةِ وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ لِلتَّعْرِيفِ فِي مُتَعَلِّقٍ بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ  
نَبَّيْنَهُ الصَّالِحِينَ تَقْدِيرُهُ أَنَّهُ لَصَالِحٍ فِي الْأَخْرَةِ وَهَذَا يَسْمَى التَّبْيِينَ إِذْ قَالَ لَهُ، إِذْ  
ظُرِفَ لِإِصْطِفِيَانِهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا، فِي الدُّنْيَا يَعْقُوبُ مَعْطُوفٌ عَلَى  
إِبْرَاهِيمَ وَمَفْعُولُهُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ وَأَوْصَى يَعْقُوبَ نَبِيَّ اضْطَفَى، الْأَلْفُ فِي  
آخِرِهِ بَدَلٌ مِنْ يَاءٍ بَدَلٌ مِنْ وَاوٍ وَأَصْلُهُ مِنَ الصَّفْوَةِ وَأَنْتُمْ فِي مَوْضِعِ حَالٍ.

### ◀ التفسير

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ قُلْنَا أَنَّ الْإِسْتِفْهَامَ بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ أَيْ وَمَا  
يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَيَعْرُضُ عَنْهُ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ أَيْ إِلَّا الْجَاهِلُ بِأَمْرِ  
نَفْسِهِ فَلَا يُفَكِّرُ فِيهَا وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْمَعْنَى أَهْلَكَ نَفْسَهُ وَقَدْ إِسْتَدَلَّ بِهَذِهِ مِنْ  
قَالَ أَنَّ شَرِيعَةَ إِبْرَاهِيمَ شَرِيعَةٌ لَنَا إِلَّا مَا نَسَخَ مِنْهَا وَهَذَا كَقَوْلِهِ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ  
إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْلُهُ أَنْ إِتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا أَيْ إِخْتَرَنَاهُ  
لِلرَّسَالَةِ فِيهَا فَجَعَلْنَاهُ صَافِيًا مِنَ الْأَرْجَاسِ وَالْأَدْنَسِ وَالْأَصْلُ فِي إِصْطِفِيَانِهِ بِالتَّاءِ

أبدلت اللّاء طاءً لتناسبها مع الصاد في الإطباق واللفظ شَفَقَ من الصّفوة ومعناه تخيّر الأصفى **وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصّٰلِحِينَ** أي من الفائزين قال قتادة المراد بالآية اليهود والنصارى رَغِبُوا عن ملة إبراهيم واتَّخَذُوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله أقول في الآية دلالة على أن ملة إبراهيم هي ملة نبيّنا مُحَمَّد ﷺ لأن ملة إبراهيم داخله في ملة مُحَمَّد ﷺ مع زيادات في ملة مُحَمَّد فَبَيَّنَ أَنَّ الَّذِينَ يَرِغِبُونَ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْ مِلَّةِ مُحَمَّد ﷺ الَّتِي هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ قَدْ سَفَهُوا أَنْفُسَهُمْ وهو معنى قول قتادة والزَّيْبَعُ أَمَا قَوْلُهُ: **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ** الآية معناه ولقد إصطفيناه حين قال له رَبُّهُ أَسْلِمُ فَأَسْلَمَ وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ: **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ مُتَعَلِّقٌ** بقوله: **وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ** وموضعه نصب كما تقدّم.

قال بعض المفسرين أَمَا قال إبراهيم ذلك حين أَفَلَتَ الشَّمْسُ فقال: **يَا قَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجْهٌ وَجْهِي** <sup>(١)</sup> وأنه أَسْلَمَ حينئذٍ وهذا يدل على أنه كان ذلك قبل النبوة وأنه قال له ذلك إلهاماً إستدعاه به الإسلام فأَسْلَمَ حينئذٍ لَمَّا وَضَحَ له طريق الإستدلال بما رأى من الآيات والعبر الدالة على توحيده ولا يَصِحُّ أن يوحى الله تعالى إليه قبل إسلامه بأنّه نبي الله لأنّ النبوة حال إعظام وإجلال ولا يكون ذلك قبل الإسلام وأَمَّا قال إصطفيناه على لفظ المتكلم مع قوله: **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ** على لفظ الغائب للتصرف في الكلام كما قال الشاعر:

باتت تشكي الى النفس مُجهشة وقد حملتك سَبْعاً بعد سبعينا

والإسلام واجب على كلّ مكلف وأن اِخْتَلَفَتْ شرائع الأنبياء فيما يتعبدون من الحلال والحرام لقوله تعالى: **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** <sup>(٢)</sup> وأَمَّا الإسلام هو الإخلاص لله بالعمل بطاعته واجتناب معصية وذلك واجب على كلّ متعبدٍ وكلّه إسلام.

أَن قُلْتُ أَلَيْسَ نَاسِخاً لِّجَمِيعِ الْأَدْيَانِ وَالشَّرَائِعِ قَبْلَهُ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا مَعْنَى

فيه القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

قوله تعالى: وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ  
قلتُ الجواب من وجهين:

**أحدهما:** أنه ليس معنى النسخ نسخ أحاد الأحكام بل معناه نسخ المجموع من حيث المجموع وهو لا ينافي بقاء بعض الأحكام في الدين الناسخ وما نحن فيه من هذا القبيل فإن الأصول من العقائد والأحكام التي كانت في دين إبراهيم لم تُنسخ في ديننا ولا في سائر الأديان بعد إبراهيم وأما المنسوخ بعض الأحكام من الفروع نعم بعض الأحكام أيضاً يُنسخ من جهة الكيفية أو الكمية مثلاً الصلاة كانت ثابتة في الأديان السابقة كما في الإسلام ولكن الصلاة في الإسلام كمّاً وكيفاً تغايرها في سائر الأديان وهكذا الحجّ والزكاة والصوم وأمثالها ألا ترى أن المسيح يقول: وَأَوْضِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا<sup>(١)</sup>

**ثانيهما:** فرق بين الملة والدين إعتباراً بعد صدقهما على أصل الشريعة فإن الملة لا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى أحاد الأمة بل مورد إستعمالها حملة الشرائع دون أحادها فلا يقال ملة الله كما لا يقال ملتي أو ملة زيد، والدين ليس كذلك يقال دين الله ودين زيد إذا عرفت هذا فنقول المنسوخ هو الدين أي دين الله وهو أحاد الأحكام كمّاً وكيفاً وأما الملة فليست منسوخة لأنها عبارة عن حملة الشرائع في كل عصر وزمان فالملة أُضيفت إلى إبراهيم بإعتبار أنه كان حاملاً للشريعة لا بإعتبار أنه كان جاعلاً لها فإن الجاعل هو الله تعالى والمجعول هو الدين فعلى هذا لا معنى لنسخ الملة بل هي باقية إلى الأبد وبعبارة أخرى حملة الدين لا تنسخ بل هي باقية إلى يوم القيامة وأما المحمول أعني به الشريعة أو الدين أو ما شئت فسمه فهو يُنسخ.

وأما قوله تعالى: وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ



اضْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ، بِهَا قِيلَ أَنَّهَا تَعُودُ إِلَى الْكَلِمَةِ فِي قَوْلِهِ: أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقِيلَ أَنَّهَا تَعُودُ إِلَى الْمَلَّةِ وَهُوَ الْأَقْوَى لِأَنَّهُ مَذْكُورٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَصَّى بِالْمَلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ بَنِيهِ أَيْ وَصَّاهُمْ بِحِفْظِهَا وَمُرَاعَاتِهَا وَالْعَمَلُ بِهَا وَكَذَلِكَ يَعْقُوبُ فَإِنَّهُ أَيْضاً أَوْصَى إِلَيْهِمْ وَقَالَ: يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ الْآيَةَ عَلَيْهِ يَصِيرُ مَعْنَى الْآيَةِ هَكَذَا وَصَّى بِالْمَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَبَعْدَهُ يَعْقُوبُ بَنِيهِ الْخَ وَبَنُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ وَأُمُّهُ هَاجِرُ الْقَبْطِيَّةِ وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدٍ وَنَقَلَ إِبْرَاهِيمَ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ رَضِيعٌ وَقِيلَ كَانَ لَهُ سِنَتَانِ وَقِيلَ أَرْبَعُ عَشْرَةَ سَنَةً وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي كَيْفِيَّةِ نَقْلِهِ إِلَى مَكَّةَ وَبَعْدَهُ إِسْحَاقُ وَأُمُّهُ سَارَةُ وَوُلِدَ بَعْدَ أَخِيهِ إِسْمَاعِيلَ بِأَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً وَمَاتَ إِسْمَاعِيلُ وَلَهُ مِائَةٌ وَسَبْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَقِيلَ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ وَعَاشَ إِسْحَاقُ مِائَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً وَمَاتَ بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ مَاتَ بِمَكَّةَ وَدُفِنَ بِهَا، ثُمَّ لَمَّا تَوَفَّيَتْ سَارَةُ أُمُّ إِسْحَاقَ تَزَوَّجَ إِبْرَاهِيمَ قَنْظُورًا بِنْتَ يَقْتَنِ الْكَنْعَانِيَّةِ فَوُلِدَتْ لَهُ مَدِينُ، وَمَدَايْنُ وَنَهْشَانُ وَزِمْرَانُ وَنَشِيقُ وَشَبُوحُ ثُمَّ تَوَفَّى عَلَيْهِ وَكَانَ بَيْنَ وَفَاتِهِ وَبَيْنَ مَوْلَدِ النَّبِيِّ نَحْوَ مِنْ أَلْفِي سَنَةٍ وَسِتِّ مِائَةِ سَنَةٍ وَالْيَهُودُ يَنْقُصُونَ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعِ مِائَةِ سَنَةٍ وَأَمَّا أَوْلَادُ يَعْقُوبَ فَسَيَّاتِي ذَكَرَهُمْ فِي سُورَةِ يُوسُفَ وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ يَعْقُوبَ بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى بَنِيهِ وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ يَعْقُوبُ دَاخِلًا فِيمَنْ أَوْصَى وَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ لِأَنَّ يَعْقُوبَ لَمْ يَكُنْ فِيمَا بَيْنَ أَوْلَادِ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا وَصَّاهُمْ وَلَمْ يَسْتَقِلْ أَحَدٌ أَنَّ يَعْقُوبَ أَدْرَكَ جَدَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَأَمَّا وَلَدُ بَعْدَ مَوْتِهِ نَعَمْ هُوَ أَوْصَى بَنِيهِ كَمَا أَوْصَى جَدَّهُ إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ، قِيلَ أَنَّ سَمِيَّ يَعْقُوبَ لِأَنَّهُ وَالْعِصَّ كَانُوا تَوَآمِينَ حِينَ الْوِلَادَةِ قَالُوا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ أَخَذَ يَعْقُوبَ أَخِيهِ الْعِصَّ وَاسْتَشْكَلَ فِيهِ بَعْضُ الْأُدْبَاءِ وَقَالَ وَفِي ذَلِكَ نَظَرٌ لِأَنَّ هَذَا إِشْتِقَاقٌ عَرَبِيٌّ وَيَعْقُوبُ إِسْمٌ أَعْجَمِي وَأَنَّ كَانَ قَدْ وَافَقَ الْعَرَبِيَّةَ فِي التَّسْمِيَةِ بِهِ كَذَاكَ الْحَجَلُ فَإِنَّهُ يَسْمَى يَعْقُوبَ وَعَاشَ

يعقوب مائة وسبعاً وأربعين سنة ومات بمصر وأوصى أن يحمل إلى الأرض المقدسة ويدفن عند أبيه إسحاق فحمله يوسف اليهما ودفنه عنده وقوله: يَا بَنِيَّ معناه أن ياتني وكذلك هو في قراءة أبي وابن مسعود والضحاك قال القراء ألغيت أن لأن التوصية كالقول وكل كلام يرجع إلى القول جاز فيه دخول أن وجاز إلغاؤها وهو نداء مضاف وهذه ياء النفس لا يجوز هنا إلا فتحها لأنها لو سكنت لالتقى ساكنان ومثله بمصّرخي وكسرت (إن) لأن أوصى وقال واحد وقيل على إضمار القول ومعنى الإصطفاء الاختيار كما قال الشاعر.

يابن ملوك ورثوا الأملاك خلافة الله التي أعطاك

لك إصطفاها ولها إصطفاكا

والمعنى أن إبراهيم وبعده يعقوب أوصى بنيه أي قال لهم أن الله إصطفى أي إختار لكم الدين أعني به الإسلام والألف واللام فيه للعهد لأنهم كانوا عرفوه فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون والمعنى ألزموا الإسلام ودوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا وفي هذا الكلام وعظ وتذكير للموت بالتضمن وذلك لأن الموت حق في رقاب العباد وكإنسان يعلم أنه يموت بالآخرة ولا يدري متى فإذا أمر بأمر لا يأتيه الموت إلا وهو عليه فقد توجه الخطاب من وقت الأمر دائماً لازماً وقوله: وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ الواو للحال أي لا تموتوا إلا على الإسلام وقيل معناه محسنون بربكم الظن وقيل مخلصون وقيل مفوضون والمأل في الكل واحد ونحن أيضاً نرجو أن نموت على الإسلام أن شاء الله تعالى.

فأن قلت ما معنى النهي في الآية في قوله: فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ والموت خارج عن الإختيار والنهي عن الشيء إذا كان خارجاً عن القدرة لا معنى له قلت معناه فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام فالنهي وأن كان في الظاهر تعلق بالموت إلا أنه في الواقع تعلق بكونهم على

خلاف الإسلام وهذا كقولك لا تُصَلِّ إلا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصَّلَاة ولكن تنهاه عن ترك الخشوع في حال صلاته فأن قلت لم ادخل حرف النَّهْي على الصَّلَاة وليس بمنْهَى عنها.

قلتُ السَّر فيه إظهار أنَّ الصَّلَاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة فكأنَّه قال أنها كمنها إذا لم تصلها على هذه الحالة هكذا قرَّره بعض المحققين أقول ما ذكره حق ولكن المثال الذي مثل به ليس في موضعه والأحسن أن يقال لا تصل بغير الطهور أو لا تصل في المكان المغضوب وذلك لأنَّ الصَّلَاة بغير خشوع مأمورة بها لا منْهية عنها بخلاف الصَّلَاة بغير طهور فإنهم ولكن المناقشة في المثال ليست من دأب المحصلين والحاصل أنَّ الوجد فيها إظهار أنَّ موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موتٌ لا خير فيه وهو كذلك لأنه ليس بموت السَّعْداء.



أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ  
 مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ  
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ  
 مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ  
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ  
 (١٣٤) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ  
 مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)

### ◀ اللغة

أَمْ: هي منقطعة والهمزة فيها للإبكار.  
 شُهَدَاءَ: جمع شهيد بمعنى الحاضر.  
 حَضَرَ: الحضور خلاف الغيبة.

حَنِيفًا: الحنف هو ميل عن الضلال إلى الاستقامة والحنيف المائل إلى  
 ذلك وَتَحَنَّفَ فلان أي تَحَرَّى طريق الاستقامة.

### ◀ الإعراب

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ أي بل كنتم شُهَدَاءَ على جهة التوبيخ يَعْقُوبَ  
 الْمَوْتُ الجمهور على نصب يعقوب ورفع الموت وقُرئ بالعكس والمعنيان  
 متقاربان واذ الثانية بدل من الأول والعامل في الأولى شهداء وكذا في الثانية  
 مَا تَعْبُدُونَ، ما إستفهام في موضع نصب والعامل فيه تعبدون وما هنا بمعنى  
 مَنْ، ولهذا جاء في الجواب إِلَهَكَ ويجوز أن تكون ما على بابها ويكون ذلك  
 إمتحاناً لهم من يعقوب مَنْ بَعْدِي أي من بعد موتي فَحُذِفَ المضاف إِلَهًا  
 واحداً حال موطئة كقولك رأيتُ زيداً رجلاً صالحاً وإسماعيل يجمع على

سمايلة واسماعيل تِلْكَ أُمَّةُ الْإِسْمِ مِنْهَا، تِي، وَهِيَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ  
لِلْمَوْتِ وَالْبَاءِ فِي جَمَلَةِ الْإِسْمِ وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ التَّاءُ وَحَدَّاهَا الْإِسْمُ وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ  
وَحُذِفَتِ الْبَاءُ مَعَ اللَّامِ بَعْدَهَا قَدْ خَلَتْ صِفَةٌ لِأُمَّةٍ لَهَا مَا كَسَبَتْ فِي مَوْضِعِ  
الصِّفَةِ أَيْضاً وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الضَّمِيرِ فِي خَلَتْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ  
مُسْتَأْنَفاً وَلَا تُسَالِّقُونَ مُسْتَأْنَفٌ لَا غَيْرَ حَنِيفاً حَالٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَقِيلَ هُوَ مَنْصُوبٌ  
بِإِضْمَارِ رَاعِيهِ.

### ◀ التفسير

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ قَالُوا الْخَطَابُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى  
الَّذِينَ يَنْسُبُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ مَا لَمْ يُؤْصَ بِهِ بَنِيهِ وَأَنْتُمْ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ  
فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ وَكَذَّبَهُمْ عَلَى جِهَةِ التَّوْبِيخِ، أَشْهَدُكُمْ يَعْقُوبَ وَعَلِمْتُمْ  
بِمَا أَوْصَى فَتَدْعُونَ عَنْ عِلْمِ أَيِّ لَمْ تَشْهَدُوا بَلْ أَنْتُمْ تَفْتَرُونَ وَأَمْ بِمَعْنَى بَلْ، أَيِ  
بَلْ أَشْهَدُ أَسْلَافَكُمْ يَعْقُوبَ وَقَوْلُهُ: إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ أَيِ فَقَدْ مَاتَ  
الْمَوْتُ وَأَسْبَابُهُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي وَعَبَّرَ عَنِ الْمَعْبُودِ، بِمَا وَ  
لَمْ يَقُلْ، مَنْ، لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَهُمْ وَلَوْ قَالَ، مَنْ، لَكَانَ مَقْصُودُهُ أَنْ يَنْتَظِرَ مَنْ  
لَهُمُ الْإِهْتِدَاءُ مِنْهُمْ وَأَمَّا أَرَادَ تَجَرِبَتَهُمْ فَقَالَ، مَا وَقِيلَ أَنْ، مَا، هُنَا بِمَعْنَى، مَنْ،  
أَيِ مَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي أَيِ بَعْدَ مَوْتِي، وَحَكَى أَنَّ يَعْقُوبَ حِينَ خَيْرٍ كَمَا  
تُخَيَّرَ الْأَنْبِيَاءُ إِخْتَارَ الْمَوْتَ وَقَالَ أَمْهَلُونِي حَتَّى أَوْصِيَ بَنِي وَأَهْلِي فَجَمَعَهُمْ وَ  
قَالَ لَهُمْ هَذَا فَاهْتَدَوْا وَقَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ.

فَأَرَوْهُمُ بِقَوَّتِهِمْ عَلَى الدِّينِ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى: قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ  
أَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ بَدَأَ  
بِذِكْرِ الْجَدِّ أَوَّلًا ثُمَّ إِسْمَاعِيلَ الْعَمَّ ثَانِياً ثُمَّ إِسْحَاقَ وَقُلْنَا أَنَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَ أَكْبَرَ  
مِنْ إِسْحَاقَ وَهُوَ عَمُّ يَعْقُوبَ وَجَعَلَهُ أَباً لَهُ لِأَنَّ الْعَرَبَ يُسَمِّي الْعَمَّ أَبَا كَمَا تُسَمَّى  
الْجَدُّ أَباً لِأَنَّهُ يَجِبُ تَعْظِيمُهُ كَتَعْظِيمِ الْأَبِ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ رَدُّوا عَلَيَّ

أبي يعني العباس عمه، وقوله: نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ أي مُذْعَنُونَ مَقْرُونُونَ بالعبودية خاضعون فتقادون مُسلمون لأمره ونَهيه قولاً وعقداً وقيل داخلون في الإسلام يَدُلُّ عليه قوله أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ الْإِسْلَامِ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَالْمَعْنَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَأَوْلَادَهُ قَدْ مَضَوْا وَمَاتُوا، لَهَا، أَي لَتِلْكَ الْأُمَّةِ مَا كَسَبَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ خَيْراً وَشَرّاً وَلَكُمْ، يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، مَا كَسَبْتُمْ، مِنَ الْأَعْمَالِ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ وَلَا تُسْأَلُونَ أَنْتُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَي عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ آبَائَكُمْ وَأَسْلَافَكُمْ وَفِي الْآيَةِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ: كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ<sup>(١)</sup> وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا بِذَنْبِ آخَرٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى<sup>(٢)</sup> قِيلَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلِ الْمَجْبُورَةِ حَيْثُ قَالُوا أَنَّ الْأَنْبَاءَ مُوَاحِذُونَ بِذُنُوبِ الْأَبَاءِ وَأَنَّ ذُنُوبَ الْمُسْلِمِينَ تُحْمَلُ عَلَى الْكَفَّارِ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قِيلَ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صُورِيَا وَكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ حَيْثُ خَاصَمُوا أَهْلَ الْإِسْلَامِ كُلَّ فِرْقَةٍ تَزْعُمُ أَنَّهَا أَحَقُّ بِدِينِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِهَا فَقَالَتِ الْيَهُودُ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَكُتَابُنَا أَفْضَلُ الْكُتُبِ وَ قَالَتِ النَّصَارَى كَذَلِكَ وَقَالَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمَا لِلْمُؤْمِنِينَ كُونُوا عَلَى دِينِنَا تَهْتَدُوا فَانْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَقِيلَ إِنَّ صُورِيَا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ مَا الْهُدَى إِلَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فَاتَّبَعْنَا تَهْتَدُوا وَقَالَتِ النَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ فَانْزَلَ الْآيَةَ.

وَعَلَيْهِ فَالْضَّمِيرُ فِي قَالُوا يَرْجِعُ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَوَابِهِمْ، قُلْ يَا مُحَمَّدُ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً، أَي قُلْ لَهُمْ بَلْ تَتَّبِعْ دِينَ إِبْرَاهِيمَ أَوْ اتَّبِعُوا دِينَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً، أَي مُسْتَقِيماً وَقِيلَ مَائِلاً وَالْمَقْصُودُ دِينَ الْإِسْلَامِ وَفِي الْحَنِيفَةِ أَقْوَالٌ.

أحدها: أَنَّهَا حَجَّ الْبَيْتِ.

ثانيها: إِتِّبَاعَ الْحَقِّ.

ثالثها: إِتِّبَاعَ إِبْرَاهِيمَ فِيمَا أَتَى بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ الَّتِي صَارَ بِهَا إِمَاماً لِلنَّاسِ بَعْدَهُ مِنَ الْحَجِّ وَالْخِتَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ.

رابعها: أَنَّهَا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ نَفَى اللَّهُ تَعَالَى الشَّرْكَ عَنْ مِلَّتِهِ وَأَثْبَتَهُ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حَيْثُ قَالُوا عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ: قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حُجَّةٌ عَلَى وَجُوبِ إِتِّبَاعِهَا لِسَلَامَتِهَا عَنِ التَّنَاقُضِ وَوُجُودِهِ فِي الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ فَلِذَلِكَ صَارَتْ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ أُخْرَى بِالْإِتِّبَاعِ مِنْ غَيْرِهَا قَالُوا وَمِنَ التَّنَاقُضِ فِي الْيَهُودِيَّةِ مَنَعَهُمْ مِنْ جَوَازِ النَّسَخِ مَعَ وَجُودِهِ فِي التَّوْرَةِ وَإِمْتَنَاعَهُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْبَشَارَةُ فِي التَّوْرَةِ مِنْ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مَعَ إِظْهَارِهِمُ التَّمَسُّكَ بِهَا وَإِمْتَنَاعَهُمْ مِنَ الْإِذْعَانِ لِمَا ذَكَرْتُ عَلَيْهِ الْمَعْجَزَاتُ مِنْ نَبْوَةِ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِنَبْوَةِ عِيسَى لِدَلَالَةِ الْمَعْجَزَاتِ عَلَيْهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَمِنَ التَّنَاقُضِ فِي قَوْلِ النَّصَارَى قَوْلَهُمُ الْأَبُ وَالْإِبْنُ وَرُوحُ الْقُدُسِ إِلَهُ وَاحِدٌ مَعَ زَعْمِهِمْ أَنَّ الْأَبَ لَيْسَ هُوَ الْإِبْنُ وَأَنَّ الْأَبَ إِلَهُ وَالْإِبْنُ إِلَهُ وَرُوحُ الْقُدُسِ إِلَهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُقَرَّأً مُعْتَرِفاً بِالتَّوْحِيدِ وَأَمَّا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَلَيْسُوا كَذَلِكَ لِأَنَّ النَّصَارَى يَقُولُونَ بِالتَّثْلِيثِ وَالْيَهُودُ بِالتَّشْبِيهِ فَثَبَّتَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَقَعاً وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمَّا دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ فَهُوَ أَحَقُّ بِإِبْرَاهِيمَ مِنْهُمْ فَقَوْلُهُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ أَوْ الْمُؤْمِنِينَ كُنُونَا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا وَلَا مَوْقِعَ لَهُ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ فِيهَا لَيْسَ مَا ذَكَرُوهُ بِزَعْمِهِمُ الْفَاسِدُ هُوَ وَاضِحٌ.

قُولُوا أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا  
أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ  
لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)  
فَإِنْ أَمَّنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا  
فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً  
وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)

### ◀ اللغة

وَالْأَسْبَاطُ: أصل السَّبَطُ إنبساط في سهولة ويعبر به عن الجود والسبط ولد  
الولد كأنه إمتداد الفروع.

تَوَلَّوْا: أي أعرضوا.

شِقَاقٍ: الشِقَاقُ المخالفة وكونك في شقٍ غير شقٍ صاحبك أو من شقٍ  
العصا بينك وبينه.

صِبْغَةَ اللَّهِ: قيل الصَّبْغَةُ دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها وقيل ما  
أوجده الله في الناس من العقل المميّز.

### ◀ الاعراب

مِن رَّبِّهِمُ الضَّمير يعود الى النبيين خاصة فعلى هذا يتعلّق من بأوتى الثانية  
بَيْنَ أَحَدٍ، أَحَدُهَا هو المستحمل في النفي لأنّ بين لا تضاف إلّا الى جمع أو  
الى واحد معطوف عليه وقيل بمعنى فريق بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ الباء زائدة ومثل  
صفة لمصدرٍ محذوف وتقديره إيماناً مثل إيمانكم والضَّمير يرجع الى الله و



القرآن ومحمد وما، مصدرية وقيل مثل زائدة وباء، بمعنى الذي صبغة الله نصب بفعل محذوف أي إتبعوا دين الله وقيل هو إغراء أي عليكم دين الله وقيل هو بدل من ملّة إبراهيم من أحسن مبتدأ وخبر من الله في موضع نصب وصبغة منصوب على التمييز.

### ◀ التفسير

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا الآية الخطاب للمسلمين وقيل للنبي والمؤمنين وكيف كان فالله تعالى أمرهم بإظهار ما تدّينوا به من الشرع فبدأ بالإيمان لأنه أول الواجبات ولأنه الأصل في جميع الشرائع والنبوات فقال لهم، قولوا أيها المسلمون آمنا بالله بتوحيده وتنزهه عما لا يليق بجناحه وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا أي آمنا بما أنزل إلينا من الله تعالى بواسطة الرسول أيضاً وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ الى قوله مِنْ رَبِّهِمْ أي تؤمن بما أنزل اليهم جميعاً وذلك لأن الإيمان بالله ورسوله لا يكمل إلا بالإيمان بجميع الأنبياء قبله من آدم الى خاتم الأنبياء فمن أنكروا واحداً منهم كمن أنكر الجميع قال الله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ <sup>(١)</sup> وقوله تعالى: وَالْأَسْبَاطِ إشارة الى أولاد الأنبياء أي تؤمن بما أنزل اليهم أيضاً وذلك لأن الأسباط وأن لم يكونوا بأنبياء ولكن بعضهم كان منهم وتوضيح ذلك إجمالاً هو أَنَّ الأسباط جمع سبط مثل حمل وأحمال والأسباط في بني يعقوب كالقبائل في ولد إسماعيل وهم اثني عشر سبطاً من اثني عشر ولداً ليعقوب وأما سُمِّي هؤلاء بالقبائل ليفصل بين ولد إسماعيل وولد إسحاق ومع ذلك فقد بعث منهم عدّة رُسل كيوسف وداود وسليمان وموسى وعيسى فقوله تعالى: وَالْأَسْبَاطِ أي تؤمن بما أنزل اليهم معناه ما أنزل على

الأسباط الَّذِينَ بُعِثُوا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَمَحْصَلُ الْكَلَامِ فِي آيَةِ إِشْعَارٍ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَكْمَلُ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ وَتَخْصِيصِ مُوسَى وَعِيسَى بِالذِّكْرِ مَعَ دَخُولِهِمَا فِي الْأَسْبَاطِ إِعْتِنَاءً بِشَأْنِهِمَا وَأَنَّهِمَا مِنَ الْمُرْسَلِينَ بَلْ وَمِنْ أُولَى الْعَزْمِ مِنْهُمْ وَقِيلَ فِي وَجْهِ التَّخْصِيصِ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَانُوا يَحْتَجُونَ بِهِمَا فَكَفَرَتِ الْيَهُودُ بِعِيسَى وَنَبِيِّنَا وَكَفَرَتِ النَّصَارَى بِسُلَيْمَانَ وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَآلِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ لُزُومِ الْإِيمَانِ بِالْجَمِيعِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا بِالْإِيمَانِ بِبَعْضٍ وَالْكَفَرُ بِبَعْضٍ آخَرَ كَفَرُوا وَالْحَادِثَ وَخُرُوجَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَمَعْنَى الْإِيمَانِ بِهِمُ الْإِعْتِقَادُ بِأَنَّهُمْ جَمِيعًا أَنْبِيَاءُ وَبُعِثُوا فِي زَمَانِهِمْ لِإِرْشَادِ الْخَلْقِ وَهَدَايَتِهِمْ إِلَى الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ وَكُلِّ مَا جَاءَ وَابَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقٌّ وَأَمَّا جَوَازُ الْعَمَلِ بِأَدْيَانِهِمْ وَشَرَائِعِهِمْ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ فَلَا فَإِنَّ عِيسَى نَسَخَ بِشَرِيعَتِهِ دِينَ الْيَهُودِ وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَسَخَ بِشَرِيعَتِهِ دِينَ النَّصَارَى وَغَيْرِهِ لِأَنَّ نَبِيَّنَا خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَدِينُهُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ آخِرُ الْأَدْيَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ<sup>(١)</sup> هَذَا هُوَ الْإِعْتِقَادُ الصَّحِيحُ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا جُلَّ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا أَيَّ فَنَ آمَنَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَغَيْرُهُمْ كَانُوا مِنْ كَانُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرُسُولِهِ وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ فَقَدْ اهْتَدَوْا كَمَا اهْتَدَيْتُمْ وَإِنْ تَوَلَّوْا أَيَّ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ كَذَلِكَ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ وَخِلَافٍ إِذْ فَارَقُوا الْحَقَّ وَتَمَسَّكُوا بِالْبَاطِلِ فَصَارُوا مُخَالَفِينَ لِلَّهِ تَعَالَى فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ وَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالنُّصْرَةِ وَكَفَايَةِ أَعْدَائِهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ<sup>(٢)</sup> وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ أَيَّ أَنَّهُ تَعَالَى يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ وَيَعْلَمُ مَا يُبْطِنُونَ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ لَافِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

قوله تعالى: صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ  
 قيل أَنَّ النَّصَارَى كانوا اذا وُلِدَ لهم مولود غَمَّسُوهُ في ماءٍ طَهَّرَ يجعلون ذلك  
 تَطْهِيراً له وَيُسَمُّونه العَمُودِيَّة فقليل صبغة الله أي تطهير الله لا تطهيركم بتلك  
 الصَّبْغَةِ وهو قول الصُّرَّاء وقال قتادة اليهود تصبغ أبناءها يهوداً والنصارى  
 تصبغ أبناءها نصارى فهذا غير المعنى الأول وأما معناه أَنَّهُمْ يُلْقُونَ أولادهم  
 الْيَهُودِيَّة والنَّصْرَانِيَّة فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه، فيل صبغة الله  
 الَّتِي أَمَرَ بها وَرَضِيها يعني الشَّرِيعَةَ لا صِبْغَتكم، وقال الجبائي سُمِّي الدِّينُ  
 صَبْغَةً لَّأَنَّهُ هَيْئَةً تَظْهَرُ بِالْمُشَاهَدَةِ مِنْ أَثَرِ الطَّهَّارَةِ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ  
 الْجَمِيلَةِ الَّتِي هِيَ كَالصَّبْغَةِ قَالَ الشَّاعِرُ:

فِي صِبْغَةِ اللَّهِ كَانَ إِذَا نَسَى الْعَهْدَ وَخَلَّى الصَّوَابَ إِذْ عَزَمَا  
 وَالصَّبْغُ فِي الْأَصْلِ مَا يَلْوَنُ بِهِ الثِّيَابُ فَأَنْ قَلْنَا صِبْغَةَ اللَّهِ بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ مَلَّةٌ  
 إِبْرَاهِيمَ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَخْفَشُ فَالْمَعْنَى قُلْ بِإِمَامَةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً هِيَ  
 صِبْغَةُ اللَّهِ لَا مَا تَدْعُونَهُ مِنْ غَسْلِ التَّعْمِيدِ وَأَنْ قَلْنَا نَصَبَ عَلَى الْإِغْرَاءِ تَقْدِيرُهُ  
 إِنَّبَعُوا صِبْغَةَ اللَّهِ وَأَلْزَمُوا صِبْغَةَ اللَّهِ أَي دِينَ اللَّهِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُظْهِرُ  
 مِنْ بَعْضِ رَوَايَاتِنَا أَنَّهَا الْإِسْلَامُ وَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقِيلَ هِيَ شَرِيعَةُ  
 اللَّهِ الَّتِي هِيَ الْخِتَانُ وَهُوَ التَّطْهِيرُ قَالَهُ الْفَرَّاءُ وَقِيلَ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ  
 عَلَيْهَا وَقِيلَ الْعَقْلُ الْمُتَمَيِّزُ وَكَيْفَ كَانَ فَالْمَعْنَى وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ  
 الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَصَبَّغْنَا اللَّهَ بِالْإِيمَانِ صِبْغَةً لَا مِثْلَ صِبْغَتكم وَطَهَّرْنَا  
 بِهِ تَطْهِيراً لَا مِثْلَ تَطْهِيرِكُمْ بَلْ صِبْغَةً وَتَطْهِيراً بِالْإِيمَانِ وَالَّذِينَ الْخَالِصُ وَمَنْ  
 أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَأَتَمَّ سُمِّيَتِ الْمَلَّةُ الصَّبْغَةُ لِأَنَّ النَّصَارَى اسْتَعَاذُوا فِي  
 خِتَانِ أَوْلَادِهِمْ بِمَاءٍ أَصْفَرٍ يَصْبِغُ أَوْلَادَهُمْ فَزَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ قَالَهُ بَعْضُ  
 عُلَمَاءِ اللُّغَةِ، وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ، أَي مُطِيعُونَ مُتَقَادُونَ فِي إِتْبَاعِنَا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ  
 صِبْغَةَ اللَّهِ، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ أَنَّ صِبْغَةَ اللَّهِ فِطْرَتَهُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ فِطْرَةَ اللَّهِ  
 الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، وَقَرَّرَ هَذَا الْوَجْهَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُوسَمٌ

في تركيبه وبُنْيَتِهِ بالعجز والفاقة والأثار الشَّاهدة عليه بالحدوث والإفتقار الى الخالق فهذه الأثار كالصَّبْغَةِ له وكالسِّمَةِ اللازِمة انتهى.

أقول أحسن الأقوال في معنى الصَّبْغَةِ الدِّين وهو الإسلام وهو الَّذِي عَبَّرَ اللَّهُ تعالى عنه بألفاظٍ مختلفة كُلُّها يرجع اليه كما عبَّرَ عنه بالكلمة:

في قوله: **وَ كَلِمَةً أَللَّهُ هِيَ أَلْعُلْيَا** <sup>(١)</sup>

وبالدِّين في قوله: **يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا** <sup>(٢)</sup>

وبالصِّراط المستقيم في قوله: **إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**.

وبالهُدَى في قوله: **ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ**.

وبالتَّور في قوله: **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ** <sup>(٣)</sup>

وبالحَبْل في قوله: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ وَلَا تَفَرَّقُوا**.

والسَّبِيل في قوله: **أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ** وغير ذلك من التَّعابير.

عبارتنا شَتَّى وحُسنك واحدٌ وكلُّ الى ذلك الجمال يُشير

نُقل عن ابن عباس أنَّ بني إسرائيل سألوا موسى وقالوا له أَيَصْبِغُ

رَبِّكَ فقال موسى في الجواب اللَّهُ اللَّهُ أن كنتم مؤمنين فأوحى إِلَهُ

تعالى اليه و من أَحْسَن من اللَّهُ صِبْغَةً.

عن الكافي بأسناده عن أبي عبد اللَّهِ عليه السلام: في قوله تعالى: **صِبْغَةً**

**اللَّهُ قَالَ عليه السلام**: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق عنه.

و عن عَلِيِّ ابن إبراهيم بأسناده عنه عليه السلام قال: **صِبْغَةُ اللَّهِ** الإسلام.

و في حديث آخر قال عليه السلام: **الصَّبْغَةُ** أمير المؤمنين بالولاية في

الميثاق.



قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا  
 أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩)  
 أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَ  
 يَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ  
 أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ  
 اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ  
 خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ  
 عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)

### ◀ اللّغة

أَتُحَاجُّونَنَا: الْحُجَّةُ الدَّلَالَةُ الْمُبَيِّنَةُ لِلْمَحَجَّةِ أَيِ الْمَقْصِدِ الْمُسْتَقِيمِ وَالَّذِي  
 يَقْتَضِي صِحَّةَ اخْتِارِ التَّقْيِضِينَ وَالْمُحَاجَّةِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَرَدَّ الْآخَرَ عَنْ  
 حُجَّتِهِ وَمَحَجَّتِهِ.  
 وَالْأَسْبَاطُ: جَمْعُ السَّبَطِ وَهُوَ وَلَدٌ لَوْلَدٍ وَقَدْ مَرَّ شَرْحُهُ.

### ◀ الإعراب

أَمْ اللَّهُ مُبْتَدَأٌ وَالْخَبَرُ مَحذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ، أَمْ اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمْ هَاهُنَا مُتَّصِلَةٌ أَيْ  
 أَيْكُمْ أَعْلَمُ وَهُوَ إِسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ كَتَمَ شَهَادَةً، كَتَمَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ  
 وَقَدْ جُذِفَ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا تَقْدِيرُهُ كَتَمَ النَّاسُ شَهَادَةً عِنْدَهُ صِفَةً لَشَهَادَةٍ وَكَذَلِكَ  
 مِنَ اللَّهِ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

### ◀ التفسير

قوله تعالى: أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ الْآيَةَ لَا شَكَّ أَنَّ  
 الهمزة للإسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِي أَيْ لَمْ تُحَاجُّونَنَا وَفِي الْمَخَاطَبِ وَجْهٌ:

أحدها: أنه خطاب لليهود والنصارى.

ثانيها: أنه خطاب مع مشركي العرب حيث قالوا لو لا أنزل هذا القرآن على رجلي القريتين عظيم والعرب كانوا مقررين بالخالق.

ثالثها: أنه خطاب مع الكل والقول الأول أليق وأنسب بنظم الآية و سياق الكلام.

و أما معنى المحاجة والمراد بها فقليل أن ذلك كان قولهم أنهم أولى بالحق والنبوة لتقدمها فيهم وعليه فالمعنى **أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ** إصطفى رسوله من العرب لا منكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل عليكم وترونكم أحق بالنبوة منا وقيل أنها عبارة عن قولهم نحن أحق بالإيمان من العرب الذين عبدوا الأوثان، وقيل أنها قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وقولهم كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا و يحتمل أن يكون معناها أتحاجوننا في دين الله وهو ربنا وربكم، ففيه وجهان: أحدهما: أن الله تعالى أعلم بتدبير خلقه وبمن يصلح للرسالة وبمن لا يصلح لها فلا تعترضوا على ربكم فإن العبد ليس له أن يعترض على ربه بل يجب عليه تفويض الأمر بالكلية إليه.

ثانيها: أنه لا نسبة لكم إلى الله إلا بالعبودية وهذه النسبة موجودة فينا أيضاً ولما كانت النسبة مشتركة بيننا وبينكم فليمن تَرْجَحُونَ أنفسكم علينا بل الترجيح لنا لإثنا مخلصون له في العبودية ولستم كذلك وهو المراد بقوله ونحن له مخلصون وأما قوله تعالى **وَلَنَّا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ** فقليل المراد منه النصيحة في الدين كأنه تعالى قال لنبيه قل لهم هذا القول على وجه الشفقة والنصيحة أي لا يرجع إلي من أفعالكم القبيحة ضرر حتى يكون المقصود من هذا القول دفعه وأنما المراد نُصَحَكُمْ وإرشادكم إلى الأصلح وبالجملة فالإنسان أنما يكون مقبول القول إذا كان خالياً عن الأغراض الدنيوية وأما إذا كان لشئٍ من الأغراض لم ينجع قوله في القلب البتة.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى الْآيَةَ قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحُمَزَةٌ وَ الْكَسَائِي وَ حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ أَمْ تَقُولُونَ بِالتَّاءِ عَلَى الْخَطَابِ كَأَنَّهُ قَالَ أَتُحَاجُّونَنَا أَمْ تَقُولُونَ، الْآيَةَ بِالْيَاءِ عَلَى أَنَّهُ أَخْبَارٌ عَنِ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى فَعِلَى الْأَوَّلِ تَكُونُ أَمْ مُتَّصِلَةٌ وَ تَقْدِيرُهُ بِأَيِ الْحُجَّتَيْنِ تَتَعَلَّقُونَ فِي أَمْرِنَا بِالتَّوْحِيدِ فَنَحْنُ مُوَحِّدُونَ أَمْ بِاتِّبَاعِ دِينِ الْأَنْبِيَاءِ فَنَحْنُ مُتَّبِعُونَ، وَ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مَنْقُطَةً بِمَعْنَى بَلْ أَتَقُولُونَ وَ الْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ أَيْضًا وَ أَمَّا عَلَى الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ فَهِيَ مَنْقُطَةٌ لَا غَيْرَ وَ ذَلِكَ لِانْقِطَاعِ مَعْنَاهُ بِمَعْنَى الْإِنْقِطَاعِ إِلَى حِجَاجٍ آخَرَ غَيْرِ الْأَوَّلِ كَأَنَّهُ قِيلَ أَتَقُولُونَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا قَبْلَ نَزُولِ التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ هُودًا أَوْ نَصَارَى وَ لَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا عَلَى التَّوْحِيدِ وَ الْخَيْفَةِ بِشَهَادَةِ التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ بَاطِلًا مِنْهُمْ بِهَذِهِ الْوُجُوهُ لَا جَرَمَ أَوْرَدَ اللَّهُ هَذَا الْكَلَامَ فِي مَعْرِضِ الْإِسْتِفْهَامِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَ الْغَرَضُ مِنْهُ الزَّجْرُ وَ التَّوْبِيخُ وَ أَنْ يَقَرَّرَ اللَّهُ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ كَذِبَهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ وَ أَمَّا قَوْلُهُ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ وَ أَصْدَقُ وَ قَدْ أَخْبَرَ فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ مُبَرِّئِينَ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ وَ النَّصْرَانِيَّةِ وَ قَوْلُهُ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أَيِ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِنْكُمْ مَعَاشِرَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى إِنْ كَتَمْتُمْ هَذِهِ الشَّهَادَةَ مِنَ اللَّهِ وَ الْحَالُ أَنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ أَعْمَالِكُمُ السَّيِّئَةِ الَّتِي مِنْهَا كَتَمْتُمُ الشَّهَادَةَ فَهُوَ الْكَلَامُ الْجَامِعُ لِكُلِّ وَعِيدٍ فَأَنْ مَنْ عِلْمُ أَنَّهُ تَعَالَى عِلْمُ بَسْرِهِ وَ عِلَالِيَّتِهِ وَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَ أَنَّهُ مِنْ وَرَاءِ مَجَازَاتِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَ إِنْ شَرًّا فَشَرًّا لَا تَمْضِي عَلَيْهِ طَرْفَةٌ عَيْنٍ إِلَّا وَهُوَ حَذَرٌ خَائِفٌ وَ قَوْلُهُ: تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هَيْئَةٌ<sup>(١)</sup> وَ ذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ١

المجلد الأول

مَضُوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ فَأَنْ أَحْسَنُوا فَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَيُجْزِيهِمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَنْ أَسْأَوْا فَهُوَ تَعَالَى أَعْلَمُ بِحَالِهِمْ أَنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَكَيْفَ كَانَ مَا مَضَى مَضَى وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ أَيَّ أَنْتُمْ لَا تُؤْخَذُونَ بِأَعْمَالِهِمْ بَلْ تُؤْخَذُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فَأَعْمَالُ السَّلَفِ لَا تَنْفَعُكُمْ فَلَا تَتَكَلَّوْا عَلَى فَضْلِ الْأَبَاءِ وَالْأَسْلَافِ إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ يُؤْخَذُ بِعَمَلِهِ فَانْتُمْ لَا تُسْأَلُونَ، غَدَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَيَّ عَنْ أَعْمَالِ الْأَسْلَافِ وَالْأَبَاءِ وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: **قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ قُلْ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ** لِمَعَاشِرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا لَكَ وَ لِأَصْحَابِكَ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا وَزَعَمُوا أَنَّ دِينَهُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ وَكِتَابَهُمْ خَيْرٌ مِنْ كِتَابِكُمْ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ كِتَابِكُمْ وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْكُمْ، أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ، بِيَدِهِ الْخَيْرَاتُ وَاللَّهُ التَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَ الْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْحَسَنَاتِ مِنْهَا وَالسَّيِّئَاتِ فَتَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ نَبَيَّنَا بَعْدَ نَبِيِّكُمْ وَكِتَابَنَا بَعْدَ كِتَابِكُمْ وَرَبُّكُمْ وَرَبَّنَا وَاحِدٌ وَأَنْ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنَّا مَا عَمِلَ وَإِكْتَسَبَ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَسَيِّئِهَا وَبِجَازِي فَيُنَابِ أَوْ يُعَاقَبُ لَا عَلَى الْأَنْسَابِ وَقَدَّمَ الدِّينَ وَكِتَابَهُ.

رَوَى الطَّبْرِيُّ بِأَسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: **أَتُحَاجُّونَنَا أَيَّ أَتُجَادِلُونَنَا** فَأَمَّا قَوْلُهُ: **وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ** فَأَنَّهُ يَعْنِي وَنَحْنُ لِلَّهِ مُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ وَالطَّاعَةَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا نَعْبُدُ غَيْرَهُ أَحَدًا كَمَا عَبَدَ أَهْلُ الْأَوْتَانِ مَعَهُ الْأَوْتَانِ وَأَهْلُ الْعَجَلِ مَعَهُ الْعَجَلِ وَهَذَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَوْبِيخٌ لِلْيَهُودِ وَاجْتِهَادٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ قُولُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا لَكُمْ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ يَعْنِي بِقَوْلِهِ فِي اللَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرْنَا أَنْ تُدِينُوا بِهِ وَرَبَّنَا وَرَبُّكُمْ وَاحِدٌ عَدْلٌ لَا يَجُورُ وَأَمَّا بِجَازِي الْعِبَادَةِ عَلَى مَا إِكْتَسَبُوا وَتَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ أَوْلَى بِاللَّهِ



مَنَا لِقِدَمَ دِينِكُمْ وَكِتَابِكُمْ وَنَبِيِّكُمْ وَنَحْنُ مُخْلِصُونَ لَهُ الْعِبَادَةَ لَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَ  
 قَدْ أَشْرَكْتُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ فَعَبَدَ بَعْضُكُمْ الْعِجْلَ وَعَبَدَ بَعْضُكُمْ الْمَسِيحَ فَاتُّى  
 تَكُونُوا خَيْراً مِنَّا وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَ  
 إِسْحَاقَ إِلَى قَوْلِهِ: ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ أَيَّ أَمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى عَلَى مِلَّتِكُمْ وَالْحَالُ أَنَّ  
 الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ أَمَّا حَدَثَتْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ أَنْبِيَآءِهِ وَهَذِهِ  
 الْآيَةُ أَيْضاً إِحْتِجَاجٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ  
 قِصَصَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ فَهَاتُوا بُرْهَانَكُمْ عَلَى ذَلِكَ فَتَتَّبِعَكُمْ  
 عَلَيْهِ أَمْ تَقُولُونَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً  
 أَوْ نَصَارَى ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ وَبِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَدْيَانِ أَمْ اللَّهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى:  
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ أَيَّ أَمْ إِمْرُؤُ أَظْلَمُ مِنْهُمْ وَقَدْ  
 كَتَمُوا شَهَادَةً عِنْدَهُمْ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
 وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا مُسْلِمِينَ فَكَتَمُوا ذَلِكَ وَنَحَلُوهُمْ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَ اللَّهِ، أَيَّ كَتَمَ شَهَادَةً  
 عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ أَهْلَ الْكِتَابِ كَتَمُوا الْإِسْلَامَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ دِينُ اللَّهِ وَهُمْ  
 يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَهُودَ وَلَا نَصَارَى  
 وَكَانَتِ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ.

وَقِيلَ الْمُرَادُ بِكَتْمَانِهِمُ الشَّهَادَةَ كَتَمَانِهِمْ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَبَوْتَهُ وَهُوَ كَانَ  
 مَوْجُوداً فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَقَوْلُهُ: وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ  
 عَمَّا تَعْمَلُونَ أَيَّ لَيْسَ اللَّهُ بِغَافِلٍ مِنْ كَتْمَانِكُمُ الْحَقِّ فِيمَا أَلَزَمَكُمْ فِي كِتَابِهِ بَيَانَهُ  
 لِلنَّاسِ مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ فِي أَمْرِ  
 الْإِسْلَامِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ وَأَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي عَلَى جَمِيعِ  
 الْخَلْقِ التَّائِينَ بِهَا دُونَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمِلَلِ وَلَا هُوَ سَاهٍ عَنْ

عقابكم على فعلكم ذلك بل هو ثابت عليكم حتى يجازيكم به من الجزاء ما أنتم له أهل في عاجل الدنيا وأجل الآخرة، وأما قوله: **يَلِكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ** الآية فقد مضى تفسيرها وأنما أعيدت الآية هاهنا لغرض آخر وهو زجرهم عن الإشتغال بوصف ما عليه الأمم السالفة عن الدين بل ينبغي لهم التوبة إلى ما هم عليه الآن من الدين والحمد لله رب العالمين.

انتهى الجزء الأول من الكتاب ويتلوه الجزء الثاني أوله قوله تعالى: **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ** إن شاء الله تعالى.



## الفهرست

٧	المقدمة
١٣	سورة الحمد

١٣	الآيات ١ الي ٧
٣٤	اللغة
٣٥	الإعراب
٣٥	المعنى
٣٧	التفسير
٤٠	الآية ٤
٤٠	اللغة
٤١	الإعراب
٤١	المعنى
٤٧	التفسير
٤٨	الآية ٥
٤٨	اللغة
٤٨	الإعراب
٤٩	المعنى
٥٤	التفسير
٥٩	الآيات ٦ و ٧
٥٩	اللغة
٥٩	الإعراب
٦١	المعنى
٦٧	التفسير

٧٣	سورة البقرة
٧٥	الآيات ١ الي ٥
٧٥	اللغة
٧٦	الإعراب

٧٧	التفسير
٨٧	الآية ٣
٨٧	اللغة
٨٨	الإعراب
٨٨	التفسير
١٠٥	الآيات ٤ و ٥
١٠٥	اللغة
١٠٦	الإعراب
١٠٦	التفسير
١١٧	الآية ٦
١١٧	اللغة
١١٧	الإعراب
١١٨	التفسير
١٢١	الآية ٧
١٢١	اللغة
١٢١	الإعراب
١٢٢	التفسير
١٣٣	الآية ٨
١٣٣	اللغة
١٣٤	الإعراب
١٣٤	التفسير
١٣٩	الآية ٩
١٣٩	اللغة
١٣٩	الإعراب
١٤٠	التفسير
١٤٣	الآية ١٠
١٤٣	اللغة
١٤٣	الإعراب
١٤٣	التفسير
١٤٧	الآيات ١١ و ١٢
١٤٧	اللغة
١٤٧	الإعراب
١٤٨	التفسير
١٥٠	الآية ١٣
١٥٠	اللغة
١٥٠	الإعراب
١٥٠	التفسير

١٥٣	الآيات ١٤ و ١٥
١٥٣	اللغة
١٥٣	الإعراب
١٥٤	التفسير
١٦١	الآية ١٦
١٦١	اللغة
١٦١	الإعراب
١٦١	التفسير
١٦٤	الآيات ١٧ و ١٨
١٦٤	اللغة
١٦٥	الإعراب
١٦٦	التفسير
١٧٢	الآيات ١٩ و ٢٠
١٧٢	اللغة
١٧٣	الإعراب
١٧٤	التفسير
١٨٠	الآية ٢١
١٨٠	اللغة
١٨٠	الإعراب
١٨٠	التفسير
١٨٧	الآية ٢٢
١٨٧	اللغة
١٨٧	الإعراب
١٨٨	التفسير
٢٠٠	الآيات ٢٣ و ٢٤
٢٠٠	اللغة
٢٠٠	الإعراب
٢٠١	التفسير
٢١٠	الآية ٢٥
٢١٠	اللغة
٢١٠	الإعراب
٢١١	التفسير
٢١٦	الآية ٢٦
٢١٦	اللغة
٢١٦	الإعراب
٢١٧	التفسير
٢٢٤	الآية ٢٧

٢٢٤	اللغة
٢٢٤	الإعراب
٢٢٥	التفسير
٢٣٢	الآية ٢٨
٢٣٢	اللغة
٢٣٢	الإعراب
٢٣٢	التفسير
٢٣٩	الآية ٢٩
٢٣٩	اللغة
٢٣٩	الإعراب
٢٤٠	التفسير
٢٥٢	الآية ٣٠
٢٥٢	اللغة
٢٥٣	الإعراب
٢٥٣	التفسير
٢٦٩	الآيات ٣١ إلى ٣٣
٢٦٩	اللغة
٢٧٠	الإعراب
٢٧٠	التفسير
٢٨٠	الآية ٣٤
٢٨٠	اللغة
٢٨٠	الإعراب
٢٨٠	التفسير
٢٨٨	الآيات ٣٥ إلى ٣٨
٢٨٨	اللغة
٢٨٩	الإعراب
٢٩٠	التفسير
٣١٣	الآية ٣٩
٣١٤	الآية ٤٠
٣١٤	اللغة
٣١٥	الإعراب
٣١٥	التفسير
٣٢٤	الآية ٤١
٣٢٤	اللغة
٣٢٤	الإعراب
٣٢٤	التفسير
٣٢٨	الآية ٤٢

٣٢٨	اللغة
٣٢٨	الإعراب
٣٢٨	التفسير
٣٣١	الآية ٤٣
٣٣١	اللغة
٣٣١	الإعراب
٣٣١	التفسير
٣٣٧	الآية ٤٤
٣٣٧	اللغة
٣٣٧	الإعراب
٣٣٧	التفسير
٣٣٩	الآيات ٤٥ و ٤٦
٣٣٩	اللغة
٣٣٩	الإعراب
٣٣٩	التفسير
٣٤٤	الآية ٤٧
٣٤٤	اللغة
٣٤٤	الإعراب
٣٤٤	التفسير
٣٤٨	الآية ٤٨
٣٤٨	اللغة
٣٤٨	الإعراب
٣٤٩	التفسير
٣٦٠	الآية ٤٩
٣٦٠	اللغة
٣٦١	الإعراب
٣٦١	التفسير
٣٦٨	الآية ٥٠
٣٦٨	اللغة
٣٦٨	الإعراب
٣٦٨	التفسير
٣٧٤	الآيات ٥١ و ٥٢
٣٧٤	اللغة
٣٧٤	الإعراب
٣٧٥	التفسير
٣٧٩	الآية ٥٣
٣٧٩	اللغة

٣٧٩	الأعراب
٣٧٩	التفسير
٣٨١	الآية ٥٤
٣٨١	اللغة
٣٨١	الإعراب
٣٨١	التفسير
٣٨٥	الآيات ٥٥ الى ٥٧
٣٨٥	اللغة
٣٨٦	الإعراب
٣٨٧	التفسير
٣٩٤	الآيات ٥٨ و ٥٩
٣٩٤	اللغة
٣٩٤	الإعراب
٣٩٥	التفسير
٣٩٩	الآية ٦٠
٣٩٩	اللغة
٣٩٩	الإعراب
٣٩٩	التفسير
٤٠١	الآيات ٦١ و ٦٢
٤٠١	اللغة
٤٠٢	الإعراب
٤٠٣	التفسير
٤١٠	الآيات ٦٣ الى ٦٦
٤١٠	اللغة
٤١٠	الإعراب
٤١١	التفسير
٤٢٥	الآيات ٦٧ الى ٧١
٤٢٥	اللغة
٤٢٦	الإعراب
٤٢٧	التفسير
٤٣٥	الآيات ٧٢ و ٧٣
٤٣٥	اللغة
٤٣٥	الإعراب
٤٣٥	التفسير
٤٣٧	الآية ٧٤
٤٣٧	اللغة
٤٣٧	الإعراب



٢٣٨	التفسير
٢٤٤	الآيات ٧٥ الى ٧٧
٢٤٤	اللغة
٢٤٤	الإعراب
٢٤٥	التفسير
٢٤٨	الآيات ٧٨ الى ٨٢
٢٤٨	اللغة
٢٤٩	الإعراب
٢٤٩	التفسير
٢٥٦	الآيات ٨٣ و ٨٤
٢٥٦	اللغة
٢٥٦	الإعراب
٢٥٧	التفسير
٢٦٥	الآيات ٨٥ و ٨٦
٢٦٥	اللغة
٢٦٥	الإعراب
٢٦٦	التفسير
٢٧١	الآيات ٨٧ الى ٩٠
٢٧١	اللغة
٢٧٢	الإعراب
٢٧٢	التفسير
٢٧٩	الآيات ٩١ و ٩٢
٢٧٩	اللغة
٢٧٩	الإعراب
٢٨٠	التفسير
٢٨٣	الآية ٩٣
٢٨٣	اللغة
٢٨٣	الإعراب
٢٨٣	التفسير
٢٨٦	الآيات ٩٤ و ٩٥
٢٨٦	اللغة
٢٨٦	الإعراب
٢٨٧	التفسير
٢٩٠	الآيات ٩٦ الى ٩٨
٢٩٠	اللغة
٢٩٠	الإعراب
٢٩١	التفسير

٤٩٧	.....	الآيات ٩٩ و ١٠٠
٤٩٧	.....	اللغة
٤٩٧	.....	الإعراب
٤٩٧	.....	التفسير
٤٩٩	.....	الآية ١٠١
٤٩٩	.....	اللغة
٤٩٩	.....	الإعراب
٤٩٩	.....	التفسير
٥٠١	.....	الآية ١٠٢
٥٠١	.....	اللغة
٥٠٢	.....	الإعراب
٥٠٢	.....	التفسير
٥٢٧	.....	الآيات ١٠٣ الى ١٠٥
٥٢٧	.....	اللغة
٥٢٨	.....	الإعراب
٥٢٨	.....	التفسير
٥٣١	.....	الآيات ١٠٦ الى ١٠٨
٥٣١	.....	اللغة
٥٣١	.....	الإعراب
٥٣٢	.....	التفسير
٥٤٢	.....	الآيات ١٠٩ الى ١١٢
٥٤٢	.....	اللغة
٥٤٣	.....	الإعراب
٥٤٣	.....	التفسير
٥٥٣	.....	الآية ١١٣
٥٥٣	.....	اللغة
٥٥٣	.....	الإعراب
٥٥٣	.....	التفسير
٥٥٧	.....	الآيات ١١٤ الى ١١٦
٥٥٧	.....	اللغة
٥٥٨	.....	الإعراب
٥٥٩	.....	التفسير
٥٧٣	.....	الآيات ١١٧ الى ١١٩
٥٧٣	.....	اللغة
٥٧٣	.....	الإعراب
٥٧٤	.....	التفسير
٥٨٧	.....	الآيات ١٢٠ الى ١٢٣

٥٨٧	اللغة
٥٨٧	الإعراب
٥٨٨	التفسير
٥٩٥	الآية ١٢٤
٥٩٥	اللغة
٥٩٥	الإعراب
٥٩٦	التفسير
٦١٦	الآيات ١٢٥ إلى ١٢٧
٦١٦	اللغة
٦١٦	الإعراب
٦١٨	التفسير
٦٢٦	الآية ١٢٨
٦٢٦	اللغة
٦٢٦	الإعراب
٦٢٦	التفسير
٦٢٨	الآية ١٢٩
٦٢٨	اللغة
٦٢٨	الإعراب
٦٢٨	التفسير
٦٣٠	الآيات ١٣٠ إلى ١٣٢
٦٣٠	اللغة
٦٣١	الإعراب
٦٣١	التفسير
٦٣٧	الآيات ١٣٣ إلى ١٣٥
٦٣٧	اللغة
٦٣٧	الإعراب
٦٣٨	التفسير
٦٤١	الآيات ١٣٦ إلى ١٣٨
٦٤١	اللغة
٦٤١	الإعراب
٦٤٢	التفسير
٦٤٦	الآيات ١٣٩ إلى ١٤١
٦٤٦	اللغة
٦٤٦	الإعراب
٦٤٦	التفسير